Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

W. Arthur Jeffery

الجزء الأول

من شرح الشمائل الترمذية

الموسوم بالفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية

للعلامة المحقق الفهامة المدقق

من أضاءت معارفه اضاءة الشموس سيدى محمد بن قاسم جسوس

وبهامشه لوامع أنوار الكوكب الدرى فى شرح همزية الامام البوصيرى للعالم النحرير والحبر الكبير ذي التحقيق النفيس سيدى محمد بن احمد بنيس عم الله تعالى الجميع برضوانه وأكرمهم بالمشاهدة فى فسيح جنانه آمين

الطبعة الأولى

مطبوعات

مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده

بميدان الأزهر بمصر

سنة ١٣٤٦ هجرية

سنة ١٩٢٧ ميلادية

893.792
T51

وانك لعلى خلق عظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام
سيدى محمد بن قاسم جسوس رحمه الله تعالى

الحمد لله الذي أودع أبدع الشمائل زين الخلائق وولاه وأولاه أجمل الخلق وأحسن الخلائق وحباه قبل خلقه بالاكرام وانتخبه من خيرة خلقه الجلة الكرام وانشأه براكريما رؤفا رحيما وبه رسله ختم وعليه نعمته أتم فهو الحائز لكل المفاخر الفاخره وهو علي الاطلاق سيد اهل الدنيا وسيد اهل الآخره توالت عليه صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته واكرامه وعلي آله أجمعين وأصحابه والتابعين ماذكرت محاسنه وفضائله وسرت السامعين بشرحها شمائله

اذا ذكرت شمائل من اليه انتسمت بين الورى أسمى الشمائل
رأيت السامعين تميل وجدا * كأغصان تحركها الشمائل

(وبعد) فلما كان كتاب الشمائل من أجل ما ألف فى محاسن قطب الوسائل ومنبع الفضائل وكان الاشتغال به خدمة لشفيع الخلائق الاواخر منهم والاوائل ووسيلة الى امتلاء القلوب بتعظيمه ومحبته وطريقا الى اتباع طريقته وسنته ومعينا علي الفوز بمشاهدة كريم طلعته قيدت عليه عند اقرائه وقراءته واستعمال الفكر فى تفهم عبارته فوائد وتحقيقات وتنبيهات بينات تغنى الناظر فيه عن كثير من المجلدات راجيا ان نفوز بقسط من التعلق به وان نحسب من جملة خادميه وحزبه ونتخرط فى سلك اهل وداده وحبه وندلى دلونا معهم فى بحر فضله الذى لايخيب قاصده ولايظمأ وارده وان نظفر بدعوة من أولى الالباب فان الدعاء بظهر الغيب مستجاب وقد قيل كما ان اهل القرآن أهل الله فأهل الحديث أهل رسول الله وأنشدوا أهل الحديث هم اهل النبي وان * لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

وقد اعتمدنا فى مواضع كثيرة من هذا الشرح المبارك علي شرح الامام البحر الهمام سيدى علي بن سلطان محمد القارى الحنفى رحمه الله تعالى المسمى بجمع الوسائل فى شرح الشمائل

صلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (قال الشيخ) الامام العالم العلامة سيدى محمد بن أحمد بنيس رحمه الله تعالى

(الحمد لله) الذى ارسل رسوله محمدا المحمود بالهدى ودين الحق وخصه من بين سائر الرسل بالرسالة العامة لكل الخلق وأوجب له النبوة وآدم بين الطين والماء وجعله خاتم الانبياء وامام ملائكة السماء فهو الشفيع المشفع يوم العرض المحمود فى ملا السماء والارض صاحب اللواء المنشور يوم النشور والمؤتمن علي سر الكتاب المسطور ومخرج الناس من الظلمات الى النور فائدة الكون ومعناه وسر الوجود الذى بهر الوجود سناه وصفى حضرة القدس الذى لاينام قلبه اذا نامت عيناه البشير الذى سبقت له البشرى ورأى من آيات ربه الكبرى ونزل فيه سبحان الذى أسرى من انتقل فى الغرر الكريمة نوره واضاءت لميلاده مصانع الشام وقصوره وطفقت الملائكة تحييه وفودها وتزوره والمعجزات التى أثبتتها المشاهدة والحس وأقربها الجن والانس من جماد يتكلم وجذع لفراقه يتألم وقرله ينشق وحجر يشهد أن ماجاء به هو الحق وشمس بدعائه عن مسيرها تحبس وماء من بين اصابعه يتبجس صلى الله عليه وعلى آله ملء اللوح

118216G

والفضاء ومثل نجوم السماء وعدد القطر والحصى صلاة لا تعد ولا تحصى (وبعد) فهذا مشرع شريف ومنزع لطيف ومقصد منيف قصدت به الانحياش لباب أكرم خلق الله بشرح قصيدة الامام أبي عبدالله محمد بن سعيد البوصيري رحمه الله بذلت فيه المجهود في خدمة أجود كل موجود مستمطراً سحائب احسانه مستنزلا غزير بره وامتنانه فان الكرام اذا مدحوا أجزلوا العطايا ومنحوا وكل يعمل على طاقته وشاكلته ومدار عمل العامل على نيته (٣) (وسميته لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية الامام البوصيري) ومن الله سبحانه أستمد العون والقبول والفوز بالرضا ونيل المأمول انه جل شأنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولنقدم مقدمة مشتملة على مقصدين مهمين

فنسأله سبحانه وتعالى أن يجعله وصلة بيننا وبينه وينيلنا به في الدارين غفرانه وأمنه انه سميع مجيب رحيم قريب فاقول وبه أستعين وهو القوي المعين يوجد في بعض النسخ (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قال الشيخ الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي) والموجود في بعضها بعد البسملة باب ما جاء في خلق رسول الله صلي الله عليه وسلم والاولى أن تنسب الحمدلة للمصنف عملا بحسن الظن به والكلام على جملتي الحمدلة والبسملة شهير وقد ذكرنا فيما لنا من التقييد على خطبة الرسالة وعقيدتها ما تمس الحاجة اليه من ذلك وأما قال الشيخ الخ فيحتمل أن يكون من صنع تلامذته لما قال الخطيب ينبغي أن يكتب المحدث بعد البسملة اسم شيخه وكنيته ونسبته ثم يسوق ما سمعه منه ويحتمل أن يكون ذلك من فعل المصنف للاعتماد لا للافتخار ولان الفائدة اذا عرف مفيدها عظم موقعها من النفس سيما في العلوم النقلية التي من جملتها علم الحديث المحتاج فيه الى معرفة القائل وعدالة الناقل فلا يؤخذ الا عمن كان عالماً عاملا فتكون معرفة المؤلف ومرتبته في العلم والدين من أقوي دواعي الاعتناء بمسائل الكتاب والنظر فيه بعين الرضا الذي هو من أقوي أسباب الانتفاع به بتوفيق الله تعالى والانتفاع بالتأليف هو المقصود منه فصار تعريف المؤلفين بانفسهم من باب الحرص على الانتفاع وهداية الامة والاعمال بالنيات * وهذا والله أعلم مما يصلح توجيها لافتتاح الكتاب العزيز بخصوص الفاتحة المتضمنة للثناء عليه تعالى بكل ما هو أهله من صفات الكمال ونعوت الجلال وان منه تعالى المبدأ واليه المرجع والمنتهى وبه البقاء حتى يكون لاوامره ونواهيه تعالى موقع عظيم في القلوب وتأثير عجيب في النفوس فان تعظيم الامر والنهي علي قدر معرفة الآمر والناهي وأيضاً في تعريفهم بانفسهم اظهار لنعمة الله عليهم الذي هو ضرب من الشكر ان الله اذا أنعم على عبد أحب أن يظهر أثر نعمته عليه وأيضاً في ذلك اشعار بطلب الاعتناء بمعرفة الشيوخ ونسبة فوائدهم اليهم وذكرهم والثناء عليهم والقيام بحقوقهم والاحسان اليهم لانهم آباؤنا في الدين فتجب خدمتهم واستعمال الآداب اللائقة معهم ومكافأتهم لمن قدر والا فبالدعاء لهم من لم يشكر الناس لم يشكر الله من أسدي اليكم معروفا فكافؤه فان لم تقتدروا فادعوا له الحديث واكرامهم في الحقيقة خدمة لرسول الله صلي الله عليه وسلم لأنهم أنصار دينه وحملة شريعته وخلفاؤه ونوابه * قال أبو معاوية الضرير أكلت مع هرون الرشيد يوما فمر بي صبي على رجل لا أعرفه أي لكونه ضريراً فقال الرجل تدري من يصب عليك قلت لا قال أنا اجلالا للعلم فقلت جزاك الله عنا خيراً يا أمير المؤمنين فما أكرمت الا رسول الله صلي الله عليه وسلم قال صدقت انما صببت على يدك لانها كف عنيت بحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم * وروى معاذ مرفوعا من وقر عالما فقد وقر ربه وفي الاحياء أخذ بن عباس بركاب زيد بن ثابت وقال انا هكذا أمرنا أن نصنع بالعلماء والكبراء منا ويحتمل احتمالا قريباً أن يكون في نسخة المصنف قال أبو عيسى

المقصد الاول

وقد لخصت مضمنه من شرح شيخنا سيدى محمد جسوس على الشمائل فنقول لاشك ان المكلف مكلف بان يعرف مايجب في حقه تعالى ومايجوز ومايستحيل وأن يعرف مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وهذا النظم مشتمل على ذكر بعض صفات نبينا ومولانا محمد صلي الله عليه وسلم وذكر بعض معجزاته ومعرفة ذلك والاطلاع عليه فتعين على كل مؤمن لوجوه (الوجه الاول) ان معرفة صفاته السنية ونعوته البهية السمية وسيلة الى امتلاء القلب بتعظيمه وهو وسيلة الى تعظيم شريعته لان حرمة الكلام على قدر حرمة المتكلم به وتعظيم الشريعة واحترامها وسيلة الى العمل بها والوقوف عند حدودها والارتباط لامرها ونهيها وايثارها على مألوفات النفس وعوائدها وشهواتها الشاغلة لها عن مالكها وخالقها وذلك هو معنى الانقطاع الى الله الذى لاجله خلق الانسان وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو وسيلة الى السعادة الابدية والسيادة السرمدية والفوز برضوان الله تعالى الذي هو غاية رغبة الراغبين ونهاية آمال المؤملين وطلب الطالبين اليوم أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً وهذا من فوائد تنويه الله تعالى بقدره صلي الله عليه وسلم وتعظيم شأنه وأمره في غير ما آية من كتابه العزيز قال مولانا جل شأنه واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية انا فتحنا لك فتحاً مبينا الآية ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله من يطع

الرسول فقد اطاع الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الى غير ذلك (الوجه الثاني) ان معرفتها تتضمن معرفة حسنه واحسانه صلى الله عليه وسلم وذلك وسيلة الى محبته لأن أسباب المحبة وان تكاثرت فمدارها على أمرين الحسن والاحسان فان النفوس مجبولة على حب الحسن والمحسن اليها ولاحسن يماثل حسنه صلى الله عليه وسلم كما لااحسان يماثل احسانه صلى الله عليه وسلم الينا اذ كل خير وبركة قلت أو جلت (٤) منه حصلت وبطلعته ظهرت ومحبته صلي الله عليه وسلم من روح الايمان الذى هو أصل كل سعادة وسيادة وفى محبتنا له صلى الله عليه وسلم منن عظيمة علينا لانها موجبة لمعيته ومجاورته وصحبته لحديث أنت مع من أحببت والمرء مع من أحب وقد قال ما اختلط حبي بقلب أحد فاحبني الا حرم الله جسده علي النار (الوجه الثالث) ان السعى فى معرفتها خدمة لجنابه صلى الله عليه وسلم وثناء عليه وتعلق به وتعظيم لقدره وتقرب وتودد وانتساب واستعطاف وتعرض لنفحات فضل الممدوح واستمطار لسحائب احسانه واستنزال لغزير بره وامتنانه ومد ليد الفاقة والاضطرار وبسط لبساط الالحاح والاكثار وفتح لأبواب خزائن ما يأتي من قبله فان الكرام اذا مدحوا أجزلوا المواهب والعطايا وقد أعطى العباس بن مرداس لما مدحه مائة من الابل وخلع حلته علي كعب بن زهير لما مدحه بقصيدته المشهورة التى منها قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

وفى ذلك أيضاً تعرض لنفحات الرحمة الالهية لانه اذا كانت رحمته تعالى تتنزل عند ذكر الصالحين فما بالك بسيدهم وسندهم وممدهم صلى الله عليه وسلم وبالجملة فاذي انتساب اليه صلي الله عليه وسلم يحصل غاية النفع والشرف اذ لم يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه من مولانا محمد صلي الله عليه وسلم ولم يخلق جاهاً أعظم من جاهه صلى الله عليه وسلم فيحصل لخادمه من الجاه بحسب ماله صلي الله عليه وسلم من العز والشرف قال الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ما فى الوجود من جعل الله تعالى له الحل والربط دنيا واخري مثل النبي صلى الله عليه وسلم فمن خدمه علي الصدق والمحبة والوفاء دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع المؤمنين

الخ وزيادة الشيخ الحافظ من التلامذة اجلالا وتعظيما والشيخ هو من كان استاذاً كاملا متبحراً فى فن من الفنون ويصح الاقتداء به ولو كان شابا فان كثيراً من الصحابة حدثوا فى زمن شبابهم وجماعة من أحداث التابعين رووا أصحابهم وقد قال اسحق بن راهويه فى حق البخاري يا أصحاب الحديث انظروا الى هذا الشاب واكتبوا عنه فانه لو كان فى زمن الحسن البصرى لاحتاج اليه لمعرفته بالحديث وقد أفاد مالك وهو ابن عشرين أو سبع عشرة والشافعى تلمذله العلماء وهو فى حداثة السن خلافا لمن اشترط أن يكون ابن خمسين أو أربعين والحافظ هو فى اصطلاح المحدثين من أحاط علمه بمائة الف حديث متناً واسناداً والحجة من أحاط علمه بثلثمائة الف حديث متنا واسنادا وأحوال رواته جرحا وتعديلا وتاريخاً نقل عن البخارى انه قال أحفظ مائة الف حديث صحيح ومائتى الف حديث غير صحيح وأبو عيسى هو كنية المصنف واسمه محمد ووالده عيسى وجده سورة علي وزن طلحة وأصلها لغة الحدة ابن موسى بن الضحاك السلمى بضم السين منسوب الى بنى سليم مصغراً قبيلة من قيس بن عيلان والترمذى قال النووى فيه ثلاثة أوجه كسر التاء والميم وهو الاظهر وضمهما وفتح التاء وكسر الميم نسبة لترمذ وهى بلدة قديمة على طرف نهر بلخ المسمى بالجيحون وهو النهر الفاصل بين عراق العرب والعجم كان رضى الله عنه أحد الأئمة الاعلام وحفاظ مشايخ الاسلام وجامعه دال علي اتساع حفظه ووفور علمه فانه كاف للمجتهد وشاف للمقلد ونقل عن الشيخ أبى عبد الله الانصارى أنه قال جامع الترمذى عندي أنفع من كتابي البخارى ومسلم وقد قال رحمه الله كل ما فى كتابي هذا معمول به الا حديثين حديث جمع النبى صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فى غير خوف ولا سفر ولا مطر وحديث اذا شرب الخمر فاجلدوه واذا شرب الثانية فاجلدوه واذا شرب الثالثة أو فى الرابعة فاقتلوه قال وقد عرضت كتابي هذا علي علماء العراق وعلماء خراسان فكلهم قبلوه ورضوا به قال ومن كان كتابي هذا فى بيته فكأنما فى بيته نبي ينطق اه قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة وكون حديث الجمع لم يعمل به يعنى عند السلف الاول والا ففى المذهب قول بجوازه فى الظهرين لغير ضرورة والجمع الصورى أيضاً وقد حكى ذلك الباجى وغيره وهم أئمة هدى والدليل معهم اه وكتابه السنن أحد الكتب الستة التى عليها المدار فى علم الحديث سمع رضى الله عنه خلقاً كثيراً من الأئمة الاعلام مثل قتيبة بن سعيد والبخارى والدارمى ونظرائهم وذكر السيد الشريف فى التذكرة ان الترمذى قال سمع منى محمد بن اسمعيل البخارى حديث عطية عن أبي سعيد لا يحل لاحد يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك اه فيكون كل منهما علي هذا شيخاً للآخر وروى عنه مسلم أيضاً حديثاً واحداً وهو من تابعى تابع التابعين وأعلي ما وقع له فى الجامع حديث ثلاثي الاسناد وهو قوله عليه السلام يأتى علي الناس زمان الصابر علي دينه كالقابض علي الجمر ولد رحمه الله اكمه سنة تسع ومائتين وتوفى رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائتين فعمره سبعون سنة قوله رضى الله عنه

كانرى ذلك فيمن كان مقربا عند ملوك الدنيا ومن خدم السيد خدمته العبيد وكما ان غلام الوالى لا يتعرض له اكراما للوالى فكذلك خدام النبي صلي الله عليه وسلم لا تتعرض لهم الزبانية يوم القيامة اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد فعلت الحماية مع التقصير مالا تفعله كثرة الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاستناد الخاص ولشيخ شيوخنا العلامة أبي عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمن بن ذكرى فى همزيته (٥) واذا ما الجناب كان عظيما * مد منه لخادميه لواء

واذا عظمت سيادة متبو
ع أجل أتباعه الكبراء

(الوجه الرابع) ان معرفة صفاته معينة علي شهود ذاكره لذاته وفى رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة أو نوما فوائد عظيمة ومزايا كثيرة نخيمة وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله عباداً من نظر فى وجه أحدهم نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً وقوله هم القوم لا يشقى جليسهم مع انهم ما نالوا ذلك الا بنوره المشرق عليهم ومدده الساري فيهم

وكلهم من رسول الله ملتمس الخ

(الوجه الخامس) ان فى ذكرها وسماعها تنعما وتلذذاً بحبيب القلوب وقرة العيون صلى الله عليه وسلم وهو ضرب من الوصال به صلى الله عليه وسلم ووجه من وجوه القرب منه والاجتماع به لما فيه من امتاع حاسة السمع واللسان باوصاف المحبوب الذى هو وسيلة الى حضوره بالقلب فاذا فات النظر اليه بالبصر لم يفت التمتع بسماع لذيذ الخبر ولذا قيل

ياوارداً من أهيل الحى يخبرنى
عن جيرتى شنف الأسماع بالخبر
ناشدتك الله ياراوى حديثهم
حدث فقد ناب سمعى اليوم عن بصرى

باب
ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

ينبغي أن نقدم قبل الشروع فى كلام المصنف مقدمة لم نسبق اليها فيما نعلم ليقوى باعث الرغبة فيما ذكره من شمائل النبي صلى الله عليه وسلم فنقول مقصود المصنف ذكر ما ورد عن الصحابة رضى الله عنهم من شمائله صلى الله عليه وسلم وحسنه الظاهر والباطن ومعرفة ذلك مما يتأكد بل يتعين على كل مؤمن لوجوه (الوجه الاول) ان معرفة صفاته السنية ونعوته البهية السمية صلى الله عليه وسلم وسيلة الى امتلاء القلب بتعظيمه وتعظيمه وسيلة الى تعظيم شريعته لان حرمة الكلام على قدر حرمة المتكلم به وتعظيم الشريعة واحترامها وسيلة الى العمل بها والوقوف عند حدودها والارتباط لأمرها ونهيها وايثارها على مالوفات النفس وعوائدها وشهواتها الشاغلة لها عن مالكها وخالقها وذلك هو معنى الانقطاع الى الله الذي لأجله خلق الانسان وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو وسيلة الى السعادة الأبدية والسيادة السرمدية والفوز برضوان الله تعالى الذي هو غاية رغبة الراغبين ونهاية آمال المؤملين وطلب الطالبين اليوم أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً وهذا من فوائد تنويه الله تعالى بقدره صلى الله عليه وسلم وتعظيم شأنه وأمره فى غير ما آية من كتابه العزيز كآية واذ أخذ الله ميثاق النبيين وكآية انا فتحنا لك فتحاً مبيناً الخ وكآية ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله الخ وكآية من يطع الرسول فقد أطاع الله وكآية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الخ وكآية القسم بمدة حياته لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون و بعصره والعصر ان الانسان لفى خسر الخ وببلده لا أقسم بهذا البلد وعلي صدقه والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى الخ وعلى اكرامه والانعام عليه والضحى والليل اذا سجى أقسم تعالى ان صفاء المحبة باق كما كان وخلوص المودة لم يزل ولم يتبدل (الوجه الثاني) ان معرفتها تتضمن معرفة حسنه واحسانه صلى الله عليه وسلم وذلك وسيلة الى محبته لأن أسباب المحبة وان تكاثرت فمدارها على أمرين الحسن والاحسان فان النفوس مجبولة على حب الحسن كما انها مجبولة على حب المحسن اليها ولا حسن يماثل حسنه صلى الله عليه وسلم كما لا احسان يماثل احسانه صلى الله عليه وسلم الينا اذ كل خير وبركة قلت او جلت منه حصلت وبطلعته ظهرت ومحبته صلى الله عليه وسلم هى روح الايمان الذى هو أصل كل سعادة وسيادة وفى محبتنا له صلى الله عليه وسلم من عظيمة علينا لانها موجبة لمعيته ومجاورته وصحبته لحديث انت مع من احببت والمرء مع من احب وروى الحافظ ابو نعيم عن مسعر بن كدام عن عطية قال كنت مع ابن عمر رضى الله عنه جالساً فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن وددت أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن عمر فكنت تصنع ماذا فقال كنت والله أومن به وأقبل بين عينيه فقال له ابن عمر ألا ابشرك قال بلى يا أبا عبد الرحمن قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

(وللشيخ الغوث سيدى أبي مدين نفعنا الله به) ونحيا بذكركم اذا لم نراكم * ألا ان تذكار الاحبة ينعش
اذا نحن أيقاظ وفى النوم ان غبنا * لمتنا أسى من بعدكم وصبابة * ولكن فى المعنى معانيكم معنا
ولولا هواكم فى الحشا ما تحركنا * (ولذا قيل) يحركنا ذكر الأحاديث عنكم
ياقوم أذني لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

(الوجه السادس) ان ذكر محاسنه صلي الله عليه وسلم يحرك ما فى القلوب من الحب الساكن والشوق الكامن ويحصل من

انشراح الصدر وتفريج القلب ما يناسب اجلاء تلك المحاسن وقد يغيب المحب عند ذكر أوصاف المحبوب صلى الله عليه وسلم ولاسيما ان كان القارئ حسن الصوت وكانت قراءته على وجه يثير الخشوع ويرقق القلوب كما هو المطلوب ويرحم الله الشيخ سيدي عبد الرحيم البرعي اذ قال وتأخذ قلبي نشوة عند ذكركم * كما ارتاح صب خامرته خمور أصوم عن الأغيار قطعاً وذكركم سحور لصومي في الهوى وفطور (٦) ومدح رسول الله أصل سعادتي * أفوز به يوم السماء تمور نبي تقي أريحي مهذب بشير لكل العالمين نذير اذا ذكرا رتاحت قلوب لذكره وطابت نفوس وانشرح صدور

(المقصد الثاني في التعريف بالناظم اجمالا)

فهو رحمه الله الامام العلامة الهمام العارف بالله الصادق في محبة سيدنا رسول الله ابو عبد الله سيدي محمد بن سعيد بن حماد ابن محسن بن عبد الله البوصيري رضي الله عنه وارضاه ولد سنة ثمان وستمائة وتوفي سنة خمس وتسعين فعمره سبع وثمانون سنة أخذ عن العارف بالله سيدي ابي العباس احمد بن عمر المرسي الانصاري وهو عن القطب الكبير والغوث الشهير مولانا ابي الحسن الشاذلي الحسني وهو عن القطب الهمام غوث الانام مولانا عبد السلام بن مشيش الحسني وقد عرف بالناظم اخوه في الله سيدي احمد ابن عطاء الله في لطائف المنن فلتنظر

(٣) قلت وقد نقلها ايضاً سيدي بدر الدين عن ابن عباد ونصه وفي رسائل ابن عباد وقد روى في الاسرائيليات ان رجلا عصى الله مائتي سنة في كلها يتمرد ويجتري عليه فلما مات اخذ بنو اسرائيل برجليه والقوه على مزبلة فاوحى الله الى موسى عليه السلام ان غسله وكفنه وصل عليه في جميع بني اسرائيل ففعل ما امر به فعجب وسلم بنو اسرائيل من ذلك واخبروه انه لم يكن في بني اسرائيل أعتى على الله منه ولا أكثر معاص فقال قد علمت ولكن الله امرني بذلك قالوا فسل لنا ربك فسأل موسى ربه فقال يارب قد علمت ما قالوا فاوحى الله اليه أن قد صدقوا انه عصاني مائتي سنة الا انه يوما من الايام فتح التوراة فنظر الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا فقبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك ففغرت له ذنوب مائتي سنة اه منه

ما اختلط حبي بقلب أحد فاحبني الا حرم الله جسده على النار (الوجه الثالث) ان السعي في معرفتها خدمة لجانبه صلى الله عليه وسلم وثناء عليه وتعلق به وتعظيم لقدره وتقرب وتودد واستعطاف وانتساب وتعرض لنفحات فضل الممدوح واستمطار لسحائب احسانه واستنزال لغزير بره وامتنانه ومد ليد الفاقة والاضطرار وبسط لبساط الالحاح والاكثار وفتح لأبواب خزائن مايأتي من قبله فان الكرام اذا مدحوا أجزلوا المواهب والعطايا وقد اعطى العباس بن مرداس لما مدحه صلى الله عليه وسلم مائة من الابل وخلع حلته على كعب بن زهير لما مدحه بقصيدته التي يقول فيها

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

وفي ذلك ايضاً تعرض لنفحات الرحمة الالهية لانه اذا كانت رحمته تعالى تتنزل عند ذكر الصالحين فبالك بسيدهم وسندهم وممدهم صلى الله عليه وسلم وبالجملة فادنى انتساب اليه صلى الله عليه وسلم يحصل غاية النفع والشرف اذ لم يخلق الله تعالى خلقاً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ولم يخلق جاهاً أعظم من جاهه صلى الله عليه وسلم فيحصل لخادمه من الجاه بحسب ماله صلى الله عليه وسلم من العز والشرف قال سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى ما في الوجود من جعل الله تعالى له الحل والربط دنيا وآخرة مثل النبي صلى الله عليه وسلم فمن خدمه على الصدق والمحبة والوفاء دانت له رقات الجبابرة واكرمه جميع المؤمنين كما ترى ذلك فيمن كان مقربا عند ملوك الدنيا ومن خدم السيد خدمته العبيد وكما ان غلام الوالي لا يتعرض له اذا سكر مثلا اكراما للوالي فكذلك خدام النبي صلى الله عليه وسلم لا تتعرض لهم الزبانية يوم القيامة اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد فعلت الحماية مع التقصير ما لا تفعله كثرة الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاستناد الخاص ولشيخنا العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري رحمه الله تعالى في هذا المعنى من قصيدته همزية المديح

واذا ما الجناب كان عظيما * مد منه لخادميه لواء
واذا عظمت سيادة متبو * ع أجل أتباعه الكبراء

وقد ورد أن من قال جزي الله عنا محمداً صلى الله عليه وسلم ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً الف صباح وفي رواية الفي صباح وتذكر حكاية الاسرائيلي الذي وهبه الله ذنوب مائتي سنة لتقبيله اسمه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه وقد نقلها سيدي أبو عبد الله بن عباد في رسائله (٣) وانظر ما ورد في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يتضح لك الأمر ويرتفع عنك الحجاب وينفتح لك الباب وقد تقدم قول بعضهم كما ان اهل القرآن اهل الله فاهل الحديث اهل رسول الله وأنشدوا اهل الحديث هم اهل النبي وان * لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

(الوجه الرابع) ان معرفة صفاته معينة على شهود ذاكره لذاته وفي رؤيته صلى الله عليه

وممن أخذ عن الناظم أبو حيان واليعمري وأبو الفتح بن سيد الناس والعز بن جماعة وغيرهم ثم انه رضي الله عنه ابتدأ هذه القصيدة بما يناسب غرضه من المديح وذكر أوصافه صلى الله عليه وسلم التي ارتقى فيها الى غاية لا تدرك ففي مطلع النظم براعة الاستهلال وكل ما بعده تفصيل لبعض مجمله واستفتح بطريق الخطاب تشخيصا لذاته المقدسة البهية واحضارا لصفاته النزيهة العلية وتلذذا بالكلام معه واستجلاء لخطابه وتفاؤلا بالقرب منه وصرفا للهمة اليه (٧) استحياء من أن يخاطبه وهو غائب عنه وكان

وسلم يقظة أو نوما فوائد عظيمة ومزايا كبيرة جسيمة يأتي ان شاء الله التنبيه على بعضها في باب رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام وان أردت فهم ذلك فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله عباداً من نظر في وجه أحدهم نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً وقوله م القوم لا يشقى جليسهم فانهم ما قالوا ذلك الا بنوره المشرق عليهم ومدده الساري فيهم (الوجه الخامس) ان في ذكرها وسماعها تنعما وتلذذا بحبيب القلوب وقرة العيون صلى الله عليه وسلم وهو ضرب من الوصال به صلى الله عليه وسلم ووجه من وجوه القرب منه والاجتماع به لما فيه من امتاع حاسة السمع واللسان باوصاف المحبوب الذي هو وسيلة الى حضوره بالقلب فاذا فات النظر اليه بالبصر لم يفت التمتع به بالسمع والنظر اليه بالبصيرة كما قال بعضهم

يا وارداً من أهيل الحي يخبرني * عن جيرتي شنف الأسماع بالخبر
ناشدتك الله يا راوى حديثهم * حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري

(وقال سيدي أبي مدين رحمه الله تعالى ونفعنا به)

ونحيا بذكراكم اذا لم نراكم * ألا ان تذكار الأحبة ينعشنا
فلولا معانيكم تراها قلوبنا * اذا نحن أيقاظ وفي النوم ان غبنا
لمتنا أسى من بعدكم وصبابة * ولكن في المعنى معانيكم معنا
يحركنا ذكر الأحاديث عنكم * ولولاهواكم في الحشا ما تحركنا

وقال ابن الجزيري في مدح الشمائل مشيراً الى المعنى

أخلاي ان شط الحبيب وربعه * وعز تلاقيه وناءت منازله
وفاتكم أن تنظروه بعينكم * فما فاتكم بالسمع هذي شمائله

(ولبعضهم في المعنى)

ياعين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الحبيب بطائل * ان لم تراه فهذه آثاره

(ولشيخنا الفقيه المشارك المحدث الصوفي سيدي عبد السلام بن حمدون جسوس رحمه الله تعالى في مدح الشمائل مشيراً للمعنى)

علمت محاسن أحمد حيث اختفت * فقد التصبر من رقيق مائل
فبدت وأبدت للعيان شمائلا * فاذا المحاسن كلها بشمائل

ولذا قيل * والأذن تعشق قبل العين أحيانا * ولا شك ان كتاب الشمائل من أحسن ما صنف في شمائله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم بحيث ان مطالع هذا الكتاب كأنه يطالع طلعة ذلك الجناب ويرى محاسنه الشريفة في كل باب (الوجه السادس) ان ذكر محاسنه صلى الله عليه وسلم يحرك ما في القلوب من الحب الساكن والشوق الكامن ويحصل من انشراح الصدر وتفريج القلب ما يناسب اجلاء تلك المحاسن وقد يغيب المحب عند ذكر

مدح العظماء عند حضورهم أتم وأجمع منه عند غيبتهم لان الهمة مع حضورهم تفرغ لخدمتهم والقريحة تضطر لاستنباط ما يناسب أقدارهم على ان من كان مغرما بشيء مشوقا اليه مشغوفا به لا يزال ذاكراً له بلسانه وقالبه وقلبه حتى يصير له دائم الاستحضار مشاهدا في حضرة الابصار يمثلك الفكر المروع بالنوى فارتاح اذ يبدى خيالك في فكري ويدنيك مني الوهم حتى كأنني أناجيك من فرط التشوق والذكر فقال رضي الله عنه

(كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء)

الغالب في كيف الاستفهام تحقيقاً أو تقديراً كما هنا فهي للاستفهام الانكاري المشوب بالتعجب المتضمن للنفي وهي في موضع نصب على الحال لوقوعها قبل كلام تام أي على أي حال ترقى رقيك الأنبياء (٤) أي لا حال لهم ينالون به ذلك ورقى بكسر القاف في المحسوسات وبالفتح في المعاني ويرادان معاً من باب استعمال المشترك الذي هو المضارع في معنييه فالحسي هو

(٤) ومن أدلة ذلك حديث الترمذي أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي

آدم فمن سواه الا تحت لوائي اه وفي شرح الشفاء للشهاب ما نصه ثم ان البرهان ذكر عن ابن مسعود ان عبد الله بن سلام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة لواء الحمد فقال طوله الف سنه وستمائة سنة من ياقوتة حمراء وقضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب وذؤابة في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة أسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم والثاني الحمد لله رب العالمين والثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة الف عام قال صدقت يا محمد اه من هامش الاصل

رقيه صلى الله عليه وسلم ببدنه يقظة بمكة ليلة الاسراء الي السموات الي سدرة المنتهى الي المستوي الذى سمع فيه صريف الأقلام فى تصاريف الاقدار ثم الي العرش والرفرف والرؤية العيانية وسماع الخطاب وغير ذلك مما ياتي مفصلا مما لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبى مرسل والمعنوى التنقل من صفات كاملة عظيمة الى ما هو أكمل منها وأعظم والأنبياء جمع نبىء بالهمز من النبأ أى الخبر لأن النبى مخبر عن الله وبلا همز وهو الأكثر استعمالا (٨) قيل انه مخفف من المهموز بقلب همزته ياء وقيل انه الأصل من النبوة بفتح النون وسكون الباء أي الرفعة لان النبي صلى الله عليه وسلم مرفوع الرتبة على غيره من الخلق والنبي انسان أوحى اليه بشرع وان لم يؤمر بتبليغه فان أمر بذلك فرسول أيضا أو وأمر بتبليغه وان لم يكن له كتاب أو نسخ لبعض شرع من قبله كيوشع فان كان له ذلك فرسول أيضا قولان فالنبي أعم من الرسول عليهما وفى ثالث انهما بمعنى وهو معنى الرسول على الاول المشهور قاله المحلى وعبر به الناظم لكثرة استعماله عرفا حتى صار به مرادفا للرسول على ان فى آخر البيت مايدل على العموم وهو وقوع النكرة فى سياق النفى وياسماء نداء ومنادى مفرد منكر مقصود موصوف بما بعده فينتظم فى سلك الشبيه بالمضاف لانه نودى موصوفا فصارت الصفة له كالمعمول لعامله فلابد من نصبه على الاصح خلافا لمن أجاز ضمه والمطاولة مفاعلة للغالبة أى ماغالبتها فى الطول والارتفاع سماء والمراد بالمغالبة المقاومة والمقابلة بقصد الغلبة أى لم يكن لهم مطمع فى ذلك لتحققهم بانك غاية لاتدرك ونهاية لاتلحق والمراد بالاولى نبينا صلى الله عليه وسلم وبالثانية غيره من الانبياء والمرسلين شبههم بالسماء لانها أرفع مايرى من الاجرام الحسية كانهم أعلى الخلق وهذا من الاستعارة الواقعة فى كلامه كثيرا وهى مجاز تضمن تشبيه ماعنى به بما وضع له فشبه النبي صلى الله عليه وسلم بالسماء بجامع العلو ثم اطلق لفظ المشبه به على المشبه استعارة تصريحية قال فى التلخيص وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال المشبه به فى المشبه ثم أتي بالرقى ترشيحا (تنبيه) قال فى التلخيص وقد يضمر التشبيه فى النفس فلا يصرح بشىء من اركانه سوى المشبه ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنها واثبات ذلك الامر للمشبه

اوصاف المحبوب صلى الله عليه وسلم ولاسيما ان كان القارئ حسن الصوت وكانت قراءته على وجه يثير الخشوع ويرقق القلوب كما هو المطلوب عند قراءة القرآن ويرحم الله الشيخ عبد الرحيم البرعى اذ قال

وتاخذ قلبي نشوة عند ذكركم * كما ارتاح صب خامرته خمور
أصوم عن الأغيار قطعاً وذكركم * سحور لصومى فى الهوى وفطور
ومدح رسول الله أصل سعادتي * أفوز به يوم السماء تمور
نبي تـقى أريحى مهـذب * بشير لكل العالمين نذير
اذا ذكر ارتاحت قلوب لذكره * وطابت نفوس وانشرحن صدور

وبالغيبة فيه صلى الله عليه وسلم يتضاعف ويتجدد من الاقبال على الخير والتجلى بانواع البر أمر غير متعارف وهذه الوجوه الستة وغيرها كلها تأتي فى الأمداح النبوية ولنرجع الى ماذكره المؤلف رحمه الله فقوله باب ماجاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب لغة اسم لمدخل الامكنة كباب المدينة والدار وفى عرف العلماء يقال لما يتوصل به للمقصود وهو ههنا معرفة أحاديث جاءت فى بيان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ونوقش فى هذا بان الباب اسم لطائفة من الكتاب لها أول وآخر معلومان وليست مدخلا لشىء بل هى بيت من المعاني نعم لو كان الباب اسماً للجزء الاول منها لكان له وجه قال فى جمع الوسائل والأظهر عندى ان الكتاب بمنزلة الجنس والباب بمنزلة النوع والفصل بمنزلة الصنف ثم انه شبه المعقول بالمحسوس فالكتاب كالدار المشتملة على البيوت فكل نوع من المسائل بيت وأوله كبابه الذى يدخل منه اليه انتهى وهو خبر مبتدا محذوف أى هذا باب أو مبتدأ خبره مابعده فى قوله حدثنا الى آخر الباب بتأويل هذا الكلام وقوله ماجاء ماموصولة أو موصوفة وقوله جاء صلة أو صفة ويحتمل أن تكون استفهامية بمعنى أى شىء جاء كما فى قول البخارى باب كيف كان بدء الوحى قاله فى جمع الوسائل والخلق بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام فى اللغة التقدير المستقيم الموافق للحكمة يقال خلق الخياط الثوب اذا قدره قبل القطع ومنه قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين ويستعمل فى ابداع الشىء من غير أصل وفى ايجاد الشىء عن شىء آخر والمراد به هنا الصورة والشكل قال فى جمع الوسائل وقيل المراد بالخلق اسم المفعول الذى هو هيئة الانسان الظاهرة والاضافة للبيان وهو بعيد موهم ولا يبعد أن يقال الخلق فى الترجمة مضاف الي مفعوله والمعنى باب ما جاء من أحاديث وردت فى بيان خلق الله تعالى صورة رسوله الأعظم ونبيه الاكرم صلى الله عليه وسلم على الوجه الاتم اه وأما الخلق بضمتين او بضم فسكون فهو الطبع والسجية وهو صورة الانسان الباطنة وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق بفتح الخاء لصورتها الظاهرة وأوصافها ومعانيها وقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموجود فى النسخ المقروءة على المشايخ وزعم بعضهم انه وقع فى اكثر النسخ فى خلق النبي

استعارة تخييلية كما فى قول الهذلي واذا المنية أنشبت أظفارها * الفيت كل تميمة لاتنفع شبه المنية بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار فاثبت لها الاظفار التى لا يكمل ذلك فيه بدونها فتشبه المنية بالسبع استعارة بالكناية واثبات الاظفار للمنية استعارة تخييلية اه والشطر الثانى كالدليل (٩) على الاول أى لايرتقى أحد ارتقاءك أى لامطمع لاحد فى نيل مرتبتك لانك عرفت بين الانبياء بانك أعلاهم درجة وان كانوا فى أعظم المراتب واعلى الدرجات وقد قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين فهم وان اختارهم الله على سائر خلقه حتى الملائكة فانت أعظمهم قدرا وأعظمهم جاها وخطرا وقد دلت الآيات والاخبار وأقاويل العلماء والآثار على أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الوجود باسره وأن الموجودات وان تفاوتت فى الدرجات فهو فى أعلى الدرجات التى لادرجة فوقها قال المحققون فهو أفضل من كل واحد من الانبياء على حدته وأفضل من مجموعهم وأفضل من جميعهم والفرق بين الكلية والكل المجموعى والكل جميعى أن الكلية يستبد فيها كل فرد بالحكم بخلاف الاخيرين والكل الجميعى لايخرج عنه فرد بخلاف المجموعى وهو صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة قال الشيخ السنوسى ثبوت شرفه وأفضليته على جميع المخلوقات يكاد أن يكون معلوما من الدين بالضرورة بحيث لايحتاج الى سرد دليل

وليس يصح فى الاذهان شىء
اذا احتاج النهار الى دليل

وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر فالاجماع على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء ومذهب اكثر أهل السنة

النبي وفى بعض النسخ الرسول ثم اعلم أن مرجع ماذكره المصنف من أوصاف الجمال والكمال إلى نوعين ضرورى لااختيار للعبد فيه ككمال خلقته وحسن صورته ويلتحق بهذا ماتدعو اليه ضرورة الحياة كنومه وغذائه ولباسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وكسبي وهو سائر الاخلاق العلية والآداب الشرعية كالدين والعلم والحلم والشجاعة والكرم والعفو والحياء والمروءة والوقار والتودد والصبر والشكر والزهد والتواضع والرحمة والشفقة والعدل وحسن الادب والمعاشرة ثم من الناس من يجمع النوعين فى ترجمة واحدة كالبخارى فانه قال باب صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان المراد بالصفة مايتناول صفات الخلق وصفات الخلق وان شئت قلت صفات البدن وصفات النفس وإن شئت قلت الاوصاف الظاهرة التى تدرك بالبصر والاوصاف الباطنة التى تدرك بالبصيرة ومن الناس من يجعلهما ترجمتين كالمصنف وانما ابتدأ المصنف رحمه الله تعالى بالنوع الاول وهو مايرجع لكمال خلقته وحسن صورته مع أن العبرة شرعا وطبعا انما هى بصفات الخلق بضم الخاء واللام فهى الجزء الاشرف ولذلك سمى الكتاب كله بالشمائل جمع شمال بالكسر بمعنى الطبيعة تسمية للكل باشرف أجزائه اما لان الظاهر عنوان الباطن غالبا فهو كالدليل عليه فالمحاسن الظاهرة آيات على المحاسن الباطنة فمن علم ان ظاهره صلى الله عليه وسلم جامع لانواع الكمالات متضمن لجميع المحاسن وكل فرد من ذلك الجميع على أتم وجه وأكمله علم ان تخصيصه صلى الله عليه وسلم بذلك دون غيره دليل على الخصوصية الباطنة ولذا قال بعض من رآه بديهة والله ماوجهه بوجه كذاب

لو لم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

ولذلك ورد اطلبوا الخير والمعروف عند حسان الوجوه ووجهه العلماء بان الوجه الجميل مظنة الفعل الجميل وقال بعضهم

لقد قال الرسول وقال حقا * وخير القول ما قال الرسول
اذا الحاجات عزت فاطلبوها * الى من وجهه حسن جميل

وأخرج المصنف عن قتادة قال مابعث الله تعالى نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم أحسنهم وجها واحسنهم صوتا وقد يتخلف ذلك لكن الغالب معمول به والنادر لاحكم له واما لان الصفات الظاهرة أول مايدرك من الانسان ويدركها كل أحد لظهورها بخلاف الباطنة انما تدرك بالمخالطة والتجربة واما لانه قصد سلوك طريقة الترقى واعلم ان المصنف ذكر فى هذا الباب أربعة عشر حديثا خرجها عن ثمان من الصحابة أنس ابن مالك والبراء بن عازب وعلى بن أبى طالب وهند بن أبي هالة وجابر بن سمرة وأبي هريرة وأبي الطفيل وابن عباس رضى الله عن جميعهم وابتدأ بحديث أنس فقال (حدثنا أبو رجاء قتيبة ابن سعيد عن مالك بن أنس عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن أنس بن مالك) ستأتى ترجمته فى باب الخلق (انه سمعه يقول الخ) هكذا كان أصل المؤلف ويوجد فى بعض نسخ المغاربة بين الترجمة المتقدمة وهذا السند سند أبي على الصدفى الى المصنف ولعل ذلك كان بطرة الاصل فكتبه بعض الناسخين فى الاصل وكان الصواب أن لايكتب فى الاصل لان الواجب أن

(٢ - جسوس - اول)

ان الانبياء أفضل من الملائكة فيكون عليه الصلاة والسلام بالنسبة الى الملائكة أفضل إذ هو أفضل من الافضل منهم وعلى القول الآخر فهو صلى الله عليه وسلم خارج من الخلاف وما أحسن قول من قال نبينا أشرف بالاطلاق * من كل مخلوق على الاطلاق قلت هذا حاصل ماذكروه هنا ورأيت فى تفسير النسفى عند قول تعالى

لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون مانصه والحاصل ان خواص البشر وهم الانبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة (١٠) ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء أنهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله تعالى مع انهم جبلوا عليها فضاهت الانبياء عليهم السلام الملائكة في العصمة وتفضلوا عليهم في قهر البواعث النفسانية والدواعي الجسدانية فكانت طاعتهم اشق لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لانهم جبلوا عليها اه(١) ويعني بعوام المؤمنين اهل الطاعة والموافقة منهم وقد قيل في المعنى ليس الشجاع الذي يحمي فريسته يوم الزحام ونار الحرب تشتعل لكن من غض طرفا اوثنا قدما عن المحارم ذاك الفارس البطل وهذا معنى حديث ليس الشديد من غلب الناس انما الشديد من غلب نفسه هذا وقد تقرر ان المزية لاتقتضي التفضيل فلا ينافي ماتقدم من الافضلية ماثبت ان رجلا من اليهود قال في سوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل (٢) من الانصار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاتفضلوني على موسى قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فاكون اول من يرفع راسه فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري ارفع راسه قبلي اوكان ممن استثنى الله لان هذه خصوصية وهي لاتقتضي الافضلية بدليل الملائكة واما قوله لاتفضلوني الخ اي تفضيلا يؤدي الى المنازعة والمخاصمة وهضم المفضول ولذا عقبه بذكر مزيته ومعتقدنا

لايقع التصرف في الاصول أصلا ولذا إذا وقع سهو في تصنيف ولو من ألفاظ القرآن فانه لايغير بل ينبه عليه في حاشية الاصل وحاصل السند المذكور أن الصدفي قرأ على التميمي سنة أربع وثمانين وأربعمائة والتميمي قرأ على النيسابوري سنة احدي وستين وأربعمائة وبينهما ثلاث وعشرون سنة في الاخذ وعلى المحمدي سنة سبع وستين وأربعمائة وبين الاخذين ست سنين وعلى الوخشي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وبينهما أربع سنين قال كل واحد من الثلاثة أخبرني الخزاعي قال أخبرني أبو سعيد قال حدثني أبو عيسى وهو المصنف قال حدثنا أبو رجاء الخ واعلم ان المقام يستدعي ذكر جميع أحواله وسيره صلى الله عليه وسلم من مولده الى أن بعث بعد أربعين سنة ولنذكر مالاغنى عنه من ذلك (٣) فنقول هو صلى الله عليه وسلم أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان إلى هنا اجماع الامة وولد صلى الله عليه وسلم بعد وقعة الفيل بخمسين يوما في ثاني عشر ربيع الاول يوم الاثنين على المشهور في ذلك كله قرب طلوع الفجر قبله أو بعده فيكون على هذا ولد نهارا قال العراقي وهو الصواب وجزم به ابن دحية وصححه الزركشي في شرح البردة وأمه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب المذكور

(٣) قال سيدي المهدي الفاسي رحمه الله في شرح دلائل الخيرات عند قول المتن في الربع الاخير الزمزمي المكي التهامي مانصه نسبة إلى تهامة بكسر التاء ومنها مكة وما والاها وفي النسبة إلى تهامة لغتان تهامي بكسر التاء على الاصل وتهامي بفتحها فان كسرت التاء شددت ياء النسب وان فتحت لم تشدد لانهم انما فتحوا التاء لتكون الفتحة كالعوض من الياء كما كانت الالف من يمان وشآم وقال سيبويه منهم من يقول تهامي ويماني وشآمي بالفتح مع التشديد وفضل مكة وزمزم معلوم ضروره وأحاديثهما شهيرة فلا نطيل بذلك وهذه الاوصاف المذكورة هنا مما يجب اعتقاده في حقه صلى الله عليه وسلم إذ هي من جملة مشخصاته المعينة له فمن قال ليس بعربي أو ليس بقرشي فكافر كما إذا قال ليس الذي كان بمكة أو لم يكن بالمدينة ولا توفي بها الان هذا كله جحد له صلى الله عليه وسلم وكذا لو قال لم يخلق من نطفة وانما هو كعيسى وآدم عليهما السلام أو قال انه لم يكن آدميا بشرا فكل ذلك نص العلماء على كفر قائله ومدعيه وهو صلى الله عليه وسلم عربي عدناني نضري كناني قرشي هاشمي فان محمدا ابن عبد الله بن عبد المطلب وهو الذي حفر بئر زمزم وأظهرها بعد أن عفت وخفي مكانها ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهو الذي جمع قريشا بمكة وكانوا مفترقين في البلاد ولذلك قيل له مجمع وهو كان سيدهم المطاع ابن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش واليه جماع أمرهم بل هو فهر حقيقة والنضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس (بالمثناة) وامراته هي خندف التي ينسبون اليها ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان إلى هنا انتهى النسب الكريم متفقا عليه بين الرواة والنسابين على هذه الصورة وما فوق عدنان مختلف فيه والاجماع على ان عدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام والاحاديث الشاهدة بذلك كثيرة اه منه رحمه الله

(١) وقال ايضا في تفسير قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية هذا يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لأن البرية الخلق اه من خط المؤلف (٢) الرجل هو ابو بكر وقوله من الانصار يعني النصرة العامة اه مؤلف

أو قال ذلك تواضعا أو قبل اعلامه بالافضلية وقدوقع التصريح بها في حديث أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما قرب الله موسى الى طور سيناء نجيا قال أي رب هل أحد أكرم عليك مني قربتني نجيا وكلمتني تكليما قال نعم محمد أكرم على منك قال فان كان محمد أكرم عليك مني فهل أمة محمد أكرم عليك من بني ١١ اسرائيل فلقت لهم البحر وأنجيتهم من فرعون

ومعتقدنا أن الله تعالى حفظ آباء النبي صلى الله عليه وسلم من الشرك والنقائص من اجل حملهم لنوره قال نخر الدين الرازي آباء النبي صلى الله عليه وسلم كلهم الي آدم على التوحيد لم يكن فيهم شرك يدل على ذلك قول النبي صلي الله عليه وسلم لم أزل اتنقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالي انما المشركون نجس فوجب أن لا يكون احد من اجداده مشركا اه ولهذا قال البوصيري رحمه الله

لم تزل في ضمائر الكون تختا * ر لك الأمهات والآباء

ولا يرد على هذا قوله تعالي واذ قال ابراهيم لأبيه آزر الآية لقول ابن حجر أجمع اهل الكتابين على أن آزر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه والعرب تسمي العم اباً بل في القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل لو لم يجمعوا علي ذلك وجب تأويله جمعاً بين الأحاديث واما من اخذ بظاهره كالبيضاوي وغيره فقد تساهل اه ولا يرد على ذلك ايضا ما في الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه ابي طالب عند موته قل لا اله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله فكان آخر كلامه أن قال انه على ملة عبد المطلب لقول شيخنا المحقق في شرح همزيته لانسلم ان ظاهر قوله على ملة عبد المطلب أنه كان كافراً لان عبد المطلب لم يدرك البعثة فكان على ملة ابراهيم وابو طالب ادرك البعثة فلا تنفعه ملة عبد المطلب والله اعلم اه وقوله قل لا اله الا الله اى محمد رسول الله اذ لا يتم هذا الجواب الا ان كان المراد انه لا يقر له صلي الله عليه وسلم بالرسالة فتأمله ولا يرد على ما تقدم من انه لم يكن فيهم سفاح ماذكره اهل السير من ان برة ام النضر كانت زوجة لجد النضر وهو خزيمة ثم خلفه عليها بعد موته عنها ولده كنانة وهو ابو النضر فقد تزوج كنانة زوجة ابيه خزيمة وهي التي ولدت له النضر احد اجداده صلى الله عليه وسلم لقول السهيلي تبعاً لابن العربي كان ذلك مباحا بشرع متقدم فنهى الله عنه بقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف اى من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة الاستثناء ان لا يعاب نسب المصطفى ألا ترى انه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن الا ما قد سلف نحو ولا تقربوا الزنا الا في هذه الآية وفي الجمع بين الاختين لأنه كان مباحا وقد جمع يعقوب بين راحيل واختها اه واجاب الحلبي بان برة التي خلف عليها كنانة غير برة أم النضر فاشتبها على كثيرين لاتفاق الاسم وتوفي عبد الله والد النبي صلي الله عليه وسلم قبل وضعه او بعد وضعه صلى الله عليه وسلم باشهر وتوفيت امه وهو ابن ستة اعوام قال ابن حجر الهيتمي في شرح قول الهمزية لم تزل في ضمائر الكون تختا * ر لك الامهات والآباء

مانصه في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ان الله احياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم وفائدة احيائهما مع ان اهل الفترة لا يعذبون اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية امرهم انهم الحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العقاب وأما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فالحقا بمرتبة اهل الايمان زيادة في شرفهما بحصول تلك المراتب لهما انتهى كلام ابن حجر وقد صرح الامام الحافظ السيوطى في ثالث التآليف التي الفها في والديه صلى الله عليه وسلم ان اسناد هذا الحديث ضعيف

وعمله وأطعمتهم المن والسلوى قال نعم أمة محمد أكرم على من بني اسرائيل قال الهي ارنيهم قال انك لن تراهم وان شئت أسمعتك صوتهم قال نعم الهي فنادى ربنا يا أمة محمد أجيبوا ربكم فأجابوا وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم الى يوم القيامة فقالوا لبيك أنت ربنا حقا ونحن عبيدك حقا قال صدقتم انا ربكم وأنتم عبيدي حقا قد عفوت عنكم وأعطيتكم قبل ان تسألوني فمن لقيني منكم بشهادة أن لا اله الا الله دخل الجنة قال ابن عباس فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أراد ان يمن عليه بما أعطاه وأمته فقال يا محمد وما كنت بجانب الطور اذ نادينا انتهى وأما قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله فهو باعتبار الايمان بهم وبما أنزل عليهم لا في التفضيل لورود النص به قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فالتفاضل مما يجب الايمان به وأما قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فهو من تواضعه أي على فرض وجوده لكنا احق به منه وهو من الأنبياء محال فالمعلق عليه محال ومطلوب سيدنا ابراهيم هو رؤية الكيفية ومعاينتها مع الجزم بالقدرة ولذا قيل

ولكن للعيان لطيف معنى

له سال المعاينة الخليل وبالله تعالى التوفيق (لم يساووك في علاك وقد حا * ل سنى منك دونهم وسناء)

هذا كالتأكيد لما قبله مما ذكر في صدر البيت الأول المبرهن عليه بما في عجزه ثم اعاده في صدر هذا البيت بطريق اخرى وبرهن عليه في عجزه والاطناب في مقام المدح ممدوح لاسيما مع اختلاف المطمح وعلاك جمع علياء تأنيث اعلي من علا اذا ارتفع اى لم يساوك

احد من الانبياء في رفعة شأنك وعلو مكانك ثم استدل على ذلك بقوله وقد حال اى منع سنى منك اى ضوء ظاهر عظيم هو بعضك خصك الله به دون سائر الانبياء وسناء اى رفعة عظيمة واحدها كاف فكيف بمجموعها او حال بينهم وبين مساواتك سنى قليل هو بعضك فكيف بكثيره والجملة اما حال (١٢) من الفاعل او المفعول واما مستأنفة وهذا السنى مجاز عن علوم القرآن المحيطة بعلوم الاولين والآخرين وهو مقتبس من تسميته تعالى في القرآن نورا كقوله تعالى واتبعوا النور الذى أنزل معه وفي قوله وقد حال تذييل وهو أن يؤتي بعد تمام الكلام بجملة تشتمل على معناه تجرى مجرى العلة والتوكيد والتحقيق كقوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور وفي قوله سنى وسناء جناس التذييل نحو العارذل العارف وفائدته ان مماثلة الالفاظ تعيد ميلا واصغاء اليها

(انما مثلوا صفاتك للنا
س كما مثل النجوم الماء)

مثلوا صور وافاعله عائد على الانبياء وهو أحسن من عوده على المادحين والصفات جمع صفة مادل على معنى في الذات حسيا كالبياض او معنويا كالعلم والناس من الانس (١) وعليه قوله

وما سمى الانسان الا لانسه
ولا القلب الا انه يتقلب

او من النسيان (٢) وعليه قوله

لا تنسين تلك العهود فانما
سميت انسانا لانك ناسى

ومامصدرية اى كتمثيل الماء النجوم والماء اصله موه بدليل مياه ومويه تحركت الواو وانفتح ماقبلها فقلبت الفا وقلبت الهاء همزة يعنى ان صفات الانبياء على ماهى عليه من الكمال الحسى والمعنوى انما هى مثال لصفاتك فذ اتهم عليهم السلام كالماء الصافى ترى فيه صفاتك وآياتك فما يرى من معجزاتهم وآياتهم وصفاتهم الحميدة انما هو نور صفاتك التى

وبعد

وفى ابن حجر العسقلاني فى كتابه الميزان حديث احياء امه آمنة فى حجة الوداع كذب سنده ومتنه وقال سيدى المهدى الفاسى فى شرحه لدلائل الخيرات الصواب ضعفه لا وضعه واتفق المحدثون على عدم ارتفاعه عن درجة الضعف انتهى وانظر هذا الاتفاق مع ماقاله ابن حجر الهيتمى من انه حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا الى من طعن فيه قلت وعلى تسليم انه حديث ضعيف فضعفه انما هو من جهة الصناعة الحديثية واما نجاة ابويه صلى الله عليه وسلم وايمانهما بل وحصول اعظم منازل اهل الايمان لهما فهو اعتقادنا يشهد بذلك جلالة قدره وعلو منصبه عند ربه فاذا كان الواحد من ذريته بل الواحد من صحابته بل الواحد من امته صلى الله عليه وسلم يناله من فضل الله ورحمته بواسطته صلى الله عليه وسلم وبركته مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر حدث عن البحر ولا حرج فكيف لا ينال ابواه صلى الله عليه وسلم من ذلك الحظ الاوفر والنصيب الأكبر كيف وقد من الله تعالى عليهما بمزية خروجه من بينهما رحمة للعالمين وقد قال السيوطى فى تأليفه الثالث الحديث الضعيف يعمل به فى الفضائل والمناقب وهذه منقبة وقد ايد بعضهم هذا الحديث بالقاعدة المقررة التى اتفق عليها الأئمة انه ما اوتي نبي معجزة او خصيصة الا وأوتي النبى صلى الله عليه وسلم مثلها وقد أحيا الله لعيسى الموتي من قبورهم فلابد ان يكون لنبينا مثل ذلك ولم يرد من هذا النوع الا هذه القصة ثم قال ولاشك ان من الطرق التى يعتضد بها الحديث الضعيف موافقة القواعد المقررة اه ونقل فى كتابه الأرج ان القاضى ابا بكر بن العربي سئل عن رجل قال ان ابوى النبى صلى الله عليه وسلم في النار فاجاب بانه ملعون لأن الله تعالي قال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعدلهم عذابا مهينا قال ولا أذى اعظم من ان يقال عن ابويه انهما فى النار انتهى وكان صلى الله عليه وسلم بعد وفاة ابيه فى كفالة جده عبد المطلب واسترضعته امراة من بنى سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت ابي ذؤيب وصحح ابن حبان وغيره اسلامها واسلام ابنتها الشيماء قال المنذرى وقد الف مغلطاى فى اسلام حليمة مؤلفا حافلا وكان زوجها الحرث بن عبد العزى من بنى سعد بن بكر بن هوازن ثم من قيس ثم من مضر ثم من عدنان من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة واسلم وحسن اسلامه وكان له اخ اسمه ابو برقان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد هوازن فاسلم وبايع معهم ولما شب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعى ردته حليمة الى امه ولما تمت له ثمان سنين وشهران وعشرة ايام توفى جده عبد المطلب فوليه عمه ابو طالب بن عبد المطلب وكان شقيقا لوالده عبد الله فلما تمت له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة ايام ارتحل به ابو طالب تاجرا قبل الشام فلما اتت له خمس وعشرون سنة وشهران وعشرة ايام خطب الى خديجة نفسها فبقيت عنده قبل الوحى خمس عشرة سنة وماتت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم تسع واربعون سنة وثمانية اشهر واولاده منها ستة القاسم وبه كان يكنى والطاهر ويقال ان اسمه عبد الله وماتا فى اوان الرضاع وفاطمة اصغر ولده وزينب ورقية وام كلثوم فتزوج على فاطمة وتزوج ابو العاصى بن الربيع زينب وتزوج عثمان رقية

(١) واصله اناس حذفت الهمزة تخفيفا وعوض عنها حرف التعريف اه من خط المؤلف

(٢) اى واصله نسى فنقلت لامه الي موضع عينه فصار نيس فقلبت الياء الفا اه من خط المؤلف

احتوت عليها ذواتهم فهم مظاهر لصفاتك وبديع آياتك ولذا قال في البردة وكل آي أتي الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم
(أنت مصباح كل فضل فما تصدر الا عن ضوئك الاضواء) أي أنت مصباح ظهر للوجود فلا تقتبس الفضائل كلها ولا يصدر
عن أحد ضوء الا عن ضوئك فالآيات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات الصادرة ممن قبلك من الانبياء وممن بعدك
من الاصفياء كلها مقتبسة من نورك ولا يخفى ما في البيت من التشبيه البليغ ولا يصح ان يكون من باب الاستعارة لذكر الطرفين وفي جامع المعيار عن بعض العلماء ما معناه وجه تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالمصباح والسراج دون الشمع والقمر ان الشمع هو خاص بالملوك والاغنياء دون الفقراء في الغالب وأتباع النبي صلى الله عليه وسلم غالبا الفقراء والسراج عام غير مخصوص باحد وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم رسالته عامة وكان لا يقصر نفسه على أحد والسراج تقتبس منه الانوار الكثيرة ولا تغيره عن حاله بخلاف القمر فانه لا يقتبس من نوره كوكب اه وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر ابن عبد الله الانصاري رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي اخبرني عن أي شيء خلقه الله قبل الاشياء قال يا جابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله عز وجل ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما أراد الله عز وجل ان يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الجزء الثاني اللوح ومن الجزء الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة اجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهو المعرفة بالله عز وجل ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد ومن الرابع لا اله الا الله محمد رسول الله وفي حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا عمر بن الخطاب أتدري من انا انا الذي خلق الله عز وجل اول كل

وبعد موتها تزوج ام كلثوم واما ابراهيم ابنه فانه من مارية ويقال انه بلغ ان يركب الدابة ويسير على النجيب ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم حتى ماتت خديجة ونساؤه اللاتي دخل بهن بعد خديجة عشر نظمهن بعض شيوخ شيوخنا في قوله

ازواجه اللاتي بهن دخلا * بعد خديج عشرة على الولا
سودة عائشة المكرمه * حفصة زينب وام سلمه
وبنت جحش زينب جويريه * ام حبيبة ورملة هيه
صفية ميمونة الوفيه * وهن من عرب سوى صفيه

ولما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة وتراضت قريش بحكمه فيها فلما اتت له اربعون سنة ويوم بعثه الله تعالى الى الناس كافة بشيرا ونذيرا فصدع بامر الله وبلغ الرسالة ونصح الأمة وقد الف الناس ونظموا ونثروا فيما ظهر من خوارق العادات من لدن حملت به امه صلى الله عليه وسلم الى ان توفي ثم اعلم انه لا فرق في صيغ الأداء بين التحديث والاخبار والانباء والسماع عند المتقدمين كالزهري ومالك وابي حنيفة وعليه استمر عمل المغاربة وراى بعض المتأخرين التفرقة بينهما بحسب احوال التحمل فيخصون التحديث والسماع بما يلفظ به الشيخ والاخبار بما يقرأ التاميذ على الشيخ وهو مذهب الشافعي والاوزاعي وجمهور اهل المشرق ثم احدث اتباعهم تفصيلا آخر فمن سمع وحده من لفظ الشيخ افرد فقال حدثني وسمعت ومن سمع مع غيره جمع فقال حدثنا وسمعنا ومن قرا بنفسه على الشيخ افرد فقال اخبرني ومن سمع بقراءة غيره جمع فقال اخبرنا وكذا خصوا الانباء بالاجازة التي يشافه بها الشيخ من يجيزه وكل ذلك مستحسن وليس بواجب عندهم واختلفوا في القراءة على الشيخ هل تساوي السماع من لفظه واليه ذهب مالك واصحابه والبخاري او القراءة على الشيخ ارجح واليه ذهب ابو حنيفة او السماع من لفظ الشيخ ارجح واليه ذهب جمهور اهل المشرق قال العراقي وهو الصحيح قال في جمع الوسائل يمكن ان يقال هذا الاختلاف اختلاف عصر فان المتقدمين كان لهم قابلية تامة فيأخذون الحديث بمجرد السماع اخذا كاملا مستوفى يصلح للاعتماد في التحمل بخلاف المتاخرين لقلة استعداداتهم وبطء ادراكاتهم كانت قراءتهم على الشيخ اقوى في الاعتماد قال انس بن مالك رضي الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) هذا اشارة الى وصف قدره صلى الله عليه وسلم وفي رواية تاتي عن انس وعلى كان ربعة وفي خبر البراء كان مربوعا وفي خبر هند اطول من المربوع واقصر من المشذب ولا منافاة بين هذه الروايات لأن في نفي الأصل القصر ونفي الطول البائن لا اصل الطول اشعارا بانه صلى الله عليه وسلم كان مربوعا مائلا الى الطول وانه كان الى الطول اقرب كما رواه البيهقي ولا ينافي ذلك وصفه بانه ربعة لأنها امر نسبي والبائن بالهمز من بان اذا ظهر على غيره او بمعنى بعد او بمعنى فارق والمراد انه لم يكن فاحش الطول وهذا انما هو اذا كان وحده فان ماشى الطوال طالهم وان جالسهم كانت كتفه اعلى من جميعهم وهذا العلو الحسي اشارة الى العلو المعنوي لما كان لا يساويه احد في رتب

شيء نوري فسجد لله فبقي في سجوده سبعمائة عام فاول كل شيء سجد لله نوري ولا فخر يا عمر أتدري من أنا أنا الذي خلق الله العرش من نوري والكرسي من نوري واللوح والقلم من نوري والشمس والقمر من نوري ونور الابصار من نوري والعقل الذي في رؤس الخلق من نوري ونور المعرفة في قلوب المؤمنين من نوري ولا فخر والمراد ان هذه الاشياء مقتبسة من نوره والاقتباس لا يوجب انقساما ولا نقصا ولذا قال مولانا عبد السلام رضي الله عنه اللهم صل على من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار الخ (وفي المواهب) روي الحاكم في صحيحه ان آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله عز وجل قال لآدم لولا محمد ما خلقتك وفي حديث سليمان بن عساكر قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم علي منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا اه وصح عن ابن عباس وله حكم المرفوع ولولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله الا الله محمد رسول الله فسكن وبهذا تظهر صحة قول الناظم

* لولاه لم تخرج الدنيا من العدم *

وقد سبقه اليه ابن الفارض فقال

لولاك يا أحمد المحمود ما طلعت ... شمس ولم تخرج الدنيا من العدم

وهذا من باب الحكمة والمصلحة الراجعة الى العباد باظهار عظمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واشهار كرامته عند الله بجعل وجوده سببا في وجود الموجودات ولا منافاة بين ما تقدم وما روي من خلق القلم أول كل شيء لان الاولية الحقيقية في نور النبي صلى الله عليه وسلم وفي غيره اضافية نسبية

الكمال بل هو فيها فوق الجميع كان فوق الجميع حسا فلا يتطاول أحد عليه صورة كما لا يتطاول عليه معنى ولشيخنا المحقق في همزية المديح في هذا المعنى

وحده ربعة ويعلو اذا ما * مشى الطوال ويجهد الاقوياء

(ولا بالابيض الامهق ولا بآدم) اشارة الى صفة لونه والامهق الشديد البياض الخالي عن الحمرة والنور كالجص والبرص والآدم الشديد السمرة وهي منزلة بين البياض والسواد والمراد أن بياضه صلى الله عليه وسلم كان نيرا مشربا بحمرة وهو معنى خبر مسلم عن أنس والمصنف عن هند كان أزهر اللون أي أبيض يعلوه اشراق ولمعان فالنفي في قوله ولا بالابيض الامهق للقيد فقط ويأتي في خبر علي رضي الله عنه أبيض مشرب وهو الذي في بياضه حمرة وفي خبر أبي هريرة أبيض كأنما صيغ من فضة وفي خبر أبي الطفيل كان أبيض مليحا مقصدا وأشرف الالوان البياض المشرب بحمرة أو صفرة ذهبية أما الاول فظاهر بالوجدان وأما الثاني فلأنه لون أهل الجنة في الجنة فجمع الله سبحانه للمصطفى بين الاشرفين ولم يكن لونه في الدنيا كلونه في الآخرة لئلا يفوته أحد الحسنيين (ولا بالجعد القطط ولا بالسبط) اشارة الى صفة شعره صلى الله عليه وسلم والمراد انه لم يكن شعره شديد الجعودة كشعر السودان ولا شديد السبوطة كشعر الروم بل كان فيه تثن وحجونة وهي كونه كانه مشط فتكسر قليلا والقطط بفتحتين وبكسر الثاني شدة الجعودة والسبط بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وتفتح وتسكن والسبوطة في الشعر ضد الجعودة وهي الامتداد والاسترسال الذي ليس فيه تثن اصلا (بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة) اشارة الى وقت بعثته صلى الله عليه وسلم أي بعثه الله بعثة النبوة بعد استكمال أربعين سنة وأما بعثة الرسالة وهي ارساله الى الخلق لتبليغ الشريعة فكانت بعد ذلك * قال الطيبي الرأس هنا آخر السنة كقولهم رأس الآية أي آخرها وسمي آخر السنة رأسا باعتبار أنه مبدأ مثله من عقد آخر فالمراد بالرأس الطرف الاخير كما عليه الجمهور من أهل السير والتواريخ من أنه بعث بعد استكمال أربعين سنة ثم على ما قال المسعودي وابن عبد البر من أنه بعث في ربيع الاول شهر ولادته فلا أشكال وأما على المشهور عند الجمهور من أنه بعث في شهر رمضان فيكون له حين بعث أربعون سنة ونصف فلعل من قال أربعون ألغى الكسر وحكى عياض عن ابن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة انه صلى الله عليه وسلم بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة قال في جمع الوسائل ولعل الجمع بينهما أن بعث النبوة في أول الاربعين وبعث الرسالة في رأس ثلاث وأربعين ويؤيده قوله (فأقام) أي بعد البعثة (بمكة عشر سنين) بسكون الشين أي رسولا وثلاث عشرة أي نبيا ورسولا لان العلماء متفقون على أنه صلى الله عليه وسلم اقام بمكة بعد النبوة وقبل الهجرة ثلاث عشرة سنة وسيأتي في باب سنه عليه السلام رواية اقامته بمكة خمس عشرة سنة وغيرها فقوله أقام بمكة عشر سنين يحتاج الى تأويل وهو ما ذكرناه ويحتمل أن الراوي اقتصر على العقد وترك الكسر ولا خلاف في قوله (وبالمدينة عشر سنين) لكن يشكل على التأويلين قوله (فتوفاه الله تعالى) أي قبض روحه (على رأس ستين سنة) لانه يقتضي أن يكون سنه ستين والمرجح أنه ثلاث وستون وقيل خمس وستون وجمع بأن راوي الاخير عد سنتي المولد والوفاة ومن روى ثلاثا

(لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الاسماء) أي حقيقتها ومسماها والعلوم جمع علم وهو صفة ينجلي بها الشيء

لمن قامت به انجلاء تاما او الأدراك الجازم الذى لايحتمل النقيض ومن عالم الغيب اى من فيض الله تعالى والغيب مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل اي الغائب وهو مالم يشاهد اى بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فالكل من

لم يعدهما ومن ورى ستين ألغى الكسر قال فى جمع الوسائل واعلم ان ابتداء التاريخ الاسلامي من هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وقد قدم بها يوم الاثنين ضحى لثنتى عشرة خلت من ربيع الاول اه *(تنبيهان)* الاول علم مما تقدم أن نبوته كانت بعد أربعين سنة من عمره وانها متقدمة علي رسالته بثلاث سنين قال ابن حجر وبه صرح أبو عمر وغيره فكان فى آية اقرأ نبوته وفى المدثر ارساله اه وقد صح قوله عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وهو يقتضى وصفه بالنبوة قبل وجود ذاته ولامنافاة بينهما لان نبوته بعد الاربعين كانت فى عالم الاجساد والشهادة ونبوته قبل وجوده كانت فى عالم الارواح والغيب * قال السبكى فان قلت النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجودا فكيف يوصف به قبل وجوده قلت قد جاء أن الله خلق الارواح قبل الاجساد فقد تكون روحه الشريفة آتاها الله ذلك الوصف وأفاضه عليها من قبل خلق آدم فصار نبيا وكتب اسمه علي العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده ومن فسر ذلك بعلم الله بأنه سيصير نبيا لم يصل لهذا المعنى فان جميع الانبياء يعلم الله نبوتهم فى ذلك الوقت وقبله فلابد من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر بهذا الخبر اه * الثانى قد تبعه صلى الله عليه وسلم مع قلة سنى بعثته عدد كثير قال العلماء انه صلى الله عليه وسلم توفى عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة كلهم رآه وروى عنه ووقف معه بعرفة مائة ألف وعشرون ألفا والله يعلم عدد من لم يقف معه ونوح عليه السلام مع طول مكثه فى قومه قال الله تعالى وما آمن معه الاقليل وكذا أمته عليه السلام اقصر الامم أعمارا وأكثرهم أجورا ليلة القدر خير من الف شهر وقد غزا صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سبعا وعشرين غزوة وأما بعوثه وسراياه فتنيف عن الستين * وقد علم من الحديث أن كلا من مكة والمدينة حظيا بنصيب وافر منه صلى الله عليه وسلم ويرحم الله شيخ شيوخنا أبا سالم سيدى عبد الله عياشا حيث قال مضمنا

ألا يارسول الله شرفت طيبة * ومكة لما صرت طرز حلاها
حللت بهذى مرة ثم مرة * بهذى فطاب الواديان كلاهما

(وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) الجملة حال من مفعول توفاه وأخرج ابن سعد باسناد صحيح عن ثابت عن أنس قال ما كان فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الاسبع عشرة اوثمان عشرة شعرة بيضاء ويأتى للمصنف عنه ماعددت فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الاأربع عشرة شعرة بيضاء واما ماجاء من نفى الشيب فى رواية فالمراد به نفى كثرته لاأصله ومن ثم صح عن أنس ولم يشنه الله بالشيب ومقتضى اعتدال مزاجه صلى الله عليه وسلم ان لايظهر فيه شيب قبل أوانه ولذلك قالوا نراك يارسول الله قد شبت فقال شيبتنى هود وأخواتها فبين صلى الله عليه وسلم أنه انما شاب قبل اوان الشيب لعارض اهتمامه بأمر أمته كما سيأتى ايضاحه ان شاء الله لكنه مع ذلك لم يكثر شيبه وانما ظهر فيه شيب قليل وحكمة قلة شيبه مع ماورد من ان الشيب وقار ونور ومن شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة ان النساء يكرهنه فى الطبع غالبا فلا تحصل الملاءمة الكاملة لمافيه من ازالة بهجة الشباب ورونقه والحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم عيبا فانه يدل علي الضعف ومفارقة قوة

عالم الشهادة قوله ومنها اى العلوم بمعنى المعلومات لآدم اصله أأدم وقلبت الهمزة الساكنة الفا من الأدمة اى السمرة وكان لونه بين بياض وصفرة وحمرة اومن اديم الأرض اي ظاهر وجهها والأسماء جمع اسم وهو هنا مادل على معنى والمسميات اعلى رتبة من الأسماء لانها ماوضعت الالتتوصل بها اليها فالمسميات هى المقصد بالذات والاسماء مقصودة بالعرض فكما ان الاسماء ماوضعت الاليتوصل بها الى المسميات كذلك آدم ماخلق الا ليكون مظهر اللنور المحمدى والجمال الاحمدى وفى هذه الخصوصية ثلاثة اقوال أحدها علم الاسماء فقط وهو الذى سلكه الناظم ثانيها أنه علم المسميات فقط ثالثها انه علمهما وهو رأى الكشاف كذا فى ابن حجر وفيه نظر اذ كيف يتصور القول بانه علم احدهما فقط مع تطبيقه الاسماء علي المسميات فالتحقيق كما قاله المحققون ان الخلاف لفظى فمن قال علم الاسماء معناه من حيث دلالتها ومن قال علم المسميات معناه من حيث الدلالة عليها وانما وجه الخصوصية أن الموجودات لها حقائق ومفهومات ولها حدود حقيقة بالاعتبار الاول وحدود اسمية بالاعتبار الثانى والمفهوم هو مايفهم من الاسم فى الجملة وهو للموجود والمعدوم والحقيقة ماهية الشيء علي سبيل التفصيل ولاتكون الاللموجود فكان لسيدنا آدم بالنسبة الى

الاشياء التى عرضت عليه علم المفاهيم لانه انما علم تمثال حقائق الاشياء المعروضة ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علم الحقائق وفى ضمنه قطعا علم المفاهيم فعرفها من الوجه الاعم والاخص وبالثاني اختص عن آدم *(فائدة)* روى الحكيم الترمذى فى النوادر عن أبى ذر مرفوعا أول الرسل آدم ولا تعارض بينه وبين قوله أول الرسل نوح لان آدم ارسل الى بنيه وهم مؤمنون وأما نوح فأرسل الى كفار

أهل الارض قال وهب لما توفى آدم حفر له فى أبى قبيس غار يقال انه فى غار الكنز فاستخرجه نوح وجعله معه فى تابوت فى السفينة فلما نضب الماء رده الى مكانه وفى التوراة انه عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة اه ولما فرغ من ذكر بعض صفات ذاته وعلوه علي كل

ضمائر الكون مستورات الوجود وخفاياه استعارها للاصلاب والارحام اي مافى آبائك وأمهاتك الامن هو مصطفى مختار فانت الشريف حسبا ونسبا الكريم أما وأبا (قال) القسطلانى فى المواهب لما توفى آدم كان شيث عليهما الصلاة والسلام وصيا علي ولده ثم اوصى شيث بوصية آدم ان لا يوضع هذا النور الا فى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تتناقل من قرن الي قرن الى ان أدى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية اه وخرج البيهقى فى سننه ماولدنى من سفاح الجاهلية شيء ماولدني الا نكاح الاسلام وسفاحهم بكسر السين زنام كانت المرأة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها وروى ابن سعد وابن عساكر خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن ادم الى ان ولدنى أبى وأمى لم يصبنى من سفاح أهل الجاهلية شيء وروى أبو نعيم لم يلتق أبواى قط علي سفاح لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما وروى ابن مردويه قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم اى بفتح الفاء فقال أنا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح وفى الدلائل لابى نعيم عن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم وكذا أخرجه الطبرانى فى الاوسط (قال) الحافظ ابن حجر لوائح الصحة ظاهرة علي صفحات هذا المتن وفى البخاري عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم

الشباب والنشاط وأما قول ابن حجر ومن كره من النبى صلى الله عليه وسلم شيأ كفر فلا يصح علي اطلاقه قال فى جمع الوسائل لان الكراهة الطبيعية خارجة عن الامور التكليفية قال المصنف رحمه الله تعالى (حدثنا حميد بن مسعدة البصرى) بفتح الباء وتكسر (قال حدثنا عبد الوهاب الثقفى عن حميد عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة) بمعنى المربوع القد والتأنيث باعتبار النفس يقال رجل ربعة وامرأة ربعة ومعناه المتوسط بين الطويل والقصير فقوله (وليس بالطويل ولا بالقصير) كالتفسير لقوله ربعة والمراد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد فلا ينافى انه أطول من المربوع كما تقدم وفى رواية ليس الخ بدون واو فيكون خبرا بعد خبر (حسن الجسم) اى جميله تعميم بعد تخصيص وهو خبر بعد خبر اى لونا ونعومة واعتدالا فى الطول واللحم (وكان شعره ليس بجعد ولا سبط) جعلهما هنا وصفا للشعر وفيما مر لصاحبه قال فى جمع الوسائل الظاهر ان نسبتهما هنا علي الحقيقة وهناك علي حذف مضاف اوللمبالغة (أسمر اللون) قال العراقى هذه اللفظة انفرد بها حميد عن أنس ورواه غيره عنه بلفظ أزهر اللون ثم نظرنا الى من روى صفة لونه صلى الله عليه وسلم غير انس فكلهم وصفوه بالبياض دون السمرة وهم خمسة عشر صحابيا اه وعلي ثبوت هذه الرواية فالمراد بالسمرة الحمرة التى تخالط البياض لا الادمة التى هى شدة السمرة والعرب تطلق علي من كان كذلك أسمر ويؤيده رواية البيهقى عن أنس كان أبيض بياضه الى السمرة قاله ابن حجر فلا منافاة بين هذه الرواية والتى قبلها (اذا مشى يتكفأ) اشارة الى صفة مشيته صلى الله عليه وسلم ويتكفأ بتشديد الفاء بعد همز وقد يترك همزه تخفيفا وفى رواية تكفأ بلفظ الماضى والتكفؤ الميل الى سنن المشى أى الى قدام كالسفينة فى جريها وسيأتى فى خبر علي اذا مشى تقلع كانما ينحط من صبب وعنه أيضا اذا مشى تكفأ تكفؤا كانما ينحط من صبب وفى خبر هند اذا زال زال قلعا يخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب والتقلع رفع الرجل من الارض بهمة وقوة لا مع اختيال وتقارب خطا وتكسر وتثن وجر رجل فى الارض لان تلك مشية النساء والمتشبهين بهن والهون الرفق فالمعنى انه كان يرفع رجليه عن الارض بقوة ولا يجرهما بالارض وكان يضعهما عليها برفق وسكينة ووقار وحلم وأناة ولا يضرب برجله الارض ومعنى ذريع المشية واسع الخطوات لامتقاربها كخطوات المختالين فالمقصود ان مشيه كان علي وجه التواضع لا علي طريق التكبر والخيلاء قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون علي الارض هونا وقال واقصد فى مشيك أى توسط بين الاسراع والتمادت * وقوله كانما ينحط من صبب كناية عن سرعة مشيه اى كانما ينزل فى موضع منحدرا وأسرع ما يكون الماء جاريا اذا كان الموضع منحدرا فمن بمعنى فى كما فى نسخة والصبب الحدور كما يأتي ويفهم من هذا سرعة مشيته صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى باب ماجاء فى مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى هريرة ما رأيت أحد أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث ويفهم من قوله كانما الارض تطوى له انه كان يبارك له فى مشيته ومعنى قوله وانه لغير مكترث ان سرعته لم تكن بتكلف لانه غير مكترث بأصحابه فهو مع هون مشيته لا يلحق * قال المصنف رحمه الله (حدثنا محمد بن بشار يعنى العبدى)

بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وفى مسلم عن واثلة بن الاسقع قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم (وقال) الامام فخر الدين الرازى آباء النبى صلى الله عليه وسلم كلهم الى آدم على التوحيد لم يكن فيهم شرك يدل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لم أزل أتنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات (وقال) تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد من أجداده مشركا وقوله الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين معناه انه كان ينقل نوره من ساجد الى ساجد (وورد) من الاحاديث والآثار ما يدل على أنه لم تخل الارض من عهد نوح الى بعثته صلى الله عليه وسلم من ناس على الفطرة فى زمان المفترة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له وبهم تحفظ الارض ولولاهم لهلكت الارض ومن عليها فمن ذلك ما أخرجه الامام احمد بن حنبل فى الزهد والخلال فى كرامات الاولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال ماخلت الارض بعد نوح من سبعة يرفع الله بهم عن أهل الارض وما أخرجه عبد الرزاق فى المصنف وابن المنذر فى تفسيره بسند صحيح على شرط الشيخين عن على بن أبى طالب قال لم يزل على وجه الارض فى الدهر سبعة مسلمون فصاعدا فلولا ذلك لهلكت الارض ومن عليها ودلت الاخبار والاحاديث على ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم كانوا فى كل قرن هم خيره أو من خيره فهم على كل حال فى السبعة المسلمين بمقتضى الاحاديث الصحيحة اه وقال ابن حجر أجمع أهل الكتابين على ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل عمه

الظاهر انه ليس من كلام المؤلف بل من كلام بعض التلامذة والا لقال من أول وهلة محمد بن بشار العبدى ولا يحتاج الى قوله يعنى كما فى سائر الاسماء المنسوبة وانما لم يقل كذلك محافظة على لفظ الشيخ من غير زيادة وهذا دأبهم فى رعاية الامانة ولهذا كان بياء الغيبة انظر جمع الوسائل وهو نسبة الى عبد قيس قبيلة من ربيعة كما فى القاموس (نا محمد بن جعفر ناشعبة عن أبى اسحق قال سمعت البراء بن عازب يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا) على رواية ضم الجيم اذا كان بالمعنى المتعارف يراد به كامل الرجولية ويكون قوله (مربوعا) خبرا آخر أو قوله رجلا موطئ للخبر وهو كثير فى العرف وفى القرآن أنتم قوم تجهلون أنتم قوم مسرفون فيكون قوله مربوعا صفة لرجل على هذا وان كان وصفا للشعر اذا الرجل بكسر الجيم وفتحها وضمها وسكونها بمعنى واحد وهو الذى فى شعره تكسر يسير ويؤيده ما فى بعض النسخ من كسر الجيم وسكونها فيكون قوله مربوعا خبرا آخر لكان كالاحتمال الاول (بعيد ما بين المنكبين) خبر آخر لكان والبعيد ضد القريب ويقرأ مضافا الى ما والمنكب مجمع عظم العضد والكتف ومعناه عريض أعلى الظهر قاله العسقلانى وهو مستلزم لعرض الصدر ومن ثم وقع عند ابن سعد رحيب الصدر وذلك علامة النجابة والقوة والجلالة (عظيم الجمة) أى كثيفها والجمة بضم الجيم وتشديد الميم وهى عند جمهور أهل اللغة ما سقط من شعر الرأس على المنكبين وأما الوفرة فهى التى تصل الى شحمة الاذن وأما ما نزل عن الاذنين ولم يصل الى المنكبين فهو اللمة وعلى هذا قول من قال

الوفرة الشعر لشحمة الاذن * وجمة ان هى لمنكب تكن
وسم ما بينهما باللمة * قد قال ذا جمهور أهل اللغة

وقال الزمخشرى فى المقدمة الجمة ما تدلى من الشعر الى شحمة الاذن وفى الصحاح الجمة الشعر المجموع على الرأس وظاهره مطلقا وفى ديوان الادب ان الجمة هى الشعر اذا تدلى من الرأس الى شحمة الاذن والى المنكبين والى أكثر من ذلك فتحصل ان فى الجمة ثلاثة أقوال ما وصل الى المنكبين ما وصل الى شحمة الاذن ما تدلى من شعر الرأس مطلقا فقوله (الى شحمة أذنيه) انما يأتى على القول الثانى والثالث دون الاول قال بعضهم يمكن ان يكون المراد انها لعظمها اذا جمعت وصلت الى شحمة الاذنين واذا ارسلت وصلت الى المنكب اه وقال بعضهم المراد بيان غلظها وعظمها لا بيان نهاية الجمة أى عظيم الجمة الواصلة الى شحمة أذنيه لا التى نزلت عن ذلك * وقد اختلفت الروايات فى منتهى شعره صلى الله عليه وسلم ففى بعضها الى أنصاف أذنيه وفى أخرى الى أذنيه وفى أخرى الى كتفيه وجمع القاضى عياض بينها بان ذلك لاختلاف الاوقات فكان تارة يحلقه فيقصر وتارة يتركه فيطول وراجع آخر الباب الثالث (عليه حلة حمراء) حال وفى رواية مسلم وعليه حلة بالواو والحلة ثوبان من جنس واحد وتكون غالبا ازارا ورداء وسميا بذلك لانه يحل كل منهما على الآخر وبه فسره ابن حجر وفى القاموس لا تكون حلة الا

والعرب تسمى العم أبا بل فى القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل لو يجمعوا على ذلك لوجب تأويله بهذا جمعا بين الاحاديث اه وبه يجاب أيضا عن قوله كما فى مسلم ان أبى وأباك فى النار ولا يرد على ذلك ما فى الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمه أبى طالب عند موته قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فكان آخر كلامه ان قال انه على ملة عبد المطلب لانا لا نسلم ان ظاهر قوله على ملة عبد المطلب انه كان كافرا لان عبد المطلب لم يدرك

البعثة فكان علي ملة ابراهيم وابو طالب أدرك البعثة فلا تنفعه ملة عبد المطلب وقال ابن حجر أيضا في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ان الله أحيا للنبي صلى الله عليه وسلم أبويه فآمنا به وكرامة له صلى الله عليه وسلم (٧) وذكره السهيلي في الروض عن أبي الزناد عن عروة عن عائشة أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فاحياهما له وآمنا به ثم أماتهما والله قادر علي كل شيء وليس تعجز قدرته ورحمته عن شيء ونبيه عليه السلام أهل أن يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته صلى الله عليه وسلم اه وفائدة احيائهما مع أن أهل الفترة لا يعذبون اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية أمرهم انهم ألحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العقاب وأما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فألحقا بمرتبة أهل الايمان زيادة في شرف كمالهما بحصول تلك المراتب لهما اه

من ثوبين أو ثوب له بطانة والمتبادر من قوله حمراء انها حمراء خالصة وقد استدل به الشافعي علي حل لبس الاحمر وان كان قانئا ومن يقول بمنع لبسه لما ورد من النهي يؤول الحمراء بالتي لها خطوط كالبرود اليمانية التي فيها خطوط حمر وبه فسر العسقلاني أو يعد من خصائصه صلى الله عليه وسلم بعد تسليم صحة حديث النهي أو يحمل لبسه علي ما قبل نهيه أو لبيان ان النهي للتنزيه وسيأتي في باب اللباس ما في لبس الاحمر من الخلاف (ما رأيت شيأ) من المخلوقات (قط أحسن منه) الجملة استئناف وهو اجمال بعد تفصيل اشارة لتعذر تفصيل أحوال كماله صلى الله عليه وسلم ورأي يحتمل ان تكون عامية فاحسن مفعول ثان ويحتمل ان تكون بصرية فأحسن صفة قوله شيأ والمراد بنفي رؤية شيء أحسن منه نفي رؤية الاحسن والمساوي معا والمعني أنه أحسن من كل ما وقع بصره عليه او علمه بدلالة العرف كما يقال ليس في البلد أفضل من زيد بمعني انه أفضل من كل احد فيها والسر في ذلك أن الغالب من حال كل اثنين هو التفاضل دون التساوي فاذا انتفي أفضلية أحدهما ثبت أفضلية الآخر كذا ذكره المحققون انظر جمع الوسائل والحاصل ان هذا التركيب انما يدل بالمطابقة علي نفي الاحسن وأما نفي المساوي فانما يستفاد من قرينة المقام اذ هو مقام مدح ومن هذا الباب قوله تعالى ومن أصدق من الله قيلا واما قول ابن حجر ان المعني ما رأيت شيأ قط كان حسنه مثل حسنه لان أفعل قد يراد به أصل الفعل اثباتا ونفيا وان قرن بمن خلافا لما يوهمه كلام غير واحد ومن ذلك قولهم العسل أحلى من الخل والصيف أحر من الشتاء اه ففيه ان من قال لا يكون أفعل بمعني أصل الفعل اذا قرن بمن انما قال ذلك فيما تمكن فيه المشاركة في أصل الفعل كزيد أفضل من عمرو والمثالان المذكوران في كلامه خارجان عما نحن فيه نعم اذ تجرد أفعل عن أل والاضافة ومن قد يستعمل مجردا عن معني التفضيل مؤولا باسم الفاعل كهو أعلم بكم أو مؤولا بالصفة المشبهة كهو أهون عليه قاله الرضي والدماميني في شرح التسهيل نقله في جمع الوسائل ونظير قول البراء ما رأيت الخ قول عائشة رضي الله عنها تمدحه صلي الله عليه وسلم

وأجمل منك لم ترقط عيني * وأكمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب * كانك قد خلقت كما تشاء

وقال ما رأيت شيأ دون ان يقول ما رأيت انسانا ليفيد التعميم حتى يتناول الشمس والقمر وسيأتي لهذا تتمة في قول هند يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر * قال المصنف رحمه الله (حدثنا محمود بن غلان نا وكيع نا سفيان) هو سفيان الثوري كما صرح به المصنف في جامعه في هذا الحديث بعينه قال في جمع الوسائل روى ان ابا جعفر الخليفة توجه الى مكة وقد وجه النجارين اليها لينصبوا له خشبا ليصلبه عليها وكان سفيان مضطجعا ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورجله في حجر ابن عيينة فقال يا أبا عبد الله اختف لا تشمت بنا أعداء نا فقام ودخل المسجد وتعلق باستار الكعبة وقال أنا بريء منها ان دخل أبو جعفر مكة فمات أبو جعفر قبل ان يدخلها

(ما مضت فترة من الرسل الا بشرت قومها بك الانبياء)

الفترة ما بين موت رسول وبعث آخر يليه اي ما مضى زمن خال من الرسل ثم بعث رسول ووجد القوم علي فترتهم الا وبشرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم فيصدق بمن وقع لهم نسيانه ومن لا فيذكر الاولين ويبشرهم جميعا فيزدادون ايمانا وتصديقا فالانبياء فاعل بشرت وقومها مفعوله وضميره يعود علي الانبياء وهو مقدم من تاخير لانه فاعل وبك متعلق ببشرت وفي هذا استدلال واضح علي كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته علي ألسنة الرسل وشاهده قوله تعالى عن عيسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية ففيها من التنويه بقدر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (عن والاعلام بعلو جاهه وشفوف منصبه وتفخامة منزلته وضخامة مرتبته واصالة خصوصيته مالا يخفى علي من اطلع عليها ووجه وجهة التأمل اليها فالميثاق بمعني العهد وأل في النبيين للاستغراق وعبر بهم دون المرسلين تنبيها علي زيادة المدح والتعظيم اي لم يؤخذ

(٧) للجلال السيوطي في هذه المسئلة تا ليف سبعة اشار لها في آخر كتاب الجنائز من الديباج علي مسلم اه من خط المؤلف

الميثاق على خصوص المرسلين الذين هم ثلثمائة وثلاثة عشر بل على جميع النبيين الذين هم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا من أرسل منهم ومن لا قال سيدنا علي وابن عباس رضي الله عنهم ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه اه ويؤخذ من الآية ما ذكروه من أخذهم الميثاق على قومهم بذلك لانه اذا كلف الرؤس المتبوعون بالايمان به صلى الله عليه وسلم ونصره كلف بذلك اتباعهم بواسطتهم اذا المراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال الامام السبكي دلت الآية على أنهم لو أدركوا زمانه لكان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق للانبياء وأممهم من لدن آدم الى قيام الساعة وحينئذ يدخلون في قوله وأرسلت الى الناس كافة وحكمة أخذ هذا الميثاق على الانبياء اعلامهم بانه المتقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك في الدنيا بكونه أمهم ليلة الاسراء ويظهر ذلك في الآخرة لانهم كلهم تحت لوائه وينزل عيسى في آخر الزمان فيحكم بشريعته

(عن ابي اسحق عن البراء بن عازب قال ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) من ذي لمة مفعول رأيت ومن زائدة للتنصيص على استغراق جميع الافراد وأعم من هذا قوله في الخبر السابق ما رأيت شيأ الخ واللمة سبق معناها وقوله (له شعر يضرب منكبيه) ان كان معناه يكاد يضرب منكبيه كان تفسيرا أو بيانا للمة والا لكان استئنافا بقصد التعديد (بعيد ما بين المنكبين لم يكن بالقصير ولا بالطويل) تقدم معنى ذلك * قال المصنف (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو البخاري (نا أبو نعيم) هو الفضل بن دكين من شيوخ البخاري (نا المسعودي) وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود (عن عثمان بن مسلم ابن هرمز عن نافع بن جبير بن مطعم عن علي بن أبي طالب قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير شثن) بالثاء المثلثة (الكفين والقدمين) أي ممتلئهما لحما وفسر أبو عبيد الله الشثن بغلظ الاصابع والكف مع القصر وفسره الاصمعي بغلظ في خشونة وتعقب كل من التفسيرين بانه ثبت في وصفه صلى الله عليه وسلم في خبر هند الآتي انه كان سائل الأطراف وفي حديث أنس ما مسست خزا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتحقيق أن الشثن الواقع في صفته صلى الله عليه وسلم معناه الغلظ من غير قيد قصر ولا خشونة فكانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما وهي مع ذلك لينة وسيأتي في حديث هند رحب الراحة سائل الأطراف مسيح القدمين ينبو عنهما الماء وفي حديث جابر بن سمرة منهوس العقب أي قليل لحمه وعنه أيضا كان في ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم حموشة أي دقة (ضخم الرأس) في رواية هند بن أبي هالة عظيم الهامة وهو دال على كمال القوى الدماغية وبكمالها تكمل الانسانية (ضخم الكراديس) أي رؤس العظام نحو المنكبين والركبتين والوركين جمع كردوس بضمتين كل عظمين التقيا في مفصل على ما في القاموس والمراد أنه جسيم الاعضاء ويأتي عن علي أيضا أنه جليل المشاش والكتد وهو وما قبله يدل على النجابة والقوة المطلوبة في الرجال (طويل المسربة) يأتي تفسيرها (اذا مشى تكفأ تكفأ كأنما ينحط من صبب) سبق معناه (لم أر قبله ولا بعده مثله) لأن حسنه صلى الله عليه وسلم واحد في الوجود لا ثاني له

منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وهذه العبارة مقيدة لهذا المعنى لأن نفي المثل يدل عرفا على كونه أحسن من كل أحد كما يقال ليس في البلد مثل زيد والسر فيه انه اذا نفي المثل الذي هو أقرب من الأحسن في مقام ذكر المحاسن كان نفي الأحسن بالأولى والاحري * قال المصنف رحمه الله تعالى (حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبي عن المسعودي بهذا الاسناد نحوه) أي نحو الحديث المذكور قبله بمعناه أي بلفظ آخر مفيد للمعنى المتقدم وهذا مستفاد من قوله نحوه فزيادة قوله بمعناه للتأكيد كما في ابن حجر وأما المثل فيستعملونه اذا كانت الموافقة بين الحديثين في اللفظ والمعنى وقد يستعمل كل واحد منهما مكان الآخر جرت عادة أهل الحديث اذا ساقوا الحديث باسناد أو لا ثم ساقوا

(تتباهى بك العصور وتسمو بك علياء بعدها علياء)

أي تتفاخر بوجودك العصور أي الأزمنة الطويلة جمع عصر ونسبة التباهي للعصور مجاز فكل عصر يفتخر على العصر الذي قبله بوجودك فيه بكمال أعلى مما قبله وأعظمها افتخارا عصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر أطوارك طورا فطورا ثم عصور اتباعك على تفاوتهم الى قيام الساعة ثم عصور أحوال يوم القيامة وقوله وتسمو أي تعلو وترتفع بسببك علياء تأنيث أعلى بعدها في الزمان والعلو مرتبة أخرى علياء أي أعلى منها أي لك في كل عصر من العصور المذكورة مرتبة أعلى مما قبلها وأعلى منها ما بعدها وهكذا ولهذا قال رب زدني علما فكان صلى الله عليه وسلم دائم الترقي فكان كلما توالت أنوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة أعلى مما هو فيها ورأى أن ما قبلها دونها فيستغفر تواضعا وطلبا لتزايد كماله وفي قوله وتسمو الخ من المدح ما لا يخفى من عكس المعهود من كونه يسمو بها لأنه تعالى خلقه في عالم الأزل على أكمل كمال يمكن أن يوجد لمخلوق ثم أبرزه في عالم الخلق مندرجا في تلك المراتب لتشرف به لا ليشرف بها لأنه كامل قبلها

وبدا للوجود منك كريم * من كريم آباؤه كرماء

اى ظهر للوجود أى لهذا العالم منك كريم أى سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا تجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مماثل لذلك الامر فى تلك الصفة مبالغة لكماله فى ذلك الأمر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الي حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة فهو صلى الله عليه وسلم لكماله فى صفة الكرم صح أن ينتزع منه شخص كريم مبالغة فى صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذى ظهر وجد من أصل أى أب وأم كريم أى سالم من نقص الجاهلية آباؤه جميعهم من لدن آدم اليه كما أفادته الاضافة كرماء أى سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم كما تقدم

نسب تحسب العلا بحلاه
قلدتها نجومها الجوزاء

أى نسبه صلى الله عليه وسلم نسب عظيم بل لا أظهر ولا أجل منه فى الانساب تحسب أي تظن أيها المخاطب العلا جمع عليا ككبرى وكبر وهى المراتب العالية بحلاه جمع حلية بكسر أوله أى بسبب حلى ذلك النسب قلدتها والقلادة مايجعل فى العنق وضميره عائد علي العلا والجملة من قوله قلدتها فى موضع المفعول الثاني لتحسب والاول هو العلا والجوزاء فاعل قلدتها ونجومها علي حذف الجار أى بنجومها والجوزاء اسم لبرج فى السماء وتطلق علي النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهى تشبه المرأة فلذا نسب التقليد اليها أى من كمال هذا النسب وشرفه أن كل من تأمل فيه حسب بسبب ما تحلي به من الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزاء بنجومها أى جعلت نجومها قلادة لها فعلم من كلامه ان كل واحد من أولئك الآباء الكرام قد ارتفع فى زمانه حتى صار كأنه النجم فى الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به فى ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وان مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذى تقلده عنق تلك المراتب العلية البيضاوى

اسناد آخر يقولون فى آخره مثله أو نحوه اختصاراً * قال المصنف (حدثنا أحمد بن عبدة الضبى البصرى وعلى بن حجر وأبو جعفر محمد بن الحسين وهو) تردد الشراح فى معاد هذا الضمير هل لمحمد أو والده الحسين وهو من كلام المصنف أو من كلام أحد تلامذته لبيان اجمال الكلام وكأنه لعدم اشتهاره بالغ فى توضيحه (بن أبي حليمة والمعنى واحد) الجملة حال من الفاعل أى حدثونا حال كون المعنى فى أحاديثهم واحدا بمعنى ان مروياتهم وقعت بالفاظ مختلفة ومعنى الكل واحد أو من المفعول أى حدثونا الاحاديث حال كونها بحسب المعنى واحدا قال العصام ونبه بهذا علي ان اللفظ المروى لايعلم انه لفظ علي بعينه (قالوا) اى قال كل واحد منهم (ناعيسى بن يونس) خرج حديثه الأئمة الستة ويقال لما حج الرشيد ودخل الكوفة أمر أبا يوسف ان يأمر المحدثين بملاقاته الاثنين عبدالله بن ادريس وعيسى بن يونس فأرسل ولديه المأمون والامين ان يرويا اليه ويقرآن الحديث عليه ففعلا فأمر بعشرة آلاف درهم فامتنع فظنوا انه استقلها فضوعف له فقال ان ملأتم المسجد الى السقف ذهبا لم آخذ شيأ علي الحديث قيل حج خمسا وأربعين حجة وغزا خمسا وأربعين غزوة (عن عمر بن عبدالله مولى غفرة قال نى ابراهيم بن محمد) صدوق روى عنه الترمذى والنسائي وابن ماجه (من ولد على بن أبي طالب) من تبعيضية أو بيانية والغرض منه بيان تعيين محمد وهو محمد بن الحنفية المكنى بابي القاسم المشتهر بالعلم والشجاعة والعبادة وهو أفضل أولاد على بعد السبطين والحنفية أمه حصلت لعلى من سبي بنى حنيفة قيل من سخافة عقول طائفة من الرافضة أنهم يعتقدون في محمد هذا الالوهية مع ان أبا بكر هو المعطى عليا أمه (قال) اى ابراهيم (كان علي) قال المؤلف فى جامعه بعد ايراد هذا الحديث بهذا الاسناد ليس اسناده بمتصل أى لان ابراهيم هذا لم يسمع من جده أمير المؤمنين علي ففيه انقطاع (اذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل الممغط) أى المتناهى فى الطول من قولهم امغط النهار اذا امتد وأصله منمغط اسم فاعل من انمغط مطاوع مغطه بالتشديد فقلبت النون ميما وأدغمت فى الميم (ولا بالقصير المتردد) اى المتناهى فى القصر كانه تداخلت أجزاؤه (كان ربعة من القوم) اثبات لصفة الكمال بعد نفى صفتى النقص تكميلا للمدح وعدم الاكتفاء باستلزام النفى للاثبات فى مقام المدح من فنون البلاغة (لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط) تقدم معناه (كان جعدا رجلا) اثبات لصفة الكمال بعد نفى غيرها أيضا (ولم يكن بالمطهم) هو المنتفخ الوجه الذى فيه جهامة أى عبوس من السمن وقيل النحيف الجسم وهو من الاضداد ويأتى فى خبر هند سهل الخدين أى غير مرتفع الوجنتين (ولا بالمكلثم) هو المدور الوجه كما سيأتى ولما لم يكن هذا على اطلاقه بينه بقوله (وكان في وجهه تدوير) أي تدوير ما لم يكن مستديرا كل الاستدارة بل كان فيه بعض ذلك ويعبر عنه بانه كان فيه سهولة والسهولة ضد الحزونة وهى فى الاصل ماغلظ من الارض والحاصل انه كان بين الاستدارة والاسالة كذا قال

حبذا كنعم معنى ومعملامع زيادتها عليها باشعارها بأن الممدوح بها محبوب للقلب وأصله حبب بالضم اى صار حبيبا ثم أدغم والاصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد والتذكير مطلقا لانه كالمثل اولما فيه من الحذف كالحسن والامر والشان والعقد القلادة من الجوهر والسودد السيادة والفخار التمدح بالخصال الجميلة واليتيمة التى لاشبيه لها فى حسنها والعصماء من العصمة اى المحفوظة الممنوعة

من ان تصل اليها يد الاغيار ومحيا كالشمس منك مضيء * أسفرت عنه ليلة غراء

البيضاوى وأبو عبيد (أبيض مشروب) اى بحمرة والاشراب خلط لون بلون كأن احد اللونين سقى اللون الآخر (أدعج العينين) أى شديد سواد حدقتهما مع سعة العين وشدة بياضها فالدعج شدة بياض البياض وسواد السواد ويأتى فى خبر جابر بن سمرة أشكل العين اى يخالط بياض عينيه خطوط حمر ولا ينافى هذا ماتقدم من شدة بياض بياض عينيه صلى الله عليه وسلم وانما المنافى مخالطة الحمرة لجميع البياض وامتزاجها به نعم يشكل ماهنا مع مايأتى فى باب ضحكه صلى الله عليه وسلم عن جابر بن سمرة وكنت اذا نظرت اليه قلت أكحل العينين وليس باكحل والجواب ان معنى أكحل فى كلامه مكحول فمن رآه يظن انه مكحول بالكحل وليس بمكحول وانما كان أكحل بحسب الخلقة وهذا أحسن مما أجيب به انظر جمع الوسائل قلت والاشكال مبنى على ان معنى أكحل أسود مع أنه من الكحل بفتحتين لاغير الجوهرى رجل اكحل بين الكحل وهو الذى يعلو جفون عينيه سواد مثل الكحل من غير اكتحال ابن حجر الهيتمى قلت اكحل من الكحل محركا وهو ان يعلو منابت الشعر سواد خلقى أوان تسود مواضع الكحل ذكره فى القاموس والاول هو المشهور وليس باكحل حقيقة وانما يظن به عند ابتداء النظر انه أكحل فالاثبات باعتبار ابتداء الرؤية والنفى باعتبار الحقيقة ويؤخذ من ذلك ان اسوداد العين بحيث يوهم انه كحل اشرف من حقيقة الكحل لانه صلى الله عليه وسلم لايعطى الا الافضل مطلقا اه والجواب مبنى على ان اكحل بمعنى مكحول مع ان كحيل هو الذى بمعنى مكحول فتأمل ذلك (أهدب الاشفار) جمع شفر بضم أوله وقد يفتح وهو حرف جفن العين الذى ينبت عليه الشعر قال الشامى والعامة تجعل أشفار العين الشعر وهو غلط وانما الاشفار حروف العين ومعنى أهدب الاشفار طويل شعر الاشفار وطول شعر الاشفار مع الانعطاف هو المسمى بالوطف بفتحتين الذى وصفته به أم معبد فان الهدب هو الشعر ولا يحتاج هذا الكلام الى حذف مضاف كما قيل وانما يحتاج اليه فى قول الاصمعى الآتى طويل الاشفار (جليل المشاش والكتد) يأتى معناهما (أجرد) اي غير أشعر والاشعر من عم الشعر جميع بدنه فالاجرد من لم يعمه الشعر فيصدق بمن فى بعض بدنه شعر كالمسربة والساعدين والساقين وقد كان له صلى الله عليه وسلم فى ذلك وفى أعلى الصدر شعر كما يأتى فى حديث هند فوصفه صلى الله عليه وسلم به باعتبار أكثر مواضعه بجعل الاقل فى حكم الاكثر وفى القاموس ان الأجرد اذا جعل وصفا للفرس كان بمعنى صغر شعره واذا جعل وصفا للرجل فمعناه لاشعر عليه فلا يصح تفسير الأجرد هنا بالذى قصر شعره خلافا لمن فسره به (ذو مسربة شثن الكفين والقدمين اذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب) مر الكلام على معانيها (واذا التفت) الى أحد (التفت معا) وفى خبر هند الآتى جميعا اي بجميع بدنه اهتماما بشأن من التفت اليه للكلام اوغيره لا بلى العنق فقط لما فى ذلك من التلون وامارة الخفة وعدم التصون وفى ألفية العراقى

يقبل كله اذا ما التفتا * وليس يلوى عنقا تلفتا

المحيا الوجه وهو معطوف على عقد ومنك حال منه ومضيء مبتدأ خبره كالشمس والجملة صلة لمحيا اوحال منه وأسفرت اى اضاءت عن ذلك المحيا وغراء أى بيضاء لظهور نوره صلى الله عليه وسلم فيها والجملة صفة اوحال شبه وجهه صلى الله عليه وسلم بالشمس لمشابهته لها فى الاضاءة والاستنارة والاشراق والحسن والبهاء وقد أوتي صلى الله عليه وسلم الحسن كله ووصفه به من وصفه من الصحابة فقال كأن الشمس تجرى فى وجهه وقال آخر اذا رأيته قلت الشمس طالعة وقال آخر لقد نظرت اليه والى البدر فلهو عندى أحسن من البدر ولان الشمس والقمر فى وسط السماء ونورهما يغشى مشارق الارض ومغاربها فكذلك هو صلى الله عليه وسلم فى موضعه من المدينة المشرفة ونوره قد عم الوجود شرقا وغربا وارضا وسماء فينتفع المؤمن بل والكافر بشاهد وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم ان تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس والقمر على سبيل التقريب والتمثيل بأحسن مايعرف فى الوجود والافهو صلى الله عليه وسلم أعلى وأجل ومجده أرفع واكمل وحسنه أبهى وأعظم ونوره أكبر وأدوم ونفعه أتم وأعم ولا يلزم فى التشبيه ان يكون المشبه به ارفع من المشبه فقد يكون بالمثل وبالدون بشاهد قوله تعالى

مثل نوره كمشكاة وأين نور المشكاة من نوره تعالى

ليلة المولد الذى كان للدين سرور بيومه وازدهاء

اتفق الاكثرون على أنه ولد عام الفيل أوقبله بخمسين يوما والذي عليه الجمهور وهو المشهور أنه ولد في ربيع الاول لاثنتى عشرة خلت منه وانما كان في شهر ربيع ولم يكن فى غيره من الأشهر المعظمة قبل تنبيها على ان الزمان يحصل له الشرف به (قال) السهيلى

في الروض وأهل الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان فكان لعشرين مضت منه اه وفصل الربيع هو أفضل الفصول وأحسنها وأكثرها ضوأ ونورا وأبهجها اشراقا وأقربها الى الاعتدال وأجلبها لانشراح الصدور والارواح فتحيا به الأرض بعد موتها وتخرج نباتها وبركاتها وتكسى أنواع الأزهار والأنوار فكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه روح كل شيء وحياة كل شيء ولذا قال مولانا

ومحي ميت السعادة فكانت ذاته صلى الله عليه وسلم نورانية فالانوار تسطع عليه لا تفارقه لا مطلق الانوار بل أنوار مصحوبة برونق غريب وحسن بليغ بديع فتنفعل له النفوس الكريمة وتنجذب نحوه الطباع المستقيمة وتميل معه بكليته الارواح الغير المحجوبة ويشهد صحيح الادراك في شهوده مطلوبه ومرغوبه وتحصل غاية السرور بقربه ورؤيته اذ هو صلى الله عليه وسلم كالجنة فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين فناسب مجيئه في الربيع اذ هو للارواح قوت وربيع (وفي المواهب) فياشهرا ما أشرفه وأوفر حرمة لياليه كأنها اللآلئ في العقود وياوجها ما أشرقه من مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا (كما قيل)

يقول لنا لسان الحال منه
وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي
ربيع في ربيع في ربيع

(والمشهور) أنه ولد يوم الاثنين ففي مسند الامام أحمد عن ابن عباس ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وهاجر من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين وفي بعض طرقه وأنزلت على سورة المائدة يوم الاثنين ورفع الحجر الاسود يوم الاثنين وفي هذا دلالة على أفضلية يوم الاثنين على سائر أيام الاسبوع الا يوم الجمعة وانما لم يولد في يوم الجمعة اشارة الى أن الزمان يتشرف به ولهذا جاء في السنة تفضيل يوم الاثنين وتشريفه على غيره من الايام الا يوم الجمعة والكلام في نظائر يوم ولادته لافيه بنفسه فانه أفضل من يوم الجمعة ومن سائر المواسم وقد كان يوم الجمعة معظما عند العرب ويوم السبت معظما عند

ويحتمل أن يكون المراد واذا التفت الى شيء أي شيء كان ويعني والله أعلم اذا كان ذلك الشيء خلفه لا عن يمينه أو شماله (بين كتفيه خاتم النبوة) بفتح التاء وكسرها بمعنى الطابع الذي يختم به والمراد هنا هو الأثر الحاصل به لا الطابع والختام الطين الذي يختم به ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقيل المراد آخره لأنهم يجدون رائحة المسك آخره وأضيف الخاتم الى النبوة اما لانه علامة لنبوته صلى الله عليه وسلم فانه نعت به في الكتب المتقدمة كما يأتي في حديث سلمان فيكون من اضافة الدال الى المدلول واما لانه علامة تمامها لأن الشيء انما يختم بعد تمامه واما لانه صلى الله عليه وسلم لما ختمت به النبوة كان بمنزلة بيت خبئت فيه النبوة وختم عليه فلا يصل اليه أحد بعده فتكون مصونة محفوظة من غيره كما يختم على الوعاء المملوء درا وياقوتا صيانة له عن الناس فلا يصلون الى ما خبئ فيه وسيأتي بقية الكلام على خاتم النبوة في الباب بعده مستوفى (وهو خاتم النبيين) أي خاتم نبوة النبيين أي علامة تمامها أو خاتم بيتها فلا ينبأ أحد بعده فلا ينافي نزول عيسى عليه السلام متابعا لشريعته ولا يأتي هنا الوجه الاول من أوجه الاضافة المتقدمة ومعنى خاتم هنا ما تقدم ويحتمل أن يكون المكسور هنا بمعنى فاعل الختم فمعنى خاتم النبيين أنه ختمهم أي جاء آخرهم فلا نبي بعده ولا يصح هذا الوجه في خاتم النبوة وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة ببيت كمل الا موضع لبنة واحدة روى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأكمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين فالنبوة كدائرة متألفة من نقط ووجود النقطة الأخيرة هو المتمم لصورة الدائرة والمظهر لحقيقتها بجميع أوصافها * وفي كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مزايا كثيرة دوام شريعته وعدم نسخها ووراثته لما تفرق في الأنبياء قبله فهدام اقتده والستر على أمته حتى لا يطلع على مساويهم غيرهم من الامم كما اطلعت هذه الأمة على مساوي غيرها فكانت متعظة بغيرها لامتعظا بها (أجود الناس صدرا) اما من الجودة أي أحسنهم قلبا لسلامته وطهارته من كل رذيلة من بخل وغش وغيرهما من العيوب الباطنة وقد صح أن جبريل شقه واستخرج منه علقة سوداء ورمى بها وقال هذا حظ الشيطان منك وأما من الجود بضم الجيم فيكون اشارة الى سخائه وكرمه صلى الله عليه وسلم ونسب الجود للصدر لانه فرع انشراحه وهو محل القلب الذي فيه الجود فيكون من تسمية الشيء باسم محله أو مجاوره وسيأتي الكلام على كرمه صلى الله عليه وسلم * وأخرج ابن سعد في كتاب الطبقات من طريق سعيد بن منصور والحكم بن موسى قالا حدثنا عيسى بن يونس بهذا الاسناد بلفظ أجود الناس كفا وأرحب الناس صدرا والرحب بمعنى السعة فيكون المعنى أوسعهم قلبا بمعنى انه لا يمل ولا يضجر قلبه ولا يضيق صدره من الناس مع اختلاف طبائعهم فيحتمل انه وقع في رواية المصنف اسقاطا قاله في جمع الوسائل (وأصدق الناس لهجة) أي لسانا أو تحريكه فالمعنى

أصدقهم

اليهود ويوم الاحد معظما عند النصارى فعظم الله يوم الاثنين بولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليكون ختامه الايام المعظمة كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ثم ما تقدم من كونه ولد نهارا أي بعيد طلوع الفجر جزم به غير واحد وورد ما يدل على أنه ولد ليلا كحديث الحاكم عن عائشة (قال) العراقي والصواب أنه ولد نهارا وجزم به ابن دحية وصححه الزركشي ولا ينافيه ما روى أن النجوم تدلت عند ولادته لان زمن النبوة صالح لخرق العوائد ويجوز سقوط النجوم نهارا على أنهم قالوا ولد (٢٣) بعيد طلوع الفجر بقربه فالنجوم باقية

أصدقهم قولا (وألينهم عريكة) أي طبيعة وزنا ومعنى أي أسهل الناس خلقا وهو اشارة الى كمال مسامحته وحياته ووفور حلمه وتواضعه مع أمته فقوله (وأكرمهم عشرة) أي صحبة كعطف أحد المتلازمين على الآخر وفي بعض النسخ عشيرة بوزن قبيلة ومعناه وقد ورد ان الله اختار القبائل فجعلني في خيرهم قبيلة وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء وسيأتي الكلام على تواضعه وخلقه وحيائه صلى الله عليه وسلم في تراجمها (من رآه بديهة) أي رؤية بديهة فهو مفعول مطلق أي أول رؤية من غير معرفة (هابه) أي خافه وأجله وعظمه لجلالته وفخامته قال العلماء والمهابة أثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله تعالى وجلاله ومحبته فان القلب اذا امتلأ بذلك حله النور ونزلت عليه السكينة وألبس رداء الهيبة واكتسى ثوب المحبة فأخذ بمجامع القلوب هيبة ومحبة وخنعت له الافئدة وقرت به العيون وأنست به القلوب ان سكت علاه الوقار وان نطق أخذ بالقلوب والاسماع وهكذا الشأن في أولياء الله تعالى لامتلاء قلوبهم بمحبة الله واجلاله وعظمته * وفي الصحيح خيار أمتي الذين اذا رؤا ذكر الله أي لما يعلوهم من البهاء والهيبة لانفراد قلوبهم بربهم وأنسهم به فلهم به نسبة وفي البردة كأنه وهو فرد من جلالته * في عسكر حين تلقاه وفي حشم

أي انه من شدة الرفعة وكثرة الجلالة يراه الرائي فيضطر الى تعظيمه ولا يجد محيدا عن اجلاله كانه ملك في وسط عساكره وجنوده محدقة به وذلك ان ماحوته السرائر على الاسرة يلوح * قال العلماء ولم يظهر للخلق كمال مهابته وجلاله رحمة من الله بخلقه ولو ظهر لهم ذلك لتلاشوا واضمحلوا ولم يقدروا على التلقي منه ومع عدم ظهور كمال جلاله كان يحدث أصحابه ويؤنسهم ويأخذ معهم في تدبير أمورهم ويذكر معهم الدنيا والطعام ويمازحهم احيانا ولا يقول الا حقا ويذكرون أشياء بحضرته من أمور الجاهلية فينصت ويضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون ولا يزجرهم الا عن حرام وكل ذلك رفق بهم وكان بالمؤمنين رحيما وقد جاءه رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فاني لست بملك ولا جبار وانما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته لما سكن روعه بقوله لست بملك لان الملوكية يلزمها الجبروتية وبقوله انما أنا الخ لان القديد مفضول وهو مأكول أهل المسكنة (ومن خالطه معرفة) أي مخالطة معرفة (أحبه) لما يتحققه من كمال جماله وجلاله وجمعه المحاسن الظاهرة والباطنة وشدة شفقته ورحمته وحسن تدبيره في أمته وسيأتي في باب التواضع عن علي رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم وفيه أيضا يعطي كل جلسائه بنصيبه لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه من فاوضه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء * روى مسلم عن عمرو بن العاصي صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما

وفي ذلك من المناسبة ما لا يخفى (١) وقد صرح العلماء رضي الله عنهم بأن ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر مطلقا سواء قلنا ولد ليلا أو نهارا ووجه ذلك في المواهب بوجوه ثلاثة كلها مدخولة والصواب ما حققه شيخ شيوخنا ابن زكري رحمه الله وذلك أن نقول كل ما له شرف انما اكتسبه وناله منه صلى الله عليه وسلم فبه تشرف الزمان والمكان وغيرهما اذ هو الواسطة في وصول كل نعمة لكل منعم عليه وبيده مفاتيح الخزائن الالهية فلا يخرج منها شيء من الخصوصيات والفتوحات والانوار والاسرار الا على يديه فشرف كل شريف بحسب القرب منه وعلى قدره ولا شك ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أقرب اليه من ليلة القدر ومن هنا كان خير القرون القرن الذي كان فيه الخ وأفضل الصحابة أبو بكر لشدة قربه منه المعنوي وانظر تفضيل العلماء لموضع قبره صلى الله عليه وسلم على العرش والكرسي والجنة وسدرة المنتهى وغيرها ولذا فضلوا الارض على السماء وقال مالك المدينة أفضل ثم مكة وماء زمزم أفضل من ماء الكوثر لغسل قلبه الشريف به وكذا الماء الذي نبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ثم نقول انما نص على أفضلية ليلة القدر لتعلم أفضليتها اذ لا تعلم الا من النص وليلة ظهوره

(١) ذكر في كتاب الاجارة من المعيار في هذه المسئلة أربعة أقوال عن فقهاء تونس فقال القاضي أبو العباس بن حيدرة ليلة القدر أفضل وعكس ابن مرزوق وقال ابن عرفة بامكان اجتماعهما على القول بالانتقال رابعها الوقف وألف كل واحد في تصحيح قوله اه من خط المؤلف

صلى الله عليه وسلم لايحتاج الى التنصيص علي افضليتها لشده وضوحها وعايه ظهورها فهو لا اخبار بالمعلوم والله اعلم واذا ثبت
ان ليلة ولادته التى ولد فيها أو ولد صبيحتها أفضل الليالي واليوم الذى تسفر عنه أفضل الايام فهو عيد وموسم فيعظم ويحترم ويعمل
فيه مايدل علي التعظيم والاحترام (٣) كما اختاره الحافظان الزين العراقى والجلال السيوطى وقال الامام ابن عباد فى رسائله وأما
المولد فالذى يظهر لي انه عيد من أعياد (٢٤) المسلمين وموسم من مواسمهم وكل مايفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور

بذلك المبارك من ايقاد الشمع وامتاع البصر والسمع والتزين بلباس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب أمر مباح لاينكر علي احد قياسا علي غيره من أوقات الفرح ثم ذكر حكايته مع الشيخ ابن عاشر السلاوى ثم قال في رسالة اخرى وكون هذا الامر لم يكن فى الصدر الاول حيث الايمان راسخ فى القلوب وشرائع الاسلام مطوية علي تعظيمها والانقياد اليها الاضلاع والجنوب ليس بدافع له حيث لم يبق من الايمان الا الاسم ولا من شرائع الاسلام الا الرسم وقريب ان يذهب من أيدى هؤلاء الناس اسمه ورسمه وتسلب عنهم معرفته وعمله فلم يبق اليوم بايدى الناس من الدين الا انهم اذا سمعوا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم تضطرب له أفئدتهم وتنطلق بالصلاة عليه ألسنتهم بل المتفقة في مثل هذا الوقت المنحوس لولم يحسن الناموس ويتحصل

(٣) أى بالأمور المباحة أما اذا أدى التعظيم الى ارتكاب المحرمات من الصرف بايقاد الضوء نهارا واجتماع النساء بالرجال واستعمال آلات للهو فليس بتعظيم لان تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم انما هو باتباع سنته وارتكاب شريعته لاباستعمال البدع انظر المعيار فقد تكلم علي المسئلة في كتاب الحبس مرتين وفى أولاهما شنع علي من يخص وزهده ليلة المولد بشيء وذلك لما يحدث من البدع وقد أطال الاستاذ أبو عبد الله الحفار في بيان ذلك وفى ثانيهما رخص فى ذلك ان كان علي الوجه المشروع ونحوه له ايضا في كتاب الاجارة فلينظر وعلي هذا فصل الشيخ ابن عباد أيضا فى الرسائل وهو ظاهر لايختلف فيه أحد من اهل الشرع وانظر المدخل لابن الحاج وانظر جامع المعيار اه من خط المؤلف أثابه الله عنه

ملأت عيني قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه لما قدرت وعلي قدر التحقق بذلك تكون المحبة حتى يصير عنده من أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين ولا يصبر عنه ولا يقنع منه

(١) ذكر البغوى فى تفسيره ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن فى وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماغير لونك فقال يارسول الله مابى من مرض ولا وجع غير أنى اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين وانى ان دخلت الجنة كنت فى منزلة أدنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا أراك أبدا فنزل ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية وجاء ان عبد الله بن زيد كان يعمل فى جنة له فاتاه ابنه فأخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم توفى فقال اللهم أذهب بصرى حتى لا أرى بعد حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أحدا فكف بصره ويرحم الله القائل اذا لم تراك العين فى كل ساعة * ولم تسمع الآذان منك كلاما

تذوب من الشوق الشديد حشاشتى * عليك كما قلبي يذوب غراما

(والقائل) أرى ساعة الهجران يوما ويومه * يخيل لى شهرا واشهره عاما

اذا غبت غاب الجفن فى بحر دمعه * فلله جفن فى المدامع عاما

وحكاية الصحابة فى محبته صلى الله عليه وسلم أكثر من ان تذكر (يقول ناعته) لعجزه عن بيان جماله وكماله تفصيلا والمعنى من شأن كل من يريد نعته ان يقول (لم أر قبله ولا بعده مثله) لانه لامثل له صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى شرح هذه العبارة فهذا علي رضى الله عنه وهو ماهو فى العلم والمعرفة وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلي بابها بعد ان عدد بعض البعض من صفات جماله ونعوت كماله صلى الله عليه وسلم اعترف بالعجز عن استقصاء محاسن هذا الجناب الارفع ورجع الي القصور عن ادراك كمالات هذا الشفيع المشفع اشارة الى ان الجناب المذكور فى غاية العلو ونهاية الارتفاع فمن طاوله ورام استقصاء كمالاته عجز وانقطع وقد نص العلماء علي ان حقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم سر لطيف من اسرار الحق تعالى لايطلع عليه فى هذه الدار نبي مرسل ولا ملك مقرب وانما أدرك المؤمنون منه ظاهر صورته المحمدية فالخلق عاجزون عن ادراك جماله وعقله وجاهه وعلومه وعبوديته وخوفه ورجائه

(١) وذكر الرصاع فى تأليفه فى فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أن ابا بكر قال ذات يوم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أحب من الدنيا ثلاثا جثوى بين يديك وانفاق مالى عليك وكثرة الصلاة عليك ولقيه صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما اخرجك يا ابا بكر قال الشوق الي رؤيتك وانظر الى السيدة الانصارية التى قتل ابوها وأخوها وزوجها في غزوة أحد وخرجت تتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تسأل عن حاله وسلامته وتقول مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسيت مصيبتها ولم تطب نفسها حتى رأت وجهه الكريم فقالت مسهلة لمصيبتها بسلامته صلى الله عليه وسلم كل مصيبة بعدك جلل أي صغيرة حقيرة لان بقاءك هو الخير كله فلم تجد على أبيها ولا أخيها ولا زوجها لان حبه صلى الله عليه وسلم فى قلبها أكثر من حب أهلها اه منه

بالانقباض والعبوس ويلزم هيئة مستحسنة في الملبوس لم يسمع احد منه فتوى ولا قبل له دعوى وان كان في علم مالك مثلا (٣) والعوام لا يتاثرون الا بالمحسوسات من المنظورات والمسموعات والملموسات وأما الامور الروحانية فهم بمعزل عنها فلذا ترى الناس يصبحون في ذلك اليوم متجملين متشوفين الى ان يقرع سمعهم قارع من ذكر اسم نبيهم وحبيبهم فيلهجوا بذلك فرحا وسرورا ويبتهجوا به استلذاذا وحبورا ومثل هذا لا يضيع لهم عند ربهم في مرجعهم ومآبهم (٢٥) وهذا أبو لهب على ما هو عليه رآه العباس رضي الله عنه فسأله عن حاله فقال صرت الى النار ولا يخفف عني الا يوم الاثنين لاني لما ولد محمد رسول الله بشرتني به جاريتي فأعتقتها فاذا ادركت رحمة الله تعالى كافرا قطع عمره في عداوته واذايته بسبب فرحه بولادته فما ظنك بمؤمن صدقه في مقالته ولباه في دعوته جعلنا الله تعالى من أمته برحمته اه بخ وانظر المواهب

(وتوالت بشرى الهواتف أن قد ولد المصطفى وحق الهناء)

أي تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يبصر شخصه والمراد هنا ما هو أعم من ذلك فيعم اخبار الاحبار والجان والحجر وحق الهناء أي وجب وثبت الفرح والسرور به لكل العالم فمن ذلك ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه في حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال كان بمر الظهران راهب يسمى عيصا من أهل الشام آتاه الله علما كثيرا وجعل فيه منافع كثيرة لاهل مكة يدخل كل سنة الى مكة فيلقى الناس ويقول يوشك يا أهل مكة ان يولد فيكم مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة ولد الا سأل عنه فلما كان صبيحة ذلك

(٣) وذكر ابن السبكي في الطبقات ان الشيخ كمال الدين احمد بن عيسى بن رضوان القليوبي استنبط من قوله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين ان ما يفعله علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الاكمام وكبر العمامة ولبس الطيالسة حسن وان لم يفعله السلف لان فيه تمييزا له يعرفون به ويلتفت الى اقوالهم وفتاويهم اه من خط المؤلف كان الله لنا وله

وزهده وتواضعه وشفقته ورحمته وجوده وقد قال العلماء رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم كنخلة اجتمعت فيها اقوات الخلق اصلها في الارض وفرعها في السماء وهي مثمرة من أرضها الى منتهى فرعها وكل واحد من الخلق في أخذ قوتهم منها على حسب قوته ونهاية طاقته ورأسها متمنع عن الجميع لامتناع وصول البشر الى السماء وقد قال عليه الصلاة والسلام لا يعرفني حقيقة غير ربي وفي ذلك رحمة بالعباد كما تقدم * قال الامام الخرو بي ما أدرك الناس من حقيقة امره وخفي سره الاعلى قدر عقولهم البشرية فاظهر لهم من ذلك فهو نعمة عليهم ليعرفوا قدره ويعظموا أمره وما خفي عنهم من أمره فهو رحمة من الله بهم اذ لو ظهر لهم مع عدم قيامهم بالحقوق لكان فتنة لهم والله تعالى أرسله رحمة للعالمين فكانت النعمة فيما ظهر والرحمة فيما استتر والله الموفق اه وفي هذا المعنى يقول شيخنا المحقق في همزيته

كنهك الاحمدي سر مصون * عن علاه تقاصر العلماء

(وقال في أواخرها)

قصر القول فالجناب رفيع * من يطاوله أعجزته السماء
وارض بالعجز غاية فقديما * عجزت عن وصوله الشعراء

(وقال ابن الفارض)

كملت محاسنه فلو أهدى السنى * للبدر عند تمامه لم يخسف
وعلي تفنن واصفيه بوصفه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

ثم اعلم ان المنفي عموم الشبه لا أصله أو معظمه فلا ينافي ما ذكره العلماء من ان الذين كانوا يشبهونه صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم وابنته فاطمة وابناها الحسن والحسين وجعفر بن أبي طالب والسائب بن عبيد جد الشافعي وعبد الله بن عامر بن كريز العبشمي وكابس بن ربيعة رجل من أهل البصرة كان أنس اذا رآه بكى وعبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم ومسلم بن معتب بن أبي لهب وعبد الله بن أبي طلحة الخولاني في آخرين من التابعين وذكر أيضا فيهم عثمان بن عفان قال في المواهب وعدهم بعضهم سبعا وعشرين * قول المصنف (قال أبو عيسى) يريد به نفسه اذ هذه كنيته وكأن كنيته غلبت على اسمه ويحتمل ان يكون من كلام الرواة عنه ويشعر به ذكر الكنية (سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين) يعني ابن أبي حليمة وهو أحد الشيوخ الثلاثة الذين روى عنهم هذا الحديث (يقول) الاظهر انه حال (سمعت الاصمعي) اسمه عبد الملك بن قريب لغوي مشهور منسوب الى جده أصمع بصري سمع عن جماعة من الائمة منهم مالك بن أنس واتفقوا على انه ثقة وكان شديد التوقي لتفسير القرآن والحديث وكان هرون الرشيد استخلصه لمجلسه وكان يقدمه على أبي يوسف القاضي (يقول في تفسير صفة النبي صلى الله عليه وسلم) لم يقل في تفسير هذا الحديث لأنه روى كلام الاصمعي كما سمع والاصمعي لم يذكره في تفسير هذا الحديث ولذلك لم يراع ترتيب الحديث في تفسير غريبه

اليوم الذى ولد فيه المصطفى خرج عبدالله بن عبدالمطلب حتى أتى عيصا فناداه فقال عيص كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه يولد يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين الخ وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبي وكان من أوعية العلم ان اللات والعزى خرجا من خزائنهما وهما يقولان ويح قريش جاءهم الامين جاءهم الصديق وكانوا يسمعون صوتا من داخل الكعبة يقول الآن يرد على نورى الآن يجىء زوارى الآن أطهر من أنجاس الجاهلية أيتها العزى هلكت وتزلزل البيت ثلاثة أيام

وأخرج ابن عساكر عن عروة بن الزبير ان نفرا من قريش منهم ورقة وزيد بن عمرو بن نفيل دخلوا على صنمهم فرأوه مكبوبا على وجهه فانكروا ذلك وردوه لحاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب الثالثة فقالوا هذا لامر حدث

(وتداعى ايوان كسرى ولولا آية منك ماتداعى البناء)

أى تحرك ايوان كسرى وانصدع بل سقط منه اربع عشرة شرافة والايوان بناء فى غاية العظمة والاتقان والاحكام يعد للملوك والحكام كان يظن به انه لاتهده الانفخة الصور وكسرى لقب لملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب والنجاشى لملك الحبشة والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك وفي سقوط العدد المذكور اشارة الي زوال ملكهم وعزم بملك المصطفى وعزه وسر ذلك العدد الاشارة الي انه لم يبق من ملوكهم الأربعة عشر فملك عشرة في اربع سنين وأربعة الى زمان عثمان وقد فتح في زمن عمر أكثر أقليم فارس وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر الى اقصى مملكته ثم قتل فى زمن عثمان وزال ملكه بالكلية وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وان أمواله وكنوزه تنفق في سبيل الله فانقطع ملكه وزال من جميع الارض لانه صلي الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه فمزقه وقد بشر أمته فى حفر الخندق بملك بلاده وقال لسراقة وكان من فقراء أصحابه كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فلما ظفر بهما عمر البسهما اياه اظهارا للمعجزة وقال احمدالله الذى سلبهما كسرى ابن

(الممغط الذاهب طولا قال) أى الاصمعى لا أبو جعفر ولا المصنف خلافا لمن زعم ذلك (وسمعت اعرابيا) منسوب الي الاعراب أهل البادية من العرب وهم أفصح من العرب الذين هم أهل الحضر من القرى لمخالطتهم بالعجم (يقول فى كلامه تمغط فى نشابته) بضم النون وهو السهم والممدود حقيقة وتر القوس فاضافة المد للنشابة لانها سببه فهى مجاز (أى مدها مدا شديدا) وانما تعرض لتفسير التمغط مع انه ليس فى الحديث للمناسبة بين معناه وبين أصل المعنى المراد من الحديث وهو الامتداد والافما فى الحديث اسم فاعل من انمغط مطاوع تمغط فهو من باب الانفعال لا من باب التفعل (والمتردد الداخل بعضه فى بعض قصرا) مفعول له سمى بالمتردد لان اجزاءه كانها تداخلت وقيل لانه يتردد الناظر فيه هل هو صبي أو رجل (وأما القطط فشديد الجعودة والرجل الذى فى شعره جعونة) أى انعطاف ولما كان هذا على اطلاقه غير صحيح فى وصف شعره صلى الله عليه وسلم قيده من قيده بقوله (اى تثن) هو تفسير من المصنف أو أبي جعفر لكلام الاصمعى فلا يقال الاولى الذى فى شعره تثن لانه أخصر (قليلا) بالنصب أو بالرفع (وأما المطهم فالبادن) هو الضخم من بدن بمعنى ضخم (الكثير اللحم) وتقدم معنى آخر (والمكلثم المدور الوجه والمشرب الذى فى بياضه حمرة) تقدم ان الاشراب خلط لون بلون آخر كأن احد اللونين سقى اللون الآخر فالتقييد بالبياض والحمرة كالبيان الواقع فى وصفه صلى الله عليه وسلم (والادعج الشديد سواد العين) الانسب بمقام المدح قول من قال الدعج شدة سواد العين فى شدة بياضها وتقدم ان هذا لاينافى ماورد من انه كان أشكل العين (والاهدب الطويل الاشفار) على حذف مضاف كما تقدم أى شعر الاشفار اذ لم يذكر أحد من الثقاة ان الاشفار هى الاهداب بل هى حروف العين كما تقدم (والكتد) بفتح التاء وكسرها (مجتمع) بضم الميم الاولي وبفتح الثانية اسم مكان (الكتفين وهو) أى مجتمعهما (الكاهل) بكسر الهاء (والمسربة هو الشعر الدقيق الذى كأنه قضيب) وابتداؤها (من الصدر) وانتهاؤها (الى السرة والشثن) بسكون المثلثة (الغليظ الاصابع من الكفين والقدمين) سبق تحقيقه (والتقلع ان يمشى بقوة) اى ان يرفع رجله من الارض رفعا قويا لا كمشى المختال والمرأة والمريض (والصبب الحدور) المكان المنحدر من الجبل ونحوه (يقال انحدرنا في صبوب) بفتح المهملة وضمها وقيل بالضم جمع (وصبب وقوله جليل المشاش) بضم الميم جمع مشاشة (يريد رؤس المناكب) أى ونحوها كالمرافق والركب (والعشرة الصحبة والعشير الصاحب) ويطلق على الزوج لانه صاحب أيضا فى الحديث يكفرن العشير (والبديهة المفاجأة) أى البغتة ومنه البديهى وهو الحاصل من غير ترو (يقال بدهته بأمر أى فجأته) وفى بعض النسخ فاجأته وهو المناسب لقوله والبديهة المفاجأة * قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا سفيان بن وكيع ناجميع) قال العسقلاني ضعيف رافضى اه واختلف فى قبول رواية المبتدع والاصح قبولها ان كان ضابطا ورعا ولم تكن بدعته كفرا ولم يكن يدعو اليها (ابن عمر) كذا فى نسخ الشمائل مكبرا وقال

وألبسها سراقة (٣) (وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء) غدا بمعنى صار أووقع والمرفوع بعدها امافاعل أواسم والمنصوب هنا مقدر أى مكروبا والمراد أهله وهو اماحال أوخبر والجملة من قوله وفيه كربة وبلاء دالة عليه والكربة بضم الكاف غم يأخذ النفس وربما أهلكها وحصل ذلك لهم مع بلاء عظيم صبه الله عليهم صبا من أجل خمود نارهم فروى ابن عساكر ان نيران كسرى خمدت ليلة مولده صلى الله عليه وسلم وكان لها ألف عام لم تخمد اه (٢٧) وهم مجوس فى اقليم الفرس كانوا يوقدون النار ويعبدونها فأوقدوها المئين من السنين حتى أحالت عادتهم انطفاءها فلما انطفأت من بلادهم كلها وبيوتهم التى كانوا يوقدونها فيها فى ساعة واحدة بغير سبب وهم يوقدونها ويعالجونها عاموا ان ذلك لامر عظيم حدث فى العالم وكان ذلك سببا لازالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق

ابن حجر فى التقريب جميع ابن عمير بالتصغير فيهما (ابن عبد الرحمن العجلى) نسبة الى عجل قبيلة ينسب اليها جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم (املاء) أى حال كون جميع مملى أى تاليا (علينا من كتابه) أى لا من حفظه أو يكون تمييزا أو مصدرا لقوله حدثنا وهو مصدر أمليت بمعنى أملليت وهما لغتان فى القرآن والمضاعف هو الاصل (قال حدثنى رجل من بنى تميم) صفة لرجل (من ولد أبى هالة) صفة بعد صفة أى من أولاده واسباطه فالمراد ولد بالواسطة (زوج خديجة) صفة لابى هالة أوعطف بيان أو بدل منه واسمه هند بن زرارة وكان من أشرف قريش ومات فى الجاهلية وخديجة هى أم المؤمنين بنت خويلد (يكنى) صفة ثالثة لرجل لالزوج وهو بضم الياء وسكون الكاف أوفتحها فقوله (أباعبدالله) مفعول ثان ليكنى كان مشددا أومخففا فى القاموس كنى زيدا أباعمرو وبه كنية بالكسر والضم سماه به كأكناه وكناه وأبوعبدالله هذا مجهول من الطبقة السادسة ولم يخرج حديثه أحد من أئمة الصحاح الا الترمذى فى هذا الكتاب ولقاؤه ابن أبى هالة منتف قطعا لان الطبقة السادسة لم يثبت لهم لقاء الصحابة وابن أبى هالة من قدماء الصحابة لامحالة كذا قال بعض الشراح قال فى جمع الوسائل انما يتم هذا لو أريد بابن أبى هالة ولده بلا واسطة أما على ان المراد به حفيده كما سيأتى فلا اشكال فى الاتصال (عن ابن لابى هالة) وفى نسخة عن ابن أبى هالة وهو حفيد أبى هالة لا ابنه بلا واسطة واسمه هند وهو ابن هند بن أبى هالة شيخ الحسن وتقدم ان اسم أبى هالة هند وعليه فهو ممن اشترك مع أبيه وجده فى الاسم (عن الحسن بن على رضى الله عنهما) سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة ولد فى رمضان سنة ثلاث من الهجرة ولما قتل أبوه بايعه على الموت أربعون ألفا ثم سلم الامر الى معاوية فى سنة احدى وأربعين تحقيقا لما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه بقوله ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين مات فى سنة خمس وأربعين وبقى نسله من ابنيه حسن وزيد (قال سألت خالى) يعنى أخا أمه للام (هند بن أبى هالة) ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه خديجة أم المؤمنين (وكان وصافا) حال بتقدير قد والوصاف كما فى القاموس العارف للصفة (عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم) الجار متعلق بسألت ويحتمل ان يتنازعه سأل ووصافا لتضمنه معنى مخبرا والحلية الهيئة والشكل وتستعمل بمعنى الزينة وبمعنى مايتزين به وبمعنى الصفة (وأنا أشتهى) الجملة حال من فاعل سألت (ان يصف لى منها شيأ) من أوصافه الجليلة ونعوته الجميلة ابن حجر وتنوينه للتعظيم والتكثير أوللتقليل وهو الانسب بالسياق (أتعلق به) أى أتشبث وأترك به أوأتمسك وأتصف به وانما قال الحسن ذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم توفى وهو فى سن من لا يقتضى التأمل فى الاشياء ويحفظ الاشكال والاعضاء (فقال) هند (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما) بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة (مفخما) خبر بعد خبر لكان أى عظيما فى نفسه معظما فى العيون والقلوب عند كل من رآه ولم يرد بالفخامة ضخامة الجسم وان كان ضخما فى الجملة لانه لم

(وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها اطفاء)

غارت العين أى جفت وذهب ماؤها وكان للفرس عيون تتفجر ماء منها عين ساوة وكان فيها من كثرة المياه وسعتها ماتحيل العادة غيضه طولها ستة أميال وعرضها كذلك والاستفهام للتعجب من حالهم وتوبيخهم وتقريعهم أى ماخمدت النار وانطفأت بالمياه المذكورة وانما ذلك لسر وجود نبينا صلى الله عليه وسلم ليضمحل به كل لهو وباطل

(مولد كان منه فى طالع الكفر وبال عليهم ووباء)

مولد أى عظيم اما بالجر بدل أو بالرفع أى هو صار من أجله على الدوام فى طالع الكفر أى مابه يطلع على عواقبه وغايته كنوم والهمام وبال أى وخم عظيم ووباء أى مرض عام وهما كنايتان عن كسر شوكتهم وضعف قوتهم وفى البيت من البديع الجناس اللاحق وعندهم انه اذا أبدل منه حرف من مخرجه أوقريب منه فهو مضارع كقوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وكقوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير والافهو اللاحق كما فى البيت (فهنيأ به لآمنة الفضـ * ـل الذى شرفت به حواء

(٣) صرح ابن المنير بان هذا قاله النبى صلى الله عليه وسلم لسراقة لما لحقه مع أبى بكر فى طريق الهجرة ولم يكن سراقة اذ ذاك مسلما وكذا فى حفر الخندق ولم يكن أسلم لانه انما أسلم يوم الفتح أو بعد حنين وصرح السهيلى فى الروض بأنه قال ذلك حين أسلم فلا يبعد تعدد المقالتين اه من خط المؤلف

الفاء للسببية أى فبسبب ماحصل بوجوده صلى الله عليه وسلم فى هذا الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا ولآبائه وأمهاته من الشرف الاكبر والتمييز الاظهر حق أن يقال فى شان أمه هنيا وهنيا اسم فاعل من هنؤ كشريف من شرف وهو ملا آفة فيه ولا نكد أو ما أتاك بلا مشقة وهو حال مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره اذ لم يسمع الا كذلك والفضل مبتدأ ولآمنة خبر وبه أى بسببه صلى الله عليه وسلم ويعنى ان كل أم انتسب (٢٨) لها النبى صلى الله عليه وسلم فقد حصل لها الشرف والفضل الذي لا آفة فيه ولا نكد ثم وصف هذا الفضل بكونه هو الذى شرفت به حواء أم البشر لكنه فى آمنة أظهر لعدم الواسطة وخص هاتين بالذكر لان حواء هى سبب الايجاد الاول وآمنة سبب المنتهى فهى نتيجة الاسعاد ففيه ذكر الطرفين لدخول الوسط لانه أحرى من الطرف الاول لان مدار الفضل على القرب كما تقدم وهو حسي ومعنوي

(من لحواء انها حملت أحمد اوانها به نفساء)

هذا بيان لتمييز آمنة على حواء بذلك ومن استفهامية للاستبعاد بمعنى النفى ولحواء يتعلق بمحذوف أى يشفع يقول لو قدر لحواء ان تحمل بسيد المرسلين وتلده من غير واسطة لكان لها نهاية الفخر والفرح لكن لم يقدر ذلك وانما قدر لآمنة كما سبق فى علمه لانه خاتم النبيين فليس لحواء شفيع يشفع لها فى انها تلده لما سبق كذا قرروه ويحتمل عندى وجها آخر وهو انه لما ذكر ان حواء حصل لها شرف الولادة العليا قال من مخبر لها بأن ذلك الولد الكامل قد برز وظهر ومصداق حملها به قد اشتهر فيبشرها بذلك فيكمل فرحها وضمير انها لآمنة والله أعلم

يكن تخفيفا وسيأتي الكلام على ذلك عند قوله بادن متماسك ولصاحب جمع الوسائل هنا كلام سيأتى رده (يتلألأ وجهه) يستنير (تلألؤ القمر ليلة البدر) وهى ليلة أربعة عشر لان القمر فيها فى نهاية اضاءته وأشار بهذا الى انه صلى الله عليه وسلم كانت تشرق من طلعته الشريفة الانوار وتتلألأ منه الاضواء فى الليل والنهار وسيأتى قول أنس رضى الله عنه لما كان اليوم الذى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه المدينة أضاء منها كل شىء ومن ثم كانت الجدرات تلاحك وجهه صلى الله عليه وسلم أى يرى شخصها فى وجهه لاستنارته والملاحكة شدة الملايمة ويرحم الله القائل

لم لا يضيء بك الوجود وليله * فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق * وببدر وجهك كل ليل مقمر

وانما خص حسان رضى الله عنه ذلك بالليل فى قوله

متى يبد فى الداج البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد * نظاما لحق أو نكالا لملحد

لان ظهور النور فى الليل أتم وأشد وأقوى وانما خص الجبين لان النور أول ما يظهر من الاماكن المرتفعة ثم ينتشر * وفى البخارى عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه اه ولا يفهم من هذا ان استنارة وجهه خاصة بوقت السرور لان أصلها ظاهر فى كل وقت لان نورانيته صلى الله عليه وسلم ذاتية لازمة وكاملها وتمامها خاص بوقت السرور وهذا أمر معروف فى كل حسن يتجلى تمام حسنه عند السرور أكثر وقد دخل صلى الله عليه وسلم يوما على عائشة وأسارير وجهه تبرق أى يلمع منها شبه البرق فقالت يا رسول الله أنت أحق بقول أبى كبير الهذلى فى ربيبه تأبط شرا

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وهذا أصل كما قال القاضى أبو بكر بن العربى فى سراج المريدين فى قلب المعنى الحسن وأخذه من غير حقه ووضعه فى حقه وكان صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه فى وجهه لشدة صفاء بشرته وقوة نورانيته ثم اعلم ان تشبيه بعض صفاته صلى الله عليه وسلم بنحو الشمس والقمر انما يصح على ضرب من التجوز بل هما اللذان يشبهان بنوره صلى الله عليه وسلم اذ الاضعف هو الذى يشبه بالاقوى ومايقع فى الامداح من تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس والقمر والسراج فالمراد منه التمثيل باحسن مايعرف فى الوجود والا فهذه الاضواء من نوره خلقت وبه استنارت فهى الفروع ونوره الاصل وهى المتأخرة ونوره الاول وهى التى تطرأ عليها الطوارئ ونوره المصون المحفوظ منها بل هو الذى يحل عن البقاء على حاله اذ لا يزال يتزايد ويستفيض وليس المراد حقيقة التشبيه وطريقته الاغلبية وان وجه الشبه فى المشبه به أتم وهو به أولى

(يوم نالت بوضعه ابنة وهب * من فخار مالم تنله النساء) انظر

يوم بدل من مولد والظاهر انه ظرف لما يليه وأظهر منه ان يكون متعلقا بمحذوف أى اذكر يوم ونالت أى أعطيت وحازت والفخار التمدح بالخصال الحميدة يقول ان آمنة أعطيت بسبب ولادتها للنبى صلى الله عليه وسلم من الفخار والشرف مالم تنله امرأة من النساء وهذه مزية اختصها الله بها وهى لا تقتضي التفضيل على غيرها مطلقا انظر ابن حجر

(وأتت قومها بافضل مما * حملت قبل مريم العذراء)

أي ويوم أتت آمنة قومها الرجال والنساء تبع بمولود أفضل اجماعا من عيسى الذي حملت به قبل آمنة مريم بنت عمران العذراء أي البكر التي لم تتزوج وأوقع الناظم ما على العاقل وهو عيسى نادرا وقيل انها تقع على آحاد من يعقل كثيرا والصواب انها هنا روعى فيها معنى الصفة على حد ما قالوا في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء يريد أن يوم ولادة آمنة لهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم هو يوم اتيانها بالمولود الذى هو أفضل من عيسي بن مريم عليه الصلاة والسلام بسبب ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الانبياء والمرسلين وخص عيسى بالذكر لما فيه من الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة فمن آيات عيسى أنه من أم بلا أب وانما نفخ جبريل في جيب درعها فحملت به ووضعته من وقتها كرامة لها ومعجزة له وانه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله ومامن مولود من بني آدم الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا الا عيسى بن مريم لقوله تعالى وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ورفع الى السماء وينزل في آخر الزمان فيحكم بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم وكلم الناس في المهد وكل ذلك في الحقيقة آية من آيات النبي صلى الله عليه وسلم لانه الخليفة الاشهر والملك الاكبر الذي له التصرف المطلق والاذن العام في المملكة باجناسها وأنواعها وأصنافها وجزئياتها وذلك بتمليك الله تعالى له واستخلافه اياه فهو المعطى والممد والموصل الى كل ذي حظ حظه ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم القاسم لانه المتولى لقسمة نعم الله تعالى وأعطيته فكل من حصلت له رحمة في الوجود أو خرج له قسم من رزق الدنيا والآخرة والظاهر والباطن والعلوم والمعارف والطاعات فانما خرج له ذلك على يديه وبواسطته صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقسم الجنة بين أهلها ولذا عدوا من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه أعطى مفاتيح الخزائن وبسبب حيازة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للفضائل كلها والفواضل بأسرها استحق أن يسمى محمدا ومعناه اصالة من كثر حمد الحامدين له فجاء هذا الاسم الشريف ملائما ومناسبا لذلك المسمى المنيف لما يدل عليه بحسب وضعه الاصلى الملاحظ بعد الوضع

انظر شرح همزية شيخنا المحقق (أطول من المربوع وأقصر من المشذب) هو الطويل البائن من التشذيب وأصله النخلة الطويلة التي شذب جريدها أى قطع لتطول (عظيم الهامة) أي الرأس وقد تقدم قول على ضخم الرأس (رجل الشعر ان انفرقت عقيقته) أى شعر رأسه وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل القاف الثانية وهى الخصلة اذا لويت وضفرت فالمراد شعره المعقوص والانفراق مطاوع التفريق أو الفرق والثانى أنسب بقوله (فرق) بالتخفيف يقال فرق شعره أى ألقاه الى جانبي رأسه فانفرق أى صار متفرقا والمعنى ان انفرقت وانشقت بنفسها عن المفرق فرقها أى أبقاها على انفراقها (والا) تنفرق بنفسها (فلا) أي فلا يفرقها بل يتركها مرسلة أو معقوصة وانظر هذا مع ما سيأتى فى باب ما جاء فى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوه فى مسلم من أن أهل الكتاب كانوا يسدلون رؤسهم وانه كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يقتضى ان فرقه وسدله كان عن قصد لا اتفاقيا كما يقتضيه ما هنا الا أن يكون المراد هنا انه كان يسدل ولا يفرق الا ان انفرقت من ذات نفسها أى ثم بعد ذلك فرق كما يأتى ثم استأنف فقال (يجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره) أى تركه موفرا فلم يأخذ منه وقيل يصح ان يكون يجاوز مدخول النفى أي ان انفرق شعره بعد ما عقصه فرق أي ترك كل شيء فى منبته والا ينفرق بان استمر معقوصا كان موضعه الذي يجمع فيه حذاء أذنيه فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره أي جمعه (أزهر اللون) فى المهذب الازهر الابيض المستنير (واسع الجبين) أى واضحه وهو معنى ما في رواية صلت الجبين والجبين ما فوق الصدغ عن يمين الجبهة وشمالها فلكل انسان جبينان والجبهة ما بينهما وقد يطلق الجبين على الجبهة وهو المراد هنا وقيل كناية عن طلاقة الوجه وشبه بعضهم جبهته المقدسة صلى الله عليه وسلم فى بياضها المشوب بحمرة وصفائها واشراقها واستنارتها بلوج فضة يتموج فيه الذهب وفى هذا التشبيه وصف جبهته المشرفة بتمام الحسن وكمال الجمال وتفريح الناظر وظفره بأكمل المطالب وأشرف المآرب ومما ينسب لعائشة رضى الله عنها

فلو سمعوا فى مصر أوصاف خده * لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد
وصحب زليخا لو رأين جبينه * لآثرن بالقطع الفؤاد على الايد

(أزج الحواجب) الحاجب الازج هو المقوس كالنون الطويل الدقيق المستوى بحيث لا تعدو شعرة منه الاخرى فى النبات والاستواء وأطلق الجمع على المثنى لان التثنية جمع فى المعنى بدليل قوله بينهما عرق الخ (سوابغ) أي كوامل حال من الحواجب لانه فى المعنى فاعل أي دقت وتقوست حال كونها سوابغ والاظهر انه منصوب على المدح قاله فى جمع الوسائل وانما قال سوابغ مع انه من أوصاف الازج ليرتب عليه قوله (فى غير قرن) بالتحريك مصدر قولك رجل أقرن أي مقرون الحاجبين وفى رواية من غير قرن فهى بمعنى من والاحسن انه حال متداخلة والمراد انه صلى الله عليه وسلم لم يكن أقرن أى متصل الحاجبين وان كان أبلج ما بينهما أى نقيه من

العلمي من تعدد الحمد وكثرته وتكرره كان أسبابه متعددة وطرقه متكاثرة وموجباته غير منحصرة فهذا بذاك وما أحسن وضع الشيء في محله واعطاءه لمستحقه ومجيئه به على حقه ولذا قال بعض النحاة ان هذا الاسم الشريف يفيد مايفيده اللقب من المدح ومن الفضائل التي له صلى الله عليه وسلم أنمية حامديته لله تعالى فانه الاحمد الاكبر والمعروف الاعظم ولذا وصف بافعل والحامدون كلهم نوابه اذ هو الذي عرفهم الحمد وأوصل (٣٠) اليهم العلم باسبابه فهو الحامد على الاطلاق والمثنى في جميع الاوقات والآفاق والحامدون عالة عليه اذ الثناء على الله بحسب المعرفة به ومعرفته صلى الله عليه وسلم لم يصلها ولا يصلها أحد فكانت محموداته صلى الله عليه وسلم على حسب ذلك فضعفت المادة دلالة على الكثرة وبهذا تعلم أن كونه صلى الله عليه وسلم أحمد سابق على كونه محمدا وفي هذا الاسم الشريف الاشارة الى كمال محبوبيته صلى الله عليه وسلم لما في معناه من المكافأة لأحمديته بثنائه تعالى عليه بنفسه في كتابه وبألسنة خلقه اذ ألسنة الخلق أقلام الحق فالمحبوبية فيه أظهر وان كانت في أحمد أيضاً من حيث اجتذابه اليه واستعماله في خدمته وحمده ومعرفته ومعنى المحبة فيه أظهر ولظهور معنى المحبوبية في محمد كان ألذ سماعا عند جميع المسلمين وأشوق الى الصلاة والسلام على سيد المرسلين ويفهم من توجيه هذه المطابقة بين الاسم والمسمى ان هذا الاسم الشريف هو اسمه الجامع لمعاني أسمائه اذ كلها دال على فضيلة أو فاضلة نحو طاهر مطهر فاتح خاتم مصطفى مختار أمين مأمون الى غير ذلك من أسمائه ومحمد شامل جميع ذلك اذ معناه محمود بالطهارة الخ فافهمه هذا بعض مايتعلق بمعنى الاسم وأما لفظه فقال بعض العلماء في اسم محمد ثلاث ميمات اذا بسطت كلا منها قلت ميم وعدتها تسعون فيحصل من الميمات الثلاث مائتان وسبعون واذا بسطت الحاء والدال قلت دال بخمسة وثلاثين وحاء بتسعة فالجملة ثلثمائة وأربعة عشر فتلك عدة الرسل عليهم والصلاة والسلام وقال آخر الميم الاولى للملكوت الاعلى ولمعرفة علم الاولين والآخرين ولمحو الكفر ولمن الله به على المؤمنين والحاء للحياة بالايمان والحفظ وحكمه في الخلق بحكم الله والميم الثانية للملكوت الباطن والملك الظاهر ومنه تشهير اسمه

الشعر وعورض هذا بما في وصف أم معبد رضي الله عنها حيث قالت أزج أقرن وجمع بينهما بانه بحسب ما كان يبدو للناظر من بعد او بغير تأمل وأما القريب المتأمل فيبصر بين حاجبيه فاصلا دقيقا فهو ابلج في الواقع اقرن بحسب مايبدو للناظر اذا كان بعيدا أو من غير تأمل قال الانطاكي وغيره والعرب تستملج البلج والعجم القرن ونظر العرب ادق وطبعهم ارق قال في جمع الوسائل فكأنه جمع بين لطافة العرب وظرافة العجم صلى الله عليه وسلم (بينهما عرق يدره الغضب) أي يحركه ويظهره وفيه دليل كمال قوته الغضبية التي عليها مدار حماية الديار وقمع الاشرار وكمال الوقار الا أنه صلى الله عليه وسلم لايخرج عن مقتضى العدل في الرضا والغضب ولا يغضب الا لله وليس غضبه كغضب غيره وسيأتي في حديث هند في باب كيف كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتغضبه الدنيا وما كان لها فاذا تعدي الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وسيأتي في باب التواضع من حديث علي رضي الله عنه لايقصر عن الحق ولا يجاوزه وفي باب الخلق عن عائشة رضي الله عنها مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم ينتهك من محارم الله تعالى شيء فاذا انتهك من محارم الله تعالى شيء كان من اشدهم في ذلك غضبا (أقنى العرنين) وفي رواية أقنى الانف وهما بمعنى واحد والقنى طول الانف ودقة ارنبته وحدب في وسطه فليس بافطس ولا باشم (له نور يعلوه) الضمير ان للعرنين (يحسبه من لم يتأمله) أي يظن النبي صلى الله عليه وسلم من نظر الى وجهه ولم يتأمله (أشم) مفعول ثان ليحسب والشمم ارتفاع القصبة مع استواء أعلاها واشراف الارنبة قليلا فلحسن قناه والنور الذي علاه يخفى على الناظر اليه من غير تأمل حدب وسطه ويظن استواء القصبة ولو أمعن النظر لحكم بخلاف ذلك ويفهم من هذه الاوصاف انه كان لانفه الشريف استقامة وسيلان ودقة أطراف ولطرفه وهو الارنبة القدر المحمود من الاشراف ولقصبته ارتفاع وسط وحدب الوسط ولطوله القدر المعتدل السالم من الشطط وان له نورا يعلوه يخفى حدبه فيحسبه من لم يتأمله انه مرتفع أعلى القصبة (كث اللحية) أي كثير شعرها وفي رواية كثيف اللحية وفي أخرى عظيم اللحية ومعلوم ان عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفا وان الطول الزائد بأن يكون فيه زيادة على القبضة غير ممدوح شرعا وسيأتي في باب رؤية النبي صلى الله عليه وسلم قول يزيد الفارسي في نعته صلى الله عليه وسلم قد ملأت لحيته مابين هذه الى هذه أي الاذنين قد ملأت نحره أي عنقه فالاول اشارة الى عرضها والثاني اشارة الى طولها فقال ابن عباس لو رأيته في اليقظة ما استطعت ان تنعته فوق هذا (سهل الخدين ضليع الفم) أي عظيمه واسعه وهو محمود عند العرب وسيأتي في حديث جابر بن سمرة قلت لسماك بن حرب ماضليع الفم قال عظيم الفم والضليع في الاصل الذي عظمت أضلاعه فاتسع جنباه ثم استعمل في موضع العظيم وان لم يكن ثم اضلاع وفيه ايماء الى الفصاحة والبلاغة وقيل ضليع الفم كناية عن كمال الفصاحة وتمام البلاغة وقيل معنى ضليع

مع اسمه ومغفرته لامته والدال الدوام والاتصال لدفع وهمي الانقطاع والانفصال وهو الدليل لجميع الخلق والداعي الي الله ثم ان هذا الاسم الشريف باعتبار هيئته فيه اشارة الى ان مسماه هو المقصود الاكبر من النوع الانساني ولذلك خلقوا علي صورة اسمه وشكل كتابته فقد روى عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عمر أتدري من أنا أنا الذي خلق الله آدم وذريته على حروف هجائي ( ) (٣١) هكذا كانت كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم

الفم عظيم الاسنان شديدها وانظر ما معناه اذ لا يصح أن يراد بعظمها غلظها ولا اتساعها لانه غير محمود والمحمود تحديدها والتوسط بين الدقة والاتساع الكثير (مفلج الاسنان) بالفاء أي منفرجها وهو خلاف متراص الاسنان ويروي أفلج الاسنان وليس المراد من أفعل هنا التفضيل وانما جاء الوصف من المادة على وزن أفعل كاحرش وفي رواية لابن سعد مبلج الثنايا بالموحدة وسيأتي في حديث ابن عباس أفلج الثنيتين اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه قال بعضهم المراد بالثنيتين العليان دون السفليين لان المدح خاص بفلج العليين فرواية مفلج الاسنان ومبلج الثنايا ترجع لرواية ابن عباس لان انفراج الأسنان كلها غير محمود ويأتي في باب الكلام في آخر حديث هند ويفتر عن مثل حب الغمام وفي رواية لابن عساكر براق الثنايا فيفهم من ذلك انه كان لأسنانه صلى الله عليه وسلم غاية البياض والبريق واللمعان وفي رواية أشنب والشنب دقة الأسنان ورونقها وصفاء مائها وعذوبتها قال ابن حجر أخرج أبو نعيم انه بزق في بئر بدار أنس فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها وأخرج أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم شرب من دلو ثم صب في بئر أو قال مج في البئر ففاح منها رائحة المسك ومسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بعد أن نفث فيها من ريقه علي ظهر عتبة بن فرقد السلمي وكان به شرى اي قروح صغار حمر حكاكة مكربة فما كان يشم أطيب منه رائحة قالت ام عاصم امرأته كنا عند عتبة بن فرقد ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها وما يمس عتبة طيبا الا أن يمس دهنا وكان اطيب ريحا منا فقلت له في ذلك فقال اصابني الشرى علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقعدني بين يديه والقيت ثيابي علي عورتي فنفث في كفه ثم دلك بها الاخري ثم امرها على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون وبصق يوم خيبر بعيني على وبهما رمد فبرئ وكان يوم عاشوراء يتفل في افواه رضعائه ورضعاء ابنته فاطمة ويقول للامهات لا ترضعنهم الى الليل وكان ريقه يجزيهم (دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة) الجيد هو العنق فغاير بينهما كراهية التكرار اللفظي والدمية في الاصل الصورة من العاج واستعمل هنا في مطلق الصورة التي بولغ في تحسينها فشبه عنقه بجيد الدمية في الاستواء والطول والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال وبالفضة في اللون والاشراف والجمال فقوله في صفاء الفضة خبر بعد خبر لكان وهو اشارة الى بياض رقبته صلى الله عليه وسلم والي أن بياضه كان في غاية الصفاء (معتدل الخلق) يحتمل أن يكون اشارة الى أن عنقه الشريف لم يكن مفرط الطول او الي انه معتدل الخلق اي جميع الأعضاء فيكون اجمالا بعد تفصيل بالنسبة لما سبق (بادن) اسم فاعل من بدن بمعنى ضخم والضخامة قد تكون بعظم الاعضاء وقد تحصل بالسمن فان كان المراد هنا الاول كان قوله (متماسك) اشارة الي أن عظم اعضائه لم يخرجها عن حد الاعتدال وان كان المراد بالبادن السمين كان معنى قوله متماسك انه ليس بمسترخي اللحم لأن استرخاؤه مذموم عند العرب مكروه في المنظر اي فهو

في القديم فالرأس والوجه بمنزلة الميم الاولى واليدان اذا مددتهما بمنزلة الحاء والبطن بمنزله الميم الثانية والرجلان بمنزلة الدال اه ذكره العز في وغيره وقد قال جعفر ابن محمد الصادق رضي الله عنهما ان من تسمى باشهر أسمائه أعني محمدا أو أحمد أدخله الله الجنة لكرامة اسمه وروى ابن وهب عن مالك انه تطرح البركة في أهله وجيرانه وانظر المواهب تظفر بعجائب

شمتته الاملاك اذ وضعته
وشفتنا بقولها الشفاء

التشميت بالمعجمة والمهملة هو أن يقال للعاطس يرحمك الله اما دعاء له بان يرحمه الله ويحفظه من شماتة أعدائه أو ببقاء سمته علي ما كان عليه لان العطاس ربما كان سببا في تغييره والاملاك جمع ملك كجمل وأجمال وشفتنا أفرحتنا وأدخلت علينا السرور بقولها الآتي الذي يشفي العليل ويبرد الغليل والشفاء بالفاء المشددة هي أم عبد الرحمن بن عوف فقد روى عنها أنها قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول يرحمك الله انظر تمامه في المواهب وظاهره ان استهلاله صلى الله عليه وسلم كان بالعطاس

رافعا رأسه وفي ذلك الرفع الى كل سودد ايماء ... رافعا طرفه السماء ومرمي * عين من شانه العلو العلاء
وتدلت زهر النجوم اليه * فاضاءت بضوئها الارجاء ... وتراءت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء

روى ابو نعيم من حديث ابن عباس قال كانت آمنة تحدث وتقول اتاني آت حين مربي من حمله ستة اشهر في المنام وقال لي يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمداً واكتمي شأنك قالت ثم لما اخذني مايا خذ النساء ولم يعلم به احد لا ذكور ولا اناث واني

لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظما هالني ثم رأيت كان جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الروع وكل وجع أجده ثم التفت فاذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبينما أنا أتعجب وأقول واغوثاه من أين علم بي فقلن لي نحن اسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بي الامر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينما أنا كذلك اذا بديباج ابيض مد بين السماء والارض واذا قائل يقول خذاه عن اعين الناس قالت ورأيت رجالا (١) قد وقفوا في الهواء بايديهم اباريق من فضة ثم نظرت فاذا انا بقطعة من الطير قد اقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما علي ظهر الكعبة فاخذني المخاض فوضعت محمدا صلي الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني ثم سمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا انه سمي فيها الماحي لا يبقي شيء من الشرك الا محي في زمانه ثم تجلت عنه في اسرع وقت الحديث (وروى) الخطيب البغدادي بسنده ان آمنة قالت لما وضعته عليه الصلاة والسلام رأيت سحابة عظيمة فيها نور أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس بعضهم والملائكة والطيور والوحوش وأعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسمعيل ورضا اسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس

معتدل الخلق بين السمن والنحافة وهذا هو الظاهر والخلاف في انه سمن أولا لفظي قاله في جمع الوسائل هنا وأما قوله في شرح قوله نحما مفخما انه صلى الله عليه وسلم زادت ضخامته في آخر عمره لما آتاه الله جميع سؤله وأراحه من غم امته فضعيف أو غير صحيح فان غاية ما ورد أنه ثقل به بدنه حتى كان أكثر صلاته وهو جالس وكيف يلتئم ماذكره من التعليل مع ما يأتي من انه كان متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقوله شيبتني هود واخواتها نعم من الناس من تسمنه الغيبة في المحبوب فيشغله الفرح والسرور بمحبوبه عن السابقة والعاقبة ويكون اشتغاله بشهوده والفرح به أهم اليه فيسمن جسمه وقد مشى أبو يزيد البسطامي لزيارة رجل من القوم سبعمائة فرسخ فلما رآه وجده سمينا فندم على القدوم عليه فتوسم الرجل فيه ذلك فقال له يا أبا يزيد لا تفسد مسيرك الى سبعمائة فرسخ فان سمنى من فرحي به وفي لطائف المنن نقلا عن الشيخ أبي العباس المرسي قال كان ببلاد المغرب ولي من اولياء الله تعالي يتكلم على الناس فرقي المنبر يوما ليتكلم على الناس فقال رجل مكشوف الرأس هذا رجل يزهدنا في الدنيا وهو كالدب فكوشف به الشيخ فقال من فوق المنبر يا أبا رؤيس ما سمنني الا حبه وقيل لبعض التابعين ما هذا السمن فقال كلما تذكرت كثرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وما اختصهم الله تعالي به ازددت سمنا وقال بعض العارفين كلما تذكرت اني عبد الله وانه اهلني للايمان والايقان زاد سمني وقال عياض رحمه الله

ومما زادني طربا وتيها * وكدت باخمصي أطا الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي * وأن صيرت أحمد لي نبيا

واما ما ورد من أن الله يبغض السمين (١) فمحله كما قال في جمع الوسائل اذا نشا عن غفلة وكثرة نعمة حسية كما يدل عليه رواية يبغض اللحامين والله أعلم (سواء البطن والصدر) بالاضافة والمعني ان صدره وبطنه متساويان بطنه لضموره لا يزيد على صدره وصدره لكونه عريضا مساو لبطنه فقوله (عريض الصدر) كالمؤكد لما قبله (بعيد ما بين المنكبين) يستلزمه قوله عريض الصدر (ضخم الكراديس) سبق معناه (انور المتجرد) بفتح الراء المشددة وكسرها اى مشرق العضو الذى هو موضع التجرد عن الثوب علي الفتح او مشرق العضو العارى عن الثوب علي الكسر (موصول ما بين اللبة) وهى النقرة التى فوق الصدر (والسرة بشعر يجرى) يمتد (كالخط) اى طولا ودقة وفي رواية كالخيط (عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك) الخط والمعنى لم يكن على ثدييه وبطنه شعر غير مسربته وقولنا عارى الثديين من الشعر لا ينافي انه كان في أعلى صدره شعر كما أشار له بقوله (اشعر الذراعين والمنكبين واعالى الصدر) اى كثيره او طويله فلا يحتاج الي ما تكلفه بعضهم من أن المراد عارى الثديين من اللحم لئلا ينافي قوله وأعلي الصدر ونفى

(١) في اختصار محمد بن عبد الباقي الزرقاني حديث ان الله يكره الحبر السمين حسن موقوف ورد نحوه مرسلا ولا أعلمه موصولا اه منه

---

(١) اى ملائكة علي صور الرجال والا فهم لا يتصفون بذكورة ولا انوثة اه مؤلف

وعصمة يحيي وزهد عيسى واعمسوه فى أخلاق النبيين قالت ثم انجلت عنى فاذا به قد قبض علي حريرة خضراء مطوية طياشديدا ينبع من تلك الحريرة ماء واذا بقائل يقول بخ بخ قبض محمد علي الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها الا دخل طائعا فى قبضته قالت ثم نظرت اليه صلى الله عليه وسلم واذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك الاذفر واذا بثلاثة نفر فى يد أحدهم ابريق من فضة وفى يد الثانى طست من زمرذ أخضر وفى يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فاخرج منها خاتما يحار أبصار الناظرين دونه

فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه فى الحريرة ثم احتمله فادخله بين أجنحته ساعة ثم رده الى (وروى) محمد بن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس ان آمنة بنت وهب قالت لما فصل منى تعنى النبى صلى الله عليه وسلم خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع علي الارض معتمدا علي يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء (وروى) الطبرانى أنه لما وقع علي الارض وقع مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروى عن عثمان بن أبي العاصى عن أمه فاطمة بنت عبدالله الثقفية قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع على رواه البيهقى ويؤخذ منه ان ذلك النور من النبى صلى الله عليه وسلم خلاف مايفهم من الناظم انه من النجوم وأخرج الامام أحمد والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى عن العرباض ابن سارية ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال انى عبدالله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم عن ذلك انا دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسي ورؤيا أمى التى رأت وكذلك أمهات الانبياء يرين وان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاء له قصور الشام قال الحافظ ابن حجر صححه ابن حبان والحاكم وأخرج أبو نعيم عن عطاء بن يسار عن أم سلمة عن آمنة قالت لقد رأيت ليلة وضعته نورا أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها وأخرج أيضا عن بريدة عن مرضعته فى بنى سعد ان آمنة قالت رأيت كأنه خرج من فرجى شهاب أضاءت له الارض حتى رأيت قصور الشام * وعن همام بن يحيي عن اسحق بن عبدالله ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعضهم شعر الابط وضعف بما صح انه عليه السلام كان ينتف شعر ابطيه نعم قال ابن حجر الذي نعتقده انه لم يكن لابطه رائحة كريهة كما ثبت فى الصحيح (طويل الزندين) بفتح الزاى وسكون النون وبالدال المهملة وهو من الذراع ما انحسر عنه اللحم وله رأسان الكوع والكرسوع قال في القاموس الكوع بالضم طرف الزند الذى يلى الابهام والكاع طرف الزند الذى يلى الخنصر وهو الكرسوع بالعين المهملة كما في القاموس ولبعضهم

فعظم يلى الابهام كوع ومايلى * لخنصره الكرسوع والرسغ ماوسط

فمعنى طويل الزندين طويل الذراعين والله أعلم (رحب الراحة) أي واسع الكف حسا ومعنى ولحسان بن ثابت رضى الله عنه

له راحة لو ان معشار جودها * علي البر كان البر أندى من البحر
له همم لامنتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

وقوله ان بكسر الهمزة (٢) بمعنى صب ومعشار بالرفع نائب الفاعل (شثن الكفين والقدمين) سبق ان معناه ممتلئهما لحما (سائل الاطراف) أي طويل الاصابع ممتدها ليست بمتعقدة ولا متقصفة أى متكسرة وروى بعضهم سائن بالنون وهو لغة فى سائل كجبرين وجبريل (أوقال) شك من الراوى هند أو من دونه من رجال السند (شائل الاطراف) بالشين المعجمة من الشول وهو الارتفاع أى مائلة الى الطول ووقع فى رواية وسائر الاطراف بواو العطف وبالراء وهو اشارة الى نحافة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث قاله عياض فى الشفاء واما بدون واو فكانه علي حذف كاف التشبيه ان صحت الرواية (خمصان الاخمصين) يقال خمص بالضم والفتح والكسر خمصا ورجل خمصان بالضم وامرأة خمصانة اذا كان ضامرى البطن والاخمص باطن القدم فمعنى خمصان الاخمصين ضامر باطن القدمين بمعنى ان وسط قدمه مرتفع عن الارض ونقل فى النهاية عن ابن الاعرابى انه عليه السلام كان معتدل خمص الاخمص فلم يكن مرتفعا جدا ولا مستويا جدا لانه اذا كان هكذا فهو أحسن مايكون واذا استوى أو ارتفع جدا فهو ذم اه وبه يظهر وجه الجمع بين هذه الرواية التى ذكرها المصنف وبين مانقله القاضى عياض فى الشفاء عن أبى هريرة رضى الله عنه من انه عليه الصلاة والسلام كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له خمص اه وبيان الجمع ان من أثبت الخمص أراد ان فى قدميه خمصا يسيرا ومن نفاه نفى شدته وأما قول عياض ان قوله (مسيح القدمين) يوافق ماقاله أبو هريرة ففيه ان الراوى ذكر قوله مسيح القدمين عقب قوله خمصان الاخمصين فلو أريد به انه لم يكن خمص لكان بينهما تدافع وانما معنى قوله مسيح القدمين انه أملس القدمين ليس فيهما تكسر ولا تشقق ويؤيد ذلك قوله (ينبو) أى يمر سريعا ويتباعد ويتجافى (عنهما الماء) وقال ابن الجزري مسيح القدمين الذى ليس بكثير اللحم فيهما انظر جمع الوسائل

(٢) قوله ان بكسر الهمزة كذا بالاصل ولعل الصواب بضم اذه وميني للنائب كما لايخفى اه

أضاء له قصور الشام قال الحافظ ابن حجر صححه ابن حبان والحاكم وأخرج أبو نعيم عن عطاء بن يسار عن أم سلمة عن آمنة قالت لقد رأيت ليلة وضعته نورا أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها وأخرج أيضا عن بريدة عن مرضعته فى بنى سعد ان آمنة قالت رأيت كأنه خرج من فرجى شهاب أضاءت له الارض حتى رأيت قصور الشام * وعن همام بن يحيي عن اسحق بن عبدالله ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد قال في اللطائف وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الارض وزالت به ظلمة الشرك كما قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وأما اضاءة قصور بصري بالنور الذي خرج معه فهو اشارة الى ما خص الشام به من نور نبوته وأنها دار ملكه كما ذكر كعب

الاحبار ان في الكتب السالفة محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والى الشام انتهى ملكه ولهذا أسري به صلى الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر قبله ابراهيم عليه السلام الى الشام وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وهي ارض المحشر والمنشر وأخرج أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم في صحيحيهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله من أرضه يجتبي اليها خيرته من عباده اه ملخصا من المواهب

﴿تنبيهات﴾ الاول روى ابن عساكر عن أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم ولد مغذورا اي مختونا مسرورا اى مقطوع السرة وروي الطبراني في الاوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كرامتي علي ربي أن ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتي أي عورتي وقول الحاكم في المستدرك تواترت الاخبار بذلك مراده كما قال المنذري وغيره الاشتهار والاستفاضة بين الناس لا التواتر اصطلاحا وفي العبارة تجوز لان الختان هو القطع وانما المراد انه ولد على تلك الهيئة من غير قطع انظر المواهب (الثاني) دار ولادته عليه الصلاة والسلام بمكة بالحومة المعروفة بزقاق المدكك ويقال زقاق المولد ويقال زقاق الحجر وهذه الدار كان وهبها النبي صلي الله عليه وسلم لعقيل ابن أبي طالب ولم تزل بيده الى أن مات وباعها ابنه لمحمد بن يوسف أخي الحجاج حتى حجت الخيزران جارية المهدى ام هرون الرشيد وقيل زبيدة زوجة هرون فجعلتها مسجدا فهو الى الآن يزار وموضع الولادة منه معين متميز عليه كسوة خاصة وكان الزقاق المذكور يسمى بزقاق الحجر

وانظره مع ما تقدم في تفسير شئن الكفين والقدمين نعم سيأتي ان النبي صلى الله عليه وسلم قام الليل حتى تورمت اي انتفخت قدماه وقال البوصيري نفعنا الله به

ورمت اذ رمي بها ظلم الليل الى الله خوفه والرجاء
دميت في الوغى لتكسب طيباً * ما أراقت من الدم الشهداء
فهي قطب المحراب والحرب كم دا * رت عليها في طاعة أرحاء

(قال)

ظلمت سنة من أحيا الظلام الى * ان اشتكت قدماه الضر من ورم

(اذا زال زال قلعا يخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب) سبق الكلام علي هذا في حديث أنس (واذا التفت التفت جميعاً) تقدم في حديث علي رضي الله عنه (خافض الطرف) اى البصر يعنى اذا لم ينظر الي شيء يخفض بصره لان هذا شأن من يكون دائم الفكرة لاشتغال قلبه بربه فقوله (نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء) كالتفسير لما قبله ويحتمل أن يكون وصفا مستقلا اشارة الى نهاية تواضعه وخضوعه وغاية حيائه من ربه وكثرة خوفه وخشوعه وسياتي من حديث أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها قال العراقي

حياؤه يربو على العذراء * في خدرها لشدة الحياء
نظره للارض منه أكثر * الى السماء خافض اذ ينظر

واما ما رواه ابو داود من أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس يتحدث يكثر ان يرفع طرفه الى السماء فيحتمل أن يقال الاكثر لا ينافي الاكثار ويحتمل ان الرفع محمول علي حال توقعه انتظار الوحي في امر ينزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السماء أو نظره الى الارض أطول حال السكوت وعدم التوجه الى أحد انظر جمع الوسائل (جل نظره الملاحظة) من اللحظ وهي النظر باللحاظ بفتح اللام وهو شق العين مما يلي الصدغ يقال لحظه ولحظ اليه أي نظر اليه بمؤخر العين والمراد والله أعلم انه لم يكن نظره الى الاشياء كنظر أهل الحرص والشره بل بقدر الحاجة سيما الي الدنيا وزخرفها ويحتمل أن يكون ذلك حال العبادة كما في جمع الوسائل (تتمة) ورد ما يدل علي انه صلى الله عليه وسلم كان يري البعيد كما يري القريب ويرى من خلفه كما يري من أمامه ويرى في الليل كما يري في النهار وانه كان يرى في الثريا احد عشر نجما اواثني عشر فلم تكن رؤيته علي الطريق المألوفة من الخلق انظر شرح الهمزية لشيخنا المحقق (يسوق اصحابه) أى يقدمهم أمامه ويمشي خلفهم تواضعا واشارة الى انه كالمربي فينظر في احوالهم وفي هيئتهم كمن يقدم دابته ليتفقد أحوالها اروعاية للضعفاء واغاثة للفقراء او تشريعا وتعليما لان خفق النعال وراء الاحمق قلما يبقى من دينه وأخرج الدارمي باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال خلوظهري للملائكة قال العراقي يمنع ان يمشي خلفه احد * بل خلفه ملائك الله الاحد

لاجل الحجرين اللذين هنالك ملصقين بجدارين أحدهما عن يمين الآتى من ناحية المسجد الحرام مار التلك الدار بقرب دار أبي بكر رضى الله عنه وبه أثر مرفق ذراع النبي صلى الله عليه وسلم يقال انه اتكأ عليه فلان والآخر يقابله بانحراف يقال انه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ويخبره عن حال أبي بكر وقد زرنا جميع ذلك والحمد لله (الثالث) لم يولد لابويه صلى الله عليه وسلم غيره فلم يشركه فى ولادة أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية قاله القسطلانى فى المواهب اللدنية

وفى بعض النسخ يقدم أصحابه من التقديم ويروى ينس أصحابه والنس السوق وفى ذلك رد علي أرباب الجاه وأصحاب التكبر والخيلاء (ويبدر من لقى بالسلام) أى يسبق ويبادر بالتسليم علي من لقيه لان ذلك شيمة المتواضع وقد نص العلماء علي ان هذه سنة أفضل من الفرض لانها سبب لحصوله فثوابها أكثر وفى بعض النسخ يبدأ من البدء بمعنى الابتداء قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر) هو المعروف بغندر (ناشعبة عن سماك بن حرب) أدرك ثمانين من الصحابة (قال سمعت جابر بن سمرة) كلاهما من الصحابة (يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم) تقدم فى حديث هند (أشكل العين) فى نسخة العينين أى في بياضها خطوط حمر كما تقدم لنا فى حديث علي (منهوس العقب) ضبطه الجمهور بالسين المهملة وقال صاحب مجمع البحرين وابن الاثير روى بالمهملة والمعجمة وهما متقاربان أى قليل لحم العقب وهو بفتح العين المهملة وكسر القاف مؤخر القدم (قال شعبة) المذكور فى السند (قلت لسماك) شيخه (ماضليع الفم قال عظيم الفم) علي هذا الاكثرون وقيل عظيم الاسنان كما تقدم (قلت ماأشكل العين قال طويل شق العين) بفتح الشين المعجمة قال عياض هذا وهم من سماك والصواب ماتفق عليه العلماء وجميع أصحاب الغريب من ان الشكلة حمرة فى بياض العين وهو محمود عند العرب جدا والشهلة بالهاء حمرة فى سوادها (قلت مامنهوس العقب قال قليل لحم العقب) فى القاموس المنهوس من الرجال قليل اللحم منهم قال المصنف (حدثنا هناد بن السرى نا عبثر) بعين مهملة مفتوحة ثم باء موحدة ثم ثاء مثلثة مفتوحة ثم راء (ابن القاسم) الزبيدى بالتصغير (عن أشعث يعنى) هو من كلام المؤلف أو هناد او عبثر (ابن سوار) ولم نقل أشعث بن سوار محافظة علي لفظ الشيخ من غير زيادة وهذا دأبهم في رعاية الامانة كما تقدم وسوار بتشديد الواو روى لاشعث هذا مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وأخرج البخاري حديثه فى التاريخ فقول العصام انه ضعيف غير صحيح (عن أبي اسحق عن جابر ابن سمرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة) بالتنوين (اضحيان) بالتنوين أيضا وهو صفة ليلة أى مقمرة وانما صرف مع زيادة الالف والنون لانه ليس على وزن فعلان وانما جرد من التاء مع انه جار علي مؤنث لتأويل الليلة بالليل أولأنه من الاوصاف الخاصة بالمؤنث كطالق وحائض وفى الفائق انه يقال ليلة اضحيان وليلة اضحيانة وهى المقمرة من أولها الى آخرها ولاشك ان نور القمر فى هذه الليلة أعم وحسنه أتم (وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو عندى) انما زاد قوله عندى لبيان الواقع والافتخار باعتقاده لا للاحتراز عن غيره فانه كذلك عند كل مسلم رآه بنور النبوة خلافا لعمى البصائر كما أخبر عنهم عز وجل بقوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون أى جمالك وكمالك لنقصان بصائرهم كالخفاش لم يقدر على النظر لجرم الشمس من غير جرم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

(وبدت فى رضاعه معجزات
ليس فيها عن العيون خفاء
اذ أبته ليتمه مرضعات
قلن مافى اليتيم عنا غناء
فاتته من آل سعد فتاة
قد أبتها لفقرها الرضعاء)

قال فى المواهب قد ذكروا انه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التى لايوجد لمثلها قيمة قالت الطيور نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمة قالت الوحوش نحن أولى بذلك لنال شرفه وتعظيمه فنادى لسان القدرة ان ياجميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب فى سابق حكمته القديمة ان نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة قالت حليمة فيما رواه ابن اسحق وابن راهويه وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى وأبو نعيم قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء فى سنة شهباء فقدمت علي اتان لى ومعى صبى لنا وشارف لنا والله ماتبض بقطرة لبن وماننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذلك لايجد فى ثدي مايغنيه ولافى شارفنا مايغذيه فقدمنا مكة فوالله ماعلمت منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل يتيم فوالله مابقى من صواحبى امرأة الا أخذت رضيعا غيرى فلما لم أجد غيره قلت لزوجى والله انى لاكره ان ارجع من بين صواحبى ليس معى رضيع لأنطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقد علي قفاه يغط فاشفقت ان أوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الى فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر فدنوت منه رويدا فقبلته بين عينيه وأعطيته ثدي الايمن فأقبل عليه بما شاء من اللبن

(أحسن من القمر) لان حسن القمر ونوره وحسن كل حسن فى الوجود انما هو مستمد ومقتبس من حسنه ونوره صلى الله عليه وسلم فحسنه صلى الله عليه وسلم هو المشهود فى كل حسن ونوره صلى الله عليه وسلم هو المشهود فى جميع الانوار من شمس وقمر ونجوم وغيرها فصار كل من الشمس والقمر والنجم مظهرا ومجلى لنوره صلى الله عليه وسلم قال شيخنا المحقق فى شرح همزيته فعلى المحب ان يشهد جماله صلى الله عليه وسلم فى كل جميل عند رؤيته له فيذكره معظما بقلبه ويتبع ذلك بذكر لسانه وقد شاهدت بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى اذا رأى شيأ حسنا أو وقع فى قلبه معنى حسن بادر الى قوله الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ثم ذكر لى ان هذا المعنى بالقياس على ما اشتهر بين الناس عند رؤية الورد والزهر ونحوهما وشم ذلك فيثبت له ثواب الذكر اللسانى والقلبى ويفوز باستعمال تلك اللحظة فى خدمته صلى الله عليه وسلم بل وشهوده اه ومن ثم قال بعض العارفين ينبغى لمن زار ولى من أولياء الله تعالى ان يستحضر استمداده من حضرته صلى الله عليه وسلم فيكون بذلك زائرا له صلى الله عليه وسلم وقد روى ابن المبارك وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يقم مع شمس قط الا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج اه ولهذا لم يظهر له صلى الله عليه وسلم ظل فقد ذكر ابن سبع فى الشفاء ونقله القاضى عياض فى الشفاء انه لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر ويوجه ذلك أيضا بحفظ ظله الذى هو مثال صورته فى القدر عن الامتداد على الارض اجلالا أو لأن الظل المرتسم معرض للارتسام على الاماكن القذرة ولوطء المارين عليه وبأن الظل ملزوم للظلمة فى الجملة بالنسبة الى النور اذ هو حجاب له وهو صلى الله عليه وسلم النور المنير فلا تظهر منه ظلمة وبان الشمس والقمر منه ظهرا وعنه نشآ فلا يستران به اذا المظهر للشىء يمتنع ان يكون ساترا لما أظهره ولا يقال كيف يتأتى هذا مع انه صلى الله عليه وسلم بشر كما نطق به القرآن لانا نقول ليست بشريته كبشرية غيره فهو بشر ليس كالبشر كما ان الياقوت حجر ليس كالحجر كما قال أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فهو مع بشريته نور ولذلك سمى نورا قاله شيخنا المحقق فى شرح همزيته وفى حديث عمر رضى الله عنه يا عمر بن الخطاب أتدرى من أنا انا الذى خلق الله عز وجل أول كل شىء نورى فسجد له فبقى فى سجوده سبعمائة عام فاول كل شىء سجد له نورى ولا تخر يا عمر أتدرى من أنا أنا الذى خلق الله العرش من نورى والكرسى من نورى واللوح والقلم من نورى والشمس والقمر من نورى ونور الابصار من نورى والعقل الذى فى رؤس الخلائق من نورى ونور المعرفة فى قلوب المؤمنين من نورى ولا فخر اه فالانوار والاضواء كلها من نوره خلقت وبه استنارت فهى الفروع وهو الاصل ولا نسبة للفروع بالاصول فاهل الحسن وأرباب الجمال اذا تجلى بينهم جمال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبرز عليهم حسنه ظهر بكمال حسنه نقص حسنهم وتبين بارتفاع جماله انحطاط جمالهم ويرحم الله القائل فى مدحه صلى الله عليه وسلم

ضرب من التساهل والعجز والاعراض وعاقبته الحرمان ومن أمعن وتأمل وغاص على الحقائق واعتنى بما فى طى الظواهر من السرائر انقشع عنه سحابها وتجلى له لبابها ومن نظر الى الاشياء بالتفصيل عثر على سواء السبيل ووصل الى التحقيق بالبرهان والدليل فغير حليمة من النسوة سلك المسلك الاول فجعل بينهن وبين الكنز طلسم الوهم الذى ليس عليه معول وهى سلكت المسلك الثانى فانجلت لقلبها الطائف معدن المعانى وحصل لها الجمع بين الباقى والفانى * ثم نقول جرت عادة الله تعالى بأن مجرد الطمع فى العرض الزائل عاقبته الحرمان والزهد فى الخير وعدم الاعتناء بالاحسان نتيجته الندم والخسران فالعاقل يصحب حظوظه حقوقا لتنغمر فيها وتؤمن غائلتها بمصاحبتها ولا يخليها من قصد صحيح ووجه حسن مليح حتى لا يكون من المتصرفين بمجرد الشهوة والهوى وناقص العقل يعتمد شهوته ويجعل طمعه عمدته غير ملتفت الى فوائد الخير ونتائج الاحسان ولا يراعى مقتضى الرحمة ومجازاة الرحمن فحليمة رضى الله عنها سلكت المسلك السابق فلاحت لها الحقائق وأثمرت لها الحدائق وغيرها سلك المسلك اللائق فبقى قاصرا عما وصلت اليه منقطعا غير لاحق ثم نقول جرت عادة الله بان الشىء العزيز بهرت لا ينجلى لكل أحد ابتداء لان الابتذال ينافى العزة وانما ينجلى لمن صدق فى طلبه بالعزم الجازم وهو مدة العزم قبل الوصول منحجب عن الخصوصية فاذا استمر عزمه الى ان وصل اليه فحينئذ تتجلى له خصوصيته ليكون مطلوبا مرادا وتحصل ثمرته على غرة وفجأة من غير ترتب على استعداد ولا انقياد الى محاولة وعلاج فلو تجلت خصوصيته صلى الله عليه وسلم للنسوة ابتداء لتسابقن اليه ولتقاتلن عليه

لكن ليس المحب من يبذل له انما المحب من يبذل فيصل ويظفر ثم تقول كانت حليمة رضى الله عنها أفقر تلك النسوة واحوجهن فتحاماها أهل الرضعاء ولم يدفعوا لها صبيانهم من أجل فقرها فانهزم بذلك قلبها وانكسرت نفسها فجبر الله كسرها وصدعها وأمن روعها ايذانا بان فضله لا ينال بجاه ولا يتوصل اليه بعز ولا نحوة ولا يتغلب عليه بحول ولا قوة بل يؤتيه من يشاء من الفقراء والضعفاء لما لهم من وصف الانكسار ومعنى الاضطرار وبذلك يظهر باهر قدرته وغالب (٣٧) مشيئته حيث يرفع النازل ويظهر الخامل

بهرت بالحسن أهل الحسن فانبهروا * حتى كأنهم فى الحى ما ظهروا
وصرت قطب جمال فاستمد سنى * من وجهك النير ان الشمس والقمر

وما أحسن قول حسان رضى الله عنه فى وصفه صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه ورجع الى قومه فقالوا له صف لنا ما رأيت وبذلوا له مالا على أن يهجوه بما يناسب بغضهم فيه

لما نظرت الى انواره سطعت * وضعت من خيفتى كفى على بصري
خوفا على بصرى من حسن صورته * فلست أنظره الا على قدر
الأنوار من نوره فى نوره غرقت ٢ * والوجه مثل طلوع الشمس والقمر
روح من النور فى جسم من القمر * كحلة نسجت فى الانجم الزهر

فقالوا له ماهذا فقال هذا الذي رأيت وعار على الرجل أن يصف الكذب * قال المصنف نفعنا الله به (حدثنا سفيان بن وكيع ناحميد بن عبد الرحمن الرؤاسى) بضم الراء بعدها همزة ويجوز ابدالها واوا (عن زهير) بن محمد التيمى ضعف لعدم استقامة رواية أهل الشام عنه قال ابو حاتم حدث بالشام من حفظه فكثر غلطه وأما زهير بن حرب بن شداد فثقة ثبت روي عنه مسلم اكثر من الف حديث وأخرج حديثه البخارى وابو داود والنسائي وابن ماجه ولم يدرك أبا اسحق قاله فى جمع الوسائل نقلا عن العصام ثم رأيت فى صحيح البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير عن ابي اسحق الخ الحديث فقال ابن حجر زهير بن معاوية ثقة فانظر تمامه فيه فمراد المصنف هنا زهير بن معاوية كما فى ابن حجر لا زهير بن محمد لانه ضعيف خلافا للعصام ولا زهير بن حرب لانه لم يدرك أبا اسحق فاعرف ذلك (عن ابي اسحق قال سأل رجل البراء بن عازب اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف) اى فى البريق واللمعان (قال) أى البراء (لا بل مثل القمر) بالنصب خبر لكان المقدرة وقد تقدم ان هذا من التمثيل باحسن مايعرف فى الوجود وليس على حقيقة التشبيه الذى يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم فان نوره صلى الله عليه وسلم ابهى وابهر من نور الشمس والقمر ويحتمل أن يكون المعنى لم يكن مثل السيف بل لم يكن مثل القمر بل كان احسن كما تقدم فى قول جابر فلهو عندي احسن من القمر لكن فى بعض النسخ برفع مثل وقد ورد فى مسلم عن جابر بن سمرة ان رجلا قال له اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا * قال المصنف رحمه الله تعالى (حدثنا ابو داود المصاحفى) نسبة الى المصاحف جمع مصحف بتثليث الميم اي كاتبه او بائعه (سليمان بن سلم) بفتح فسكون (نا النضر بن شميل عن صالح بن ابي الاخضر عن ابن شهاب) هو ابو بكر محمد بن مسلم الزهرى فقيه حافظ تابعى صغير متفق على جلالته واتقانه منسوب الى زهرة بن كلاب (عن ابى سلمة) بن عبد الرحمن بن عوف اسمه عبد الله او ابراهيم (عن أبى هريرة) اسمه على الاصح عبد الرحمن بن صخر الدوسى وفيه اربعون قولا

(٢) قوله الانوار بدرج الهمزتين للوزن كما لا يخفى

وعند ذلك تبطل دعاوي المدعين ويستبين عجزهم وفقرهم الى رب العالمين ثم تقول أيضا ان السيدة حليمة لم يعرض عليها النبي صلى الله عليه وسلم ولا طلبته هى اولا وغيرها عرض عليه فاباه طلبا لعرض الدنيا والجاه فحصل له الحرمان والابعاد وهى رضى الله عنها رضيت بما لم يرض به أهل الغنى فازيح به عنها الشقاء والعنا وكانت فى القضية اشارة منه صلى الله عليه وسلم الى الزهد فى الدنيا والاعراض عن أهلها وحب الفقراء والانحياش اليهم ومواساتهم * (تنبيهات) * الاول توفى أبوه صلى الله عليه وسلم وهو ابن شهرين قاله ابن أبى خيثمة وقيل وهو ابن سبعة أشهر وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا وقيل بعد حمل أمه به بشهرين وهو الراجح المشهور وكان عبد الله قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم بالشام ومروا بالمدينة فتخلف عند أخواله بنى عدى بن النجار فاقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم اصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث اليه الحرث فوجده قد توفى ودفن فى دار التابعة وتوفيت أمه صلى الله عليه وسلم وعمره ست سنين ومائة يوم كما اسنده ابن سعد عن جمع وذكره ابن عبد البر واقتصر عليه بن فارس ويذكر عن ابن عباس لما توفى ابوه صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة الهنا وسيدنا بقى نبيك يتيما فقال الله عز وجل انا حافظه وناصره وقيل لمولانا جعفر الصادق لم يتم النبى صلى الله عليه وسلم من ابويه قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق اه ومما قيل فى قوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوي وان كان خلاف الظاهر انه من قولهم درة يتيمة قال فى الكشاف والمعنى الم يجدك وحيدا فى قريش عديم النظير اه واختار شيخ شيوخنا ابن زكري رحمه الله ان يتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ارهاص (١) وتأسيس ذلك انه نشا نشأة كاملة تامة من جهة التخلي عن كل نقيصة وبراءة الساحة من كل عيب وتقدس الجناب من كل مايستقبح ومن جهة التحلي بفضائل الصفات وسنى الحالات وأكمل الكمالات وليس ذلك من شان الايتام الذين ليس لهم أب ولا أم فكان في ذلك آيات وعبر وعلامات تطابق (٣٨) مشهور الخبر تنزل علي أوصافه في الكتب القديمة وتحقق انه لبنة التمام والدرة اليتيمة وقول سيدنا جعفر رضى الله عنه لئلا يكون عليه حق لمخلوق أى حق لازم فى جل الاوقات لايكافأ لعظمه فلاينتقض بحق من كفله لانه يكافأ وقد كانت بركاته صلى الله عليه وسلم ظاهرة علي كافليه فكانوا هم الذين يرغبون فى كفالته وقربه لماشاهدوا من كراماته وخيراته والحاصل أن المراد أن تكون يده العليا علي كل احد وأن يكون كل احد يخضع له ويتادب معه فلم يناسب ذلك وجود الابوين (التنبيه الثانى) السيدة حليمة هى بنت أبى ذؤيب واسمه عبدالله بن الحرث يقال لها السعدية نسبة الى جدها سعد واسم زوجها الحرث بن عبدالعزى وكانت حليمة وسيطة في بنى سعد كريمة من كرام قومها اجتباها الله لرضاع نبيه كما اختاره من أشرف البطون والاصلاب قال ابن الجوزي وابن المنذر وعياض وغيرهم وقد قدمت علي المصطفى بعد النبوة فاسلمت وأسلم زوجها قال في الاستيعاب وروى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال جاءت حليمة بنت عبد الله ام النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقام اليها وبسط لها رداءه فجلست عليه روت عن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنها عبدالله بن جعفر اه وصحح ابن حبان وغيره اسلامها واسلام ابنتها الشماء منصوب

(٢) وذكر بعضهم انها أسلمت هى وزوجها وبنوها وذكرها الرعينى فى الصحابة عن الطبرانى وابى عمر وابى نعيم وابن منده وكذا ذكرها فيهم ابن الجوزى وروى يونس بن بكير عن ابن اسحق عن ابيه عن رجال من بنى سعد بن بكر ان الحرث بن عبدالعزى زوج

(قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ) أى صنع (من فضة) باعتبار ما كان في بياضه من النور والاضاءة فلاينافى انه كان مشربا بحمرة كامر (رجل الشعر) قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا الليث بن سعد) امام في الفقه والحديث قال الشافعى انه كان أفقه من مالك الا أنه ضيع فقهه أصحابه (عن أبى الزبير عن جابر بن عبدالله) أحد المكثرين رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علي الانبياء) بالمعنى الاعم الشامل للرسل والمذكورون فى الحديث كلهم رسل وكان هذا العرض ليلة الاسراء أوفى المنام قال فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر والمرئى علي الاول صورهم الحقيقية التى كانوا عليها فى حياتهم لانه ثبت ان الانبياء أحياء وعلي الثانى فالمرئي أمثلة صورهم والله أعلم قال فى جمع الوسائل وفي قوله عرض علي الانبياء ولم يقل عرضت علي الانبياء ايماء الى فضيلته صلى الله عليه وسلم وان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالحشم له والعسكر يعرض علي السلطان دون العكس ولهذا قال بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم بمنزلة القلب فى الجيش والانبياء مقدمته والاولياء ساقته والملائكة يمنة ويسرة متظاهرين متعاونين والشياطين قطاع الطريق فى الدين اه فالنبي صلى الله عليه وسلم هو قطب الدائرة وعليه المدار وهو سند الكل وعمدة الجميع ويرحم الله سيدى علي بن وفا حيث قال

عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم أعين هو نورها لما ورد

وكما ان نور العين المعبر عنه بانسان العين وبذباب العين هو سر العين وزينتها وفائدة وجودها وبه يتوصل الجسد الى منافعه ويهتدى الى مراشده ولولا هو لم يكن للعين ابصار ولكان الجسد صورة بلا روح وشبحا بلامعنى لان الاعمي ميت وان لم يقبر كذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو روح اولئك العيون وحياتها وسر وجودها ولولاه لم يكن لها نور ولا دلالة بل لذهبت وتلاشت بل لم يكن لها وجود كما قال القطب مولانا عبدالسلام بن مشيش ولاشيء الا وهو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط (فاذا موسى) عليه السلام (ضرب من الرجال) أى متوسط بين الخفة والسمن (كأنه من رجال شنوأة) بضم الشين المعجمة وضبطه العصام بفتحها وعبارة القاموس محتملة اسم قبيلة معروفة من اليمن ومنه أزد شنوأة وهم متوسطون بين الخفة والسمن قال فى جمع الوسائل والظاهر أن المراد تشبيه صورته بهم لا تأكيد خفة اللحم لان الافادة خير من الاعادة وفى رواية البخارى مضطرب كأنه الخ ومعناه طويل وفى رواية وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط اه والزط جنس من السودان طوال الاجساد مع نحافة ومعنى جسيم كما قال عياض طويل الجسم فلاينافى ما تقدم من أنه ضرب من الرجال فلعل التشبيه فى قوله كأنه من رجال شنوأة فى الطول فيكون غيره قوله ضرب الخ وكأنه شبه بغير معين بخلاف من بعده لعدم تشخصه وتعينه في خاطره أو فى نظرهم (ورأيت عيسى بن مريم) عليهما السلام (فاذا أقرب من رأيت) أى ابصرت (به) متعلق بقوله (شبها)

(١) من الرهص بكسر الراء وهو أساس الحائط ويطلق علي ماهو تأسيس لقاعدة النبوة (٢) بهذا كله يرد ماوقع لابن السبكى فى اواخر الطبقات من انكار اسلامها والرد علي ابن عبدالبر اه من خط المؤلف بواسطة ويرد ايضا علي الدمياطى وابي حيان

حليمة أباه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة قدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلم وحسن اسلامه فقالت له قريش الا تسمع مايقول ابنك هذا قال مايقول قالوا يزعم ان الله عز وجل يبعث بعد الموت الحديث وفيه فصدقه الحرث اه قال المناوى وفي كونها حليمة السعدية من الفال الحسن والبشارة العظمى بحصول غاية الحلم والسعد لهذا الرضيع مالايخفى عظيم وقعه وقد كان المصطفى يحب الفأل الحسن اه قلت الظاهر ان اسمها فأل له عليه الصلاة والسلام (٣٩) ونسبتها فال لما لانها سعدت به (التنبيه الثالث) لما قال ابن اسحق فالتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء اعترضه النسابة عبدالملك بن هشام بأن الصواب المراضع كما قال الله عز وجل وحرمنا عليه المراضع قال السهيلي في الروض والذى قاله ابن هشام ظاهر لان المراضع جمع مرضع والرضعاء جمع رضيع ولكن لرواية ابن اسحق مخرج من وجهين أحدهما حذف المضاف كأنه قال ذوات الرضعاء والثانى ان يكون أراد بالرضعاء الاطفال علي حقيقة اللفظ لانهم اذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعا يرضع معه ولا بعد في ان يقال التمسوا له رضيعا عاما بأن الرضيع لابد له من مرضع اه فكلام الناظم يؤول بالوجه الاول (التنبيه الرابع) قال السهيلي فى الروض التماس الاجر علي الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر نساء العرب حتى جرى المثل تجوع الحرة ولا تأكل بثديها وكان عند بعضهن لا بأس به فقد كانت حليمة وسيطة فى بنى سعد كريمة من كرائم قومها بدليل اختيار الله اياها لرضاع نبيه عليه السلام كما اختار له أشرف البطون والاصلاب والرضاع كالنسب لانه يغير الطباع * وفى المسند عن عائشة ترفعه لاتسترضعوا الحمقاء فان اللبن يورث ويحتمل ان تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضعاء اضطراراً للازمة التى أصابتهم والسنة الشهباء التى أقحمتهم وأما دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم الى المراضع فلوجهين أحدهما تفريغ النساء الى الازواج الثانى لينشأ الطفل فى الاعراب فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه وقد قال عليه السلام لابى بكر حين قال له ما رأيت أفصح منك يارسول الله فقال وما يمنعنى وأنا من قريش

منصوب علي التمييز من نسبة أقرب الى المضاف اليه بين به أن المراد القرب بحسب الصورة (عروة بن مسعود) الثقفى خبر أقرب وعروة بن مسعود هذا هو أحد الرجلين اللذين قيل فيهما لولا نزل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم وكان بالطائف والرجل الآخر هو الوليد بن المغيرة وكان بمكة شهد عروة صلح الحديبية كافرا ثم أسلم سنة تسع من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف واستأذنه فى الرجوع فرجع فدعا قومه الى الاسلام فأبوا ورماه واحد منهم بسهم فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه خبره مثل عروة مثل صاحب يس دعا قومه الي الله فقتلوه وكانه صلى الله عليه وسلم لم يضبط لهم حلية ابن مسعود اكتفاء بعلم المخاطبين لكن فى صحيح البخارى ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس يعنى الحمام وفيه أيضاً فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر (ورأيت ابراهيم) عليه السلام (فاذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم يعنى نفسه) من كلام جابر أو من دونه قال فى جمع الوسائل ويبعد أن يكون من كلام المصنف لكونه بصيغة الغائب (ورأيت) عطف علي رأيت (جبريل) عليه السلام عده من الانبياء لكثرة اختلاطه معهم فى تبليغ الوحى اليهم تغليبا ولانه يطلق عليه رسول لقوله تعالي الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ولا يضر اصطلاح الشرع ان الرسول انسان اوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه ويبعد عطفه على قوله عرض علي الانبياء فيكون من عطف قصة علي أخرى (فاذا أقرب من رأيت به شبها دحية) أكثر أهل الحديث واللغة انه بكسر الدال المهملة وقال ابن ماكولا فى الاكمال بفتح الدال وهو ابن خليفة الكلبى من كبار الصحابة لم يشهد بدرا وشهد ما بعدها من المشاهد وبايع تحت الشجرة وهو ممن يضرب به المثل فى الحسن والجمال نزل الشام وبقى الي أيام معاوية وفى الصحيحين كان جبريل يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورته أى غالبا والسر فى ذلك ان العرب كانت فى الجاهلية تبعثه الى الملوك والنبى صلى الله عليه وسلم أعظم الملوك فكان يأتيه جبريل فى صورته جريا علي عادتهم وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل علي صورته العظمية التى خلقه الله عليها مرتين فرآه وهو بغار حراء قد سد الافق له ستمائة جناح ورآه عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء قال فى جمع الوسائل ولعل وجه تخصيص هؤلاء الرسل الثلاثة من بين الانبياء ان ابراهيم جد العرب والعجم وهو مقبول عند جميع الطوائف وموسى وعيسى رسولا بنى اسرائيل من اليهود والنصارى ويستفاد من الحديث أنه ينبغى تبليغ صور العظماء الي من لم يرهم فان فى احضار صورهم بركة كافى ملاقاتهم وفيه مزيد حث علي ضبط خلقه صلى الله عليه وسلم اه قال ابن حجر وفيه جواز تشبيه الانبياء والملائكة بغيرهم ووجه مناسبته للترجمة دلالته علي أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان أشبه الناس بأبيه ابراهيم * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع ومحمد بن بشار والمعنى واحد قالا حدثنا يزيد بن هرون) أحد المشهورين بالحديث والفقه سمع كثيرا من التابعين قال يحيي بن أبى طالب سمعت يزيد بن هرون فى مجلسه ببغداد وكان يقال ان فى المجلس

وأرضعت فى بنى سعد اه بخ (أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها لبانهن الشاء أصبحت شولا عجافا وأمست * ما بها شائل ولا عجفاء

أخصب العيش عندها بعد محل * اذ غذا اللبني منها غذاء) اللبان بكسر اللام هو لبن الرضاع خاصة فاستعماله ثانيا
في مطلقه للمشاكلة والشاء جمع شاة وانما سقتهم مع ذلك المحل لانها ببركة النبي صلى الله عليه وسلم أصبحت شولا فهو تعليل لقوله فسقتها
الخ أوحال من الشاء باعتبار صورته أوصفة له بمراعاة أل الجنسية على حد * ولقد أمر على اللئيم يسبني * وشولا بالتشديد جمع شائل
وهو في الاصل الناقة التي تشول بذنبها للقاح (٤٠) ولا لبن بها فاستعماله في الشاة مجاز علاقته المشابهة والعجاف المهزيلات
وأمست أي صارت اذ ليس المراد بالاصباح والامساء حقيقتهما وانما المراد انها كانت على حال فاعتراها نقيضه في أقرب زمان وأسرعه والخصب بكسر أوله ضد الجدب أي كثر قوت الآدميين والدواب والضمير في عندها عائد على حليمة أو الشاء ويرجحه قوله منها والمحل شدة الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض وانما حصل ذلك الاخصاب وقت أو لاجل أن صار للنبي الاعظم صلى الله عليه وسلم من تلك الشاء غذاء بالمعجمة أي لبان يغذيه وفي حديث حليمة المتقدم فودع الناس بعضهم بعضا وودعت أنا أم النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبت أتاني وأخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدي فنظرت الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي وصار الناس يتعجبون مني وتقول النساء لي وهن ورائي يا ابنة أبي ذؤيب اهذه أتانك التي كنت عليها وأنت جائية معنا تخضخض مرة وترجعك أخرى فأقول تالله انها هي فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشأنا عظيما قالت فكنت أسمع أتاني تنطلق وتقول والله ان لي لشأنا ثم شانا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمعي بعد هز الى وفي ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من علي ظهري علي ظهري خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين اه ومن المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حياة الموجودات وسرها وكيمياؤها فلذا حصل للاتان من حمله ومباشرته والاتصال به شبه الحياة بعد الموت بالقوة بعد الضعف ودخول السرور بعد الغم والشبع بعد الجوع والفهم

سبعين ألفا (عن سعيد الجريري قال سمعت أبا الطفيل) اسمه عامر بن واثلة الليثي أدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وتأخرت وفاته الى سنة مائة واثنتين ولم يبق على وجه الارض صحابي غيره كذا في ابن حجر (يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وما بقي على وجه الارض) احترز به عن عيسى عليه السلام فانه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في السماء قيل وعن الخضر فانه كان حينئذ على وجه الماء (أحدر آه غيري) لانه آخر الصحابة موتا وقال العصام توفي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة على وفق اخباره صلى الله عليه وسلم في آخر حياته انه لا يبقى على رأس المائة ممن على وجه الارض أحد وقال سيدي العربي الفاسي رحمه الله آخرهم موتا أبو الطفيل في * مائة أو وعشرة وذا اصطفى
وفي قوله ومابقي الخ اشارة الى أنه أحق بأن يسئل عن وصفه صلى الله عليه وسلم لانحصار الامر فيه ولذا قال سعيد راويه (قلت صفه لي قال كان أبيض مليحا) من الملاحة بمعنى حسن اللون وقيل الملاحة بمعنى الصباحة وهي قدر زائد على حسن اللون (مقصدا) أي وسطا في جميع أحواله ومنه قوله تعالى واقصد في مشيك أي توسط فيه فليس بطويل ولا قصير ولا جسيم ولا نحيف * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا ابراهيم بن المنذر الحزامي نا عبد العزيز ابن ثابت الزهري) قال بعض الشراح الصواب ابن أبي ثابت كما حققه المحققون من علماء أسماء الرجال احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه فترك (حدثنا اسمعيل بن ابراهيم ابن أخي) بالرفع صفة لاسمعيل فيكتب بالالف (موسى بن عقبة عن موسى بن عقبة عن كريب) مولى ابن عباس (عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج النثيتين) الفلج بالتحريك فرجة بين الثنايا والرباعيات والفرق فرجة بين الثنايا فأريد بالفلج هنا الفرق بقرينة نسبته الى الثنايا فقط ذكره في النهاية وتبعوه وفي القاموس رجل مفلج الثنايا منفرجها والفلج بالتحريك تباعد مابين الاسنان وتقدم ان المدح خاص بالعليين فهما المرادهنا (اذا تكلم رؤى) لم يقل رأيت اشارة الى أن الرؤية لم تكن مختصة بأحد (كالنور) أي مثله أي شيء أبيض له صفاء يلمع وقيل الكاف زائدة للتعظيم (يخرج) أي خارجا فهو حال (من بين ثناياه) قال في جمع الوسائل تبعا لابن حجر والحديث وان كان في سنده هنا مقال الا أنه أخرجه الدارمي والطبراني وغيرهما

باب
ما جاء في خاتم النبوة

أي ماجاء من الاخبار في صفة خاتم النبوة كلونه ومقداره وتعيين محله من جسده صلى الله عليه وسلم وفي كونه من العلامات التي كان أهل الكتاب يعرفونها وتقدم في حديث علي رضي الله عنه ضبط الخاتم ومعناه في الاصل وأوجه اضافته الى النبوة وقد اختلف في وقت وضع خاتم النبوة فقيل ولد به وهو قول نقله أبو الفتح وأنكره بعضهم وروى أبو نعيم انه جعل عقب ولادته وفي الحديث مايقتضي ان وضع الخاتم كان عقب الشق بعد الرضاع قالوا وهو الاصح

بعد الجهل والنطق بعد البكم فتقدمت على القوم ليتقدم الحقيق بالتقدم وسجدت شكرا لله تعالى على تلك النعمة العظيمة التي أنعم عليها بها واعترفت بما أدركت من افضليته صلى الله عليه وسلم ونظير هذا حزن ناقته بعد موته صلى الله عليه وسلم فلم تاكل ولم تشرب حتى ماتت والقاء حماره يعفور نفسه في بئر فمات حزنا وصياح الجذع الذي كان يخطب عليه لما فارقه وسكونه لما التزمه ووضع يده المباركة عليه وميلان حراء فرحا به وهو كثير ثم قالت حليمة وجئت به رحلي فقام صاحبي تعني (٤١) زوجها الى شارفنا فاذا انها الحافل فحلب

وفي حديث أبي ذر ما يقتضي انه وضع في الشق الثاني وهو ابن عشر سنين لكن قال بعضهم هذا وضع ثان للتأكيد والاعتناء وحكمة ختمه أنه لما ملئ قلبه الشريف بالاسرار الربانية والحكم الالهية التي لا شيء أنفس منها ولا ذخيرة تساويها ولا تقار بها ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء درا وياقوتا لنفاسة ما فيه كما أشار اليه البوصيري رحمه الله في قوله

شق عن قلبه وأخرج منه * مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد أو * دع ما لم تذع له أنباء
صان اسراره الختام فلا الفض * ض ملم به ولا الافضاء

ثم اشار الى ثمرة الحكمة التي وضعت في قلبه بقوله

الف النسك والعبادة والخلـ * ـوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلبا * نشطت للعبادة الاعضاء

قال المصنف (حدثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد نا حاتم بن اسمعيل عن الجعد بن عبد الرحمن قال سمعت السائب بن يزيد) يكنى أبا يزيد الكندي ولد في السنة الثانية من الهجرة حضر حجة الوداع مع أبيه ومات سنة ثمانين (يقول ذهبت بي خالتي) قال العسقلاني لم أقف على اسم خالته وأما أمه فاسمها علبة بضم العين المهملة وسكون اللام بعدها موحدة بنت شريح أخت مخرمة ابن شريح (الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابن أختي وجع) بفتح الواو وكسر الجيم اى ذو وجع بفتح الواو وهو الالم وكان ذلك في لحم قدمه بدليل انه وقع في البخاري في أكثر الروايات وقع بالقاف المكسورة بدل الجيم والوقع بالتحريك هو وجع لحم القدم لكن قوله (فمسح رأسي) يقتضي ان مرضه كان برأسه وقد يقال انما مسح الرأس لانه رئيس الاعضاء فآثره لانه اشرف ويحتمل غير هذا (ودعا لي بالبركة) النماء والزيادة في العمر بدلالة المقام أو في غيره معه او وحده وقد أخرج ابن سعد من طريق عطاء مولى السائب انه صلى الله عليه وسلم قال في حقه بارك الله فيك فاستجيب دعاؤه صلى الله عليه وسلم في حقه روي عن الجعد راويه انه قال رأيت ابن يزيد وهو ابن اربع وتسعين حولا معتدلا وقال قد علمت أني ما تمتعت بسمعي وبصري الا ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على غاية تلطفه مع صحبه وكمال شفقته عليهم وعلي تقدس ذاته عن الكبر والخيلاء والترفع (وتوضأ) اى قصداً او اتفاقا (فشربت من وضوئه) الرواية بفتح الواو اى ماء وضوئه قال ابن حجر وهو ما اعد للوضوء او ما فضل عنه او ما استعمله فيه اه والاول بعيد بدليل فاء التعقيب ولهذا اقتصر البيضاوي علي الاحتمالين الاخيرين وفيه دليل على طهارة فضلة الوضوء والمستعمل فيه قال ابن مخلص وفيه انهم كانوا يقصدون بركة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يصيبهم من الامراض ويستشفون ببركة لمس يده المباركة وبالشرب من بقية وضوئه فيجدون الشفاء في ذلك (وقمت خلف ظهره) قصدا أو اتفاقا (فنظرت الى الخاتم) لانكشاف محله أو لكشفه صلى الله عليه وسلم له ليراه (بين

ماشرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبي يا حليمة والله انى لأراك قد أخذت نسمة مباركة ألم ترى ما بتنا فيه الليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا قالت ثم قدمنا منازل بني سعد ولا أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها وكانت غنمي تروح علي حين قدمت به شباعا لبنا فنحلبها ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعاتهم اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح أغنامي شباعا لبنا قالت فقال أهل القرية يا حليمة ان هذا المولود الذي عندك علي وجهه نور فلو أخذتيه معنا حتى نستسقي به الغيث قالت فاخرجته لهم فأخذوه وحملوه على أيديهم وخرجوا الى ظاهر البلد فدعوا الله به واذا السحاب قد جاءت بالغيث حتى خفنا الغرق اه أي فبسببه صلى الله عليه وسلم حصلت الخيرات وتزايدت البركات للسيدة حليمة ثم لعظم قدره صلى الله عليه وسلم عم الخير جميع بني سعد ولذا قال في المواهب فلله درها من بركة كثرت بها مواشي حليمة ونمت وارتفع قدرها وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز

لقد بلغت بالهاشمي حليمة * مقاما علا في ذروة العز والمجد

منه بالحسنى وزيادة ولله در القائل

وزادت مواشيها وأخصب ربعها * وقد عم هذا السعد كل بني سعد

(يا لهامنة لقد ضوعف الاجـ * ـر عليها من جنسها والجزاء)

يا لها كلمة تعجب من هذه الفعلة الجميلة من حليمة وهي ارضاعها له صلى الله عليه وسلم من غير مقابل دنيوي ترجوه والعرب اذا استعظمت شيأ نادته علي سبيل التعجب وهو من مجاز التشبيه شبه ما يتعجب منه لعظمته بمنادى يسمع ويعقل والتقدير يا متعجبا تأمل ما استقر

لها ومنة تمييز أى نعمة منها عليه واللام فى لقد للقسم وتضعيف الاجر كثرة الثواب أي توالى وتتابع حال كونه مستوليا علي حليمة فالاستعلاء مجازي أو على للتعليل علي حد قوله تعالى لتكبروا الله على ما هداكم وقوله من جنسها حال من الاجر وعطف الجزاء علي الاجر من عطف المرادف والمعنى انها لما تكرمت على أكرم الخلق وجادت على أجود الموجودات جوزيت بما لا نسبة لعطائها له من صنف عطائها وهو لبن شائها ونوعه

وهو تيسر قوتها وقوت زوجها وعيالها وزوال أثر الجدب عنهم بل وعن قبيلتها

(واذا سخر الاله أناسا
لسعيد فانهم سعداء)

أى من المقرر فى المعقول والمنقول ان الله تعالى اذا سخر أى ذلل ووفق الناس لخدمة سعيد ومحبته والقيام بشانه ومؤنته فانهم بسبب ذلك سعداء لان بركة ذلك السعيد ويمنه وبره تنسحب عليهم حتى يكون من سعداء الدنيا والآخرة لان المرء مع من أحب وان لم يعمل بعمله كما صح فى الحديث ولان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها فى عالم الارواح ائتلف في عالم الاجساد ومن أعظم أجرها وسعادتها أن تبدل عسرها الباطن اي افلاسها من الايمان والهداية واتصافها بالجهالة والغواية وظلمة القلب بران الكفر والشقاوة بحصول الايمان والمعرفة بالله تعالى وتنوير القلب بانوار اليقين والسعادة بخلفت الاضداد الاضداد وعوض عن ايام النحوس والاشكاس ايام السعود والاعياد راجع التنبيه الثانى المتقدم وفى البيت من فن البديع النوع المسمى بالكلام الجامع وهو أن يأتى الشاعر ببيت تكون جملته حكمة او موعظة أو تنبيها أو نحو ذلك من الحقائق الجارية مجري الامثال كقول ابى الطيب

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

(حبة أنبتت سنابل والعصف لديه يستشرف الضعفاء) رضى

كتفيه) الظاهر انه حال من الخاتم وهذه البينية تحتمل أن تكون حقيقية وهو الذى رجحه كثير من المحدثين وأعرضوا عن روايتى اليسرى واليمنى لتعارضهما وقال في جمع الوسائل البينية المذكورة تقريبية والا فالاصح انه كان عند أعلي كتفه الايسر قاله السهيلى لما فى خبر مسلم من حديث عبد الله بن سرجس فنظرت خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسري وفى رواية غضروف كتفه الايسر وفى رواية نغض كتفه الايسر ونغض الكتف بضم النون وتفتح وسكون المعجمة الاولى اعلاها وهو العظم الرقيق الذى علي طرفها او الذي يظهر منها عند التحرك يجيء ويذهب وهو الناغض وهو الغضروف وحكمة وضعه عند نغض كتفه الايسر انه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم قاله السهيلى وفى رواية أبى نعيم انه كان عند كتفه الايمن وهى ضعيفة وقد استفيد مما تقدم ان هذا الخاتم أثر ختم الملكين علي قلبه صلى الله عليه وسلم وقول القاضى عياض ان هذا الخاتم أثر شق الملكين بين كتفيه رده النووي بان شقهما انما كان فى صدره وأثره انما كان خطا واضحا من صدره الى مراق بطنه اه ومن ثم صح عن انس رضى الله عنه كما فى صحيح مسلم كنت أرى أثر المخيط فى صدره وتعقبه العسقلانى بان سبب التغليط فهم أن الكتفين متعلق بشق وليس كذلك بل باثر الختم لخبر أحمد وغيره انهما لما شقا صدره قال أحدهما للآخر خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة أي فلما ثبت انه ختم بين كتفيه عند شق الصدر أضاف القاضى ذلك الاثر الذى كان بين كتفيه الى الشق الذى كان فى صدره والتأم لانه وقت ظهوره فصار كانه اثره وليس مراده ان الشق نفسه وقع بين الكتفين بل الختم الذي جعل عند شق الصدر والله أعلم (فاذا هو مثل زر) بكسر الزاى والراء المشددة (الحجلة) الجمهور علي ان المراد بالحجلة بفتح الحاء والجيم بيت كالقبة له ازرار وعرا وقيل المراد بالحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها وهذا بعض ما ورد فى صفة الخاتم ويأتى للمصنف غدة حمراء مثل بيضة الحمامة ويأتى له أيضا شعرات مجتمعات ويأتى أيضا كان فى ظهره بضعة ناشزة ويأتي أيضا مثل الجمع حولها خيلان كانها الثآليل وفى بعض الاحاديث انه مثل البندقة من اللحم وفى بعضها كتينة صغيرة تضرب الى الدهمة مما يلى الفقار وهو قول عائشة رضى الله عنها قالت فلسته حين توفى فوجدته قد رفع قال العسقلاني ورواية كركبة عنز أو كشامة خضراء أو سوداء أو مكتوب فيها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سر حيث شئت فانك المنصور لم يثبت منها شيء وتصحيح ابن حبان ذلك وهم اه قال بعض العلماء وليس هذا باختلاف بل كل شبه بما سنح له وقال القاضى عياض والقرطبى ما حاصله أن الاحاديث في ذلك متقاربة متفقة علي انه شيء بارز في جسده عند كتفه الايسر قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة وما جاء مما يدل ظاهره على المخالفة كرواية بيضة النعامة ورواية مثل الجمع اذا فسر بجمع الكف يؤول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة ما ذكر لكنه أصغر منه فى قدر بيضة الحمامة ونحوها قالوا وكان خاتمه صلى الله عليه وسلم ينم اى يسطع مسكا * قال المصنف

لما قرر ما حصل للسيدة حليمة من الخصب ومن الجزاء من جنس العمل بين المضاعفة المشار اليها أي هذه الفعلة الصادرة من حليمة كحبة ووجه الشبه بينهما تضاعف الجزاء وتلك الحبة أنبتت سنابل كثيرة جمع سنبلة وهو مجتمع الحب فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ففيه اقتباس وحذف لفظ سبع ليبين ان العرب قد يذكرونها كالسبعين مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد

المعروف والواو في قوله والعصف واو الحال أي والحال ان ورق النبات لايابس يتطلع عنده الضعفاء أي حصلت تلك المضاعفة الكثيرة في تلك السنابل والحال أن الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن النبات فضلا عن الحب كما أن حليمة حصل لها ذلك الخصب وكثرة اللبن والحال أن قومها يتطلعون الى ورقة حبة أو قطرة لبن فلا يجدونه كذا قرره ابن حجر وأن المشبه به مقيد بحال الشدة وان قوله والعطف الخ من تمام المشبه به وليس (٤٣) بظاهر والذي ذكره المفسرون في الآية المشار اليها هو الانفاق مطلقا من غير تقييد بزمان الجدب وهو أبلغ من تخصيصه به وعليه فتقدير كلام الناظم حالها كحال حبة أنبتت سبع سنابل ثم نبه على انه حصل لها هذا الامر خاصا بها دون قومها اذ هم من شدة الجدب يطلبون العصف فلا يجدونه فظهرت عليها المزية واختصت باعظم الخصوصية وذلك في الابتداء لتظهر الكرامة ثم بعد ذلك عم النفع وبلغ كل مرامه ولشيخ شيوخنا ابن زكري رحمه الله سنة باعتبارها هي خضراء

وفي حق غيرها شهباء

انظر شرحه

(وأتت جده وقد فصلته
وبها من فصاله البرحاء)

أي وبعد ان انتهى رضاعه لبلوغه سنتين أتت به جده عبد المطلب والحال انها قد فصلته أي فطمته والحال انه قد لحق بها من أجل فصاله أي فطامه البرحاء أي التألم الكثير لما شاهدت من توالي الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها

(اذ أحاطت به ملائكة اللـ*ـه
فظنت بانهم قرناء)

أي أتت به وقت أو لاجل انه أحاطت أي أحدقت به ملائكة الله لاجل شق قلبه الآتي وهذا ظاهر على الرواية الآتية انهم ثلاثة وكذا على رواية أنهما اثنان لانهما أقل الجمع عند جماعه فظنت حليمة بانهم الباء زائدة قرناء أي شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه وأسرعت به الى جده لتسلم من تبعته (ورأى وجدها به ومن الوجـ * ـد لهيب تصلى به الاحشاء) ورأى جده وأمه حين ردته اليهما وجدها أي شدة محبتها له وتعلقها به فرداه معها لذلك وليسلم من وباء مكة كما يأتي في الرواية وهذا حذفه الناظم لكن سياقه يدل عليه ومن الوجد لهيب أي نار تصلى أي تحترق به الاحشاء جمع حشى وهو ما انضمت عليه الضلوع والجملة حالية مبينة

رضي الله عنه (حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني نا أيوب بن جابر عن سماك بن حرب عن جابر ابن سمرة قال رأيت الخاتم بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم غدة) بضم المعجمة وتشديد المهملة وهي قطعة اللحم المرتفعة والمراد انه شبيه بها (حمراء) اي مائلة للحمرة فلا ينافي ما في مسلم انه كان على لون جسده صلى الله عليه وسلم (مثل بيضة الحمامة) في المقدار * قال المصنف (حدثنا أبو مصعب المدني) وفي نسخة المدني وهو القياس نسبة لطيبة لانه منها وفي الصحاح النسبة لطيبة مدني ولمدينة المنصور يعني بغداد مدني ولمدائن كسرى مدائني وعلى هذا فالمدني لا يصح هنا وقال البخاري المدني من أقام بطيبة والمدني من أقام بها ثم فارقها فعلي ما ذكره يصح ذلك قاله في جمع الوسائل تبعا لابن حجر (نا يوسف بن الماجشون عن أبيه) يريد به جده الاعلى الذي نسب اليه في قوله يوسف بن الماجشون لانه يوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون (عن عاصم بن عمر بن قتادة عن جدته رميثة) صحابية لها حديثان ثانيهما في صلاة الضحى رواية عن عائشة (قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أشاء أن أقبل الخاتم الذي بين كتفيه من قربه) أي الخاتم الذي بين كتفيه ومن تعليلية (لفعلت) جواب لو وجملة الشرط وجوابه معترضة وهذا يدل على كمال مباسطتها وخصوصيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاية تواضعه وحسن معاشرته ولطف خلقه مع أمته لاسيما العجائز والمساكين (يقول) بدل اشتمال من مفعول سمعت أو حال منه (لسعد بن معاذ) أي في شأنه أو لاجله أو عنه وليست اللام للمشافهة لتحقق موت سعد وهو سيد الانصار أسلم بالمدينة بين العقبة الاولى والثانية على يد مصعب بن عمير وأسلم باسلامه بنو عبد الاشهل ودارهم أول دار أسلمت من الانصار وكان مقدما مطاعا في قومه شهد بدرا وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم في أحد ورمى بالخندق في أكحله فلم يرقأ الدم حتى مات بعد شهر وذلك في ذي القعدة سنة خمس وهو ابن سبع وثلاثين سنة ودفن بالبقيع وحضر جنازته سبعون ألف ملك وقد أهدى للمصطفى حلة حرير فجعل صحبه يتعجبون من لينها فقال أتعجبون لمناديل سعد في الجنة خير منها وألين قال المناوي فاذا كان المنديل المعد للوسخ والامتهان ألين منها فما بالك بغيره (يوم مات) ظرف ليقول فيكون من كلامها هذا هو الظاهر ويحتمل ان يكون ظرفا لقوله (اهتزله عرش الرحمن) فيكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أي تحرك العرش فرحا بلقاء الله تعالى سعدا فيكون من قبيل أحد جبل يحبنا ونحبه لاغضبا على من قتله اذ لا يناسبه قوله الرحمن نعم لو قال القهار لناسب ذلك ويحتمل ان يكون المراد حركة أهل العرش من الملائكة استبشارا بقدوم روحه أو للنزول على وجه الارض ليصلوا عليه فيكون من باب حذف المضاف كقوله تعالى واسال القرية ووقع في بعض طرق الحديث بلفظ اهتز العرش لموت سعد ففهم منه البراء رضي الله عنه ان المراد بالعرش السرير فقد روى البخاري في صحيحه هذا الحديث عن جابر وفيه فقال رجل لجابر فان البراء يقول اهتز السرير فقال جابر انه كان بين الحيين ضغائن سمعت رسول

لعظمة ذلك الوجد الذى رآه بها ويحتمل انها استئنافية فمن ابتدائية وحينئذ فهذا من ارسال المثل وهو حكمة مفيدة أى شأن الوجد أنه ينشأ عنه ذلك اللهب الذى يحرق الاحشاء وأن وجدها من هذا القبيل فمن ثم رثي لحالها واطفأ نار ذلك الوجد برده اليها

(فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لا يمل منه الثواء) هذا بدل من أتت وكرها حال أي حال كونها ذات كراهية لفراقه لما شاهدت فى اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها (٤٤) وعلى زوجها وبنيها وسائر متعلقاتها والحال انه كان عندها مقيما لا يمل منه الثواء

اى الاقامة اى لا تمل اقامته بل تحب ويرغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع المجبولة على حبه النفوس (قلت) والانسب تقديم هذا البيت على الذى قبله لارتباطه بقوله اذ أحاطت به الخ ومعنى فارقته أجمعت وعزمت على فراقه وقدمت به على جده ولما رق قلبها فى حبه رق عليها بقربه والظاهر مما ذكروه هنا انه عليه الصلاة والسلام كانت تأتيه الملائكة تتعاهده وتزوره وتؤنسه ليعتادها فرآها والداه من الرضاعة فخافا عليه منها فرداه الى أمه ثم ردته اليهما فلما وقع الشق بالفعل اشتد خوفهما فرداه وتركاه عندها فانظره

(شق عن قلبه وأخرج منه مضغة عند غسله سوداء)

قالت حليمة رضى الله عنها لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته فكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن احرص شيء على بقائه عندنا لما نرى من بركته فقلنا لامه لو تركته عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة بقرب بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه من وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه فقال أى بنى ما شأنك قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني وشقا بطنى ثم استخرجا منه شيأ فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا قال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابنى قد أصيب فانطلق نرده الي أهله قبل ان يظهر به ما نتخوف قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به مكة على أمه قالت ما ردكما به وقد كنتما

الله صلى الله عليه وسلم يقول اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ قال العسقلاني انما قال جابر ذلك اظهارا للحق فكأنه تعقب ذلك من البراء كيف قال ذلك مع أنه أوسى ثم قال وأنا وان كنت خزرجيا وكان بين الاوس والخزرج ما كان لم يمنعنى ذلك من أن أقول الحق فذكر الحديث بلفظ اهتز عرش الرحمن لكن العذر للبراء ما تقدم وقد تأوله ابن عمر أيضا بمثل ما تأوله البراء وقد صح عن ابن عمر انه رجع عن ذلك وجزم بأنه اهتز له عرش الرحمن وقد جاء حديث اهتز العرش لموت سعد عن عشرة من الصحابة قال الحاكم الاحاديث المصرحة باهتزاز عرش الرحمن مخرجة فى الصحيحين وليس لمعارضها ذكر فى الصحيح اه بالمعنى * قال المصنف (حدثنا أحمد بن عبدة الضبي وعلي بن حجر وغير واحد) ذكر منهم فيما تقدم على بن الحسين وكأن المصنف أشار بما ذكره هنا الى انه رواه عن غير الثلاثة أيضا (قالوا حدثنا عيسى بن يونس عن عمر بن عبد الله مولى غفرة قال) اى عمر المذكور (حدثنى ابراهيم بن محمد من ولد على بن أبي طالب قال) أى ابراهيم (كان علي) تقدم ان ابراهيم لم يدرك جده عليا ففيه انقطاع (اذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر) اى ابراهيم او على وهو الاقرب (الحديث بطوله وقال) أى على (بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين) المقصود من ايراده فى هذا الباب مع أنه تقدم في الباب الاول قوله بين كتفيه خاتم النبوة فانه يدل على وجود الخاتم وتعيين محله من جسده صلي الله عليه وسلم قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا أبو عاصم) الشهير بالنبيل مصغرا بالنون الموحدة من أكابر العلماء حديثه فى الصحاح الستة (نا عزرة بن ثابت ني علباء بن أحمر قال ني ابو زيد عمرو) بالواو (ابن أخطب الانصاري) صحابى جليل من الاربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا في جمع الوسائل قال فى الاستيعاب ولا يصح ذلك وأبو زيد الذى هو أحد الاربعة المذكورين هو ابو زيد الانصاري اسمه قيس بن السكن (قال قال لى رسول الله صلي الله عليه وسلم يا أبا زيد ادن منى فامسح ظهرى) أمره بذلك اما لانه أحس بشيء يؤذيه في ظهره واما لانه تفرس واطلع على انه أراد النظر الى الخاتم فاجابه صلى الله عليه وسلم الى ما أراده واستشرفت نفسه له بوجه لطيف وفيه دليل علي كمال عنايته صلى الله عليه وسلم به وفي جامع المصنف انه دعا له وفى رواية انه قال اللهم جمله قال عروة بن ثابت حفيده انه عاش مائة وعشرين سنة وليس فى رأسه ولحيته الاشعرات بيض (فمسحت ظهره فوقعت أصابعى علي الخاتم قلت) قائله علباء لابي زيد (وما الخاتم قال شعرات) أى ذو شعرات او ما فيه شعرات أو عليه شعرات (مجتمعات) وظاهره انه لم ير الخاتم بعينه فاخبر عما وصل اليه يده وهو الشعر الذى كان عليه وانما قدرنا ما قدمنا ليحصل الجمع بين الاحاديث وقد أخرج هذا الحديث ابن سعد بهذا الاسناد عن أبى رمثة قال قال لى الخ فيحتمل ان تكون رواية الترمذى أصح ويحتمل تعدد الواقعة * قال المصنف (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث الخزاعى نا على بن حسين بن واقد حدثنى ابي نى عبد الله بن بريدة قال سمعت ابي) هو صحابى سكن المدينة ثم البصرة ثم مرو وتوفى بها (بريدة) بالنصب بدل

حريصين عليه قلنا نخشى عليه الاتلاف والاحداث قالت ماذاك بكما فاصدقانى شأنكما فلم تدعناحتى أخبرناها خبره قالت اخشيتما عليه الشيطان كلا والله ماللشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن عظيم فدعاه عنكما وفى حديث شداد بن أوس عن رجل من بنى عامر عند أبى يعلى وأبى نعيم وابن عساكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا فى بنى سعد بن بكر فبينما أناذات يوم فى بطن وادمع اتراب لى من الصبيان اذا أنابرهط ثلاثة معهم طست من الذهب (٤٥) ملىء ثلجا فأخذونى من بين أصحابى وانطلق الصبيان هرابا مسرعين الى الحى فعمد أحدهم فاضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق مابين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وأنا أنظر اليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج احشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فانهم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح ثم أدخل يده فى جوفى واخرج قلبى وأنا أنظر اليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيأ فاذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبى وامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فانهضنى من مكانى انهاضا لطيفا ثم قال للاول زنه بعشرة من أمته فوزنونى فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بألف فرجحتهم فقال دعوه لو وزنتموه بامته كلها لرجحهم ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى ومابين عينى ثم قالوا ياحبيب الله لم ترع انك لوتدرى مايرادبك من الخير لقرت عينك (قال فى المواهب) والمراد بالوزن فى قوله

من أبى أوعطف بيان (يقول جاء سلمان الفارسى) هومن أصبهان ولاتعلق له بفارس الاان العرب كانوا يسمون ماتحت ملوك العجم كله فارسا واصبهان كان منها وكان من أبناء الامراء ولم يعلم اسم أبيه وسئل عن نسبه فقال انا سلمان ابن الاسلام ويقال له سلمان الحبر بالمهملة فالموحدة وهو أحد الذين اشتاقت اليهم الجنة فى الحديث ان الله ليرضى لرضا سلمان ويسخط لسخطه وان الجنة لتشتاق الى سلمان أشد من اشتياق سلمان الى الجنة وهو صحابى كبير قيل عاش مائتين وخمسين وقيل ثلثمائة وخمسين والاول اصح وقال أبو نعيم ادرك عيسى عليه السلام وعليه فعمره أكثر من ذلك وقرأ الكتابين وكان عطاؤه خمسة آلاف يفرقه ويأكل من كسب يده بعمل الخوص وله مزيد فى الزهد فانه مع طول عمره المستلزم لزيادة الحرص لم يزدد الازهدا قيل هرب من أبيه في طلب الدين القويم وكان أبوه مجوسيا فلحق براهب ثم بجماعة رهبان في القدس الشريف وكان فى صحبتهم الى وفاة أخيرهم فدله الحبر علي الحجاز وأخبره بظهور النبى صلى الله عليه وسلم فقصد الحجاز مع جمع من الاعراب فباعوه فى وادى القرى من يهودى ثم اشتراه منه يهودى آخر من قريظة فقدم به المدينة فأقام بها حتى قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الراهب قد وصف له العلامات الدالة علي النبوة فجاء (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى فى السنة الاولى من الهجرة (حين قدم المدينة بمائدة) الباء للتعدية متعلقة بجاء أو للمصاحبة يدل علي ذلك رواية فاحتملتها علي عاتق والمشهور عند أرباب اللغة ان المائدة خوان عليه طعام فاذا لم يكن عليه طعام فلا يسمى مائدة فعلى هذا قوله (عليها رطب) لتعيين ماعليها من الطعام وقال العسقلاني قد تطلق المائدة على كل مايوضع عليه الطعام ولاتختص بوصف مخصوص أى ليس بلازم ان يكون خوانا (فوضعها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال العراقى ظاهر هذا ان ماأحضره سلمان كان رطبا فقط وروى أحمد والطبرانى باسناد جيد من حديث سلمان نفسه انه قال فاحتطبت حطبا فبعته فصنعت به طعاما فأتيت به النبى صلى الله عليه وسلم وروى الطبرانى ايضا باسناد جيد فاشتريت لحم جزور بدرهم ثم طبخته فجعلت قصعة ثريد فاحتملتها علي عاتقى ثم أتيت بها ووضعتها بين يديه فلعله كان فى المائدة طعام ورطب ولعله اكتفى فى هذا الحديث بالرطب لان معظم الطعام كان رطبا (فقال ياسلمان) يحتمل أن يكون هذا أول ملاقاته وعلم اسمه بالوحى أو باخبار جبريل أو بسؤاله اياه أو باخبار بعض من حضر مجلسه الشريف ممن عرف سلمان ويحتمل ان يكون لقيه قبل ذلك وعرفه (ماهذا) أى ما الحامل لك علي الاتيان به ووضعه (فقال صدقة عليك وعلي أصحابك) مفهوم الصدقة مشعر بما لايليق بالنبى صلى الله عليه وسلم لانها تنبئ عن تذلل الآخذ والترحم عليه (فقال ارفعها فانا) معاشر الانبياء أو أنا وأقاربي من بنى هاشم دون المطلب أو والمطلب أو الضمير للعظمة (لاناكل الصدقة) ولا يصح ان يفسر ضمير المتكلم به وباصحابه اذ لم يقل أحد بتحريم الصدقة علي أصحابه قال فى جمع الوسائل والصدقة محرمة فرضها وتطوعها عليه وعلي آله صلى الله عليه وسلم

زنه بعشرة الخ الوزن الاعتبارى فيكون المراد به الرجحان فى الفضل وفائدة فعل ذلك ليعلم الرسول به فيخبر به غيره ويعتقد اذ هو من الامور الاعتقادية اه وقد ذكر ابن العربي الحاتمى فى الفتوحات حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وزنت أنا وأبو بكر فرجحته ووزن أبو بكر بالامة فرجحها اه قال فى المواهب والحكمة فى شق صدره الشريف في حال صباه واستخراج العلقة منه تطهيره من حالة الصباحتى يتصف فى سن الصبا بأوصاف الرجولية ولذلك نشأ صلى الله عليه وسلم علي أكمل الاحوال من العصمة اه

قال المناوى وتلك العلقة خلقت فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فازيلت من قلبه فلم يبق منه محل قابل لالقاء شىء منه وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم أخرجت لانها من الاجزاء الانسانية فعدمها نقص من البدن الانسانى ولان اخراجها بعد خلقها أدل علي

مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها اه (ختمته يمنى الامين وقد أو * دع ما لم تذع له أنباء)

سمى جبريل أمينا لانه أمين الله علي كتبه (٤٦) ووحيه والجملة من قوله وقد أودع حالية أي والحال ان ذلك القلب الشريف

قد اودع حالة الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار الالهية ما أى الذى أوشيا لم تذع بضم التاء وكسر الذال المعجمة أى تنشره وتخط به أنباء اى أخبار لانه لايعلمه الا مولاه المتفضل به عليه

صان أسراره الختام فلا الفض ض ملم به ولا الافضاء

صان حفظ وأسراره مفعول به أى التى أودعت فيه والختام فاعل وهو مايختم به الكتاب فبسبب هذه الصيانة لا الفض أى الكسر بالتفرقة ملم به أي واقع لذلك الختم ولا الافضاء أى الاشاعة واقعة لذلك السر بمعنى ان ذلك السر ليس له انتقال عن ذلك المحل وتقدم شاهد الختم من الحديث وحكمة الختم انه لما ملئ قلبه الشريف بالاسرار الربانية والحكم الالهية التى لاشيء أنفس منها ولا ذخيرة تساويها ولا تقاربها ختم عليه كما يختم علي الوعاء المملوء درا وياقوتا لنفاسة ما فيه والحديث السابق يقتضى ان وضع الخاتم كان عقب الشق بعد الرضاع قالوا وهو الاصح وموضعه عند نغض كتفه اليسرى علي الصحيح ونغض الكتف بضم النون ويفتح وسكون الغين المعجمة اعلاها وهو العظم الرقيق الذي علي طرفها او الذى يظهر منها عند التحرك يجيء ويذهب وحكمة وضعه عند نغض كتفه الايسر أنه معصوم من وسوسة يدعى الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم قاله السهيلى وأما صفته فقال القاضى عياض والقرطبى ما حاصله ان الاحاديث فى ذلك متقاربة وليس بينها اختلاف بل كل شبه بما سنح له واتفقوا علي انه شىء بارز فى جسده الشريف عند كتفه الايسر قدر بيضة الحمامة او زر الحجلة وما جاء مما يدل ظاهره علي المخالفة كرواية بيضة النعامة ورواية مثل الجمع اذا فسر بجمع الكف أى

فمن جعل علة التحريم انها أوساخ الناس جعلها محرمة علي آل محمد أبدا ومن جعل علة تحريمها دفع التهمة عنه انه لم يعط حق الفقراء لم يجعلها بعده محرمة عليهم واليه ذهب جماعة من متأخرى الشافعية وكذا جماعة من متأخرى أصحابنا الحنفية وبعض المالكية (قال فرفعها) أى من عنده صلى الله عليه وسلم الى أصحابه فقد روى أحمد والطبرانى أنه قال لأصحابه كلوا وأمسك وانما اكل صلى الله عليه وسلم من شاة صدقة أخذتها بريرة وقال هى صدقة علينا ولنا هدية ولم يأكل من صدقة سلمان علي أصحابه لأن مسئلة بريرة فيها تمليك ومسئلة الأصحاب انما فيها اباحة الاكل لهم فلا يصح لهم الاباحة لغيرهم قاله فى جمع الوسائل بمعناه قلت وانظر قوله انما فيها اباحة الاكل لهم دون التمليك مع انه قال صدقة عليك وعلي أصحابك فانه كالصريح فى التمليك اللهم الا أن يقال الصدقة على أصحابه انما كانت بالتبع للصدقة عليه وهو المقصود بها بخلاف صدقة بريرة فلو أكل مع أصحابه من صدقة سلمان عليهم لانعكس الحال وصار التابع متبوعا والمتبوع تابعا فى نفس الامر دون الظاهر المتبادر فكان مقتضي الاحتياط ترك الاكل بالكلية والله أعلم (فجاء) سلمان (الغد بمثله) أى بنحو ماجاء به أولا (فوضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا يا سلمان فقال هدية لك) مفهوم الهدية مشعر باكرام المهدى اليه والتحبب له والتقرب اليه ولم يقل هنا ولاصحابك اشارة الى ان القصد هو التقرب اليه من غير مشاركة لأحد معه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه) بطريق الانبساط (ابسطوا) أى أيديكم للاكل نظير لئن بسطت الى يدك أو من البسط بمعنى النشر أى انشروا الطعام فى المجلس بحيث تصل اليه يد كل أحد وانما أمرهم بهذا دفعاً لما يتوهم من انه يختص بها عنهم واشارة الى حسن الادب مع الخدم والاصحاب اظهاراً لما أعطاه الله من الخلق العظيم والكرم العميم وحديث من أهدى له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها ضعيف وعلي فرض ثبوته فالمراد بجلسائه الذين يداومون مجلسه ويعتكفون بابه ويتفقدون أموره لا كل من كان جالسا فى ذلك الوقت قاله الترمذى فى الاصول وأما ماشتهر علي الالسنة من ان الهدايا مشترك فليس للفظه أصل وان كان هو فى معنى الضعيف المتقدم وقد أتى بعض المشايخ بهدية عظيمة من دنانير أو دراهم وكان عنده فقير مسافر فقال يامولانا الهدايا مشترك فقال الشيخ الانفراد أحسن فظن الفقير أنه يريد الانفراد لنفسه فتغير حاله فقال الشيخ لك فشرع فى أخذه فعجز عن حمله وحده فاشار الشيخ الى بعض اصحابه باعانته ومن اللطائف ان الامام أبا يوسف أتى بهدية من النوع وقيل له الهدايا مشترك فقال اللام للعهد أى الهدايا من الرطب والزبيب وأمثالهما قال فى جمع الوسائل فانظر الفرق البين بين علماء الظاهر والباطن وفى بعض النسخ انشطوا بنون ثم شين معجمة من النشاط وهو قريب من الانبساط اي كونوا ذوى نشاط للاكل معى وفى نسخة انشقوا بالنون والشين المعجمة والقاف المشددة من الانشقاق بمعنى الانفراج ولعله أمرهم به ليدنوا سلمان ويقرب منه صلي الله عليه وسلم ويجلس فيما بينهم وفى الحديث قبول الهدية ممن

بضم الاصابع الى الكف علي هيئة اللاكز فيؤول علي وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه علي هيئة ماذكر لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة ونحوها وحولها شعر وخيلان جمع خال وعن جابر رضى الله عنه قال أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا اى يسطع ريحه لامتلائه بسر الله وحكمته *(تنبيهات) *الاول روى شق صدره صلي الله عليه وسلم مرة ثانية وهو ابن عشر سنين رواها أبو نعيم فى الدلائل ورواها عبد الله ابن الامام أحمد فى زوائد مسند أبيه بلفظ قال أبو هريرة يارسول الله ماأول ماابتدئت به من امر النبوة قال انى لفى صحراء واسعة أمشى ابن عشر حجيج اذا أنا برجلين فوق رأسى يقول أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأخذانى فاضجعانى ثم شقا بطنى وكان احدهما يختلف بالماء فى طست من ذهب والآخر يغسل جوفى فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدرى فيما أرى مفلوق لاأجدله وجاثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال أدخل الرحمة والرأفة قلبه فادخل شيأ كهيئة الفضة ثم ذر عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت بما لم أغد به من رحمتى للصغير ورأفتى للكبير *وثبت شق صدره الشريف مرة ثالثة عند مجيء جبريل له بالوحى وهو بغار حراء رواها أبو نعيم ولفظه ان جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قالا اقرأ باسم ربك الآيات والحكمة فيه كمال التهيؤ والتقوى علي مايليق اليه من القول الثقيل بقلب قوى في اكمل احوال التطهير * وثبت مرة رابعة ليلة الاسراء ففى البخارى وغيره انه شق قلبه بها وهو بالمسجد قبل ان يخرج به الى ركوبه البراق فشق من ثغرة نحره الى قرب عانته فاستخرج قلبه ثم غسل بطست ذهب مملوء حكمة وايمانا ثم حشى وحكمة هذا الشق التهيؤ الى الملأ الاعلى والتقوى علي استجلاء ماشاهد تلك الليلة وكونه بطست من ذهب لانه من أحوال الغيب فالتحق باحوال الآخره اه *(الثانى) *هذا الشق أبلغ في الصبر والكرامة مما وقع لاسمعيل مما هو مقدمة ذبح فى مقتل واحد وهذا فعل فى مقاتل عديدة وهى شق الصدر واخراج القلب وشقه ووقع له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق الاول نوع مشقة لرواية فاقبل وهو منتقع اللون أى صار كلون النقع أى الغبار

يدعي انها ملكه اعتمادا على مجرد ظاهر الحال من غير بحث عن باطن الامر في ذلك ولعل سلمان كان مأذونا في ذلك من مالكه قاله فى جمع الوسائل وقد يقال للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتصرف فى مال غيره بغير اذنه وفيه أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية وذلك من خصائصه اذ الحكام لايجوز لهم قبولها لانها رشوة نعم قال فى المختصر وفى هدية من اعتادها قبل الولاية قولان وجزم فى باب القرض بالجواز فى هذه الصورة وقضية ابن الاثيبة في البخارى وغيره مشهورة فانظر مافى كتاب الهبة ان شئت والله أعلم (ثم نظر الى الخاتم علي ظهر رسول الله صلي الله عليه وسلم) هذا دليل الترجمة وأتي بثم الدالة علي التراخى لما فى كتب السير أن سلمان لبث بعد ذلك ينتظر رؤية الآية الثالثة التى أخبره عنها آخر مشايخه الى ان مات واحد من نقباء الانصار فشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازته وذهب معها الي بقيع الغرقد وجلس مع اصحابه فى ذلك المكان ينتظر دفنه فجاء سلمان واستدار خلفه لينظر الى خاتم النبوة فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبره عرف انه يريد ان يستثبت شيأ وصف له فألقى الرداء عن ظهره فنظر سلمان الى الخاتم (فآمن به) بلا تراخ ومهلة لما رآى من انطباق اوصافه المذكورة فى التوراة عليه صلى الله عليه وسلم فهذا مفرع على مجموع ماسبق من الآيات الثلاث (وكان لليهود) يحتمل انه كان مشتركا بين جماعة منهم ويدل عليه قوله الآتي علي ان يغرس لهم ويحتمل انه علي تقدير مضاف أى لبعض اليهود وقد صح عن سلمان انه قال تداولنى بضعة عشر من رب الى رب كما في صحيح البخارى وكان ذلك من لطف الله سبحانه الخفى وهو اخفاء الامور فى صور اضدادها نحو ما أخفى ليوسف عليه السلام من انالة الملك فى لباس ثوب الرق حتى قال ان ربى لطيف لما يشاء فان ماوقع له رضي الله عنه كان سببا فى ملاقاته بالنبي صلى الله عليه وسلم ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم له حتى كان أحد النجباء الاربعة عشر وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت

لاتكره المكروه عند حلوله * ان العواقب لم تزل متباينه
كم نعمة لاتستقل بشكرها * لله فى طى المصائب كامنه

(فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى خلصه من رقه ولذلك يعد من موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسند أحمد عن سلمان انه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب ياسلمان فكاتبت علي ثلثمائة نخلة وأربعين أوقية ذهبا زادفى بعض الروايات وبقى الذهب فجاءه صلى الله عليه وسلم مثل البيضة من الذهب من بعض المعادن فقال صلى الله عليه وسلم لسلمان أد هذه عنك (بكذا وكذا درهما) قيل أربعون أوقية من فضة والاوقية كانت اذذاك أربعين درهما وقيل من ذهب (على ان يغرس لهم) أى لمن ملكه (نخيلا فيعمل سلمان) بالنصب عطف علي يغرس فيفيدان عمله من جملة الكتابة وتصريحه بالفاعل هنا يشعر بان فاعل يغرس هو النبي صلى الله عليه وسلم (فيه) أى النخيل وفى بعض النسخ فيها بالتأنيث والكل صحيح فى القاموس

وهو شبيه بالوان الموتى ومعنى قول من قال فشقه وماشق عليه انه صبر صبر من لم يشق عليه ومما يدل على المشقة أنه بعيد ما فطم مع انفراده عن أمه ويتمه من أبيه واختطافه من بين الاطفال ليكون ذلك تسهيلا لما يلقاه فى المآل ومن ثم لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم أحد قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وفى رواية أنه غسل ليلة الاسراء بماء زمزم أى لانه يقوي القلب ويسكن الرعب

(الثالث) أخرج البيهقى والخطيب (٤٨) عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يارسول الله دعانى الى الدخول فى

دينك أمارة لنبوتك رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير اليه باصبعك حيث أشرت اليه مال قال انى كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش والمناغاة المحادثة وقد ناغت الام صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة وفى فتح البارى عن سيرة الواقدى أنه صلى الله عليه وسلم تكلم فى أوائل ماولد وذكر ابن سبع فى الخصائص ان مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة له وأخرج البيهقى وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة تحدث انها أول مافطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم الحديث

(ألف النسك والعبادة والخلـ ـوة طفلا وهكذا النجباء)

لما فرغ من ذكر رضاعه وماوقع له عقبه من شق صدره ذكر حكم نشأته فى حال طفوليته وما بعدها مبينا أن الفه ما ذكر نتيجة ماأودعه الله فى قلبه بعد شقه من لطائف الاسرار وكمالات الانوار فقال ألف النسك الخ وعطف العبادة على النسك من عطف التفسير أى اعتادها واستمر عليها وجعلها ديدنه وشعاره حتى صار الفه بالدال والخلوة الانفراد عن الناس وطفلا منصوب على الحال فيؤخذ منه مابعده بالاحرى والجمهور على انه كان غير متعبد بشريعة من قبله وأما قوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا فالمراد بها التوحيد أو الرفق والحلم الذى لم يوجد كاملا لمن قبله الا لابراهيم وقد قال تعالى فبهداهم اقتده وروى ابن اسحق وغيره انه عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى حراء شهرا فى كل عام يتنسك فيه وكان من تنسك

النخل معروف كالنخيل ويذكر واحدته نخلة جمعها نخيل وفى القرآن نخل منقعر ونخل خاوية (حتى يطعم) بالياء والتاء أى حتى يثمر يقال أطعمت النخلة اذا أثمرت وهو بصيغة المبنى للفاعل واعلم ان فى كتب السير ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أعانوا سلمان بامره صلى الله عليه وسلم ايام باعاته فجمعوا الفسلان على قدر مقدرتهم حتى اجتمع له ثلثمائة فسيل ثم حفر سلمان لها فى أرض عينها أصحابه ولما جاء وقت الغرس أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء (فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى بيديه الكريمتين (النخل) أى جميعه (الا نخلة واحدة غرسها عمر) رضي الله عنه (فحملت النخل من عامها) أى من سنة غرسها وفى نسخة فى عامها وهى أظهر (ولم تحمل نخلة عمر فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ماشأن هذه فقال عمر يارسول الله انا غرستها) وكان عمر ماعرف ان رسول الله صلي الله عليه وسلم أراد بالغرس اظهار المعجزة بل مجرد المعاونة (فنزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرسها فحملت من عامها) فكان فى ذلك معجزتان غير ماسبق الغرس فى غير أوان الغرس والاثمار فى عامه وقد تضمن هذا الحديث قضية اسلام سلمان وماوقع فى ذلك من الآيات وقد أشار البوصيرى رحمه الله الى هذه الآيات وغيرها من الآيات التى ظهرت على يده الشريفة صلى الله عليه وسلم بقوله

درت الشاة حين مرت عليها * فلها ثروة بها ونماء
نبع الماء أثمر النخل فى عا * م بها سبحت بها الحصباء
أحيت المرملين من موت جهد * أعوز القوم فيه زاد وماء
فتغذى بالصاع ألف جياع * وتروي بالصاع ألف ظماء
ووفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعي قنا فاعتق لما * أينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما * ان عرته من ذكره العرواء
وأزالت بلمسها كل داء * أكبرته أطبة وأساء
وعيون مرت بها وهي رمد * فارتها مالم تر الزرقاء
وأعادت على قتادة عينا * فهي حتى مماته النجلاء

ولشيخنا المحقق فى همزيته

كفت السائلين قحطا وتخري * بافنها استسقاء واستصحاء
وغدا العود غصنا اذ أمسكته * يتثنى أوراقه خضراء
سبحت من جمالها وأبادت * من جلالها فى الوغى الحصباء

قال المصنف نفعنا الله تعالى به (حدثنا محمد بن بشار نا ابن الوضاح نا أبو عقيل) اسمه بشير ابن عقبة (الدورقى عن أبي نضرة) اسمه المنذر بن مالك بن قطعة بضم القاف وفتح المهملتين (قال سألت أبا سعيد) هو سعد بن مالك بن سنان الانصاري ولابيه صحبة وشهد مابعد أحد (الخدرى)

قريش في الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة والظاهر كما قاله غير واحد أن عبادته كانت الذكر والفكر مع اكثاره من الخلوة والانعزال عن الناس بحراء وغيره انظر ابن حجر وقد ذكر الصوفية رضي الله عنهم ان العزلة أحد الاركان التي هي أساس المريدين ولذا قال في الحكم ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكره وقال المناوي حبب اليه الخلوة والانفراد والنفور من المخالطة حتى في الاهل والمال والعيال بالكلية واستغرق في بحر الاذكار العلية فانقطع عن الاضداد فاستشعر حصول المراد وحصل له الانس بالخلوة فتذكر من اجل ذلك الجلوة ولم يزل ذلك الانس يتضاعف ومرآته تزداد من الصفاء والصقال حتى بلغ أقصي درجات الكمال فظهرت تباشير صبح الوحي وأشرقت وانتشرت بروق السعادة وأبرقت فكان لا يمر بشجر وحجر الا قال بلسان صحيح ونطق فصيح السلام عليك يا رسول الله فلا يرى شيأ اه قوله وهكذا النجباء أي ومثل هذا الشان العلي شأن الكرام فما بالك باكملهم وسيدهم على الاطلاق وهذا تذييل وفي البيت تشابه الاطراف

(واذا حلت الهداية قلبا
نشطت للعبادة الاعضاء)

أي انما كان هذا شأن النجباء من الانبياء ثم صالحي أممهم لما هو المستقر المعلوم انه اذا حلت الهداية وهي الوصول الى الحق كما في قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت أي لا توصله وتطلق الهداية علي الدلالة ومنه وأما ثمود فهديناهم أي دللناهم ولم نوصلهم بدليل فاستحبوا العمى علي الهدى اذ لو وصلوا ما استحبوا ذلك وانما كان اذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء لأن القلب هو

بالدال المهملة نسبة الى بني خدرة (عن خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني خاتم النبوة) قائله أبو عقيل وضمير يعني لابي نضرة (فقال كان في ظهره بضعة) بفتح موحدة وسكون معجمة وفي النهاية وقد تكسر الباء قطعة من اللحم وهو بالنصب علي انه خبر كان واسمها ضمير الخاتم وفي ظهره ظرف لغو وبالرفع على انه اسم كان وفي ظهره خبر مقدم أو على ان كان تامة وقوله (ناشزة) أي مرتفعة صفة لبضعة قال في جمع الوسائل ذكر صاحب المشكاة عن أبي رمثة قال دخلت مع أبي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعني أعالج الذي بظهرك فاني طبيب فقال أنت رفيق والله الطبيب قال الطيبي الذي في ظهره خاتم النبوة فتوهم الرائي أنها سلعة تولدت من فضلات البدن فاجابه بانه ليس مما يعالج وان كلامه يفتقر الى العلاج حيث سمى نفسه طبيبا والله هو الطبيب العالم بحقيقة الداء والدواء وأنت ترفق بالمريض في العلاج اه قال المصنف (حدثنا أحمد بن المقدام أبو الاشعث العجلي) البصري (ناحماد بن زيد) قال ابن معين ليس أحد أتقى منه وقال ابن يحيي ما رأيت أحدا أحفظ منه وقال ابن مهدي ما رأيت أعلم منه (عن عاصم الاحول عن عبد الله بن سرجس) سرجس كنرجس أو كجعفر (قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ناس من اصحابه فدرت هكذا من خلفه فعرف الذي أريد فالقى الرداء عن ظهره فرأيت موضع الخاتم) أي الطابع أو الاضافة بيانية (علي كتفيه) أي قريبا من كتفه الايسر كما مر والقول بتعدد الخاتم بعيد جدا لم يقل به أحد وقال العصام أي مشرفا على كتفيه والمقصود ان ارتفاعه يزيد على ارتفاع كتفيه وقال ابن حجر أي بين كتفيه (مثل الجمع) بضم الجيم وسكون الميم يريد مثل جمع الاصابع أي ضمها الى الكف والتشبيه في الهيئة لا في المقدار (حولها) أي الخاتم وأنث باعتبار انه قطعة لحم (خيلان) جمع خال وهو الشامة في الجسد (كأنها) أي الخيلان (الثآليل) كقناديل جمع ثؤلول وهي الحبة التي تظهر في الجسد مثل الحمصة فما دونها (فرجعت) اي من خلفه (حتى استقبلته فقلت) شكرا لالقائه الرداء حتى رأيت الخاتم (غفر الله لك يا رسول الله) الظاهر انه انشاء لا خبر بدليل قوله (فقال ولك) أي وغفر الله لك أيضا حيث استغفرت لي وهذا من مقابلة الاحسان بالاحسان ولا شك أن دعاء النبي له أفضل من دعائه حقيقة وان كان دونه صورة فلا ينافي قوله تعالي واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها والقول بان المعنى وغفر لك حيث سعيت لرؤية الخاتم بعيد قال عاصم الاحول الراوي عن عبد الله بن سرجس (فقال القوم) عند مسلم قال فقلت له أستغفر لي فاسناد القول الي القوم جميعهم في رواية المصنف علي سبيل المجاز ويحتمل ان القوم أيضا سألوه كما سأله عاصم فتارة نسب السؤال اليهم وتارة الي نفسه (استغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم) في رواية عند الطبراني هل استغفر لك الخ فقوله هنا استغفر لك استفهام بحذف حرفه ويدل أيضا على انه استفهام لا خبر قوله (فقال) أي عبد الله بن سرجس (نعم ولكم) اذ لو كان خبرا لخلا قوله نعم عن الفائدة ومقصود عاصم بهذا الاستفهام تثبيت رؤية عبد الله بن

(٧ - جسوس - اول)

رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وهذا من الكلام الجامع * قال المناوي حفظ الله نبيه صلي الله عليه وسلم في شبابه مما كان عليه الجاهلية قال ابن اسحق فيما رواه البيهقي وغيره شب المصطفى صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أدناس الجاهلية لما اراد من كرامته حتى صار أفضل قومه مروأة واحسنهم خلقا واصدقهم حديثا وأعظمهم

أمانة وأبعدهم عن الفحش والاخلاق الدنية * وأخرج أبو نعيم عن عائشة ان المصطفى صلى الله عليه وسلم قال سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب ماذبح لغير الله فماذقت شيأ ذبح علي النصب حتى اكرمني الله برسالته وأخرج ابن عساكر عن جبير بن مطعم رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وهو يقف علي بعيره بعرفة منفردا عن قومه حتى يدفع منه توفيقا من الله تعالى قال العلماء كان صلى الله عليه وسلم يدعى قبل النبوة بالامين قال ابن عباس كان يسمى بالامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وذكر ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس قال النضر بن الحرث لقريش قد كان فيكم محمد غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صدغه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ماهو ساحر وكان صلى الله عليه وسلم يتحاكم اليه فى الجاهلية قبل الاسلام لما استقر عندهم من عدله واصابة رأيه وصدقه وأمانته وظهور فصل المسائل على أتم وجه وأحسنه علي يديه بحيث يستحسن ذلك أهل العقول السليمة وتستصوبه أصحاب الآراء المستقيمة وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن داود بن الحصين قال قالوا شب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل قومه مروأة وأحسنهم خلقا وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جوارا وأحسنهم حلما وأمانة وأصدقهم حديثا وأبعدهم من الفحش والاذى ماروؤي ممار يا ولا ملاحيا أحدا حتى سماه قومه الامين (وأخرج) أبو داود وأبو يعلى وابن منده في المعرفة والخرائطى في مكارم الاخلاق عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلي الله عليه وسلم قبل أن يبعث ببيع فبقى له علي شيء فوعدته ان آتيه فى مكانه فذهبت فنسيت ذلك اليوم والغد فاتيته اليوم الثالث فوجدته فى مكانه ذلك فقال لقد شققت علي أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك * واخرج ابن سعد أبى عن الربيع بن خيثم قال كان يتحاكم الى رسول الله صلي الله عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام فهو صلى الله عليه وسلم الامين المطلق الذى لاتقيد امانته بقيد غريزة من خلقه العظيم عرفه بها من عرفه منذ عرفه وكذا العدل وهو وضع الشيء فى محله ومعاملته بما هو أهله من غير افراط ولا تفريط وحصول هاتين الخصلتين يستتبع حصول غيرهما

سرجس النبي صلى الله عليه وسلم وصحبته له فقد نقل ابن عبد البر فى الاستيعاب عن عاصم انه كان ينكر صحبة عبد الله بن سرجس ولعل ذلك قبل أن يسمع هذه الواقعة منه ولهذا لما سمعها منه استفهمه متعجبا من هذه الواقعة فيحتمل انه رجع عن ذلك وروى عنه الحديث والله أعلم قاله فى جمع الوسائل بمعناه (ثم تلا) أى عبد الله بن سرجس استدلالا علي ماادعاه من أن النبي استغفر لهم كما استغفر له (هذه الآية واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فان النبي صلى الله عليه وسلم أمر فى هذه الآية بان يستغفر لجميع من آمن به فدل ذلك علي انه قد استغفر لهم البتة لان من شأنه المبادرة الى الامتثال قال ابن مخلص وفى هذه الآية اكرام من الله تعالى لهذه الامة حيث أمر نبيهم صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم اه وفى هذه الآية اشارة الى أن فى قوله ولكم تغليب الذكور للاناث وتغليب الحاضرين علي الغائبين وقال بعض الشراح قائل فقال القوم هو عبد الله والمراد بالقوم الصحابة وقالوا له ذلك استفهام تعجب وضمير فقال لعبد الله أو للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ضمير تلا قال في جمع الوسائل ويمكن الجمع بان هذا القول صدر من الصحابة أولا ثم صدر من أصحاب عبد الله لما حدثهم به فارتفع ماذكره الشراح من المنازعات اه بالمعنى وهو بعيد فتأمله ثم المعتقد أن الانبياء معصومون من الذنوب مطلقا فيقال أى ذنب يتصور فى حقه صلى الله عليه وسلم حتى أمر بالاستغفار منه فى هذه الآية والجواب انه صلى الله عليه وسلم لايزال فى ترق دائم فكلما انتقل من مرتبة الى ما فوقها رأى المقام فى الاولى نقيصة بالنسبة لما فوقها وان كان فى نفسه من اكمل الكمال فهو من باب حسنات الابرار سيآت المقربين فامر بالاستغفار مما كان يراه نقيصة وقيل المغفرة علي ضربين ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها بعد وقوعها وهذا مستحيل فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام والحيلولة بين العبد وبين الذنوب فلا يصدر منه شيء منها وهذا هو المراد هنا فيكون معنى استغفر لذنبك اطلب منه أن يحول بينك وبين الذنب أى اطلب منه الثبات علي العصمة التى وهبت لك وان كنت مامون العاقبة رعاية لقاعدة الخشية فانها غاية عبودية المقربين

باب
ما جاء فى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى ماجاء من الأخبار فى صفة شعره صلى الله عليه وسلم طولا وقصرا وكثرة وقلة وهل كان يضفره أولا وهل كان يرسله أو يفرقه * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا اسمعيل بن ابراهيم عن حميد) الطويل (عن أنس بن مالك قال كان شعر رسول الله صلي الله عليه وسلم) منتهيا (الى نصف أذنيه) أضاف الواحد الى التثنية كراهية اجتماع تثنيتين مع ظهور المراد أى نصف كل واحدة من أذنيه ويعنى فى بعض الاحيان او اذا جمع وعقص اوحين لايفرقه فلا ينافى ماورد من أنه كان يصل الى منكبيه * قال المصنف (حدثنا هناد بن السرى نا عبد الرحمن بن

(بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء) (تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما تطرد الذئاب الرعاء)

(فحت آية الكهانة آيا * ت من الوحى مالهن انمحاء) أى أرسل الله بقرب زمان بعثته صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة الشهب جمع شهاب وهى نار تحرق الشيطان المسترق للسمع أو تخبله وكانوا يسترقون السمع فيخطف أحدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة ثم يلقيها للكاهن وقوله حراسا اما جمع حارس على غير قياس كقائم وقيام فهو (٥١) حال أو مصدر أى لاجل الحراسة لشريعته التى سيأتى بها من الشياطين ان يخلطوا بها ماليس منها وهى للمبالغة والتأكيد لانه معلوم من قوله تطرد الجن ففيه التتميم كقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه ولكثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين فى نواحى السماء ضاق عنها الفضاء أى المفازات الواسعة فلم يبق محل يحدونه حتى يسترقوا السمع منه وقوله وتطرد حال من الشهب أو صفة له كما في

ولقد أمرعني اللئيم يسبني

لكن ظاهر المقام ترجيح الحالية اذ رعاية التنكير هنا بعيدة والجن أجسام نارية تقدر على التشكل فى الصور المختلفة وعن مقاعد أى أمكنة قريبة من السماء يقعدون فيها ليسمعوا شيأ من الملائكة المتكلمين بما سيقع فى الارض من الاقضية والمغيبات اما لكون رئيهم يلقى ذلك عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه أو ان بعضهم ينسخه من كتب البعض الآخر زيادة فى الاعتناء والظهور للملائكة ثم طرد تلك الشهب لأولئك الشياطين طردا بالغا جدا كالذى أو كطرد الذئاب جمع ذئب بالهمزة وتخفف الرعاء بضم أوله وكسره جمع راع أى كما تطرد الرعاة الذئاب اذا أرادت العدو على غنمهم وتشبيه الجن بالذئاب مصرح به فى الحديث

أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه) عروة بن الزبير بن العوام قال ابن شهاب كان عروة بحرا لا ينكدر وقال ابن عيينة كان أعلم الناس بحديث عائشة وهو أحد الفقهاء السبعة المشار اليهم بقول من قال نخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أغتسل) فى التعبير بالمضارع اشعار بتكرار ذلك واستمراره (أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم) بالرفع عطف على أنا بتغليب المتكلم على الغائب اذ لا يصح أن يكون قوله رسول الله فاعلا باغتسل كما غلب المخاطب على الغائب فى قوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة ونكتة ذلك فى الآية أن آدم عليه السلام أصل في سكنى الجنة وفى الحديث ان النساء محل الشهوات وهن الحاملات على الاغتسال فكن أصلا نقله في جمع الوسائل عن الطيبى وروى بالنصب على انه مفعول معه (من اناء واحد) زاد فى رواية عن عائشة وما رأيت منه ولا رأى منى تعنى الفرج قلت وهذا لا يمنع من الاستدلال به على جواز نظر كل من الزوجين عورة الآخر والله أعلم اذ لو حرم ذلك لوجب ان يستر كل واحد من الزوجين من صاحبه خلافا لما فى جمع الوسائل وفى رواية للبخاري من اناء يقال له الفرق بفتحتين واختلف فى مقداره والمشهور عند الجمهور انه ثلاثة آصع وقيل صاعان ويؤيد الاول ما رواه ابن حبان من طريق عطاء عن عائشة بلفظ قدره ستة أقساط والقسط بكسر القاف نصف صاع باتفاق أهل اللغة وفى الحديث ان فضلة ماء المرأة طهور كفضلة الرجل (وكان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة) أى كان في بعض الاحيان شعره بين الجمة والوفرة وهى اللمة كما تقدم فى قول من قال

* الوفرة الشعر لشحمة الاذن * الخ وقد روى هذا الحديث أبو داود بهذا الاسناد الا انه قال فوق الوفرة ودون الجمة وقد جمع بينهما العراقى فى شرح جامع الترمذى بان المراد من قوله فوق ودون تارة بالنسبة الى المحل وتارة بالنسبة الي المقدار فقوله فوق الجمة أى أرفع منها فى المحل ودون الجمة أى أقل منها فى المقدار وكذا فى العكس قال العسقلانى وهو جمع جيد لولا أن مخرج الحديث متحد اه قال ابن حجر ويرد بأنه اذا اول الفوق والدون بما ذكر لم يؤثر فيه اتحاد المخرج اه وقال بعض الشراح يمكن أن يقال لعل اغتسال عائشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وقع متعددا ويكون ذلك الاختلاف ناشئا عن اختلاف الاحوال قال فى جمع الوسائل لا يخفى ان هذا انما يتأتى على ان جملة وكان الخ حال وأما اذا كانت معطوفة على كنت فلا تعلق له بالاغتسال فيكونان حديثين مستقلين وهو أظهر والا فيلزم أن يكون في كل غسل اختلاف حال وهو غير ملائم كما لا يخفى * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا أبو قطن) اسمه عمرو بن الهيثم بن قطن البصرى وهو قدرى لكنه صدوق ثقة أخرج حديثه الأئمة الستة (نا شعبة عن أبى اسحق عن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا بعيد ما بين المنكبين وكانت جمته تضرب شحمة أذنيه) أى معظمها يصل الى الشحمة وبقيتها الي المنكبين أو أطلق الجمة على الوفرة او على مطلق الشعر وقد تقدم اختلافهم فى تفسير الجمة * قال المصنف

فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت آية الكهانة مفعول مقدم والكهانة بفتح الكاف مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا أى مخبرا بالغيوب الخفية والآية العلامة وهى ما كانت تأتي به الكهان وتذكره من المغيبات التى تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام الأئمة ثم القائه اليهم مع ما يضمونه اليه من الكذب وفاعل محت آيات من جملة آى الوحى مالهن انمحاء أي ذهاب ولا تغير واصل ما ذكره الناظم قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن الى قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد

للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وفي حديث ابن عباس عند احمد كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون مايسمعونه حقا ومازادوه باطلا وكانت النجوم لايرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لايأتي مقعده الارمى بشهاب يحرق ماأصاب منه فشكوا ذلك لابليس فقال ماهذا الا لامر عظيم قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه (٥٢) فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض رواه النسائي وصححه الترمذي وجاء عن ابن عباس ان الشياطين كانوا لايحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون الى الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من أحد يريد استراق السمع الا رمى بشهاب وهو الشعلة من النار فلا تخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البرارى فعلم منه أن الكوكب لاينفصل عن محله وانما الذي ينفصل تلك الشعلة وقيل ينفصل ثم يرجع الى مكانه ﴿تنبيهان﴾ الاول قال في الكشاف الصحيح ان الرجم كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية ولكن لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا وفي قوله ملئت حرسا دليلا على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك نقعد منها مقاعد أي نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها اه بخ والحاصل ان أصل الرجم كان في الجاهلية وكثر عند ولادته صلى الله عليه وسلم تاسيسا وارهاصا وغلظ واشتد عند مبعثه ومنع الاستراق أصلا وبذلك يحصل التوفيق بين كلام الائمة (الثاني) في صحيح البخاري عن فرقتين مولاتنا عائشة رضي الله عنها أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم وكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء (١) وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد حتى فاجأه الحق

(حدثنا محمد بن بشار حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن قتادة) تابعي جليل بصري ثقة ثبت ولد أكمه فداتفقوا علي انه أحفظ أصحاب الحسن البصري روى عن ابن المديني أنه قال سأل اعرابي علي باب قتادة وانصرف ففقدوا قدحا فحج قتادة بعد عشر سنين فوقف اعرابي فسألهم فسمع قتادة كلامه فقال صاحب القدح هذا فسألوه فأقر به وقد أخرج حديثه الأئمة كلهم (قال قلت لانس) أي ابن مالك كما في نسخة (كيف كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكن بالجعد ولا بالسبط كان يبلغ شعره) أي المجموع منه أو في بعض الاحيان (شحمة أذنيه) قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر المكي) أكثر الرواية عنه مسلم في صحيحه وكل ماذكر في الشمائل ابن أبي عمر فالمراد به محمد بن يحيى وكذا في صحيح مسلم (نا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد) مات بمكة وهو ساجد لقي جماعة من الصحابة امام في العلم والفقه (عن أم هانئ) اسمها فاختة بكسر الخاء وقيل عاتكة وقيل هند (بنت أبي طالب) أخت علي كرم الله وجهه أسلمت عام فتح مكة روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وأربعين حديثا (قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قدمة) وكان له صلى الله عليه سلم قدومات أربعة لمكة عمرة القضاء وفتح مكة وعمرة الجعرانة وحجة الوداع وبعض الروايات يدل علي ان هذا المقدم يوم فتح مكة لانه حينئذ اغتسل وصلى الضحى في بيتها (وله أربع غدائر) جمع غديرة أي أربع ضفائر ويقال ذوائب ﴿تنبيه﴾ أورد المصنف هذا الحديث هنا من طريق مجاهد وقال في جامعه قال محمد يعني البخاري لانعرف لمجاهد سماعا من أم هانئ وقال في فتح الباري في باب الجعد رجال هذا الحديث ثقاة وأخرجه أبو داود أيضا وقال في موضع آخر أخرجه أبو داود والترمذي بسند حسن قال في جمع الوسائل أقول ولا منافاة اذ العلة التي ذكرها البخاري انما تمنع الصحة عنده اه * قال المصنف (حدثنا سويد بن نصر نا عبد الله بن المبارك) ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد صوفي عابد وكان أبوه مملوكا لرجل من همدان (عن معمر عن ثابت) البناني وهو أبو محمد البصري ثقة عابد مات وله أحوال ظاهرة (عن أنس ان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الى أنصاف أذنيه) أراد بالجمع مافوق الواحد والمقصود من ايراد هذا الحديث من رواية ثابت عن أنس هنا مع ماتقدم من رواية حميد عنه أول الباب تقوية الحديث المذكور وانه روى باسنادين وانتفاء مايتوهم من تدليس حميد * قال المصنف (حدثنا سويد بن نصر نا عبد الله بن المبارك عن يونس بن يزيد عن الزهري نا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) فقيه ثبت أخرج حديثه الأئمة وهو أحد الفقهاء السبعة وأبوه أيضا من أعيان العلماء الراسخين وجده عتبة أخو عبد الله بن مسعود (عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره) أي يرسله أي يترك شعر ناصيته علي جبهته كالقصة بضم القاف وهو بفتح الياء وكسر الدال اوضمها وقيل السدل ان يرسل الشخص شعره من ورائه ولايجعله فرقتين والفرق أن يجعله

(١) هذا لاينافي ماتقدم من قول الناظم الف النسك الخ لان ماهنا محمول علي الترتيب الاخباري أو التحبب أخص من الائتلاف فهو غيره والله أعلم اه من خط المؤلف بواسطة

وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ (٢) فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم (٥٣) الحديث وكان هذا ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة قيل وأربعين يوما وقيل وعشرة أيام وقيل وشهرين من يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل لسبع وقيل لاربع وعشرين ليلة * والوحى كما قال المنذرى اصله القاء المعنى فى النفس فى خفاء ثم قيل للكلام الالهى الذي يلقى الى الانبياء وحى وهو أنواع * الاول الرؤيا الصادقة فى المنام * الثانى نفث الملك فى روعه من غير ان يراه لحديث الصحيح ان روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب * الثالث ان يأتيه الملك في صورة رجل فيخاطبه وصح انه كان يأتيه فى صورة دحية الى غير ذلك من الانواع وغالبها فى صفة حامل الوحى وقول الناظم مالهن انمحاء يشير الى ان آيات الله تعالى باقية على ممر الدهور الى ان ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة بموت الطائفة الذين أخبر الصادق عنهم بانهم لا يزالون قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيه أمر الله تعالى أى ريح لينة تقبض أرواحهم فحينئذ لا يبقى على وجه الارض من يقول الله فتقوم الساعة

فرقتين كل فرقة ذؤابة وهو المناسب للمقابلة بقوله (وكان المشركون يفرقون رؤسهم) بسكون الفاء وضم الراء وكسرها قال العسقلانى الفرق قسمة الشعر والمفرق وسط الرأس وأصله من الفرق بين الشيئين (وكان أهل الكتاب يسدلون رؤسهم) أى شعرها (وكان صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشىء) اما لانهم أهل توحيد ونبوة فلهم مشاركة فى القواعد الحنيفية واما لارادة تألفهم وتقريبهم الى الحق فانهم أقرب الى الايمان لانهم كانوا متمسكين ببقايا من شرائع الرسل فكانت موافقتهم أحب اليه من موافقة عبدة الاوثان قيل فعله ائتلافا لهم فى أول الاسلام ليكونوا عونا له على مخالفة عبدة الاوثان فلما أغناه الله تعالى عن ذلك وظهر الاسلام خالفهم فى أمور كصبغ الشيب ورد ان اهل الكتاب لا يصبغون فخالفوهم وصوم يوم عاشوراء أمر بنوع مخالفة لهم فيه بصوم يوم قبله أو بعده واستقبال القبلة ومخالطة الحائض والنهي عن صوم يوم السبت فقد جاء من طرق متعددة وصرح أبو داود بأنه منسوخ وناسخه حديث أم سلمة انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم السبت والاحد يتحرى ذلك ويقول انهما يوما عيد الكفار وأنا أحب أن أخالفهم وفى لفظ ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان أكثر صيامه يوم السبت والاحد أخرجه النسائى أنظر جمع الوسائل (ثم فرق) بالتخفيف ويشدد (رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه) بأن ألقى شعر رأسه الى جانبيه ولم يترك منه شيأ على جبهته وهل الفرق واجب او مستحب او جائز فقط قال القاضى عياض نسخ السدل فلا يجوز فعله ولا اتخاذ الناصية والجمة قال ويحتمل ان المراد جواز الفرق لا وجوبه ويحتمل أن الفرق كان اجتهادا في مخالفة اهل الكتاب لا بوحى فيكون الفرق مستحبا اه وقال العسقلانى جزم الحازمى أن السدل نسخ بالفرق واستدل برواية معمر عن الزهرى عن عبد الله بلفظ ثم أمر بالفرق وكان الفرق آخر الامرين أخرجه عبد الرازق فى مصنفه وهو ظاهر والله اعلم وقال القرطبى انه مستحب وحكى ذلك عن عمر بن عبد العزيز وهو قول مالك والجمهور وقال النووى الصحيح جوازه انظر جمع الوسائل فتحصل ان من العلماء من جزم بوجوب الفرق ومنهم من جزم باستحبابه ومنهم من جزم بجوازه والله أعلم ويؤيده عدم وجوب الفرق ما روى ان من الصحابة من كان يسدل فلو كان الفرق واجبا ما سدلوا بعد ذلك قال فى جمع الوسائل والفرق زين العرب وهو أقرب الي النظافة وأبعد عن الاسراف فى غسله وعن مشابهة النساء ولذلك قالوا ان محل جواز السدل حيث لم يقصد به التشبه بالنساء والا حرم من غير نزاع اه وقوله وعن مشابهة النساء لعله فى ذلك الزمان والافمن النساء من يفرق اليوم والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد ابن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى عن ابراهيم بن نافع المكى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أم هانئ قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا ضفائر أربع) جمع ضفيرة كغدائر جمع غديرة وهما بمعنى والضفر نسج الشعر وغيره والضفيرة العقيصة قال فى الاحياء وكان صلى الله عليه وسلم يخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره علي أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ وقال أبو الربيع بن سبع يخرج الاذن اليمنى من بين غديرتين تكتنفانها

(ورأته خديجة والتقى والــزهد فيه سجية والحياء) شرع فى قصه تزويجه صلى الله عليه وسلم بخديجة وكان الاليق تقديمها ليوافق الواقع فقوله ورأته أى علمته وابصرته وخديجة هى بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ابن كلاب وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر والتقى هو التبرى من كل شىء سوى الله وهذا غايته

(٢) هذا استفهام طلب ودخلت الباء مشاكلة للاولين ولا يبعد اعتبار الاستبعاد فيكون شبيها بالنفى اه من خط المؤلف بواسطة

ومبدؤه اتقاء الشرك وأوسطه اتقاء المحارم وقد قال عليه الصلاة والسلام ان أتقاكم وأعلمكم بالله أنا والزهد هو أخذ أقل الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك لله وقد صح خبر ما شبع آل محمد من طعام بر ثلاثة أيام تباعا حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة هو وأهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدقل أى بالتحريك اي أردأ التمر ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضى الشهران لا يوقد في بيته صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء (١) والسجية الخلق الغريزي الطبيعى لان مكارم اخلاقه صلى الله عليه وسلم غريزية غير مكتسبة والحياء فيه سجية أيضا على اكمل غاياته فى البخارى من حديث ابي سعيد كان صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء اى البكر فى خدرها وهو ستر يجعل لها اذا شبت بجنب البيت تنفرد فيه حتى عن النساء وهى فيه اشد منها حياء خارجه اذ الخلوة مظنة وقوع الفعل فالمراد الحالة التى تعتريها عند الدخول عليها لا التى عليها حال الانفراد به او اجتماعها بمثلها فيه قاله المناوى وهو أظهر مما فى ابن حجر والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من فعل ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح وارتكاب المليح ومن ثم صح انه لا يأتى الا بخير وانه من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم ولشيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله

ورأت خلقه فلم تر خلقا * مثله جل ما له أكفاء
طابق الخلق خلقه ولمضمو * م المعاني مفتوحها سيماء

بشر خارج عن الجنس كالیا * قوت في جنسه له الاضواء
بمعنى ان خديجة رضى الله عنها لما رأت خلقه الظاهر وصفاته النظافة

واليسرى كذلك تتوقدان كأنهما الكواكب الدرية بين سواد شعره صلى الله عليه وسلم اه وهذا معنى قول شيخنا المحقق فى همزيته

أذنه والغدائر البدر والليـــل فهى مستنيرة سوداء

فشبه أذنه لما لها من النورانية والاضاءة بالكوكب وشبه سوالفه بالليل لذلك الكوكب وفى الحديث جواز الضفر للرجال ولا يختص بالنساء والفرق يكفى فى عدم التشبه بهن ومحصل الاخبار التى أوردها المصنف فى هذا الباب مع ما تضمنه حديث البراء المذكور فى الباب الاول من أن شعره صلى الله عليه وسلم كان يضرب منكبيه خمس روايات نصف أذنيه الى شحمة أذنيه فوق الجمة ودون الوفرة وعكسه ويوافق هذه رواية بين أذنيه وعاتقه كما فى البخارى من حديث أنس يضرب منكبيه له اربع غدائر وقد تقدم غير مرة وجه الجمع بينهما وظاهر هذه الاخبار ان المصطفى كان لا يحلق ولا يقصر لغير نسك وهو الذى اعتمده العراقى فقال

يحلق رأسه لاجل النسك * وربما قصره فى نسك

قال بعض شراح المصابيح ولم يحلق النبى صلى الله عليه وسلم فى سنى الهجرة الا عام الحديبية ثم عام عمرة القضاء ثم عام حجة الوداع فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات الواقعة منه فى تلك الازمنة وأقصرها ما كان بعد حجة الوداع فانه توفى بعدها بثلاثة أشهر قال فى جمع الوسائل ولم يروا تقصير الشعر منه صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة كما وقع فى الصحيحين وقد اضطرب لفظ الشراح فى تحقيقه لفظا ومعنى كما بين فى موضعه اه وقد صرح ابن العربى وصاحب المدخل والطرطوشى بان حلق الرأس لغير نسك بدعة وقال الجزولى اذا تمالأ قوم عليه وجب أن يجاهدوا لان ذلك علامة لبدعتهم لان المصطفى صلى الله عليه وسلم جعله من شعار الخوارج لخبر سيماهم التسبيد أى الحلق ولهذا قال العراقى اثر ما تقدم

وقد رووا لا تؤخذ النواصى * الا لاجل النسك المحاصى

ولكن ذلك لا يدل على المنع لانه لا يحرم علينا جميع ما يفعلونه وحكى ابن عبد البر الاجماع على الجواز وفهم الجمهور أن ترك النبى صلى الله عليه وسلم للحلق لم يكن لانه من السنة بل لان ذلك كان عادة قومه وعرفهم ومن كان عرفه بخلاف ذلك فليعمل على عرفه قال الشيخ على الاجهورى فى حاشيته على الرسالة تبعا للحطاب فى حاشيته عليها انما يحبس الشعر اليوم غالبا من لا خلاق له أو من ليس من اهل العلم او لغرض فاسد وقليل من يفعله اتباعا للسنة فيكون الحلق اولى لعدم التشبه بمن ذكر اى خلافا لمن قال بالمنع او بالكراهة وليس بمثلة والا لما جاز فى حج ولا عمرة

باب
ماجاء فى ترجل رسول الله صلى الله عليه وسلم

الترجل والترجيل تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه وفى المشارق رجل شعره اذا مشطه بماء او دهن ليلين ويرسل الثائر ويمتد المنقبض قال العسقلاني نقلا عن ابن بطال هو من باب

(١) راجع كلام ابن السبكى الذى نقلناه فى قوله مستقل دنياك الخ وحاصله ان هذا كان من النبى صلى الله عليه وسلم اختيارا اه من خط المؤلف بواسطة

الصورية وجماله الذاتي فلم ترخلقامثله فى ذلك علمت أن اختصاصه بالمكارم دون سائر الناس لامر عظيم خص به فانه صلى الله عليه وسلم منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وفي الحديث عن سيدنا على كرم الله وجهه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ويرحم الله ابن رشيد حيث يقول * تقول لكم ماللحبيب مثيل لتوراة موسي فاسألوا عن محمد

لكل حبيب منزل ومكانة

ولكن ماثل الحبيب رسول

وهو صلى الله عليه وسلم بشرى الظاهر ملكوتي الباطن (١) وقد قالوا انه صلى الله عليه وسلم كان لايأتى شيأ من أحواله البشرية الاتأنيسا لامته وتشريعا ولذا قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه والله يارسول الله ماأكلت ولاشربت ولانكحت الالنا وقد قال الناظم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر

وأنه خير خلق الله كلهم

ويرحم الله القائل

محمد بشر لا كالبشر (٢)

بل هو كالياقوت بين الحجر

فاستدلت خديجة رضى الله عنها بما رأت من كمال خلقه الظاهر وهو بفتح فسكون على كمال خلقه الباطن لان الظاهر عنوان الباطن ولهذا المعنى قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير والمعروف عند حسان الوجوه خرجه البخارى في التاريخ الكبير وابن أبي الدنيا والطبرانى عن عائشة والطبرانى أيضا والبيهقى عن ابن عباس وابن عدى عن عبد الله بن عمر وابن عساكر عن أنس ووجهه العلماء بان الوجه الجميل مظنة الفعل الجميل وبين الخلق والخلق تقارب وتشابه فى الغالب قال الشاعر

لقد قال الرسول وقال حقا * وخير القول ماقال الرسول

النظافة وقد ندب اليه الشرع اه أى بقوله النظافة من الدين وأخرج أبو داود بسند حسن عن أبي هريرة رفعه من كان له شعر فليكرمه وفى الموطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأي رجلا ثائر الرأس واللحية فاشار اليه باصلاح رأسه ولحيته وهو مرسل صحيح السند وله شاهد من حديث جابر أخرجه أبو داود والنسائى بسند حسن ثم قال العسقلانى وأما حديث النهى عن الترجل الاغبا فالمراد به ترك المبالغة فى الترفه قال فى جمع الوسائل يعنى المشعر بانه من هوى النفس والمشير بانه فى تنظيف الباطن أولى والمومى الى الجمع بينه وبين ماورد من حديث البذاذة من الايمان وهى رثاثة الهيئة وترك الترفه والتواضع مع القدرة لا بسبب جحد النعمة ووقع فى أبي داود من حديث عبد الله بن بريدة قال قال رجل لفضالة بن عبيد مالى أراك شعثا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهانا عن كثير من الارفاه بكسر الهمزة وسكون الراء بعده فاء وآخره هاء التنم وقيد فى الحديث بكثير اشارة الى أن الوسط المعتدل منه لايذم وبذلك يجمع بين الاخبار اه وسيأتى الكلام على حديث نهى عن الترجل الاغبا * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصارى نا معن) ابن عيسى بن يحيى الاشجعى مولاهم ثقة ثبت كان يتوسد عتبة الامام مالك فلم يلفظ بشيء الا كتبه (نا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنت أرجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى شعره (وأنا حائض) يستفاد منه ان القرب المنهى عنه فى قوله تعالى ولاتقربوهن حتى يطهرن قرب خاص لامطلق القرب وفى صحيح البخاري عن عائشة كان يأمرني فأتزر فيباشرنى وأنا حائض وكان يخرج رأسه الى وهو معتكف فاغسله وأنا حائض وهذا توسط بين جانبى الافراط والتفريط فان اليهود لايقربون الحائض بوجه والنصارى لايتحاشون من جماع الحائض فجاء الشرع بمنع الجماع دون غيره وفى حديث البخارى دلالة على طهارة بدن الحائض وعرقها وأن المباشرة الممنوعة للمعتكف هى الجماع ومقدماته وأن الحائض لاتدخل المسجد وفيه جواز استخدام المرأة فى الترجيل ونحوه * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت كنت ارجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حائض) كذا فى بعض النسخ وهو تكرار مع الحديث قبله الا أن الاول عن هشام عن عروة وهذا عن ابن شهاب عن عروة قال بعض وكلاهما مستقيم لان مالكا أخذ العلم عن محمد بن شهاب الزهري وعن هشام بن عروة وأخذ كل منهما عن عروة وقال في جمع الوسائل مجرد صحة رواية مالك عن الزهرى لايصح أن يكون هنا سند آخر والصواب انه خطأ من الناسخ صحف هشاما بشهاب فجمع بينهما بعض النساخ فتوهم أنهما سندان ويدل على بطلان تعدد السند هنا عدم ذكره الشراح مع اتفاقهم على ان أحاديث الباب خمسة وهذا فائدة التعداد * قال المصنف (حدثنا يوسف بن عيسى نا وكيع نا الربيع بن صبيح) بفتح الصاد (عن يزيد بن أبان) على وزن سحاب مصروف (هو الرقاشى) بفتح الراء وبقاف مخففة منسوب الى رقاش (عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه

---

(١) وتأمل قوله تعالى قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ولاأعلم الغيب ولاأقول لكم اني ملك فلم يقل ولاأقول انى ملك اه من المؤلف بواسطة (٢) قوله محمد الخ هكذا بالاصل وشطره الاول غير مستقيم الوزن فليحرر

اذا الحاجات عزت فاطلبوها * الى من وجهه حسن جميل

وهذا الغالب والنادر لاحكم له

(وأتاها أن الغمامة والسر * ح أظلته منهما افياء)

أى أتاها الخبر بكرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وهما ان الغمامة أي السحابة والسرح أى الشجر العظيم أظلته أفياء حال كونها منهما والافياء جمع

وسلم يكثر دهن) بفتح الدال استعمال الدهن بضمها (رأسه وتسريح لحيته) بالنصب عطف على دهن وجره خطأ قال العسقلاني ذكر ابن الجوزي في كتاب الوفاء عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخذ مضجعه من الليل وضع له سواكه وطهوره ومشطه فاذا نبه الله عز وجل من الليل استاك وتوضأ وامتشط وأخرج الخطيب البغدادى فى الكفاية عن عائشة قالت خمس لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدعهن فى سفر ولا حضر المرآة والمكحلة والمشط والمدرى والسواك وفى رواية وقارورة دهن بدل المدرى وأخرج الطبراني فى الاوسط من وجه آخر عن عائشة قالت كان لا يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم سواكه ومشطه وكان ينظر فى المرآة اذا سرح لحيته اه ملخص ماقاله العسقلاني قال فى جمع الوسائل وقال ميرك أورد ابن الجوزي فى الوفاء رواية الخطيب من طريق ابى ابراهيم الترجماني قال نا حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت سبع لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتركهن فى سفر ولا حضر القارورة والمشط والمرآة والمكحلة والسواك والمقص والمدرى قلت لهشام المدرى ما باله قال نى أبي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له وفرة الى شحمة أذنيه فكان يحركها بالمدري وهو بكسر الميم وسكون المهملة عود تدخله المرأة فى رأسها لئلا ينضم بعض شعرها الى بعض والمقص بكسر الميم آلة القص بمعنى القطع وهو المقراض (ويكثر القناع) أي لبسه واستعماله وهو خرقة تلقى على الرأس تحت العمامة بعد استعمال الدهن وقاية للعمامة من اثر الدهن واتساخها به (حتى) غاية ليكثر (كأن ثوبه ثوب زيات) بفتح الزاي وتشديد الياء اى صانع الزيت اوبائعه واختلف الشيوخ ما المراد بهذا الثوب فقرره بعضهم على ان المراد به ماجاور عنقه من القميص والرداء مثلا لانتشار الدهن اليه لكثرته وملابسة قناعه قال وهذا هو الذى يدل عليه سياق كثير من الاحاديث ولو أريد بالثوب القناع نفسه لكان المناسب ان يقال حتى كانه ثوب زيات وقرره آخرون علي ان المراد بالثوب القناع نفسه لان المناسب لنظافته صلى الله عليه وسلم ان لا يكون ثوبه كثوب زيات ولو أريد المعنى الاول لم يكن لذكر القناع فائدة ولكان المناسب ان يقال كان يكثر دهن رأسه حتى كان ثوبه ثوب زيات وقال بعضهم الربيع بن صبيح كان عابدا ولم يكن الحديث من صناعته فوقع فى حديثه المناكير من حيث لا يشعر كما قال ابن حبان ومن مناكيره قوله فى هذا الحديث كان ثوبه ثوب زيات فان النبي صلى الله عليه وسلم كان أنظف الناس ثوبا وأحسنهم هيئة وأجملهم سمتا وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم رأي رجلا عليه ثياب وسخة فقال ما كان يجد هذا مايغسل به ثوبه وقال صلى الله عليه وسلم أصلحوا ثيابكم حتى تكونوا كالشامة بين الناس لكن زيف شارح المصابيح كونه منكرا بايراد البغوي اياه فى المصابيح من غير تعرض لضعفه وكذا فى شرح السنة وبايراد الترمذى فى جامعه وفى جامع الاصول من غير تعرض لهذا على ان الربيع لم يتفرد به بل له متابع عند ابن سعد أخرجه من طريق عمر بن حفص العبدى عن يزيد ابن أبان عن انس بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر التقنع بثوب حتى كان ثوبه ثوب زيات اودهان اه هذا ملخص ما في جمع الوسائل قال فى سمط الجوهر الفاخر قال الفقهاء

قبل النبوة وهما ان الغمامة أي السحابة فيء وهو ما بعد الزوال من فاء اذا رجع والظل الستر لا يتقيد بوقت فالظل اعم من الفيء وقد يطلق الفيء علي مايعم الظل مجازا قال أهل السير لما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتى عشرة سنة فى قول ابن سعد او ثلاث عشرة فى قول ابن عبد البر خرج معه عمه أبو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده هذا سيد المرسلين هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له ما علمك به فقال انكم حين أشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي وانى اعرفه بخاتم النبوة فى أسفل غضروف كتفه كالتفاحة وانا نجده فى كتبنا وسأل ابا طالب أن يرده تخوفا عليه من اليهود ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان المصطفى فى رعية الابل قال أرسلوا اليه فاقبل وغمامة تظله ثم نزلوا فى ظل شجرة بقربه فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت أغصانها اي مالت وانعطفت عليه وروى أبو نعيم وابن عساكر ان اخته السيماء بنت حليمة رأته فى الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت * وخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ميسرة غلام خديجة في تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى وله اذ ذاك خمس وعشرون سنة فنزل تحت ظل شجرة فقال نسطورا الراهب ما نزل من تحت ظل هذه الشجرة الا نبي وفى رواية بعد عيسى وكان ميسرة يرى فى الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس ثم ان المصطفى صلي الله عليه وسلم باع وربح ربحا لم يربحه أحد من اهل القافلة حتى قال له ميسرة تجرنا لخديجة سنين ما رأيت ربحا مثل هذا

وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال له الرجل احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة هذا ابني والذي نفسي بيده ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظللان عليه رواه أبو نعيم وهذا كله اعتناء بخديجة رضي الله عنها حيث أطلعها الله على هذه المعجزات وعرفها بهذه الخوارق للعادات حتى اهتدت لمعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٧) ومحبته والتصديق برسالته فكان ذلك

من قال ان ثوب النبي صلى الله عليه وسلم وسخ يريد بذلك عيبه قتل كفراً لا حداً وقد نصوا على انه كان لا يتسخ له ثوب لانه كان لا يبدو منه الا طيب انتهى * قال المصنف (حدثنا هناد بن السري نا أبو الاحوص عن أشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه) هو أبو الشعثاء اسمه سليم بن عامر وغلط من قال انه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم (عن مسروق) سرق في صغره فسمي بذلك وكان أعلم بالفتيا من شريح ثقة عابد مخضرم (عن عائشة قالت ان) مخففة من الثقيلة بدليل اللام بعدها أو هي مهملة أو اسمها ضمير الشأن محذوف (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحب التيمن) أي الابتداء باليمين لانها مشتقة من اليمن وهو البركة تفاؤلا باصحاب اليمين لانهم أهل الجنة يؤتون كتابهم بيمينهم أو لمزية مزيد قوتها المقتضية لمزيد اكرامها بمقتضى العدل لكن هذا انما يأتي في اليد ولا يأتي في غيرها مما يأتي انه يطلب فيه التيمن فاليمين وما نسب اليها وما اشتق منها محمود ممدوح بيانا وشرعا ودنيا وآخرة والشمال على النقيض وقد شرف الله أهل الجنة بنسبتهم اليها كما ذم أهل النار بنسبتهم الى الشمال فقال ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وعكس في أصحاب الشمال زاد البخاري في رواية له ما استطاع فنبه على المحافظة على ذلك ما لم يمنع مانع وستأتي هذه الرواية في النعل ويأتي شرحها بأتم مما هنا فانظره هنالك (في طهوره) بضم الطاء وفتحها أي تطهره وقد يستعمل المفتوح اسما لما يتطهر به فيحتاج الى تقدير مضاف أي استعماله (اذا تطهر) أي وقت اشتغاله بالطهارة وهو شامل للوضوء والغسل والتيمم وهذا بالنسبة لليدين والرجلين دون الخدين والاذنين (وفي ترجله) أي تسريح شعر رأسه ولحيته (اذا ترجل) اي وقت ايجاد هذا الفعل وفي معناه الادهان (وفي انتعاله) أي لبسه النعل (اذا انتعل) فيه احتراز من الاختلاع بانه يبدأ باليسار تشريفا لليمين ولا خصوصية للطهور والترجل والانتعال بهذا بل كل ما كان من قبيل التكريم حكمه كذلك ويدل على العموم رواية الشيخين عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن في تنعله وترجله وفي طهوره وفي شأنه كله ويدل على استثناء ما ليس من باب التكريم ما رواه أبو داود عن عائشة قالت كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى قال النووي هذه قاعدة شرعية وهي ان ما كان من باب التكريم والتشريف كلبس الثوب والسراويل والخف والانتعال ودخول المسجد والسواك وتقليم الاظفار وقص الشارب وترجيل الشعر ونتف الابط وحلق الرأس والسلام من الصلاة وغسل أعضاء الطهارة والخروج من الخلاء والاكل والشرب والمصافحة واستلام الحجر الاسود وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه فأما ما كان بضده مثل دخول الخلاء والخروج من المسجد والامتخاط والاستنجاء وخلع الثوب والسراويل والخف وأخذ النعلين وغسل الرجلين في الطهارة وما أشبه ذلك فيستحب التياسر فيه وذلك كله من كرامة اليمين وشرفها اه وقيل ان حلق الرأس من باب الخلع

تعرفا من الله اليها فكانت رضي الله عنها ونفعنا ببركاتها ممن تعرف الله اليهم بنوره ولا يستوي من تعرف الله اليه بنوره مع من تعرف الى الله بعقله اه قال ابن حجر وأشار غير واحد الى أن تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا لنبوته ومما يدل على انقطاع ذلك ان الصديق رضي الله عنه أظله صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة في الهجرة لما أصابته الشمس فظلل عليه بردائه وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمي الجمرة وظلل به مرة أخرى وهو بالجعرانة وانهم كانوا في أسفارهم اذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم انتهى

(وأحاديث ان وعد رسول الله * ه بالبعث حان منه الوفاء) (فدعته الى الزواج وما أحسن ما يبلغ المنى الاذكياء)

أي وأتاها أيضا أحاديث أي اخبار الاحبار والرهبان والكهان بأن وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مصدر مضاف لمفعوله أي وعد الله له وهو عند الاطلاق لا يستعمل الا في الخير بالبعث أي بالارسال

 الى الخلق كافة حان أي قرب منه أي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله الوفاء أي قرب وفاء الله سبحانه وتعالى بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جملة ذلك ما رواه ابن اسحق انه كان لنساء من قريش عيد يجتمعن فيه في المسجد فاجتمعن فيه فجاء يهودي فقال يا معشر نساء قريش يوشك ان يظهر فيكن نبي فايتكن استطاعت ان تكون فراشا له فلتفعل فحصبته النساء وقبحته وأغلظن عليه وعضت خديجة على قوله ووقر ذلك في نفسها فلما أخبرها ميسرة

بما رآه قالت ان كان ماقاله اليهودى حقا فهذا هو * ولما قدمت التجارة ورأت ربحها ضعف ما كانت تربح أضعفت له ماسمت له اه فبسبب ما رأته منه وما بلغها عنه مما يحمل من له ذرة من عقل علي أن يغسل قدميه ويشرب غسلهما دعته أى خطبته الى الزواج أى الى أن يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم انى قد رغبت فى نكاحك لما رأيته وعرفته منك وكان سنها يومئذ أربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين سنة علي الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبله رجلين

وما احسن بلوغ الاذكياء الامانى والاذكياء جمع ذكى كغنى واغنياء والذكاء شدة قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء وتسمى هذه القوة الذهن وجودة تهيئها لتصور مايراد عليها من الغير الفطنة قاله فى المطول والمنى بمعنى الامانى جمع أمنية وهى مايتمناه الانسان اى شىء عظيم حسن بلوغ الاذكياء كل مايتمنونه ومنهم بل من اكملهم خديجة رضى الله عنها فلذا كانت أفضل امهات المؤمنين رضى الله عنهن علي الاصح كما سياتى * ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل علي خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها عليه السلام وأصدقها عشرين بكرة وحضر ابو بكر ورؤساء مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد اى من اصله وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته اى الكافلين له وسواس حرمه اي المتولين لامره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام علي الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لايوزن برجل الا رجح به فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد ممن قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة ان بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطب جليل فزوجها ابو هامنه وقد ذكر الدولابي وغيره ان النبى صلى الله عليه وسلم اصدق خديجة اثنى عشرة اوقية ذهبا ونصف اوقية قالوا وكل اوقية أربعون درهما وما تقدم من ان والدها هو الذى زوجها اياه هو الذى فى سيرة الزهرى والذى عليه الاكثر وصححه السهيلى ان الذى

فيستحب فيه التياسر لامن باب التحسين وانظر حكاية أبى حنيفة مع الحجام فقد ذكرها القلشانى وغيره * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا يحيي بن سعيد) بن فروخ بفتح الفاء وضم الراء المشددة (عن هشام بن حسان) الظاهر انه فعال للمبالغة من الحسن فيصرف لان النون أصلية وان كان فعلان من الحس بتشديد السين فلا يصرف ونظيره انه قيل لبعضهم أتصرف عفان قال نعم ان مجوته لا ان مدحته لانه علي الاول من العفونة وعلي الثانى من العفة (عن الحسن) أي البصري كما فى نسخة وهو أنصارى مولاهم قال الفضيل بن عياض أدرك الحسن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وثلاثين وهو أفضل التابعين أو من أفضلهم كانت أمه خادم أم سلمة فكان اذا بكى فى صغره جعلت ثديها فى فيه فبورك فيه حتى صار عالما زاهدا فقيها فصيحا تضرب الامثال بنسكه مات بالبصرة سنة ستين أو خمس وسبعين (عن عبد الله بن مغفل) من أهل بيعة الرضوان (قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الترجل) أى تسريح الشعر (الا غبا) أى وقتا بعد وقت ومنه حديث زر غبا تزدد حبا رواه جماعة وقيل هو ان يفعل يوما ويترك يوما واصله ورود الابل الماء يوما وتركه يوما ثم صار يستعمل فى فعل الشىء مرة وتركه أخرى قال ابن العربي موالاته تصنع وتركه تدنس واغبابه سنة وقال عياض المراد النهي عن المواظبة عليه والاهتمام به لانه مبالغة فى التزين اه وهذا في حق الرجال وأما النساء فذلك الشأن فيهن * قال المصنف (حدثنا الحسن بن عرفة) بمهملتين مفتوحتين ثم فاء (نا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن أبى خالد) قال بعضهم الصواب اسقاط لفظ ابن لان أبا خالد كنية يزيد لا أبوه (عن أبى العلاء الاودى عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل) قيل هو الحكم بن عمرو وقيل عبد الله بن سرجس وقيل عبد الله بن مغفل وهو الاقرب للحديث الذي قبله (من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم) وأصحابه رضى الله عنهم كلهم عدول فيصح الاحتجاج بالحديث ولا يضر الجهل بالصحابي خلافا لمن غفل فقال الحديث لا يحتج به للجهل فى اسناده (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يترجل غبا) وفى رواية النسائى عن حميد بن عبد الرحمن قال لقيت رجلا صحب النبى صلي الله عليه وسلم كما صحبه أبو هريرة أربع سنين قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمتشط أحدنا كل يوم * قال في جمع الوسائل تنبيه ورد بسند ضعيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتنور وكان اذا كثر شعره اى شعر عانته حلقه لكن صح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا طال أبعانته فطلاها بالنورة وأعل بالارسال وهو لا يضر لان المرسل حجة عند الجمهور واما خبر انه صلي الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فموضوع باتفاق الحفاظ وان وقع فى كلام الدميري قال ابن حجر ولم تعرف العرب الحمام ببلادهم ولا بعد موته صلى الله عليه وسلم

باب
ماجاء فى شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم

اى ماجاء من الاخبار الواردة فى تحقيق شيبه ومعناه كون الشعر ابيض والمتحصل من الروايات

زوجها هو عمها عمر بن أسد (وأتاه في بيتها جبرئيل * ولذى اللب في الامور ارتياء)
(فاماطت عنها الخمار لتدرى * أهو الوحى أم هو الاغماء) (فاختفى عند كشفها الرأس جبريل فما عاد أو أعيد الغطاء)

ان شيبه صلى الله عليه وسلم كان فى ثلاثة مواضع فى مفرق رأسه وفى الصدغين وفى العنفقة وهى ما بين الذقن والشفة السفلى وكان فيها أكثر من غيرها * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا أبو داود) الطيالسى لانه سمع همام بن يحيى دون المصاحفى واسمه سليمان بن داود (نا همام) ابن أبي يحيى به يتميز عن همام بن منبه (عن قتادة قال قلت لأنس بن مالك هل خضب) بفتح الضاد أى صبغ (رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى شعره (قال لم يبلغ ذلك) الضمير المستكن فى لم يبلغ للنبى أو للشيب المذكور حكما بقرينة خضب والمشار اليه بذلك هو الخضاب المستفاد من خضب ويدل على ماذكرنا من أن الاشارة بذلك للخضاب مافى مسلم من رواية محمد بن سيرين قال سألت أنس بن مالك هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب فقال لم يبلغ الخضاب أى حده (انما كان) أى شيبه (شيأ) أى قليلا (في صدغيه) تثنية صدغ وهو مابين العين والاذن ويسمى الشعر النابت عليه أيضا صدغا وهو المراد هنا وفي رواية شيأ فى صدغيه أى بياضا يسيرا وفي رواية للبخارى انما كان شيء بالرفع أى شيء من الشيب واعلم ان في هذا الحديث اشكالين أحدهما ان هذا الحصر ينافي ماسيأتي عن انس انه ماعد فى رأسه ولحيته الا أربع عشرة شعرة بيضاء وما فى البخارى من أن البياض كان في عنفقته والثاني ان كلام أنس يقتضى نفى خضابه صلى الله عليه وسلم وسيأتى خلافه عن ابن عمر في الصحيحين وغيره والجواب ما اشار اليه العسقلاني ونصه وجه الجمع ما وقع عند مسلم عن أنس قال لم يخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان البياض فى عنفقته نبذ بضم ففتح او بفتح فسكون أي شعرات متفرقة وعرف من مجموع ذلك أن الذى شاب من عنفقته أكثر مما شاب من غيرها ومراد أنس انه لم يكن فى شعره ما يحتاج الي الخضاب وقد صرح بذلك فى رواية محمد بن سيرين قال سألت أنس بن مالك أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب قال لم يبلغ الخضاب ولمسلم من طريق حماد عن ثابت عن انس لو شئت ان اعد شمطات كن فى رأسه لفعلت زاد ابن سعد والحاكم ماشأنه بالشيب ولمسلم من حديث جابر بن سمرة قد شمط مقدم رأسه ولحيته وكان اذا دهن لم يتبين فان لم يدهن تبين انتهى كلامه قال بعضهم لم يظهر لى وجه الجمع بما ذكر وقال فى جمع الوسائل والذى يظهر لى ان مراده والله أعلم ان هذا الحديث مقتطع من حديث طويل لانس فالجمع باعتبار المجموع قال ثم كلام العسقلاني متضمن للجواب عن اشكال آخر وهو انه قد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم خضب كما سيأتى فى باب الخضاب فكيف يجمع بينه وبين قول انس انه لم يخضب فاشار الى الجواب بان مراد أنس أنه لم يكن فى شعره ما يحتاج الى الخضاب بمعنى انه لم يكثر شيبه صلى الله عليه وسلم وهذا لا ينافى انه خضب واما قول ابن حجر قول أنس لم يخضب انما قاله بحسب علمه فبعيد جدا لان انسا خادم ملازم له صلى الله عليه وسلم فكيف يخفى عليه مثل هذا ويطلع عليه غيره نعم يمكن أن يقال من نفى الصبغ اراد نفيه بصفة الدوام والاغلبية ومن أثبته اراد اثباته بطريق الندرة فلا منافاة وقد ثبت عن ابن عمر فى

فاحبت أن تنتقل الي عين اليقين وكيف لا تريد هذه المرتبة العلية ولصاحب اللب أى العاقل الكامل في الامور أى الاحوال التى قد تشتبه ارتياء أى استبصار وفراسة يميز بها حسنها من قبيحها وهذا الشطر جملته اعتراضية مناسبة لما قبلها وما بعدها وفيه حكمة ومثل فبسبب تلك المحبة مع ما عندها من كمال العقل أماطت أى أزالت عن رأسها ماتخمره به أى تغطيه به لتدرى أى لكى تعلم عين اليقين أهو أى هذا الذى عرض له صلى الله عليه وسلم حتى أخرجه عن حالته المألوفة منه الوحى أى حامله وأمينه الذى كان يأتى به الانبياء قبله وأم هى معادلة الهمزة المطلوب بهما التعيين والاغماء هو من الامراض العادية ومن ثم جاز على الانبياء دون الجنون فبسبب ازالتها الخمار عن رأسها اختفى جبريل عند كشف خديجة رأسها فما عاد الي أن أعادت غطاء رأسها فاعيد ماض مبنى للمفعول والغطاء نائبه وقد أدخل الناظم أو التى بمعنى الى على الماضى والمعروف عند النحاة انها لا تدخل الا على المضارع فلو قال او يعاد الغطاء لسلم انظر ابن حجر

(فاستبانت خديجة انه الكنز الذى حاولته والكيمياء)

اى لما اختفى جبريل عند القاء الخمار علمت خديجة وظهر لها اتم ظهور ان مايعرض للنبى صلى الله عليه وسلم الذى طلبت الوقوف فيه على عين اليقين الكنز اى الشيء النفيس الذي لا انفس منه الذى حاولته اى ارادت حيازته والظفر به وانه الكيمياء وهو العلم البديع الذى يقلب الاعيان الرديئة الى الاعيان النفيسة واستعار الكنز وهو المال المدفون والكيمياء وهو العلم المعروف للوحى لان بهما تحصل الذخائر النفيسة المنتفع بها حالا ومآلا كما ان الوحى كذلك وايضا هما لا يظفر بهما الا الفذ النادر وكما ان الوحى لا يظفر به

الا أكمل البشر وهم فى غاية الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس ويحتمل أن يكون اسم ان عائدا على النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الاختبار الذى وقع من خديجة رواه أصحاب السير عنها انها علمت من عمها ورقة ان جبريل لايحضر محلا فيه امرأة مكشوفة الراس فلذا فعلت ماذكره الناظم * ثم اعلم ان السيدة خديجة رضى الله عنها ملكت امر نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم كما أنفقت عليه مالها واتبعته فيما قال لها وامتثلت أوامره فيما أمرها وتلك آية صدق المحبة وعلامة صحتها اذ علامة بيع الروح وتسليمها ايثار رضا المحبوب على هوى النفس حتى لايبقى للمحب غرض فى غير رضا محبوبه فالروح اول ثمن المحبة فمن عزت عليه روحه فهو مفلس فى سوق المحبة فلايطمع فى تحصيلها اذ لاثمن عنده والسلعة نفيسة عزيزة لها تجار يرصدونها فلا يصل اليها المطالون ولا يظفر بها المفلسون والشى العزيز النفيس يكثر المدعون لتحصيله والانتساب اليه لعزته وتنافسه فلذلك طولب المدعون للمحبة باقامة البينة على صحة دعواهم فان دعواهم تقتضى انهم بذلوا ارواحهم وذلك امر خفى بينته ايثار رضا المحبوب وصيرورة هوى المحب تابعا له كما تقتضيه قاعدة الملك قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فعند ذلك افتضح كثير من المدعين وظهر عجزهم والصادقون منهم أقاموا البينة بمتابعة الحبيب فى أقواله وأفعاله وأخلاقه فطولبوا بتزكية البينة وتزكية شهودها وذلك بالجهاد فى سبيل الله لا يخافون لومة لائم والجهاد جهاد العدو وجهاد النفس وذلك هو بيعها لله تعالى المشار له بآية ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما عرفوا جلالة المشترى وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع عقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار فقالوا قال والله لانقيلك ولانستقيلك فلما تم العقد وسلم المبيع قيل لهم قد صارت نفوسكم وأموالكم لنا وردد ناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معها ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء الآية قال الشيخ زروق وقد قيل من الحكمة فى اشترائه مع ان الملك ملكه ثلاثة أشياء (أحدها) البشارة بعدم الرد بالعيب لان المشترى عالم (الثانى) ليسلم العبد نفسه اليه فيتولى تدبيره اذ لا يتم بيع

الصحيحين انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة وأما احتمال أن يكون مراده يصبغ الثوب لا الشعر فيرد بانه ثبت عن ابن عمر انه كان يصفر لحيته انتهى ملخصا وقد تقدم لنا فى شرح الحديث الاول ان حكمة عدم كثرة شيبه صلى الله عليه وسلم الرفق بازواجه فان النساء يكرهن الشيب طبعا وجبلة لما فيه من ازالة بهجة الشباب ورونقه ومفارقة القوى والانذار بقرب الاجل فان الشيب عنوان الموت وقد شرح هذا المعنى من قال

قالت أرى مسكة الليل البهيم وفت * كافورة أخلقتها راحة الزمن
فقلت طيب بطيب والتبدل فى * روائح الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت ولكن ليت ذاك كذا * المسك للعرس والكافور للكفن

(وقال آخر)

أعرضت حين أبصرت شعرات * فى عذارى كأنه الثغام
قلت هذا تبسم الدهر لكن * قد سعى فى صدودك الابتسام

ولا يبعد الجمع الذى ذكره العسقلانى قوله (ولكن أبو بكر خضب) لان معناه انه كثر شيبه وخضب والله أعلم ووجه الاستدراك ان أبا بكر مناسب للنبى صلى الله عليه وسلم وقريب منه فى السن (بالحناء) معروف (والكتم) فى النهاية قال أبو عبيد الكتم بتشديد التاء والمشهور التخفيف واختلفوا فى تفسيره ففى بعض كتب اللغة هو ورق يشبه ورق الآس يصبغ به وفى المهذب هو الوسمة وفى الصحاح الكتم نبت يخلط مع الوسمة وفى النهاية يشبه أن يكون معنى الحديث انه صبغ بكل منهما منفردا عن الآخر فان الخضاب بهما يجعل الشعر أسود وقد صح النهى عن السواد ولعل الحديث بالحناء أو الكتم باو على التخيير ولكن الروايات على اختلافها بالواو اه وقال العسقلاني الكتم الصرف يوجب سوادا مائلا الى الحمرة والحناء يوجب الحمرة فاستعمالهما يوجب ما بين السواد والحمرة انتهى وعليه فالواو على بابها لا بمعنى أو (تنبيه) قول الحنفى ان الانسب بهذا الحديث باب الخضاب قال فى جمع الوسائل فيه انه لما كان الشيب مثبتا فى هذا الحديث ناسب ذكره فى هذا الباب وموضوع ذلك الباب انما هو ثبوت الخضاب اه بالمعنى * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور ويحيى بن موسى قالا نا عبد الرزاق) هو ابن همام بن نافع الحميرى مولاهم ثقة حافظ كبير مصنف شهير روى الستة حديثه قال العصام وكان يتشيع والله أعلم (عن معمر عن ثابت عن انس قال ماعددت فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا اربع عشرة شعرة بيضاء) هذا لا ينافى قوله فى صدر الكتاب وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء الذى هو بحسب العرف فى معنى نحو العشرين لان الاربع عشرة نحو العشرين لانها اكثر من نصفها نعم قدمنا هناك انه روى عن انس ماشانه الله بالشيب ماكان فى رأسه ولحيته الا سبع عشرة او ثمان عشرة شعرة بيضاء الا أن يكون هذا بحسب الظن والتخمين وما ذكره هنا اخبار عما تحصل عنده بالعدو والله اعلم

الابعد تسليم ولا كفالة الابعد اقباض (الثالث) اظهار تمام الفضل في ظهور النسبة الي الله تعالى اه وانظر شرح همزية شيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله *(فائدة)* قال ابن عبد البر اتفقوا علي أن خديجة أول من آمن مطلقا وقال ابن الاثير خديجة أول خلق الله اسلاما باجماع المسلمين ولم يتقدمها رجل ولا امرأة وكذلك حكى هذا الاجماع الذهبي والثعلبي وانما اختلفوا فيمن أسلم بعدها وقال ابن الصلاح وأصله للطبراني الاول التوفيق بين الروايات كلها فيقال (٦١) أول من أسلم مطلقا خديجة وأول ذكر أسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفيا باسلامه وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر اسلامه أبو بكر وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة ومن العبيد بلال وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجتك قد أتتك باناء فيه طعام أو ادام وتمرات فاذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب والقصب اللؤلؤ المجوف وجاء من وجوه انه صلى الله عليه وسلم قال أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون قال الشيخ ولي الدين العراقي خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار وقيل عائشة وكذا صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا منها لا والله ما رزقني الله خيرا منها الخ وجمع ابو امامة بن النقاش بان سبق خديجة وتأثيرها في أول الاسلام وموازرتها ونصرتها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه أحد لا عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين وتأثير عائشة في اخذ الاسلام وحمل الدين وتبليغه الي الامة وادراكها من الامة مالم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به دون غيرها وفي حديث الحلية ومثله في الاستيعاب خطابا لفاطمة يا بنية أما ترضين انك سيدة نساء العالمين فقالت يا أبت فاين مريم بنت عمران قال تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك اه وهو صريح في تفضيل فاطمة علي أخواتها وعلي عائشة ويبقى النظر فيما بينها وبين أمها خديجة لحديث البخاري خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة اي نساء عالمها والتفضيل بلفظ السيادة

* قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا أبو داود نا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت جابر بن سمرة سئل) في نسخة وسئل (عن شيب رسول الله صلي الله عليه وسلم قال كان اذا دهن رأسه) بفتح الهاء أي طلاه بالدهن وأما ادهن بتشديد الدال فهو وان كان بمعنى استعمل الدهن لكنه لازم فلا ينصب المفعول فلا يصح هنا دراية وان زعم بعض انه ثابت رواية والظاهر انه انما روى في حديث ليس فيه ذكر الرأس وسيأتي (لم ير منه شيب) لالتباس بياضه بلمعان الشعر من الدهن (فاذا لم يدهن) بضم الهاء (رؤى منه) يفهم من الحديث قلة شيب رأسه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن عمر بن الوليد الكندي) بكسر الكاف منسوب الى كندة قبيلة من العرب (الكوفي نا يحيى بن آدم عن شريك عن عبيد الله بن عمر) بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ثقة ثبت قدمه احمد بن صالح على مالك عن نافع وقدمه ابن معين علي القاسم عن عائشة وعلي الزهري عن عروة عنها (عن نافع) مولي ابن عمر (عن ابن عمر) بن الخطاب ولد بعد البعثة بيسير قيل شهد أحدا وما بعده وقيل شهد الخندق وما بعده روى له عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ألف وستمائة وثلاثون حديثا (قال انما كان شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو أمن عشرين شعرة بيضاء) سبق الكلام عليه * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبي اسحق) السبيعي (عن عكرمة) مولى ابن عباس من كبار التابعين (عن ابن عباس قال قال ابو بكر) لرقة قلبه وشدة شفقته على قرة عينه صلى الله عليه وسلم (يا رسول الله قد شبت) أي ظهر فيك شيب وهذا لا ينافي ماسبق من قلة شيبه صلي الله عليه وسلم فلا يحتاج الى قوله في جمع الوسائل ان معنى قوله شبت ظهر فيك أثر الشيب من الثقل وضعف البدن ونحوهما فلا ينافي ماسبق من قلة الشيب اه وقد تكون حكمة سؤال أبي بكر رضي الله عنه عن ذلك ان مزاجه صلى الله عليه وسلم اعتدلت فيه الامزجة والطبائع الاربعة واعتدالها مستلزم لعدم الشيب قبل أوانه فكانه يقول مقتضى اعتدال مزاجك أن لا يظهر فيك شيب الآن فاجابه صلى الله عليه وسلم بانه انما ظهر قبل أوانه اللائق باعتدال مزاجه لعارض اهتمامه بأمر أمته وملاحظة عاقبة امرهم وما لهم وشدة خوفه وشفقته عليهم ان يصيبهم شيء مما نزل بغيرهم من الامم حسبما قصه الله علينا في كتابه في سورة هود وغيرها من السور التي ذكر فيها ذلك ولهذا (قال) صلى الله عليه وسلم (شيبتني هود) بالتنوين ان كان اسما للنبي ويكون على حذف مضاف اي سورة هود وبدونه ان كان علما على السورة (والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت) واما قول ابن حجر ان اعتدال المزاج مستلزم لعدم الشيب ولو في أوانه فغير صحيح لان الاعتدال انما يقتضي الاعتدال بان لا يتقدم على أوانه ولا يتأخر عن أوانه ولا يقتضي عدم الشيب ولو في أوانه اللائق بالاعتدال قاله في جمع الوسائل ثم المراد هذه السور وأمثالها مما يدل علي احوال القيامة وأهوالها أو على أنواع العقوبات والمثلات التي

أرجح فى جانب فاطمة مع ضميمة كونها بضعة ورجحان كونها افضل من مريم اظهر لفضيلة نساء هذه الامة وقد فضلت أمها التى فضلتهن فكيف لاتفضل مريم التى فضلت المفضول وهو نساء عالمها وتبين بهذا أيضا انتفاء نبوة مريم والالما سويت بخديجة فى الحديث المذكور وكذا لايلزم التساوى مع اخواتها لان اطلاق البضعة فى حقها يفيد مزيد شبه به فى اخلاقه الكريمة وخلقه ولذلك قالت عائشة مارأيت اصدق لهجة من فاطمة بعد أبيها وذكر علم الدين العراقى ان فاطمة وأخاها ابراهيم

افضل من الخلفاء الاربعة وروى عن مالك انه قال لما سئل عن ذلك لاأفضل على بضعة من النبى احدا قال بعض العارفين أما من حيث المعارف والاسرار الربانية فأبو بكر أفضل ثم هم على الترتيب وأما من حيث البضعة ففاطمة افضل فكأنه يريد فاطمة اشرف من حيث الجوهر والجسم وابو بكر أشرف من حيث العرض القائم بالجسم والسر المتوارد عليه اه ومن معنى هذا مافى نوازل النكاح من المعيار من قول عمر فى رسالته لعلى عند توقفه عن مبايعة ابى بكر رضى الله عنهم ولعمرى انك أقرب الى رسول الله صلى عليه وسلم قرابة ولكنه أقرب منك قربة قال ابو عبد الله محمد ابن القاضى عياض القرابة لحم ودم والقربة روح ونفس اه وفى الاتقان للسيوطى ما نصه استدل الامام فخر الدين الرازى بقوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى مع قوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم على أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الآية الأولى نزلت فيه باجماع اه قلت ويتركب من الآيتين قياس من الشكل الاول وهو ابو بكر أتقى الناس بحكم الآية الاولى لان الحذف يقتضى العموم

نا

حتى يقوم دليل على الخصوص والمفضل عليه في الآية محذوف فيقدر عاما وكل من كان اتقى من غيره فهو أكرم منه بمقتضى الآية الثانية ينتج ابو بكر اكرم من غيره اى من الامة وهو المطلوب * (تنبيه) * قال ابو عمر اجمعوا على ان خديجة ولدت له صلى الله عليه وسلم اربع بنات كلهن ادرك الاسلام وهاجرن وهن زينب وفاطمة ورقية وام كلثوم واجمعوا على انها ولدت له ابنا يسمى القاسم وبه

نزلت بالامم السالفة وليس المراد خصوص هذه السور بدليل الرواية الآتية وهى قوله شيبتنى هود وأخواتها وقد أخرج ابن سعد عن أنس قال قال ابو بكر بابي وأمي ما أخواتها قال الواقعة والقارعة وسأل سائل واذا الشمس كورت وقد علمت ان القارعة وسأل سائل غير مذكورتين فى السور المذكورة هنا وأما قول ابن حجر كان وجه تخصيص هذه السور بالذكر انه صلى الله عليه وسلم حالة اخباره بذلك لم يكن أنزل عليه مما يشتمل على مامر غيرها فغير صحيح اذ لاشك ان السؤال كان بالمدينة والسور المكية هى التى تشتمل على وقائع الأمم السالفة كالشعراء وطه والانبياء والقصص وغيرها والمدنيات منحصرة في الخمس الاول وفى الرعد والفتح والتى قبلها وبعدها والرحمن والحديد وقد سمع والحشر والنصر وليس فى شىء منها مايناسب المذكور فى غيرها قاله فى جمع الوسائل والاحاديث فى شدة اهتمامه صلى الله عليه وسلم بامته واعتنائه بامورهم وشفقته عليهم ورحمته بهم كثيرة مشهورة وقد وردعن عائشة رضي الله عنها قالت قمت ذات ليلة أطلب النبى صلى الله عليه وسلم وقد خرج من البيت فوجدته بالبقيع فيقول قائما يارب امتى وساجدا يارب أمتى فقلت يارسول الله وأين القرآن فقد نسيته لاجل هذه الامة فلما سمع قال لى ياعائشة أتعجبين من هذا أقول مادمت فى الحياة يارب امتى فاذا دخلت القبر قلت يارب امتى فاذا نفخ في الصور أقول يارب امتى وسيأتي للمصنف فى حديث صلاة الكسوف ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه فجعل ينفخ ويبكى ويقول رب ألم تعدني ان لاتعذبهم وانافيهم رب ألم تعدنى ان لاتعذبهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك وانظر الى ماذكره القرطبي في التذكرة من قوله صلى الله عليه وسلم فاذا عصف الصراط بامتى نادوا وامحمداه وامحمداه فابادر من شدة اشفاقى عليهم وجبريل آخذ بحجزتى فانادى رافعا صوتى رب أمتى رب أمتى لاأسألك اليوم نفسى ولافاطمة ابنتى انتهى قال شيخنا المحقق في كتابه الالمام والاعلام بنفثه من بحور علم ماتضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام فيحق على المؤمن اذا سمع بهذا وامثاله ان تعظم محبته صلى الله عليه وسلم فى قلبه وان يعظمه ويوقره باتباع سنته ولزوم طريقته ولايسعى الافيما يرضيه ولايحب ان يأتيه يوم القيامة الا بمايحب ان يظهر على امته وان يسعي فى تفريحه وادخال السرور عليه بتفريح امته وادخال السرور عليهم والاعتناء بامورهم الدنيوية والاخروية ومن هنا والله اعلم عظم ثواب من دعى لامته حتى كان لمن قال كل يوم على ماروى عن الخضر عليه السلام اللهم اغفر لامة محمد صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم أمة محمد اصلى الله عليه وسلم اللهم استر امة محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجبر امة محمد صلى الله عليه وسلم انه يكتب من الابدال لما فيه من تفريحه صلى الله عليه وسلم بالاعتناء بأمته ومن عمل بهذه النية كثر ثواب عمله وسهل عليه العمل اذ من استحضر انه يرضى محبوبه الجليل العظيم الوجيه الفخيم خف عليه ماكان ثقيلا وقصر فى نظره ماكان طويلا وجاد بما كان به بخيلا انتهى * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع

كان يكنى صلى الله عليه وسلم وقال عقيل عن ابن شهاب ولدت له خديجة فاطمة وزينب وأم كلثوم ورقية والقاسم والطاهر وكانت زينب أكبر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزبير ولد لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم وهو أكبر ولده ثم زينب ثم عبد الله وكان يقال له الطيب ويقال له الطاهر ولد بعد النبوة ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية هكذا الاول فالاول ثم مات القاسم بمكة وهو أول ميت مات من ولده ثم عبد الله مات أيضا بمكة اه وولد للنبي صلى الله عليه وسلم ابراهيم من مارية القبطية

نا محمد بن بشر عن علي بن صالح عن أبي اسحق عن أبي جحيفة) صحابي مشهور كان في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ روي عنه خمسون حديثا حديثان في البخاري وثلاثة في مسلم (قال قالوا) أي الصحابة أو رئيسهم أبو بكر أو الجمع للتعظيم (يارسول الله نراك) بصرية أو علمية (قد شبت) حال على الاول ومفعول ثان على الثاني (قال شيبتني هود وأخواتها) أي اشباهها التي ذكر فيها أحوال السعداء والاشقياء وأهوال القيامة كما تقدم والهموم والاحزان اذا تفاقمت الانسان أسرع اليه الشيب قال المتنبي

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم

قال الزمخشري ومما مر بي في بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر وأصبح أبيضه كالثغامة فقال رأيت القيامة والناس يقادون الى النار بالسلاسل فمن هول ذلك أصبحت كما ترون اه وفي هذا الحديث اشارة الى أن من شأن المؤمن العاقل أن يهتم بامر ربه ويجعل الآخرة وأهوالها نصب عينيه وان يستعظم قبح حالته ويخاف من عاقبة ذلك دنيا وأخري ولا يأمن ان يكون ممن يصدق عليه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله الآية وقد ذكر في شرح السنة عن بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت بأية آية قال قوله فاستقم كما أمرت اه فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته ورفعة منزلته يهتم لامر ربه حتى يظهر أثر ذلك في بدنه فكيف بامثالنا الغافلين عن حقوق رب العالمين فنسأل الله سبحانه ان يحمل خلاصنا بفضله وقد قطع خوف الطرد والبعد قلوب أقوام لا يحصون في هذه الامة المشرفة وحكاياتهم في ذلك كثيرة قال عطاء السلمي خرجنا مع عتبة الغلام فبينا نحن نمشي معه اذ مر بمكان فسقط مغشيا عليه فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤا بماء فمسحوا وجهه فأفاق فسألوه عن أمره فقال انى ذكرت انى كنت عصيت الله في ذلك المكان وأنشدوا

بكت عينه لما بكت عين قلبه * ولولا بكاء العين لم تدر ما به
اذاب بخوف الله صحة جسمه * وأبلى بتقواه رداء شبابه

وقال ميمون بن مهران لما نزل قوله تعالى وان جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا شعيب بن صفوان عن عبد الملك بن عمير عن اياد بن لقيط العجلي عن أبي رمثة) يأتي في الباب بعد ان اسمه رفاعة (التيمي تيم الرباب) بكسر الراء وتخفيف الموحدتين واحترز عن تيم قريش قبيلة أبي بكر وتيم بالجر بدل من التيمي لان معناه المنسوب الى التيم ونكتة البدل تعدد التيم كانه يقول أعني بالتيم الذي نسب اليه تيم الرباب لا تيم قريش قال ابن حجر الرباب خمس قبائل من جملتهم تيم غمسوا أيديهم في رب وتعاقدوا وتحالفوا فصاروا يدا واحدة اه والخمس ضبة وثور وعكل وتيم وعدى (قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي) الجملة حال من فاعل

وانظر تفصيل ذلك في المواهب وتوفيت خديجة رضي الله عنها في السنة الحادية عشرة من البعثة بعد موت عمه أبي طالب بثلاثة أيام وذكر في المواهب انه روى مرفوعا انما سميت فاطمة لان الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة أخرجه الحافظ الدمشقي وروى النسائي مرفوعا لان الله قد فطمها ومحبيها عن النار وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير

(ثم قام النبي يدعو الى الله * ه
وفي الكفر نجدة واباء)
(أما أشربت قلوبهم الكفـ
ـفر فداء الضلال فيهم عياء)

أي ثم بعد نزول أول الوحي ووقوع الفترة ونزول قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ قام النبي صلى الله عليه وسلم بجد واجتهاد في حال كونه يدعو الى عبادة الله والايمان به وبرسوله وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وفي الكفر نجدة أي قوة تامة واباء أي امتناع من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به ومفعول يدعو أما أي جماعات هم أمة الدعوة من وصفهم انهم حينئذ أشربت بالبناء للمفعول قلوبهم الكفر اى اختلطت به بتقدير بجسمه وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل علي غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ فداء الضلال الذي استقر فيهم أي مرضه داء وبرؤه عياء بهملة مفتوحة فتحتية أي داء عضال اعيا الاطباء مداواته والمعنى انه صلى الله عليه وسلم قام نذيرا يدعو الخلق الى الله تعالى امتثالا لقوله له قم فانذر وانما اقتصر على ذكر الانذار لانه الثابت اذ ذاك اذ لم يكن

علي وجه الارض مؤمن يستحق التبشير ومن المعلوم ان الارض كانت مملوءة بطوائف الكفار وصناديد الطغاة والعتاة فقام صلى الله عليه وسلم يحرجهم عن أديانهم وهو وحده لا وزير له ولا اتباع في الارض وهو مع ذلك ثابت القلب قوي العزم لا يخاف في الله لومة لائم ولا يخشى عناد معاند ولا انكار منكر مع ان أهل الشر والعناد والطغيان والفساد لهم غاية القوة والشوكة ونهاية الجسارة والجرأة

اى ورأينا معشر الامة اى أبصر الصحابة وعلم من بعدهم بطريق التواتر والشهرة آياته اي معجزاته وخلقه وخلقه وبديع صفاته فاهتدينا أى وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع وانما بادرنا الى ذلك لانا أصحاب عقول كاملة وقد رأينا الحق عيانا لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه اذا جاء الحق زهق الباطل وزال المراء أى الضلال والجدال فيه وهذا فيه تعريض بمن لم يؤمن مع مشاهدته ماذكر ولكن يارب ان الهدى أى اتباع الحق ليس الا بتوفيقك وهدايتك كما قلت في كتابك العزيز فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وان آياتك التي أقمتها أدلة على صدق أنبيائك نور كما قلت قد جاءكم من الله نور تهدي بها من تشاء هدايته وتضل عنها من لا تشاء هدايته وفيه اقتباس

(كم رأينا ما ليس يعقل قد أل * هم ما ليس يلهم العقلاء
اذ أبي الفيل ما أتى صاحب الفي * ل ولم ينفع الحجا والذكاء

الاتيان ولم يسم هذا الابن وفي رواية ابي داود والنسائي رأيت النبي مع أبي زاد أبو داود ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي ابنك الخ فرواية الترمذي عن الاب ورواية أبي داود والنسائي عن الابن والله أعلم (قال) أي أبو رمثة (فأريته) ان كان مبنيا للمفعول فالمعنى أرانيه الناس وعرفوني به وان كان مبنيا للفاعل فالمعنى انه أراه لابنه وعرفه بما رأي عليه من علامات النبوة ونورها وآثار الهيبة الالهية فان الظاهر عنوان الباطن وما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر كما قال في الحكم وتقدم قول من قال

لو لم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

فقوله (فقلت لما رأيته هذا نبي الله) على الوجه الاول تصديق لمن عرفه به وعلى الثاني ظاهر (وعليه ثوبان أخضران) الجملة حال من مفعول رأيت وقوله أخضران أى مصبوغان بالخضرة بتمامهما وهذا أكثر لباس أهل الجنة كما ورد ويحتمل انهما كانا بخطوط خضر كما ورد في بعض الروايات بردان بدل ثوبان ويأتي في باب اللباس والغالب أن البرود ذوات الخطوط وقال العصام المراد بالثوبين الرداء والازار (وله شعر قد علاه شيب) أى قليل لما تقدم من أنه انما شاب منه قليل (وشيبه أحمر) يعني خلقة وهو مبادي الشيب أو بصبغ ويؤيده ما رواه الحاكم عن أبي رمثة أيضا ان شيبه أحمر مصبوغ بالحناء وسيأتي هذا في الباب بعده * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا سريج بن النعمان نا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب قال قيل لجابر بن سمرة أكان في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم شيب قال لم يكن في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم شيب الا شعرات في مفرق) بفتح الميم وسكون الفاء وكسر الراء أى محل تفرق شعر (رأسه) وقال الحنفي بوسطه وقال ابن حجر أي مقدمه ولم ينبه على ما كان في لحيته من الشيب لانه انما سئل عن الرأس (اذا أدهن) اى استعمل الدهن ووضعه على رأسه (وأراهن) أي اخفاهن (الدهن) بضم الدال وان قرئ بفتح المهملة وساعدته الرواية فهو أظهر من جهة المعنى لان السببية فيه أقوى كما لا يخفى وروي مسلم كان اذا دهن لم يتبين واذا شعث تبين قال الطيبي شعث اي تفرق شعر رأسه فدل هذا على انه عند الادهان كان يجمع شعر رأسه ويضم بعضه الى بعض وكانت الشعرات البيض من قلتها لا تبين فاذا شعث رأسه ظهرت اه ويقال شعث الشعر اذا تلبد لقلة تعهده بالدهن فله معنيان على هذا

باب ماجاء في خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخضاب يطلق على ما يخضب به أى ما يلون به كما في القاموس ويطلق مصدرا بمعنى التلوين وهذا المعنى أنسب بالباب لان معظمه بهذا المعنى خلافا لاستبعاد بن حجر وانما جاء حديث واحد في الباب يناسب المعنى الاول قاله في جمع الوسائل (حدثنا أحمد بن منيع نا هشيم) بضم ففتح (نا عبد الملك بن عمير عن اياد بن لقيط قال اخبرني ابو رمثة قال أتيت

لماذا كر ان الهدي هدى الله وانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء وان الآيات وحدها لا تجزي شيأ ذكر ما يستغرب من ذلك وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم مرة اي مرارا كثيرة رأينا اي علمنا او أبصرنا ما اي شخصا ليس يعقل اصلا كالحيوان والجماد قد ألهم من المصالح واجملة في موضع نصب مفعول ثاني رأى وما الثانية مفعول ألهم واذ ظرف او علة وأبى امتنع الفيل مما أتى اليه اى عزم عليه صاحبه وهو أبرهة الحبشي والذي أتى اليه صاحب رسول

الفيل فامتنع الفيل منه هو هدم الكعبه وفيه وضع الظاهر موضع المضمر وبين أتى وأبى الجناس المصحف كقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولم ينفع الحجا أى العقل الوافر والذكاء اللذان اتصف بهما من لم يوفق لما وفق له الفيل وقصة الفيل معروفه مشهورة وفى كتب التفسير والسيرة مسطورة انظرها فى أوائل المواهب

(والجمادات أفصحت بالذى أخرس عنه لأحمد الفصحاء)

أفصحت أى نطقت بكلام فصيح من غير حياة أنطقها الله الذى أنطق كل شىء وان من شىء الا يسبح بحمده أو بخلق الحياة والادراك كما يدل عليه حنين الجذع ولذا التزمه النبى صلى الله عليه وسلم وضمه اليه وبشره وافصاحها كان بالشهادة والانباء والارسال الذى أخرس عنه الفصحاء فهو نائب فاعل أخرس ولاحمد متعلق بافصحت بمعنى ان العرب مع كونهم أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت ألسنتهم من النطق له صلى الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة له بالرسالة وشهدت له بذلك الجمادات الصم بافصح لسان وأبلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى فى يده ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر يسمع تسبيحهن من فى الحلقة رواه جماعة وهو مشهور وصح عن ابن مسعود كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم وصح أيضا انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث اني لأعرفه الآن قيل هو الحجر الاسود وقيل البارز بزقاق المرفق لانه كان بممره صلى الله عليه وسلم من دار خديجة الي المسجد وعليه أهل مكة سلفا وخلفا وصح عن علي كرم الله وجهه كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحى مكة فما استقبلنا شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى البزار وأبو نعيم لما

رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابن لى) ظرف لغو متعلق باتيت وفى نسخة معى بياء المتكلم خبر مقدم وقوله ابن لى مبتدا مؤخر والجملة من فاعل أتيت لكنه اكتفى بالضمير (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابنك هذا) على حذف همزة الاستفهام وقد ظهرت فى رواية أخرى (فقلت نعم) بفتحتين وقرئ فى السبعة بكسر العين وحكى اهل اللغة كسرها (اشهد به) جملة مقررة لقوله نعم يروى بصيغة الامر من الثلاثى المجرد أى كن شاهدا علي اعترافى بانه ابنى وفى نسخة بصيغة المضارع من الثلاثي المجرد أيضا أى أقر به واعترف ولما كان في هذه الجملة ما يشعر بانه ملتزم لجنايته علي عادة الجاهلية من مؤاخذة الوالد بجناية ولده وعكسه أخبره النبى صلى الله عليه وسلم بان الشريعة المطهرة قد أبطلت ذلك (فقال) صلى الله عليه وسلم (لا يجنى عليك ولا تجنى عليه) أى لا تؤاخذ بذنبه ولا يؤاخذ بذنبك زاد فى رواية قال وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تزر وازرة وزر أخرى وبه يظهر لك بطلان قول من قال يمكن أن يكون هذا الكلام دعاء لهما او اخبارا عن الغيب (قال) أبو رمثة وأعاد كلمة قال لفصل الكلام وسقطت في بعض النسخ (ورأيت الشيب أحمر) أى خلقة لقربه من البياض أو بسبب الخضاب وتقدم ان فى رواية الحاكم من هذا الوجه وشيبه أحمر مخضوب بالحناء ولأبى داود من حديثه وكان قد لطخ لحيته بالحناء وعند أحمد فاذا رجل له وفرة بها ردع من حناء وفى رواية فرأيت برأسه ردع حناء وأخرج ابن الجوزى فى طريق الوفاء من طريق غيلان ابن جامع عن اياد بن لقيط عن ابي رمثة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب بالحناء والكتم وهذه الرواية صريحة فى خضابه صلى الله عليه وسلم (قال ابو عيسى) يريد به نفسه كما تقدم (هذا) الحديث (أحسن شىء) اى ارجح حديث (روى فى هذا الباب) أى باب الخضاب (وأفسره) اى اوضحه دلالة علي المراد وانظر هذا مع ان قوله وشيبه احمر اورأيت الشيب أحمر محتمل كما تقدم فكيف يكون هذا افسر من غيره قال بعضهم ومعنى قوله (لان الروايات الصحيحة) أتت (أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الشيب) أنه لم يظهر البياض فى شعره كثيرا فلم يخضب وانما بلغ مقدمة الشيب وهى الحمرة الذاتية اه وهذا يدل علي انه لم يصح عنده شىء من الروايات المصرحة بالخضاب فى طرق حديث ابى رمثة قال ابن حجر بعد ذكر هذا التقرير وليس بظاهر لان الترمذي قائل بالخضاب بدليل سياقه لأحاديثه الآتية ولان هذا لو كان مراده لم يسق هذا الحديث فى هذا الباب اصلا بل كان يقتصر علي سياقه فى الباب قبله ولا يضر ذكر كونه احمر لان المراد حينئذ حمرته الذاتية التى هى مقدمة للشيب فذكره له بتمامه في البابين يدل علي ان له مناسبة بكل منهما وهى ان فيها اثبات الشيب وهو المناسب للباب السابق وان كان أحمر بالخضاب وهو المناسب لهذا الباب وأما الروايات الصحيحة انه لم يشب فمعناها انه لم يكثر شيبه مع انه كان يستره بالحمرة في بعض الاحيان اه قلت الظاهر ان مراد المصنف بهذا الكلام ما تقدم من ان حمرة شعره لم تكن بالخضاب وانما كانت ذاتية

استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا امر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروي البيهقى وابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس وبنيه بملاءته وقال يارب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كستري ايام بملاءتى فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وصح انه صلى الله عليه وسلم كان هو وأبو بكر وعمر وعثمان علي أحد اوحراء فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل

الايمان فقال له هل من شاهد قال هذه الشجرة فدعاها وهو صلى الله عليه وسلم على شاطئ الوادى فاقبلت تخد الارض خدا أى تشقها شقا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفى رواية قال لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها ومن بين يديها ومن خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يديه فقالت السلام عليك يارسول الله (٦٦) قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابى ائذن لى أن اسجد لك قال لو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها انظر ابن حجر

(ويح قوم جفوا نبيا بارض ألفته ضبابها والظباء)

ويح منصوب بفعل محذوف او منادى على حد ياحسرة على العباد اى احضر هذا وقتك وقد صرح النحاة بان المصدر اذا كان بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله نعم يجوز رفع بعضها كويح وفى القاموس ويح لزيد وويحا له كلمة رحمة ورفعه على الابتداء ونصبه باضمار فعل اه وقال ابن طاهر متى اضفت وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدأ لاخبر له انظر المنح وويح كلمة ترحم تقال لمن وقع فى مهلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى والأحسن ان الترحم هنا باعتبار النظر الى القرابة التى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم من عمود نسبه فلذا يحق أن يتأسف على قوم جفوا نبيا بلغ من مراتب الجلالة والتعظيم ما لم يبلغه نبى اى بغضوه وآذوه الايذاء البالغ بل قصدوا قتله بارض ألفته ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه البيهقى فى احاديث كثيرة وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال صلى

لا أومن بك حتى يؤمن هذا فقال له يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال من انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي وانظر حديث الضب مع ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قرب اليه لحم ضب فامتنع من اكله فسئل عن ذلك فقال لم يكن بارض

وانه لم يخضب وانما أعاد هذا الحديث فى هذا الباب حينئذ اشارة الى أن أحاديث الخضاب وقع فيها اشتباه على الرواة فالتبس عليهم حمرة الشعر التى هى مقدمة الشيب بحمرة الخضاب فقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم خضب مع انه لم يخضب ولاجل ان هذا هو مراده صدر هذا الباب بحديث أبي رمثة حتى يكون كل ما يذكر بعده من الاحاديث ليس على ما يتبادر منه من ثبوت الخضاب ثم استدل على نفى الخضاب بما ذكره من أن الروايات الصحيحة أن النبى لم يبلغ الشيب ولو كان مراده ما قال ابن حجر من أن شيبه كان أحمر بالخضاب لكان كلامه متدافعا متناقضا لان قوله لان الروايات الخ انما يصلح دليلا لنفى الشيب لا لثبوته والحاصل ان المصنف فهم ان شيبه كان أحمر بغير الخضاب بدليل ماصح أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الشيب وحينئذ فيجب أن يكون حديث أبى رمثة هذا هو الحجة فى هذا الباب وغيره من أحاديث الباب ليس على ما يتبادر منه لكن ما فهمه المصنف بعيد وغير متعين فقد تقدم حديث ابن عمر فى الصحيحين وأخرج أبو نعيم الاصبهانى عن عائشة قالت كان أكثر شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فودى رأسه وكان أكثر شيبه فى لحيته حول الذقن وكان شيبه كانه خيوط الفضة يتلألأ بين سواد الشعر فاذا مسه بصفرة وكان كثيرا ما يفعل ذلك صار كانه خيوط الذهب اه وأما ما استدل به المصنف من انه صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الشيب فليس معناه انه لم يخضب وانما معناه انه لم يكثر شيبه كما تقدم فى كلام ابن حجر وذلك غير مناف لقول من قال انه صلى الله عليه وسلم خضب وانما يبقى الكلام فى ثبوت الخضاب وعدم ثبوته والله أعلم ويأتي لذلك تتمة فى آخر الباب ويوجد فى بعض النسخ (وأبو رمثة اسمه رفاعة بن يثربي التيمى) نسبة الى تيم قبيلة وقد تقدم تحقيقه وكان المصنف انما أخر هذا الى هذا الباب ليذكر اسمه ونسبه بعد تمام كلامه

* قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا أبى) وكيع (عن شريك عن عثمان بن موهب) بفتح الهاء وهذا نسبة الى جده وابوه من الرابعة عبد الله كما نبه عليه بقوله الآتي وروى ابو عوانة الخ وعثمان هذا تيمى مولاهم مدني شهير بالاعرج ثقة أخرج حديثه الشيخان وغيرهما وأما عثمان ابن موهب المنسوب الى الاب من الطبقة الخامسة لم يخرج من اصحاب الصحاح حديثه الا النسائى وهو الراوى عن أنس (قال سئل ابو هريرة هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم) سيأتى ما فيه (قال ابو عيسى وروى أبو عوانة) هو الوضاح الواسطي البزار روى عنه الستة (هذا الحديث عن عثمان بن عبد الله بن موهب فقال عن ام سلمة) ظاهر هذا ان ام سلمة رضى الله عنها اخبرت أن النبى صلى الله عليه وسلم خضب وليس هذا هو المراد يبين لك ذلك ما اخرجه البخارى وابن ماجه واحمد ومن طريقه ابن الجوزى فى الوفاء وابن سعد قالا سمعنا من طرق كثيرة عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال دخلت على أم سلمة فاخرجت شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا هذا لفظ البخارى وزاد ابن ماجه واحمد بالحناء والكتم ولابن سعد من طريق نصير بن ابي الاشعث عن ابن موهب ان أم سلمة أرته شعر رسول الله

قوى فاجدنى أعافه وقد يجاب بأن معناه لم يكن بارض قوى مأكولا فالنفى مسلط على الخبر والظباء جمع ظبى وحديثه رواه البيهقى وأبو نعيم والطبرانى وساقه المنذرى وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحراء اذا هاتف يهتف يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة فى وثاق واعرابى نائم عندها فقال ماحاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى أذهب فارضعهما وأرجع فقال وتفعلين فقالت عذبنى الله عذاب العشار (٦٧) (١) أى المكاس ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابى فقال يارسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء فرحا وتضرب برجلها الارض وتقول أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وفى ذلك قيل

وجاء امرؤ قد صاد يوما غزالة
لها ولدخشف تخلف بالكدا
فنادت رسول الله والقوم حضر
فاطلقها والقوم قد سمعوا الندا

ولم يرد الناظم الحصر فى هذين وانما اقتصر عليهما لانهما أشد الوحوش توحشا فقد صح ان الذئب أخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما انه أخذ شاة فانتزعها الراعى منه فقال الا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله الى فتعجب الراعى من كلامه له فقال له الا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ماقد سبق وفى رواية بما مضى وماهو كائن الخ وكلمه ايضا الحمار والجمل وسجدت له الغنم انظر ابن حجر والفجر المنير لابن الفاكهانى

(وسلوه وحن جذع اليه
وقلوه ووده الغرباء)

صلى الله عليه وسلم أحمر وأخرجه البخارى أيضا وعند البخارى أيضا ان هذا الشعر كان عند أم سلمة فى جلجل من فضة وكان اذا أصاب الانسان عين أو شىء بعث اليها مخضبه اه فكانت تفرك ذلك الشعر فى ماء فاذا شربه العليل أو اغتسل به عوفى من مرضه قال الاسماعيلى ليس فيه بيان ان النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى خضب بل يحتمل ان يكون احمر بعده لما خالطه من طيب فيه صفرة اه وهذا الاحتمال الذى أبداه قد ثبت معناه عند البخارى فى باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ونصه بعد قول أنس وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قال ربيعة فرأيت شعرا من شعره فاذا هو احمر فسألت فقيل أحمر من الطيب اه قال فى جمع الوسائل نقلا عن بعض الشراح ولم يخرج ابن سعد ولا ابن الجوزى رواية أبى هريرة مع انهما استوعبا طرق أخبار من قال من الصحابة بخضابه صلى الله عليه وسلم ولم يتعرض العسقلانى لروايته وهذا دليل على انه لم يصح بل لم يرد عن أبى هريرة فى هذا الباب شىء فدل على ان مراد المصنف بايراد طريق أبى عوانة الاشارة الى ان رواية شريك شاذة بل منكرة وليس مراده بذلك تقوية خبر أبى هريرة اه فتبين انه لا دليل فيما ذكره هنا على ان النبى صلى الله عليه وسلم خضب اما فيما رواه شريك فلانه منكر وأما فيما روى عن أم سلمة فلا دليل فيه كما تقدم عن الاسماعيلى والله أعلم * قال المصنف (حدثنا ابراهيم بن هرون نا النضر بن زرارة عن أبى جناب) بجيم مفتوحة فنون مخففه ثم موحدة كسحاب ومايوجد فى النسخ مما يخالف هذا غير صحيح وهذا محدث مشهور ضعفوه لكثرة تدليسه (عن اياد بن لقيط عن الجهذمة) بفتح الجيم وسكون الهاء وفتح الذال المعجمة بعدها ميم (امرأة بشير) على وزن بديع (ابن الخصاصية) بفتح الخاء والصاد وتخفيف الياء وخطأ الفيروزابادى وهو صاحب القاموس ابن الاثير وغيره ممن قال بان الياء مشددة قائلا بانه من أوزان المصدر وليس فى كلام العرب فعالية بالتشديد وانما هو بالتخفيف ككراهية وعلانية وطواعية قال ابن حجر وفيه نظر لان هذا من الاعلام وقد يقع فيها مالا يوافق الاوزان المعروفة اه وهى اسم أمه ويقال غير النبى صلى الله عليه وسلم اسمها وجعله ليلى وأبو معبد (قالت أنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى تقديم المسند اليه افاده تفردها بهذه الرؤية (يخرج من بيته) حال من المفعول (ينفض) بضم الفاء أى يمسح (راسه) أى شعر رأسه بيده ليتقطر عنه الماء والجملة حال متداخلة أو مترادفة وكذا قوله (وقد اغتسل) والواو فى قوله (وبرأسه ردغ) اما حالية أو عاطفة وردغ بفتح الراء وسكون الدال المهملة وبغين معجمة فى القاموس انه جمع ردغة بالتحريك أو التسكين وهو الوحل الشديد فعلى هذا الكلام على التشبيه أى فى رأسه لطخات غليظة من الصبغ الذى هو الحناء أو الزعفران أو غير ذلك (أو قال) اى ابراهيم شيخ المصنف (ردع) بعين مهملة وهو لطخ من زعفران وأثر الطيب على ما فى القاموس والخفاء دلالة الرواية الاولى على المقصود صحح بعض الشيوخ الرواية الثانية وفى بعض النسخ (من حناء) بالمد ولا دلالة فى هذا أيضا على الخضاب

(١) أى الذى يأخذ العشر ظلما وهو معروف كذا عند ابن الفاكهانى فى الفجر المنير ونص ماعند الحافظ زكى الدين سيدى عبد العظيم المنذرى فى كتاب الزكاة عن عقبة بن عامر رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل صاحب مكس الجنة قال يزيد بن هرون يعنى العشار رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم كلهم من رواية محمد بن اسحق وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم كذا قال ومسلم انما أخرج لمحمد بن اسحق فى المتابعات قال البغوى يريد بصاحب المكس الذى يأخذ من التجار اذا مروا عليه مكسا باسم العشر قال الحافظ أما الآن فانهم يأخذون مكسا باسم العشر ومكوسا أخر ليس لها اسم بل شيأ يأخذونه حراما وسحتا ويأكلونه فى بطونهم نارا حجتهم فيه داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد اه من المنذرى بلفظه اه عن خط المؤلف بواسطة

أى نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله والحال انه قد حن جذع اليه كما جاء من طرق كثيرة صحيحة وذلك انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع المسقف عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضعه الآن بمسجده ثم تخطى الجذع يوم الجمعة ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من فى المسجد وفى رواية انه خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفى رواية أخرى خار حتى تصدع وانشق وفى أخرى فجعل يئن انين الصبى وفى أخرى حن حنين الناقة اى التى انتزع ولدها فنزل اليه النبى صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفى رواية فمسحه بيده وفى أخرى ان هذا بكى لما فقد من الذكر عنده وفى أخرى والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل قالوا انه أبدع من احياء عيسى عليه السلام الموتى لانهم عهدت لهم حياة رجعت اليهم وفى رواية عند الدارمى انه صلى الله عليه وسلم خيره بين ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وان يغرسه فى الجنة يأكل أولياء الله من ثمره ثم أصغى اليه فقال اختار دار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن وقلوه اى ابغضوه والحال انه قدوده اى أحبه الغرباء الذين ليسوا من عشيرته ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعظم كالانصار من الاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج فى الموسم ليعرض نفسه على قبائل العرب فلقى بعضا من الخزرج من اهل المدينة فعرض عليهم الايمان فاجابوه وواعدوه العام القابل ليأتوا بقومهم وهذه هى العقبة الاولى ثم لقيه منهم فى العام القابل خمسة عشر فاسلموا ورجعوا وهذه هى العقبة الثانية فاظهر الله الاسلام فيهم ومافى المدينة دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسل اليهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن فاسلم على يديه جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير وجميع بنى عبد الاشهل ثم جاؤا فى العام الثالث بنحو الخمسين رجلا فبايعهم على انهم يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود ثم امر صلى الله عليه وسلم من بقى معه بالهجرة الى المدينة وجمع

لان الحناء قد تستعمل لغير الخضاب كالتداوى (شك فى هذا الشيخ) وفى نسخة الشك هو لابراهيم بن هرون وما كلهما واحد * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن) هو ابن محمد الدارمي الحافظ صاحب المسند أخرج حديثه مسلم وأبو داود والترمذى فى الشمائل قال أبو حاتم هو امام أهل زمانه (نا عمرو) بالواو (ابن عاصم نا حماد بن سلمة أخبرنا حميد) هو الطويل (عن أنس) اى ابن مالك (قال رأيت شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا) قال بعض الشراح الثابت عن أنس فى الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ شيبه الى الخضاب ولم يرو عنه خلاف ذلك الا فى هذا الخبر فاما ان يحكم بشذوذ هذه الرواية فان رواية حميد وان كان ثقة فهو مدلس قال حماد بن سلمة عامة ما يرويه حميد عن أنس سمعه من ثابت فدلسه وأحاديث من هو أوثق منه عن أنس كمحمد بن سيرين وثابت وقتادة فى نفى الخضاب ثابتة فى الصحيحين وغيرهما وهو واحد وهم جماعة ولذا قال المصنف عقبه (قال حماد) المذكور (وأخبرنا عبد الله بن محمد بن عقيل) اى ابن أبى طالب الهاشمى وأم عبد الله زينب بنت على رضى الله عنه وعبد الله صدوق (قال رأيت شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك مخضوبا) اشارة الى شذوذ رواية حميد واما أن يكون معناه ان أنسا رآه مخضوبا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابى طلحة أو عند أمه أم سلمة (١) أو عند غيرهما وقد ورد عن أبى هريرة انه قال لما مات النبى صلى الله عليه وسلم خضب من كان عنده شىء من شعره ليكون أبقى له أخرجه الدارقطنى فى رجال مالك ورآه عبد الله بن محمد عند أنس وقد أنكر أحمد انكار أنس انه خضب وذكر حديث ابن عمر كما تقدم ووافق مالك أنسا فى انكار الخضاب وتأول ما ورد فى ذلك قال النووى والمختار انه صلى الله عليه وسلم خضب فى وقت لما دل عليه حديث ابن عمر فى الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تأويله وتركه فى معظم الاوقات فاخبر كل بما رأى وهو صادق والله أعلم اه ويحتمل ان من أثبت الخضاب شاهد الشيب أبيض ثم لما رآه الدهن ظن انه خضب ومن نفاه علم انه لم يخضب وانما رآه الدهن ـه ﴿تنبيهات حسنة﴾ ـه الاول قد اختلف اهل العلم هل الخضاب أولى لحديث الشيخين ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم ولهذا خضب ابو بكر وعمر وعثمان والحسن والحسين او ترك الخضاب أولى لحديث الترمذى عن كعب بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة وأخرج الطبرى من حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكره تغيير الشيب ولهذا لم يخضب على وسلمة ابن الاكوع وأبى بن كعب وجمع من كبار الصحابة وأما ما أخرجه الطبرى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا من شاب شيبة فهى له نور الا أن ينتفها أو يخضبها فقال العسقلانى أخرجه الترمذى وحسنه ولم أر فى شىء من طرقه الاستثناء المذكور اه

(١) قوله ام سلمة اصلح بعضهم واظنه بنانى لفظة سلمة بسلم قائلا ام انس هى ام سليم لا ام سلمة بل ام سلمة هى أم المؤمنين رضى الله عن جميعهم وعنا ببركتهم كذا بهامش الاصل

فخرجوا أرسالا وأقام هو ينتظر الاذن له في الهجرة فاستأذنه أبو بكر فقال لا تفعل لعل الله يجعل لك صاحبا فطمع أبو بكر في ان يهاجر معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وأمر من معه ان يلحق بالمدينة اشتوروا بدار الندوة في ان يحبسوه او يقتلوه أو يخرجوه فاعترضهم ابليس في صورة رجل جميل من أهل نجد وأظهر لهم انه يريد نصحهم وأمرهم ان يعرضوا عليه آراءهم ليختار أنفعها لهم فقيل نحبسه فقال قد ينتزع منكم فقيل نخرجه فقال يأتيكم بمالا طاقة لكم به (٦٩) فقال أبو جهل نرى ان نأخذ من كل قبيلة غلاما قويا ثم نعطيهم شفارا فيضربه كل ضربة فيفرق دمه في القبائل فلم يقدر أحد من أهله على حرب قومهم فيؤخذوا ديته فقال ابليس لله درك هذا هو الرأى فاجمعوا عليه فاتاه جبريل فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا في الليل ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه فامر عليا رضى الله تعالى عنه بأن ينام مكانه ثم خرج عليهم فلم يبق أحد منهم الا أخذ الله على بصره فلم يره ونثر على رأس كل واحد منهم ترابا كان في يده وهو يتلو يس لا يبصرون وصح انه ما أصاب واحدا منهم تراب الا قتل كافرا ثم اعلموا بخيبتهم فوضع كل يده على رأسه فوجد التراب وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية

وجمع الطبرى بأن من شانه الشيب ينبغى له الخضاب ومن لم يشنه فلا يستحب له ولكن الخضاب مطلقا أولى لان فيه امتثالا للامر فى مخالفة أهل الكتاب وفيه صيانة للشعر عن تعلق الغبار وغيره الا ان كان من عادة أهل البلد ترك الصبغ فالترك أولى لان فعله حينئذ داع الى الشهرة اه ويكون بما يحمر أو يصفر ويكره بالسواد لحديث جابر قال اتي بابى قحافة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا فقال صلى الله عليه وسلم غيروا هذا واجتنبوا السواد أخرجه مسلم والثغامة بضم المثلثة وتخفيف المعجمة نبات شديد البياض زهره وثمره وجنح النووي الى التحريم وأول من خضب بالسواد فرعون وهذا في غير الجهاد وفي حق الرجال ويجوز للرجال فى الجهاد لايهام العدو ويجوز للنساء لانه زينة كما يجوز للمرأة خضب اليدين والرجلين دون الرجل * الثانى يكره نتف الشيب عند أكثر العلماء الحديث لا تنتفوا الشيب فانه نور المسلم رواه الاربعة وقال الترمذى حسن وقال بعض العلماء لا يكره نتف الشيب الا على وجه التزين قال ابن العربى وانما نهى عن النتف دون الخضب لان فيه تغيير الخلقة من أصلها بخلاف الخضب فانه لا يغير الخلقة على الناظر اليه انظر جمع الوسائل وفي حواشى الحطاب على الرسالة قال في سماع ابن القاسم من كتاب الجامع سئل مالك عن نتف الشيب فقال ما عمل حراما وتركه أحب من نتفه قيل له فقرضه قال اكره ان يقرضه من اصله وهو عندى يشبه النتف واقره ابن رشد ووجهه فانظره فيه اه * الثالث ورد فى فضل التعمير عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من معمر يعمر فى الاسلام أربعين سنة الا صرف الله عنه الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين لين الله حسابه فاذا بلغ الستين رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ السبعين أحبه الله واحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته عن سيآته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله فى الارض وشفع فى أهل بيته زاد فى رواية لابى هريرة فاذا بلغ مائة سنة سمى حبيب الله فى الارض وحق على الله ان لا يعذب حبيبه اه من تفريج القلوب بالخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب للامام الحطاب وفي الحديث ان الله يستحى ان يعذب عبده وأمته اذا سنا فى الاسلام وأنشدوا

ان الملوك اذا شابت عبيدهم * في رقهم أعتقوها قصد ابرار
وأنت يا مالكى أولى بذا كرما * قد شبت في الرق أعتقنى من النار

باب
ماجاء فى كحل رسول الله صلى الله عليه وسلم

عقبه للخضاب لانه نوع من التزين والكحل بالفتح مصدر بمعنى استعمال الكحل فى العين وبالضم اسم لما يكتحل به من اثمد أو غيره والمسموع من حيث الرواية الضم وان كان للفتح وجه بحسب المعنى فان الباب كما ذكر فيه ما يكتحل به ذكر فيه أيضا بيان كيفية اكتحاله صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن حميد الرازى) وهو أبو عبد الله روى عن ابن المبارك

(أخرجوه منها وآواه غار
وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت
ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآ
ه ومن شدة الظهور الخفاء)

آواه اى ضمه والورقاء ما فى لونها بياض يخالطه سواد وما في قوله ما كفته مفعول ثان لكفته الاولى اى كفته العنكبوت أمر الاعداء الذى كفته اياه الحمامة والحصداء مستعار من قولهم شجرة حصداء أى كثيرة الورق لكثرة ريشها كذا عند الشراح وخطأهم الشهاب الخفاجى فى شرح الشفاء وقال الصواب انها الجنانة بالجيم ونونين وهى الدرع لانها تجن صاحبها أى تستره عند الحرب وملاقاة العدو والحصداء بالصاد والدال المحكمة النسج ويفسره قوله في البردة وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع الخ واختفى عطف على رآه وعلى بمعنى مع ومرآه اى محل رؤيته وفيه تعجب للسامع وحكمة هذا الاستتار من جملة شدة الظهور عليهم بالغلبة والمعونة الالهية الخفاء عنهم الذى حصل له خرقا للعادة واتيانه بالظهور مرادا به ما ذكر ومقابلته

بالخفاء الموهم انه أريد به ضده توريةً وايهاماً ثم اسناد الاخراج اليهم مجاز لان ايذاءهم كان السبب في ذلك ثم انتظر الاذن فاذن له قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا أخرجه الترمذي وصححه الحاكم وذكر الحكيم ان خروجه عليه الصلاة والسلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة اشهر أو قريبا منها وجزم ابن اسحق بأنه خرج أول يوم من ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما وكذا جزم به الاموي في المغازي عن ابن اسحق

وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول قال في فتح الباري وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه يوم الاثنين الا أن محمد ابن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس ويجمع بينهما بان خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه أقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج أثناء ليلة الاثنين وكان مدة مقامه بمكة من حين النبوة الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة وأمره جبريل ان يستصحب أبا بكر وأخبر عليه الصلاة والسلام علياً بمخرجه وأمره ان يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداك أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بابي أنت وأمي يا رسول الله قال السهيلي وذلك أن عائشة قد كان أبوها انكحها منه عليه الصلاة والسلام قبل ذلك بالنصب فقال صلى الله عليه وسلم انه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال ابو بكر فخذ بابي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن (فان قلت) لم لم يقبلها الا بالثمن وقد انفق عليه أبو بكر من ماله ما هو أكثر من هذا فقل (أجيب) بانه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة

وروى عنه احمد ويحيى وأخرج حديثه أبو داود والترمذي وابن ماجه (نا أبو داود الطيالسي) منسوب الى الطيالسة جمع طيلسان (عن عباد بن منصور) وهو ابو سلمة البصري القاضي بها وهو ضعيف اتفاقا ورمي بالقدر وكان يدلس (عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكتحلوا بالاثمد) أي دوموا على استعماله وهو بكسر الهمزة وسكون المثلثة وميم مكسورة حجر يكتحل به قال التوربشتي هو الحجر المعدني أي المعروف وقيل هو الكحل الاصفهاني ينشف الدمعة والقروح ويحفظ صحة العين ويقوي عصبها سيما للشيوخ والصبيان وفي رواية بالاثمد المروح وهو الذي أضيف اليه المسك الخالص كذا قاله الترمذي وفي سنن أبي داود أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاثمد المروح عند النوم وقال ليتقه الصائم (فانه) أي الاثمد أو الاكتحال به (يجلو البصر) أي يزيد نور العين ويدفع المواد الرديئة المنحدرة من الرأس (وينبت الشعر) أي شعر أشفار العين والمخاطب الاصحاء وأما العين المريضة فقد يكون غير الاثمد خيرا لها بل ربما أضر بها الاثمد قاله المناوي والامر للندب اجماعا قاله ابن حجر وتعليله بالمنافع الدنيوية لا ينافي كون الامر للسنية سيما وقد وقعت مواظبته الفعلية وترغيباته القولية وتلك المنافع وسيلة الى الامور الاخروية كمعرفة الطهارة وجهة القبلة وغير ذلك من منافع البصر وقد نص العلماء على ان الامر بالاكل قد يكون فرضا والامر بالسحور سنة مع ان نفعه راجع الى البدن قالوا ولو امتنع المضطر أو المرتاض عن الاكل بل عن السؤال حتى يموت جوعا مات عاصيا واتفقوا على حرمة أكل التراب والطين ونحوهما لاجل ضرر البدن وانما حرم الخمر لضرر العقل وبهذا تبين لك ما في قول العصام لا يخفى انه لا يظهر اذا أمر بشيء لنفع البدن كونه سنة أو فرضا اه نعم في التعليل اشارة لطيفة وهي أن المكتحل اذا أراد تحصيل السنة ينبغي أن يقصد بالاكتحال الدواء والمعالجة لا مجرد الزينة كالنساء ولهذا قال مالك بكراهة الاكتحال للرجال مطلقا الا للتداوي اه ملخصا من جمع الوسائل (وزعم) أي ابن عباس كما يفهم من رواية ابن ماجه وتصرح به الاحاديث الآتية والزعم قد يطلق بمعنى القول المحقق وهو المراد هنا وان كان أكثر ما يستعمل فيما شك فيه قال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا وانما أتى به المصنف ولم يقل وان النبي لطول الفصل كما يقع اعادة قال في كثير من العبارات وايماء الى أن الاول حديث مرفوع والثاني موقوف والاول قولي والثاني فعلي وقيل ضمير زعم لمحمد بن حميد وعليه فالزعم باق على معناه المتبادر اشارة الى ضعف حديثه باسقاط الوسائط بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ولا يؤيد هذا الاحتمال نسبة هذا القول في الحديث الثاني الى يزيد بن هرون لان المراد بقول المصنف وقال يزيد بن هرون في حديثه أي حديثه الذي يرويه عن ابن عباس لا انه في حديث نفسه خلافا للعصام قاله في جمع الوسائل ولما كان زعم يستعمل غالبا بمعنى ظن فتح همزة أن فقال (أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة) بضم الميم والمهملة اسم آلة الكحل والمراد منها ما فيه الكحل (يكتحل منها كل ليلة)

منه عليه الصلاة والسلام فى استكماله فضل الهجرة الى الله وان تكون على أتم الاحوال اه قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنالهما سفرة من جراب وجعلنا فيها شاة مطبوخة فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب وقطعة أخري ربطت بها فم القربة فبذلك سميت بذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور جبل باسفل مكة ولم يعلم بخروجه عليه الصلاة والسلام الا علي وآل أبي بكر (٧١) ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة اثره فى كل وجه فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق علي قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده وروى أن أبا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وانه رأى جحرا فيه فالقمه عقبه لئلا يخرج منه مايؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحيات والافاعى يضربنه ويلسعنه ودموعه تتحدر وفى رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه فى حجر أبي بكر ونام فلدغ أبو بكر فى رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ياأبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب مايجده وفى الدر المنثور مما أخرجه ابن مردويه عن أنس ابن مالك قال لما كانت ليلة الغار قال أبو بكر يارسول الله دعنى لادخل قبلك فان كان حية أو شيء كانت بى قبلك قال ادخل فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه فلما رأى جحرا أخذ قطعة من ثوبه ثم ألقمها الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع وبقى جحر فوضع عليه قدمه وقال ادخل فلما اصبح قال صلى الله عليه وسلم أين ثوبك ياأبا بكر فاخبره بالذى صنع فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل ابابكر معى فى درجتى يوم القيامة فأوحى الله اليه ان الله قد استجاب لك اه وأخرج ابن مردويه عن جندب بن سفيان قال لما انطلق ابو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار قال له ابو بكر لاتدخل يارسول الله حتى استبرئه فدخل ابو بكر الغار فأصاب يده شيء فجعل يمسح الدم عن اصبعه وهو يقول هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

بالنصب أي قبل أن ينام كما يأتى وانما آثر الكحل بالليل لانه ليلا أبقى فى العين وأمكن فى السراية الى طبقاتها (ثلاثة فى هذه) أى اليمنى (وثلاثة فى هذه) أى اليسري والمشار اليه عين الراوى بطريق التمثيل وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال من اكتحل فليوتر رواه أبو داود والواحد وان كان وترا لكن التعدد مطلوب وخصوصا فى الادوية ولا وتر بعد الواحد الا الثلاث ويفهم من قوله ثلاثة فى هذه الخ انه لا ينتقل لليسرى حتى يستكمل اليمنى واختار بعض العلماء أخذا بالرواية الآتية والله اعلم أن يبتدئ باليمنى ويختم بها تكريما لها بأن يستعمل فيها أولا مرودين فاذا استكمل اليسرى رجع الى اليمنى فزادها مرودا ثالثا والله أعلم وروى فى شرح السنة أن يكتحل فيهما خمسة ثلاثة فى اليمنى واثنين فى اليسرى وعليه فينبغي أن يكون الابتداء والانتهاء باليمنى أيضا كما أفاده الفيروزابادى وجوز ثنتين فى كل عين وواحدة بينهما أو فى اليمنى ثلاثا متعاقبة وفى اليسرى ثنتين فيكون الوتر المأمور به بالنسبة اليهما جميعا وأرجحها الاول لحصول الوتر شفعا * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن الصباح الهاشمى البصرى نا عبيد الله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن عباد بن منصور ح) من قاعدة المحدثين اذا كان للحديث اسنادان أو أكثر كتبوا عند الانتقال من اسناد الى اسناد ح اشارة الى التحويل من اسناد الي آخر وقيل هى من الحيلولة وقيل هى اشارة الى قولنا الحديث يعنون الى آخره وبعضهم يجعلها خاء معجمة يريدانها اسناد آخر وبعض المتقدمين من الحفاظ كتب مكانها صح وهذا اشعار بأنها رمز لها قال العراقى فى الفيته

وكتبوا عند انتقال من سند * لغيره ح وانطقن بها وقد
رأى الرهاوى بان لاتقرآ * وانها من حائل وقد رأى
بعض أولى الغرب بأن يقولا * مكانها الحديث قط وقيلا
بل جاء تحويل وقال قد كتب * مكانها صح فحامنها انتخب

واشار بقوله وانطقن بها الى ان القارئ يتلفظ بها عند الوصول اليها يقول حاء ويمد فى القراءة واشار بقوله وقد رأى الخ الى القول بعدم النطق بها وبه العمل عندنا فيما رأينا وفائدة هذا الرمز ليعلم أن الاسناد المذكور لم يصل الي منتهاه ولئلا يتوهم ان حديث هذا الاسناد سقط ولئلا يركب الاسناد الثانى علي الاسناد الاول فيصير اسنادا واحدا * قال المصنف (و نا علي ابن حجر) وفي بعض النسخ قال أى المصنف و نا ولعله وقع من تلامذته (نا يزيد بن هرون نا عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يكتحل قبل ان ينام) أى عند النوم كما يأتى (بالاثمد ثلاثا فى كل عين وقال يزيد بن هرون في حديثه) أى فى روايته عن ابن عباس (ان النبي صلي الله عليه وسلم) بكسر الهمزة نظرا الى قال ويجوز فتحها نظرا الى حديثه (كانت له مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا فى كل عين) قيل حتى فى السفر قال بعض الشراح قوله وقال يزيد بن هرون الخ موصول بالاسناد المتقدم وليس بمعلق ولا

اه وهذه مخاطرة منه رضي الله عنه بروحه وتغرير بنفسه في محبة محبوبه صلى الله عليه وسلم وعند ذلك يفتح باب الوصل للمحبين ويباح التمتع بالشهود للمشتاقين ويرحم الله القائل ومن لم يخاطر في هواه بروحه * فذاك برؤيا الحسن لا يتمتع

وبكاؤه لم يكن شكاية بما لاقاه وحصل له في طريق الحب انما كان من غلبة الالم والخوف من وصول ذلك الى الحبيب بعد موته هو ولو علم انه يموت ويسلم حبيبه ويبقى ماضره ذلك فان المحبين يفرحون ببذل أرواحهم في محبوبهم ورضاه عنهم بذلك ويحصل لهم بذلك غاية السرور ولقد كان لسان حاله رضي الله عنه يقول

قد لذ لي فيك وجدي
فلست بالوجد أشقى
ولا أريد التشكي
لما أنا فيك ألقى
فان أمت فسروري
بان أموت وتبقى

ويحتمل أن يكون بكاؤه فرحا بما من الله به عليه من مرافقة حبيبه وخلوته بخليله وقد بكى لما أخبره بالهجرة معه ولما ذكر ابن اسحق قول عائشة ما كنت أرى أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح قال السهيلي في الروض قالت ذلك لصغر سنها وانها لم تكن عالمة بذلك وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى فأخذته استحسانا له فقال الطائي يصف السحاب

دمع اذا وكفت في روضة طفقت
عيون أزهارها تبكي من الفرح

وقال أبو الطيب وزاد على هذا المعنى

فلا تنكرن لما صرعة
فمن فرح النفس ما يقتل

وقال بعض المحدثين

ورد الكتاب من الحبيب بأنه
سيزورني فاستعبرت أجفاني
غلب السرور علي حتى انه * من فرط ما قد سرني أبكاني (٣)

باب

اه وهذا لا ينافيه لا تحزن لانه قد يتبدل الحال برؤية ما يوشوش الخيال من الخيال وفي سند البزار ان الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل

مرسل كما تقدم والمقصود منه بيان اختلاف الالفاظ بين رواية اسرائيل ورواية يزيد يعني رواه اسرائيل باللفظ المتقدم ورواه يزيد بهذا اللفظ كلاهما عن عباد وقد فهم من كلام المصنف في حديث ابن عباس هذا ان الواسطة في الاسناد الاول المتصل بالباب بينه وبين عباد بن منصور اثنان وفي الاسناد الثاني ثلاث فهو بالنسبة الى ما قبله نازل باعتبار العدد لكن شيخه الاول محمد بن حميد الرازي لم يرو عنه الشيخان وعبد الله بن الصباح شيخه الثاني على شرط الشيخين وروي عنه أبو داود والنسائي فيكون الثاني أعلى من الاول علوا معنويا أعني باعتبار الضبط والاتفاق فلا يضره كثرة العدد وبملاحظة النزول المذكور تحول من سند ابن الصباح الى سند علي بن حجر شيخه الثالث فان الواسطة فيه بين عباد وبينه اثنان كالاول نقل ذلك في جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا محمد بن يزيد عن محمد بن اسحق) أي ابن يسار امام أهل المغازي صدوق أخرج حديثه البخاري في التعليق والترمذي في الشمائل وباقي الأئمة الاربعة في صحاحهم (عن محمد بن المنكدر) تابعي جليل أخرج حديثه الأئمة الستة (عن جابر) أي ابن عبد الله كما في نسخة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد) أي خذوه فهو راجع الى معنى قوله اكتحلوا (عند النوم فانه يجلو البصر وينبت الشعر) قد يكون من فوائد اكتحاله صلى الله عليه وسلم بالليل دون النهار الاشارة الى أنه من زينة النساء وفعله ليلا يذهب أثره وقد تقدم ان مذهب مالك انه للرجال مكروه الا لقصد التداوي * قال المصنف (حدثنا قتيبة) أي ابن سعيد كما في نسخة (نا بشر بن المفضل عن عبد الله بن عثمان ابن خثيم عن سعيد بن جبير) أي الاسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه روايته عن عائشة وأبي موسى مرسلة قتل بين يدي الحجاج أخرج حديثه الأئمة الستة في صحاحهم وهو تابعي جليل بل قيل هو أفضل التابعين (عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خير أكحالكم الاثمد) فيه دليل على أن الاثمد نوع خاص من الكحل والمراد انه خير الاكحال لحفظ صحة العين لا لمرضها لان الاكتحال لا يوافق الرمد كما تقدم (يجلو البصر) استئناف لتعليل الجملة قبله (وينبت الشعر) عطف على المستأنف * قال المصنف (حدثنا ابراهيم بن المستمر البصري نا أبو عاصم) الضحاك بن مخلد (عن عثمان بن عبد الملك عن سالم) أي ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب تابعي جليل أحد الفقهاء السبعة بالمدينة كان رأسا في العبادة والزهد كان يلبس الثوب بدرهمين وأقرانه مثل علي بن الحسين زين العابدين وقاسم بن محمد وهم أبناء الخالات وأمهاتهم بنات يزدجرد ملك فارس (عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر) كرر المصنف هذا الحديث باسانيد مختلفة تقوية لاصل الخبر وتأكيدا لمضمونه لما تقدم من أن عباد بن منصور ضعيف اتفاقا وكان يدلس ورمي بالقدر قاله في جمع الوسائل

(٣) وبعده * يا عين صار الدمع منك سجية * تبكين في فرح وفي أحزان

اه من هامش الاصل

تينك الحمامتين ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد وقد روى ان الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخل لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت * وذكر في المواهب عن الدلائل ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار أعين الكفار وهذا أبلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك حتى قيل

ودود القز ان نسجت حريرا
يجمل لبسه في كل شي
فان العنكبوت أجل منها
بما نسجت على رأس النبي

وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار * وقد صرحوا بان العنكبوت انما كان مانعا من اقتحام الغار ودخوله لا من رؤيتهما وانما الله تعالى صرف أبصارهم بدليل ماورد ان بعضهم جاء الى فم الغار وبال وهما ينظران اليه وفي الصحيح عن أنس قال أبو بكر يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدمه لرآنا فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروى أيضا ان ابا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت أنا فانما انا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته عليه أي علي أبي بكر لانه كان منزعجا وأيده يعني النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملائكة ليحرسوه في الغار او ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيتهما وقيل ان ابا بكر لما رأى الكفار وهو في الغار ذكر ذلك للمصطفى صلى الله عليه وسلم فقالوا لو جاؤنا من هنا خرجنا من هنا فنظر ابو بكر الغار وقد انفرج من الجانب

باب
ما جاء في لباس رسول الله صلى الله عليه وسلم

اللباس بالكسر ما يلبس والمراد ما جاء في بيان ما كان يلبسه من الثياب وما كان يقوله عند لبس الثوب الجديد وقد تقدم لنا قبيل الترجمة الاولي ان وجه ادخال اللباس والطعام والنوم والاثاث ونحو ذلك في الشمائل ان هذه الامور مما تدعو اليه ضرورة الحياة فالحقوها بما هو ضروري لا اختيار للعبد فيه ككمال الخلقة وحسن الصورة وأعقب اللباس الترجل والخضاب والكحل لانه نوع من الزينة ويستفاد من الباب بيان خلقه صلى الله عليه وسلم في اللباس فان أحاديث الباب متضمنة لذلك والمأخوذ من الاحاديث التي سردها المصنف ومن غيرها انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يتأنق في لباسه ولم تطلب نفسه التعالي فيه ميلا للتواضع والعبودية واشارة الى أن هذا الطريق أسلم بالنسبة الى كل طريق وان كرم المؤمن وعزه انما هو بتقوى الله لا بارتكاب أوجه الترفعات الدنيوية والتميز بها بين عباد الله ولان المباهاة والتزين من شأن النساء والمحمود للرجال نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وعدم اسقاطه لمروءة لابسه ومن كلام عمر رضي الله عنه اياكم ولبستين لبسة مشهورة ولبسة محقورة وقال بعضهم

أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

ومن ثم كان صلي الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد مما يناسب لباس قومه وكان من عادتهم ولم يقتصر من اللباس على صنف بعينه حتى لا يتميز على الناس ويكون فيما بينهم كواحد منهم فكان يلبس الكساء الخشن ويقسم أقبية الخز المخوصة بالذهب في صحبه هذا هو الغالب من حاله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم لبس أيضا من الثياب الفاخرة وأكل من اللذيذات الطيبة الطاهرة *

قال المصنف (حدثنا محمد بن حميد الرازي نا الفضل بن موسى وأبو تميلة) بالتاء المثناة مصغرا يحيي بن واضح المروزي الانصاري (وزيد بن حباب) أخرج حديثه الستة كالذين قبله (عن عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن أم سلمة) قيل اسمها هند (قالت كان أحب الثياب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص) أحب بالرفع اسم كان والقميص بالنصب خبرها ان كان المقصود تعيين الاحب وبالعكس ان كان المقصود بيان حال القميص عنده صلى الله عليه وسلم ورجحه العصام بان أحب وصف فهو أولى بكونه حكما فهما روايتان علي ما قاله بعض والثياب جمع ثوب وهو ما يلبسه الناس من الكتان والقطن والصوف والخز والفراء والقميص قال في القاموس معلوم وقد يؤنث ولا يكون الا من القطن وأما الصوف فلا انتهى وكان حصره المذكور للغالب والظاهر ان كونه من القطن مراد في الحديث لان الصوف يؤذي البدن ويدر العرق ورائحته يتأذي بها وقد أخرج الدمياطي كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول والكمين وقدوردان المصطفى لم يكن له الا قميص واحد فعن عائشة قالت ما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قط غداء لعشاء ولا عشاء لغداء ولا اتخذ من شيء زوجين لا قميصين ولا ازارين ولا ردائين ولا زوجين من

الآخر واذا البحر وسفينة بجانب الغار قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر لكن لم يرد اه قال في المواهب انظر لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه قوى قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا فكانت تحفة ثاني اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثاني في الاسلام والثاني في بذل النفس ولما وقى الرسول عليه السلام بماله ونفسه جوزي بمواراته معه في رمسه وقام مؤذن التشريف ينادي على منابر الامصار ثاني اثنين اذهما في الغار ولقد أحسن حسان حيث قال لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل قلت في ابي بكر شيأ

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة
فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها
بعد النبي واوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده
واول الناس منهم صدق الرسلا
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد
طاف العدو به اذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا
من الخلائق لم يعدل به بدلا

فقال له أحسنت ياحسان وتامل قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فموسى خص بشهود المعية ولم تتعد منه المعية الى اتباعه ونبينا تعدت منه الى الصديق فلذا لم يقل معي لانه أمد سيدنا ابا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة على أبي بكر والا لم يثبت تحت أعباء هذا التجلي والشهود وأين معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام من معية الالهية في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم اه (تنبيهان * الاول) المشهور ان مكثهما في الغار كان ثلاث ليال وكان يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف اى ثابت المعرفة بما يحتاج اليه لقن اى سريع الفهم فيدلج عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث وكان صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه استأجرا عبد الله ابن اريقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف هذه

النعال انظر المناوي وانما كان القميص أحب اليه لانه أستر للبدن لاحاطته بالبدن بالخياطة بخلاف الازار والرداء والشملة ونحوها مما يحتاج الى ربط او امساك أو لف أو عقد اذ ربما غفل عنه لابسه فيسقط عنه بخلاف القميص ولانه أخف على البدن وأقل مؤنة ولان لبسه من الامر القديم كما يدل عليه آية اذهبوا بقميصي هذا الخ ويقال ان هذا القميص هو قميص الخليل عليه الصلاة والسلام الذي أتاه به جبريل من الجنة لما عرى في ذات الله وكان بنوه يتوارثونه وكان من خاصيته ان المبتلى اذا لبسه عوفي ولما اخبر يوسف بان يعقوب عليهما السلام ابيضت عيناه من الحزن بعث به اليه ليعافى مما كان به والله أعلم * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا الفضل بن موسى عن عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن أم سلمة قالت كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص) المتن واحد والاسناد متعدد فذكره للحكم مؤكد * قال المصنف (حدثنا زياد بن أيوب البغدادي) قيل الرواية باهمال الدالين وقيل الاولى مهملة والثانية معجمة وقيل بالعكس وهو ابو هاشم طوسي الاصل أخرج حديثه الشيخان والترمذي والنسائي (نا أبو تميلة عن عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن أمه) لم تسم (عن أم سلمة قالت كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص) قد أورد المصنف هذا الحديث بثلاثة أسانيد الا ان هذا السند الثالث يغاير الاسنادين قبله بزيادة عن أمه مع مغايرة بعض رجاله ووقع في هذا الاسناد في بعض النسخ جملة يلبسه قبل القميص اى كان يحبه للبسه لا لنحو افتراشه أو التغطي به أو اهدائه ثم لما كان قد يتوهم ان زيادة عن أمه من تصرفاته لمعرفته أنه سقط من اسناد زياد فدفع نقصان الاسناد بهذه الزيادة لم يكتف بالاسناد المتقدم وعقبه بقوله (قال) أي ابو عيسى المصنف كما في بعض النسخ وحذفه لدلالة السياق عليه (هكذا قال زياد بن أيوب في حديثه) اى بزيادة عن أمه في السند فالاشارة الى السابق والى اللاحق وهو ما في الاسناد من قوله (عن عبد الله ابن بريدة عن امه عن أم سلمة) ولم يكتف باسم الاشارة عن قوله عن عبد الله الخ لئلا يتوهم ان هكذا اشارة الى متن الحديث ثم اشار بقوله (وهكذا روى غير واحد) الى أن غير واحد من مشايخه من اهل الضبط والاتقان روى (عن أبي تميلة مثل رواية زياد بن أيوب) والمقصود بهذا تقوية رواية زياد بن أيوب واما قوله (وابو تميلة يزيد في هذا الحديث) اى في ذكره (عن امه) فاشار به الى انه لم يزد بين الرواة عن عبد المؤمن هذه الزيادة وهي عن امه الا ابو تميلة دون رفيقيه مفضل بن موسى وزيد بن حباب وغيرهم فانهم كلهم لم يزيدوا عن امه وأما الرواة عن ابي تميلة فيفهم مما تقدم ان جميعهم روى عنه هذه الرواية كزياد بن ايوب وغيره من مشايخ المصنف الا محمد بن حميد الرازي ثم أشار الى ترجيح زيادة عن أمه فقال (وهو اصح) في جامع المصنف انه سمع محمد بن اسمعيل يعني البخاري يقول حديث بن بريدة عن امه عن ام سلمة اصح اه فالمصنف مسبوق بهذا التصحيح وبذلك تعلم بطلان قوله في جمع الوسائل ان قائل هو اصح هو ابو تميلة وان المعنى أنه عقب قوله عن امه بقوله وهو اصح وانما زاد قوله عن امه تعيينا لموقع

له اسلام (١) فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذبهم علي طريق الساحل *(الثاني)* في حديث أخرجه أبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل العنكبوت وقال انه جند من جنود الله وأخرج ابن سعد عن أبي بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت علي في الغار قال المناوي وهذا في عنكبوت خاص وهو ما لا يؤذي وأما ما يؤذي ففيه ورد ما أخرجه ابن عدي عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال العنكبوت شيطان مسخه الله تعالي فاقتلوه أي ندبا وأخرج أبو داود في مراسيله انه صلى الله عليه وسلم قال العنكبوت شيطان فاقتلوه انتهى

هذه الزيادة اه وانما حكم البخاري بكونه أصح امالانه لم يثبت عنده سماع عبدالله بن بريدة عن أم سلمة مطلقا أوفي هذا الحديث بخصوصه وامالان أبا تميلة اوثق وأحفظ من رفيقيه وهما الفضل بن موسى وزيد بن حباب فان علي بن المديني قدم أبا تميلة علي الفضل بن موسى وقال روى الفضل أحاديث منا كير وقال احمد زيد بن الحباب صدوق ولكنه كان كثير الخطا وأما أبو تميلة ثقة محتج به عند الجماعة والله اعلم انظر جمع الوسائل *قال المصنف (حدثنا عبد الله ابن محمد بن الحجاج) صدوق اخرج حديثه الترمذي فقط (نا معاذ بن هشام) أخرج حديثه الستة (حدثني أبي عن بديل) بدال مهملة مصغرا (يعني ابن ميسرة) هكذا الصواب كما حققه المحققون في اسماء الرجال كالمزني والذهبي والعسقلاني ووقع في بعض نسخ الشمائل بديل ابن صليب بضم الصاد وفتح اللام وسكون الياء بعدها باء موحدة (العقيلي عن شهر بن حوشب) صدوق كثير الارسال قال النووي في شرح مسلم وثقه كثيرون من أئمة السلف حتى قال أحمد بن حنبل ما أحسن حديثه (عن أسماء بنت يزيد) الانصارى صحابية لها أحاديث (قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم) واصلا (الى الرسغ) في النسخ بالسين والصاد بدل السين لغة فيه وهو مفصل الساعد والكف وفي جعل الكم الى الرسغ توسط لانه متى جاوز اليد شق علي لابسه ومنعه سرعة الحركة والبطش ومتى قصر عن الرسغ تأذى الساعد ببروزه للحر والبرد وأخرج السيوطي عن ابن عباس كان يلبس قميصا وكان فوق الكعبين وكان كمامه مع الاصابع وجمع بعض بينهما بأن هذا في الحضر وذاك في السفر أو يحمل علي تعدد القميص او يحمل رواية الكتاب علي التخمين والتقريب وروى عن علي رضي الله عنه انه ابتاع قميصا وأمر الخياط ان يقطع من كميه مازاد علي الاصابع وقال لا فضل للكمين علي الاصابع ففي هذا دليل علي ان السنة ان لا يتجاوز كم القميص الاصابع وفي حاشية الحطاب علي الرسالة قال القرافي في شرح الجلاب قال ابن شعبان في الزاهي لا ينبغي ان يضيق الكم والجمال أقرب عند الله عزوجل وقد رد شريح شهادة رجل ضيق الكم قال مالك قصر الكم مثلة اه كلام القرافي وقال في مختصر المدارك لابن رشيق قال مالك حياة الثوب طيه وعيبه قصر أكمامه اه وفي العارضة السنة في القميص ان لا يطول كمه اه الحطاب ويريد بتطويل الكم أن يطول جدا ليتفق كلامه مع ماتقدم انتهى * قال المصنف (حدثنا ابو عمار الحسين بن حريث نا أبو نعيم نا زهير عن عروة بن عبدالله بن قشير عن معاوية بن قرة) أخرج حديثه الستة (عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط) في القاموس بسكون الهاء ويحرك قوم الرجل وقبيلته أو من ثلاثة الى عشرة وفي بمعنى مع كقوله تعالى ادخلوا في أمم (من مزينة) صفة لرهط وهي قبيلة معروفة من مضر (لنبايعه) متعلق بأتيت (وان قميصه لمطلق) قال العسقلاني اى محلول غير مزرور والجملة حال (او قال زر قميصه مطلق) بالالام أى غير مشدود الازرار والشك من شيخ الترمذي فان ابن سعد أخرج عن ابي نعيم بهذا الاسناد ولم يشك

(ونحا المصطفى المدينة واشتاقت اليه من مكة الانحاء)

اى وقصد المصطفى صلى الله عليه وسلم المدينة مع أبي بكر وعامر بن فهيرة وعبدالله بن الاريقط وذكر غير واحد انهم مروا علي خيمتي أم معبد الخزاعية (٢) وكانت امرأة برزة (٣) جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها تمرا ولحما ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيأ من ذلك وكان القوم مرملين مسنتين فنظر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة فقال ماهذه الشاة يا أم معبد قالت خلفها الجهد عن الغنم قال هل فيها من لبن قالت هي أجهد من ذلك قال

(١) لفظ السهيلي في الروض ولم يكن اذ ذاك مسلما ولا وجد مان طريق صحيح انه اسلم من بعد ذلك اه وفي الاصابة لابن حجر ولم أر من ذكره في الصحابة الا الذهبي في التجريد اه وفي نور النبراس انه اصحابي أسلم بعد هذه القصة اه من خط المؤلف بواسطة

(٢) قال السهيلي في الروض وأما أم معبد التي مر بخيمتها فاسمها عاتكة بنت خالد احدى بني كعب من خزاعة وهي أخت حبيش خالد وله صحبة ورواية وقد قدمت أم معبد المدينة ومعها ابن لها قد بلغ السعي فمر في المدينة على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلم الناس على المنبر فانطلق الى أمه يشتد فقال لها يا أمتاه اني رأيت اليوم الرجل المبارك فقالت له يا بني ويحك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها أبو معبد يقال ان له رواية أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرف اسمه وكان منزل أم معبد بقديد اهـ بمناه وانظر آخر الاستيعاب لابن عبد البر فقد استوعب خبرها اه من خط المؤلف

(٣) برزة على وزن ضخمة أى تبرز وليست محجوبة كالصغيرة من النساء ومعنى جلدة ذات قوة وشدة اه مؤلف

أفتأذنين لى أن أحلبها قالت نعم بأبى أنت وأمي ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعابها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله ودعالها فى شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعاباناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا حتى ملاء ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء أبو معبد زوجها يسوق أعنزا عجافا فلما رأى اللبن عجب وقال من أين لك هذا اللبن والشاة عازب حيال ولا حلوب فى البيت فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فوصفته له فقال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ماذكر بمكة ولقد هممت ان أصحبه ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا اه قوله مرملين أى نفدت أزوادهم ومسنتين أى مجدبين وكسر الخيمة جانبها وتفاجت بتشديد الجيم فتحت مابين رجليها ويربض الرهط أى يرويهم ويثقلهم والثج السيلان وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن أم معبد قالت بقيت الشاة التى لمس عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر بن الخطاب وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا وما فى الارض لبن قليل ولا كثير قوله واشتاقت اليه من مكة الانحاء اى النواحى والجهات فهو جمع نحو والنحو الجهة بمعنى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجرا الي المدينة اشتاقت اليه مكة وحنت له وتأسفت على فراقه وتلهفت لذهابه وتوحشت لفقد الانس به اذ هو روح الكون كله وسر الوجود بأسره واشتياقها البه وحنينها له صلى الله عليه وسلم حقيقة لامجازا على الاصح وراجع ماتقدم من حنين الجذع اليه وغيره وقد انشد بعض الصحابة رسول

بل قال ان قيصه لمطلق وأخرج أيضا من طريق عبد الله بن يونس والحسن بن موسى جميعا عن زهير بهذا اللفظ بغير شك فوهم من قال الشك من معاوية أو من دونه زاد ابن سعد قال عروة فما رأيت معاوية ولا أباه الا مطلق الازرار فى شتاء ولا فى خريف اه والعبارة غير صريحة في أنه كان لجيب قيصه زر وعروة فيحتمل أنه لم يكن له زر ولا عروة ويؤيد هذا ماذكره ابن الجوزى فى الوفاء عن ابن عمر انه قال ما اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصا له زر (قال) أى قرة (فادخلت يدي) بصيغة الافراد (فى جيب قيصه) المراد بالجيب هنا الطوق وفائدته الاتساع ليدخل الرأس بسهولة واكثر ما كان على الصدر وقد يكون علي احد الكتفين قال فى العارضة ولا نبالي بالجيب كان بالمقدم أو بالجنب الاان يكون للناس عادة يسلكونها فذلك أسلم للمرء قال الاسماعيلى جيب الثوب أي جعل فيه ثقبا يخرج منه الرأس قال العسقلانى وقوله فادخلت يدى يقتضى ان جيب قيصه كان في صدره اه نقله فى جمع الوسائل وسلمه وانظر من أين يقتضي ذلك وقد يطلق الجيب على مايجعل فى صدر الثوب ليوضع فيه الشيء وبذلك فسره أبو عبيد وليس هو المراد هنا (فمسست) بكسر السين الاولى علي اللغة الفصيحة وحكى أبو عبيد الفتح أيضا (الخاتم) أى خاتم النبوة لا بقصد التبرك ومن ثم اغتفر له هذا الامر المنافى لرعاية الادب وفيه كمال تواضعه عليه الصلاة والسلام وان جعل جيب القميص على الصدر ليس ببدعة كما ظن من لا علم عنده وهذا علي تسليم ماقاله العسقلانى وحل اطلاقه وسعته وحيث تدخل اليد فيه * قال المصنف (حدثنا عبد بن حميد) أخرج حديثه مسلم وغيره (نا محمد بن الفضل) أي السدوسي لانه الذى أخرج عنه المصنف فى الشمائل (نا حماد بن سلمة عن حبيب) بفتح المهملة وكسر الموحدة (ابن الشهيد عن الحسن) أى البصرى (عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج) أي من بيته (وهو متكئ) أي معتمد (على أسامة بن زيد) مولى رسول الله صلي الله عليه وسلم وابن مولاه وابن مولاته أم ايمن وحبه وابن حبه أمره على جيش فيه أبو بكر وعمر وهو دون عشرين سنة وسيأتي فى باب الاتكاء عن أنس بلفظ ان النبى صلى الله عليه وسلم كان شاكيا فخرج يتوكأ علي أسامة الخ وهذا يحتمل ان يكون فى شكواه الذى مات فيه وأن يكون فى مرض آخر والاول أظهر ففى رواية الدارقطنى أنه خرج بين أسامة بن زيد والفضل بن عباس الى الصلاة فى مرضه الذى مات فيه فصلى بأصحابه ويؤيده أيضا ماعند البخارى عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه وعليه ملحفة متغطيا بها قال العسقلانى أى متوشحا مرتديا ويعضده قول المصنف (عليه) أى علي النبى صلى الله عليه وسلم (ثوب) بالتنوين (قطري) منسوب الى قطر بكسر القاف بلد باليمن يجلب منها برود فيها حمرة ولها اعلام وفيها بعض الخشونة والجملة الاولى حال من فاعل خرج بالضمير والواو معا وهذه الجملة حال أيضا بالضمير وحده نحو كلمته فوه الى فى (قد توشح به) يقال توشح بثوبه وبسيفه اذا ألقاه علي عاتقه كالوشاح قال بعض والمراد هنا انه أدخل الثوب تحت يده اليمنى وألقاه علي منكبه الايسر كما يفعل المحرم ويأتى قول آخر فى معنى التوشح (وصلى بهم) أخرج ابن سعد من طريق أبى ضمرة الليثى عن حميد عن أنس انه قال اخر صلاة صلاها

الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه لايحمد ومن جملة انحاء مكة الجمار الثلاث والمقام والبيت والموقف والصفا والمروة وغيرها من نواحى الحرم وقد صرحوا بأن ألم الفراق أشد من ألم النار * (تنبيه) * كما اشتاقت مكة للحبيب صلى الله

عليه وسلم اشتاق هولها لما لها من النسبة اذ فيها بيت الله تعالى ومزار الانبياء ومنزل الرحمة ومحل التعظيم والاجلال حتى وعده الله بدخولها والتمكن من تطهيرها من آثار الكفر والتصرف فيها بمقتضى الحق فقال تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أي الى معاد له شأن وبه اعتداد وذلك يوم الفتح لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور الاسلام وأهله وخمود الشرك وحزبه فالتنكير فى معاد للتعظيم وبهذا الوصل منه عاد لمكة رونقها وانسها وزالت وحشتها وحزنها وبه أمكنها الصبر ولم تضمحل اجزاؤها لان الفراق اذا لم يكن عن بغض وتسخط من المحبوب فانه يرجى بعده الوصل ولا يعد هجرا الا فى الصورة دون الحقيقة *قال ابن الفارض رحمه الله

اذا كان حظى الهجر منكم ولم يكن
بعاد فذاك الهجر عندى هو الوصل
وما الصد الا الود ما لم يكن قلى
وأصعب شىء غير اعراضكم سهل

رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم فى مرضه الذي قبض فيه فى ثوب واحد متوشحا به قاعدا * قال المصنف (قال عبد بن حميد) شيخ المصنف (قال محمد بن الفضل سألنى يحيى بن معين) بفتح الميم مجمع على جلالته وثقته وحفظه وتقدمه فى هذا الشأن حتى قال احمد بن حنبل السماع من يحيى بن معين شفاء لما فى الصدور غسل علي السرير الذى غسل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل علي ما حمل عليه صلى الله عليه وسلم تشريفا له ذكره العصام (عن هذا الحديث) الذي فيه ذكر لباس رسول الله صلى الله عليه وسلم (أول ما جلس الى) أى اول زمان جلوسه او زمان اول جلوسه (فقلت نا حماد بن سلمة فقال) يحيى بن معين (لوكان) أى التحديث (من كتابك) أى لكان خيرا لكونه أوثق ويحتمل ان تكون لو للتمنى فلا تحتاج الى جواب (فقمت) اي من المجلس (لاخرج كتابى) اى كتاب روايتى من بيتى (فقبض) يحيى (على ثوبي) أى أمسكه مانعا لى من القيام (ثم قال أملاه على) بفتح الهمز وكسر الميم وتشديد اللام المفتوحة أمر من الاملال وهو بمعنى الاملاء يقال أمللت الكتاب وأمليته اذا ألقيته على الكاتب ليكتبه وفى بعض النسخ بسكون الميم وكسر اللام المخففة من الاملاء اى حدثنى بالاملاء اولا (فاني أخاف أن لا ألقاك) اى ثانيا لمانع كموت احدهما قبل تلاقيهما ولذا قيل الوقت قاطع وبرق الخوف لامع وفيه كمال التحريض علي تحصيل العلم والسير والتنفير من الامل سيما فى الاستباق الى الخيرات (قال) اي محمد (فأمليته عليه) اى على يحيى وفى نسخة فأمليت عليه بدون الضمير المنصوب والجمع بين اللغتين تفنن فى العبارة (ثم اخرجت كتابى فقرأت عليه) اى الحديث من املائى ايضا وفى نقل رواية عبد بن حميد قول محمد بن الفضل مزيد توثيق لهذا السند اذ محمد بن الفضل كان ممن يستوثق به يحيى بن معين وكان واثقا فى هذا الحديث حيث وافقت روايته قراءته من كتابه قاله العصام * قال المصنف (حدثنا سويد بن نصر نا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن اياس الجريرى) بضم الجيم (عن ابي نضرة عن ابى سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا) اي لبس ثوبا جديدا وعند ابن حبان من حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة (سماه باسمه) أى الموضوع له لا باسم خاص بخلاف أسلحته ودوابه فقد كان يجعل لها أسماء خاصة تتميز بها (عمامة او قميصا او رداء) بدل من قوله ثوبا او من قوله باسمه لانه فى محل نصب على انه مفعول ثان لسماه والمراد انه ان كان عمامة سماه عمامة وان كان قميصا سماه قميصا وهكذا مثل ان يقول رزقنى الله هذا القميص او كسانى هذه العمامة (ثم يقول) اى بعد التسمية واللبس (اللهم لك الحمد كما كسوتنيه) الضمير راجع الى المسمى قال بعضهم ويحتمل ان يكون المراد بقوله سماه باسمه ان يأتى باسمه بدلا عن ضمير كسوتنيه بان يقول اللهم لك الحمد كما كسوتنى هذا القميص أو العمامة مثلا قال الطيبى والاول اظهر للعطف بثم اه ومامصدرية والكاف بمعنى علي أو للتعليل على حد اذكروه كما هداكم أو للتشبيه أى الحمد علي قدر نعمة الكسوة وبطبقه وازائه فالجار والمجرور راجع لقوله لك الحمد على الاظهر ويبعد ان يكون راجعا لقوله (أسألك خيره) اى ان توصل الى خيره (وخير ماصنع له واعوذ بك من شره وشر ماصنع له) وخير الثوب بقاؤه ونقاؤه وكونه ملبوسا

(وتغنت بمدحه الجن حتى
أطرب الانس منه ذاك الغناء)

قالت أسماء بنت أبى بكر ولما خفى علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال أين أبوك فقلت لا والله لا أدرى أين أبي قالت فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم وجهى لطمة خرج منها قرطي قالت وأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو ينشد

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من امسى رفيق محمد (١)

فيال قصى مازوى الله عنكم * به من فعال لا يجارى وسودد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها * فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد

(١) هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من امسى رفيق محمد كذا انشده فى الروض والذى فى الاصل هو لفظ الاستيعاب اه مؤلف

فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددها في مصدر ثم مورد فلما سمع ذلك حسان بن ثابت جعل يجاوب الهاتف وهو يقول(١)

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم * وقدس من يسري اليهم ويقتدي ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد

هداهم به بعد الضلالة ربهم * وارشدهم من يتبع الحق يرشد (٧٨) وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عمايتهم هاد به كل مهتدي

وقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم باسعد

نبي يرى مالا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مسجد

وان قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى غد

ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد

وليهن بني كعب مقام فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد(٢)

ولم يبق بيت بمكة الا انتبه لهتف الهاتف بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم واستيقظ فلما أصبحوا بكرة اجتمعوا وقالوا سمعتم ما كان البارحة قالوا اسمعناه قالوا فقد كان مخرج صاحبكم عن طريق الشام من حيث تاتيكم الميرة فاطلبوا صاحبكم فردوه قبل ان يستعين عليكم بكلاب العرب فجمعوا سرية من خيل ضخمة فخرجت في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا بام معبد رضي الله عنها فسالوها عنه فاشفقت عليه منهم فكتمت عليهم فقالت انكم لتسالوني عن أمر ما سمعت به قبل عامي هذا وهي صادقة لم تسمعه الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لاستوحش منكم تسألوني عن رجل يخبركم بخبر السماء وان لم تنصرفوا عني لاصيحن في

للضرورة والحاجة لا للفخر والخيلاء وكونه حلالا وخير ما صنع له هو دفع الضرورات التي من أجلها يصنع اللباس من الحر والبرد وشر الثوب عكس المذكورات وهو كونه حراما أو نجسا أو لم يبق زمانا طويلا أو يكون ملبوسا للعاصي والشرور وشر ما صنع له أن لا يتوصل به الى المطلوب من دفع الضرر ويحتمل أن يكون معنى خير ما صنع له خير ما خلق له وهو الشكر بالجوارح والقلب وشر ما صنع له أي خلق له وهو الكفران انظر جمع الوسائل فقد أشار الى الاحتمالين * قلت ويحتمل أن يكون المعنى أسألك خيره وهو دفع ضرورة الحر والبرد والتجمل وخير ما صنع له أي ما شأنه ان يتخذله كالصلاة به واظهار نعمة الله ونحو ذلك من المقاصد الحسنة وشره أن يكون مشؤما علي لابسه بان يحسد عليه ويؤذى من أجله بقتل أو ضرب أو نحو ذلك وشر ما صنع له أن يلبسه بنية سيئة كالكبر والخيلاء ونحو ذلك وهذا الاحتمال أقرب وللشراح هنا خبط كثير هذا وقد ورد فيما يدعو به من لبس ثوبا جديدا أحاديث أخر منها ما أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه والمؤلف في جامعه وحسنه من حديث عمر مرفوعا من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد الى الثوب الذي خلق فتصدق به كان في حفظ الله وفي كنف الله وفي ستر الله حيا وميتا ومنها ما اخرجه الامام احمد والمؤلف في جامعه وحسنه وابو داود والحاكم وصححه وابن ماجه من حديث معاذ وأنس مرفوعا من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه زاد أبو داود في روايته وما تأخر * قال المصنف رضي الله تعالى عنه (حدثنا هشام بن يونس الكوفي نا القاسم بن مالك المزني عن الجريري عن أبي نضرة عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه) أي في المعنى ولو قال مثله يرادفي اللفظ كما تقدم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن أنس بن مالك قال كان أحب الثياب) بالرفع والنصب (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه) ضمير المذكر لأحب وفي نسخة يلبسها وضمير المؤنث للثياب وهو احتراز من الافتراش وغيره (الحبرة) كعنبة خبر كان أو اسمها وهي نوع من برود اليمن تتخذ من كتان أو قطن مخططة بخطوط حمر ورب ما كانت بزرق أو خضر * قال القرطبي سميت حبرة لانها تحبر أي تزين والتحبير التحسين قال المناوي انما كانت أحب اليه للينها وموافقتها لجسده الشريف فانه كان على غاية من النعومة واللين ونحو الخشن يؤذيه ولا ينافي هذا ما سبق لان ذلك بالنسبة للخيط وهذا لما يرتدى به أو القميص اذا كان عند نسائه والحبرة حين يكون بين أصحابه او كان يتخذ القميص من الحبرة اه أو المراد ان ما ذكر من جملة الاحب كما قيل فيما ورد في كثير من الاشياء انه افضل العبادات قاله في جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا محمد بن غيلان نا عبد الرزاق نا سفيان) اى الثوري كما في نسخة وقيل ابن عيينة (عن عون بن ابي جحيفة عن ابيه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم) أي في بطحاء مكة وهو موضع خارج مكة ويقال له الابطح ففي البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم بالبطحاء بالهاجرة وخرج في حلة حمراء مشمر وفيه أيضا قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ورأيت الناس يبتدرون بلال وضوئه أي ما فضل من ماء وضوئه فمن أصاب منه

(١) هذا لفظ الاستيعاب وحروفه ولفظ الروض ويروي ان حسان بن ثابت لما بلغه شعر الجني وما هتف به في مكة قال يجيبه انتهى شيأ قيل والظاهر انه انما قال ذلك بعد اسلامه اه من خط المؤلف بواسطة (٢) هذا البيت الاخير لم يذكره في الروض وذكره في الاستيعاب له اه من خط المؤلف بواسطة

قومي عليكم وكانت في عز من قومها في الجاهلية فانصرفوا ولم يعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه ولو قضى الله لهم أن يسألوا الشاة من حلبك لقالت محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم وذلك انها جعلت شاهدا فعمى الله عليهم مسئلة الشاة وسألوا أم معبد رضى الله عنها فكتمتهم ولما ارتحل المصطفى صلى الله عليه وسلم عن أم معبد مر بعبد يرعى غنما فاستسقاه اللبن فقال ماعندى شاة تحلب غير ان هنا عناقا حملت أول العام ومابقى لها لبن قال ادع بها فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا بحلب فسقى أبابكر ثم الراعى ثم شرب فقال الراعى من أنت فقال محمد بن عبد الله رسول الله قال الذى تزعم قريش أنه صابئ (١) قال انهم يقولون ذلك قال فأشهد انك نبي وأن ماجئت به حق رواه البيهقى وهذا محمول على أن رب العبد أذن له فى ذلك وعلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج أبو نعيم عن مالك ابن أوس الاسلمى قال لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مروا بابل لنا بالجحفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن هذه الابل قال لرجل من أسلم فالتفت الى أبي بكر فقال سلمت ان شاء الله فقال ما اسمك فقال مسعود فالتفت الى أبي بكر فقال سعدت ان شاء الله اه

شيأ مسح به وجهه ومن لم يصب منه شيأ أخذ من بلل صاحبه وزاد من طريق شعبة عن عون عن أبيه وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم قال فأخذت بيده فوضعتها علي وجهى فاذا هى أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك (وعليه حلة حمراء) تقدم فى الباب الاول بيانها (كأني أنظر) اى الآن (الى بريق ساقيه) أي لمعانه وفيه اشارة الي مطلوبية تقصير الثياب وسيأتى مافى ذلك (قال سفيان) المطلق من هذا الاسم يراد به الثوري واذا أطلق الحسن فالمراد به البصرى واذا أطلق عبد الله فهو ابن مسعود قاله في جمع الوسائل (أراها) بضم الهمزة (حبرة) أي أظن الحلة الحمراء حبرة أى ثوبا مخططا بخطوط حمر وفى نسخة نراه حبرة بضم النون وذكر الضمير بتأويل الحلة بالثوب وكأنه انما فسرها بذلك جمعا بين الادلة لحديث النهى عن لبس الاحمر أخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال رأى على النبي صلى الله عليه وسلم ثوبين معصفرين فقال ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما وفي لفظ له فقلت أغسلهما فقال احرقهما والمعصفر هو المصبوغ بالعصفر وغالب مايصبغ به يكون أحمر وهذا الذى قاله سفيان من تخصيص المنع بالذى يصبغ كله دون المخطط هو أحد الاقوال في لبس الاحمر وللعلماء في لبس الاحمر أقوال أخر الجواز مطلقا أخذا بظاهر حديث وعليه حلة حمراء المنع مطلقا لحديث مسلم المتقدم ثالثها كراهة المقدم دون ماكان خفيا لحديث ابن عمر نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الفدوم بالفاء وتشديد الدال رابعها كراهة الاحمر مطلقا فى المحافل للشهرة ويجوز فى البيوت خامسها اختصاص النهى بما صبغ بعد النسج دون ماصبغ غزله ثم نسج بناء علي أن الحلة الحمراء والبرود الحمر التى لبسها النبي صلي الله عليه وسلم نسجت بعد صبغ غزلها سادسها اختصاص النهى بما يصبغ بالعصفر لورود النهى عنه دون ماصبغ بغيره ثم القائلون بالنهى منهم من علل بانه من زي الاعاجم ومنهم من علل بما فيه من التشبه بالنساء وعلى الوجهين يكون النهى عنه لا لذاته بل للتشبه ومنهم من علل بالشهرة اوخرم المروءة وعليه فيفرق بين لبسه فى المحافل والبيوت انظر العسقلانى وأخرج البيهقي فى الشعب من طريق أبى بكر الهذلى وهو ضعيف عن الحسن البصري عن رافع بن يزيد الثقفى رفعه ان الشيطان يحب الحمرة فاياكم والحمرة وكل ثوب ذى شهرة انظر جمع الوسائل وقد ترجم البخارى بباب القبة الحمراء من ادم اشارة الى تضعيف النهى عن الاحمر فانظره وقال عياض أجاز لبسه جماعة من السلف والفقهاء والشافعى وأهل الكوفة وقال مالك لا أعلمه حراما وغيره أحب الى منه انظر تمامه فقد ذكر مافى المسئلة من الخلاف وفى الابى بعد أن ذكر الخلاف مانصه نعم قد يختص بلباسه فى بعض الاوقات أهل الفسق والدعارة فيكره التشبه بهم وقد قال عليه السلام من تشبه بقوم فهو منهم ولا يختص هذا بالحمرة بل فى جميع الالوان والاحوال حتى لو اختص أهل الفسق والظلم بشيء مما أصلته السنة كالخاتم والخضاب فينبغى لاهل الفضل أن لا يتشبهوا بهم وأيضا قد يظن من لا يعرفهم أنهم منهم فيكون قد أعان على اساءة الظن به اه * قال المصنف

(واقتفى اثره سراقة فاستتوته فى الارض صافن جرداء ثم ناداه بعد ماسيمت الخيل فاقتفى اثره سراقة فاستتوته فى الارض صافن جرداء ثم ناداه بعد ماسيمت الخيل وقد ينجد الغريق النداء)

الشجرة التى قلم ورقها وفاعل نادى سراقة ومفعوله النبي صلى الله عليه وسلم بأن قال له الامان يا محمد وما مصدرية أى بعد سوم الفرس الخسف اى كادت الفرس أن تخسف جملة بعد خسف بعضها ومن الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها فهو تذييل انه قد ينجد

اقتفى اي تبع وسراقة هو ابن مالك ابن جعشم (٢) المدلجى والسين والتاء فى قوله فاستتوته لمجرد التأكيد أي غاصت قوائم فرسه في الارض حتى بلغت الركبتين نخرعنها والصافن من الخيل الذى يقوم علي ثلاث قوائم ويقيم الرابعة علي طرف الحافر والجرداء الرقيقة الشعر والقصيرته مستعار من

(١) بالهمز خارج من دين الى دين سموه بذلك زعما منهم انه خرج من دينهم الى الاسلام مع انه مادخل فى دينهم قط اجماعا اهمن خط المؤلف

(٢) قوله جعشم ضبط في نسخة بضم الجيم والشين وكتب عليه المؤلف مانصه ضمهما معا هو الثابت وحكى الجوهرى فتحهما وأنكر عليه اه

الغريق النداء أي الدعاء لله بانكسار وتذلل قال الزهري وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن جعشم ان أباه أخبره أنه سمع سراقة يقول جاءتنا كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتلهما أو أسرهما فركبت فرسي وخرجت لاحقا بهما حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغت (٨٠) الركبتين فخررت عنها فنهضت فلم تكد تخلع يديها فلما استوت قائمة خرج من أثر يديها دخان ساطع فناديتهم بالامان فوقفا وركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم انه سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك جعلوا فيك الدية واخبره بخبرهم وما يريدون به وعرض عليهم الزاد فلم يأخذوا منه شيأ وسألوه أن يخفي أثرهم قال سراقة وسألته أن يكتب لي كتابا آمن به فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي في رقعة من ادم ثم مضى وفي رواية البخاري عن أبي بكر فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا الا سراقة على فرس له فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال لا تحزن ان الله معنا حتى اذا دنا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة قلت يا رسول الله هذا الطلب وبكيت فقال لي لم تبكي قلت أما والله ما أبكي على نفسي ولكن أبكي عليك فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت فرسه الى بطنها في أرض طرفوثب عنها وقال يا محمد ان هذا عملك فادع الله ان ينجيني مما أنا فيه فوالله لاعمين عمن ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهما فانك ستمر بابلي بموضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي فيها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلق ورجع الى صاحبه ولما رجع وجد القوم يلتمسون فقال ارجعوا فقد استبرأت لكم ما هنا فلم يرجعوا وأنا أحب الناس في تحصيله ورجعت وأنا أحبهم في أن لا يعلم به أحد وفي ذلك يقول سراقة مخاطبا لأبي جهل

أباحكم لو كنت والله شاهدا * لأمر جوادي اذ تسيخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأن محمداً * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

عليك بكف القوم عنه فاني * أرى أمره يوما ستبدو معالمه

(حدثنا علي بن خشرم نا عيسى بن يونس عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال ما رأيت أحدا من الناس أحسن في حلة حمراء) لبيان الواقع لا للتقييد (من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كانت جمته) كأنه أطلقها على مطلق الشعر (لتضرب قريباً من منكبيه) *قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الله بن مهدي نا عبيد الله بن اياد) زاد في نسخة وهو ابن لقيط (عن أبيه عن أبي رمثة) بكسر الراء وسكون الميم وفتح المثلثة قاله المناوي (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردان) في النهاية البرد نوع من الثياب مخطط معروف (أخضران) أي فيهما خطوط خضر لما تقدم عن النهاية وتقدم لنا في باب الشيب أن الاخضر أكثر لباس أهل الجنة كما ورد وقال ابن بطال الثياب الخضر من لباس أهل الجنة وكفى بذلك شرفا قال في جمع الوسائل قلت ولذلك صارت ثياب الشرفاء وهذا الحديث قال المؤلف في جامعه حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن اياد وفي المشكاة عن يعلى ابن أمية قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت مضطبعا ببرد أخضر رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي انظر جمع الوسائل * قال المصنف رحمه الله (حدثنا عبد بن حميد نا عفان بن مسلم نا عبد الله بن حسان) بالصرف وعدمه (العنبري عن جدتيه دحيبة وعليبة) بالتصغير فيهما (عن قيلة بنت مخرمة) كذا وقع في نسخ الشمائل والصواب عن جدتيه دحيبة وصفية بنتي عليبة وهكذا ذكره المؤلف علي الصواب في جامعه وابن منده وابن سعد في الطبقات وهما جدتا عبد الله بن حسان احداهما من قبل الاب والاخري من قبل الام لما وقع الزواج بين ابن الخالة وبنت الخالة وهما ترويان عن جدة أبيهما قيلة بنت مخرمة وكانت ربتهما وكانت من الصحابيات وبهذا تعلم بطلان ما قاله ابن حجر انظر جمع الوسائل (قالت رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه أسمال مليتين) من قبيل جرد قطيفة فهو من اضافة الصفة الى الموصوف والاصل مليتان سملان والمراد بالجمع ما فوق الواحد ليطابق التثنية ومفرده سمل بفتحتين يقال ثوب سمل اذا كان خلقا ويقال ثوب اسمال اذا كانت الخلوقة فيه كله فالجمع اشارة الى أن كل جزء منه خلق حتى كأنه صار قطعا كما يقال برمة أعشار اذا انكسرت قطعا وهو أحد ما جاء على بناء الجمع ومليتين تثنية ملية بتشديد الياء تصغير ملاءة بالضم والمد لكن بعد حذف الالف قيل الازار وقيل الملحفة ويصدق بكل منهما قول القاموس هي كل ثوب لم يضم بعضه لبعض بخيط بل كل نسج واحد (كانتا) أي المليتان (بزعفران) أي مصبوغتين به (وقد نفضته) أي نفضت الاسمال الزعفران او نفضت كل واحدة من المليتين الزعفران وفي نسخة نفضتا بالبناء للفاعل والفاعل ضمير المليتين والمفعول محذوف أي نفضت المليتان لون الزعفران وأصل النفض التحريك فاسناد النفض الى المليتين مجاز ويجوز أن يكون من قولهم نفض الثوب نفوضا فهو ناقض أي ذهب بعض لونه وزال معظم صبغه ولم يبق الا اليسير منه وعليه فلا يحتاج الى ارتكاب حذف المفعول لكن يؤيد حذف المفعول نسخة نفضته بذلك المفعول ونسخة نفضتا

بامر يود الناس فيه باسرهم * بان جميع الناس طرا يسالمه وأخرج سراقة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فنفذه وأمنه ومن يلوذ به ثم أسلم بالجعرانة بعد ما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من حنين والطائف قاله ابن اسحق وقيل انه أسلم يوم الفتح وعليه اقتصر ابن حجر في الاصابة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا لبست سوارى كسرى (١) فالبسمها له عمر اظهارا لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى رضي الله عنه سنة أربع وعشرين (٨١) في صدر خلافة عثمان رضى الله عنه

(تكميل) لما تسامع المهاجرون الذين اجتمعوا بقباء والانصار خروجه صلى الله عليه وسلم تحرك لذلك ما كان منهم ساكنا وظهر عليهم من آثار الشوق وعلامة الوجد ما كان فيهم كامنا فان قلوب أهل المحبة بعد الفراق تكون منطوية علي نارها قد استمرت مع حرارة جمارها فاذا برق لهم بارق الوصال وطمعوا فى تبدل الانفصال بالاتصال تأججت نارهم بهبوب رياح التذكار واشتعلت جمارهم باجتماع حطب الانتظار وحينئذ ينشد لسان حالهم

فليت شعرى والدنيا مفرقة
بين الرفاق وأيام الورى دول
هل ترجع الدار بعد البعد آنسة
أم هل تعود لنا أيامنا الاول
ياظاعنين بقلبي أينما ظعنوا
ونازلين بقلبي أينما نزلوا
لقد جرى حبكم مجرى دمى فدمي
بعد التفرق فى أطلالكم طلل

وعن عروة بن الزبير قال لما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم فلما أووا الي بيوتهم أوفي رجل من يهود علي اطم (٢) من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى نفسه فنادى باعلى صوته

نفضتا بالبناء للمفعول ولا ينافي ما هنا ما فى صحيح البخارى عن أنس نهى النبي صلي الله عليه وسلم أن يتزعفر الرجل لان المراد بأن يستعمله في بدنه لما فيه من التشبه بالنساء نعم فيه أيضا عن ابن عمر نهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يلبس المحرم ثوبا مصبوغا بورس أو زعفران لكن مفهوم المحرم ان الحلال يجوز له ذلك وهذا مذهب مالك ومن يقول ان النهى عن لبس المزعفر يعتذر عما هنا بانه لما نفض كان الباقى منه بمنزلة العدم قال في جمع الوسائل ويمكن أن يكون قبل النهى ويدل عليه ما في القصة الطويلة انها كانت فى أول الاسلام ويأتى لهذا تتمة فى باب الخلق فى قوله عليه السلام لو قلتم له يدع هذه الصفرة وقد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم انما آثر بذاذة الهيئة ورثاثة اللبسة جريا على ما تقتضيه العبودية وميلا الي التواضع وغير ذلك مما تقدم وقد تبعه على ذلك السلف الصالح وجمهور الصوفية وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت اللحوق بى فلتكن بلغتك من الدنيا كزاد الراكب ولا تستبدلى ثوبا حتى ترقعيه واياك ومجالسة الاغنياء. وقال ابو هريرة كانت عائشة تتصدق بعشرة آلاف ودرعها مخروق وكانت تقول لا حاجة لي في الدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لسلمان الفارسى مالك لا تلبس الخز من الثياب فقال ما للعبد وللثوب الحسن فاذا عتق فله والله ثياب لا تبلى أبدا وقد طاف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعليه ثوب مرقع بازيد من اثنتى عشرة رقعة وكان منها اثنان من ادم وقد لبس يوم القدس جبته وهى مبلولة فعارضه في ذلك أبو عبيدة فقال انا قوم أعزنا الله بالاسلام فان طلبنا العز بغيره أذلنا الله فلما خرجت اليه الاحبار ووجدوه لابسا جبة مبلولة علي بعير مخطوم قالوا كذا وجدنا انه يدخل علينا فلم يكن تنافسهم فى تزيين الظاهر بالثياب السنية واستعمال المراكب البهية وانما كان المدار عندهم علي طهارة القلوب ومراقبة علام الغيوب وما أحسن قول الشافعى رضى الله عنه ونفعنا به آمين

على ثياب لو يباع جميعها * بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أعز وأكبرا
وماضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته فرا

(وأنشدوا)

ماعيدك الفخم الايوم يغفر لك * لا أن تجر به مستكبرا حللك
كم من جديد ثياب دينه خلق * تكاد تلعنه الاقطار حين سلك
وكم مرقع أطمار جديد تقى * بكت عليه السماء والارض حين هلك

ولما صار لباس الدون زى أهل الخصوصية وتميزوا بذلك عن الناس تزيا بزيهم من ليس منهم فاتخذوا رثاثة الهيئة حيلة على جلب الدنيا وشبكة يصطادون بها قلوب اهلها فانعكس الحال وصارت مخالفتهم فى ذلك لله من باب العمل بالحق قال في العارضة كان ترقيع الثياب من شعار الصالحين وسنة المتقدمين حتى اتخذته الصوفية شعارا فجعلته من الجديد وأنشأته مرقعا من

(١) نص ابن المنير على ان هذه المقالة كانت يوم لحقهما فى الهجرة والذى للسهيلى فى الروض انه قال ذلك حين أسلم ولا يبعد تعدد المقالة اه من خط المؤلف (٢) فى القاموس الاطم بضمتين القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح الجمع آطام واطوم اه وهذا الرجل من اليهود قال الحافظ بن حجر لم اقف على اسمه اه من خط المؤلف

يابنى قيلة (١) هذا جدكم أى حظكم ومطلوبكم قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم (٢) فتلقوه فنزل بقباء على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول لاثنتى عشرة ليلة خلت منه قال أنس بن مالك لما كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شىء وخرجت ذوات الخدور وجعلت النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع (٨٢) وجب الشكر علينا * مادعا لله داع أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

وجعلت نساء بنى النجار يضربن بالدفوف ويقلن

نحن جوار من بنى النجار
ياحبذا محمد من جار

(٣) فرحبا بالنبى المختار
ومرحبا بسيد الابرار

فقال لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحبينني قلن اى والله فقال والله انى احبكن قال الطبرانى وتفرق الغلمان والخدم فى الطريق ينادون جاء محمد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اه وقد حق لهم والله أن يزدحموا علي شهود تلك الطلعة المباركة ويتسابقوا الى رؤية ذلك الوجه الذي هو معدن كل خير وبركة ويقول قائلهم تولها بين جماله وجلاله صلى الله عليه وعلي آله

أبرق بدا من جانب الغور لامع
أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع
نعم أسفرت ليلى فصار بوجهها
نهار به نور المحاسن ساطع
ولما تجلت للقلوب تزاحمت
علي حسنها للعاشقين مطامع
لطلعتها تعلو البدور ووجهها
له تسجد الاقمار وهى طوالع
تجمعت الاهواء فيها وحسنها
بديع لانواع المحاسن جامع

وان اردت الاطلاع علي تمام خبر هذه السيرة فعليك بمطالعة كتب السيرة والله الموفق

أصله وهذا ليس سنة بل بدعة عظيمة وانما المقصود بالترقيع استدامة لبس الثوب علي هيئته اه ومن ثم قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لذى رثاثة أنكر عليه جمال هيئته ياهذا هيئتى هذه تقول الحمد لله وهيئتك هذه تقول أعطونى من دنياكم شيأ لله فاذا حسنت النية كان يقصد بحسن الهيئة التستر بحاله والبعد عن الرياء والسمعة فى أفعاله أو اظهار نعمة الله عليه دون التفاخر والخيلاء كان التجمل محمودا أيضا وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله جميل يحب الجمال وفى رواية نظيف يحب النظافة وفى السنن ان الله يحب أن يرى أثر نعمته علي عبده وكان صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود وروى النسائى ان النبى صلى الله عليه وسلم رأي رجلا وعليه ثوب دون فقال له هل لك من مال فقال نعم فقال من أى المال قال من كل ما آتى الله من الابل والشياه فقال كل ما آتاك الله من مال فلير عليك أى كثر نعمته وكرامته عليك فاظهر أثر نعمته بلسان المقال وبلسان الحال قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ومن الناس من يقصد بالتجمل السلامة من اذاية الناس والتوصل الى حقوقه معهم وقد قال عليه السلام فيما أخرجه البزار باسناد حسن اللهم اجعلنى شكورا واجعلنى صبورا واجعلنى فى عينى صغيرا وفى أعين الناس كبيرا قال شيخنا المحقق فى شرح الحكم وأى شىء يضر الانسان كونه فى أعين الناس كبيرا اذا كان عند نفسه صغيرا غاية الامر انهم يوفون حقوقه ولا يظلمونه ولا يؤذونه فينجون منه وينجو منهم ويخالطونه بسلامة الصدر واسقاط الجاه ليس مطلوبا لذاته بل لما يتبعه من غلظ النفس أو لما يقع من الزيادة علي ما يحتاج اليه منه والا فلابد للانسان من جاه ما فى معاشه لئلا تبخس حقوقه وتنتهك حرمته اه وحيث صار الناس انما يعتبرون ظاهر الصور فلا بأس أن يستعمل الانسان من اللباس أو غيره ما يتوصل به الى حقه ويسلم به من الاذاية وقد أخذ بعضهم هذا من قوله تعالى ياأيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أى لتميز الحرة من الامة عند الخروج ومن ثم قال هلال بن هذيل وكان من العلماء وذكره ابن رشد فى جامع البيان والتحصيل فى التجمل بالثياب

حسن ثيابك ما استطعت فانها * زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التواضع فى اللباس تخشنا * فالله يعلم ما تسر وتكتم
فرثاث ثوبك لا يزيدك رفعة * عند الاله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعد ما * تخشى الاله وتتقى ما يحرم

وقد كان مالك يتجمل فى ملبسه ولا يتبذل قال أبو يوسف دخل مالك على الرشيد وعليه ثياب عدنية سود والله ما رأيت قط شيأ أحسن منه فتزحزح له هرون حتى أجلسه معه على المنصة وقال أهل العلم ينبغى للعالم أن يظهر مروءته فى ثيابه اجلالا للعلم وكان عمر يقول أحب ان يكون القارئ أبيض الثياب وأستحسن لاهل العلم والصلاح حسن الزى والتجمل المباح وفى

(فطوى الارض سائرا والسموا * ت العلا فوقها له اسراء) (فصف الليلة التى كان للمختار فيها علي البراق استواء) الرسالة

(١) هى الجدة الكبري للانصار والدة الاوس والخزرج وهى بنت كاهل ابن عذرة (٢) انما خرجوا بالسلاح اظهار اللقوة والشجاعة لتطمئن نفسه صلى الله عليه وسلم بقدومه عليهم ويظهر صدقهم له فى مبايعتهم اياه على أن يمنعوه مما يمنعون به أنفسهم وأبناءهم اه من خط المؤلف
(٣) فرحبا بالنبى المختار كذا بالاصل ولعله فرحبا بذا النبى المختار أو نحو ذلك ليتزن

(وترقى به الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء) (رتب تسقط الاماني حسرى * دونها ما وراءهن وراء)

لاشك ان ملاحظة الواقع فى نفس الامر تقتضى تقديم الاسراء على الهجرة والقعساء الثابتة الدائمة التى لايطرقها تقصير ولازوال ولاتغيير فهى رتب جليلة تسقط الاماني جمع أمنية وحسرى جمع حسير من حسر أى عي ودونها ظرف لتسقط اى لجلالة هذه الرتب وعزتها علي الخلق سقطت أمنياتهم وتخلفت طلباتهم عن نيل الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة عن التأهل لها ولما وهى ماوراءهن وراء أى ماقدامهن قدام بمعنى انه ليس بعد تلك المراتب مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ثم اعلم ان الكلام في الاسراء لايفى ببيانه مخلوق ولكن نذكر بعضه ليستدل به على مجمل باقيه قال فى المواهب وقضية الاسراء والمعراج من أشهر المعجزات وأظهر البراهين البينات وأقوى الحجج المحكمات وأصدق الانباء وأعظم الآيات وأتم الدلالات الدالة علي تخصيصه صلى الله عليه وسلم بعموم الكرامات والحق انه اسراء واحد بروحه وجسده يقظة فى القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولاينبغى العدول عنه ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده اذ العبد اسم للجسد والروح كما فى قوله ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه ولان الدواب لاتحمل الارواح وانما تحمل الاجسام ولان الاسراء لايكون فى النوم ولا يكون الا فى الليل وانما صرح باسم الليل مع ذلك فى الآية تنبيها علي عظم خرق العادة اذ الليل يتعذر أو يتعسر فيه مايسهل بالنهار وفيه انه قطع مسيرة اربعين مرحلة فى وقت واحد باعتبار بيت المقدس اونحو ثمانية آلاف سنة بالنسبة الى السموات أيضا والتنكير فى ليلا للتقليل اى فى بعض منه فان العرب تقول سرى فلان ليلا اذا سار جميعه ولا يقال أسري ليلا الا اذا وقع سيره فى اثنائه فنقول على هذا فائدة قوله ليلا التنصيص علي ان ذلك وقع فى دليل واحد لان التنوين قد يراد به الوحدة فقط فلفظ أسرى يفيد انه وقع فى ليل مع احتمال تعدد الليالى فنص على الوحدة بقوله ليلا والله أعلم * وفى وقته خلاف كثير قيل ليلة الاثنين أو الجمعة

الرسالة من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله وفيها أيضا لأن القى الله بجميع المعاصى احب الى من أن القاه بذرة من التصنع * دخل سيار البصرة فبينما هو يصلي وكان حسن الصلاة وعليه ثياب جياد فرآه مالك بن دينار فجلس اليه فسلم سيار فقال له مالك هذه الصلاة وهذه الثياب فقال له سيار ثيابى هذه ترفعنى عندك أو تضعنى قال تضعك قال هذا أردت ثم قال يامالك انى لاحسب ثوبيك هذين قد نزلاك من نفسك مالم ينزلك الله فبكى مالك وقال له أنت سيار فقال نعم فعانقه مالك وقعد بين يديه وبالجملة فالاعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى وعن عائشة ان قوما من الصحابة اجتمعوا بباب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج يريدهم فجعل ينظر فى آنية ماء ويسوى من رأسه ولحيته قالت فقلت يارسول الله وأنت تفعل هذا قال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهيئ من نفسه فان الله جميل يحب الجمال قال فى الاحياء والجاهل ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا علي اخلاق غيره وهيهات فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعي فى تعظيم امر نفسه فى قلوبهم كى لاتزدريه نفوسهم وتحسين صورته فى أعينهم كى لاتستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم اه (وفى الحديث قصة طويلة) اقتصر ابن حجر منها علي مانصه هى مارواه الطبراني بسند لابأس به ان رجلا جاء فقال السلام عليك يارسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وعليه أسمال مليتين قد كانتا بزعفران فنفضتا وبيده عسيب نخلة قاعدا القرفصاء فلما رأيته أرعدت من الفرق فنظر الى فقال عليك السكينة فذهب عنى ماأجد من الروع اه قال فى جمع الوسائل القصة اطول من هذا بكثير وتركتها لما فى النسخة من كثرة التصحيف الذى لايفهم معه المقصود مع طولها فانه قريب من ورقتين اه بمعناه وانظره بطوله فى غنية القاضي عياض وكذا فى الاستيعاب والاصابة لابن حجر * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا بشر بن المفضل عن عبد الله بن عثمان بن خثيم) بالتصغير والثاء المثلثة (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم) اسم فعل اى خذوا معشر الامة (بالبياض) اى بلبس الابيض البالغ فى البياض حتى كأنه عين البياض كرجل عدل ويرشد اليه بيانه بقوله (من الثياب ليلبسها احياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فانها) أى الثياب البيض (من خير ثيابكم) علله فى الحديث الآتى بقوله فانها اظهر واطيب ولم يقل خير ثيابكم حتى يدل علي ان الابيض أفضل من غيره لاحتمال ان الاخضر افضل فانه من لباس أهل الجنة اومساو للابيض لكن ورد ان أحب الالوان الى الله البياض وذلك يوجب القطع بكونه افضلها ويؤيده ايضا اطلاق لفظ اطيب فى الحديث بعد فانه مشعر بزيادة من فى قوله من خير ثيابكم وانظر المناوى * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن حبيب بن ابى ثابت عن ميمون بن ابي شبيب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا البياض) اى الثياب البيض وجعلها نفس البياض مبالغة كما

او السبت من رمضان أومن شوال اومن رجب وبه جزم النووى فى الروضة أومن الحجة أو ليلة الثالث عشر من ربيع الآخر وبه جزم النووى فى فتاويه أو من ربيع الاول وعليه جرى فى شرح مسلم ثم قيل بعد البعث بخمس سنين أو بعشرة او باحدى عشرة أو اثنتى عشرة وحيث لم يرد فضل في العمل فيها ولم تكن مقصودة لذاتها المقصود ماوقع فيها لم يقع اعتناء بتعيينها فكثر الخلاف فيه وهو علي الوجه المذكور الى تلك الحضرات

العلية لم يكن لاحد من الانبياء غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولذا قيل

ولقد سريت الي المهيمن ليلة
والله ما أحد سرى مسراك
بالجسم كان سراك لاعن ريبة
وبه قرت فى ملكه عيناك

والاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى والعروج من الارض الى السموات والمعراج آلة العروج وستأتى ومن الحكم فى كون الاسراء ليلا أن النبى صلي الله عليه وسلم سراج والسراج تظهر قوة نوره فى الليل وينشد

قلت ياسيدى ولم تؤثر الليـ
ـل علي بهجة النهار المنير
قال لاأستطيع تغيير رسمى
هكذا الرسم في طلوع البدور
انما زرت فى الظلام لكما
يشرق الليل من أشعة نوري

وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لاتفتخر ان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فقد عرج بشمس الوجود فى الليل الى السماء والكلام علي حديث الاسراء من وجوه * (أحدها) * قوله فيه أتيت بالبراق الخ حذف الفاعل للعلم به وهو جبريل وسمى براقا لسرعة سيره (١) او من البريق واللمعان أومن قولهم شاة برقاء اذا كان فى خلال بياضها سواد ولا ينافيه وصفه بالبياض لان البرقاء من الغنم معدودة من البيض والمشهور انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج كما يأتى والحكمة في كونه دابة المضاف اى هو شبيه بها دون البغل وفوق الحمار ولم يكن علي شكل الفرس الاشارة الى ان الركوب كان فى سلم وأمن لافى خوف وحرب أو لاظهار المعجزة بوقوع الاسراء الشديد بدابة لاتوصف بذلك فى العادة * (الثاني) * روى معمر عن قتادة عن أنس ان رسول الله

تقدم (فانها أطهر) لان المصبوغ اذا أصابته نجاسة لاتظهر فيه مثل ظهورها فى الابيض فاذا كانت في الابيض أظهر كان من غيره اطهر ولان البيض أكثر تأثرا من الثياب الملونة فتكون أكثر غسلا فتكون اكثر طهارة ولان الابيض يغسل من غير مخافة علي ذهاب لونه فيبالغ فى غسله مالا يبالغ فى غسل الملون فيكون أطهر من غيره (وأطيب) امامن طاب الشيء بمعنى حل ومعنى أطيب أحل ففى النهاية أكثر مايرد الطيب بمعنى الحلال كما ان الخبيث بمعنى الحرام قال تعالى قل لايستوى الخبيث والطيب اه وانما كان الابيض أحل من الملون لكونه اقرب الي التواضع وعدم التفات النفس اليه غالبا بخلاف الملون فتلتفت اليه النفس ويصحبه الكبر والخيلاء والعجب ولان الابيض أخف مؤنة فى الغالب من الملون فيتيسر تحصيله بأدنى شيء بخلاف غيره وأمامن طاب بمعنى حسن فيكون معنى أطيب أحسن وانما كان الابيض أحسن من الملون لبقائه علي اللون الذى خلقه الله عليه وترك تغيير خلق الله أحسن ويحتمل ان يكون معنى أطيب ألذ لان لذة المؤمن فيما يكون أنقى وأحل وأقرب الى التواضع وأنسب بالعبودية وأسهل تحصيلا وفى الحديث من كرامة المؤمن علي الله نقاوة ثوبه ورضاه باليسير اى من الثياب أو بالقليل من الدنيا والقناعة بما يبلغه الى العقبى وقد علمت مما تقدم المغايرة بين المتعاطفين فليس من عطف المترادفين كما قيل (وكفنوا فيها موتاكم) للمزايا المتقدمة ولان الميت بصدد ملاقاة الملائكة والاجتماع بهم فتطلب مواجهتهم بما هو أطهر وأطيب كما يطلب ذلك فى المحافل والمساجد وملاقاة العلماء والكبراء الا يوم العيد فان المطلوب فيه التجمل بالثياب الفاخرة وفيه ايماء الى ان مآله الى الخلاقة والبلى فلا ينبغى للعاقل ان يتكلف ويتجمل فى تحصيل ماعاقبته البلى والى ان أحق ما يأتى به العبد مولاه الفطرة الاصلية التى فطر الله الناس عليها وهى فطرة التوحيد الجبلى فانها كالثياب البيض الباقية على أصل الخلقة والى طهارة الباطن من الغش والغل وسائر الاخلاق الذميمة الشبيهة بالنجاسات الحقيقية أو الحكمية قال تعالي يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ثم اعلم ان وجه دخول هذين الحديثين فى باب لباسه صلى الله عليه وسلم لايخلو عن خفاء اذ ليس فيهما تصريح بأنه صلى الله عليه وسلم لبس الثوب الابيض لكن يفهم من أمره بلبسه وترغيبه انه كان يلبسه أيضا وقد وقع التصريح بذلك فى حديث أبي ذر المخرج فى الصحيحين حيث قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وسيأتي فى باب صفة عمامته صلى الله عليه وسلم انه لبس عمامة سوداء ويأتى وجه ذلك * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا يحيي بن زكريا ابن ابى زائدة) اسمه خالد ويقال هبيرة بالتصغير (نا أبى عن مصعب بن شيبة) فى نسخة سعية (عن صفية بنت شيبة عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة) قيل كلمة ذات مقحمة وفائدتها دفع مجاز المشارفة وقيل ذات الشيء نفسه وحقيقته والمراد ماأضيف اليه أى خرج غداة أي بكرة فان العرب يستعملون ذات يوم وذات ليلة ويريدون حقيقة

(١) وليس هو بذكر ولا أنثى أبيض يضع خطوه عند منتهى طرفه اه من خط المؤلف بواسطة

صلى الله عليه وسلم أتي البراق ليلة الاسراء مسرجا ملجما فاستصعب عليه البراق فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك خلق أكرم على الله منه قال فارفض عرقا اخرجه الترمذي وصححه ابن حبان بمعنى ان البراق فعل فعل التائه المتكبر فخرج عن حسه ولم يضبط أمر نفسه لشدة فرحه وسروره بركوب سيد السادات وعين العيون وصدر الصدور عليه كانه تيهته بذلك عن الاكوان وغيبته لذة الانس ونشوة السكر بها عن مقتضى الادب فرده اليه جبريل وهكذا يقع (٨٥) لاهل الانس ولذلك يتوجه اليهم العتاب

المضاف اليه نفسه (وعليه مرط) بكسر فسكون كساء طويل واسع من خز أو صوف او شعر او كتان يؤتزر به ولذا بينه بقوله (من شعر) وفي نسخة مرط شعر بالاضافة (أسود) بالرفع صفة مرط وبالفتح صفة شعر ممنوع من الصرف والجملة حال من فاعل خرج وقد اخرج مسلم وابو داود هذا الحديث بلفظ وعليه مرط مرجل من شعر اسود ومرجل اما بالجيم المشددة بمعنى من لباس الرجال او عليه صور المراجل اى القدور واحدها مرجل واما بالحاء المهملة المشددة ومعناه الموشى المنقوش عليه صور الرحال وقيل المراد بيان اختلاف الالوان التى كانت فيه لان الارحل من الخيل هو الابيض الظهر ومن الغنم الاسود الظهر فكانه كان موشى وهذا اقرب الى ما كان يلبسه وعلى هذا فوصف المرط بقوله اسود لاجل ان السواد فيه أغلب ووقع فى روايتهما من الزيادة فجاء الحسن بن علي فادخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فادخلها ثم جاء على فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وفى ذلك اشارة الى انهم المراد باهل البيت فى الآية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل عليهم كساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا معهم فقال انك على خير وعليه فلا اشكال فى الآية وان حملت الارادة على معناها المتبادر منها المقتضي ان الله اراد اذهاب الرجس بمعنى الاثم عنهم وان ما أراده هو الواقع وان كان المراد باهل البيت ما يشملهم وغيرهم من كل من للنبي صلى الله عليه وسلم عليه ولادة وغيرهم من الاشراف الذين لهم قرابة بالنبي صلى الله عليه وسلم فيحتاج الى حمل الارادة فى الآية كما قال الشيخ ابو اسحق الشاطبي على الامرية وهى انما تستلزم الرضا بالمراد لا وجوب وقوعه لان مذهب اهل السنة ان عصاة اهل البيت فى المشيئة ومحل احاديث التبشير على غلبة الرجاء فى حق من علم انه منهم لا الجزم بمؤاخذتهم لا يقال لا خصوصية لاهل البيت بارادة الامرية مع ان الآية جاءت لبيان مزيتهم وخصوصيتهم لانا نقول لما امر امهات المؤمنين باوامر ونواهن عن نواه عقب ذلك بقوله انما يريد تحريكا للهمم العالية وتذكيرا لما خصهم به من المزية التى لا يناسبها الا غاية النزاهة وكمال الطهارة وهو معنى قوله اهل البيت نداء معترضا بين المتعاطفين اى قوموا بحفظ هذه النسبة العظيمة وصونوها وابعدوا عما لا يناسبها ولا يليق بالمتصف بها كانه يقول انما أمرناكم بكذا ونهيناكم عن كذا لانا لم نرض لكم الا الكمال بان تاتوا ناطاهرين من كل شيء فهذا كما يقول الناصح لمنصوحه ذى المنزلة والقدر لا تفعل كذا وانما نهيتك عنه نصيحة ونظرا لك حتى يبقى قدرك محفوظا ولهذا قال بعض اهل العلم الحسنة فى نفسها حسنة وهى فى بيت النبوة احسن والسيئة في نفسها سيئة وهى في بيت النبوة أشين لانهم اقارب النبي صلى الله عليه وسلم وأولى الناس بالارث الاقارب لانهم احق الناس باتباع طريقه والتخلق باخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم وهذه الآية كما قال اهل العلم منبع فضل اهل البيت النبوى لاشتمالها على غرر من مآثرهم

تحصل له الزهو على الوجود بسيد الوجود ولم يقصد الاستعصاء وانما غلب عليه الوجد فلم يضبط حال نفسه ولهذا لما نبه جبريل عليه الصلاة والسلام سال عرقه وأدركه عظيم الخجل وفى رواية ابن سعد وكان الذي أمسك بركابه جبريل وبزمامه ميكائيل اه وفى المواهب مانصه وفى كلام بعض اهل الاشارات لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسر معنى كلمة كن ولم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدى مثمرها ورفعها الى حضرة قربته والطواف بها على ندمان حضرته أرسل اليه أعز خدام الملك عليه فلما ورد عليه قادما ولجنابه خادما وافاه على فراشه نائما فقال قم يا نائم فقد هيئت لك الغنائم قال ياجبريل الى اين قال يا محمد ارفع الاين من البين انما انا رسول القدم ارسلت اليك من جملة الخدم يا محمد انت مراد الارادة الكل مراد لاجلك وأنت مراد لاجله انت صفوة كائس المحبة أنت درة هذه الصدفة انت شمس المعارف وأنت بدر اللطائف ما مهدت الدار الا لاجلك ما حمى ذلك الحمي الا لوصلك ما روق كائس المحبة الا لشربك فقال عليه السلام ياجبريل الكريم يدعوني اليه فما الذى يفعل بى قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال جبريل فما لعيالى وأطفالى قال ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ياجبريل الآن طاب قلبي ها انا ذاهب الى ربى ثم قال جبريل يا محمد انما جاءبى اليك الليلة لأكون خادم دولتك وحاجب حاشيتك وحامل غاشيتك وجئت بالمركوب اليك لاظهار كرامتك لان من عادة الملوك اذا استزار واحبيا او استدعوا قريبا وأرادوا اظهار اكرامه واحترامه ارسلوا أخص خدامهم وأعزهم لنقل اقدامهم لخشائك على

رسم عادة الملوك وآداب السلوك ومن اعتقد انه اتصل اليه بالخطا فقد وقع فى الخطا ومن ظن أنه محجوب بالعطاء فقد حرم العطاء اه
وروى انه لما وصل الى بيت المقدس لم يلبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثيرون ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر
من يؤمنا فاخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم فلما انصرفت قال لى جبريل أتدرى من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبى
بعثه الله ﴿الثالث﴾ فى رواية ابن اسحق انه عليه السلام قال لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتى بالمعراج

ولم ار شيأ أحسن منه وهو الذى يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر والمعراج بكسر الميم وحكى ضمها من عرج بفتح الراء يعرج بضمها اذا صعد وهو آلة العروج ويقال السلم وفى رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج وفى شرف المصطفى انه أتى بالمعراج من جنة الفردوس وانه منضد عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة وفى رواية أبي سعيد عند البيهقى ثم أتيت بالمعراج الذى يعرج عليه أرواح بنى آدم فلم تر الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء فان ذلك عجبه بالمعراج هذا وفى حديث ابن عباس فاخذ جبريل بيدى وأتي بى الى ناحية الصخرة ثم نادى يا اسمعيل دل المعراج فدلاه فاذا له مائة درجة ما رأيت شيأ أحسن منه فصعدت علي أول درجة فرأيت ملائكة ثيابهم حمر والوانهم حمر ثم صعدت الثانية فاذا بملائكة ثيابهم صفر وألوانهم صفر ثم فى الثالثة ملائكة ثيابهم خضر وألوانهم خضر وفى الرابعة ملك معه عمود وحوله ملائكة تبرق أجسادهم ووجوههم كما تبرق المرايا المجلوة وفى الخامسة فاذا عليها ملائكة مثل الجن والانس ويأجوج ومأجوج واذا فيها أنهار واشجار ليس لهم كلام الا لا اله الا الله وفى السادسة باب فاذا ملك عظيم على كرسى من ذهب حوله ملائكة شاخصة أبصارهم هيبة لله تعالى ليس لهم الا قول ماشاء الله وفى السابعة فكاد نور يخطف بصرى من نور ملائكة استقبلونى بالتعظيم وفى الثامنة فاذا فيها ملائكة وجوههم من نور وعليهم ثياب من السندس وبيدهم اعلام من نور فلما رأونى قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد صلي الله عليه وسلم نبى الرحمة فسلموا علي ورحبوا بي

والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته فى اذهاب الرجس الذي هو الاثم وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وفى بعض الطرق تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وحكمة ختم الآية بتطهير المبالغة فى وصولهم لأعلاه ورفع التجوز عنه وتنوينه للتعظيم والتكثير والاعجاب المفيد انه ليس من جنس مايتعارف ويؤلف قرر ذلك شيخنا المحقق فى همزيته * حكى الحافظ أبو بكر الخطيب قال دخل يحيى بن معاذ علي علوى ببلخ أو بالرى زائرا له ومسلما عليه فقال العلوى ليحيي ماتقول فينا أهل البيت قال ما أقول فى طين عجن بماء الوحى وغرست فيه شجرة النبوة وسقى بماء الرسالة فهل يفوح منه الا مسك الهدى وعنبر التقى فقال العلوى ليحيي ان زرتنا فبفضلك وان زرناك فبفضلك علينا فلك الفضل زائرا ومزورا * قال المصنف (حدثنا يوسف بن عيسى ناوكيع نا يونس بن أبى اسحق) اسمه عمرو بن عبد الله السبيعى (عن أبيه) أبي اسحق (عن الشعبى) بفتح الشين وسكون العين واسمه عامر بن شراحيل (عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه) المغيرة (ان النبى صلى الله عليه وسلم لبس جبة) هى ثوبان بينهما قطن الا أن تكون من صوف فقد تكون غير محشوة (رومية) كذا هنا وفى أكثر روايات الصحيحين وغيرهما جبة شامية ولا منافاة بينهما لان الشام من عماله قيصر ملك الروم (ضيقة الكمين) فى رواية البخارى انها كانت من صوف وكان ذلك كان فى سفر وانه غسل وجهه ولم يستطع أن يخرج ذراعيه منها فاخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه قال المغيرة فاهويت لانزع خفيه فقال دعهما فانى أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما وفى رواية أحمد وأبي داود ان ذلك كان فى غزوة تبوك وفى الموطا ومسند أبي داود ان ذلك كان عند صلاة الصبح وفى مسلم عن ابن المغيرة قال أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى من المكان الذى توضأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وجد الناس قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم فأدرك النبى صلى الله عليه وسلم الركعة الاخيرة فلما سلم عبد الرحمن قام رسول الله صلي الله عليه وسلم يتم صلاته ففزع ذلك الناس وفى الحديث ان الاصل فى الثياب الطهارة وان كانت من عمل الكفار ولا دليل فى هذا علي ان الصوف لا ينجس بالموت لاحتمال انه جز فى الحياة خلافا للقرطبى وفى الحديث ان ملابس السفر قد تكون مخالفة لملابس الحضر لانه يحتاج فيه الى تشمير لا يحتاج اليه فى الحضر ويحتمل انه لبسها للدفء من البرد أو غير ذلك وفيه جواز لبس الصوف وكره مالك لمن يجد غيره لما فيه من الشهرة بالزهد لان اخفاء العمل أولى ولعل هذا بالنسبة لاهل بلده الذين غلب عليهم لباس غير الصوف أما غيرهم فلا لانتفاء العلة المذكورة وروى الشيخان انه صلي الله عليه وسلم كان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد وانظر باب صفة ازار النبى صلى الله عليه وسلم

وفى التاسعة فرأيت ملائكة قصرت عن صفهم وفى العاشرة فاذا ملائكة لايحصون لكثرة عددهم ولايحصيهم الاالذى خلقهم ولولا ان الله عز وجل ثبت بصرى لذهب من نورهم فاستقبلونى بالتعظيم والترحيب فلم أزل أصعد درجة درجة وجبريل يحث البراق (١) ورسول يأتينى بعد رسول يقول ياجبريل عجل بمحمد صلى الله عليه وسلم الى حيث كنت في أعلي درجة فسمعت الملائكة فى السماء يسبحون ويهللون ويقدسون للرب تعالى فقرع جبريل الباب فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة قالوا وقد بعث اليه وفى رواية وقد ارسل اليه قال نعم قالوا مرحبا بكم ثم فتحوا فصعدت الى سماء الدنيا وهى من موج مكفوف حبسه الله في الهواء فلم يبق فيها ملك الا استقبلنى ورحب بى *(الرابع)* انما صادف أبواب السماء مغلقة تنويها بقدره وتحقيقا ان السموات لم تفتح أبوابها الا من أجله ولو وجدها مفتوحة لم يتم انها فتحت لاجله فلما فتحت له تحقق عليه الصلاة والسلام ان المحل مصون وان فتحه له كرامة وتبجيل وقولهم وقد أرسل اليه الاظهر انه استفهام عن الارسال اليه للعروج الى السماء لان أصل بعثته قد اشتهر فى الملكوت الاعلي فدل علي انهم كانوا يعرفون ان ذلك سيقع له والا لقالوا ومن محمد مثلا ولذا أجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء فكلامهم هذا يحقق معرفتهم بجلالته وتحقيق رسالته وهذا أجل مايكون من حسن الخطاب والتعريف علي المعروف من عادة العرب وقولهم من معك لما رأوا حين اقباله عليهم من زيادة الانوار وغيرها من المناير الحسان زيادة على مايعهدونه منهم كانهم قالوا من الشخص الذى من أجله هذه الزيادة التى معك فعينه لهم وقد قال بعض العلماء فى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انه رأى صورة ذاته المباركة فى الملكوت فاذا هو عروس المملكة اه *(الخامس)* فى بعض روايات الحديث المتقدم فاذا رجل قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة فاذا نظر عن يمينه ضحك

باب
ماجاء فى عيش رسول الله ﷺ

كذا فى النسخ ذكر هذا الباب في هذا المحل والانسب ذكره بعد الفراغ من أبواب اللباس وايراده بين بابي اللباس والخف غير مناسب والظاهر انه من صنيع ناسخ الكتاب وقد أعاد المصنف هذه الترجمة فى آخر الكتاب بعد باب أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم وطول فى أحد البابين مالم يطول فى الآخر ووقع فى بعض النسخ الطويل بعد القصير وعليه شرح الشراح وفى بعضها علي العكس وهو الذى رأيناه فى النسخ التى وقفنا عليها بخط شيوخنا المغاربة وعليه نشرح نحن ان شاء الله وسيترجم المصنف بباب صفة خبزه وادامه وفاكهته صلى الله عليه وسلم لبيان أنواع الاطعمة التى كان يتقوت بها صلى الله عليه وسلم كما ترجم بباب اللباس لبيان أنواع الثياب التى كان يلبسها صلى الله عليه وسلم والمقصود من باب عيشه صلى الله عليه وسلم بيان خلقه صلى الله عليه وسلم في عيشه أى غذائه وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان يقتصر من ذلك علي ماتدعو اليه ضرورة الحياة ويتخلى عن وصول الترفعات فى مأكله كلباسه زهدا في الدنيا ونعيمها وجريا علي ماتقضيه حالة العبودية التى هى أشرف أحوال الانسان لكن لو جمع المصنف أحاديث البابين في باب واحد لحصل المقصود وكانه لم يجمعهما فى باب واحد للاهتمام بشان هذا الباب فان غالب الناس انما يعبدون بطونهم فكان فى تكرار أحاديث عيشه صلى الله عليه وسلم وقرع أسماعهم بذلك المرة بعد المرة تشنيع علي من ضيع عمره فيما يملأ بطنه كفانا الله تعالى سرها بمنه وقد قالوا من كانت همته فى بطنه كانت قيمته مايخرج منها *قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا أبو الاحوص عن سماك بن حرب قال سمعت النعمان بن بشير يقول ألستم) الخطاب للتابعين أو الصحابة بعده صلى الله عليه وسلم (فى طعام وشراب) متعلق بمحذوف بقرينة السياق أي متوسعين فى طعام وشراب وقوله (ماشئتم) ماموصولة وهي بدل من الجار والمجرور قبله ورابط الصلة محذوف اي فيما شئتم منهما ويحتمل غير هذا من الاعراب وفى هذا الكلام تعيين وتوبيخ ولذلك أتبعه بقوله (لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم) أضافه فقال نبيكم ولم يقل النبى صلى الله عليه وسلم للتشريف وأضافه اليهم ولم يقل نبينا للالزام كانه يقول نبيكم الذى أمرتم باتباعه اختار لنفسه خلاف ما أنتم عليه فكان يقتصر من الدنيا علي مالابد منه ولايتوسع فى ما كله ومشاربه فهذا ترغيب لهم فى القناعة وترهيب من المخالفة والتوسعة فان الزهد فى الدنيا هو رأس العبادة وقد قال المفسرون فى قوله تعالي ليبلوكم أيكم احسن عملا هو الزهد فى الدنيا وقال عليه السلام ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس وقد قال العلماء ان هذا الحديث هو أحد أحاديث الاربعة التى عليها مدار الدين (ومايجد من الدقل) اى ردىء التمر فضلا عن غيره (مايملأ بطنه) وروى مسلم يظل اليوم يلتوى ومايجد من الدقل مايملأ بطنه وهذا كما يأتى انه صلى الله عليه

(١) هذا من جملة مااستدل به من قال ان العروج وقع بالبراق والاصح خلافه ولادليل فيه لاحتمال انه صعد على المعراج والبراق مع ذلك يساق علي عادة العظماء اه من خط المؤلف بواسطة

واذا نظر عن يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال ادم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار قال عياض جاء أن أرواح الكفار في سجين وأرواح المؤمنين منعمة في الجنة فكيف تجتمع في سماء الدنيا والجواب أنها تعرض علي آدم أوقات خروجها من الأجساد فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم واستشكل بان أرواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن وأجيب بانه يحتمل ان الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله وكان يكشف له منها ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء ان تفتح لها أبواب السماء ولا تلجها *(تنبيه)* قيل انما اقتصر الانبياء على وصفه بهذه الصفة وتواردوا عليها لان الصلاح صفة تشتمل على خصال الخير كلها لان الصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد فمن ثم كانت كلمة جامعة لمعاني الخير وفي قول آدم والابن الصالح اشارة الى افتخاره بابوة النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا ليس في السماء موضع الا وفيه جبهة ملك يسبح الله قال ورأيت في السماء الدنيا ديكا له زغب أخضر وريش أبيض وبياض ريشه كاشد بياض رأيته قط وزغبه تحت ريشه كاشد خضرة رأيتها قط واذا رجلاه في تخوم الارض السابعة السفلى واذا رأسه عند عرش الرحمن ثان عنقه تحت العرش له جناحان في منكبيه اذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب فاذا كان في بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الملك القدوس سبحان الكريم أو قال الكبير المتعال لااله الا الله الحي القيوم فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض كلها وخفقت باجنحتها وأخذت في الصراخ فاذا سكن ذلك الديك في السماء سكنت الديكة في الارض ثم اذا كان في بعض الليل نشر جناحيه فجاوز بهما المشرق والمغرب وخفق بهما ثم صرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الله العلي العظيم سبحان الله العزيز القهار سبحان الله رب العرش الرفيع فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض بمثل قوله وخفقت باجنحتها وأخذت في الصراخ فاذا سكن سكنت ثم اذا هاج

وسلم شد على بطنه الحجر من الجوع قال الشيخ زروق نفعنا الله تعالى به في شرح الحكم العارف تارة يغلب عليه الغنى بالله فتظهر عليه آثار العناية وتارة يظهر عليه الفقر الى الله فيلزم الرعاية فحين غلب الغنى بالله على حبيب الله اطعم ألفاً من صاع وحين غلب عليه الفقر الى الله شد الحجر على بطنه من الجوع فافهم اه وقد اختلف الصوفية ما الافضل هل اظهار الافتقار الى الله أو اظهار الاستغناء بالله تعالى * قال الشيخ زروق رضي الله عنه والصواب ان الأفضل اظهار هذا تارة والآخر أخرى لانه حاله صلى الله عليه وسلم وقد خيره الله بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وقال أجوع يوما فأسأل وأتضرع وأشبع يوما فأحمد وأشكر أو كما قال صلى الله عليه وسلم اه وسيأتي لهذا تتمه في شرح الحديث الثالث *قال المصنف رضي الله عنه (حدثنا هرون بن اسحق نا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنا) وفي نسخة ان كنا بزيادة ان المخففة من الثقيلة (آل محمد) أي أعني آل محمد وفي نسخة برفع آل على انه بدل من اسم كان وآل محمد شامل له عليه السلام لعدم وجود المأكول مع نفي ايقاد النار ولانهم اذا صبروا شهر فهو أحق وأولى لتعذر شبعه دونهم للقطع بأنه عند الضيق يؤثرهم على نفسه فالحديث مناسب (نمكث) وفي نسخة لنمكث باللام الفارقة والظاهر ان هذه النسخة مبنية على نسخة ان كنا بان المخففة لانه يجب اقتران خبر الفعل الواقع بعدها باللام والعكس بالعكس وحينئذ فلا يشكل تجرد الخبر من اللام مع وجود ان المخففة المهملة (شهرا ما نستوقد بنار) أي لا للخبز ولا للطبخ والجملة صفة لشهرا بحذف الرابط (ان هو) اى ما هو اى المطعوم الصادق بالمأكول والمشروب لقوله (الا التمر والماء) في نسخة الا الماء والتمر وفي الاخرى الا الاسودان بتغليب التمر والا فالماء لا لون له وأطلق على التمر أسود لانه غالب تمر المدينة والجملة استئنافية كأنه قيل ما الغذاء وفي رواية للبخاري كان يأتي علينا الشهر وفي أخرى ليمر بنا الشهر ونصف الشهر وما توقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار لمصباح ولا لغيره وفي أخرى انها قالت لعروة يا ابن أختي ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ولهذه الرواية شاهد عند ابن سعد وزاد قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها اه وجيرانه سعد بن عبادة وعبد الله بن عمرو بن حرام وأبو أيوب خالد بن زيد وأسعد بن زرارة قال العسقلاني ويجمع بين هذه الروايات بان الامر وقع مكررا في عهده صلى الله عليه وسلم ونقلت عائشة كل ذلك لعروة في مجالس متعددة والله أعلم اه قال المناوي وقد انقسم الناس بعده صلى الله عليه وسلم أربعة أقسام قسم لم يريدوا الدنيا ولم تردهم كالصديق وقسم أرادتهم ولم يريدوها كالفاروق وقسم أرادوها وارادتهم كخلفاء بني أمية والعباس خلا عمر بن عبد العزيز وقسم أرادوها ولم تردهم كمن أفقره الله وامتحنه بها* قال المصنف (حدثنا عبد الله ابن

هاجت قال ثم مررت بخلق آخر أعجب العجب فاذا ملك من الملائكة نصف جسده مما يلي رأسه نار والنصف الآخر ثلج وما بينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو قائم يصوت له حسن يقول سبحان ربي الذي كف هذا الثلج عن هذه النار فلا يطفئ النار وكف هذه النار عن هذا الثلج فلا تذيبه اللهم يا مؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين فقلت يا جبريل من هذا قال ملك من الملائكة يقال له حبيب وكله الله بأكناف السموات وأطراف الارضين وهو من أنصح الملائكة لاهل الارضين من المؤمنين وهذا قوله يدعو لهم بما تسمع منذ خلق قال ثم سرنا حتى انتهيت الى السماء الثانية وهي من حديد فقرع جبريل الباب فاقبل ملك في ألف موكب من الملائكة وسمعت ضجة أعظم من ضجة سماء الدنيا فقيل يا جبريل من هذا معك فقال محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ففتح بابا من أبوابها فاذا ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتهليل فرحبوا بي وقالوا نعم المجيء جاء واذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم سرنا في الهواء مسيرة خمسمائة عام حتى دنونا من السماء الثالثة فسمعت أصواتا أشد من الصواعق بالتسبيح والتهليل حتى وقفنا بها وهي من نحاس فقرع بابها فرأيت ملكا حوله سبعون ألف ملك قد خرقت أقدامهم الارض السابعة قالوا يا جبريل من هذا قال محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم فرحبوا بي وفتحوا واذا بيوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم سرنا في الهواء مسيرة خمسمائة عام حتى انتهينا الى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قيل نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فسمعت ضجة الملائكة بالتسبيح والتقديس واذا هي من فضة فرأيت ملكا البحار العذبة في نقرة ابهامه الايمن والبحار المالحة في نقرة ابهامه الايسر وانه ليصير من عظمة الله كالعصفور الصغير فرقا من الله تعالى ورأيت رجلا قاعدا والدنيا كلها بين ركبتيه وهو دائما ينظر لا يلتفت وبيده لوح مكتوب قد شخص ببصره ينظر اليه فوقف جبريل عليه وقال يا ملك الموت الا تسلم

ابن أبي زياد نا سيار نا سهل بن أسلم عن يزيد بن أبي منصور عن أنس عن أبي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا) أي كشفنا ثيابنا (عن بطوننا عن حجر حجر) الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف أي كشفنا عن بطوننا كشفا ناشئا عن حجر حجر يعني لكل واحد منا حجر واحد رفع عنه فالتكرير باعتبار تعدد المخبر عنهم بذلك ويحتمل ان الجار والمجرور بدل اشتمال باعادة الجار كما تقول زيد كشف عن وجهه عن حسن خارق والرابط محذوف أي مشدود عليها (فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين) تسلية لهم وتأنيسا وكان عادة من اشتد جوعه وخمص بطنه أن يشد الحجر على بطنه ليتقوم به صلبه فتسهل عليه الحركة ومن كان جوعه أشد ربط حجرين فكان صلى الله عليه وسلم أكثرهم جوعا فربط حجرين وقيل حكمة ربط الحجر انه يسكن بعض ألم الجوع لان المعدة ان كان فيها طعام كانت مشغولة به فاذا خلت منه اشتغلت حرارتها برطوبات الجسم وجواهره فيحصل الألم حينئذ فاذا ربط عليها الحجر الذي هو أبرد المعادن خفف عليها من حرارتها فيخف الألم وهذا يفيد أن شد الحجر على قدر ألم الجوع فكلما زاد زيد والله أعلم ومما ينبغي ان يتنبه له هنا ان بين جوعه صلى الله عليه وسلم وجوع غيره من الناس فرقا ومما يقال في الفرق ان جوعه صلى الله عليه وسلم في بعض الاحيان كان اختيارا منه وطلبا للاجر وموافقة لاصحابه في حالهم تسلية لهم أو لغير ذلك من الفوائد * وقد قال التاج السبكي رضي الله عنه الذي أعتقده ان جوعه صلى الله عليه وسلم كان جوعا اختياريا لا اضطراريا وانه صلى الله عليه وسلم كان يقدر على طرده عن نفسه اما بان تنصرف عنه شهوة الطعام والشراب مع بقاء القوة باذن الله واما بتغذية الله المغنية له عن الطعام والشراب واما بتناول الغذاء فقد كان صلى الله عليه وسلم قادرا على ذلك وسما عي مرات كثيرة من الشيخ الامام الوالد رحمه الله وهو معتقدي انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيرا قط ولا كانت حالته حالة الفقراء بل كان أغنى الناس بالله وكان الله تعالى قد كفاه أمر دنياه في نفسه وعياله ومعاشه وأحفظ ان الشيخ الامام رحمه الله أقام من مجلسه من قال كان النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا قياما صعبا وكاد يسطو به وكان رحمه الله يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي أن لا يجد ما يقع موقعا من كفايته والحق معه في هذا فان من جاءت اليه مفاتيح خزائن الارض وكان قادرا على تناول ما فيها كل لحظة كيف يوصف بالعدم انتهى وقال الحليمي في شعب الايمان من تعظيمه صلى الله عليه وسلم ان لا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا قال في جمع الوسائل ومما أكرم الله سبحانه به نبيه عليه السلام انه مع تألمه بالجوع حفظ كمال قوته وصان نضارة جسمه فكان أشد رونقا وبهاء من أجساد المترفين ولا يظن به الجوع أحد ممن يراه اه بالمعنى وقد أشار البوصيري رحمه الله الى هذا المعنى بقوله

وشد من سغب أحشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الادم

علي محمد نبي الرحمة حبيب الله فقال ملك الموت يا محمد سلام عليك أبشر فما رأيت الخير كله الا فيك وفي أمتك فقر عينا وطب نفسا ورأيت البيت المعمور يطوف به كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا تدور عليهم النوبة الى يوم القيامة واذا بادريس قال جبريل هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصنا فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصنا فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزنا بكى قيل له مايبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي قال العارف ابن ابي جمرة قد جعل الله تعالى في قلوب أنبيائه عليهم الصلاة والسلام الرأفة والرحمة لامهم وركب ذلك فيهم وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فقيل له مايبكيك قال هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء والانبياء عليهم الصلاة والسلام قد أخذوا من رحمة الله أوفر نصيب فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله أكثر من غيرهم فلاجل ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللطف بكى اذ ذاك رحمة منه لامته اذ ذاك وقت افضال وكرم وجود فرجا أن يكون وقت القبول والافضال فيرحم الله أمته ببركة هذه الساعة فان قيل أمته لاتخلو من قسمين قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر فالذي هو على الايمان لابد له من دخوله الجنة والذي مات على الكفر لايدخلها أبدا قلنا رجا للعصاة من القسم الاول التعطف والاحسان في ذلك الوقت لانه وقت أسرى فيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع القرب والفضل العظيم فطمع الكليم ان يلحق أمته نصيب من هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله قال ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل من معك قال محمد

وقد أرسل اليه

فقف على قوله مترف الادم وانما آثر صلى الله عليه وسلم هذه الحالة مع انه يستوى في حقه الغنى والفقر ان استغنى شكر بل كان أشكر الشاكرين وان افتقر صبر بل كان أفضل الصابرين واذا كان من أمته من لا يبالي باقبال الدنيا ولا بادبارها فكيف به صلى الله عليه وسلم تواضعا وميلا الى ما يناسب حالة العبودية وامتثالا لقول الله تعالى ولا تمدن عينيك الآية ومخالفة لكسرى وقيصر اشارة الى أنهم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا واظهارا لحقارة الدنيا عند الله تعالى حيث أعرض عنها بالكلية وفي الحديث لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء وأنشدوا

فلو كانت الدنيا ثوابا لمحسن * اذن لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبياء كرامة * وقد شبعت فيها بطون البهائم

وليتأسى به الضعفاء لانه في مقام التشريع والاقتداء فيزهدون في الدنيا لانها عدوة الدين لما علم من ان أكثر الناس يفتتنون بشهواتها ولذاتها فيشتغلون بها عن ربهم ويفوتهم بذلك مافاز به غيرهم من أهل المعرفة بالله تعالى روى الديلمي عن الحسن انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال والله ماأمسى في بيت آل محمد صاع من طعام وانها التسعة أبيات والله ماقالها استقلالا لرزق الله ولكن ليتأسى به أمته انتهى واشارة الى أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس وهو الذي يحصل معه اطمئنان النفس وسكونها وراحة البدن بالقناعة ورفع الهمة عن الخلق وتعلقها بالملك الحق والرضا بالقسمة وليس الغنى الحقيقي غنى اليد

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي صنع الفقر

واشارة الى أن الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر وهي مسئلة ذات نزاع كثير وليجمع بين ثواب الشكر وثواب الصبر فيكون له حظ من كل منهما وفي البخاري من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء وقال أبو سليمان تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيأ يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها في سبيل الله وسيأتي في آخر الباب وجوه أخري * (قال أبو عيسى) * أي المصنف (هذا) أي الحديث السابق (حديث غريب من حديث أبي طلحة) أي غرابته ناشئة من طريق ابي طلحة لا من سائر الطرق (لا نعرفه الا من هذا الوجه) هذا لا ينافي الحسن والصحة فان الغريب ما انفرد بروايته عدل ضابط فان كان التفرد برواية متنه فهو غريب المتن وان كان بروايته عن غير المعروف عنه كأن يعرف عن صحابي فيرويه عدل عن صحابي آخر فهو غريب الاسناد وهو الذي يقول فيه الترمذي غريب من هذا الوجه وقد أكثر الناس الرد على أبي حاتم بن حبان حيث أنكر حديث وضع الحجر قائلا ان الرواية انما هي الحجز بالزاي وهو طرف الازار فتصحف وتمسك فيما سلكه من الانكار بحديث الوصال الذي

قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا بابراهيم قال هذا ابراهيم أبوك فسلم عليه فسلمت فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح (السادس) قال في الحديث ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا ياجبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات (١) وفي رواية مسلم أربعة

في الصحيحين وهو انه صلى الله عليه وسلم قال لاتواصلوا فقالوا انك تواصل فقال اني لست كأحدكم اني أطعم وأسقى وفي رواية يطعمني ويسقيني وفي رواية اني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني وقد أجيب بان عدم الجوع خاص بالوصال فاذا واصل أعطى قوة الطاعم والشارب أو يطعم ويسقى على خلاف في ذلك والاول اظهر وأما في غير الوصال فلم يرد فيه ذلك فان تحقق الجوع وربط الحجر ثابت بالاحاديث فوجب الجمع بحمل أحاديث جوعه على غير حالة الوصال ومن تلك الاحاديث ما في الصحيح عن جابر ان الناس يوم الخندق عرضت لهم كدية وهي قطعة صلبة فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لانذوق ذواقا فاخذ صلى الله عليه وسلم المعول فضرب به فعاد كثيبا أهيل أو أهيم وهما بمعنى واحد زاد أحمد والنسائي باسناد حسن أن تلك الصخرة لاتعمل فيها المعاول وأنه صلى الله عليه وسلم قال بسم الله وضربها ضربة فنثر ثلثها فقال الله اكبر أعطيت مفاتيح الشام والله اني لأبصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس واني والله لأبصر قصر المدائن الابيض الآن ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة ومنها الحديث الآتي وانظر بقية الاحاديث في جمع الوسائل * قال المصنف (ومعنى قوله ورفعنا عن بطوننا من حجر حجر كان احدهم يشد في بطنه الحجر من الجهد) بضم الجيم الوسع والطاقة وبالفتح المشقة وهو المراد هنا ومن للتعليل أي من أجل الجهد (والضعف) بفتح اوله ويجوز ضمه وهو كالتفسير لما قال ولذا قال (الذي به من الجوع) بافراد الموصول اى الناشئ من الجوع الشديد فمن ابتدائية وقد تقدم بعض ما قيل في حكمة ذلك وفيما ذكره المصنف رد لقول من قال ليس هنالك ربط حقيقي وانما هو من باب قولك لمن تأمره بالصبر اربط على قلبك حجرا وأما قول بعضهم انه كان بالمدينة أحجار تسمى المشبعة خلق الله تعالى فيها برودة تسكن الجوع وحرارته فكان الجائع يربطها على بطنه لذلك فقال في جمع الوسائل لايعرف حجر بالمدينة بهذه المثابة * قال المصنف (حدثنا محمد بن اسمعيل) اى البخاري صاحب الصحيح (نا آدم بن ابي اياس نا شيبان أبو معاوية نا عبد الملك بن عمير عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم في ساعة لايخرج فيها) اى لم يكن من عادته الخروج فيها فالجملة صفة ساعة (ولا يلقاه فيها أحد) اي بالدخول عليه في حجرته وهو عطف على الصفة (فاتاه ابو بكر فقال) النبي صلي الله عليه وسلم (ماجاء بك) الباء للتعدية أي أي شيء أحضرك في هذا الوقت (ياابابكر) وفيه ايماء الى أن الصدق خرج في غير وقت خروجه المعتاد له أيضا (فقال خرجت الق) أي لعلي القى (رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنظر في وجهه والتسليم عليه) بالنصب والجر عطفا علي المعنى اى راجيا لقاءه والنظر في وجهه والتسليم عليه اوطالبا للقائه الخ وفيه فعل واحد بنيات متعددة يتعدد الثواب بقدرها وذلك من نتائج التبحر في علم النيات

أنهار من الجنة فيحتمل أن يكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من أصلها وفي رواية عند البخاري انه رأى النيل والفرات في سماء الدنيا أي فأصلها في سدرة المنتهي وعنصر انتشارها في سماء الدنيا وفي رواية مسلم فلما غشيها من أمر الله ماغشيها فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وفي حديث أنس المرفوع انها في السماء السابعة وفي حديث ابن مسعود الموقوف انها في السادسة وحديث أنس موافق لقول الاكثر وهو الذي يقتضيه وصفها بكونها التي ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وملك مقرب وما خلفها غيب لايعلمه الا الله أو من أعلمه ويجمع بينهما بان أصلها في السادسة وفروعها وأغصانها في السابعة وليس في السادسة منها الا أصل ساقها قال مقاتل وهي عن يمين العرش قيل قد أظلت السموات والجنة قيل وهي طوبي وهي شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها ويستظل في الغصن منها الف راكب لو وضعت ورقة منها في الارض لأظلت أهل الارض وأخرج عبد بن حميد عن سلمة بن وهران في قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا اليه لانه عروس المملكة والمجلى الاعظم والمرآة الكبرى التي تجلت فيها صفات الحق تعالى بحسب الدلالة والتعريف لا بحسب الحلول والتكييف اذ هو اكبر المتخلقين باخلاق الربوبية ولذا سمي بكثير من اسماء الله تعالى كالرؤف والرحيم وبه فسر من رآني فقد رأى الحق قال ابن دحية

(١) فيه ان الباطن احسن من الظاهر لانه جعل في الجنة ولذا قال ان الله لاينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم اه من خط المؤلف

واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول اه وقوله فاذا نبقها أي طعمها وماثمره وقلال علي وزن جبال جمع قلة آنية معروفة وهجر بهاء وجيم مفتوحتين وراء قال فى القاموس وهى بلدة كانت قرب المدينة اليها تنسب القلال أو تنسب الى هجر اليمن اه وقال ابن حجر وهجر قال ابن اسحق هى محلة بالمدينة يعمل فيها القلال وقال غيره هى التى بالبحرين وبه جزم الازهرى وهو الحق وانما وقع التشبيه بها لكثرة استعمال العرب لها فى أشعارهم فهى مشهورة عندهم قيل وكل قلة منها تحمل قربتين ونصفا بقرب الحجاز انتهى والآذان جمع أذن وهى حاسة السمع والفيلة بكسر الفاء بعدها ياء مثناة ولام مفتوحتان جمع فيل معروف سماعا ورؤية لبعض عظامه الدالة علي عظم جثته والتشبيه فى الموضعين باعظم ما يعرف مناسبا للمشبه تقريبا للافهام وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى هذا وفى همزية ابن زكرى

سدرة المنتهى انتهى عندها العلـ

ـم وعلمه ليس فيه انتهاء قال فى الشرح وانما قيل لها سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهى عندها لا يجاوزها ولم يجاوزها أحد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانه ينتهى اليها مايهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله وقيل لانه ينتهى اليها من مات علي سنة النبى صلى الله عليه وسلم وهم المؤمنون حقا والمنتهى اسم مكان أو مصدر ميمى بمعنى الانتهاء وعلى الاول جرى فى النظم فأل فى العلم خلف عن المضاف اليه أى انتهى عندها علم الخلائق وعلمه أى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه انتهاء اى ليس فى متعلقه الذى هو المعلوم او العلم بمعنى المعلوم وهذا على ماذكره السيوطى فى الخصائص الكبرى من انه صلى الله عليه وسلم اوتى علم كل شيء حتى الخمس التى هى علم الساعة ومامعها وكذا علم الروح ولكنه امر بكتم ذلك وماظنك بعلم منه علم اللوح والقلم كما فى البردة واما نفس العلم الحادث فهو مخلوق متناه اه (السابع) في رواية البخاري ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام المستوى المصعد وهو محل عال يعلم الله حقيقته وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة

الذى لايظفر به الا العارفون (فلم يلبث أن جاء عمر) أى لم يتأخر مجيء عمر فالفاعل المصدر المنسبك من أن المصدرية مع مادخلت عليه (فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (ما جاء بك ياعمر فقال الجوع يارسول الله) هذا لاينافى ماأراده الصديق من اللقاء والنظر والتسليم وكانه اقتصر عليه لانه الباعث الاصلى لانه خرج فى غير وقت خروجه أيضا ليتسلى عن الجوع بلقائه صلى الله عليه وسلم والنظر الى وجهه فان رؤية الاحبة تغيب عن الاحساس بالآلام أو تخفف لما فيها من القوت للارواح علي أن فى مسلم عن ابى هريرة أيضا فاذا هو بابى بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يارسول الله الحديث فصرح أبو بكر بالجوع كما صرح به عمر فاما ان القضية تعددت أو لما جاء عمر وذكر الجوع ذكره أبو بكر أيضا قاله فى جمع الوسائل (فقال النبى صلى الله عليه وسلم) تسليما لهم واينا ساً (وأنا قد وجدت بعض ذلك) فيه دلالة علي ان الاخبار بالجوع وقلة المأكول اذا لم يكن علي سبيل الشكوى والجزع لا ينافى الصبر والتوكل ولا يبعد أن يكون هذا بعد الفتوح لانهم كانوا يبذلون ما يسئلون فربما يحتاجون بل يؤيده ان الراوى أبو هريرة وهو انما أسلم بعد فتح خيبر وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وتوفى ودرعه مرهونة فى شعير استدانه لأهله كما يأتى عند المصنف فكان اذا أيسر أخرج ماعنده فى وجوه البر وكذا كان خلق صاحبيه بل أكثر اصحابه رضى الله عنهم وقد أوتى صلى الله عليه وسلم خزائن الارض وفتح عليه فى حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلب اليه من أخماسها وجزياتها وصدقاتها مالا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فصرف جميع ذلك مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين ولم يستأثر بشيء من ذلك ولا أمسك منه درهما (فانطلقوا) أى ذهبوا وتوجهوا (الى منزل أبى الهيثم) اسمه مالك (ابن التيهان) لقب واسمه عمرو بن الحرث وقيل عتيك بن عمرو (الانصارى) قيل هو قضاعى وانما هو حليف الانصار فنسب اليهم وفى رواية عند الطبرانى وابن حبان فى صحيحه أبى أيوب الانصارى فالقضية متعددة وفى رواية مسلم رجل من الانصار وهي محتملة لهما وعلي كل ففيه منقبة عظيمة لكل منهما اذ كانت فيه أهلية لمجيء النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه اليه وجعله ممن قال الله تعالى او صديقكم (وكان) اى أبو الهيثم (رجلا كثير النخل والشاء) جمع شاة وفى نسخة والشجر فيكون من عطف العام (ولم يكن له خدم) جمع خادم وهو توطئة لقوله (فلم يجدوه) في مكانه لخروجه فى خدمة عياله (فقالوا لامرأته اين صاحبك) اى زوجك (فقالت انطلق يستعذب لنا الماء) أي يأتي لنا بالماء العذب وفيه جواز الميل الى المستطاب طبعا من ماء وغيره وان ذلك لاينافي الزهد وقد قال الشافعى ان شرب الماء البارد الحلو يخلص الجمد لله وسيأتي لهذا تتمة في باب صفة شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد مسلم فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا (فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم) أى الى أن جاء وحذف الجار

والمراد ماتكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى وظاهر الأخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه من قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة فى صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ماذكر فى الاثر قال ابن سبع فى شفاء الصدور وفى حديث ابن عباس قال مولانا علي كرم الله وجهه سلونى قبل أن تفقدونى عن علم لا يعلمه جبريل وميكائيل فقام اليه رجل وقال ماهو قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر الى أبى بكر وعمر (٩٣) وعثمان والى فيما خيره ربه فيه من العلوم فاعلمنى قال كنت نورا في وجه ابراهيم ودرة فى ظهره فلما عارضه جبريل وهو فى كفة المنجنيق قال هل لك من حاجة قال أما اليك فلا فعاد اليه ثانية ومعه ميكائيل فقال لا حاجة لى اليكما فعاد اليه الثالثة فقال هل لك من حاجة الى ربك فقال له من شأن الخليل أن لا يعارض خليله قال النبي صلي الله عليه وسلم فأنطقنى الله أن قلت لئن بعثنى الله نبيا واصطفانى بالرسالة لأجازين جبريل علي فعله بأبى ابراهيم فلما كانت ليلة الاسراء كان جبريل السفير بى الى ربى الى ان انتهي الى مقام فقام عنده فقلت ياجبريل فى مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال ان تجاوزته احترقت بالنور فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبريل هل لك من حاجة الى ربك فقال يامحمد سل الله ان أبسط جناحى علي الصراط لامتك حتى يجوزوا على قال النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان اللقاء ذهلت عن حاجة جبريل فقال الله تعالي أين حاجة جبريل فقلت اللهم انك اعلم فقال يامحمد قد أجبته فيما سأل ولكن فيمن أحبك وصحبك (١) انتهى ولابن رشيد

الجار مع ان مطرد أى انما وقع لهم مكث يسير لقوب مجيئه من مجيئهم الى منزله (بقربة يزغبها) بفتح العين وفي نسخة بضم الياء وكسر العين أي يتدافعها أو يحملها ممثلة الصحاح الزغب الدفع ورغبته عنى دفعته وأزغبت الشيء اذا حملته وجاء ناسيل يزغب زغبا أى يتدافع فى الوادي (فوضعها ثم جاء يلتزم النبي صلى الله عليه وسلم) أى يعتنقه وفيه شاهد لسفيان بن عيينة القائل بجواز المعانقة وكرهها مالك ابن رشد روي ان ابن عيينة دخل على مالك فصافحه مالك وقال يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقتك فقال ابن عيينة عانق من هو خير منك ومنى النبي صلى الله عليه وسلم قال مالك جعفر قال نعم قال ذلك حديث خاص يا أبا محمد ليس بعام فقال ابن عيينة ما يخص جعفرا يخصنا وما يعمه يعمنا اذا كنا صالحين ابن رشد رأى مالك خصوصه وكراهته لسائر الناس اذا لم يصحبه عمل انتهى وقال عياض سكوت مالك دليل علي انه ظهر له ما قاله سفيان وهو الحق حتى يدل دليل علي التخصيص اه وهذا كله فى معانقة الكبار وأما معانقة الصغار فقال القرطبي لا خلاف فى جوازها فيما أحسب كما فعل النبي صلي الله عليه وسلم بالحسن بن علي مداعبة ورحمة وملاطفة (ويفديه بأبيه وأمه) بتشديد الدال أى يقول له فداك أبي وأمي وفى نسخة يفديه كيرميه قال ابن حجر وهى تصحيف كنسخة يبديه بضم الياء وتخفيف الدال لان معنى فداه أعطى شيأ فانقذه كفادي ومنه وان يأتوكم اسرى تفدوهم وتفادوهم فى القراءتين ويقال أفدى الاسير اذا قبل منه فديته وكلا المعنيين لا يصح هنا اه بالمعنى وفى صحيح مسلم ان ابا الهيثم حين جاء قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم ضيفا منى (ثم انطلق بهم) الباء للتعدية أو المصاحبة (الى حديقته) هى الروضة ذات الشجر ويقال هى كل بستان له حائط (فبسط لهم بسطا) أي فرش لهم فرشا (ثم انطلق الى نخلة) اي من نخيله (فجاء بقنو) في مسلم بعذق والقنو من التمر بمنزلة العنقود من العنب وكان فيه بسر ورطب (فوضعه فقال صلى الله عليه وسلم أفلا تنقيت لنا من رطبه) عطف علي مقدر أى أسرعت افلا تنقيت لنا من رطبه والا للتحضيض وقدم الهمزة على العاطف لصدارتها اى اخترت جيد رطبه من رديئه وتركت ما فيه من البسر حتى يرطب فينتفع به (فقال يارسول الله انى أردت ان تختاروا) اى أنتم بانفسكم (او تخيروا) علي حذف احدي التاءين وأوشك من الراوى (من رطبه وبسره) للبعض اي أردت أن تختاروا أحسن رطبه وبسره ومن اشتهي أحدهما تناول منه ما أراد فان الاغراض تختلف فلذلك أتيت بالنوعين وفيه ندب المبادرة باحضار ما حضر للضيف ومنه قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ واستحباب تقديم الفاكهة لانها أسرع هضما من غيرها وقد يؤخذ ذلك من قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون (فأكلوا) من ذلك القنو (وشربوا من ذلك الماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا) اى المقدم لنا (والذى نفسى بيده) أي بقدرته وهو قسم جيء به للتأكيد (من النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة) في رواية مسلم فلما شبعوا ورووا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم

باقدامه فى حضرة القدس قدسعى * رسول له فوق المناصب منصب
باعلي السما أمسى يكلم ربه * وجبريل ناء والحبيب مقرب

(الثامن) قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم ثم زج فى النور زجة خرق لى سبعون ألف سنة حجاب ليس فيها

(١) مقتضى كلام سيدى محمد الزرقاني فى شرح المواهب انه بسكون الحاء اسم جمع صاحب معطوف على ضمير الخطاب اه من خط المؤلف بواسطة

حجاب يشبه حجابا وانقطع عني حس كل ملك وانسي فاذا النداء من العلي الاعلى ادن يا أحمد ادن يا محمد ليدن الحبيب فأدناني ربي حتى كنت كما قال تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وأورثني علم الاولين والآخرين وعلمني علوما شتى فعلم أخذ على كتمانه اذ علم انه لا يقدر علي حمله أحد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القرآن فكان جبريل يذكرني به وعلم أمرني بتبليغه الى العام والخاص من أمتي وفي رواية ثم دلى لي رفرف أخضر (٩٤) يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى وصلت الي العرش فرأيت امرا عظيما لا تناله الالسن ثم دلى لي قطرة من العرش فوقعت علي لساني فما ذاق الذائقون شيأ قط أحلى منها فانبأني الله بها نبأ الأولين والآخرين ونور قلبي وغشي نور عرشه بصري فلم أر شيأ فجعلت أرى بقلبي ولا أرى بعيني ورأيت من خلفي ومن بين كتفي كما رأيت من امامي الحديث وهذه الحجب انما هي بالنسبة الى المخلوق والحق سبحانه ليس بمحجوب اذ المحجوب مقهور وهو القاهر فوق عباده والقرب والبعد بالنسبة الى المسافة مستحيلان عليه تعالى لاستحالة الجهة والمكان في حقه تعالى وانما القرب منه والبعد معنويان لا غير فالقرب منه تعالى عبارة عن دوام حضوره بالقلب بان يكون مشاهدا لقربه تعالى منه بالعلم والارادة والقدرة المشار اليه بقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ونحن أقرب اليه منكم ويرحم الله بن رشيد البغدادي اذ يقول في وترياته

تدانى فادناه الى العرش ربه
ونادى تقدم يا وحيد محبتي
تلذذ بنا واسمع لذيذ خطابنا
وعينيك نزه في عجائب قدرتي
ترى العرش والكرسي والحجب قد بدت
لديك وانواري عليك تجلت
تأنس بنا هذا الوصال وذا اللقا * محب ومحبوب وساعة خلوة
تقرب ولا تجزع وأقبل ولا تخف * وسل تعط عبدي انت سيد صفوتي
* (التاسع) * قال ابن حجر اختلف العلماء قديما وحديثا في أن نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه او بعين قلبه فقط والذي صح عن ابن عباس في رواية انه رآه بعين بصره وفي أخرى انه رآه بقلبه ولا تخالف لانه صح عنه كما رواه الطبراني انه رآه مرتين واحدة

القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وهو اشارة الى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم والمقصود منه تنبيههم على الشكر على النعم ومعرفة قدر النعمة فان النعم اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت والسؤال عن النعيم اما عن القيام بحق شكره كما قال عياض او السؤال هنا سؤال تعداد النعم والامتنان بها واظهار الكرامة باسباغها كما قال النووي لا سؤال توبيخ ومحاسبة أو المراد كما قال ابن القيم ان كل واحد يسئل عن نعيمه الذي كان فيه هل ناله من حله ووجهه أو لا فاذا خلص من هذا يسئل هل قام بواجب الشكر فاستعان به علي الطاعة أم لا فيكون ممن استعان بنعمة الله علي معصية الله فالاول سؤال عن سبب استخراجه والثاني عن محل صرفه (ظل بارد) خبر لمبتدا مقدر والجملة قامت مقام التعليل للجملة السابقة (ورطب طيب) عطف على الخبر واكتفى به عن البسر تغليبا أو لقلة استعمال البسر (وماء بارد) أي وحلو وقال ابن حجر ظل بارد الخ بدل من هذا لئلا يتوهم ان المشار اليه واحد قال في جمع الوسائل وفيه بعد اه وفي قوله ظل الخ اشار الى ان المطلوب من المؤمن ان يتنبه لجميع ما عليه من النعم وأن يعدها علي نفسه واحدة واحدة وأن يستعظم ما جل منها وما قل فان من جهل كثير من الناس أنهم لا يعدون النعم العامة للخلق نعما فلا يشكرون علي روح الهواء والتمكن من اخراج النفس وادخاله والقدرة علي طرح الاذى والتمكن مما يقضى به مجرد الضروريات من غير توسع وهي في الحقيقة نعم عظيمة يعرف قدرها من فقدها (فانطلق أبو الهيثم) اي راد الانطلاق (ليصنع لهم طعاما) أي مطبوخا (فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تذبحن) لنا (ذات در) أي لبن في رواية مسلم فاخذ المدية فقال عليه السلام لا تذبحن لنا الخ فهم صلى الله عليه وسلم من قرائن الاحوال انه يريد ان يذبح لهم فقال له ذلك رفقا بأهله لانتفاعهم باللبن مع حصول المقصود بغيرها وفي رواية مسلم اياك والحلوب وكأنه رضي الله عنه لما علم ان هؤلاء الاضياف ليس لهم نظير في العالم مع ندور حصول هذا المغتنم لم يقنعه شيء يقدمه اليهم لان كل كثير في حقهم قليل سما والمطلوب المبالغة في اكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه والتكلف المنهي عنه هو تكلف السلف أو اذا كان فيه مشقة على المضيف وثقل (فذبح لهم عناقا) بفتح العين الانثى من ولد المعز مالم تبلغ سنة (او جديا) شك من الراوي وهو بفتح فسكون الذكر من ولد المعز مالم يبلغ سنة (فاتاهم بها فأكلوا) اي منها (فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل لك خادم) اي غائب لان الحامل على سؤاله رؤيته له وهو يتعاطى خدمة بيته بنفسه والخادم يطلق علي الذكر والانثى (قال لا قال فاذا أتانا سبي) أي مسبي من الاسارى عبدا وجارية (فأتنا) فيه احسان الضيف للمضيف بالفعل ان وجد والا فبالوعد وفي الحديث من أسدى اليكم معروفا فكافؤه فان لم تقدروا فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه فهي قوله هذا من النعيم الخ تنبيه علي شكر المنعم الحقيقي وهو الله تعالي وان المعطى للنعم انما هو الله وان وصلت علي يد مخلوق فالله سبحانه هو الذي

بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له ولغيره وجاء عن أنس باسناد قوى رأى محمد ربه واطلاق الرؤية انما ينصرف لرؤية العين وكان الحسن البصرى رحمه الله يحلف أنه رأى ربه وبذلك قال عروة وسائر أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهرى ومعمر وآخرون وهو قول الاشعرى وغالب أتباعه وسئل أحمد عن قول عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية بم يدفع قولها قال بقول النبي (٩٥) صلى الله عليه وسلم رأيت ربى قول النبي صلى الله عليه وسلم أكبر وأما قوله تعالى لا تدركه الابصار فالمراد لا تحيط بحقيقة ذاته العلية

(العاشر) اختلف فى معنى قوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقال الجمهور الضمير لجبريل أى دنا جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى فتدلى على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من عظمة جبريل ما رأى وهاله ذلك رده الله الى الصورة التى كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن القيم جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة الى قوله ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لعائشة وقال آخرون الضمير لله تعالى أى دنا الرب سبحانه وتعالى من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى والدنو والتدلى على هذا مجاز كما تقدم لان قرب الله تعالى من العبد ليس بالمسافة والانتقال والقرب المستفاد من التدلى أخص من القرب المستفاد من الدنو وبهذا يحسن عطفه عليه وتقديم الدنو تقديم للاعم على الاخص والقاب مقدار المسافة اى كان جبريل من محمد عليهما السلام بمقدار قوسين عربيتين ومعناه من طرف العود الى طرفه الآخر وقيل من الوتر الى العود وقيل ليس القوس التى يرمى بها وانما هو ذراع تقاس به المقادير ذكره الثعلبى وقال انه من لغة اهل الحجاز وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة قرب جبريل من محمد عليهما السلام مثل قاب قوسين قاله ابن جزي وتفسير القاب بالقدر قال السيوطى فى الديباج هو المراد فى الآية عند جميع المفسرين اه ومنه حديث لقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومافيها قال ابن القيم واوليست للشك بل لتحقيق

الذى دفعه الى ذلك واستعمله فيه وقاده اليه بسلسلة فى عنقه لا يستطيع لها نزعا ومن ثم قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه نحن لا نرى محسنا الا الله فلا نحب سواه فالمؤمن الكامل انما يشهد النعم من الله وان وصلت على يد مخلوق لان الخلق انما هو مظاهر تصرفاته تعالى وفى قوله فاذا أتانا سبى فأتنا اشارة الى القيام بحق الوسايط الذين أظهر الله نعمه على أيديهم فان شكرهم ومكافأتهم على ذلك شكر لله وتعظيم لنعمته وفى الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله وهذا هو الكمال فلا يقصر النظر على من وصلت النعمة على يده ويغفل عن المنعم بها حقيقة ولا يهمل حق الوسايط قياما بالشريعة (فاتى النبي صلى الله عليه وسلم برأسين) اى بأسيرين اثنين (ليس معهما ثالث) تأكيد لما قبله (فاتاه أبو الهيثم) اى اتفاقا او بالقصد بمقتضى الوعد (فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اختر منهما) أى واحدا (فقال يا نبي الله اختر لى) هذا من كمال عقله رضى الله عنه وحسن أدبه وفضله لما علم من أن اختيار النبي له خير من اختياره لنفسه وقد قال الله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم (فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المستشار مؤتمن) هذا حديث صحيح كاد أن يكون متواترا ففى الجامع الصغير المستشار مؤتمن رواه الاربعة عن أبي هريرة والترمذى عن ام سلمة وابن ماجه عن ابن مسعود والطبرانى فى الكبير عن سمرة وزاد ان شاء أشار وان شاء لم يشر وفى الاوسط عن على كرم الله وجهه وزاد فاذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه والاستشارة استخراج الرأى من قولهم شرت العسل اذا أخرجتها من خلاياها والاسم المشورة والمشورة والمعنى ان المستشار أمين فيما يسئل عنه من الامور فعليه أن يشير بما يراه خيرا له ولا يخونه بكتمان مصلحته وامتناع نصيحته (خذ هذا) اشارة الى أحد الرأسين (فانى رأيته يصلى) اى والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وهو تعليل لامره ودليل على وجه اختياره ويؤخذ منه أن من نصح أحدا ينبغى أن يبين له وجه النصيحة ليكون اعون للمستشير على الامتثال وفيه انه يستدل على خيرية الانسان وأمانته بصلاته للآية المتقدمة فالصلاة من اعظم امارات الخير وعلاماته وفى الحديث اذا رأيتم الرجل فى طريق الجامع فاشهدوا له بالايمان (واستوص به معروفا) اى افعل به معروفا وصية لك فمعروفا مفعول باستوص لانه بمعنى افعل وليس صفة لمصدر محذوف أى استيصاء معروفا كما قيل وقيل معناه صل معروفك به بحيث لا ينقطع تقول وصيت الشيء بكذا اذا وصلته به قاله فى الصحاح وفى نسخة واستوصى بصيغة الماضى أى النبي صلى الله عليه وسلم بالعبد معروفا (فانطلق أبو الهيثم الى امرأته فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت امرأته ما أنت ببالغ) اى لو صنعت ما صنعت من المعروف به ما أنت بواصل (حق ما قال فيه) اى فى حقه (النبي صلى الله عليه وسلم اى من المعروف (الا ان تعتقه قال) ابو الهيثم (فهو) اذن (عتيق فقال النبي صلى الله عليه وسلم) لما بلغه الخبر (غفر الله لهم) يحتمل ان يكون دعاء أو خبرا (ان الله لم يبعث نبيا ولا خليفة) من الامراء أو العلماء أى فضلا عن غيرهما (الا وله بطانتان) بطانة الرجل صاحب سره الذى

قدر المسافة وانها لاتزيد على ذلك البتة كما قال تعالى الى مائة ألف أو يزيدون تحقيقا لهذا العدد وانهم لاينقصون عن مائة الف رجلا واحدا وقوله تعالى كالحجارة أو أشد قسوة والله تعالى عالم بالاشياء على ما هي عليه لاترد عنده ولكنه خاطبنا على ماجرت به عادة المخاطبة وهذا أحسن وألطف من جعل او بمعنى بل للشك بالنسبة الى الرائى او بمعنى الواو وقوله تعالى فاوحى الى عبده ماأوحى قال مولانا جعفر الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب (٩٦) غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى غاية الملاطفة

وذلك قوله تعالى فاوحى الى عبده ماأوحى أى كان ما كان وجرى ماجري وقال الحبيب للحبيب مايقول الحبيب للحبيب ولاطفه ملاطفة الحبيب للحبيب تخفى السر ولم يطلع عليه أحد ولم يعلم أحد ماأوحى الا الذي أوحى فقيل من جملة ماأوحى اليه ألم نشرح لك صدرك ومن جملته ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يامحمد وعلي الامم حتى تدخلها أمتك الى غير ذلك مما لايدخل تحت الحصر وقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى قال أبو محمد عبد الجليل القصرى أثنى الله عليه بحقيقة الاستقامة أي مامال الى النظر الى سواه وما طغي أى ماجاوز حد الادب فى نظره اه فلم يزل صلى الله عليه وسلم فى كمال أدبه مع الله تعالي وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات والسبع الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق به الاولين والآخرين فانتصبت له هنالك أقسام القرب انتصابا وانقشعت عنه سحائب الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا وأقيم مقاما غبطه به الانبياء والمرسلون فاذا كان فى المعاد أقيم مقاما من القرب يغبطه به الاولون والآخرون واستقام هنالك علي صراط مستقيم من كمال أدبه مع الله تعالى مازاغ البصر وماطغى فأقامه فى هذا اول العالم علي أقوم صراط الحق والهدي وأقسم بكلامه القديم علي ذلك فى الذكر الحكيم فقال يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين علي صراط مستقيم فاذا كان يوم المعاد أقامه علي الصراط فسأل السلامة لاتباعة وأهل سنته حتى يجوزوا الى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن هنا أخذ الصوفية رضى الله عنهم فى الوصول اشتراط الزهد فى المقامات حتى

يستشيره ثقة به لخلوص محبته شبه ببطانة الثوب وهى خلاف الظهارة كما شبه بالشعار فى قوله صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار وفى الصحاح يقال بطنت الرجل اذا جعلته من خواصك (بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لاتألوه) من الألو بمعنى التقصير استعمله متعديا الى مفعولين لتضمنه معنى المنع أي لاتمنعه (خبالا) أى فسادا أى من فساد يفعله (ومن يوق) أى يحفظ (بطانة السوء) بفتح السين وضمها لغتان كما فى الكره والضعف وقرئ بالوجهين عليهم دائرة السوء (فقد وقى) أى حفظ الفساد وجميع الاسواء والمكاره وجاء فى رواية والمعصوم من عصمه الله ثم ان كان المراد البطانة من الآدميين كانت القسمة ثلاثية فان الانبياء ومن التحق بهم لايستبطنون الا أهل الخير والفجار لايستبطنون الا أهل الشر ومن الناس من يستبطنهما معا فلعل المراد الملك والشيطان والله أعلم بمراد نبيه فيكون نظير قوله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يارسول الله قال وإياى الا ان الله أعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير روى فاسلم بصيغة الماضى والمضارع أى أنا منه وروى فاستسلم واسلام القرين هو ظاهر الحديث لقوله فلا يامرني الا بخير وللخاصة رضى الله عنهم حظ من هذا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره في السفر أى لانهم يذيبونه بذكر الله فهو انما يطوف بقلوبهم فى أوقات الفلتات علي سبيل الاختلاس قال تعالي فى شانهم ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف الآية لذلك قال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لى شيطانى دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذلك قال لانك تذبيني بكتاب الله عز وجل قال المصنف (حدثنا عمر بن اسمعيل بن مجالد بن سعيد نى أبى عن بيان) اى ابن بشر كما فى نسخة (نى قيس بن حازم) وفى نسخة عن قيس بن أبي حازم (قال سمعت سعد بن أبى وقاص اسمه مالك بن أهيب بضم الهمزة وقيل وهيب أحد العشرة رضى الله عنهم أسلم قديما وهو ابن سبع عشرة وقال كنت ثالث الاسلام (يقول اني لاول رجل اهراق) أى اراق بفتح الهاء وسكونها وفى نسخة هراق (دما فى سبيل الله) أي من شجة شجها المشرك روي ابن اسحق ان الصحابة كانوا اذا صلوا في أول الاسلام ذهبوا فى الشعاب وأخفوا صلاتهم فبينا سعد في نفر منهم فى شعب اذ طلع نفر من المشركين وهم يصلون فعابوا عليهم واشتد الشقاق بينهم حتى تقاتلوا فضرب سعد رجلا منهم بلحى بعير فشجه فكان أول دم أريق فى الاسلام قال المناوى ولم ينقل أن سعدا أول من قتل نفسا فى سبيل الله ولو وقع لنقل لانه مما تتوفر الدواعى على نقله (واني أول رجل رمى بسهم فى سبيل الله) روي ابن عائذ في مغازيه من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ الابواء وهى أول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبيدة بن الحرث وعقد له النبي صلي الله عليه وسلم لواء وهو أول لواء عقده في ستين رجلا من المهاجرين فلقوا جمعا كثيرا من قريش قيل أميرهم ابو سفيان فتراموا بالنبل فرمى سعد بن أبى وقاص بسهم فكان

يكون الله في القلب أعظم وأحب من كل شيء قال في الحكم ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا ونادته هو اتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكنونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر وما أحسن قول الشيخ أبي الحسن الششتري رحمه الله في هذا المعنى فلا تلتفت في السير غيراً وكل ما * سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا

وكل مقام لا تقم فيه انه * حجاب فجد السير واستنجد العونا (٩٧) ومهما ترى كل المراتب تجتلى

عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا

وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب

فلا صورة تجلى ولا طوفة تجنى

(الحادي عشر) قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك علي أمتك قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك واني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الي ربي فقلت أي ربي خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى قال ما فعلت فقلت قد حط عني خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة الخ واختلف العلماء في توجيه فعل سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام علي أقوال قال بعض أهل الاشارات لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه السلام أضاءت له أنوار نور الطور فأسرع اليها ليقتبس فاقتبس فلما نودي في

أول من رمى بسهم في سبيل الله وهذا لا ينافي قول ابن حجر لم يقع بينهم قتال لان المراد نفي القتال المعروف من الجانبين والابواء جبل بين مكة والمدينة كذا في النهاية وقيل قرية (لقد رأيتني) أي أبصرت نفسي (أغزو في العصابة) جماعة من العشرة الى الاربعين وكذا العصبة ولا واحد له من لفظه (من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ما نأكل) أي شيا (الا ورق الشجر والحبلة) في رواية البخاري رأيتني سابع سبعة مع النبي صلي الله عليه وسلم ما نأكل الا ورق الحبلة الحديث وقد ورد في رواية أنهم أبو بكر وعثمان والزبير وعلي وزيد بن حارثة وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وكان اسلام من عدا عليا وزيدا على يد أبي بكر وأما علي وزيد فاسلما قبل ذلك لانهما كانا في عيال النبي صلي الله عليه وسلم فاسلما في جماعة عياله والحبلة بضم المهملة وسكون الموحدة وبضمتين أيضا وهو بالنصب عطف على ورق ثم السمرة يشبه اللوبيا وقيل ثمر العضاه والعضاه كل شجر يعظم وله شوك والسمر نوع منه وهو الطلح وهي شجرة أم غيلان التي منها الصمغ العربي وفي نسخة بحر الحبلة وهو يقضي ان الحبلة هي الشجرة نفسها وهو أيضا مقتضى رواية البخاري المتقدمة (حتى ان أحدنا ليضع كما تضع الشاة أو البعير) ليبس فضلاتهم لعدم الغذاء المعروف والطعام المألوف وفيه ما كانوا عليه من الصبر في ذات الله والقناعة بالقليل من الدنيا والشدة مع ذلك على أعداء الله كما قال الله أشداء على الكفار وكان هذا في غزوة الخبط وأميرهم أبو عبيدة وكانوا ثلثمائة زودهم النبي صلى الله عليه وسلم جراب تمر فكان ابو عبيدة يعطيهم حفنة حفنة ثم قلل ذلك الى أن صار يعطيهم تمرة تمرة ثم أكلوا الخبط حتى صارت أشداقهم كاشداق الابل ثم ألقى اليهم البحر سمكة عظيمة فاكلوا منها شهرا او نصفه وادهنوا بودكها حتى صلحت أجسامهم واسمها العنبر واخذ ابو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبه فمر الراكب تحته وقيل كان ما أشار اليه سعد في غزاة فيها النبي صلى الله عليه وسلم وعليه فالمناسبة للترجمة ظاهرة وعلي الاول فالمناسبة ان ضيق عيش صحبه يدل على ضيق عيشه لانه عليه السلام لا يستأثر عنهم بشيء ومن ثم اكتفى بجراب تمر في زاد جمع كثير منهم (وأصبحت) أي صارت (بنو أسد) وهم قبيلة معروفة (يعزرونني في الدين) أي يوبخونني باني لا احسن الصلاة مع سبقيتي في الاسلام عن دوام ملازمتي له عليه السلام وصبري على تحمل المشاق العظيمة في نصرة خير الانام فمن هانت عليه روحه في مرضاة الله واعلاء كلمة الله ولقي في محبة الله وطاعته ما لا تقوم له الجبال الراسيات كيف يساوم بتضييع الصلوات التي هي امهات العبادات وأفضل الطاعات ومحل المناجاة ومعدن المصافاة فقوله يعزرونني من التعزير بمعنى التأديب وفي نسخة بحذف نون الرفع وفي اخري تعزرني وفي اخرى علي الدين وفي رواية البخاري تعزرني على الاسلام قال الطيبي عبر عن الصلاة بالاسلام ايذانا بانها عماد الدين ورأس الاسلام وكانوا وشوا به حين كان اميراً بالبصرة الى عمر فقالوا لا يحسن يصلي حسدا او جهلا بمقادير الصحابة وعظيم ايمانهم (لقد خبت) اى حرمت من الخير وخسرت (اذن) اى ان كنت محتاجا لتأديبهم

النادي اشتاق الى المنادي فكان يطوف في بني اسرائيل من يحملني رسالة لربي ومراده أن تطول مناجاته مع الحبيب فلما مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج رده في امر الصلوات ليسعد برؤية حبيب الحبيب وقال آخر لما سأل موسى عليه السلام الرؤية ولم تحصل له البغية بقي الشوق يقلقه والامل يعلله فلما تحقق ان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منح الرؤية وفتح له باب المزية اكثر السؤال ليسعد بمن قد راى كما قيل

وأستنشق الارواح من نحو أرضكم * لعلي أراكم أو أرى من يراكم وأنشد من لاقيت عنكم عساكم * تجودون لي بالعطف منكم عساكم
فاتم حياتي ان حييت وان أمت * فياحبذا ان مت عبد هواكم وقال آخر لما جلس الحبيب في مقام القرب ودارت عليه كؤس
الحب ثم عاد وهلال ما كذب الفؤاد ما رأى بين عينيه وسر فاوحى الى عبده ما أوحى ملأ قلبه وأذنيه فلما اجتاز بموسي عليه السلام قال لسان حاله

ياوارد امن أهيل الحي يخبرني * عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر ناشدتك الله يار اوى حديثهم *

وتعليمهم (وضل) أي ضاع وبطل (عملي) وفي رواية للبخاري سعي كما في قوله تعالى الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وانظر تمام قصته ودعائه علي من شهد فيه بزور واستجابة دعائه في صحيح البخاري وفي الحديث انه يجوز للانسان ذكر ما آثره في الاسلام اذا احتاج الى ذلك اجملني علي خزائن الارض اني حفيظ عليم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار ناصفوان بن عيسى نا عمرو بن عيسى أبو نعامة) بفتح النون (العدوي) بفتحتين (قال سمعت خالد بن عمير وشويسا) كلاهما مصغر (أبا الرقاد قالا بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان) صحابي جليل مهاجري بدري أول من نزل البصرة واختطها (وقال) أي عمر (انطلق أنت ومن معك) أي من العسكر (حتى اذا كنتم باقصى أرض العرب) اي ابعدها (وأدني) اي اقرب (ارض العجم) اي فانزلوا فان ذلك غاية سيركم (فأقبلوا) أي توجهوا (حتى اذا كانوا بالمربد) موضع بالبصرة وهو في الاصل موضع يحبس فيه الابل والغنم أو يجمع فيه الرطب حتى يجف (وجدوا هذا الكذان) بالذال المعجمة كحسان حجارة رخوة بيض كانها مدر والبصرة ايضا حجارة رخوة مائلة الى البياض (فقالوا) أي قال بعضهم لبعض (ماهذه) اي ما اسمها (هذه البصرة) ان كان علي حذف أداة الاستفهام فلا يحتاج الى تقدير والا كان من باب حذف القول أي قالوا هذه البصرة كما في نسخة وكان بناء ابن غزوان للبصرة في آخر خلافة عمر سنة سبع عشرة سنة وسكنها الناس سنة ثمان عشرة قيل ولم يعبد بارضها صنم ويقال لها قبة الاسلام وخزانة العرب والبصرتان الكوفة والبصرة (فساروا) اي فتعدوا عنها وساروا (حتى اذا بلغوا حيال) أي قبالة (الجسر) هو ما يبنى علي الماء كالقنطرة (الصغير فقالوا) اي قال بعضهم لبعض (ههنا أمرتم) اي بالنزول والاقامة حفظا لارض فارس عن خروج الهند من الجزائر الى قتال العرب عليها قاله المناوي (فنزلوا فذكروا) عبر بضمير الجمع عن المثنى وفي نسخة فذكر أي خالد وشويس وفي نسخة فذكر أي كل من الراويين أو محمد بن بشار او صفوان او ابو نعامة (الحديث بطوله) لم يستكمله لانه أراد سرعة الوصول الى مقصوده من كلام عتبة مما يدل علي ضيق عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وانظره في كتاب الزهد والرقائق من صحيح مسلم وانظر الاكتفاء للكلاعي (قال) اي كل من الراويين وفي نسخة فقالا (فقال عتبة بن غزوان لقد رأيتني) اي ابصرت نفسي (وانى لسابع سبعة) اي في الاسلام (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) لانه اسلم بعد ستة نفر فهو واحد من سبعة (مالنا طعام الا ورق الشجر) بالرفع علي البدلية (حتى تقرحت) اي تجرحت (اشداقنا) جوانب الفم اي صار فيها جراح من خشونة الورق الذي ناكله وحرارته (قال فالتقطت بردة) اي عثرت عليها من غير قصد وهي شملة مخططة وقيل كساء اسود مربع فيه خطوط صفر يلبسه الأعراب (فقسمتها) بتخفيف السين ويجوز تشديدها (بيني وبين سعد) بن ابي وقاص في مسلم فقسمتها بيني وبين سعد ابن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها وفي نسخة وبين سبعة وهي تصحيف وتقتضي أنه كان ثامنا وهو خلاف ما تقدم من انه كان سابعا وان امكن أن يكون المراد وبين بقية السبعة

حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري فاجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سر أرق من النسيم اذا سرى
واباح طرفي نظرة أملتها ورجعت من فيض الجمال كما تري

ثم ان هذه المراجعة من النبي صلى الله عليه وسلم لربه في شأن التخفيف هي من جملة ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاهتمام بامته والاعتناء بشأنهم والحرص على الخير لهم ما أمكنه صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ابن مرزوق في شرح البردة انه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه قاب قوسين قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فما انت فاعل بامتي قال انزل عليهم الرحمة وأبدل سيآتهم حسنات ومن دعاني منهم لبيته ومن سالني اعطيته ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا أستر على العصاة وفي الآخرة أشفعك فيهم ولولا ان المحب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت أمتك ولما اراد رسول الله صلي الله عليه وسلم الانصراف قال يارب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة أمتي فقال الله تعالى أنا لهم ما عاشوا وانا لهم اذا ماتوا وأنا لهم في القبور وانا لهم في النشور قال الشيخ ابو محمد ابن ابي جمرة اكثر النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء لامته في هذا الموضع لما جبله الله عليه من الشفقة والرحمة فما وقد ذكر بعض العلماء ان الله تعالى نادى قبل أن يخلق الخلق بالفي عام فقال يا امة محمد ارحموا ترحموا قبل أن تسترحموني وأغفر لكم قبل أن تستغفروني واعطيكم قبل أن تسألوني اه ولاجل هذه المراجعة قال صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة وقال ارحنا بها يا بلال كان يتذكر بها تلك المراجعات الجليلة وسر كون الاسقاط بخمس خمس لتكون المراجعات مع الاصل عشر مراتب اشارة الى ان

الله تعالى كان يكرم حبيبه في كل مرة بكرامة ويهدي له في كل مجيء هدية فهي عشر هدايا فلذا قال في المرة الاخيرة لكل صلاة عشر فكانت الحسنة بعشر امثالها من بركته وعزته عند ربه تعالى ولم يعطه ذلك في اول مرة لمحبوبيته عنده أظهر ذلك في احواجه الى المراجعات والاهداء في كل واحدة منها وفيه اشارة الى ان مراد الله تعالى من عباده المخصوصين ان لا يزول اليه اضطرارهم ولا يكون مع غيره قرارهم فلا يقضى لهم جميع مآربهم دفعة لمحبته وقوفهم ببابه ودوام التجائهم لجنابه وتذكر قوله

فامنا من أولئك السبعة أحد الا وهو أمير مصر من الامصار) جزاء لهم في هذه الدار وأعظم بجزائهم في دار القرار وفيه اشارة الى انهم لصبرهم في طاعة الله وصدقهم في نصرة دينه نصرهم الله تعالى على أعدائهم ومكنهم من رقابهم وأموالهم وبلادهم وصاروا أئمة امراء بعدان كانوا ضعفاء فقراء وفيه تحريض لمن كان يحدثهم بذلك على الجهاد وان به ارتفعت مراتب الصحابة وعلت مقاديرهم واستخلفهم الله في الارض وعزوا وعز بهم الدين ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وستجربون الامراء بعدنا) اى فانهم لعدم رياضتهم وقلة مجاهداتهم باقون على أصل طباعهم المجبولة على الاخلاق القبيحة فلا تحصل لهم الاستقامة مع الحق ولا مع الخلق بخلاف الصحابة رضي الله تعالى عنهم فلعظيم ايمانهم ومعرفتهم الكاملة التي حصلت لهم من النور المحمدي وماسبق لهم من الرياضات وأنواع المجاهدات لا يقاس بهم أحد في العدالة والديانة والاعراض عن الدنيا الدنية والاغراض النفسانية نفعنا الله تعالى بجميعهم وأماتنا على محبتهم آمين وربما اشعر قوله وستجربون الخ بان المخاطبين لم يقدروا قدره ولم يعرفوا شدة وقوفه مع الحق حتى اضطروه الى ذكر بعض مآثره في الاسلام كما وقع للسيد سعد بن أبي وقاص والله تعالى اعلم بما كان منهم وما قالوه فيه * ويحتمل انهم لم يصدر منهم شيء في جانبه وانما ارادان ينبههم على أنهم معه في نعمة عظيمة لا يجدونها مع غيره من الولاة بعده * قال المصنف (حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن نا روح بن أسلم ابو حاتم البصري نا حماد بن سلمة نا ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله) ماض مجهول من أخاف بمعنى خوف (وما يخاف) اى والحالة انه لا يخاف (أحد) أي غيري لوحدته صلى الله عليه وسلم في ابتداء اظهار الدين (ولقد أوذيت في الله) أي في دينه (وما يؤذى أحد) اذ لم يكن معه حينئذ أحد يؤذي في الله وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله تعالى والارض مملوءة بطوائف الكفار وصناديد الطغاة والعتاة قام يدعو الناس الى الله ويخرجهم عن أديانهم وحده ولا وزير له ولا أتباع الا انه كان يدعوهم أولا أفرادا وآحادا ولا يجهر بذلك في محافلهم وجماعاتهم فاسلم أبو بكر وخديجة وعلي وزيد بن حارثة ثم عثمان والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله بدعاء أبي بكر الصديق ثم أبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وجماعة من الرجال والنساء حتى نزل قوله تعالى فاصدع بما تؤمر بعد ثلاث سنين من النبوة يجهر بالحق بين اظهرهم فكان يطوف على الناس في منازلهم يقول يا أيها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ويعيب أديانهم ويذم آلهتهم ويسفه احلامهم ويشتت نظامهم فاجمعوا على خلافه وعداوته وكان أشدهم اذاية للنبي صلى الله عليه وسلم المستهزئون السبعة الي ان كفاه الله شرهم بمقتضى وعده الصادق انا كفيناك المستهزئين فماتوا كفارا وكان صلى الله عليه وسلم مع ما كانوا عليه من الفساد والطغيان والعناد وشدة السلاطة وقوة الشوكة ثابت القلب قوي العزم غير متخاذل ولا متزلزل ولا يخاف في الله لومة لائم وقد بسط اهل السير

تعالى يا جبريل أخر حاجة عبدي فاني احب ان اسمع صوته ولذا لم يجعل لهم نعيمهم في الدنيا وأخر ذلك الى ملاقاته ليدوم سؤالهم ويتقرر عندهم ان النعيم انما يكمل برؤيته وفيه اشارة الي ان الله يحب من عباده الالحاح وأنه تعالى لا يتبرم بالحاح الملحين وههنا سر آخر بديع وهو أنه تعالى في كل رجوع كان يكثر العطاء ويعظم الهدية ويضاعف الفضل لحبيبه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل العطاء على حد سواء في مراتب الرجوع بل في المرة الثانية أكثر من المرة الاولى وفي الثالثة أكثر من الثانية وهكذا زيادة في اظهار شرفه صلى الله عليه وسلم والاعلام بمحبوبيته وبيانه أنه أسقط في المرة الاولى خمسا وأثبت ثوابها فيقسم على خمسة وأربعين يخرج لكل واحد فالحسنة بمثلها وتسع الحسنة وفي الثانية اسقط خمسة أخرى وأثبت ثوابها فيقسم ثواب العشرة على الاربعين فالحسنة بمثلها وربع وفي الثالثة أسقط خمسة اخرى وأثبت ثوابها فيقسم ثواب خمس عشرة على خمسة وثلاثين يتوافقان بالخمس خمس الخمسة عشر ثلاثة وخمس الخمسة والثلاثين سبعة فيقسم الوفق على الوفق يخرج ثلاثة اسباع او نصف الانصف سبع فالحسنة حينئذ بمثلها والنصف الانصف السبع وفي الرابعة أسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم عشرون على ثلاثين يخرج ثلثان فالحسنة بمثلها وثلثي المثل وفي الخامسة اسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم ثواب خمسة وعشرين على خمسة وعشرين فالحسنة بمثليها وفي السادسة اسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم ثواب ثلاثين على عشرين فالحسنة بمثلها ونصف المثل وفي السابعة أسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم ثواب خمسة وثلاثين على خمسة عشر فالحسنة بثلاثة أمثالها وثلث المثل وفي الثامنة أسقط خمسة

واثبت ثوابها فيقسم ثواب اربعين على عشرة فالحسنة بخمسة أمثالها وفى التاسعة أسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم ثواب خمسة وأربعين على خمسة فالحسنة بعشر امثالها فانظر واعتبر هذه المنزلة العظيمة لسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاعطى هذا الفضل العظيم لكل مصل من أمته التى لا يعلم عددها الا الله تعالى ثم انه زاده وأفاض عليه العطاء فطرد هذا التضعيف فى جميع الحسنات ولم يخصه بالصلوات ورتب كتابة الحسنة على مجرد الاهتمام قبل العمل ولم يقابل بين الحسنات والسيئات فى التضعيف بعد العمل ولا فى الاهتمام قبل العمل بكرامة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى ومكانته عنده والحمد لله الذى جعلنا من أمته تم الله لنا ذلك بالعفو والعافية بمنه آمين ونذكر هنا قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة الحديث وسلك به مسلك تضعيف بيوت الشطرنج المذكور عند أهل الحساب تطلع على أعجب العجائب ولذا قيل

والمرء في ميزانه أتباعه

فاقدر بذا قدر النبي محمد

وانظر قوله تعالى يا محمد لبيك وسعديك هى خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرة فتلك خمسون صلاة وفى هذا من اللطف والرفق منه تعالى بعباده المؤمنين مالا يخفى قال فى الحكم علم وجود الضعف منك فقلل اعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر أمدادها وفى ضمن ضعف العبد ثبوت تقصيره وقصوره عن التوفية بحق الربوبية وعدم اتيانه بمقتضى العبودية وعامله تعالى على مقتضى ضعفه فقلل الاعداد وذلك بعد التكثير ادخالا للفرح والسرور على النبي صلى الله عليه وسلم وقبول شفاعته وخصوصية أمته لاجله واظهارا للفضل والكرم والرحمة واللطف وفى ضمن اجتياج العبد الى الفضل وتكثير الامداد التنبيه على ان اعطاءه عبد ليس على قدر اعماله ولا بحسبها فليكن اعتماده اذن على فضل مولاه لا عليها وليرفع نظره عن طلب العوض عنها وليشكر مولاه على هدايته لها واستعماله فيها اعملوا فكل ميسر لما خلق له كفى العاملين جزاء على طاعته ان رضيهم له اهلا ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد ابدا واعلم ان هذه العشر هى الاصول التى يدور عليها التضعيف في مقاماته لا على الاصل الاول الذي

الكلام فى أنواع اذايتهم فانظر ذلك هنا لك والسبعة الاسود بن أسد بن عبد العزى والاسود بن عبد يغوث والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل السهمى والحرث بن قيس السهمى وعقبة بن أبى معيط ومن اذايته لعنه الله أنه وطئ على رقبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد حتى كادت أن ترض فدفعه عنه أبو بكر وقال أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وأبو لهب ومن أعظم المؤذين أبو جهل وهو الذى وضع سلى جزور بين كتفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد خلف الكعبة فثبت المصطفى ساجدا حتى ألقته عنه فاطمة وهى جويرية وكان ذلك بمحضر جمع من قريش فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فلما قضى صلاته قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو ابو جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة ابن أبي معيط وعمارة بن الوليد فقتلوا كلهم يوم بدر الا عمارة فانه مات بارض الحبشة شر موته متوحشا مجنونا ولما حاولت قريش قتله صلى الله عليه وسلم وتعاطوا كل سبب يوصلهم الي ذلك وطلبوا من أبي طالب المرة بعد المرة ان يخلى بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم الى ذلك وخذلهم الله تعالى جعلوا يعذبون من آمن به كبلال وخباب بن الارت وعامر ابن فهيرة وياسر وزوجته سمية وولدها عمار وغيرهم من المستضعفين فصبروا وقد أخرج الشيخان عن خباب قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ولقد لقيت من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد وهو محمر وجهه فقال ان كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد مادون عظمه من لحم أو عصب وما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين مايصرفه ذلك عن دينه وليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الي حضرموت لا يخاف الا الله (ولقد أتت) أى مضت (على ثلاثون من بين ليلة ويوم) قال الطيبى تأكيد للشمول اى ثلاثون يوما وليلة متواترات لا ينقص منها شىء قال في جمع الوسائل والظاهر من تميز الثلاثين بقوله من بين ليلة ويوم ان العدد نصف شهر لا شهر كامل (مالى) في نسخة ومالى بالواو اى والحال انه ليس لى (ولبلال طعام يأكله) أى على وجه الشبع (ذو كبد) اي حيوان وفيه اشارة الى قلته (الا شىء) اى قليل جدا (يواريه) اى يستره (ابط بلال) كنى بالمواراة تحت الابط عن يسارته وعن عدم مايجعل فيه ذلك اليسير من منديل ونحوه كذا في جمع الوسائل وعدم مايجعل فيه ذلك اليسير محتمل فقط لامتعين والله أعلم وهذا الحديث اخرجه المصنف فى جامعه ايضا وقال معنى هذا الحديث حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم هاربا من مكة للطائف ومعه بلال انما كان مع بلال من الطعام مايحمله تحت ابطه اه ويحتمل ان هذا كان وقت الحصار فى الشعب مع بنى هاشم بل هذا هو الظاهر فان الذى كان مع النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج الى الطائف على ماذكره اهل السير هو زيد بن حارثة فقط لا بلال فالله أعلم والابط قال الجوهرى بكسر الهمزة وسكون الموحدة وكسرها ماتحت الجناح يذكر ويؤنث والجمع آباط * قال المصنف (حدثنا

هو الحسنة الواحدة فنقول اذا كانت صلاة الشخص فى جماعة بخمس وعشرين درجة ضربت فى عشر فتكون الصلاة فى جماعة بمائتين وخمسين كما صرح به الائمة واذا كانت الصلاة في بيت المقدس فذا بخمسمائة صلاة ضربت فى عشر فهى بخمسة آلاف صلاة ثم تضعف فى الجماعة واذا كانت الصلاة في مسجد المدينة بألف صلاة كانت مضروبة فى عشرة بعشرة آلاف ثم تضعف فى الجماعة واذا قلنا بقول الشافعى ان الصلاة فى مسجد مكة بمائة الف صلاة كانت مضروبة فى عشرة ثم تضعف فى الجماعة اه ملخصا من شرح شيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله لهمزيته

عبدالله بن عبدالرحمن نا عفان بن مسلم نا ابان بن يزيد العطار نا قتادة عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يجتمع عنده غداء) بفتح معجمة فهملة وهو الذى يؤكل أول النهار (ولا عشاء) بفتح أوله ما يؤكل آخر النهار وسمي عشاء لان العادة أكله في أول الليلة عند صلاة العشاء أو عند صلاة المغرب فانها تسمى عشاء أيضا مجاز وحديث اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء بفتح العين يشمل الصلاتين لان المراد تفريغ القلب من الشغل بغير الصلاة ولذا يقال طعام مخلوط بالصلاة خير من صلاة مخلوطة بالطعام (من خبز ولحم) أى لا يجتمع فى كل منهما خبز ولحم فى حال من الاحوال (الا على ضفف) هذا ان كانت لا زائدة للتأكيد أى لم يجتمع عنده الغداء والعشاء معا من خبز ولحم الا على ضفف ويحتمل ان لا تكون زائدة والمعنى لم يجتمع عنده غداء من خبز ولحم الا على ضفف ولا عشاء من خبز ولحم الا على ضفف والله أعلم (قال عبدالله) أى ابن عبدالرحمن شيخ المصنف (قال بعضهم) أى من المحدثين أو اللغويين (هو) أى الضعف (كثرة الايدى) هذا أحد معانيه فى القاموس الضفف محركا كثرة العيال أو التناول مع الناس أو كثرة الايدى على الطعام أو الضيق والشدة او يكون الاكلة أكثر من الطعام انتهى فالمعنى الاعلى حال نادر وهو تناوله مع جميع عياله وأهل بيته أو مع الناس كالاضياف أو مع كثرة الايدى لا وحده أو على حال الضيق والشدة لا على حال التنعم والرفاهية أو اذا لم يكن الطعام على قدر الآكلين والله أعلم ويروى شظف ويروي خفف قال ابن الاعرابى الثلاثة فى معنى ضيق المعيشة وقلتها وغلظتها * قال المصنف (حدثنا عبد بن حميد نا محمد بن اسمعيل بن أبى فديك) بالتصغير (نا ابن أبى ذئب عن مسلم بن جندب عن نوفل بن اياس الهذلى قال كان عبدالرحمن بن عوف) هو أحد العشرة المبشرين رضى الله عنهم (لنا جليسا وكان نعم الجليس) أى المجالس هو (وانه) بكسر الهمز (انقلب بنا) أى رجع معنا من السوق أو غيره فالباء بمعنى مع ويحتمل أن تكون للتعدية أي ردنا من الطريق (ذات يوم) أي يوما من الايام (حتى اذا دخلنا بيته ودخل) أى مغتسله (فاغتسل ثم خرج وأتينا) بصيغة المجهول من الاتيان (بصحفة فيها خبز ولحم) وهي اناء كالقصعة (فلما وضعت) تلك الصحفة (بكى عبدالرحمن فقلت له يا أبا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى مات نظير قوله تعالى فى حق يوسف حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا قال المناوى وفى استعمال هذا اللفظ فى موت الانبياء قزازة (ولم يشبع هو وأهل بيته) أى نساؤه وأولاده وأقاربه (من خبز الشعير) وكأنه كان فى الصحفة ما يشبعهم فلما رأى ذلك تذكر فبكى وقد تقدم في أول حديث ابي الهيثم ما في الصحيحين انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير أى فضلا عما هو أفضل من خبز الشعير قال فى جمع الوسائل أى دائما أو فى بيته أو يومين متواليين كما جاء عن عائشة فلا يشكل بما مر من قصة أبى الهيثم وفى ذلك دليل على أن ضيق عيشه كان مستمرا فى حال حياته الى حين وفاته اه وقد تقدم أن من أسباب ذلك ايثار ذوى الحاجات وفى

(الثانى عشر) قال النووى الجمهور على تفضيل السماء على الارض أى ما عدا ما ضم الاعضاء الشريفة اه وهذا وان قاله الجمهور غير منصور وقد ذكر بعض أهل العلم ان الارض والسماء تقاولتا وتجاوبتا وافتخرت كل منهما على الاخرى فافتخرت السماء بأنها محل الطاعات والعبادات وهى المصونة من المعاصى والمخالفات ومسكن الملائكة الذين هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وفيها الجنة وسدرة المنتهى والبيت المعمور وغير ذلك مما ليس فى الارض فاجابتها الارض بجواب مسكت مفحم وهو ان فيها مقام النبى صلى الله عليه وسلم وقراره حيا وميتا ولم تفز السماء بوطء أقدامه لها الا ليلة المعراج فاسكتتها بذلك وغلبتها وقول السماء انها مصونة من المعاصى لا تسلمه الارض لان ابليس قد عصى فى السماء على ان المزية لا تقتضى التفضيل وكفى الارض فضلا ان النبى صلى الله عليه وسلم خلق جسده الشريف منها لعموم قوله تعالى منها خلقناكم وان كان نوره خلق قبلها وانه دفن فيها وهو أول من تنشق عنه الارض وقد قال الفاكهانى فى الفجر المنير فى اثناء كلام قالوا ولا خلاف ان البقعة التى ضمت أعضاء النبى صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الارض على الاطلاق حتى موضع الكعبة المعظمة قال غيره وكذا ما بين بيته ومنبره لثبوت انه من الجنة ثم قال الفاكهانى وأقول أنا وأفضل بقاع السموات أيضا ولم أر من تعرض لذلك والذى أعتقده ان ذلك لو عرض على علماء الامة لم يختلفوا فيه بل لو قال قائل ان جميع بقاع الارض أفضل من جميع بقاع جميع السماء لشرفها بكون النبى صلى الله عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عندي

الظاهر المعتبر اه وما أحسن قول شيخ شيوخنا العلامة الشهير سيدى عبد السلام جسوس رحمه الله مشيرا الى هذا المعنى وزيادة

أياسماء تعلت * والبدر فيها منير — وبالنجوم تحلت * والشمس فيها تدور
مالى أرى كل حين * منك الدموع تغور — أبعد رفع وحسن * هذا البكاء الكثير
أراك فارقت نورا * ماشله فيك نور — ولا له فى سماء * ولا بعرش نظير

هلا مسكت بغرز
لما أتاك يزور
وهو وجبريل راق
وجبرئيل السفير
طابت به الارض نفسا
كادت سرورا تطير
قرت به العين منها
ودام فيها السرور
بشرى لنا قد حللنا
حيث البشير النذير
من شاء منا اتصالا
يغدو اليه يزور
ماقبره مثل شمس
أبداه رب غفور
من لم يزر قبر طه
فذاك منه قصور
عليه أزكى صلاة
مادام في الخلد حور
مختومة بسلام
حياه رب شكور
يارض تيهي دلالا
فالكون منك غيور
وياسما زيد دمعا
لايعتريك فتور

(ثم وافي يحدث الناس شكرا
اذ أتته من ربه النعماء)

اى ثم لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء والمعراج وافى مكة قبل الصبح فاصبح يحدث الناس بما رأى من تلك العجائب والكرامات امتثالا لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث فقوله شكرا اما تمييزا ومفعول لاجله او حال اي شاكرا لله واذ تعليلية او ظرفية فى والنعماء بفتح النون جمع نعمة بفتحها أيضا قالت عائشة رضى الله عنها لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا وسعى رجال من المؤمنين الى أبى بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسري به الليلة الى بيت المقدس اقال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا تصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح

ذلك أيضا تربية أهله على الزهد فى الدنيا فكان يقف بهم على حد الضرورة لان دوام الشبع مما يطغى النفس ويوقع فى نسيان الله تعالى وأيضا فان الاكمل أن يأخذ الانسان حظه من الشكر وحظه من الصبر فينال أجر الامرين ولهذا لما عرض عليه صلى الله عليه وسلم أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا قال لا يارب أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك رواه المصنف (فلا أرانا اخرنا) بصيغة المجهول (لما هو خير لنا) لان أكمل الاحوال وأسلمها عاقبة هو ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من ضيق العيش الى ان توفاه الله سبحانه واما سعة العيش فمما تخشى عاقبته ومن ثم كان عمر رضى الله عنه وغيره يخافون على من كان كذلك ان يكون ممن عجلت طيباته فى الحياة الدنيا ولكثرة الخطر اثر الفقر على الغنى من غلب عليه حب السلامة كما قال القائل

وقائلة مالى أراك مجانبا * أمورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالى بربحك حاجة * فنحن اناس بالسلامة نفرح

وايضا فالخوف من التقصير فى الحقوق بالنسبة الى الغنى أكثر ولهذا قالوا ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر * ويروي ان عمر بن الخطاب ارسل الى سعد بن عامر بألف دينار فبكى فقالت امرأته ما يبكيك هل بلغك شيء عن ثغور الاسلام قال لا قالت هل بلغك عن امير المؤمنين انه توفى قال لا قالت فما يبكيك فبكى وقال أراد عمر ان يمحو اسمى من ديوان الفقراء بألف دينار فقالت ما عليك تصدق بها فقال لها هاتي درعك الخلق فأخذه وشقه وجعله صررا ثم قام يصلى ويبكي فلما اصبح خرج فوقف على الطريق وجعل كلما مر رجل أعطاه صرة حتى لم يبق منها شيء وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه من أغنياء الصحابة كعثمان بن عفان وطلحة الفياض والزبير بن العوام وسعد بن الربيع وانس بن مالك وغيرهم رضى الله عنهم ومن المعلوم ان الدنيا ليست مذمومة لذاتها بل لما يخشى من فتنتها والفتنة لا يؤمن معها من الهلاك فمن كملت انواره وتطهرت اسراره وكان من أهل التمكين والرسوخ فى مقام اليقين لم تأخذ الدنيا من قلبه ولم تخدش فى وجه معرفته وقربه ولا يكون تعاطيها والدخول فى اسبابها شاغلا له عن ربه وليس من لازم الزهد قلة ذات اليد وضيق المعيشة لان الزهد ليس هو عدم المال بل عدم احتفال القلب بالدنيا والاموال وان كانت فى ملكه فقد يكون الزاهد من أغنى الناس وهو زاهد لانه غير محتفل بما فى يده وبذله فى طاعة الله تعالى أيسر عليه من بذل الفلس على غيره وقد يكون الشديد الفقر غير زاهد بل فى غاية الحرص لشدة رغبته فى الدنيا وتعلق قلبه بها وامارة الزهد فى الدنيا لمن كان غنيا عدم الاكثار والادخار والاحسان منها والايثار وعلامة زهد الفقير وجدان الراحة منها عند فقدها كما قال الصديق رضى الله عنه فى المنام لابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه والمعلوم من أخبار هؤلاء السادات رضى الله عنهم ومن سيرهم واحوالهم ان دنياهم انما كانت زادا لآخرتهم فلم تشغلهم عن الموافقة ولم توقفهم

قال انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك فى خبر السماء فى غدوه ورواحه فلذلك سمى الصديق قال ابن اسحق ثم أقبل حتى انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله حدث هؤلاء انك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يانبى الله صفه لى فانى قد جئته أي ليقع الرد على من شك فى ذلك قال فرفع له حتى نظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر فيقول أبو بكر صدقت أشهد أنك رسول الله وفى رواية البخارى فجلا الله لى البيت المقدس أى كشف الحجاب بينى وبينه حتى رأيته وعند مسلم فسالونى عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط فرفعه الله لي أنظر اليه ماسالونى عن شىء الا أنبأتهم به فيحتمل انه حمل الى أن وضع بين يديه بحيث يراه ثم أعيد ففى حديث ابن عباس عند احمد والبزار فجىء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وأنا أنظر اليه وهذا أبلغ فى المعجزة ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس فى طرفة عين وأما ماوقع فى حديث أم هانئ عند ابن سعد تخيل لي بيت المقدس وطفقت أخبرهم فان ثبت ذلك احتمل أن يكون المراد مثل قربه منه كما قيل فى حديث أريت الجنة والنار ويؤول قوله جىء بالمسجد جىء بمثاله وفى حديث أم هانئ المذكور انهم قالوا له كم للمسجد من باب قال ولم أكن عددتها قال فجعلت أنظر اليه وأعدها بابا بابا وعند أبى يعلى ان الذى سأله عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدى والد جبير بن مطعم وأشار ابن أبي جمرة الى أن الحكمة فى الاسراء الى بيت المقدس اظهار الحق للمعاند لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح حيث سالوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا انه لم يكن رآها قبل ذلك فلما أخبرهم بها حصل التحقق انه أسرى به الى بيت المقدس واذا صح البعض لزم تصحيح الباقى فكان ذلك سببا لقوة ايمان المؤمنين وزيادة فى شقاق من عاند وجحد من الكافرين وروى أصحاب السير ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم ان من آية ما أقول لكم انى مررت بابل في مكان كذا قد انكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم قصعة من ماء فشربت مافيها واخبرهم بعدتها وعدة مافيها من الرعاة وانها تجىء يوم الاربعاء فلما كان ذلك أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجىء فدعا

فى المخالفة فكانوا يأخذونها بالله ويصرفونها بالله وكانت يدهم فيها كيد غيرهم قد استوى عندهم التراب والتبر لا يبالون باقبالها ولا بادبارها ولا لها فى قلوبهم مزية كما قال تعالى وهو العالم بسرائرهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد تصدق سيدنا عبد الرحمن بن عوف يوما بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شىء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها روى انه أعتق ثلاثين ألفا وأوصى بخمسين الف دينار وبالف فرس فى سبيل الله ولامهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة الف ولمن بقى من أهل بدر لكل رجل أربعمائة دينار وكانوا مائة فاخذوها وعثمان فيمن أخذ وكثر ماله رضى الله عنه ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له بالبركة وكان يقول لو رفعت الحجر لرجوت أن أصيب تحته ذهبا ولما مات حفر الذهب من تركته بالفؤس وأخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن أربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه علي نيف وثمانين الفا نعم من كان من أهل البداية فيخاف عليه أن تأخذ من قلبه وتقطعه عن الوصول الى ربه فكان التقلل منها أليق به وأنفع لقلبه لان عند الفقير من فراغ القلب وقلة اشتغاله بالدنيا ما ليس عند الغنى وبقدر ذلك يتضاعف ثواب عباداته فان حركات الجوارح ليست مقصودة لاعيانها بل ليتأكد الانس بالمعبود فى قلب صاحبها ولا شك ان اثارتها الانس فى القلب الفارغ أشد بكثير من اثارتها له فى قلب مشغول ولهذا قال بعض السلف مثل من يتعبد وهو فى طلب الدنيا كمثل من يطفئ النار بالحلفاء وانظر قول صاحب الحكم ورود الفاقات أعياد المريدين ولم يقل أعياد العارفين لان أوقات العارفين كلها أعياد لافرق عندهم بين فاقة وغنى وشدة ورخاء بخلاف أهل البداية ولذلك ابتلى الحق الصحابة بالفاقة فى أول امرهم حتى اذا تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم واقتعدوا صهوة التمكين والرسوخ فى مقام اليقين بذلها لهم وأفاضها عليهم فتصرفوا فيها تصرف الخازن الامين فيما يليه وامتثلوا قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فكانت الدنيا أكفهم لا فى قلوبهم صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله عليها بالانفاق فى وجوه الخير حين وجدت وانما آثر النبى صلى الله عليه وسلم التقلل منها والاقتصار على القدر الضرورى من متاعها نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به فى الترك اذ لو اقتدوا به فى الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل القوى بين يدى اولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه بانه لو أخذها لاخذها اولاده اذا رأوها فهلكوا والسير بسير الضعفاء سيرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ هم فى مقام الاقتداء والتشريع للكافة وعلى ذلك ايضا يحمل هروب من هرب منها من المشايخ الكاملين والائمة الراسخين ولكل وجهة هو موليها وكلا وعد الله الحسنى وبهذا تعلم أن أغنياء الصحابة ليسوا بمخالفين لسيرته صلى الله عليه وسلم ولا خارجين عن سنته وطريقته لان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد لذكر علام الغيوب والمحذور مايشغل عن الله تعالى والدنيا لذاتها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها قال فى الاحياء ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف

رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس كذا ذكره أبو بكر الشيباني عن ابن اسحق ومقتضى حديث أم هانئ انها قدمت صباحا وهو الذي في اكتفاء الكلاعي وعليه اقتصر المفسرون وقد يجمع بينهما بتعدد الابل فمنها ماقدم أول النهار ومنها ماتأخر

(وتحدى فارتاب كل مريب * أو يبقى مع السيول الغثاء)

التحدي ادعاء الرسالة والاستناد في ذلك (١٠٤) الي القاطع الخارق فانه صلي الله عليه وسلم أتى أعلم الناس بفنون البلاغة وأشدهم

تمكنا منها هي سليقتهم لايحتاجون فيها الى تكلف بكلام واضح الدلالة بين المعنى على طريقة كلامهم ونهج خطابهم وطلب منهم أن يعارضوا شيئا منه فلم يستطيعوا قالوا ومن ثم كان عجزهم عن ذلك اوضح في الآية وأقطع في الدلالة من احياء الموتي الخ لان قوم عيسى لم يكونوا يطمعون في ذلك واما قريش فكان أعلى اربهم ومنتهي طلبهم التفنن في فنون الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة فدل عجزهم عنه علي انه من أعلام نبوته وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة قال الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم أعقل خلق الله وقد قطع القول بان ماأتى به من عند ربه وانهم لايأتون بمثل أقصر سورة منه فلولا انه على بينة واضحة من ربه لم يقطع بذلك على انه لم يزل ينادي عليهم بالعجز عن معارضته والتقصير عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع احد منهم شيئا من ذلك وما احسن ماقيل لو وجد مصحف في فلاة لشهدت العقول السليمة بانه من عند الله فكيف وقد جاء علي يدي أصدق خلق الله اه ومعنى كلام الناظم طلب صلي الله عليه وسلم من كفار مكة ان يعارضوه بالاتيان بمثل ماأتى به من الآيات الدالة علي صدق نبوته مما وقع له في ليلة الاسراء وغيره وانها

فشك وخرس وانقطع كل مريب عن المعارضة ولم يسعه الا التسليم ثم منهم من سلم وأسلم ومنهم من مات كافرا وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ويلزم من انقطاعهم عن معارضته اتضاح امره وانه لم يبق فيه شك ولاريب ومن ثم قال منكرا علي من بقي عنده في ذلك شك أيتضح ذلك الامر ويبقي معه ريب لابل اتضح ومابقي معه شك وكيف يبقى مع السيول الغثاء بضم الغين المعجمة

الخلق وفيهم التجار والمحترفون فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله عز وجل وعمدة الاشتغال بالله القلب اه والحاصل ان كمال الاستقامة الذي هو التزام العبودية لاينحصر في عمل مخصوص وحالة معينة فقد يكون بالعزلة وقد يكون بالاجتماع وقد يوجد بالتجريد وقد يوجد بالاسباب ويوضح لك هذا كل الوضوح كون عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان رضي الله عنهما معدودين من العشرة الذين هم أفضل الصحابة علي الاطلاق وكون كثير من فقراء الصحابة كأهل الصفة رضى الله عن جميعهم ليسوا من العشرة والله أعلم وبه التوفيق

باب
ماجاء في خف رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا رجوع للكلام علي بقية أبواب لباسه صلى الله عليه وسلم اى باب بيان ماجاء في صفته ولونه ومسحه عليه وهو ماصنع علي هيئة القدم سائراً لمحل الفرض من جلد * قال المصنف (حدثنا هناد بن السرى نا وكيع عن دلهم) بفتح الدال المهملة وسكون اللام وفتح الهاء (ابن صالح) أخرج حديثه ابو داود وابن ماجه والبخارى في جزء القراءة (عن حجير) بضم المهملة مصغرا أخرج حديثه ابو داود والترمذى وابن ماجه (ابن عبد الله عن ابن بريدة) هذا هو الصواب خلاف مايوجد في بعض النسخ عن ابى بريدة (عن ابيه ان النجاشي) بفتح النون ويكسر وتخفيف الجيم وكسر الشين المعجمة وتخفيف الياء وتشدد وأما تشديد الجيم فخطأ كذا حققه العسقلاني فقول ابن حجر كسر النون أفصح غير صحيح وهو لقب ملوك الحبشة كتبع لليمن وكسري للفرس وقيصر للروم والشام وهرقل للشام فحسب وفرعون للقبط والعزيز لمصر وخاقان للترك وهذه القاب جاهلية واسم النجاشى أصحمة بالصاد والسين تصحيف أرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى وكتب اليه يدعوه الى الاسلام فاسلم سنة ست وقال فيه رجل صالح ومات سنة تسع من الهجرة عند الاكثر علي ماصرح به العسقلاني واخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بموته في يوم موته وصلوا معه عليه وكبر أربعا وكتب له صلى الله عليه وسلم كتابا ثانيا ليزوجه ام حبيبة وسيأتي جوابه له وروى ابو داود عن عائشة رضي الله عنها كنا نتحدث انه لايزال يرى علي قبر النجاشى لما مات نور وأما النجاشي الذى بعده فقد كتب له صلى الله عليه وسلم يدعوه للاسلام فلم يعرف له اسم ولا اسلام (اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم) وفي نسخة الى النبي يقال اهديت له واليه بمعنى (خفين أسودين ساذجين) بفتح الذال المعجمة اى غير منقوشين اولاشية فيهما تخالف لونهما ولاشعر فيهما كما في قوله نعلين جردا وين (فلبسهما) اى علي الطهارة ثم يحتمل ان تكون الفاء لمجرد التفريع ويحتمل ان تكون للتعقيب اى لبسهما عقب وصولهما اليه فيكون ذلك اظهاراً لكون الهدية في حيز القبول

وبالمثلثة مايحمله السيل مما يجف من النبات ونحوه فكما ان الغثاء لايبقى مع السيل بل يذهب به ويهلكه في أسرع وقت فكذلك ماجاء به صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لايبقى معه لولا الخذلان شك ولاريب فاستعار السيول لما أتى به صلى الله عليه وسلم لان بها الحياة الحسية وجعلنا من الماء كل شيء حي كما ان بما جاء به الحياة المعنوية واستعار الغثاء لما يتخيلونه لانه أمر حقير لابقاء له كما ان الغثاء كذلك وبين ارتاب ومريب جناس الاشتقاق (١٠٥) وفي الختم التذييل والنحاة في نظير قوله أو يبقى الخ كلام انظره في المغني وغيره

(وهو يدعو الى الاله وان شقق عليه كفر به وازدراء)

جملة قوله وهو يدعو حال من فاعل تحدى أي تحدى الناس والحال انه مع انكارهم وارتيابهم لايفتر عما أمر به من التبليغ والدعاء الى العلم بوجوده عز وجل واتصافه بصفات الكمال وضمير به للاله أو للنبي والازدراء الاحتقار والانتقاص بمعنى انه صلى الله عليه وسلم مديم دعاءه لهم الى الله متحمل لمشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم لماجاء به وذلك انه صلى الله عليه وسلم بقي بعد النبوة ثلاث سنين مستخفيا حتى نزل فاصدع بما تؤمر أي اجهر بالحجة وفرق بين الحق والباطل فذكر آلهتهم وعابها سنة اربع فاجمعوا على مخالفته وعداوته الا من عصمه الله بالاسلام فروى أهل السير انه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم يقول ياأيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيأ وأبولهب وراءه يقول ياايها الناس انه هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وغيره بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من حثا التراب على رأسه وجعل

وانها وقعت الموقع ووصلت وقت الحاجة اليها واشارة الى تواصل المحبة بينه وبين المهدى لكن قال ابن العربي ونقله عنه الزين العراقي وأقره المناوي ان هذه الهدية كانت قبل اسلامه وعليه فيكون ذلك تأليفا له ودعاء للاسلام من وجه لطيف (ثم توضا) أي بعدما أحدث (ومسح عليهما) أي بعد كمال وضوئه كما دلت عليه الروايات الصحيحة قال ابن حجر وفيه ان الاصل في الاشياء المجهولة الطهارة وجواز مسح الخفين وهو اجماع من يعتد به وماورد عن بعض الائمة مما يخالف ذلك مؤول وقد روى المسح عليهما نحو ثمانين صحابيا ومن ثم قال بعض الائمة ان أحاديثه متواترة وأخشي أن يكون انكاره كفرا انتهى وقال الشيخ زروق في شرح الرسالة قال ابن القصار انكار المسح على الخفين فسق وقال ابن حبيب لاينكره الا مخذول ونقل ابن دقيق العيد عن بعض الصحابة انه قال قد علمنا انه عليه السلام مسح عليهما غير انا لاندري قبل نزول المائدة أو بعدها اه وقد أخرج ابن حبان من طريق الهيثم بن عدي عن دلهم بهذا الاسناد ان النجاشي كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد زوجتك امرأة من قومك وهي على دينك أم حبيبة بنت أبي سفيان وأهديت لك هدية جامعة قميص وسراويل وعطاف وخفين ساذجين فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ومسح عليهما قال سليمان بن داود رواية عن الهيثم قلت للهيثم ماالعطاف قال الطيلسان * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا يحيى ابن زكريا بن أبي زائدة عن الحسن بن عياش) أخرج حديثه مسلم والترمذي والنسائي (عن ابي اسحق عن الشعبي قال) اي الشعبي (قال المغيرة بن شعبة أهدى دحية) بفتح الدال وكسرها ابن خليفة الكلبي صحابي جليل ذو جمال بارع حتى كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في صورته كثيرا وتقدمت ترجمته أواخر الباب الاول (للنبي صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما) * قال المصنف (وقال اسرائيل) ان كان من قبل نفسه وهو الظاهر فهو معلق لانه لم يدركه وان كان من قبل شيخه قتيبة فلا يكون معلقا قاله ابن حجر ويحتمل ان يكون مقولا ليحيى فيكون عطفا بحسب المعنى على قوله عن الحسن بن عياش (عن جابر) أي الجعفي (عن عامر) هو الشعبي المذكور قبل (وجبة) بالنصب عطفا على خفين وفي رواية جبة من الشام والحاصل ان يحيى روى قصة اهداء الخفين فقط عن الحسن عن ابي اسحق عن الشعبي عن المغيرة وروى قصة اهداء الخفين مع الجبة عن اسرائيل عن جابر عن الشعبي عن المغيرة واما على احتمال ان يكون تعليقا من الترمذي فيحتمل ان يكون قوله عن المغيرة مرادا ولم يذكره لظهوره ويؤيده قوله وجبة بطريق العطف تأمل ويحتمل التعليق والارسال قاله في جمع الوسائل (فلبسهما) أي الخفين والجبة (حتى تخرقا) اي تقطعا ولعل هذه الجبة نوع نفيس من البرد يستعمله بعض العجم ويحتمل ان ضمير لبسهما للخفين فقط ويقويه قوله (لايدري النبي صلى الله عليه وسلم أذكى) اي تذكية شرعية (هما) فاعل ذكى سد مسد الخبر مثل أقائم الزيدان ولايحتمل أن يكون مبتدأ وذكى خبره لانه وان كان على وزن فعيل لكنه

(١٤ - جسوس - أول) الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط لعنه الله على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان فجاء أبو بكر ودفعه عنه وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا راسه ولحيته حتى سقط شعره فقام أبو بكر دونه قائلا أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله (وروى) الامام احمد في مسنده أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما النبي صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى من القتل بعمه أبي طالب وأما ابو بكر فمنعه الله تعالى بقومه

وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم أدراع الحديد وربطوهم فى الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه فى الله تعالى وهان علي قومه فاخذوه واعطوه للولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد احد ليمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهى تعذب فطعنها بحربة فى فرجها فقتلها وأخرج البيهقى عن عروة ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه أعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة منهم زنيرة فعميت فقالوا ما أعماها الا اللات والعزي فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها اه

(ويدل الورى علي الله بالتو
حيد وهو المحجة البيضاء)

الورى الخلق انسهم وملائكتهم وجنهم بل والجمادات اى يدل الخلق على العلم بالله بطلب التوحيد منهم بان يقروا بانه تعالى واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله والعلم بالتوحيد هو المحجة اى الطريقة البيضاء الواضحة النيرة التى لا يضل سالكها ولا يخاف فيها آفة وهذا مقتبس من قوله صلي الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك

(فبما رحمة من الله لانت
صخرة من ابائهم صماء)

اى فتسبب عن صبره علي أذيتهم فى دعائهم ان وفقهم الله برحمته للاسلام فازائدة والرحمة التفضل والانعام وهذا مقتبس من قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية لان صبر النبى صلى الله عليه وسلم ولينه لهم هو السبب فى نجاتهم والصخرة هى الحجر العظيم ومن بيانية والاباء الامتناع والصماء الصلبة التى لا تؤثر فيها المعاويل وهو كناية عن شدة جفائهم وقسوة قلوبهم اى زال امتناعهم عن طاعته فيما يأمرهم به فاطاعوه واتبعوه قال ابن حجر فعلم انه استعار الصخرة التى فى غاية الصلابة لابائهم منه اولا اذ كانوا فى غاية النفرة منه والبغض والايذاء له وليونتها وزوال صلابتها لاتباعهم له وانقيادهم الآخر

بمعنى مفعول فلا يصح أن يكون خبرا عن المثنى بخلاف نحو والملائكة بعد ذلك ظهير (أم لا) وفى رواية أبى الشيخ أم ميتة أى لا يدري هل كان من جلد المذكاة أم من جلد ميتة المدبوغ أو غير المدبوغ وفيه دليل على ان الاصل فى الاشياء المجهولة الطهارة ثم نفى الصحابى درايته صلى الله عليه وسلم اما التصريح له بذلك أو لانه أخذ ذلك من قرينة عدم سؤاله وتصفحه (قال أبو عيسى) أى المصنف (وأبو اسحق هذا) اى الذي سبق ذكره (هو ابو اسحق الشيباني) أى دون السبيعى كما يوهمه كون اسرائيل الراوى من ولده (واسمه سليمان) وروى الطبرانى فى الاوسط والكبير والبيهقى فى الدعوات باسناد صحيح عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الحاجة أبعد فذهب يوما فقعد تحت شجرة فنزع خفيه قال ولبس أحدهما فجاء طائر فاخذ الخف فحلق به فى السماء فانسلخ منه أسود سالخ فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذه كرامة أكرمنى الله بها ثم قال اللهم انى أعوذ بك من شر من يمشى على بطنه ومن شر من يمشى علي رجلين ومن شر من يمشي على أربع وفى رواية فجاء غراب فاحتمل الآخر فرمى به فخرجت منه حية فقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما

باب
ما جاء فى نعل رسول الله ﷺ

أى في بيان صفتها وكيفية لبسها ونزعها والنعل قد تجيء مصدرا وقد تجيء اسما وهى هنا تحتمل المعنيين والثاني هو الاظهر ويطلق علي كل ما تقى القدم وهى مؤنثة كما فى المحكم قال ابن العربي والنعل لباس الانبياء وانما اتخذ الناس غيره لما فى أرضهم من الطين اه ولعله أخذه من قوله تعالى اخلع نعليك مع ما ثبت من أن النبى صلى الله عليه وسلم لبس النعال بل كان ذلك هو الغالب من حاله صلى الله عليه وسلم وربما مشى حافيا بلا نعل تواضعا لله عز وجل وطلبا للثواب ولا سيما فى عيادة المرضى قال العراقى

يمشى بلا نعل ولا خف الى * عيادة المريض حوله الملا

وفى حديث جابر عند مسلم رفعه استكثروا من النعال فان الرجل لا يزال راكبا ما انتعل وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه صاحب النعلين والوسادة والسواك والطهور وكان يلبسه نعليه اذا قام واذا جلس جعلهما فى ذراعيه حتى يقوم (حدثنا محمد بن بشار نا أبو داود) أى الطيالسى كما فى نسخة (نا همام عن قتادة قال قلت لأنس بن مالك كيف كان نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى ألها قبالان أم لا وكان القياس كانت لانها كما تقدم مؤنثة قال ابن حجر الا أنه لما كان تأنيثها غير حقيقى ساغ تذكيرها او باعتبار تأويلها بالملبوس (قال) أى أنس (لها) اى لكل واحد منهما (قبالان) وفى رواية للبخارى كان لها قبالان بالافراد وقد اختلفوا فى القبال فقيل هو الشسع وهو الزمام الذى يخرج من بين الاصابع ويربط فى الشراك الذى يكون علي ظهر القدم فكان صلى الله عليه وسلم يضع احدهما بين ابهام رجله والتى تليها ويضع

وانقيادهم لجميع اوامره ونواهيه آخرا وبين أن ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته لهم لا بحوله صلي الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء اه والحاصل انه صلى الله عليه وسلم ما زال يدعوهم ويتلطف بهم ويتحمل جفاءهم ويصبر علي اذاهم حتى انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه اهلهم وآباءهم وابناءهم واختاروه علي انفسهم وهجروا فى رضاه اوطانهم

وأحبابهم وسئل مولانا علي كرم الله وجهه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظماء ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة رضي الله عنه من الحرم ليقتلوه وكان قد أسر في سرية الرجيع قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب ان محمدا عندنا الآن مكانك تضرب عنقه وأنت في اهلك فقال زيد رضي الله عنه والله ما أحب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وانى جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمداً وسمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أباه ابا قحافة قبل اسلامه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم أوفعلت يا أبا بكر قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أحد وقتل مصعب ابن عمير اخاه عبيدا يوم أحد وقتل عمر بن الخطاب خاله العاصي ابن هشام يوم بدر الى غير ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس اجمعين وقال ويتفاوت الناس في الايمان على قدر تفاوتهم في محبتي ألا الايمان لمن لا محبة له فبمحبة النبي صلى الله عليه وسلم نال من نال ما نال وسعد من سعد حتى وصل درجة الكمال ومن لازم المحبة الطاعة والخدمة * ان المحب لمن يحب مطيع * وراجع ما تقدم وبالله التوفيق

(واستجابت له بنصر وفتح بعد ذاك الخضراء والغبراء)

الآخرين الوسطى والتي تليها وقال القبال هو الزمام الذى يعقد فيه الشسع الذى يكون بين اصبعي الرجل انتهى فيكون على هذا القبال هو الشراك وظاهر الحديث الثانى تغايرهما * قال المصنف (حدثنا ابو كريب محمد بن العلاء نا وكيع عن سفيان) اى الثورى لا ابن عيينة لانه لم يرو عن خالد الحذاء خلافا لمن وهم من الشراح قاله في جمع الوسائل (عن خالد الحذاء) بفتح المهملة وتشديد المعجمة وهو الذي يقدر النعل ويقطعها قيل وانما قيل له الحذاء لجلوسه في سوق الحذائين لانه كان حذاء اخرج حديثه الستة وقد عيب بدخوله في عمل السلطان (عن عبد الله بن الحرث) اي ابن نوفل الهاشمي التابعي الجليل له رواية ولابيه وجده صحبة أجمعوا على توثيقه وأخرج حديثه الستة (عن ابن عباس قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى) بضم ميم ففتح مثلثة فنون مشددة اسم مفعول من التثنية وهي جعل الشيء اثنين وفي نسخة صحيحة بفتح ميم فسكون فكسر وتحتية مشددة كمرمي اسم مفعول من الثنى في القاموس يقال ثنى الشيء كسمى رد بعضه على بعض اى بان جعل فلق على فلق قال في جمع الوسائل والاظهر ان الشيئين في التثنية لابد من انفصالهما بخلافهما في الثنى فانه يلاحظ اتصالهما كما يفهم من عبارة القاموس المتقدمة فيحصل التباين بينهما فلا يصح اطلاقهما معا على محل واحد (شراكهما) بالرفع نائب الفاعل وهو بكسر الشين المعجمة أحد سيور النعل التي تكون على وجهها على ما في النهاية * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع) اخرج حديثه الستة (نا أبو أحمد الزبيرى) اخرج حديثه الستة (نا عيسى بن طهمان) بفتح فسكون اخرج حديثه البخارى والنسائي (قال أخرج الينا انس بن مالك نعلين جرداوين) اى لاشعر عليهما استعير من ارض جرداء لا نبات فيها اوخلقين وفي التاج للبيهقي الاجرد الصغير الشعر (لهما قبالان قال) اى ابن طهمان (محدثني ثابت) اى البناني كما صرح به في الجامع (بعد) اى بعد هذا المجلس او بعد اخراج انس النعلين الينا (عن انس انهما) اى النعلين المذكورتين (كانتا نعلي النبي صلى الله عليه وسلم) وكان ابن طهمان رأى النعلين عند أنس ولم يسمع منه نسبتهما الى النبي صلي الله عليه وسلم فحدثه بذلك ثابت عن أنس وفي الحديث المذكور ندب حفظ آثار الصالحين والتبرك بها من ثيابهم ومتاعهم والتبرك بالآثار امر مستفيض وقد ثبت عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأنس بن مالك وغير واحد من الصحابة التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم وتوخى مواضع صلاته ومواطئ اقدامه والشرب من قدحه وفي البخارى ان امرأة جاءت ببردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت اني نسجتها بيدى اكسوكها فأخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فخرج الينا وانها ازاره فقال رجل من القوم اكسنيها قال نعم فجلس ماشاء الله في المجلس ثم رجع فطواها ثم ارسل بها اليه فقال له القوم ما أحسنت سألتها اياه وقد عرفت انه لا يرد سائلا فقال الرجل والله ما سألتها الا لتكون كفني يوم اموت قال سهل فكانت كفنه اه وهذا الرجل يقال هو عبد الرحمن بن

أى وبعد أن لانوا ببركة لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد حتى استجابت له أى اجابت دعوته وامتثلت اشارته مع النصر والفتح او بسببها بكثرة الاتباع والقاء الرعب في القلوب والفتح لبلادهم بعد ذلك الضعف الذى كان والخضراء فاعل استجابت وهي السماء سميت بذلك لانها ترى كذلك لانها موج مكفوف اخضرت من صخرة خضراء تحت الارض كما ورد انظر المنح والغبراء الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها من طين والمراد اهلها ويحتمل ان يكون استعار السماء للرفيع من الناس والارض للوضيع منهم ولم يبق الا مسلم اومسلم وتقييد اجابة اهل السماء بقوله بعد ذاك ظاهر لان الملائكة لم تنزل لنصرته الا ببدر وما بعدها وقد حصلت القوة والرعب في القلوب

بالاذن فى الجهاد (واطاعت لامره العرب العر * باء والجاهلية الجهلاء)

أى ومن جملة استجابة اهل الارض له بعد ذلك أنه اطاعت لامره وهو القول الدال على الطلب اي ونهيه والعرب بفتحتين ويقال بضم فسكون وهم اولاد اسمعيل والعرباء ويقال لهم العاربة وهم الخلص وغيرهم مستعربة ومتعربة اى دخلاء وفى قوله الجاهلية الجهلاء شبه التاكيد اللفظى وفيه مع ماقبله شبه تجنيس الاشتقاق وعطف الجاهلية على ماقبله من عطف العام على الخاص وخص هذين لان تصميمهما على الكفر بلغ من الشدة والقوة مالم يبلغه تصميم غيرهما

عوف وقد كان عند أنس قدح النبى صلى الله عليه وسلم وياتى عند المصنف وكان عند عائشة بعض ما لبسه صلى الله عليه وسلم كما ياتي عند المصنف وعند معاوية وغيره شعر النبى صلى الله عليه وسلم وقد أمر ان يدفن معه تبركا به وتشفعا وتوسلا بصاحبه صلى الله عليه وسلم وتقدم فى باب الخضاب انه كان عند ام سلمة شعر النبى صلى الله عليه وسلم في جلجل من فضة وكان الناس يستشفون ببركته وكان صلى الله عليه وسلم لا يتوضأ الا اذا ابتدروا وضوأه وكادوا يقتتلون عليه ويأخذ بعضهم من يد بعض ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا التقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ومنهم من شرب بوله ومنهم من شرب دمه صلى الله عليه وسلم كل ذلك لقصد التبرك به صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى باب صفة الشرب ان ام سليم قطعت فم قربة شرب منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جدة عبد الرحمن بن أبي عمرة لتتخذ ذلك المحل الذي أصابه فمه الشريف متبركا ووسيلة الى الاستسقاء به وغير ذلك وقد سأل أبو هريرة الحسن رضى الله عنه ان يكشف له المكان الذي قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سرته فقبلها تبركا باثاره وذريته وقد كان ثابت البنانى لايدع يد أنس رضى الله عنه حتى يقبلها ويقول يد مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان الامام أحمد غسل قميص الشافعى وشرب الماء الذى غسله به ولما تولى تقى الدين السبكى تدريس دار الحديث الاشرفية بالشام بعد وفاة الامام الصالح احد من تفتخر به هذه الامة الشيخ محيي الدين النووى انشد فيه لنفسه

وفى دار الحديث لطيف معنى * أصلى فى جوانبها وآوى
لعلى ان أمس بحر وجهى * مكانا مسه قدم النواوى

واذا كان هذا تعظيما لاهل العلم فكيف بمقادير الصحابة فكيف باثار سيد الكل وسند الجميع صلى الله عليه وسلم ولقد أحسن مجنون ليلى حيث يقول

أمر على الديار ديار ليلى * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

ومن هذا القبيل التبرك بمثال نعاله صلى الله عليه وسلم المحاكى لها وتقبيله وتصور مامثله عند مشاهدته لتتصور المقصود بالذات صلى الله عليه وسلم فمن أعوزه التبرك بنعله صلى الله عليه وسلم لم يعوزه التبرك بمثالها ونظير ذلك التبرك بمثال ليلة مولده صلى الله عليه وسلم كل سنة التى قيل فيها انها افضل من ليلة القدر وهذا صريح ماورد فى اشعار لائمة كبار وقد ذكر منها الامام المقرى فى فتح المتعال مافيه كفاية قال قالت الشيخة العالمة الاديبة الشاعرة أم السعد بنت عصام بن أحمد بن محمد القرطبى وتعرف بسعدونة وقد بلغها قول بعض الادباء الغرناطيين فى صفة نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيات آخرها

سألثم التمثال اذلم أجد * للثم نعل المصطفى من سبيل

فزادت عليه قولها

(وتوالت للمصطفى الآية الكبـ
ـرى عليهم والغارة الشعواء)
(واذا ماتلا كتابا من اللـ * ـه
تلته كتيبة خضراء)

اى وتتابعت للمصطفى صلى الله عليه وسلم الآيات الكبرى أى العلامات الدالة على نبوته والمدحضة لما تقولوه وافتروه عليه كالقرآن وانشقاق القمر فللمصطفى متعلق بالآية الذى هو مفرد محلى بال فهو فى معنى الجمع ويدل عليه لفظ توالت لان التوالى يستدعى متعددا ويستفاد منه ان الآيات هى خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو اولى معنى من تعلقه بتوالت وان كان أظهر صناعة لصدقه بآية من تقدمه وتوالت له عليهم ايضا الغارة اسم مصدر لاغار على بلادهم وأموالهم ونفوسهم وذراريهم والشعواء الفاشية المتفرقة المحيطة بهم بسائر الجوانب التى لم تظفر لهم بنفس ولا مال الا أهلكته ثم بعد أن استجابت له اهل السماء وأهل الارض ودخل الناس فى دين الله افواجا وكثرت اتباعه جدا صار اذا تلا اى قرأ كتابا أنزل عليه من الله وهو القرآن تبعته لاجل القراءة معه واستماع قراءته كتيبة اى جماعة كالجيش خضراء اى يعلوها سواد السلاح فترى من بعد خضراء لعلنى اومن شأنها ذلك وهى بصدده وان لم تتلبس به وكثيرا ماتوصف اجماعة الكثيرة بكونها خضراء ومنه قول القاضى عياض رحمه الله

انظر الى الزرع وخامته * تحكى وقد مالت امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

(وكفاه المستهزئين وكم سا * ء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء البيت فيها للظالمين فناء)

يقال كفيت فلانا المؤنة اذا توليتها له ولم تحوجه اليها والمستهزؤن م جماعة كانوا يسخرون منه ويبالغون في الاذاية فتولى الله اهلاكهم وفي قوله وكم ساء نبيا الخ تاميح أي اشارة الى قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية ولذا قال له فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وأشار بصدر البيت الي قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ففيها التصريح بان الله جل وعلا هو الذي كفاه ذلك بنفسه وهو كذلك في الحقيقة وان كان جبريل مباشرا لذلك صورة وكسبا (١٠٩) لاخلقا واحداثا اذ الله تعالى هو الفاعل حقيقة فان قيل هذا عام في كل فعل فاين الخصوصية التي خص الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم أجيب بانها هي نسبة ذلك اليه تعالى مرتين وعدم التعرض لذكر السبب الصورى الظاهر وفي كثير من قضايا الامم مع أنبيائهم تعرض لذكر الاسباب كذكر صنع السفينة وفوران التنور في قضية قوم نوح وذكر تقدم جبريل بفرسه في قضية اغراق قوم فرعون وذكر بعث رسل الملائكة في قضية قوم لوط الى غير ذلك وأشار الى أن علة اهلاكهم استهزاؤهم به صلى الله عليه وسلم اذ تعليق الحكم علي الوصف المناسب يشعر بالعلية وانما لم يقل المستهزئين بك بل حذف المعمول لترفيع قدر حبيبه صلى الله عليه وسلم بترك التصريح بالاستهزاء به وان كان المعنى عليه ولم يقل شر أواذاية أو استهزاء المستهزئين تنبيها علي انه كفاه مع ذلك أنفسهم وذواتهم واستأصلهم من الوجود لشدة بغضه صلى الله عليه وسلم لهم لعلمه انهم لا يهتدون ولما كان صلى الله عليه وسلم في غاية الحاجة الى تدمير أولئك الكفرة لشدة جرأتهم ومضادتهم لظهور دين الله أكد له الحكم بهلاكهم بان وتكرير الاسناد وعبر بالماضي تنبيها على قرب الوقوع وتحققه فكأن هلاكهم قد وقع وصار من حيز ما يخبر بوقوعه ثم أخبر الناظم ان النبي صلى الله عليه وسلم رماهم أي أصابهم بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمي به فيهلكه وتلك الدعوة كائنة من فناء البيت أي من حوالي الكعبة ومن صفتها انها فيها فناء أي استئصال للظالمين والاظهار للتسجيل عليهم بالظلم الذى هو سبب هلاكهم والظلم وضع الشيء في غير محله وبين فناء وفناء تجنيس محرف يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم وشكاهم الى جبريل فقال له امرت أنا كفيكهم وأشار الى كل بما أصابه فكان دعاؤه سببا لاشارة جبريل اليهم بالهلاك *(تنبيه)* ينبغي ان تتنبه الى أنه لا منافاة بين

لعلني أحظى بتقبيله * في جنة الفردوس اسنى مقيل
في ظل طوبى ساكنا آمنا * أسقى بأكؤس من السلسبيل
وأمسح القلب به علة * يسكن ماجاش به من غليل
فطالما استشفى باطلال من * يهواه أهل الحب من كل جيل

وقال الشيخ الامام محمد بن ابراهيم بن بزيزة

عن العالم الحبر الامام أبي الفضل * رويناه نال المصطفى سيد الرسل
فبادر لك البشرى بلثم مثالها * عسى أن تنال الفوز في موقف الهول
فكم لاثم ترب الحبيب لانه * مواطئ اخفاف الركائب والنعل

وقال الشيخ الامام العلامة سراج الدين البلقيني رحمه الله ورضي عنه

قبل مثال النعل متضعاله * واذكر به نعلا سما بعليه
كم ذا علته وجاورت قدم النبي * حب الاله رسوله وصفيه

ومذهب كثير من العلماء وخصوصا المالكية الكراهة في غير ما ورد به الشرع كتقبيل الحجر الاسود قال الامام المقرى ولعل من فعل تقبيل المثال الشريف ممن يقتدى به من المالكية مع ان مذهبهم الكراهة قلد من يري جواز ذلك من علماء الامة والله أعلم بالصواب ولو لا أمرهم باللثم والتقبيل لامكن أن يقال غلبهم الشوق ففعلوا من غير اختيار وقال سيدنا الشيخ زروق رضي الله عنه بعد ان ذكر ما يشهد لجواز التبرك بالآثار وقد قطع عمر رضي الله عنه شجرة الرضوان خوفا من أن تعبد مثل ذات أنواط شجرة كانوا في الجاهلية يربطون فيها الخيوط وغيرها للاستشفاء بذلك فقال الصحابة يا رسول الله لو اتخذت ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهي الا كما قال بنو اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم آلهة الحديث وقد يستدل بهذين الخبرين علي المنع وليس كذلك بل هما دليل في كل ما يستدام أو يكون له أصل في عبادة الجاهلية من خشب أو حديد أو حجر أو بناء أو نحوه لا ما يمتهن أو يكون مستهلكا فاعرف ذلك واعلم ان الناس لا يزالون يتبركون بآثار أهل الخير كابرا عن كابر من العلماء والصلحاء وغيرهم من قديم الزمان الى هلم جرا من غير نكير ولا داعية للسكوت وهو مما تتوفر الدواعي علي العمل به طبعا فلو كان حراما لنص عليه الشارع وحذرنا الأئمة منه قديما وان كان التنزه أولى لمحل الاشتباه وبالله التوفيق اه قلت وأما السجود على الارض بين يدي قبور الصالحين عند التبرك بزيارتهم فما لا يقول بجوازه مسلم فان السجود انما يكون لله رب العالمين فليحذر المؤمن كل الحذر من فعل الجاهلين ولما استأذن معاذ بن جبل النبي صلى الله عليه وسلم في السجود له علي قصد التعظيم والتكريم امتنع ونهاه وقال ابن حجر في باب التواضع لما قيل له عليه السلام ألا نسجد لك قال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لبشر لامرت المرأة ان تسجد لزوجها اه نعم قال في التوشيح فائدة استنبط بعضهم من تقبيل الحجر تقبيل

الوقوف مع مراد الله والتسليم له في حكمه واستحضار حكمته في أفعاله وبين ضيق الصدر من أقوال الكفرة وأفعال الظلمة ومحبة هلاكهم والفرح بتدميرهم وذلك ان العبد العالم بقدرة سيده وكمال حكمته وتدبيره وهو مع ذلك معمور القلب بمحبته لايخلو حاله من أحد أمرين مقتضى علمه بماذكر ومقتضى محبته للسيد فمن حيث علمه بما ذكر يسلم ويذعن ولاينازع ويعلم انه لاغلبة تلحق السيد ولاقهر يناله اذهو المدبر لذلك لحكم علمها وستنجلي وتتضح ويظهر انه هو الغالب والقاهر ومن حيث المحبة يضيق صدره بالامور الصورية التي يسمعها في جانب حبيبه ويراها وان كانت صورية فقط ويفرح بظهور أمر سيده وقيام حرمته وعموم العلم بصولته وسطوته وانجلاء عزته للضعفاء والشاكين والمنكرين فلا سبيل لخلو المؤمن عن أحد الامرين فلايعزب عنك ولايشتبه عليك الحال في قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون الآية فانه غير مناف لكمال المعرفة بل هو مقتضاها فافهم ولهذه الحكمة والله أعلم عبر بالمضارع في جانب الضيق والقول مع ان كلا منهما قد وقع تنبيها علي ان الضيق من لازم المؤمن وانه لايذهب عنه وان مضى سببه وانه يتجدد بتجدد أسبابه فالمعنى انك يضيق صدرك عند استحضار أقوالهم وان مضت فيكون استحضارها كاصل حصولها لفظاعتها وكذا يضيق عند وقوع ماهو من جنسها من أشباههم اى ان ذلك حالك ومقتضى محبتك فهو من شواهدها وأدلتها وانما عبر بالمضارع في جانب العلم تنبيها علي حضوره وان كان العلم بحضوره وعدم انقطاعه حاصلا لكن استحضار ذلك الحضور مسل ومعين ومهون لفهم المحب انه علي بال من حبيبه فالمعنى ولقد نعلم الآن وان كان العلم قديما دائما وهذه وان كانت هي حالة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنزهه عن الغفلة لكن في ذلك اعلام بالاعتناء به وتنبيه لغيره علي الائتساء به في استحضار حضور العلم ولما ذكر من التصريح بالاعتناء به وتنبيه الغير على الائتساء به أقسم على هذا الاجر وأتى بقد التي للتحقيق ولتحقيق مقتضى المحبة وشاهدها أتى بأن المفتوحة ولكمال التسلية أتى بقوله الذين يحملون مع الله الها آخر اى انهم تجرؤا علي حضرة الوحدانية وادعوا الاشراك فليسهل عليك ماتلقى منهم

المصحف والمنبر النبوي والقبر الشريف وقبور الصالحين وأجزاء الحديث ومن قال بذلك ابن أبي الصيف اليمني من الشافعية اه * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصاري قال أخبرنا معن قال نا مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري) اسمه كيسان نسب الى المقبرة لزهده وكثرة زيارته المقابر روي عنه الستة وهو تابعي لانه يروي عن ابي هريرة (عن عبيد ابن جريج) كلاهما مصغر أخرج حديثه الشيخان وغيرهما وهو مدني تابعي (انه قال لابن عمر رأيتك تلبس النعال السبتية) بكسر السين منسوبة الى السبت وهي التي سبت شعرها أي أزيل بالدبغ أو بغيره الحديث أخرجه البخاري وفيه انه قال لابن عمر رأيتك تصنع أربعا لم أر أحدا من أصحابك يصنعها فذكر منها لبسه النعال السبتية فيحتمل انه انما أشكل عليه لبسها لانها كانت لباس أهل السعة والنعمة ويحتمل ان مراده أن يعرف ما الحكمة في اختياره اياها ومواظبته عليها مع ان الصحابة ماكانوا يتقيدون بنوع من اللبس أو الاكل الامافيه المتابعة والاقتداء (قال انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ فيها) اي فوقها أو وهو لابسها والاظهر ان المراد انه كان يستعدها حالة الوضوء ليلبسها بعده وفيه اشارة الى انه حال بلل الرجل لم يكن يحترز عنها اعتمادا علي أصل طهارتها أو حصول الطهارة بدباغتها (فانا أحب أن ألبسها) أي محبة شرعية للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم لاطبيعية للهوى علي عادته رضي الله عنه في الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل شيء حتى في العاديات كمواضع الصلوات وقضاء الحاجات وغير ذلك نظير مايأتي في باب صفة الادام من قول أنس رضي الله عنه فلم أزل أحب الدباء من يومئذ قال ابن عبد البر من صريح الايمان محبة ماكان المصطفى يحبه واتباع ماكان يفعله حتى المأكول والمشروب والملبوس * قال في جمع الوسائل وقد استدل بهذا الحديث علي جواز لبس النعال في كل حال حتى في المقابر وقد ثبت في حديث أنس ان النبي صلي الله عليه وسلم صلى في نعليه فاذا جاز دخول المسجد بالنعل فالمقبرة أولى وكره الامام أحمد لبسها في المقابر لحديث بشير بن الخصاصية قال بينا أنا أمشي في المقابر اذا برجل ينادي من خلفي ياصاحب السبتيتين اذا كنت في هذا الموضع فاخلع نعليك أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم وتعقبه الطحاوي بانه يجوز ان يكون الامر بخلعهما لاذى فيهما وحديث ان الميت ليسمع قرع نعالهم يدل علي الجواز قال العسقلاني ويحتمل ان النهي اكرام للميت كما ورد النهي عن الجلوس علي القبر اه وهذا عند مالك رضي الله عنه محمول علي الجلوس لقضاء الحاجة * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب) اسمه محمد واسم أبيه عبد الرحمن وكان كبير الشان ولما حج الرشيد ودخل المسجد النبوي قاموا اليه الا ابن أبي ذئب فقيل له قم أمير المؤمنين فقال انما يقوم الناس لرب العالمين فقال الرشيد دعوه فقد قامت مني كل شعرة (عن صالح مولى التوأمة) امرأة لها صحبة سميت توأمة لانها كانت مع أخت في بطن وهي أخت ربيعة بن أمية

وأحسن من هذا انه تمهيد لقوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك أي ان سبب ضيقه وقوعهم في جنابنا الاعلى لامحبة نفسك والشفقة عليها وقولهم له ساحر ومجنون وغيرهما من هذا القبيل لانهم يقدحون في رسول الله ثم ذكر نعمته باستحضار الفرق بينه وبينهم بالمعرفة التي سلبوها والقرب الذي حصل لهم ضده كانه يقول افرح بذلك واشكر الله عليه واعمل بمقتضاه اه

(خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردى من جنوده الادواء) يصح في قوله خمسة أوجه (١١١) الاعراب الثلاثة فالنصب بابداله من المستهزئين والجر بابداله من الظالمين والرفع بتقدير المبتدا والردى أي الهلاك مبتدأ أول والادواء جمع داء مبتدأ ثان ومن جنوده خبر عن الثاني والجملة خبر عن الاول أي والهلاك من جملة جنوده وأسبابه المعينة عليه الامراض وهذا ساقه مساق التعليل لما قبله انما أصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا في تحصيل أسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا ثم عينهم وما أصابهم فقال

(فدهى الاسود بن مطلب أي ى عمى ميت به الاحياء

دهى من الداهية وهي الامر العظيم المهلك والاسود بن مطلب ابن أسد بن عبد العزى القرشي الاسدى كنيته أبو زمعة بابنه زمعة ماتا معا كافرين وكان هو وأصحابه يتغامزون بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وباصحابه ويقولون قد جاءكم ملك الارض ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر وأي عمى فاعل دهى اى عمى عظيم للبصر والبصيرة وعمى البصيرة به يصير الحي في حكم الميت ولذا عقبه بقوله ميت به الاحياء وميت مبتدأ والاحياء فاعل أغنى عن الخبر وجرى فيه الناظم على مذهب الاخفش والكوفيين فانهم لا يشترطون تقدم نفي ولا استفهام قال في التسهيل ولا يجري ذلك المجرى باستحسان الا بعد نفي او استفهام خلافا للاخفش والكوفيين اه قال الدماميني اى في تجويزهم ذلك من غير تقدم نفي ولا استفهام وأشار المصنف بقوله باستحسان الى أن الوصف قد يجرى ذلك المجري وان لم يعتمد لكن لا باستحسان ثم قال وتلخص من هذا ان سيبويه والاخفش متفقان على جواز قائم الزيدان والخلاف بينهما انما هو في الاستحسان فسيبويه يقول ليس بحسن والاخفش يقول حسن وكذا الكوفيون اه والى

أمية بن خلف الجمحي (عن أبي هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان) * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا سفيان) أي الثوري لانه الراوي عن السدي لا ابن عيينة كما قيل (عن السدي) هو أبو محمد اسمعيل بن عبد الرحمن الكوفي صدوق سمي بالسدي لانه كان يبيع المقانع والخمر في سدة مسجد الكوفة وهي ما يبقى من الطاق المسدود أخرج حديثه مسلم والاربعة وهو السدي الكبير المفسر المشهور وأما حفيده محمد ابن مروان فتفق على ضعفه وهو ابن ابنة السدي الكبير او ابن أخته رمي بالرفض (قال حدثني من سمع عمرو ابن حريث) صحابي صغير قرشي مخزومي أخرج حديثه الستة توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرة ولم أر في شيء من الروايات التصريح باسم من حدث السدي وأظنه العطاء بن السائب فانه اختلط في آخر عمره والسدي ممن سمع عنه بعد الاختلاط فلذا لم يصرح به لئلا يفطن له لكن للحديث شاهد وهو ما أخرجه ابن حبان من حديث أبي ذر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفتين من جلود البقر قاله في جمع الوسائل (يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفتين) صلاة جنازة او غيرها الخصف الخرز و نعل مخصوفة اى مخروزة فيحتمل أن المراد بمخصوفتين انهما مرقعتان أو وضع فيهما طاق علي طاق وهي ذات الطراق وكل طراق منها خصفة بسكون الصاد والطرق بالتحريك تثنى القربة والجمع أطراق وفي حديث عروة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويرقع دلوه أخرجه ابن حبان والحاكم وقد استفيد من الاحاديث المتقدمة بعض صفات نعاله صلى الله عليه وسلم وروى أبو الشيخ باسناده الى أبي يزيد بن أبي زياد قال رأيت نعل المصطفى صلي الله عليه وسلم ملسنة مخصرة والملسن من النعال كما في الصحاح وغيره الذي فيه طول ولطافة علي هيئة اللسان والمخصرة التي لها خصر رقيق او التي قطع خصرها حتى صار امستدقين كما في النهاية وقال العراقي رحمه الله

و نعله الكريمة المصونه * طوبى لمن مس بها جبينه
لها قبالان بسيروها * سبتيتان سبتوا شعرها
وطولها شبر واصبعان * وعرضها مما يلي الكعبان
سبع أصابع وبطن القدم * خمس وفوق ذا فست فاعلم
ورأسها محدد وعرض ما * بين القبالين اصبعان اضبطهما

* قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصاري نا معن نا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج) اسمه عبد الرحمن ابو داود المزني اشتهر بهذا اللقب أخرج حديثه الستة (عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يمشين احدكم) وفي نسخة لا يمشي وهو نفي صورة و نهي معنى وهو أبلغ من النهي الصريح وفي نسخة لا يمش بالنهي وهو للكراهة ثم محل النهي ان يكون من غير ضرورة والا فلا كراهة كما هو ظاهر قال ابن حجر وعليه يحمل ما روى ان النبي

مذهب سيبويه اشار في الالفية بقوله وقد * يجوز نحو فائز أولو الرشد * ولم يشر به الى مذهب الاخفش والكوفيين خلافا لحل الشراح لما علمت مما تقدم وبه تعلم رد ما في ابن حجر هنا ثم ان من جوز الابتداء بالوصف من غير تقدم نفي ولا استفهام لا يشكل عليه كونه نكرة بلا مسوغ وقول المغني المسوغ العمل في المرفوع نظر فيه الدماميني بأن اشتراط المسوغ انما هو في أحد قسمي المبتدا وهو المحكوم عليه لان هذا القسم هو الذي تعريفه مناسب وأما القسم الآخر من قسمي المبتدا وهو المحكوم

به كالوصف المذكور فيشترط أن يكون نكرة ولا يجوز تعريفه كما نصوا عليه فلا حاجة في وقوعه مبتدأ مع تنكيره الى أن يقال تخصص بالعمل وقد أقر الشمني مالدماميني وهو حقيق بذلك وكلام المغني والازهري في التصريح ما تقدم في رده صريح واللبيب يستغني بالتلويح عن التصريح ثم ان ما أشار اليه الناظم هو ان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا على الاسود لعنه الله ان يعمى الله بصره ويثكله ولده خرج يستقبل ولده زمعة وقد قدم من الشام فقعد بظل شجرة فجعل جبريل يضرب عينيه بورقة من ورقها خضراء أو بشوكة منها فاستغاث بغلامه فقال لا أحد يصنع بك شيأ غير نفسك وأما ابنه زمعة فقتل يوم بدر

ودهى الاسود بن عبد يغوث ان سقاه كأس الردى استسقاء)

الاسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول له أما كلمت اليوم من السماء يا محمد وشبه الردى بالمشروب وأثبت له ما هو من لوازم المشبه به من الكاس والسقي استعارة بالكناية تتبعها الاستعارة التخييلية وبين سقى واستسقاء جناس الاشتقاق وأشار الى ما روى ان جبريل أوما الى بطنه فاصابه الاستسقاء الزقي (يعني) وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد فمات منه وقيل انه خرج من عند أهله فاصابته السموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا فاتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب ورجع فساح حتى مات عطشا وهو يقول قتلني رب محمد وروى الطبراني والبيهقي ان جبريل أومأ الى رأسه فاصابته الاكلة فتمخط رأسه قيحا فمات ويقال عطش فشرب الماء فلم يروحتى انشق بطنه ويحتمل ان الكل حصل له

صلى الله عليه وسلم ربما فعله * ويحتمل ان ذلك قبل النهي أو لبيان الجواز وقد روى فعله عن علي وعمر فيحتمل انه لعذر أو لكون النهي ما بلغهم ان ثبت تأخر فعلهم عن قوله صلى الله عليه وسلم انظر جمع الوسائل (في نعل واحدة) وروى واحد والتذكير بتأويل النعل بالملبوس وانما نهى عن ذلك لما فيه من الآفات الدينية والدنيوية من التشويه والمثلة وعدم الوقار وعدم أمن العثار وتميز احدى جارحتيه واختلال المشى أو ضعفه وايقاع غيره في الاثم لاستهزائه به وقد أرشد المصطفى صلى الله عليه وسلم الى التحرز عنه بامره من أحدث في صلاته بقبض أنفه لايهام انه رعف لئلا يخوضوا فيه فيأثموا وقد ورد لا تكن للشيطان عونا علي أخيك قال ابن العربي ولانه مشية الشيطان قال الشيخ زروق في شرح الرسالة ولانه يؤدي الى الضرر بالرجل الاخري بالحفاء كما جرب فصح واتفقوا علي ان من انقطع شسع نعله لا يجوز له اصلاح الواحدة وهو يمشي في الاخرى وأجاز ابن القاسم قيامه في واحدة لاصلاح الاخرى وقال غيره لابد من نزع الاخري حتى يصلح * وهو مقتضى التعليل بالعدل بين الجوارح والقعود كالقيام وعلي هذا فلا مفهوم لقوله لا يمش أحدكم نعم قال ابن يونس لا بأس بالمشي في النعل الواحدة لمقطوع الرجل الاخرى ونحوه في العتبية قال الشيخ زروق وهو ظاهر الوجه من ضرورة المشي به والله أعلم قال في جمع الوسائل وألحق بعضهم بالمشي في نعل واحدة اخراج احدى اليدين من الكم والقاء الرداء على احدى المنكبين ولبس نعل في رجل وخف في أخرى ذكره في شرح السنة وتعقبه ابن حجر بما لا يجدى اه (لينعلهما جميعا) قال العسقلاني ان جعل الضمير للقدمين جاز أن يكون مجردا ومزيدا وان كان للنعلين فهو مجرد في القاموس نعل كفرح وتنعل وانتعل لبسها ونعلهم كمنع وهب لهم النعال والدابة البسها النعل كانعلها ونعلها اه وبه يندفع قول من قال ان جعل الضمير للقدمين لا يحتمل المجرد لانه لا معنى للبس القدمين اه نعم قوله (أو ليحفهما جميعا) يؤيد أن الضمير للقدمين وفي بعض النسخ ليخلعهما وهي رواية لمسلم عن الموطا وهي تؤيد أن الضمير للنعلين وكلتا الروايتين صحيحة وعلي كل حال فالضمير عائد علي ما يفهم من السياق اذ لم يجر لمعاده ذكر وهو كثير ومنه قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقوله سبحانه وتعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة وهو بضم الياء وكسر الفاء من الاحفاء وهو الاعراء من النعل والخف ويقال حفي يحفى من باب علم ولكنه ليس بمتعد فلا يناسب هنا وأو للتخيير وجميعا بمعنى معا مؤكد لضمير التثنية في الموضعين * قال المصنف (حدثنا قتيبة عن مالك عن أبي الزناد نحوه) أي مثله في المعنى دون اللفظ المتعلق بالمتن قال في جمع الوسائل والاظهر انه يريد بنحوه نحو الاسناد المتقدم فكانه قال الى آخر الاسناد فلا يرد ما قاله العصام من أن حديث قتيبة منقطع ومرسل لاسقاط الاعرج من الاسناد واسقاط أبي هريرة نعم كان يكفي ان يقول عن مالك ويزيد بهذا الاسناد * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن أبي الزبير عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهي ان يأكل) قال جابر أو الراوي عنه

وأصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهو عم أبي جهل لعنهما الله ووالد سيدنا خالد رضي الله عنه أصابته خدشة سهم أي أثر جرحه قصر عن تلك الخدشة الحية الرقطاء اي التي يخالط سوادها نقط بيض ووجه القصور ان لسعة الحية قد تبرأ يروى انه مر برجل يريش اسهما فوطئ علي سهم منها فخدشه خدشا يسيرا فاومأ اليه جبريل فأصابته منه الاكلة فمات وقيل أصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر أن يهوي لاجلها فضربها بالسوط فاصابت رجله فتأكلت ومات بها قبل وقعة بدر

(يعني) أي يريد النبي صلى الله عليه وسلم بضمير يأكل (الرجل) والمرأة تابعة له في الاحكام وانما فسره دفعا لتوهم رجوع الضمير الى جابر (بشماله) متعلق بيأكل والنهي للكراهة عند المالكية والشافعية وللتحريم عند الحنابلة وفي مسلم ان المصطفى رأى رجلا يأكل بشماله فقال له كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال له لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد ذلك وهذا لا يدل على التحريم ومثل الاكل والشرب وانما نهي عن ذلك بالشمال تكريما لنعمة الله ان تتناول باليسرى المعدة لملاقاة النجاسات والله أعلم وقد سبق عد ذلك في النظائر التي هي من باب التكريم فتكون باليمين وهذا من العدل بين الجوارح أيضا حيث اعطيت كل جارحة ما تستحقه (او يمشي في نعل واحدة) لما في ذلك من الآفات الدينية والدنيوية كما تقدم وأو للتنويع فكل مما قبلها ومابعدها منهي عنه وليست للشك ولا بمعنى الواو كما قيل لانه يوم أن المنهي عنه اجتماع الامرين وليس كذلك فهو نظير قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا قال المناوي ووجه ايراد هذا الحديث في الباب الاشارة الى أن المصطفى لم يمش هذه المشية المنهي عنها أصلا اه وقد تقدم الجواب عما روى انه ربما فعله وما روى عن عمر وعلي رضي الله عنهما * قال المصنف (حدثنا قتيبة عن مالك ح) تقدم ما فيه (وحدثنا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا انتعل أحدكم) أي اذا اراد ان يلبس احدكم نعليه (فليبدأ باليمين) اى بالجانب اليمين من الرجلين أو النعلين وفي الصحيحين فليبدأ باليمنى (واذا نزع) اى اراد خلعهما وفي رواية البخاري انتزع (فليبدأ بالشمال) أي من الرجلين او النعلين والامر للاستحباب قال عياض اجماعا اه وفائدته اكرام اليمنى نعلا وخلعا وهذا مطلوب حتى عند الدخول للمسجد فيخرج رجله اليسرى من النعل ثم يضعها على ظهره ثم يخرج رجله اليمنى من النعل ويدخلها المسجد فيجمع لليمنى بين الفضيلتين وعند الخروج من المسجد يخرج رجله اليسرى اولا من المسجد ويضعها علي ظهر النعل ثم يخرج رجله اليمنى ويلبسها نعلها ثم يلبس اليسرى نعلها فيجمع لليمنى ايضا بين الفضيلتين (فلتكن اليمنى) وفي نسخة فلتكن اليمين وهي أنسب بقوله فليبدأ باليمين وبقوله (اولهما تنعل وآخرهما تنزع) وكانه ذكر لتأويل اليمنى بالعضو وأول بالنصب ظرف لغو متعلق بالخبر وهو تنعل قال العسقلاني او حال ويحتمل الرفع علي انه مبتدأ والجملة الفعلية خبره وكذا يقال في قوله وآخرهما تنزع واذا كان فائدة الابتداء باليمين عند اللبس وبالشمال عند النزع ما تقدم فقوله فلتكن تكرير للتأكيد فكانه يقول فلتكن هذه الخصلة ملكة راسخة ثابتة دائمة فان النفوس تأخذ هذا الامر هينا وليس بذاك قاله العصام بالمعنى قال في جمع الوسائل وأقول بل فيه زيادة افادة وهي ان المقصود من الفعلين السابقين على النهجين المذكورين انما هو رعاية اكرام اليمنى فقط نعلا وخلعا حتى لا يتوهم انه ساوى بين اليمنى واليسري بان اعطى كلا منهما ابتداء في احد الفعلين ونظيره تقديم اليمنى في دخول المسجد وتقديم اليسرى في

(وقضت شوكة على مهجة العا
صي فلله النقعة الشوكاء)

وقضت أي أهلكت شوكة دخلت في أخمص رجله فاستولت على مهجة العاصي اسما وفعلا ابن وائل بن هشام بن سعد بن سهم وهو والد سيدنا عمرو وفيه نزل قوله تعالى وضرب لنا مثلا الآية فقتلته تلك الشوكة قتلا عجيبا فلذا عقبه بما يفيد التعجب وهو قوله فلله هذه النقعة أي الموت من قولهم الناس نقائع الموت اى يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة والشوكاء من قولهم بردة شوكاء أي خشنة الملمس اى ما أعجب هذه القتلة الشديدة التي حصلت له من تلك الشوكة القليلة التاثير عادة فلله درها من شوكة نحرته في أسرع وقت (يروى) انه خرج في يوم مطير علي راحلته يسير وهو يوم مجيء سيدنا جبريل بكفايتهم فنزل شعبا يتنزه ويتغذى فلما وضع قدمه علي الارض قال لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت كعنق البعير فمات مكانه

(وعلي الحرث القيوح وقد سا
ل بها رأسه وساء الوعاء)

أي وقضت علي الحرث بن قيس السهمي كان يأخذ حجرا يعبده فاذا رأى أحسن منه طرحه وأخذ الاحسن وفيه نزل افرأيت من اتخذ الهه هواه اى مهويه وكان يقول قد غر محمد نفسه وصحبه اذا وعد اصحابه ان يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والحوادث والقيوح جمع قيح وهي المدة البيضاء التي لا يخالطها دم والحال انه سال بها رأسه وساء اى قبح ذلك الرأس الذي هو الوعاء لتلك القيوح وبين سال وساء الجناس الناقص وفي الختم التذييل يروي انه اصابته جائحة فابتلي بمخيط القيح من انفه حتى مات وقيل

أكل حوتا مملوحا فلم يزل يشرب عليه حتى انقد بطنه رواه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة وقيل أصابته الذبحة وجع في الحلق

(خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الأذى بهم شلاء) كف الاذى اى الذى كان يصل للناس لاسيما نبينا صلى الله عليه وسلم منهم بهم أى بسبب فقدهم او مع فقدهم شلاء أى فاقدة الحركة فشبه الاذي بالانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا (١١٤) يقدر على ايصال مايريده بأى وجه كان ثم أثبت له ماهو من لوازم المشبه به وهو الكف التي يتناول بها سائر المضار التي يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى لفقدهم صار معطلا لاحركة له ولاتأثير ففيه استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملائم للمشبه به ترشيح (تكميل) اقتصر الناظم رحمه الله على الخمسة المذكورين لشهرتهم بالاذاية وشدتهم فيها وقد ذكروا منهم عقبة بن ابى معيط وأبا لهب ومالك بن الطلاطلة بطاءين مهملتين الاولى منهما مضمومة والحكم بن أبى العاصى ابن أمية ابن عبد شمس فاما عقبة بن أبي معيط لعنه الله فقد تقدمت اذايته وكان فى مبدأ امره يجلس مع المصطفى صلى الله عليه وسلم ولايؤذيه وكان لايقدم من سفر الاصنع طعاما ودعا اليه جيرته فقدم وصنعه ودعا المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال ماأنا بالذى اكل من طعامك حتى تتشهد فتشهد وكان له خليل غائب بالشام فقدم ليلا فقال لامرأته مافعل محمد فقالت اشد ما كان قال مافعل خليلي قالت صبا فلما اصبح اتاه ابن أبى معيط فحياه فلم يرد عليه قال مالك قال صبوت قال أوقد فعلتها قريش لاوالله لكن رجل دخل على آخر فابى ان يا كل من طعامه الا ان يتشهد له فاستحيا فتشهد قال ماأنا بالذى ارضى عنك حتى تأتيه فتبزق فى وجهه وتشتمه ففعل فقال المصطفى صلى الله صلى الله عليه وسلم لئن وجدتك بين جبال مكة ضربت عنقك صبرا فلما كان يوم بدر أبي ان يخرج فقال أصحابه اخرج معنا فقال قد وعدنى هذا الرجل ان وجدنى خارجا من جبال مكة أن يضرب عنقى صبرا فقالوا لك جمل أحمر لايدرك فان كانت المزيمة سرت عليه فلما هزم الله المشركين دخل به جمله فى خدمن الارض فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا فى سبعين منهم فقال لم بزقت فى وجهى فانزل

خروجه وعكسه فى دخول الخلاء وخروجه وزعم بعض النقاد ان قوله فتكن الخ مدرج من كلام بعض الرواة شرحا وتأكيدا للماسبق وان المرفوع هو ماسبق فقط * قال المصنف (حدثنا أبو موسي محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أشعث وهو ابن أبى الشعثاء) زاد هذا ليظهر قوله (عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن) اى تقديم جانب اليمين فيما هو من قبيل التكريم لشرف اليمين وقد تقدم وجه ذلك في باب الترجل (ماستطاع) اى مدة دوام قدرته علي ماذكر وجوز بعضهم أن تكون ما موصولة بدل من التيمن اى المستطاع منه بحذف الرابط وهذا تاكيد لاختيار التيمن ومبالغة فى عدم تركه كما هو العرف فى نظائره كقوله تعالى فاتقوا الله ماستطعتم قال العصام ولم يردانه ربما يتركه للضرورة وعدم القدرة اه قال فى جمع الوسائل وهو ظاهر لانه لم يثبت عنه صلي الله عليه وسلم خلاف التيمن والذى يظهر ان المراد انه صلى الله عليه وسلم كان يكتفى باليمين فيما يتعسر احترازا من نحو غسل الوجه خلافا للشيعة او يتعذر بان كان يريد مثلا ان يأخذ العصا والكتاب فيتعين ان ياخذ أحدهما باليمين والآخر باليسار وكما وقع له الجمع بين أكل القثاء والرطب باليدين وكما فى لبس النعلين اذا كان محتاجا الى استعمال اليدين اه وقال ابن حجر هو احترازا عما اذا احتيج لليسار لعارض باليمين فانه لا كراهة فى تقديمها حينئذ (فى ترجله وتنعله وطهوره) تقدم فى باب الترجل انه ليس المراد الحصر فى الثلاثة بل المراد مراعاة التيمن فى أعلى البدن وأسفله وفى جملته ومما ورد فى باب التنعل وكثر من الناس التساهل فيه ماروى عن جابر قال نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتعل الرجل قائما لكن ذكر فى شرح السنة ان الكراهة لمشقة تلحق في لبس نعال فيها سيور لانه لايمكن اللبس بدون اعانة اليد فلا نهى فيما ليس فيه تلك المشقة وفى الرسالة ولا باس بالانتعال قائما قال الشيخ زروق قد ورد النهى فيه وكان مالكار آه معللا بكشف العورة فلايكون مكروها لذاته وحيث يؤدى الى الكشف فممنوع اه والتعليل بماذكره من كشف العورة اظهر مما علل به فى شرح السنة قال فى جمع الوسائل وفى معنى التنعل المنهي عنه لبس الخفين والسراويل قائما فان الكراهة متحققة فيهما لوجود المشقة اللاحقة بلبسهما من قيام انتهى وانظر تعليله ذلك بالمشقة فقد لايتم * قال المصنف (حدثنا محمد بن مرزوق ابو عبد الله نا عبد الرحمن بن قيس ابو معاوية) اى الضبي الزعفرانى أخرج حديثه الستة كذا فى جمع الوسائل وهو خطأ فان عبد الرحمن بن قيس لم يخرج حديثه احد من الستة انظر المناوى (ناهشام) قال العصام المسمى بهشام فى احاديث الشمائل خمسة اه بنقل جمع الوسائل ولم يبينهم (عن محمد) اى ابن سيرين (عن أبي هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى لكل فرد منهما (قبالان وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما) فصل باسم كان وهو قبالان بين المتعاطفات التى هي معمولة لخبرها وهو لنعل اذ العامل في المضاف اليه وما عطف عليه المضاف اشارة الى الاهتمام به وان المقصود بالاخبار والاصل كان لنعل رسول الله

الله عز وجل ويوم يعض الظالم على يديه الآية فضربت عنقه لعنه الله امين وأما أبو لهب فرماه الله بعد وقعة بدر بسبع ليال بالعدسة وهي بثرة تصيب الجسد تقتل وكانت العرب يرون أنها تعدي فنفر القوم منه فتركه اهله حتى مات وتركوه ثلاثة أيام لم يدفن حتى نتن تخافوا العار فحفروا حفرة فقذفوه فيها بالحجارة وأما الحكم فعده منهم العراقي في الالفية فانه كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشتمه ويسمعه ما يكره قال المناوي لكنه أسلم أي أظهر الاسلام وكان بعد ما أظهر الاسلام مغموصا أي مطعونا في دينه وكان يمشي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكيه في مشيته فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فرآه يفعل ذلك فقال كذلك فلتكن فكان الحكم يرتعش من يومئذ ونفاه النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة فنزل الطائف وأخرج الطبراني وأبو نعيم فيما حدث به الحكم قال رايت بعيني هاتين حين تواعدنا يوما علي رسول الله صلى الله عليه وسلم لنأخذه فجئنا اليه فسمعت صوتا ما ظننا انه بقي جبل بتهامة الا تفتت فغشي علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع الي أهله ثم تواعدنا له ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فجاءت الصفا والمروة حتى التقت احداهما بالاخرى فحالتا بيننا وبينه فوالله ما تعقلنا ذلك حتى رزق الله الاسلام واذن لنا فيه اه وفي الالفية

ثامنهم أسلم وهو الحكم
فقد كفاه شره اذ يسلم

(تنبيه) ذكر الجلال السيوطي في تفسيره من جملة المستهزئين عدي بن قيس ولم نر من ذكره من أهل السير ولعله الحرث بن قيس كما تقدم والله أعلم

صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر قبالان (واول من عقد عقدا واحدا) اي اتخذ قبالا واحدا (عثمان رضي الله عنه) اشارة الى بيان الجواز وان لبسه صلى الله عليه وسلم للنعل بقبالين لكون ذلك كان هو المعتاد لا علي قصد العبادة للعباد لما تقرر في الاصول أن أفعاله صلى الله عليه وسلم دائرة بين أربع مباح ومستحب وسنة وفرض وان كان المباح في حقه قربة لانه انما يفعله بنية تصيره قربة فلو لم يبين ذلك عثمان رضي الله عنه لتوهم كراهة الاقتصار علي قبال واحد او انه خلاف الاولى لانه خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه وبهذا تعلم أن ترك لبس النعلين ولبس غيرهما ليس بمكروه أيضا قاله في جمع الوسائل

باب
ما جاء في ذكر خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم

كذا في الاصول المصححة بزيادة بين في ومجرورها وكأن الحكمة في تمييز هذا الباب بها علي بقية ابواب الكتاب تكرار باب الخاتم وان كان قد ميز احداهما بالاضافة الى النبوة والاخرى بالاضافة الى النبي صلى الله عليه وسلم لان تكرارها به التمييز يفيد التأكيد قاله في جمع الوسائل وخاتم بفتح التاء وكسرها قال ابن حجر ويقال فيه خيتام وخاتام وخيتوم والمراد بها هنا الحلقة من الفضة التي كان يلبسها صلى الله عليه وسلم أي باب بيان ما ورد في صفتها وسبب اتخاذها ونقشها وما آل امرها (حدثنا قتيبة بن سعيد وغير واحد) أي وكثير من مشايخ المصنف (عن عبد الله بن وهب) اخرج حديثه أيضا النسائي وابن ماجه (عن يونس) أي الايلي (عن ابن شهاب عن انس بن مالك قال كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من ورق) بكسر الراء وسكونها اي فضة (وكان فصه) مثلث الفاء كما في القاموس وهو ما ينقش فيه اسم صاحبه او غيره (حبشيا) وسيأتي كان فصه منه وجمع بينهما بانه صلى الله عليه وسلم كان له خاتمان احدهما فصه منه والآخر فصه حبشي وقال ابن العربي ما روي ان فصه كان حبشيا وان فصه منه ليس بتناقض لانه لبس الصفتين واستقر الامر علي خاتم فصه منه اه لكن قال بعضهم ادعاء التعدد يحتاج الى دليل ولم يثبت فلعل معنى كونه كان حبشيا انه كان على صنعة الحبشة أو ان صانعه حبشي فلا ينافي ان فصه منه وانه نقش عليه محمد رسول الله فان الحجر لا يمكن النقش عليه غالبا قال المناوي والذي اعتمده الامام السيوطي ولا محيد عنه ان الحبشي نوع من الزبرجد يكون ببلاد الحبش لونه الى الخضرة من خواصه انه ينقي العين ويجلو ظلمة البصر اه وأما قول البيهقي في الشعب الاشبه لسائر الروايات ان الذي كان فصه حبشيا هو الخاتم الذي اتخذه من ذهب ثم طرحه والذي فصه منه هو الفضة اه فمخالف لصريح قول أنس كان من ورق وكان فصه حبشيا قال في جمع الوسائل وما روي في التختم بالعقيق من أنه ينفي الفقر وانه مبارك وان المتختم به لا يزال في خير فكل ذلك غير ثابت على ما ذكره الحفاظ وفي خبر ضعيف ان التختم بالياقوت الاصفر يمنع الطاعون اه * قال المصنف (حدثنا قتيبة) اي ابن سعيد (نا أبو عوانة) هو

(فديت خمسة الصحيفة بالخمسة اذ كان للكرام الفداء)

فديت بالبناء للمفعول دعاء أي اللهم اجعلهم فداء لخمسة الصحيفة يلقون الاذى دونهم بان يجعل كل من الخمسة فداء لكل واحد من الخمسة أهل الصحيفة ولكن لا فداء للكرام وأولئك الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد لانهم بذلوا أنفسهم في أمر عظيم كما يعلم من ذكر القصة وذلك ان قريشا لما رأت عزة النبي صلى الله عليه وسلم حيث أمر في سنة خمس من النبوة بضعة عشر من أصحابه منهم عثمان وزوجه السيدة رقية بالهجرة الى الحبشة وأسلم حمزة

ثم عمر بعده بثلاثة أيام وفشا الاسلام فى القبائل أجمعوا على ان يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أباطالب فاتوا اليه بعمارة بن الوليد وقالوا هذا أعزفتى فى قريش نخذه بدل ابن أخيك وادفعه الينا فقال لهم حتى اذا راحت الابل بالعشى فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم وجمع بنى هاشم ماعدا أبالهب وبنى المطلب وأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا ينا كحوهم ولا يبايعوهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك فى صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة تأكيدا فى حفظها وذلك فى هلال المحرم سنة سبع من النبوة وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا وقطعوا عنهم الاسواق فلا يتركون طعاما يقدم مكة الا بادروه اليه حتى ان أبا جهل لعنه الله لقى حكيم بن حزام معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة فتعلق به وقال أتذهب بالطعام الى بنى هاشم وأراد ان يفضحه فانتصر له أبو البخترى ابن هشام وقال طعام كان لعمته عنده بعثت اليه أفتمنعه أن يأتيها به خل سبيله فأبى فضربه بلحى جمل فشجه ووطئه وطأ شديدا فلما مضت تلك المدة قام الخمسة الآتى ذكرهم فى نقض تلك الصحيفة وكان رأسهم هشام ابن عمرو بن ربيعة بن الحرث ابن حبيب العامرى من بنى عامر ابن لؤى لعزته بعمه لامه وهو نضلة بن هاشم وكان واصلا لهم وذا شرف فى قومه فكان يأتى بالبعير ليلا قد اوقره طعاما حتى اذا أقبل على فم الشعب قلع خطامه من رأسه ثم ضربه على جنبه فيدخل الشعب ولعزته بعمه المذكور مشى الى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومى أخو أم سلمة فضة أم المؤمنين وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب فقال يازهير أرضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا معى لنقضتها فقال أنا معك فقال أبغنا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدى واستنجده حتى قال لو وجدت رجلا فأخبره بما تقدم فقال أبغنا رابعا فذهب الى أبى البخترى بن هشام واستنجده أيضا فقال وهل من معين فذكر له

الوضاح روى عنه الستة (عن أبى بشر عن نافع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة) أى أمر بصياغته ووجده مصوغا فاتخذه وكان ذلك فى السابعة على مافى سيرة ابن سيد الناس أو السادسة على ماجزم به غيره (فكان يختم به) أى الكتب التى يرسلها للملوك وفى نسخة يتختم به أى يلبسه ولكنه ينافى قوله (ولا يلبسه) سيأتى فى الاحاديث انه كان يلبسه فى يمينه أو يساره على اختلاف فى الاحاديث وانه كان اذا دخل الخلاء نزع خاتمه وذلك مناف لقوله هنا ولا يلبسه ووجه الجمع أن جملة ولا يلبسه حال فيفيد انه كان يختم به فى حال عدم اللبس وهو لا يدل على انه لا يلبسه مطلقا أو المراد انه لا يلبسه على سبيل الاستمرار والدوام أو المراد من هذه العبارة انه اتخذه للختم به لا للبس والتزين لان لبس الخاتم ليس من عادة العرب وكونه متخذا لهذا الغرض لا ينافى لبسه ويحتمل انه اتخذ خاتما للباس وخاتما للختم وقد تقدم عند أرباب هذا الفن ان التوفيق مقدم على الترجيح انظر جمع الوسائل ثم اعلم ان اتخاذ خاتم الفضة مستحب ولو لمن لم يحتج للختم وقيل يكره الا لذى سلطان لحديث فى ذلك كالقاضى لانه يحتاج اليه للختم به والاول هو المشهور لكن قال ابن عرفة هذا اذا تخذ للسنة وأما اليوم فلا يفعله غالبا الا من لا خلاق له أو يقصد به غرض سوء فأرى أن لا يباح لمثل هؤلاء اه وعلى هذا فاذا صار شعار السفلة ومن لا خلاق له من هل المجون والفسقة لم يجز لان صيانة العرض بترك سنة واجب وفى نوازل المعيار من كتاب الجامع سئل عز الدين هل يجوز ترك السنة لمشاركة مبتدع فيها فأجاب لا يجوز ترك السنة لذلك ومازال العلمون والصالحون يقيمون السنن مع العلم بمشاركة المبتدعين ولو ساغ ذلك لترك الاذان والاقامة والسنن الراتبة اه وهذا عند التأمل غير مامنعه ابن عرفة لانه لا يلزم من منع ماصار من شعار من لا خلاق له منع مافيه مطلق المشاركة فقط والله أعلم وقد تقدم قول الابى لو اختص أهل الفسق والظلم بشىء مما أصلته السنة كالخاتم والخضاب فينبغى لاهل الفضل أن لا يتشبهوا بهم وأيضا فقد يظن من لا يعرفهم انهم منهم فيكون قد أعان على اساءة الظن به اه وسيأتى فى الباب بعد حكم خاتم الذهب وغيره وفى بعض النسخ (قال أبو عيسى) أى المصنف (أبو بشر) أى المذكور فى السند (اسمه جعفر بن أبى وحشى) وفى نسخة وحشية بغير انصراف وقد اختلف فيه ثقة وضعفا * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا حفص بن عمر بن عبيد) بالتصغير (هو الطنافسى) بفتح الطاء وكسر الفاء منسوب الى طنافس جمع طنفسة البساط الذى له خمل صغير والنسبة للعمل أو البيع اشعارا بأنه علم بالغلبة واشتهر به وهو ثقة (نا زهير أبو خيثمة) احترز به عن زهير أبو المنذر لانه غير ثقة (عن حميد) أى الطويل (عن أنس رضى الله عنه قال كان خاتم رسول الله صلى الله عليه سلم من فضة فصه منه) الضمير للخاتم ومن للتبعيض أى فصه بعض الخاتم أو الضمير للفضة والتذكير بتأويل الورق وهل كان مثلثا أو مدورا أو مربعا والتربيع أقرب الى النقش فيه والختم به قاله المناوى وفى رواية أبى داود من طريق زهير أيضا بهذا الاسناد من

أولئك فقال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن الاسود فاستنجده فقال وهل من أحد الاعلى هذا الامر فذكر له القول فاجتمعوا فى الحجون وأجمعوا على نقضها فقال زهير وأنا أول من يتكلم قال فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة انا نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم فيما ترون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال له أبو جهل لعنه الله كذبت والله لا تشق فقال زمعة بن (١١٧) الاسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها

فضة كله وأخرج أبو داود والنسائى من حديث اياس بن الحرث بن معيقيب عن أبيه عن جده انه قال كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من حديد ملوى عليه فضة وله شواهد منها ما هو مسند ومنها ما هو مرسل انظرها فى جمع الوسائل وقد ذكرانها هى التى سقطت فى بئر أريس وعليه فقد تعدد خاتمه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى حين رجع من الحديبية (أن يكتب) أى الكتب (الى العجم) أى عظمائهم وملوكهم يدعوهم الى الله تعالى (قيل له ان العجم) قائل ذلك من العجم أو من قريش ولا مانع من الجمع (لا يقبلون) أى لا يعتمدون (الا كتابا عليه خاتم) أى وضع عليه نقش خاتم لان الختم يؤمن معه من الزيادة والنقص فلا يتطرق فى المكتوب شك ومن ثم يختم على صحيفة الانسان عند موته ولانه يدل على الاعتناء بالمكتوب وبالمكتوب اليه وان ذلك سر بين الكاتب وبينه لم يطلع عليه أحد وهذا ربما يدل على ان الختم كان على ظهر الكتاب بعد طيه (فاصطنع خاتما) أى أمر أن يصنع له أخرج الدارقطنى فى الافراد من حديث سلمة عن عكرمة عن يعلى بن أمية قال أناصفت للنبى صلى الله عليه وسلم خاتما لم يشركنى فيه أحد نقشه محمد رسول الله (كأنى أنظر الى بياضه) أى الخاتم لانه كان من فضة (فى كفه) فى القاموس الكف اليد أو الى الكوع وفى الحديث ندب معاشرة الناس بما يحبون وترك ما يكرهون واستئلاف العدو بما لا يضر ولا محذور فيه شرعا * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا محمد بن عبد الله الانصارى) أخرج حديثه الستة والمسمى بهذا الاسم ثلاثة أكبرهم هذا وثانيهم اسم جده حفص وثالثهم اسم جده زياد (حدثنى أبى) يعنى عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصارى أخرج حديثه البخارى والترمذى وابن ماجه (عن ثمامة) بن عبد الله بن أنس بن مالك أخرج حديثه الستة (عن أنس ابن مالك قال كان نقش خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم) خبر كان محذوف ففى رواية البخارى كان نقش الخاتم ثلاثة أسطر (محمد سطر) مبتدأ وخبر (ورسول) بالرفع بلا تنوين على الحكاية (سطر) ويجوز التنوين على الاعراب (والله) بالرفع والجر بناء على ماسبق (سطر) ظاهره انه لم يكن فيه زيادة على ذلك ورواية ان الذى كان مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله شاذة وكذا رواية بسم الله محمد رسول الله وظاهره انه كان على هذا الترتيب خلافا لمن قال ان كتابته كانت من أسفل الى فوق يعنى ان الجلالة فى أعلى الاسطر الثلاثة ومحمد فى اسفلها فان ذلك ليس صريحا فى شىء من الاحاديث بل رواية الاسماعيلى تخالف ذلك فانه قال محمد سطر والسطر الثانى رسول والسطر الثالث الله وظاهره ان كتابته لم تكن على السياق العادى فان ضرورة الختم بها تقتضى ان تكون الاحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويا وفى تاريخ ابن كثير عن بعضهم ان كتابته كانت مستقيمة وكانت تطبع كتابة مستقيمة * قال المصنف (حدثنا نصر ابن على الجهضمى) نسبة الى جهضمة محلة بالبصرة (أبو عمرو) بالواو أخرج حديثه الستة

حيث كتبت وقال أبو البخترى صدق زمعة مانرضى ما كتب فيها ولا نقربه وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها وقال هشام ابن عمرو نحوا من ذلك فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل وتشوور فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا باسمك اللهم وهذا لا ينافى ماسيأتى من أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر عمه بأكل الارضة لما عدا اسم الجلالة لاحتمال ان أبا طالب لما أخبرهم بذلك وازدادوا كفرا انتصر أولئك الخمسة فى قطعها

(فتية بيتوا على فعل خير
حمد الصبح أمره والمساء)

أى هم فتية جمع فتى ويطلق على السخى الكريم بيتوا أى دبروا واشتوروا بالحجون ليلا وفعل الخير هو نقضها والمخاطرة دونه بالنفوس لشدة قريش فى ابقائها مع كثرتهم وعتوهم واسناد الحمد الى الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة فى وقوع الحمد وطلبه وعلى فعل ذلك الخير لانه اذا حمد الزمان على ذلك فالعقلاء أولى وأحق ولا يخفى ما فى كلامه من الطباق

(يالامر أتاه بعد هشام * زمعة انه الفتى الأتاء) يالأمر هو بفتح اللام والامر هو نقضها ونداؤه على طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة فى تعظيمه ولذا يفيد التعجب من وقوعه وهشام هو أول من سعى فى ذلك كامر والهمزة من انه مكسورة للاستئناف والأتاء صيغة مبالغة من أتى أى كثير الاتيان لمن استنجده واستنصره وتقدم ان زمعة هو أول من كذب

أبا جهل ورد عن زهير وأيده (وزهير والمطعم بن عدى * وأبو البختري من حيث شاؤا)

اى أتى هؤلاء الخمسة نقض الصحيفة اتيانا كائنا بمواطأة واتفاق من حيث شاؤا أى من المكان الذى ارادوه وقصدوه لتدبير أمرهم وتشاورهم فيه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذى قصدوه وأنتج الاتيان الذى دبروه

(نقضوا مبرم الصحيفة اذشد * دت عليه من العدا الاداء) نقضوا بدل من فعل خير يقال نقض العهد أى أبطله ومبرم بفتح الراء اي محكم واذ بمعنى وقت وشدت أى صممت (١١٨) على ذلك الأمر المبرم وهو عدم نقضها الا ان يسلم اليهم والاداء فاعل شدت

(نا نوح بن قيس) اي الحراني نسبة الى حران بضم المهملة وتشديد الراء وهي قبيلة من الازد وهو بصرى صدوق أخرج حديثه مسلم والاربعة لكن رمي بالتشيع (عن خالد بن قيس) أى ابن رباح البصرى أخرج حديثه مسلم والاربعة (عن قتادة عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب) اي أراد أن يكتب بقرينة الحديث السابق (الى كسرى) بفتح الكاف وكسرها تقدم فى أول باب الخف انه لقب ملك الفرس واسمه ابرويز بن هرمز ولما بلغه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم مزقه فدعا عليه صلى الله عليه وسلم بتمزيق ملكه فمزق كل ممزق (وقيصر) تقدم انه لقب ملك الروم واسمه هرقل ولما وصل كتابه صلى الله عليه وسلم حفظه فحفظ ملكه (والنجاشي) تقدم انه ملك الحبشة وان اسمه أصحمة وانه لما بلغه كتابه صلى الله عليه وسلم أسلم وانه لما مات صلى عليه هو وأصحابه صلاة الجنازة راجع أول باب الخف (فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا بخاتم فصاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما) اى امر بصوغه وتقدم ان الذى صاغه يعلى بن امية (حلقته) بفتح اللام ويسكن (فضة) فيه اشعار بانه لم يكن فصه من فضة (ونقش) مبنى للفاعل أو للمفعول (فيه) أى في الخاتم يعنى فى فصه (محمد رسول الله) بالرفع على الحكاية *قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا سعيد بن عامر والحجاج بن منهال) أخرج حديثهما الستة (عن همام عن ابن جريج عن الزهرى عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل الخلاء) أى أراد دخوله (نزع خاتمه) وفى رواية وضع خاتمه وانما كان ينزعه لاشتماله علي اسم الجلالة واسم نبي من أنبياء الله ووصف من أوصاف جميع رسله أو صورة جملة من جمل القرآن وانما لم نقل ان هذه الجملة من القرآن لانها لا تكون من القرآن الا ان قصد بها التلاوة قال الخطاب ما حاصله ينبغي ان يتفق على استحباب ترك الذكر فى الكنيف وادخال مافيه ذكر كورقة أو درهم أو خاتم للكنيف ومراده من عبر بالجواز عدم المنع لا الجواز المستوى الطرفين ثم اعلم انه اختلف فى الذكر اذا لم يكن قرآنا ومافيه ذكر سواء كان قرآنا او غيره علي قولين فقيل بجواز ذلك فى الكنيف والمراد بالجواز ما تقدم اى نفى الكراهة الشديدة وقيل بالمنع وهل المراد به التحريم وهو ظاهر كلام بعضهم او الكراهة المؤكدة وهو ظاهر كلام جماعة وهو الظاهر وأما قراءة القرآن فى الكنيف فتمنع وهل المراد بالمنع الكراهة او التحريم وهو الظاهر وهذا كله مع الاختيار واما ان اضطر للذكر لخوف أولاد خال مافيه ذكر أو قرآن لان نزعه يضر به لعدم من يحفظه له فالجواز انتهي وحصل فى الاستنجاء بالخاتم الجواز وهو الذى يفهم من كلام ابن القاسم وفعله لقوله اني لا فعله والكراهة وهى التى تفهم من كلام مالك فى مواضع ثلاثة من العتبية ومن اللخمي والتحريم وهو المفهوم من التوضيح وابن عبد السلام وابن العربي فى العارضة حيث قال فلا يحل لمسلم ان يستنجي بخاتم فيه اسم الله وما روى عن مالك من جواز ذلك رواية منكرة عند أهل المذهب عن آخرهم باطلة اهثم اعلم ان هذا الحديث اخرجه أبو داود فى سننه وقال فى آخره حديث منكر وانما يعرف عن ابن جريج عن

جمع ناد وهو العشيرة والاصحاب ومنه فليدع ناديه وأصله المكان الذى يجلس فيه للتحدث سمى من فيه باسمه ومن العدا بيان للاداء أى نقضوا هذا الامر المبرم الذى قواه عشائرهم وصمموا عليه *(تنبيه)* هؤلاء الخمسة كلهم كانوا كفارا حين تصدوا لنقض الصحيفة قال ابن اسحق ولم يسلم منهم غير زهير وهشام أما هشام فاسلم عام الفتح وشهد حنينا وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائمها خمسين بعيرا وأما زهير فيذكر فى المؤلفة قلوبهم وهذا من كمال عناية الله تعالى بحبيبه صلى الله عليه وسلم فسخر عدوه فى نصرته واستعمل مبغضه فى خدمته قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى كنت فى بعض سياحتى وقد أويت الى مغارة بالقرب من مدينة المسلمين فمكثت ثلاثة أيام لم أذق طعاما ثم دخل على ثلاثة من الروم كانت قد أرست سفينتهم هنالك فلما رأونى قالوا قسيس من المسلمين ووضعوا عندى طعاما واداما كثيرا فعجبت كيف رزقت علي أيدى الكافرين ومنعت ذلك من المسلمين فاذا النداء على يقال لى ليس الرجل من ينصر بأحبائه انما الرجل من ينصر باعدائه انتهى

(أذكرتنا بأكلها أكل منسا * ة سليمان الارضة الخرساء) هذه جملة استئنافية لبيان أكل زياد

الارضة للصحيفة له نظير وضمير أكلها يعود علي الارضة وهى فاعل أذكرتنا فرتبتها التقديم وأكل مفعول ثانى أذكرتنا والمنسأة العصا لانه ينسأ بها أى يطرد ويؤخر والارضة بفتح الراء وسكونها ضرورة وهى دويبة تأكل حتى الخشب اكلا سريعا والخرساء صفتها أى التى لا تنطق وفيه تمام التعجب من شأنها اذ ليس من شأن الاخرس التذكير ووصفها بالخرساء مجاز اذ هو نفى النطق

عما من شانه ذلك يروى ان داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمله سنة وقضى الله بموته سأل الله أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب كما أخبر بذلك مولانا جل وعلا في كتابه العزيز فمكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته وعلم كونه حولا بحساب ما أكلته الارضة من العصا بعد موته يوما وليلة مثلا قاله السيوطى

زياد بن سعد عن الزهرى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق ثم ألقاه قال والوهم فيه من همام ولم يروه الا همام وكذا ضعفه أيضاً النسائى والبيهقى وأما المؤلف فاخرجه أيضاً في الجامع وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وصححه ابن حبان أيضاً والحاكم في المستدرك وقال على شرط الشيخين قال في جمع الوسائل الحكم على حديث همام هذا بالشذوذ أولى من الحكم عليه بالنكارة لانه ثقة باتفاق الائمة والشاذ هو ما رواه الثقة مخالفا لما رواه من هو أرجح منه لمزيد ضبطه أو لكثرة عدده ولهذا صححه الترمذى لكنه حكم عليه بالغرابة لانه لم يروه غيره ثم قال على ان أئمة الحديث أطبقوا على ان الزهري وهم في الحديث الذى أشار اليه ابو داود وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق ثم ألقاه قال عياض المعروف عند غيره من أهل الحديث ان الخاتم الذى طرحه انما هو خاتم الذهب لا خاتم الورق اه ومنهم من استعظم نسبة الزهرى الى الوهم مع انه كان الغاية في الحفظ والضبط فاجاب عن هذا الوهم باجوبة قال في جمع الوسائل والاظهر في الجواب انه صلى الله عليه وسلم بعد تحريم خاتم الذهب لبس خاتم الفضة على قصد الزينة فتبعه الناس محافظة على متابعة السنة فرأى ان في لبسه ما يترتب عليه من العجب والكبر والخيلاء فرماه فرماه الناس فلما احتاج الى لبس الخاتم لاجل الختم لبسه وقال للناس انا اتخذنا خاتما ونقشنا فيه نقشا للمصلحة فلا ينقش عليه أحد أى اسمنا بل ينقش اسمه اذا احتاج الى الختم اه وحاصله ان طرحه كان قبل أن ينهاهم عن نقشها على نقش خاتمه فلما نهاهم عن ذلك لبسها ثم لبسوا خواتيمهم * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الله بن نمير) أخرج حديثه الستة (نا عبد الله بن عمر) مر ذكره (عن نافع عن ابن عمر قال اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق فكان على يده) أى حقيقة بان كان لابسه في اصبعه فالمراد باليد جزؤها (ثم كان) بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (في يد أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ثم كان في يد عثمان رضى الله عنه) أى للتختم به وللختم أيضا وفي الحديث التبرك بآثار الصالحين وجواز لبس ملابسهم ولبس الخاتم وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يورث اذ لو ورث لدفع الخاتم الى ورثته بل كان الخاتم والقدح والسلاح ونحوها من الاثاث صدقة للمسلمين يصرفها من ولى الامر في المصالح فجعل القدح عند أنس اكراما له بخدمته ومن أراد التبرك به لم يمنعه وجعل باقى الاثاث عند أناس معروفين وأبقى الخاتم عنده للحاجة التى اتخذها لاجلها صلى الله عليه وسلم قاله النووى واعترضه العسقلانى بأنه يجوز أن يكون الخاتم اتخذ من مال المصالح فانتقل للامام ينتفع به فيما صنع له قال في جمع الوسائل قلت هذا محتمل والاصل هو الاول فيكون عليه المعول اه وقد فهم من كلامهم ما ذكرنا من انهم اتخذوه للختم به والاظهر انهم لبسوه احيانا لاجل التبرك به وكان في أكثر الاوقات عند معيقيب جمعا بين الروايات ويبعد أن يكون المراد انه كان فى وجوههم فقط كما يقال الشيء الفلانى في يد فلان ولم يكن في يد م حقيقة بدليل قوله (حتى سقط فى بئر أريس)

(وبها أخبر النبي وكم أخ
رج خبأله الغيوب خباء)

أى وبأكل الارضة للصحيفة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب وهو أخبر قريشا وكم مرات كثيرة أخرج صلى الله عليه وسلم وأظهر خبأ أى شيأ مخبا مستورا من نعته وصفته الغيوب له خبأ اى سترة فكان سبحانه وتعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على المغيبات وكفى بالقرآن شاهدا على ذلك وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله قد رفع لى الدنيا فانظر اليها والى ماهو كائن الى يوم القيامة كما انظر الى كفى هذه وروى أبو داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئاً الى قيام الساعة الا حدث به وهذا الباب واسع جدا وقد ألم القاضى عياض فى الشفاء ببعضه فانظرها والمواهب وأشار الناظم الى ما ذكره ابن سيد الناس فى خبر الصحيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمه أبي طالب ان ربى قد سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما لله الا أثبتته فيها ونفت القيطعة والظلم والبهتان قال أربك أخبرك بهذا قال نعم فانطلق أبو طالب فى عصابة من بنى عبد المطلب حتى أتوا المسجد فظنت قريش انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل فقال أبو طالب يامعشر قريش قد جرت أمور بيننا وبينكم فأتوا بالصحيفة التى فيها مواثيقكم فلعل أن يكون بيننا وبينكم صلح فأتوا بها معجبين لا يشكون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم فوضعوها بينهم وقالوا لابى طالب قد آن لكم ان ترجعوا فقال انما أتيتكم فى أمر فهو نصف بيننا وبينكم أخبرنى ابن أخى ان هذه الصحيفة بعث الله عليها دابة فلم تترك فيها الا ذكر الله فان كان كما قال فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا

وان كان باطلا دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أخبر بخبرها قبل فتحها فقالوا هذا سحر ابن أخيك فقال ان الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب الى الحنث والسحر من أمرنا ولولا انكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى بايديكم فنحن أحق أم أنتم اه وهذا لا يعارض ما تقدم من أن الخمسة سعوا فى نقضها لاحتمال ان يكون اتفق اتفاقهم على نقضها مع اخبار النبى صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب واتيانه لاخبارهم بذلك ولما عاينوا الخمسة الخبر

موافقا للخبر جدوا فى النقض والابطال *(تنبيه)* كاتب الصحيفة هو هشام بن عمرو ويقال منصور بن عكرمة ويلقب بالبغيض قال فى الخصائص الكبرى أخرج أبو نعيم عن عثمان بن سليمان قال كان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة العبدرى فشلت يده حتى يبست فما كان ينتفع بها فكانت قريش تقول بينها ان الذى صنعنا ببنى هاشم لظلم انظروا ما أصاب منصور بن عكرمة اه

(لا تخل جانب النبى مضاما
حين مسته منهم الاسواء
كل أمر ناب النبيين فالشد
دة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النا
ر لما اختير للنضار الصلاء)

لا تخل بفتح التاء الفوقية والمعجمة فعل مضارع من خال أى ظن والجانب فى الاصل شق الانسان وأريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل واضافته الى النبى بيانية والمضام المضيع والاسواء الاذايات الكثيرة ومنهم فى موضع نصب على الحال وأشار به الى ما وقع منهم له صلى الله عليه وسلم من ضربه وخنقه واغراء سفهائهم به وشج وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حمله جبل لم يحتمله بل جانبه لم يزل يرتقى مع ذلك فى مراتب النصرة والفتح الى أن بلغ غاية العزة والجلالة وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل وكذا الى حضيض الذل والهوان على أن ما أصابه صلى الله عليه وسلم من اذايتهم له فيه اسوة بالانبياء قبله وكل أمر من الامور العظيمة أصاب النبيين فالشدة فيه التى تحصل لهم منه محمودة لانها لرفع درجاتهم العلية والرخاء أى السعة فيه محمودة أيضا لانه يكثر اتباعهم ويغيظ أعداءهم ومما يوضح ذلك أن من المقرر فى العقول انه لو يمس هوان النضار أى الذهب من ادخاله النار لاختباره من الغش

وكان عثمان جالسا على شفتها يأمر بحفرها لاهل المدينة وأريس بفتح الهمز وكسر الراء وهو بستان معروف ويجوز فيه الصرف وعدمه قاله العسقلاني وهو قريب من مسجد قباء وظاهر السياق انه وقع من يد عثمان وفى رواية للبخارى حتى وقع من عثمان فى بئر أريس وفى النسائى ان عثمان طلب الخاتم من معيقيب ليختم به شيأ فكان فى يده يعبث به أى يكثر ادخال خاتمه واخراجه وهو متفكر فى شيء فسقط وصريح ما يأتى فى الباب بعده انه وقع من يد معيقيب مولى سعيد بن العاصى وكان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم وستأتى ترجمته ولا منافاة فيحتمل ان عثمان لما أراد رده الى معيقيب سقط من بينهما فلم يدر الراوى من يد أيهما سقط فنسب ذلك تارة الى عثمان وتارة الى معيقيب والله أعلم زاد فى البخارى عن أنس فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده ونقل جلال الدين السيوطي فى التوشيح عن بعض العلماء قال كان فى خاتمه صلى الله عليه وسلم شيء من الاسرار كما كان فى خاتم سليمان عليه السلام لان سليمان لما فقد خاتمه ذهب ملكه وعثمان لما فقد خاتم النبى صلى الله عليه وسلم انتقض عليه الامر وخرج عليه الخارجون وكان ذلك مبدأ الفتنة الدنيوية والاخروية التى أفضت الى قتله واتصلت الى آخر الزمان قلت ونظير ذلك ان المنبر النبوى لما احترق كان ذلك علامة زوال المملكة من يد بنى العباس فلم تعد الى الآن اليهم انتهى ولهذا والله أعلم بالغ عثمان فى التفتيش عليه ولكونه أثر النبى صلى الله عليه وسلم قد لبسه واستعمله وختم به ومثل ذلك يساوى فى العادة قدرا عظيما من المال ولو كان غير خاتم النبى صلى الله عليه وسلم لاكتفى فى طلبه بدون ذلك ولان الخاتم المختص المحتاج الى الختم به لا يقاس عليه غيره لانه يترتب على ضياعه مفاسد كثيرة وعلى هذا فقول ابن بطال يؤخذ من الحديث أن يسير المال يجب البحث فى طلبه والاجتهاد فى تفتيشه يعنى دفعا لاضاعة المال وقد فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لما ضاع عقد عائشة وحبس الجيش حتى وجده اه فيه نظر فان العقد لم يكن يسيرا من المال وكان أمانة عند عائشة ولا يلزم من بحث عثمان عن هذا الخاتم ان يقاس به غيره من الاموال اليسيرة للخصوصيات والمزايا التى اختص بها خاتم النبى صلى الله عليه وسلم وأما قول العسقلانى ان عقد عائشة نشأت عنه فائدة عظيمة وهى الرخصة فى التيمم فكيف يقاس عليه غيره ففيه ان الاستدلال صحيح حيث وقع البحث وأما ظهور الاثر فامره يترتب عليه فلا دخل له فى القياس انظر جمع الوسائل (نقشه محمد رسول الله) أى هذه الجملة فلا يحتاج لربط وفيه جواز استعمال خاتم منقوش باسم آخر بعد موته لانه لا التباس بعد الموت فيصح ان يجعل علامة التوثيق قاله العصام قال فى جمع الوسائل وفيه ان الالتباس متحقق عند عدم وجود التاريخ اه قلت ويحتمل ان أبا بكر ومن بعده كانوا يختمون به للتبرك مع الختم بخواتيمهم فلا يبقى لبس ولو لم يكن تاريخ ويفهم من هذا الحديث أيضا جواز نقش اسم الشخص على خاتمه وقد فعله ابن عمر وابنه سالم والقاسم بن محمد وكان مالك يقول من شأن الخلفاء والقضاة نقش أسمائهم فى خواتيمهم اه

لما اختير للنضار الصلاء أي العرض على النار لغرته على النفوس وشحها به من أدنى نقص يصيبه فالانبياء عليهم الصلاة والسلام كالذهب والشدائد التي تنوبهم كاصابة النار للذهب فكما ان النار لاتزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لاتزيد الانبياء الا رفعة ولايخفى ما اشتمل عليه كلام الناظم من الكلام الجامع البليغ والحكم وهو مأخوذ من خبر وردان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك (١٢١) (تنبيهان) الاول كل ماأصاب النبي صلى الله عليه وسلم مما تقدم ذكر بعضه لم يصده عن الدعاء الى الله تعالى ولم يرده عن التعريف به والدلالة عليه فان الصادق في المحبة لايرده عنها ما يصيبه من الابتلاء في جانب المحبوب بل اذا استحضر رضا محبوبه عنه اضمحل ذلك كله في نظره ولم يؤثر فيه شيأ بل قد يستحليه ويتلذذ به من حيث انه تصرف المحبوب وفعله به ولا غرض للمحب الا في الوصلة من المحبوب وعند هذا تحصل الغيبة عن مقتضى الطبع لتوجه وجهته الكلية لمطلوبها واستغراقها في محبة محبوبه ولذا قال الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ويحكى انه لما قدم الحلاج لتقطع يده قطعت اليد اليمنى أولا فضحك ثم قطعت الاخرى فضحك ضحكا بليغا فخاف أن يصفر وجهه من خروج الدم فكب بوجهه على الدم السائل ولطخ وجهه بدمه وأنشأ يقول

الله يعلم ان الروح قد تلفت
شوقا اليكم ولكني أمنيها
ونظرة منك ياسؤلي ويا أملي
أشهى الى من الدنيا ومافيها
ياقوم اني غريب في دياركم
سلمت روحي اليكم فاحكموا فيها
ولم أسلم النفس للاسقام تتلفها * الا لعلمي بان الوصل يحييها
نفس المحب على الآلام صابرة * لعل مسقمها يوما يداويها

ثم رفع رأسه الى السماء وقال يا مولاي اني غريب في عبادك وذكرك أغرب مني والغريب يألف للغريب ودخل جماعة من الناس على الشبلي في مارستان وقد حبس فيه وجمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فيها فاصبروا على بلائي الى غير

وكذا نقش اسم من أسماء الله تعالى وقد روى ان نقش خاتم علي الملك لله ومحمد الباقر العزة لله والنخعي الثقة بالله ومسروق بسم الله وهذا قول الجمهور ونقل عن ابن سيرين وبعض أهل العلم كراهة نقش اسم من أسماء الله تعالى وروى ان عمر نقش على خاتمه كفى بالموت واعظا يا عمر وانما كان في خاتم موسى عليه السلام لكل أجل كتاب وفي خاتم سليمان لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي وفي خاتم آدم لا اله الا الله محمد رسول الله

باب
ما جاء في تختم رسول الله ﷺ

أي في كيفية لبسه الخاتم فالغرض من هذا الباب غير ما سبق في الباب قبله وفي بعض النسخ باب في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه قال ابن حجر لاينافي ذكره تختمه في يساره لما سيأتي اه وفيه اشعار بان روايات التختم في اليمين أرجح عند المصنف من روايات التختم في اليسار ولذا لم يخرج حديثا فيه التصريح بان النبي صلى الله عليه وسلم تختم في اليسار بل قال في آخر الباب علي مافي بعض النسخ وفي جامعه روى بعض اصحاب قتادة عن قتادة عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم تختم في يساره وهو حديث لايصح ولذا رجح كثير من أهل العلم الاحاديث المذكورة في هذا الباب وأكثرها صحاح لكن استدل الجمهور برواية مسلم عن انس رضي الله عنه كان خاتمه صلى الله عليه وسلم في هذه وأشار لخنصر يسراه وبرواية أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يتختم في يسراه ويقول بعض الحفاظ التختم فيها مروي عن عامة الصحابة والتابعين ويقول الحافظ ابن رجب ورد في حديث ان تختمه في يساره هو آخر الامرين من فعله صلى الله عليه وسلم وبأن وكيعا قال التختم باليمين ليس بسنة او لاجل اختلاف أحاديث التختم أجمع الفقهاء كما قاله النووي على جواز التختم في اليمين واليسار واختلفوا أيهما أفضل فتختم كثير من السلف في اليمين وتختم كثيرون في اليسار واستحب مالك اليسار اه أي لما ورد من انه آخر الامرين من فعله صلى الله عليه وسلم وبذلك وفق الذهبي بين أحاديث التختم المختلفة ولانه ابعد من الخيلاء والكبر لقلة حركات اليسرى ولانه يكون كالمودع فيها ويحصل تناوله منها باليمين وكذا وضعه فيها ولذا قال في الرسالة والاختيار مما روي في التختم التختم في اليسار لان تناول الشيء باليمين فهو يأخذه بيمينه ويجعله في يساره اه وكأنه أشار بقوله لان تناول الخ الى جواب مايقال التختم من باب التكريم فينبغي أن يكون باليمين فاجاب بان معنى التختم باليمين أن يأخذ الخاتم بيمينه فيجعله في يساره وقال الشيخ زروق وجه الدلالة انه الامر الايسر وقد جاء في الحديث التختم في اليمين وفي اليسار والخلاف في الاولوية وقد الف في الخاتم ونقشه وغير ذلك من أحكامه اه وأما قول ابن حجر جوابا عما تقدم من أدلة التختم في اليسار ان حديث التختم في اليمين رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والمصنف وقال قال محمد يعني البخاري

ذلك من الحكايات المذكورة عند القوم وقد جلب ذلك الامام سيدى عبدالله بن عباد فى شرح الحكم جملة وافرة فانظره ويروى ان أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه سيدنا يوسف علي نبينا وعليه الصلاة والسلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل فى القرآن الكريم قطع النسوة أيديهن لملاحظة جماله حتى ما أحسسن بذلك ويرحم الله القائل (١)

(١٢٢) سقمى فى الحب عافيتى * ووجودى فى الهوى عدمي وعذاب ترتضون به *

في فمى احلى من النعم
ما لضر فى محبتكم

عندنا والله من الم

(الثانى) هذه الامتحانات التى تقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام اشتملت علي حكم وفوائد منها علم كثير من الأحكام الشرعية كصلاة الخوف واتخاذ الحراس عند الخوف من العدو فقد كان له صلى الله عليه وسلم حراس يحرسونه حتى نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال ياايها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله عز وجل وكالتداوي عند المرض وان ذلك لا ينافى التوكل فقد كان صلى الله عليه وسلم يحتجم ويشرب الدواء وكاستعمال الصبر والرضا والاستسلام والتفويض عند نزول المكاره والدعاء علي المتمردين كما تقدم في دعائه صلى الله عليه وسلم علي ابى جهل واصحابه لانه لحق الله لا لحق نفسه ومنها تكثير الأجر واعظام الثواب ومضاعفة العطاء قال صلي الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال قال الله سبحانه اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وسأل صلى الله عليه وسلم طائفة من الصحابة فقال ما انتم قالوا مؤمنون قال ما علامة ايمانكم القاسم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وظهور اثر الرضا فيما يخالف هوى النفس ازيد واكثر ومن هنا تظهر لك حكمة كون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اشد الناس بلاء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل ومنها

هذا أصح شيء روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب اه فقال فى جمع الوسائل لا يخفى على أولى الالباب انه لا يصلح للجواب اه وجنحت طائفة الى استواء الامرين وجموا بين الاحاديث المختلفة بذلك وأشار اليه ابو داود حيث ترجم باب التختم فى اليمين واليسار ثم أورد الاحاديث مع اختلافها فى ذلك بغير ترجيح وهذا هو المفهوم من قول العراقى رحمه الله مع الاشارة الى جمع آخر

يلبسه كما روى البخارى * في خنصر يمين أو يسار
كلاهما فى مسلم ويجمع * بان ذا فى حالتين يقع
أو خاتمين كل واحد بيد * كما بفص حبشى قد ورد

(حدثنا محمد بن سهل بن عسكر البغدادى) تقدم فى داليه أربعة اوجه (وعبدالله بن عبدالرحمن قالا) اى ابن سهل وعبدالله (نا يحيي بن حسان) تقدم انه يجوز فيه الصرف وعدمه (نا سليمان ابن بلال) أخرج حديثه الستة (عن شريك بن عبدالله بن أبى نمر) ذكر جده تمييزا له عن شريك ابن عبدالله القاضى (عن ابراهيم بن عبدالله بن حنين) مصغراً (عن أبيه) اخرج حديثه الستة (عن علي ابن ابى طالب رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه فى يمينه) وجهه من اختاره بان التختم فيه نوع تشريف وزينة واليمين بها اولى قلت ينافى كون ذلك للزينة جعل فصه مما يلى كفه فانه تحرز عن الزينة بقدر الامكان ولذلك طرح خاتم الذهب كما يأتي والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيي نا احمد بن صالح) روي عنه البخاري وابو داود (نا عبدالله بن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن عبدالله بن ابي نمر نحوه) أورده المصنف من وجهين وقد صححه بن حبان واخرجه ابو داود والنسائى * قال المصنف (حدثنا احمد بن منيع نا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة قال رأيت ابن ابى رافع) اسمه عبد الله شيخ لحماد بن سلمة روى عنه الاربعة (يتختم فى يمينه فسألته عن ذلك) أى سببه (فقال رأيت عبدالله بن جعفر اى ابن ابي طالب الهاشمى احد الأجواد ولد بارض الحبشة وله صحبة مات سنة ثمانين وهو ابن ثمانين اخرج حديثه الستة (يتختم فى يمينه وقال عبدالله بن جعفر كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه) * قال المصنف (حدثنا يحيي بن موسى نا عبدالله بن نمير) مصغرا (نا ابراهيم بن الفضل) قال فى جمع الوسائل لم اطلع علي ترجمته قلت تبع هذا العصام قال المناوى وهو قصور هو ابراهيم بن الفضل بن سليمان المخزومى قال الذهبى شيخ مدنى روى عنه المصنف وابن ماجه وقال ابن معين ضعيف لا يثبت حديثه ليس بشيء وقال جمع متروك وقال احمد ليس بقوى (عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن عبدالله بن جعفر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه) اورده المصنف من وجهين ايضا * قال المصنف (حدثنا ابو الخطاب زياد بن يحيي) اخرج حديثه الستة (نا عبدالله بن ميمون) ضعيف بالاتفاق كما سيأتي (عن جعفر بن محمد) اى الصادق لقب به لكمال صدقه اخرج حديثه البخارى في التاريخ ومسلم والاربعة أمه فروة بنت

---

(١) هو الامام ابو حامد الغزالى رواها عنه ونسبها له تلميذه ابو بكر بن العربى كما فى الطبقات لابن السبكى اه من خط المؤلف

الاقتداء بهم عليهم الصلاة والسلام أى التخلق باخلاقهم عند نزول البلايا وهذا غير علم الاحكام اذ لا يلزم من العلم العمل ومن أخلاقهم عند تكذيب الخلق لهم وتسلطهم عليهم الصبر الجميل والرحمة لهم والعفو عنهم ورؤية الفعل من الله دونهم والاعراض عنهم والتعلق بالله والاكتفاء به وسلط الله عليهم اذاية الخلق أولا ليعلم بعد نصرهم انهم رسل الله وان نصرهم ليس الا من الله وبالله لان الخلق كانوا لهم أولا أعداء ثم ظفرهم الله بهم ونصرهم عليهم ولذلك لم يكونوا من أبناء الملوك والرؤساء وانظر قول هرقل هل كان من آبائه من ملك ثم قال فذكرتم ان لا فلو كان فى آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه اه

القاسم ابن محمد بن أبى بكر رضى الله عنهم قال له يوما سفيان الثورى لا أقوم حتى تحدثنى فقال جعفر اما انى أحدثك وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان ان انعم الله عليك بنعمة فاحببت بقاءها فاكثر من الحمد والشكر عليها فان الله عز وجل قال فى كتابه لئن شكرتم لازيدنكم واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فان الله تعالى قال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا يعنى الدنيا والآخرة يا سفيان اذا كربك أمر من سلطان او غيره فاكثر من لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فانها جناح الفرج وكنز من كنوز الجنة فعقد سفيان بيده وقال ثلاثا وأى ثلاث قال جعفر عقلها والله أبو عبد الله ولينفعنه الله بها وقال استنزلوا الرزق بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكاة ومن أحزن والديه فقد عقهما ومن ضرب بيده على فخذه عند مصيبة فقد حبط أجره ومن احتفر لاخيه بئرا سقط فيها ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ودخل على المنصور وقد اضجره ذباب فقال له المنصور يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة وقال لا يتم المعروف الا بثلاثة بتعجيله وتصغيره وستره وابنه موسى الكاظم كان اعبد اهل زمانه واعلمهم واسخاهم وفيه قال الشافعى رضى الله عنه قبر موسى الكاظم الترياق المجرب وحفيده على الرضا بن موسى الكاظم كان اوحد أهل زمانه اسلم على يده معروف الكرخى أستاذ السرى السقطى وكان معروف يقول للسرى اذا كانت لك الى الله حاجة فاقسم عليه بى وعلى هذا هو الذى دخل نيسابور فتعرض له ابو زرعة الرازى ومحمد بن اسلم الطوسى فى خلائق لا يحصون وطلبوا منه ان يحدثهم بحديث من آبائه فقال حدثنى ابو موسى الكاظم عن ابيه جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن ابيه على زين العابدين عن ابيه الحسين شهيد كربلاء عن ابيه على بن ابى طالب رضى الله عنه قال حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثنى جبريل قال سمعت رب العزة سبحانه يقول لا اله الا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى فعد اهل المحابر الذين كانوا يكتبون فانافوا على عشرين الفا قال الامام احمد لو قرأت هذا السند على مجنون لبرئ من حينه وولده محمد بن على الرضا كان العجب فى العلم والحلم قال له رجل أوصنى توصية مختصرة جامعة فقال له صن نفسك عن عار العاجلة ونار الآجلة ومن كلامه كيف يضيع من الله كافله وكيف ينجو من الله طالبه ومن انقطع الى غير الله وكله الله اليه ومن عمل على غير علم أفسد اكثر مما يصلح (عن ابيه) أى محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب الملقب بالباقر لانه بقر العلم أى شقه وعلم أصله وفرعه وجليله وخفيه أمه أم عبد الله بنت الحسن بن على ابن أبى طالب وهو تابعى جليل سمع جابرا وأنسا وروى له البخارى ومسلم كان رضى الله عنه يقول فى جوف الليل أمرتنى فلم أأتمر وزجرتنى فلم ازدجر هذا عبدك بين يديك ولا اعتذر وقال يا جابر انزل الدنيا كمنزل نزلت به فارتحلت عنه او كمال اصبته فى منامك فاستيقظت وليس معك

(كمد عن نبيه كفها اللـ*ـه
وفى الخلق كثرة واجتراء
اذ دعا وحده العباد وأمست
منه فى كل مقلة أقذاء)

الكف المنع والخلق أى المخلوقون الذين هم اعداؤه والاجتراء الجرأة والشجاعة والاقدام على فعل ما خطر فى النفس من غير نظر فى عاقبته واذ ظرف لكف اى وقت دعا أى طلب حال كونه وحده اى منفردا والعباد جمع عبد أى دعاهم الى توحيد الله تعالى وعبادته وأمست اى حصلت فى المساء والمراد مجرد الحصول فى كل الازمنة منه صلى الله عليه وسلم فى كل مقلة منهم وهى شحمة العين التى تجمع السواد والبياض أقذاء جمع قذى وهو ما يسقط فى العين مما يؤلمها ويكدرها حتى يصير صاحبها غير قادر على ان يرفع رأسه فاستعير لما أصابهم من الذل والهوان بسبب الكفر والطغيان يشير الى انه صلى الله عليه وسلم فى ابتداء أمره مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده وينادى عليهم فى أنديتهم بتسفيه أحلامهم وسب آلهتهم ورميها بكل عيب وسوء فيبالغون حتى اقرب اقاربه كعمه ابولهب فى اذايته والتجرئ عليه لكثرتهم ووحدته وهو مع ذلك محروس بحراسة الله تعالى مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه ورعايته متمادعلى ماهو فيه غير ملتفت لاذاهم بل صابر عليه الصبر الجميل وامره لا يزداد الا ظهورا وعلوا واصحابه واعوانه يكثرون ويتقوون على اعدائهم شيأ فشيأ الى ان مكنه الله من نواصى اعدائه فاذاق من بقى منهم على كفره الهوان واحل من خضع منهم لعزته مأمن البقاء والامان وقد ذكر القاضى عياض فى الشفاء كثرة من اراد اذاية النبى صلى الله عليه وسلم

(م قوم بقتله فابى السيـــف وفاء وفاءت الصفواء وأبو جهل اذ رأى عنق الفحـــل اليه كأنه العنقاء)

أبى السيف اى امتنع من الوصول اليه لاجل الوفاء بما أخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد عليه السلام واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع غير

مامرة فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة تظله فبينما هو تحتها اذ جاءه اعرابى فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك منى قال الله عز وجل فارتعدت يده وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه وصح عن آخر أنه اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم فاستيقظ فوجده فى يده مصلتا فقال من يمنعك منى قال الله فسقط من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ فعفا عنه فرجع الي قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وروى ان قريشا ضربوه فى يوم أحد بنحو سبعين ضربة بالسيف ولم تعمل فيه شيأ وقوله وفاءت الصفواء أى رجعت الحجارة على من اراد الرمي بها وهو ابو جهل وقت ان رأى عنق الفحل وقد برز اليه كانه العنقاء اى الداهية العظيمة أو الطائر العظيم وكان أبوجهل من أشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع هو وقريش يوما فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالغ فى انذارهم وتسفيه أحلامهم وسب آلهتهم فاظهروا لشدة الامتناع والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم ابو جهل يامعشر قريش ان محمدا قد أبى الا ماترون واني أعاهد الله لاجلس له غدا بحجر مايطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه فاسلمونى عند ذلك أوامنعونى فليصنع بي بنوعبد مناف مابدا لهم فقالوا والله مانسلمك لشيء ابدا فلما أصبح أخذ حجرا كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش ينظرون احتمل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يده علي حجره حتى قذفه فقاموا اليه وقالوا مالك ياأبا الحكم قال قمت اليه لافعل به ماقلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل لا والله مارأيت مثل هامته ولامثل صورته وانيابه لفحل قط فهم بي ان يأكلنى

منه شيء وانما هى مع اهل الله والعاملين لله تعالى كفيء الظلال فاحفظ ما استرعاك الله تعالى من دينه وحكمته وقال كان أخ لى فى عينى عظيم وكان الذى عظمه في عينى صغر الدنيا في عينه وقال انا لندعو الله بما نحب فاذا وقع ما نكره لم نخالف الله عز وجل فيما أحب ووالده زين العابدين علي بن الحسين وهو الذى مدحه الفرزدق بقصيدته المعروفة التى منها قوله

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الاحين يبتسم
ماقال لا قط الا فى تشهده * لولا التشهد كانت لاءه نعم

دخل علي محمد بن اسامة بن زيد فى مرضه فجعل يبكى فقال ماشأنك فقال علي دين فقال كم هو قال خمسة عشر ألف دينار قال فهو علي وكان يقول ان صدقة السر تطفيء غضب الرب عز وجل وكان يحمل جراب الدقيق ليلا علي ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة ولما مات وجدوه يقوت مائة اهل بيت بالمدينة وسبه رجل فتغافل عنه فقال له الرجل اياك أعنى فقال وعنك أعرض اشارة لقوله تعالى خذ العفو الآية (عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه) قال العسقلانى في اسناد هذا الحديث لين اى لان عبد الله بن ميمون تكلم فيه قال البخارى ذاهب الحديث وقال أبو زرعة واهى الحديث وقال المصنف منكر الحديث وقال أبو حاتم متروك وقال ابن حبان لايجوز الاحتجاج بما انفرد به قال في جمع الوسائل أقول للحديث شواهد كما ترى فقوى بذلك روايته وخرجت عن حد نكارته *قال المصنف (حدثنا محمد بن حميد الرازى نا جرير عن محمد بن اسحق عن الصلت بن عبد الله) اي ابن نوفل بن حرث بن عبد المطلب أخرج حديثه ابو داود والترمذى (قال كان ابن عباس يتختم فى يمينه ولا اخاله) بكسر الهمزة قال فى القاموس والفتح لغة وهو متكلم اى لاأظنه وهو ظاهر السياق ان قائل ذلك هو الصلت ويحتمل ان يكون لواحد ممن قبله (الاقال) أى ابن عباس (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه) *قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر) هو محمد بن يحيي بن عمر ينسب الى جده (نا سفيان) هو ابن عيينة (عن أيوب بن موسى) اى ابن عمرو بن سعيد بن العاصى الاموي أخرج حديثه الستة (عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة وجعل فصه مما يلى كفه) أى مما يلى بطن كفه كما فى الصحيحين قال العلماء لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك بشيء فيجوز جعل فصه فى باطن الكف وظاهرها وقد عمل السلف بالوجهين وممن اتخذها فى ظاهرها ابن عباس قالوا ولكن الافضل فى باطنها اقتداء به صلى الله عليه وسلم ولانه أصون لنقش فصه واسلم وأبعد من الزهو والاعجاب كذا ذكره النووى فى شرح مسلم وللاعلام بأنه لم يكن يقصد الزينة وانما اتخذه للختم به (ونقش فيه محمد رسول الله) اى هذه الالفاظ (ونهى) اى النبي صلى الله عليه وسلم (ان ينقش) بضم القاف (أحد عليه) أي مثل نقشه لئلا يلتبس أمر الختم ويقع التخليط وقد جاء فى بعض الطرق ان معاذا رضى الله عنه اتخذ خاتما نقش فيه محمد رسول الله فلما علم رسول الله صلى

ويذكر انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل لو دنا منه لاخذه اه (واقتضاه النبي دون الارا * شي وقد ساء بيعه والشراء)
(ورأى المصطفى أتاه بما لم * ينج منه دون الوفا النجاء) (هو ما قد رآه من قبل لكن * ما على مثله يعد الخطاء)

أشار بهذه الابيات الى ما وقع لكهلة بن عصام بن أراش وذلك انه لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها منه أبو جهل ثم مطله بأثمانها فوقف الاراشي على نادمن قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد فقال يامعشر قريش هل من رجل يخلصني من أبي الحكم بن هشام فاني غريب ابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا لا يخلصك الا ذلك الرجل يهزؤن به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة اذهب اليه فهو يخلصك منه فأقبل الاراشي حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله ان أبا الحكم قد غلبني على حقي وقد سألت أولئك القوم فاشاروا اليك تخلصني منه يرحمك الله قال انطلق اليه وقام معه فلما رأوه قام معه قالوا لرجل اتبعه فانظر ماذا يصنع فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بابه فضربه عليه فقال من هذا فقال محمد فاخرج الى فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال أعط هذا حقه قال نعم لا يبرح حتى يأخذه فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه فأقبل الاراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله تعالى خيرا فقد والله أخذ لي حقي وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت قال رأيت عجبا من العجب والله ما هو الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه ومامعه روحه فقال أعط هذا الرجل حقه قال نعم لا يبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فأعطاه اياه ثم لم يلبث أبو جهل ان جاء فقالوا له ويلك مالك والله مارأينا مثل ماصنعت قط قال ويحكم والله ماهو الا ان ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجب اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل مارأيت مثل هامته ولا صورته ولا أنيابه لفحل قط والله لو أبيت لا كلني اه قوله وقد ساء بيعه والشراء أي بئس وقبح أي ما أسوأ بيعه وشراءه مع هذا الرجل وغيره قوله ورأى المصطفى أي ومن ثم رأى أبو جهل اللعين المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أتاه بما أي بفحل من الابل اى بملك في تلك الصورة وينج بفتح ثم ضم أو بضم ثم كسر من نجا ينجو وأنجى ينجي فعلى الاول يكون النجاء

صلى الله عليه وسلم به قال آمن كل شيء من معاذ حتى خاتمه ثم اخذ ذلك الخاتم من معاذ فكان في يده رواه الدميري في شرح المنهاج للنووي فاما ان يقال كان هذا قبل النهي او لم يبلغه النهي او حمل النهي على التنزيه وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم له يدل على ان ذلك لم يكن خصوصية لمعاذ خلافا لمن زعمه انظر جمع الوسائل (وهو الذي سقط من معيقيب) بضم الميم وفتح المهملة وسكون التحتيتين وقاف مكسورة بينهما وموحدة في آخرها وهو ابن ابي فاطمة الدوسي بدري ابتلي بالجذام فعولج منه بأمر عمر بن الخطاب بالحنظل فتوقف أمره وهو مولى سعيد بن العاصي خلافا لقول ابن حجر انه غلام عثمان وكان أسلم قديما وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وأقام بها حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة واستعمله أبو بكر وعمر وعثمان على بيت المال (في بئر أريس) تقدم * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا حاتم بن اسمعيل عن جعفر بن محمد) هو الصادق بن الباقر (عن أبيه قال كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يتختمان في يسارهما) أي اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه فعله في آخر أمره ولو لم يريا النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في يساره لما فعلاه وبهذا يظهر وجه مناسبة الحديث لعنوان الباب وقد أخرج أبو الشيخ بن حبان في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من طريق سليمان بن بلال عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان وعليا والحسن والحسين رضي الله عنهم كانوا يتختمون في اليسار وأخرج البيهقي في الادب من طريق جعفر نحوه ولم يذكر عثمان والله اعلم ولا يخفى ان هذا الحديث منقطع لان محمدا لم يرالحسين وكان ينبغي تأخيره عن أحاديث الباب أو تقديمه اذ لا يحسن الفصل بينها به * قال المصنف (حدثنا محمد بن عبيد المحاربي) نسبة لبني محارب قبيلة من العرب أخرج حديثه أبو داود والترمذي والنسائي (نا عبد العزيز بن أبي حازم) أخرج حديثه الستة (عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب فكان يلبسه في يمينه) أي قبل تحريم الذهب على الرجال في رواية للبخاري عن ابن عمر وجعل فصه مما يلي كفه ونقش فيه محمد رسول الله (فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فطرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي رواية البخاري من طريق جويرية فرق المنبر وأثنى عليه فقال اني كنت اصطنعته وقال اني لا ألبسه فنبذه فنبذ الناس قال في جمع الوسائل والظاهر ان الفاء في قوله فطرحه تعقيبية لا تفريعية خلافا للعصام في قوله ان المنهي عنه الاتخاذ من غير اعتبار اللبس اذ ليس في الحديث مايدل على ان الطرح قبل لبسهم بل قوله (وقال لا ألبسه أبدا) يدل على ان المكروه لبسه لا مجرد اتخاذه وكذا قوله (فطرح الناس خواتيمهم) يدل على ان المقصود كراهة اللبس وانهم لبسوه قال ابن حجر وهذا هو الناسخ لحله مع قوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة وقد أخذ ذهبا في يد وحريرا في يد هذان حرام على ذكور أمتي حل لاناثهم اه والنهي عن خاتم الذهب يحتمل ان يكون من أجل المشاركة أو

علي وزن ضراب مبالغة في الناجي اى رأى المصطفى أتاه بما لم ينج منه دون الاداء للاراشي الناجي وعلي الثاني يكون النجاء بفتح النون وتخفيف الجيم أي النجاة أي لا تنجيه نجاة من هروب ونحوه دون وفاء الدين الذى عليه ثم أخبر الناظم ان هذا الفحل الذي رآه في هذه الواقعة هو الفحل الذى رآه في الواقعة قبلها لكن لا استغراب في ذلك لان هذا اللعين ما على مثله في العتو والتهور السالبين لادراكه والموجبين لهلاكه وهو أبلغ من عليه علي حد مثلك لا يبخل والخطاء بالمد لغة في المقصور أي لا يستغرب في حقه تكرار

لافعال المنكرة والامور المستقبحة لعتوه وسفاهته ووقاحته فخطؤه لا ينحصر ومعايبه لا تعد لما طبع الله علي قلبه من الكفر وسبق له في سابق الازل من سوء الخاتمة والعياذ بالله ولذا تصدى لاذاية النبي صلى الله عليه وسلم وتمكن منها ظاهرا في بعض الاحيان كغيره ممن سبقت له الشقاوة فيكون ذلك سببا لاهلاكهم وظهور عزة النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته انظر ابن حجر

(وأعدت حمالة الحطب الفه
روجاءت كانها الورقاء)
(يوم جاءت غضبى تقول أفي مثـ
لي من أحمد يقال الهجاء)
(وتولت ومارأته ومن أي
ن ترى الشمس مقلة عمياء)

أي هيأت حمالة الحطب وهي أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان زوجة أبي لهب لقبت بذلك لانها كانت تحمل الشوك وتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم والفهر الحجر الذى يملأ الكف والحال انها جاءت كأنها الورقاء أي الحمامة في شدة الاسراع وأعدت ذلك يوم جاءت في حال كونها غضبى من شدة ما سمعت قائلة أفي مثلي وأنا بنت سيد مخذوم يقال الهجاء اي السب والذم حال كونه صادرا من أحمد وتولت أي رجعت والحال انها ما رأت النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تراه وهو في ظهوره للقلوب لا يصح السليمة والعقول المستقيمة كالشمس بل أظهر وهي أي تلك المرأة اللعينة في غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة ومن أين ترى الشمس عين عمياء وذلك أنه لما نزل فيها وفي زوجها سورة تبت يدا أبي لهب الخ وسمعت ما اشتملت عليه السورة من ذمها وذم زوجها اشتد غضبها فحملت حجرا في يدها وقصدت به النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد مع أبي بكر فلما رآها ابو بكر قال يا رسول الله انها

من زهوهم بلبسه ويحتمل ان يكون لكونه من ذهب وصادف وقت تحريم لبس الذهب علي الرجال واعلم ان الجمهور علي ان النهي للتحريم وذهب بعض العلماء الى أنه للتنزيه فقول عياض الناس مجمعون على تحريمه اما أن يكون أراد بالناس الجمهور أو يقال انقرض قول من قال بكراهة التنزيه واستقر الاجماع بعد علي التحريم والافقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه ان جماعة من الصحابة كسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وصهيب وجابر بن سمرة وعبد الله بن يزيد الخطمي وحذيفة وأبي أسيد كانوا يجعلون خواتم من ذهب وأغرب من هذا ان البراء روى عنه حديث النهي المتفق على صحته وهو حديث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع وذكر الحديث وفيه نهانا عن خاتم الذهب وقد ورد ان البراء كان يلبسه روى أحمد عن البراء قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فألبسنيه فقال البس ما كساك الله ورسوله قال العسقلاني ثبت عن البراء انه لبسه بعد النبي صلى الله عليه وسلم فالجمع بين روايته وفعله اما بان يكون حمل النهي على التنزيه أو فهم الخصوصية من قوله البس ما كساك الله ورسوله ثم ذكر ما يؤيد هذا الاحتمال الثاني فانظره *(تنبيهان)* الاول فهم مما تقدم حكم التختم بالفضة وبالذهب وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى بيد رجل خاتما من ذهب فقال انزع عنك حلية أهل النار ثم جاء وفي يده خاتم من صفر فقال مالي أجد منك ريح الاصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال مالي أرى عليك حلية أهل النار قال يا رسول الله مم أتخذه قال اتخذه من فضة ولا تتمه مثقالا كذا ذكره عز الدين بن جماعة في سيرته وحديث الشيخين اطلب ولو خاتما من حديد يدل علي ان النهي ليس للتحريم بل للكراهة وهو الذي نقله البرزلي عن ابن رشد وظاهر الرسالة المنع وعليه فقوله في الحديث ولو خاتما من حديد المراد منه المبالغة فلا يدل علي الجواز وروي أبو داود بسند جيد انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم حديد ملوى عليه فضة قال بعضهم ولعل هذا الخاتم خاتم الفضة التي قال الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم طرحها بعد ان لبسها وتقدم في الباب قبل هذا ما قيل في رواية الزهري هذه أو يحمل حديث النهي عن الحديد علي ما كان صرفا *(الثاني)* في خبر ضعيف كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد حاجة أوثق في خاتمه خيطا وروي أبو يعلى كان صلى الله عليه وسلم اذا أشفق من الحاجة ان ينساها ربط في أصبعه خيطا ليذكرها لكن قيل انه موضوع ذكره ابن حجر والله أعلم * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا محمد بن عيسى وهو ابن الطباع) أخرج حديثه البخاري في التعليق والاربعة (حدثنا عباد بن العوام) أخرج حديثه الستة (عن سعيد ابن ابي عروبة) أخرج حديثه الستة عن قتادة عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم تختم في يمينه * قال المصنف في جامعه هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا الا من هذا الوجه وروى بعض أصحاب قتادة عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تختم في يساره وهو حديث

امرأة بذية اللسان فلو قلت فقال انها لن تراني بجامت فلم ترهفقالت يا أبابكر أين صاحبك كيف يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله انى لشاعرة وأنشدت مذمما عصينا * وأمره أبينا وكانت قريش تسمى رسول الله صلي الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه فكان عليه الصلاة والسلام يقول ألا تعجبون لما صرف الله تعالى عنى من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد فقال لها ابو بكر لا والله هو لا يقول الشعر فقالت أنت عندى مصدق فانصرفت فقلت يارسول الله كيف لم ترك قال لم يزل ملك يسترنى منها بجناحيه وفى رواية قد أخذ الله تعالى ببصرها عنى وفى تفسير النسفى وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل

لا يصح أيضاً اه قال في جمع الوسائل وأغرب ابن حجر فجعل هذا الذى في جامعه من متن الشمائل أيضاً اه وهوله لا يصح أيضاً أى من هذا الوجه والا فقد صح من طريق أخري وقد تقدمت رواية مسلم عن أنس وأبي داود عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختم فى يساره وتقدم ان النووى قال كلتا الروايتين صحيحة

باب
ماجاء فى صفة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر تراجم آلات الحرب بعد ترجمة الخاتم التى اتخذها الختم رسائل الملوك اشارة الى أن القتال انما يكون بعد الدعاء الى الاسلام وبدأ من آلات الحرب بالسيف لانه أنفعها وأيسرها وأغلبها استعمالا وأيضاً فان تحلية السيف رخصة للذكور كاتخاذ خاتم الفضة * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا وهب بن جرير نا أبى عن قتادة عن أنس قال كان قبيعة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة أخرجه المصنف فى جامعه أيضاً وأبو داود والنسائى والدارمي والقبيعة بفتح القاف وكسر الموحدة ماعلي رأس مقبض السيف من فضة أو حديد أو غيرهما علي ماقاله الجوهرى ونحوه فى النهاية وقيل هى ماتحت شاربي السيف مما يكون فوق الغمد فيجيء مع قائم السيف وقائم السيف مقبضه قاله الزبيدى ولا خصوصية للقبيعة فقد جزم ابن القيم بان قائمته وحلقته وذؤابته وبكارته ونعله من فضة ويدل له مارواه ابن سعد عن عامر قال أخرج الينا علي بن الحسين سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قبيعته من فضة وحلقته التى يكون فيها الحمائل من فضة وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال كانت نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلقته وقبيعته من فضة وعن أنس قال كانت نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة وقبيعته فضة ومابين ذلك حلقة فضة انظر المناوى وكانت له عليه السلام تسعة أسياف لكل واحد اسم خاص وكأنه لم يثبت عند المصنف عددها ولا أسماؤها فلذلك لم يذكرها وقال العراقى رحمه الله أسيافه الحتف وذو الفقار * مأثور والعضب مع البتار
كذاك مخذم كذا رسوب * والقلعى لميسم والقضيب

وكانت القبيعة لسيفه ذي الفقار بكسر الفاء وفتحها وكان لا يكاد يفارقه ودخل به يوم الفتح مكة وهو الذى رأى فيه الرؤيا أى وقعة أحد وسمى ذا الفقار لان فى ظهره فقرات كفقرات الظهر غنمه عليه السلام من بدر وقيل صنع من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن سعيد بن أبى الحسن) أخى الحسن البصرى اخرج حديثه الستة وهذا الحديث مرسل لانه من أوساط التابعين لكن يشهد له الحديث المتقدم (قال كانت قبيعة سيف رسول الله صلي الله عليه وسلم من فضة) * قال المصنف (حدثنا أبو جعفر محمد بن صدران) بضم مهملة وسكون أخرى (البصرى نا طالب بن حجير) أخرج أيضاً حديثه البخاري فى الادب المفرد له (عن هود)

(ثم سمت له اليهودية الشا
ة وكم سام الشقوة الاشقياء
فاذاع الذراع مافيه من سم
م بنطق اخفاؤه ابداء
وبخلق من النبي كريم
لم تعاقب بجرمها العجماء

أى ثم بعد ماوقع له صلى الله عليه وسلم من هذه الكرامات وقعت له كرامة أخرى فى غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة وهى انه صلى الله عليه وسلم سمت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية الشاة أى جعلت له سما قاتلا لوقته بعد ان شوتها وأكثرت منه فى الذراع والكتف لانها أخبرت أنه يحبه وكم مرات كثيرة سام من السوم الذي هو مقدم الشراء وبين سام وسمت تجنيس شبه الاشتقاق الشقوة أى ثابر عليها وتجلى بها الاشقياء الذين صاروا كالانعام بل هم أضل سبيلا ومنهم تلك المرأة وبينهما تجنيس الاشتقاق فاذاع أى أظهر له صلى الله عليه وسلم الذراع مافيه من سم بنطق معجزة له صلى الله عليه وسلم واخفاؤه عن الحاضرين ابداء له صلى الله عليه وسلم وبخلق من النبي كريم بل لا أكرم منه لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم أى بسبب ماتحلى به من كمال الحلم والعفو والصفح لم تقاصص بجرمها وفي نسخة بجرحها لان السم يجرح البواطن كما يجرح الحديد الظاهر العجماء البهيمة شبهها بها فى قلة العقل المؤدى لهلاكها بتعرضها لاكبر

الايذاء لسيد الوجود لفظ البخارى فى القضية التى أشار اليها الناظم فى كتاب الجزية والطب من طريق الليث عن سعيد عن أبى هريرة قال لما فتحت خيبر أهديت للنبى صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال صلى الله عليه وسلم اجمعوا الى من كان ههنا من اليهود فجمعوا اليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقونى عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبوكم قالوا أبونا فلان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان فقالوا صدقت وبررت فقال هل أنتم صادقونى عن شىء ان سألتكم عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفوننا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها (١) والله لا نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقونى عن شىء سألتكم عنه فقالوا نعم فقال هل جعلتم (٢) فى هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك فقالوا أردنا ان كنت كذابا أن نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وفى حديث جابر عند أبى داود ان يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها (٣) وأكل رهط من أصحابه معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم وأرسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتنى هذه فى يدى للذراع فقالت نعم قلت ان كان نبيا لم يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه ففاعنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله من

بالتنوين (وهو ابن عبد الله بن سعيد) أى العبدى قال فى جمع الوسائل كذا وقع فى بعض نسخ الشمائل المقروءة وصوابه سعد بغير ياء أخرج أيضا حديثه البخارى فى الادب (عن جده) أى لامه كما فى نسخه وهو مزيد بفتح الميم واسكان الزاى وفتح الياء كذا ضبطه الاكثر قال العسقلانى ككبيرة ابن مالك العصرى بفتح مهملتين العبدى ابن عبد القيس صحابى قال ابن منده وكان من الوفد الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنزلت فقبلت يده (قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح) كان ذلك فى اليوم العاشر من شهر رمضان المعظم سنة ثمان من الهجرة وكان فى عشرة آلاف وكان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى حنين فاستعمل على مكة عتاب بن أسيد يصلى بهم ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفرائض وفى ذلك دليل على ان الصلاة والعلم أهم أمور الدين وآكد ذلك العلم فانه ملاك الامر (وعلى سيفه ذهب وفضة قال طالب فسألته عن الفضة) أى ما محلها من السيف (فقال كانت قبيعة السيف فضة) فهم من هذا الحديث جواز تحلية السيف بالذهب كما يفهم منه ومن الاحاديث قبله جوازها بالفضة وعلى الجواز فيهما اقتصر الشيخ خليل وقيل لا تجوز تحلية السيف بالذهب وأما قوله وعلى سيفه ذهب وفضة فيحتمل أن المراد ان فضته كانت مموهة بالذهب وليس المراد انه كان فيه ذهب خالص ويرشد الى هذا قوله فسألته عن الفضة حيث لم يسأل عن الذهب على ان هذا الحديث ضعيف وقد ذكره صاحب الاستيعاب فى ترجمة مزيد العبدي وقال ليس اسناده بالقوى وقال ابن القطان هو عندى ضعيف لا حسن وقال أبو حاتم الرازى منكر ولا يصح الجواب بأن هذا قبل ورود النهى عن تحريم الذهب لان تحريمه كان قبل الفتح على ما نقل الشيخ زروق والمشهور فى تحلية سائر آلات الحرب المنع وثالثها الجواز فيما يطاعن به ويضارب دون ما يتقى به ويتحرز اه فعلى المشهور لا تجعل الحلية فى لجام ولا سرج ولا سكين ولا فى غير ذلك من آلات الحرب اقتصارا على ما ورد فى الشرع وهو السيف وقال الحطاب على قول الشيخ خليل وحرم استعمال ذكر محلى ولو منطقة وآلة حرب الا المصحف والسيف أشار بلو الى الاقوال الثلاثة المقابلة للقول المشهور وهى الجواز مطلقا والجواز الا فى السرج واللجام والسكاكين والمهاميز والجواز الا فى هذه وفيما يتقى به اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن شجاع) بضم الشين وقيل انه مثلث (البغدادى) أخرج حديثه النسائى أيضا (نا أبو عبيدة الحداد) أخرج حديثه أيضا البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى (عن عثمان بن سعد) ضعيف أخرج حديثه أيضا أبو داود (عن ابن سيرين) لقب لمحمد بن سيرين من بين اخوته (قال صنعت) وفى نسخة صغت والمراد انه أمر بذلك (سيفى على سيف سمرة) أى ابن جندب اى على شكله وصفته (وزعم سمرة) اى سمرة أو ظن (أنه صنع) بصيغة المعلوم أو المجهول من الصنع (سيفه) وفى نسخة صيغ بصيغة المجهول

(١) قوله اخسؤا أى اسكتوا فيها سكوت ذلة وهوان وانزجروا انزجار الكلاب عن هذا القول اه (٢) قوله هل جعلتم ويجمع بينهم باعتبار المشاورة والموافقة اه من خط المؤلف (٣) قوله فأكل منها أى مضغ مضغة ثم رماها أو ازدردها قولان أسنده اليهما بأنه ابتلع ما انفصل منها بريقه دون اللحم اه من خط المؤلف

صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة وفى رواية غيره جعلت زينب بنت الحرث امرأة ابن مشكم تسأل أى الشاة أحب الى محمد فيقولون الذراع فعمدت الى عنزلها فذبحتها وأصلتها ثم عمدت الى سم لا يطفئ يعنى لا يلبث ان يقتل من ساعته وقد شاورت يهود فى سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتف فوضعت بين يديه ومن حضر من أصحابه وفيهم بشر بن البراء (١) فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع (١٢٩) فانتهش منها وتناول بشر عظما آخر

من الصوغ وسيفه نائب الفاعل (على سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان) اى السيف (حنفيا) اى على هيئة سيوف بنى حنيفة قبيلة مسيلمة بمعنى انه كان من عملهم وهم معروفون بحسن صنعة السيوف ويحتمل انه أتى به من بنى حنيفة وان لم يكونوا صنعوه ثم يحتمل ان يكون هذا من كلام ابن سيرين اي قال ابن سيرين وكان سيف سمرة حنفيا او من كلام سمرة اي قال سمرة وكان سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم حنفيا ويمكن ان يكون على هذا التقدير ايضا من كلام ابن سيرين على سبيل الارسال انظر جمع الوسائل قال المصنف فى جامعه هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وقد تكلم يحيى بن سعيد القطان فى عثمان بن سعد الكاتب وضعفه من قبل حفظه * قال المصنف (حدثنا عقبة) بضم فسكون (ابن مكرم) بصيغة المجهول من الاكرام (البصري) اخرج حديثه مسلم وغيره (حدثنا محمد بن بكر) أخرج حديثه الستة (عن عثمان بن سعد بهذا الاسناد) اى المذكور قبل (نحوه) كانه يريد الى آخر الاسناد والحديث المتقدم والله اعلم

باب ماجاء فى صفة درع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدرع بكسر الدال المهملة يذكر ويؤنث وهو هنا جبة من حديد ويسمى الزرد يصنع حلقا حلقا وهو من ملابس الحرب فلذلك ذكره المصنف عقب باب السيف وفى هذا الكلام مضاف مقدر اى صفة لبس درعه ليوافق حديثى الباب كذا ذكره بعضهم قال في جمع الوسائل وهو حسن وقول ابن حجر هو غفلة عما يأتي فيهما على انه ليس في أولهما صفة اللبس اه خطا لان في قوله كان عليه درعان صفة لبسه وهو لبس الاثنين فيه اه وكان له صلى الله عليه وسلم سبعة أدرع قال العراقى نفعنا الله به

ادراعه سبعة السغدية * ذات الفضول وكذاك فضة
ذات الحواشى مالها كفاء * ذات الوشاح الخرنق البتراء

وقال بعضهم

سبع من الادراع كانت للرسول * ذات الوشاح والحواشي والفضول
سغدية بتراء ثم خرنق * وفضة فعدها محقق

ويقال السغدية كانت درع داود التى لبسها لقتال جالوت وهى وفضة أصابهما من بنى قينقاع وذات الفضول سميت بهذا الاسم لطولها أرسلها اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر قال بعضهم وهى التى رهنها صلى الله عليه وسلم (١) وأخرج ابن سعد من طريق حاتم ابن اسمعيل وسليمان بن بلال كلاهما عن جعفر بن محمد عن أبيه قال كان درع النبى صلى الله عليه وسلم لها حلقتان من فضة عند موضع الثدى اوقال عند موضع الصدر وحلقتان خلف ظهره

(١) بياض بالنسخ بايدينا ولعل الشارح أراد ان يكتب عند ابى الشحم اليهودى اه

فلما ازدرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمته ازدرد بشر بن البراء مافي فيه وأكل القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع تخبرنى انها مسمومة وفيه ان بشر بن البراء مات (٢) وفيه انه دفعها صلى الله عليه وسلم الى أولياء بشر بن البراء فقتلوها (٣) رواه الدمياطي وفى مغازى سليمان التيمى أنها قالت ان كنت كاذبا أرحت الناس منك وقد استبان لى الآن انك صادق وأنا أشهدك ومن حضر أنى علي دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال الزهرى فانصرف عنها حين أسلمت وفيه موافقة الزهرى علي اسلامها والحاصل ان الذى فى حديث جابر وأبى هريرة انه لم يأمر بعقابها والذى رواه ابن سعد والدمياطى انه دفعها الى أولياء بشر فيحتمل ان يكون لاجل اسلامها لم يعاقبها وعليه الزهرى والتيمى ومن ثم جزم فى الاصابة بانها صحابية ويحتمل ان يكون تركها أولا لانه لا ينتقم لنفسه ولما مات بشر قتلت قصاصا وهذا هو الذى يستفاد من كلام الناظم ويحتمل ان يكون تركها أولا لكونها أسلمت وانما أخر قتلها حتى مات بشر لان بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه قاله الحافظ ابن حجر العسقلانى قيل وفيه نظر لان قصتها ان صحت على هذا الوجه كان فعلها قبل الاسلام

(١) بشر بن البراء بن معرور الانصارى الخزرجى الصحابى ابن الصحابى البدري وشهد ما بعدها حتى مات رضى الله عنه اه مؤلف (٢) جزم السهيلى بأنه مات بعد حول وقيل من ساعته اه من خط المؤلف (٣) ونحوه عند ابن سعد عن شيخه الواقدى باسانيد متعددة قال وهو الثابت فيقدم على حديث جابر المتقدم اه مؤلف

وبعد الاسلام لا تؤاخذ بما صدر منها اه ويجاب انه صلى الله عليه وسلم اعتبر فى وجوب القصاص الموت لا سببه لان موت ابن البراء كان بعد اسلامها فوجب القصاص ومن هنا نشأ الخلاف بين الفقهاء هل المعتبر فى وجوب القصاص الموت او سببه

(من فضلا على هوازن اذ كا * ن له قبل ذاك فيهم رباء) من هو معطوف بحذف حرف العطف على لم تعاقب خلافا لما

يوهمه كلام الشارح انه استئناف أى انعم نعمة عظيمة فضلا مفعول مطلق كفرحت جذلا أو مفعول لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ماذكر الله تعالى فامامنا بعد واما فداء فمن بتخلية سبيلهم بعد أن ملكهم المسلمون أى رفع الرق عنهم لاجل فضله أى احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلاعوض وعلى هذا فمعنى هذه العلة والتى تليها المستفادة من اذأن منه معلل بشيئين عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه تربى فيهم وعليه فحرف العطف مقدر الثبوت ويصح أن تكون الثانية علة للاولى وايهامه قصر فضلا عليهم غير مؤثر لانه لم يرد مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم سواء علق على هوازن بمن أو بفضلا اكتفاء بقرينة السياق وهوازن قبيلة حليمة السعدية رضى الله عنها وهم أهل حنين المذكور فى القرآن وهو واد قريب من ذى المجاز السوق المشهور من أسواق الجاهلية بناحية عرفة بين ذلك الوادى وبين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم صلى الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما اتفقت أشراف هوازن وثقيف على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان فى اثنى عشر ألفا عشرة جاءت بهم من المدينة وألفان من طلقاء مكة فلما هزمهم صلى الله عليه وسلم قصد الطائف وأمر أن يجعل سبى هوازن وغنائمهم بالجعرانة حتى يأتى اليهم وكان السبى وهو النساء والذرارى ستة آلاف رأس يوم والابل أربعة وعشرون ألفا والغنم فوق اربعين الفا واربعة آلاف أوقية فضة * ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضعة عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم أخذ فى قسمة الغنائم فجاؤا مسلمين فقالوا يارسول الله انا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالا يخفى عليك فامنن علينا بما من الله عليك وقام رجل من بنى حليمة فقال يارسول الله انما فى الحظائر عماتك وخالاتك لانهن

قال فلبستها خطت الارض (حدثنا أبو سعيد عبد الله بن سعيد الاشج) أخرج حديثه الستة (نا يونس بن بكير) أخرج حديثه الجماعة الا النسائى (عن محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير) أخرج حديثه الاربعة (عن أبيه) اى عباد أخرج حديثه الاربعة (عن جده عبد الله بن الزبير) أحد العبادلة الاربعة وهو من كبار متأخرى الصحابة عالم زاهد استخلف بعد معاوية وتملك بلاد الاسلام سوى الشام صلبه الحجاج (عن الزبير بن العوام) كذا فى بعض النسخ وهكذا اخرجه المؤلف فى جامعه وبذكره يكون الحديث مسندا متصلا وبحذف الزبير كما فى بعض النسخ يحتمل ان يكون الحديث من مراسيل الصحابة بأن يكون سمعه من أبيه الزبير وحذفه فى الاصل وعليه يكون قوله بعد فسمعت النبى يقول أوجب طلحة غير كذب والاول أن عبد الله بن الزبير لم يحضر وقعة أحد فان مولده فى السنة الاولى من الهجرة ويقال فى السنة الثانية وهو الارجح ووقعة أحد كانت فى السنة الثالثة من الهجرة ويؤيد كونه مرسلا الحديث بعد ومعلوم ان مرسل الصحابة حجة عند الكل (قال) اى الزبير أو ابنه نقلا عنه (كان على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعان) هما ذات الفضول وفضة كما رواه بعض اهل السير (فنهض الى الصخرة) أى أراد أن يستعلى عليها (فلم يستطع) لثقل درعيه ولان النبى صلى الله عليه وسلم جرح جراحات وسال الدم من رأسه وجبهته لما أصابه من حجر رمى به روى انه صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته اليمنى وجرحت شفته السفلى وشج وجهه ودخلت حلقة المغفر فى وجنته ووقع فى حفرة من الحفر التى عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فسقط بين القتلى حتى قال ابن قمئة أنماه الله قتلت محمدا فأراد صلى الله عليه وسلم أن يستعلى على الصخرة ليراه الناس وتعلم حياته فلم يستطع (فاقعد طلحة تحته) هو طلحة ابن عبيد الله القرشى التيمى أحد المبشرين بالجنة والثمانية الذين سبقوا بالاسلام والستة أصحاب الشورى شهد المشاهد الا بدرا فكان فيها غائبا بالشام فى مصلحة للمسلمين فضرب له النبى صلى الله عليه وسلم بسهمه وسماه طلحة الخير وطلحة الجود وطلحة الفياض باع أرضا بسبعمائة الف ففرقها على فقراء المدينة فى ليلة فما أصبح وعنده منها درهم (فصعد النبى صلى الله عليه وسلم حتى استوى على الصخرة) حجر عظيم يكون غالبا فى سفح الجبل (قال) أى الزبير (فسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول أوجب طلحة) أى فعل فعلا يوجب له الجنة وهو قعوده للنبى صلى الله عليه وسلم حتى استعلى على الصخرة أو حيث جعل نفسه فداء ووقاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جرح بضعا وثمانين جرحا وشلت يده فى دفع الاعداء عنه صلى الله عليه وسلم وكان راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينظر الى القوم فيقول طلحة يانبى الله بأبى أنت وأمى لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك وقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنت ممن قضى نحبه أى نذره كانه ألزم نفسه أن يموت على وصف فوفى به وقال صلى الله عليه وسلم فيه خير شهيد يمشى على وجه الارض وكان أبو بكر اذا ذكر

قرابات حليمة وحاضناتك اللاتى كن يكفلنك ولو أنا أرضعنا الحرث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل مثل الذى نزلت فيه رجونا عطفه وأنت خير المكفولين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فقالوا أبناؤنا ونساؤنا فقال أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر بالمسلمين فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم فضل المسلمين ففعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مرداس من بنى سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من أول سبى من نصيبه بما طابت به نفوسهم فردوا من بقى عندهم

(١٣١)

يوم أحد قال ذلك يوم كله لطلحة قال أبو بكر كنت أول من فاء فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دونه فقلت كن طلحة حيث فاتنى ثم نظرت الى رجل خلفى كأنه طائر فلم أنشب ان ادركنى فاذا أبا عبيدة بن الجراح فدفعنا الى النبى صلى الله عليه وسلم واذا طلحة بين يديه صريع فقال النبى صلى الله عليه وسلم دونكم أخاكم فقد اوجب قال وقد رمي صلى الله عليه وسلم فى جبهته ووجنته فأهويت الى السهم فى جبهته لانزعه فقال لى أبو عبيدة نشدتك الله يا أبا بكر الا تركتنى قال فتركته فاخذ أبو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضنضه اى يحركه ويكره أن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استله بفيه ثم أهويت الى السهم الذى فى وجنته لانزعه قال أبو عبيدة نشدتك الله يا أبا بكر الا تركتنى فاخذ السهم بفيه فجعل ينضنضه ويكره أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استله قتل طلحة رضى الله عنه يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن أربع وستين وقبره بالبصرة مشهور وقضيته هذه من أمثلة الغيبة فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا ما كان في قلبه من عظمة محبوبه وعزته وحلاوة وصله والقرب منه ولذة رضاه ومشاهدته وخدمته لما أطاق ذلك فان الطاقة البشرية لا تقوى على ذلك والشجاعة وان كانت غريزة لكن بلوغ هذا المبلغ العظيم من بذل الروح والفداء بالمهجة لا يكون لمجردها

* قال المصنف (حدثنا ابن أبي عمر نا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خصيفة) بضم معجمة ففتح مهملة أخرج حديثه الستة (عن السائب بن يزيد) حضر حجة الوادع مع أبيه وهو ابن سبع سنين (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليه يوم أحد) أى في السنة الثالثة من الهجرة (درعان قد ظاهر بينهما) أي لبس احدهما فوق الاخري حتى صارت كالظهارة لها والظهارة خلاف البطانة وقيل معناه أوقع الظهارة بينهما بأن لبس درعا ولبس فوقها ظهارة ثم لبس الدرع الاخرى فوق ذلك لان لبس درع فوق أخرى بدون حائل بينهما كالمعتذر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان السائب هذا لم يشهد وقعة أحد لما تقدم وعند أبي داود عن السائب عن رجل قد سماه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر يوم أحد بين درعين وهذا الرجل المبهم يحتمل أن يكون الزبير فانه روي معنى هذا الحديث كما تقدم وقد ذكره صاحب الاستيعاب فى ترجمة معاذ التميمى فقال عن السائب عن رجل من بنى تميم يقال له معاذ ان رسول الله الخ ويحتمل أن يكون طلحة ويؤيده ما وقع فى البخارى عن السائب قال صحبت ابن عوف وطلحة ابن عبيد الله والمقداد وسعدا فما سمعت أحدا منهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنى سمعت طلحة يحدث عن يوم أحد وقد أخرج أبو يعلى من طريق يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن طلحة أنه صلى الله عليه وسلم ظاهر بين درعين يوم أحد انظر العسقلانى وانما ظاهر صلى الله عليه وسلم بين درعين مع انه سيد المتوكلين والعارفين برب العالمين اهتماما بشأن الحرب وتعليما للامة الاخذ بالحذر من العدو واشارة الى أن الحزم والتوقى من الاعداء لا ينافى التوكل والتسليم والرضا اذ ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل

(وأتي السبى فيه اخت رضاع وضع الكفر قدرها والسباء) (فحباها براً توهمت النا س به انما السباء هداء) (بسط المصطفى لها من رداء أي فضل حواه ذاك الرداء) (فغدت فيه وهى سيدة النسـ وة والسيدات فيه اماء)

السبى فى الاصل الاسر والمراد به هنا المسبى اي أتى المأسورون الي الجعرانة للقسم فيها على المسلمين وكان ذلك السبى فيه أخت النبى صلى الله عليه وسلم من رضاع واسمها الشيماء ولما شقوا عليها عند سببها قالت والله انى أخت صاحبكم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انى أختك قال وما علامة ذلك قالت عضة منك فى ظهرى فعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن وضع أى خفض الكفر القائم بها قدرها وكذلك وضع قدرها السباء أى الاسر القائم بها فاضمحل فى جنب هذين مافيها من اخوته صلى الله عليه وسلم ثم من الله عليها بالاسلام فحباها أى أعطاها مالم يكن فى حسابها وجاد علي قومها لاجلها برا أى لاجل بره بها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز أن يكون براً هو المفعول الثاني بدليل ابدال قوله بسط منه توهمت الناس الذين رأوا ذلك البر أى وقع فى وهمهم أى ذهنهم به أى بسبب ذلك البر الذي وصل اليها منه أنما بفتح الهمزة أداة حصر السباء أى المسبيات

اللواتى معها فى السبى هداء بالكسر مصدر هديت المرأة الى زوجها أى مهديات كرجل عدل والجملة فى محل مفعول توهمت الناس أى توهموا ان النسوة اللواتي معها فى السبى لم يسبين لعظم ماقابلهن به من الاكرام وانما جئن لاهداء عروس وجلائها عليه صلى الله عليه وسلم ثم أبدل من حباها أو من برآقوله بسط الخ والظاهر ان من زائدة على مذهب الاخفش ومن تبعه من عدم اشتراط النفى وشبهه أى نشر صلى الله عليه وسلم لها رداء كان عليه وجعله لها فراشا لتجلس عليه ويصح أن تكون تبعيضية وعلى

بل ينبغى أن يكون مقرونا بالسبب ولهذا لم يبرز للقتال منكشفا وقد قال صلى الله عليه وسلم للاعرابى الذي أهمل الناقة وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال فى كيفية صلاة الخوف وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى عليه الصلاة والسلام فاسر بعبادى ليلا وقد اختفى صلى الله عليه وسلم فى الغار استأجر الخبير واتخذ خندقا حول المدينة يحترس به من العدو وأقام الرماة نحو أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان اذا أراد غزوة ورى بغيرها تعمية واخفاء وقال الحرب خدعة وقال التدبير نصف العيش مدحا لهذا التدبير بقرينة قوله بعده والتودد نصف العقل قال العلماء اى النظر فى أدبار الامور وعواقب الاتفاق الذى يحترز به عن الاسراف والتقتير فان كمال العيش شيآن مدة الاجل وحسن العيش فيه قال شيخنا المحقق فى شرحه على الحكم وأما حمله على الذم اى نصف عيش لا عيش كامل فبعيد من السياق اه ثم ان كانت غزوة أحد قبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس فالامر ظاهر وان كانت بعد نزولها فيكون تحصنه صلى الله عليه وسلم مما عدا القتل كالجرح والكسر وقد كان يحرس حتى نزلت الآية فقال انصرفوا فقد عصمنى الله رواه الحاكم

باب
فى صفة مغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى نسخة ابن حجر ماجاء فى مغفر الخ باسقاط لفظ صفة ولعله هو الصواب لانه ليس فى حديث من أحاديث الباب تعرض لصفته والمغفر بكسر الميم وفتح الفاء مايلبس تحت البيضة ويطلق على البيضة أيضاً واصل الغفر الستر كذا فى المقرب وقيل هو مايكون منسوجا من جملة الدرع خارجا من الدرع على الرأس كهيئة قب البرنوس (حدثنا قتيبة بن سعيد نا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه مغفر) وفى رواية من حديد ولا يعارض هذا الحديث ما فى مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحدكم أن يحمل بمكة السلاح لان مكة أبيحت له صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار ولم تحل لاحد بعده كما صح عنه صلى الله عليه وسلم فلذا دخلها متهيأ للقتال اولان النهى اذا لم تدع ضرورة لحمله ولذا دخل عام عمرة القضاء والسلاح فى القراب اولان المراد النهى عن حمل السلاح للمحاربة مع المسلمين اولان النهى انما كان بعد هذا على أنه يجوز له صلى الله عليه وسلم مالا يجوز لغيره قاله فى جمع الوسائل (فقيل له) أى بعد أن نزع المغفر كما يأتى فى الحديث بعد (هذا ابن خطل) بمعجمة ومهملة مفتوحتين اسمه عبد العزى فلما أسلم سمى عبد الله (متعلق باستار الكعبة) خبر بعد خبر اى خوفا من ان يقتل لانه كان ارتد عن الاسلام بعد أن كتب الوحى وقتل مسلما كان يخدمه لما أرسله النبى صلى الله عليه وسلم على الصدقة نزل منزلا وامره أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ثم نام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدا عليه فقتله واتخذ قينتين

كل حال فهنيئا لها بذلك الاكرام اى فضل اى شرف عظيم لاغاية له حواه اى جمعه ذلك الرداء بمماسته لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم وحينئذ خيرها فقال ان أحببت بقيت عندى مكرمة محببة وان أحببت متعتك ورجعت الى أهلك فاختارت قومها فاعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجته بها فلم تزل فيهم بقية من نسلهما فغدت اى صارت مندرجة فيه اى فى ذلك الفضل والحال انها هى سيدة أولئك النسوة اللواتى معها من سبى هوازن لما حصل لها من التميز الباهر عليهن وان أولئك النسوة اللواتى هن السيدات قبل أسرهن فيه اى فى ذلك الفضل اماء اى صارت كأنها سيدتهن وكأنهن مع كونهن سيدات اماء لها وبين السيدات والاماء طباق والجملة الاخيرة مؤكدة للاولى التى هي من فاعل غدت

(فتنزه فى ذاته ومعانيه استماعا ان عز منها اجتلاء) (واملأ السمع من محاسن يملي بها عليك الانشاد والانشاء) (كل وصف له ابتدأت به استو عب أخبار الفضل منه ابتداء)

التنزه حقيقة التباعد عن الادناس ويستعمل فى النزهة فى الرياض ونحوه لان فيه تباعدا عن الاكدار والاغيار فشبه جماله صلى الله عليه وسلم بالمتنزه الرفيع البديع الجامع لاشتات المحاسن على سبيل الكناية ودل على ذلك بالامر بالتنزه وهذا أولى مما فى ابن حجر وغيره اى استعمل جوارحك وقالبك وقلبك فى النزهة فى أوصاف ذاته واوصاف معانيه الخارجة عن اوصاف ذاته من جهة اصغائك الى استماع اوصاف ذاته وجميل صفاته ان فقد اجتلاء منها اى ابصار ورؤية من جلوت العروس جلاء وجلوة واجتلوتها اذا نظرت اليها محلوة اى

تغنيان

مكشوفة مزينة أي ان فاتتك رؤية ذاته الكريمة ومشاهدة صفاته العظيمة فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يتلى عليك من أوصاف ذاته وعلي صفاته ولا تقصر علي سماعك للقليل من ذلك بل املا السمع بان تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض ان ما تسمعه شيء محسوس وان سمعك اناء واسع لملأه ذلك المسموع من محاسن اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم لا يلحق أحد آثارها ولا يشق كامل غبارها والمحاسن جمع حسن على غير قياس ويمليها من أمليته الكتاب ويجوز أمللته أي يلقيها عليك الانشاد من غير الناظم والانشاء منه وانشاد الشعر قراءته واسماعه وانشاؤه وضعه واختراعه ومما يحملك علي استفراغ وسعك في ذلك المتنزه واملاء السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك أن تعتقد أن محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك أن تحيط بها وكيف وكل وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدأت أنت أو أنابه في الذكر أو ابتدأت بذكره لتحيط بغايته استوعب أخبار الفضل مفعول مقدم أي جميع أخبار الفضائل والكمال منه متعلق بقوله ابتداء الذي هو فاعل استوعب أي كلما ابتدأت بوصف له صلى الله عليه وسلم وتأملت ما اشتمل عليه صريحا وايماء جمع ذلك الوصف المبتدأ به جميع أنواع الفضائل وغلبة الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من أوصافه صلى الله عليه وسلم آخذ بحجز بقية تلك الاوصاف اذ لا يتحقق كمال وصف من أوصاف الانسان كالحلم مثلا الا ان كمل في بقية أوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وحينئذ فكل من صفاته صلى الله عليه وسلم يدل علي ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منها ايماء واستلزاما كما لا يخفى على من سير ذلك وتأمله

تغنيان بمجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين احداهما فرنتي أسلمت والاخرى قريبة قتلت كافرة (فقال اقتلوه) الخطاب بهذا علي سبيل فرض الكفاية فسقط بقتل واحد واختلف في قاتله فقيل سعيد بن زيد رواه الحاكم وقيل سعد بن أبي وقاص رواه البزار وقيل الزبير بن العوام رواه الدارقطني والحاكم والبزار والبيهقي في الدلائل وقيل عمار بن ياسر رواه الحاكم وقيل سعيد بن حريث ذكره أهل السير وقيل أبو برزة الاسلمي قال القسطلاني في المواهب وهو أصح ما ورد في تعيين قاتله وتحمل بقية الروايات على انهم ابتدروا قتله فكان المباشر منهم أبو برزة ضرب عنقه بين الركن والمقام ثم لا دليل في هذا لمن قال بتحتم قتل السباب وهو مذهب مالك رحمه الله وجماعة لان هذا كان كافرا وعلي تقدير انه أسلم فيحتمل انه قتل قصاصا بالمسلم الذي قتله ولا حجة فيه أيضاً علي اقامة الحدود القصاص في المسجد لانه لم يكن اذ ذاك مسجدا انما كانت الكعبة فقط ثم بعد ذلك أداره عمر رضي الله عنه سورا كذا قيل وفيه نظر وقد سماه الله تعالى مسجدا قبل ذلك ولا علي ان الحرم لا يمنع من اقامة الحدود كما هو مذهب المالكية لان مكة اذ ذاك كانت دار حرب وابن خطل مرتد التحق بالمشركين فوقعت المصالحة بقتل أربعة منهم علي القول بأن مكة لم تفتح عنوة وأما علي الصحيح ان فتحها كان عنوة فلا اشكال فيه قاله في جمع الوسائل وفي الاكمال فيه حجة لمن قال باقامة الحدود بها لان الذي أحل له منها قتالها حتى استولى عليها وقتله لابن خطل انما كان بعد استيلائه وغلبته واذعان أهلها اه قال ابن حجر وهو ظاهر ان ثبت تأخر قتل ابن خطل عن الساعة التي أحلت له ثم الحديث لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن لان ابن خطل ممن استثناه النبي صلى الله عليه وسلم روى الدارقطني والحاكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة لا آمنهم لا في حل ولا في حرم الحويرث بن نقيد وهلال ابن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن أبي سرح وفي حديث سعد بن أبي وقاص عند البزار والحاكم والبيهقي في الدلائل نحوه لكن قال أربعة نفر وامرأتان وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة اه وقد أسلم بن أبي سرح فلم يقتل وقد حكى ابن عطية في معنى قوله تعالى ومن دخله كان آمنا ثلاثة أقوال أحدها ان هذا كان في الجاهلية أما في الاسلام فمن ارتكب موجب حد أقيم عليه ولا يجيره الحرم الثاني ان هذا في الجاهلية والاسلام لان الاسلام زاد البيت شرفا وتوقيرا فلا يتعرض لمن جنى والتجأ اليه ولكن لا يكلم ولا يعامل حتى يضطر الى الخروج فاذا خرج أقيم عليه والثالث كان آمنا من النار وضمير دخله للبيت او للحرم لانه بسبب البيت وحرمته * قال المصنف (حدثنا عيسى بن أحمد) ثقة أخرج حديثه النسائي أيضاً (نا عبد الله بن وهب نى مالك بن أنس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح) اي سنة ثمان من الهجرة (وعلي رأسه المغفر) جمع القاضي عياض بين هذا الحديث وحديث أنه صلى

وههنا شرع الناظم رحمه الله في ذكر شيء من خلقه صلى الله عليه وسلم وصفاته الظاهرة الزكية الطاهرة المنيعة الباهرة ليعرفها الجاهل ويستحضرها الغافل ويتوصل الخلي الى تحلية باطنه بتشخصه فانه من أشرف العبادات والى جلب رؤيته من جارى العادات لان من أكثر من ذكر محبوبه واستعمل فكره في أوصاف مرغوبه كان سببا في نظر طلعته ومشاهدة بهجته والى التمييز بين الرؤية الصحيحة والسقيمة من الادلة المستقيمة وليتبرك المؤمن بذلك ويعمر به وقته ويحرك ما فيه من الحب الساكن

والشوق الكامن ويحصل من انشراح الصدر وتفريح القلب ماينا سب اجلاء تلك المحاسن ويتذكرها أيضاً يزيد وينمو ويتضاعف ويتجدد الاقبال على الخير والتحلي بانواع البر ولذا قال فتنزه أى ياكل من يتأنى له ذلك فهو ايقاظ لاعمال الفكر وقد قالوا من أقوى الاسباب الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا وطربا وذلك يحدث عنها بسببين أحدهما انها فى نفسها توجب لذة قوية ينغمر بها العقل الثاني انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاؤها على الفكر وفى هذا من اللذة مايغمر العقل لاجتماع لذة الالحار وكثرة الاشجان فيحصل للروح ماهو أعجب من سكر الشراب واقوى فى اللذة من عناق الشواب وقد ذكر الامام أحمد رضي الله عنه وغيره ان الله تعالى يقول لداود فى الجنة مجدنى بذلك الصوت الذى كنت تمجدني به فى الدنيا فيقول كيف وقد أذهبته فيقول أنا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ نعيم أهل الجنة وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم لاسيما ان انضم الى ذلك رؤية وجهه الكريم فان لذة ذلك تغنى عن الجنة ونعيمها بما لاتدركه العبارة ولاتحيط به الاشارة قاله ابن حجر واعلم انه لما حاز باطن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الكمال كله فقد حاز ظاهره الجمال كله فكمل الله له المحاسن خلقا وخلقا وقرن له بين جميع الفضائل الدينية والدنيوية نسقا فمن جماله ظهر كل جمال فهو اذن أجمل من كل أجمل ولذا يخضع له كل جميل في الوجود ومن كماله تكون كل كمال فهو اذن أكمل من كل أكمل ولذا عرف بالتلذذ بالخضوع له كل أكمل وما أبدع قول مولاتنا عائشة رضى الله عنها باب

وأجمل منك لم ترقط عيني * وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كانك قد خلقت كما تشاء

وكذا قول ابن الفارض على لسان الحضرة النبوية

وروحي للارواح روح وكل ما * ترى حسنا فى الكون من فيض طينتى

وعلى الجملة فقد أعطى سيدنا يوسف عليه السلام شطر الحسن والحسن كله لنبينا صلى الله عليه وسلم الا انه صلى الله عليه وسلم

الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء الآتى فى الباب بعد بأنه صلى الله عليه وسلم نزع المغفر عقب دخوله ثم لبس العمامة السوداء فخطب بها واختار العراقى هذا الجمع قال فى جمع الوسائل وفيه ان ظاهر الحديث يدل على ان العمامة كانت على رأسه حين دخوله مكة لان زمان الحال يجب أن يكون متحدا مع زمان عامله اللهم الا أن يقصد الاتساع فى زمان دخوله مكة والله أعلم اه قلت لم لا يقال انه صلى الله عليه وسلم جمع بين المغفر والعمامة وأخبر كل من الراويين عن شيء وقد جزم القسطلانى بان العمامة كانت فوق المغفر فلا يتعارض الحديثان نعم قول ابن حجر من اقتصر على المغفر بين انه دخل متأهبا للقتال ومن اقتصر على العمامة بين أنه دخل غير محرم اه يشعر بهذا الجمع لكن فيه ان لبس المغفر يكفى للدلالتين وأما ماحكاه ابن بطال عن بعضهم من انكار قول مالك وعليه المغفر وانه تفرد به والمحفوظ فى سائر الطرق انه دخل مكة وعليه عمامة سوداء اه فهو متعقب بأن العلماء وجدوا بضعة عشر نفرا غير مالك تابعوه فى ذكر المغفر (قال) أى أنس هذا هو المطابق للسياق خلافا لقول ابن حجر ان فاعل قال هو ابن شهاب وان الحديث معلق فانه على تسليمه مرسل (فلما نزعه جاءه رجل) قيل هو أبو برزة الاسلمي (فقال ابن خطل) مبتدا (متعلق بأستار الكعبة) خبر (فقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (اقتلوه) الخطاب للرجل ومن كان معه (قال ابن شهاب) هذا موصول بالاسناد المتقدم لما وقع فى الموطا من رواية أبى مصعب وغيره قال مالك قال ابن شهاب ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ محرما (وبلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن) حينئذ (محرما) أى على صورة المحرم لانه كان لابسا لباس الحلال والله أعلم بالحال وقد أخرجه البخارى من طريق يحيى بن قزعة عن مالك بهذا الاسناد وقال فى آخره قال مالك ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فيما نرى والله أعلم محرما اه وانما لم يجزم بعدم الاحرام مع انه كان لابسا للمغفر والعمامة على ماتقدم لان الاحرام بالنية واللبس جائز للضرورة وعليه يحمل قول جابر فى رواية مسلم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير احرام وأما قول الطحاوى ان دخوله صلى الله عليه وسلم مكة غير محرم من خصائصه ودليله قوله صلى الله عليه وسلم انها لم تحل لى الا ساعة من نهار وان المراد بذلك جواز دخولها بغير احرام لا تحريم القتال فيها لانهم أجمعوا على ان المشركين لو غلبوا والعياذ بالله على مكة حل للمسلمين القتال معهم فيها فقد عكس استدلاله النووى فقال فى الحديث دلالة على ان مكة تبقى دار اسلام الى يوم القيامة فبطل ماصوره الطحاوى على ان فى دعوى الاجماع نظرا فان الخلاف ثابت وقد حكاه القفال والماوردى وغيرهما قال فى جمع الوسائل قلت ماصوره الطحاوى فرض غير لازم الوقوع ولذا خالف من خالف وأما دعوى الاجماع فصحيحة ولا ينافيها مخالفة القفال وغيره اه وقد عد المالكية من خصائصه صلى الله عليه وسلم دخوله مكة بلا احرام وبقتال أى من غير ضرورة والا فيجوز ذلك لغيره أيضاً عندهم

كان ماسكا للارواح فلم يقع به افتتان ولذا قال الناظم منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقد ذكر العلماء ان من تمام الايمان به الايمان بأن الله عز وجل خلق بدنه الشريف صلى الله عليه وسلم على وجه لم يظهر قبله ولا بعده بدن آدمي حسنا وكمالا وبهاء واعتدالا ولذا قال الناظم فهو الذي تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا باري النسم

وقد أفرد الناس التآليف في أوصافه صلى الله عليه وسلم وشمائله كالترمذي وغيره والناظم رحمه الله ذكر بعضها فمن ذلك قوله

باب
ما جاء في عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفي نسخة ماجاء في صفة عمامة الخ والعمامة بكسر العين خلافا للعصام في قوله بالفتح كغمامة والمراد بها هنا كل ما يعقد على الرأس تحت المغفر أو فوقه وما يشد على القلنسوة أو غيرها وما يشد على رأس المريض وفي القاموس العمامة المغفر والبيضة وما يلف على الرأس فهي أعم من المغفر فترجمة العمامة بعد المغفر من باب ذكر الاعم بعد الاخص والله أعلم (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة ح وحدثنا محمود بن غيلان نا وكيع عن حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء) وفي رواية مسلم بغير احرام وفي رواية ابن أبي شيبة دخل مكة يوم الفتح وعليه شقة سوداء وان عمامته كانت سوداء وروى ابن سعدان رايته سوداء تسمى العقاب قال ابن حجر وكأن حكمة السواد في العمامة واللواء مع ماورد في فضل البياض الاشارة الى السودد الذي أعطيه صلى الله عليه وسلم وتميز به على سائر الانبياء في ذلك اليوم وهو ان الله تعالى أحل له مكة ساعة من نهار ولم يحلها لاحد قبله والى سودد مكة على سائر البلاد والى سودد أمته وعزتهم بذلك الفتح العظيم والى سودد الاسلام وظهوره ظهورا لم يكن قبل الفتح كما بينته سورة النصر والى ثبوت هذا الدين المحمدي واستمراره وعدم تبدله اذ السواد أبعد عن ظهور الدنس والتبدل من سائر الالوان وقول من قال ان سواد هالم يكن أصليا بل لحكايتها ما تحتها من المغفر تكلف لادليل عليه اه وقد جمع السيوطي جزأ في لبس السواد وذكر فيه أحاديث وآثارا قال في جمع الوسائل وفي بعض شراح هذا الكتاب زعم بعض الخلفاء العباسيين من أولاد المعتصم بالله ان تلك العمامة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس وهي بين الخلفاء يتداولونها بينهم ويجعلونها على رأس من تقرر له الخلافة وهي الآن بمحروسة مصر في يد أولاد الخلفاء اه قال المناوي ولا بأس بلبس القلنسوة اللائطة بالرأس والمرتفعة تحت العمامة وبلا عمامة لان ذلك كله جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك أيد بعضهم ما اعتيد في بعض الاقطار من ترك العمامة من أصلها وتميز علمائهم بطيلسان على قلنسوة بيضاء لكن الافضل العمامة اه أي خلافا لمن قال السنة الجمع بين القلنسوة والعمامة أو الاقتصار على العمامة أما الاقتصار على القلنسوة فهو من زي المشركين لحديث أبي داود والمصنف فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس * قال المصنف غريب وليس اسناده بالقائم (حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان) أي ابن عيينة (عن مساور) بضم الميم وكسر الواو (الوراق) بتشديد الراء بائع الورق أو صانعه أو منسوب الى ورق الشجر أخرج حديثه مسلم والاربعة (عن جعفر بن عمرو بن حريث) مصغر حرث روى عنه مسلم والاربعة (عن أبيه قال رأيت على النبي صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء) يحتمل عام الفتح أو غيره وحال الخطبة أو غيرها يوم الجمعة أو غيره

(سيد ضحكه التبسم والمشى الهوينى ونومه الاغفاء)

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ما رأيته مستجمعا قط ضاحكا أي مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا ينافيه خبر البخاري أيضا فضحك حتى بدت نواجذه أي بالذال المعجمة وهي الاضراس وهي لا تكاد تظهر الا عند المبالغة في الضحك لان عائشة انما نفت رؤيتها وذلك لا ينافي وقوع غير التبسم منه نعم الذي دل عليه مجموع الاحاديث ان الغالب من حاله هو التبسم وربما ضحك والمنهي عنه هو كثرته لانه يميت القلب والتبسم مبادي الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفي فان كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة قلت من تتبع الاحاديث التي ورد فيها ان النبي صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وجدها كلها في الاخبار عن أمور الآخرة وعن سعة رحمة الله سبحانه فيها فكان يبالغ في ذلك لاجل كثرة الفرح بما هنالك لشدة اهتمامه صلى الله عليه وسلم بامر أمته وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان الهوينى تصغير الهون وهو السكينة والوقار فالتصغير للتعظيم كقوله وكل أناس سوف تحدث بينهم * دويهية تصفر منها الانامل وقد مدح الله تعالى من يمشون كذلك فقال عز من قائل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافي ذلك رواية الترمذي عن أبي هريرة ما رأيت أسرع من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث أي لانه كان يبارك له في مشيه فلذلك كانوا لا يلحقونه وعن علي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى تكفأ تكفؤا كانما ينحط من صبب وفي رواية له كان اذا مشى

تقلع يعني انه كان يستعمل التثبت في مشيه مع رفق وسكينة ووقار (تنبيه) روى ابن سبع انه صلى الله عليه وسلم ألطف خلق الله ولذا لم يؤثر مشيه في الرمل ولا ينافيه تأثيره في الحجارة فانه لبقاء أثره وتبكيت حاسديه وأيضا لان الصخر ودخلته الرطوبة وثبت الرمل ولم ينزل لئلا يصيبه تعب واعياء فذلك استحياء والى هذا يشير شيخ شيوخنا ابن زكري بقوله

لين القدمين لان له الصخـ * ـور رمل تحابس استحياء (١٣٦) ولله در القائل هو الذي اختاره الباري وأرسله *

برآرؤفا رحيما بالمساكين ان سار في الرمل لم تنظر له أثرا وان علا الصخر عاد الصخر كالطين

وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى معه أصحابه قدمهم أمامه وقال خلوا ظهري للملائكة أي وليتعاهد أحوالهم أيضا وكان اذا مشى في شمس أو قمر لم ير له ظل فيهما كما يأتي * وأما نومه صلى الله عليه وسلم فهو الاغفاء أي أخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عن نوم القلب وغفلته المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء كان تنام عينه ولا ينام قلبه ومن ثم لم ينتقض وضوءه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه ويقظته ودوام شهوده لربه ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدري ما هو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله عليه وسلم في الوادي عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة العين لا القلب فهي نائمة والقلب يقظان مستغرق في شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه فلذلك لم يدرك مرور الوقت الطويل وفي الواقعة من تشريع الاحكام الكثيرة ما لا يخفى ثم شرع الناظم في ذكر بعض محاسن اخلاقه صلى الله عليه وسلم فقال

(ماسوى خلقه النسيم ولاغيـ * ـر محياه الروضة الغناء) أي ليس غير خلقه النسيم أي الريح التي في غاية المراد

اللطافة واللين والطيب يعني لا يشبهها خلق حد الا خلقه الكريم وهذا مقتبس من قول ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة والخلق قال الراغب هو بالضم والفتح في الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيئات والصور المبصرة والمضموم بالسجايا والقوي المدركة بالبصيرة والحق انه غريزي وتمامه مكتسب لخبر البخاري ان الله قسم بينكم اخلاقكم

وسيجيء ما يبينه * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان ويوسف بن عيسى قالا نا وكيع عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس وعليه عمامة سوداء) وفي نسخة عصابة سوداء وهي بمعنى العمامة كما في القاموس مأخوذة من العصب وهو الشد وحديث عمرو بن حريث في معنى حديث جابر المتقدم وأورده من طريقين وزاد في طريق الثاني خطب الناس أي يوم فتح مكة وهذه الخطبة عند باب الكعبة على ما يفهم من كلام العسقلاني ولم تكن على المنبر وأخرج مسلم من طريق أبي اسامة عن مساور قال حدثني جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال كأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه وفي بعض نسخ مسلم طرفها بالافراد عياض وهو الصواب المعروف اه وفيه دليل على ان لبس السواد لم يكن بمكة فقط لان خطبته بمكة لم تكن على منبر بل على باب الكعبة ولهذا ذكر صاحب المصابيح هذا الحديث في باب خطبة الجمعة وقد لبس السواد جمع منهم علي يوم قتل عثمان وغيره والحسن كان يخطب بثياب سود وعمامة سوداء وابن الزبير كان يخطب بعمامة سوداء ومعاوية فانه لبس عمامة سوداء وجبة سوداء وأنس وعبد الله بن جزء وعمار كان يخطب كل جمعة بالكوفة وهو أميرها وعليه عمامة سوداء وابن المسيب كان يلبسها في العيدين وابن عباس كان يعتم بها والخلفاء العباسيون وكثير من الخطباء ومستندهم ما ورد من دخول المصطفى صلى الله عليه وسلم مكة بعمامة سوداء أرخى طرفها بين كتفيه وخطب بها فاقتفاه الناس بذلك لانه نصر وعز قال القرطبي ولم يكن السواد في كل لباس المصطفى بل في العمامة خاصة وورد بسندواه هبط علي جبريل وعليه قباء أسود وعمامة سوداء فقلت ما هذه الصورة لم أرك هبطت بها علي قط قال هذه صورة الملوك من ولد العباس عمك قلت وهم علي حق قال جبريل نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للعباس وولده حيث كانوا وأين كانوا قال جبريل ليأتين علي أمتك زمان يعز الله فيه الاسلام بهذا السواد قلت رياستهم ممن قال من ولد العباس قلت ومن أتباعهم قال من أهل خراسان قلت أي شيء يملكون قال الاخضر والاصفر والحجر والمدر والسرير والمنبر والدنيا الى المحشر والملك الى المنشر وسأل الرشيد الاوزاعي عنه فاجابه بأنه يكره لانه لا يجلى فيه عروس ولا يبلى فيه محرم ولا يكفن فيه ميت انظر ابن حجر قال النووي وفي الحديث جواز لبس الاسود في الخطبة وان كان الابيض أفضل منه (حدثنا هرون بن اسحق الهمداني) بسكون الميم نسبة الى قبيلة باليمن أخرج حديثه الاربعة (نا يحيى ابن محمد المدني) نسبة الى مدينة السلام على الاصح وفي نسخة المدني أخرج حديثه أبو داود وابن ماجه (عن عبد العزيز بن محمد) أخرج حديثه الستة (عن عبيد الله بن عمر) نسبة الى الجد اذ هو عبيد الله بن عبد الله بن عمر أخو سالم مات قبل أخيه سالم (عن نافع عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتم) أي لبس عمامته (سدل عمامته) أرخى طرفها وهل

كما قسم أرزاقكم وفي الصحيح أيضا اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وصح أيضا أنه كان يقول في دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق ولا يهدي لاحسنها الا انت فهو جبلة في نوع الانسان وهم متفاوتون فيه فمن عدم حسنه أو كماله أمر بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة تسهل على صاحبها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال مالا يحصره حد ولا يحيط به عد (١٣٧) أثنى الله عليه في كتابه الكريم فقال

المراد سد الطرف الاسفل حتى يكون عذبة أو الاعلى بحيث يغرزها ويرسل منها شيا خلفه كل محتمل قاله الزين العراقي ولم يكن يسدل دائما بدليل رواية مسلم انه دخل مكة بعمامة سوداء من غير ذكر سدل وصرح ابن القيم بنفيه لانه كان على أهبة القتال والمغفر على رأسه فلبس في كل موطن ما يناسبه وبه يعرف ما في القاموس من قوله لم يفارقها قط قال المناوى قال بعض الحفاظ أقل ما ورد في طولها أربع أصابع وأكثر ما ورد ذراع وبينهما شبر ويحرم الحاش طولها بقصد الخيلاء وفي خبر حسن من لبس ثوبا يباهي به الناس لم ينظر الله اليه حتى يرفعه قال الشافعي ولو خاف من ارسالها نحو خيلاء لم يؤمر بتركها بل يفعلها ويجاهد نفسه اه وفي المدخل والذؤابة لم يكونوا يرسلون منها الا القليل نحو الذراع او اقل منه قليلا او اكثر منه قليلا اه (بين كتفيه) وفي رواية أرسلها بين يديه ومن خلفه ولعل هذا انما هو اذا أرخى طرفيها معا قال المناوى وارسالها بين الكتفين أفضل منه على الايمن لان حديث الاول أقوى وأصح اه وقد تحصل مما تقدم أن للابس العمامة ان لا يتخذ عذبة وله ان يتخذها من خلفه او من بين يديه او من بين يديه ومن خلفه وان الافضل اتخاذها وان تكون من بين الكتفين ثم المنكب الايمن وفي المدخل نقل مالك رحمه الله انهم كانوا يعتمون حتى تطلع الثريا ومعنى ذلك ان طلوعها انما يكون في زمن الحر فيزيلونها اه بنقل الحطاب في حاشيته على الرسالة (قال نافع وكان ابن عمر يفعل ذلك) كأن هذا من كلام عبيد الله وقوله (قال عبيد الله) من كلام عبد العزيز ونبه عليه بترك العطف لاختلاف الراوى ولو كان من كلام المصنف لكان بالعطف (ورأيت القاسم بن محمد وسالما يفعلان ذلك) أي ما ذكر من سدل طرف العمامة بين الكتفين وفي هذا دليل على ان السدل سنة معمول بها لكن قال بعضهم صارت العذبة اليوم شعار قوم يسمون الصوفية فلا ينبغي ان يتخذها الا من كان على طريقتهم والا كان كاذبا اه ولم يتعرض المصنف لبيان قدر عمامته صلى الله عليه وسلم قال المناوى قال في تصحيح المصابيح لابن الجوزى تتبعت الكتب وتطلبت من السير والتواريخ لأقف على قدر عمامته صلى الله عليه وسلم فلم أقف على شيء حتى أخبرني من أثق به انه وقف على شيء من كلام النووى ذكر فيه انه كان للنبي صلى الله عليه وسلم عمامة قصيرة وعمامة طويلة وان القصيرة كالسبعة اذرع والطويلة اثنا عشر ذراعا اه وذكر في المدخل ان عمامته كانت سبعة أذرع ولم يذكر انه كان له عمامة قصيرة وعمامة طويلة وعلى كل حال فقد كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في ملبسه أتم ونفعه للناس أعم فان كبر العمامة يعرض الرأس للآفات كما هو مشاهد في كثير من الفقهاء والقضاة وصغرها لا يقي من الحر والبرد فكان يجعلها وسطا بين ذلك قاله ابن حجر ونقله في جمع الوسائل قال المناوى ولا يسن تحنيك العمامة عند الشافعية واختار بعض الحفاظ ما عليه كثيرون انه يسن وهو تحديق الرقبة وما تحت الحنك واللحية ببعض العمامة وأطالوا في الاستدلال له بما رد عليهم اه وفي المدخل لا بد في العمامة من فعل سنن تتعلق بها من تناولها باليمين وقول بسم الله

عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظيم وزاد في المدحة باتيانه بعلى المشعرة بانه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالى الاخلاق واستولى عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصفه بالعظم دون الكرم الغالب وصفه به لان كرمه يرادبه السماحة وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عنده غاية الرحمة للمؤمنين كان عنده غاية الشدة والغلظة على الكافرين فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم تكن له همة في سوى الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ومن ثم ورد بسند فيه ضعف ان الله يثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الاعمال وفي الموطا بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه ومن ثم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن قال السهروردى في عوارفه في قولها ذلك رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها اه وقال بعض العارفين لما كان خلقه اعظم

خلق بعثه الله تعالى الى جميع العالمين وعلم من كلام عائشة ان كمالات خلقه لا تتناهى كما ان معاني القرآن لا تتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر مما انطوى عليه صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق لم يكن باكتساب ولا رياضة وانما كان في أصل خلقته بالجود الالهي والامداد الرحماني الذي لم تزل تشرق أنواره في قلبه الى ان وصل لاعظم غاية وأتم نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشأ عن كمال العقل لانه هو الذي تقتبس به الفضائل وبه تجتنب الرذائل والعقل لسان الروح

وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان ولكن جوهره الصبر وعقل نبينا صلى الله عليه وسلم وصل في الكمال الى غاية لم يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى أبو نعيم عن وهب انه وجد في أحد وسبعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم ولا كحبة رمل بين رمال جميع الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة المتباعدة حتى قاتلوا دونه أهاليهم وهجروا في رضاه اوطانهم وأحباؤهم مع انه لم يطلع على سير الماضين ولا تعلم من العقلاء المحدثين وقوله ولا غير محياه الروضة الغناء المحيا الوجه والغناء الكثيرة النبات والثمار والازهار اي ليست الروضة الغناء الا وجهه لانه أحسن الخلق وجها صلى الله عليه وسلم

(رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء)

رحمة وهي عطف وميل نفساني غايتها التفضل والانعام أي عينها مبالغة أو ارادتها وهو خبر مقدم وأخبر بهذه وما بعدها بلفظ المصدر اشارة الى انها قد امتزجت بذاته واستحال انفصالها عنه حتى كأنها هو وكانه هي اي ركب منها وطبع عليها وخلق منها كما قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين يجوز نصب رحمة على الحال على انها اسم فاعل ومفعولا من أجله وعلى حذف مضاف اى الا ذا رحمة والعالمون قيل الجن والانس وعليه الجمهور وقيل والملائكة وعليه غير واحد من المحققين ويدل عليه أيضا ليكون للعالمين نذيرا وعلى كل فهو رحمة للمؤمنين بالهداية والامان وللكافرين بتأخير العذاب ولسائر الحيوانات لان بوجهه صلى الله عليه وسلم يستسقى الغمام وبدعائه ينزل قطر السماء فينبت النبات ويكون لها سقيا ورعيا وقال ابن عباس السختياني رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم من كذبه الى الموت اوالى القيامة وأمامن صدقه فله الرحمة في الدنيا والآخرة فعلم ان ذاته رحمة للمؤمنين والكافرين كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وروى الدرامي والبيهقي حديث انما انا رحمة مهداة وقال بعضهم زينه ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمائله رحمة على الخلق

والذكر الوارد ان كان ما لبس جديدا او امتثال السنة في صفة التعميم من التحنيك والعذبة وتصغير العمامة اه ومن المدخل أيضا نقلا عن الغزالي عليك ان تعتم قائما وتتسرول قاعدا اه ومنه أيضا كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول انما المكروه العمامة التي ليس فيها تحنيك ولا عذبة فان كانا معا فهو الكمال في امتثال السنة وان كان أحدهما فقد خرج به عن المكروه اه بنقل الحطاب على الرسالة * قال المصنف (حدثنا يوسف بن عيسى نا وكيع نا أبو سليمان وهو عبد الرحمن بن الغسيل) أخرج حديثه الشيخان وغيرهما والغسيل اسمه حنظلة وهو جد أبيه لانه عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة ولقب بالغسيل لانه كان جنبا حين سمع نفير أحد فخرج مسرعا قبل أن يغتسل فلما استشهد رأى النبي صلى الله عليه وسلم الملائكة تغسله غسل الجنابة (عن عكرمة) أي مولى ابن عباس (عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس وعليه عصابة دسماء) في نسخة عمامة بدل عصابة ولا تنافي لان العصابة تأتي بمعنى العمامة كما في القاموس وغيره ومعنى دسماء سوداء او ملطخة بدسومة شعره صلى الله عليه وسلم لانه كان يكثر دهنه كما مر والدسمة غبرة الى السواد اومن العرق اومن الطيب الذي كان يستعمله وقد يكون ذلك لونها في الاصل وفي حديث أنس عند البخاري انها حاشية برد والحاشية غالبا تكون من لون غير لون الاصل قال المناوي وهذه الخطبة وقعت في مرض النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه وفيها الوصية بشأن الانصار كما أخرجه البخاري في صحيحه عن أحمد بن يعقوب عن ابن الغسيل بهذا الاسناد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ملحفة متعطفا على منكبيه وعليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس ان الناس يكثرون ويقل الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولي منكم أمرا يضر فيه أحدا او ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وفي حديث أنس عنده في هذه القصة فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم

باب
ما جاء في ازار رسول الله صلى الله عليه وسلم

المراد بصفة الازار ما يتناول صفته في نفسه وصفة لبسه المتضمنة لبعض آداب اللباس والازار بالكسر الملحفة ويؤنث كذا في القاموس قال في جمع الوسائل والمراد هنا ما يستر أسفل البدن ويقابله الرداء وهو ما يستر أعلى البدن ولعل المصنف حذفه من الترجمة اكتفاء كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد وذكر ابن الجوزي في الوفاء باسناده عن عروة بن الزبير قال كان طول رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة اذرع وعرضه ذراعين ونصفا ونقل ابن القيم عن الواقدي أن رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم برد طوله ستة اذرع في ثلاثة أذرع وشبر وازاره طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين اه ويحتمل ان يكون المراد بالازار هنا ما يجعل على البدن كله وهو الملحفة * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل ابن ابراهيم نا أيوب) أي

وقال آخر الانبياء كلهم خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف هو رحمة وقد جاء بالسيف واستباحه الاموال والانفس لانا نقول انما ذلك لمن أدبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد ومن أوصافه تعالى الرحمن الرحيم والجبار المنتقم * وفى الشفاء وحكى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شيء فقال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت ولما شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته يوم أحد قالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون أى اغفر لهم هذا الشيء الخاص الراجع لذاتى لا مطلقا والا لاسلموا كلهم ذكره ابن حبان وانما دعا عليهم يوم الخندق بأن الله يملأ بطونهم نارا لانهم شغلوه عن الصلاة الوسطى فكان الدعاء لله تعالى لا لحظ نفسه وحزم كله أى جميع أحواله صلى الله عليه وسلم التى تصدر منه انما تصدر على غاية الضبط والقوة والشدة الباطنة والظاهرة لان منشأ ذلك العقل الكامل وقدر أنه لا أكمل من عقله بل لا مساوى له من نبى ولا ملك وعزم كله من عزم على الشيء قطع به أى جميع ما يفعل بوحى أو اجتهاد انما يفعله مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه ولا تردد وتحير ومن ثم كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا فعل خير الزمه ادامته كما وقع له ان ناسا شغلوه عن سنة الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها (١) حينئذ واستمر يصلى ركعتين بعد العصر الى وفاته ووقار كله لان الله تعالى ألقى اليه من المهابة ما لا غاية له ومن ثم قال خارجة ابن زيد كما رواه ابو داود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقر الناس فى مجلسه وعن أبى سعيد الخدرى كان اذا جلس فى المسجد احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكان كلامه فصلا لا فضول فيه ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير جاء اليه رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون

السختيانى (عن حميد بن هلال) روى عنه الستة (عن أبى بردة) قيل اسمه عامر وهو تابعى كوفى كان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج وهو جد أبى الحسن الاشعرى الامام فى علم الكلام (عن أبيه) أى ابى موسى الاشعرى الصحابى المشهور كذا فى بعض النسخ وفى أكثرها وهو الذى فى البخارى اسقاط قوله عن أبيه وهو الصحيح وعلى الاسقاط فلا يضر الحديث موسلا لان أبا بردة كما يروى عن أبيه يروى عن عائشة أيضا قاله العصام قال فى جمع الوسائل مجرد روايته عنها لا يجعل الحديث متصلا الا ان ثبت انه سمعه عن عائشة أيضا (قال) الراوى أى ابو بردة (أخرجت الينا عائشة) اى اما بنفسها أو بأمرها (كساء) المراد هنا رداء كذا فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر ويحتمل ان المراد ما يستر البدن كله (ملبدا) النووى فى شرح مسلم الملبد المرقع وقيل الذى نحن وسطه حتى صار كاللبد (وازارا غليظا) أى خشنا (فقالت) أى دفعا لما يتوهم ان هذا اللباس كان فى أول أمره قبل الفتوحات (قبض روح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين) فهو اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم بقى على حال الزهد فى الدنيا والاعراض عن لذاتها وشهواتها والاقتصار على أدنى ما تحصل به الكفاية منها حتى لقى الله تواضعا وميلا للعبودية واتباعا لجمهور الانبياء وليتأسى به الضعفاء وغير ذلك مما تقدم فى باب اللباس * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود عن شعبة عن الاشعث بن سليم) بالتصغير (قال سمعت عمتى) اسمها رم بضم الراء وسكون الهاء بنت الاسود بن خالد وقيل بنت الاسود بن حنظلة (تحدث عن عمها) أى عم عمة اشعث بن سليم اسمه عبيد بن خالد المحاربى سكن الكوفة (قال بينما أنا أمشى بالمدينة) وفى نسخة بينا بحذف الميم وهما ظرفا زمان مضافان الى الجملة التى بعدهما وقيل انهما مكفوفتان بما وبالالف عن العمل فى المضاف اليه قال الرضى وبين فى الحقيقة مضاف الى زمان مضاف الى الجملة أى بين أوقات كذا اه ويحتاجان الى جواب يتم به المعنى وكان الاصمعى يستفصح فى جوابهما ان لا يكون فيه اذ واذا لكثرة مجىء جوابهما بدونهما قال الرضى والكثرة لا تدل على ان المكثور غير فصيح بل تدل على ان الاكثر أفصح وانما أدخلت اذ واذا فى جوابهما ليدلا على اقتران مضمون الاول بالثانى مفاجأة بلا تراخ والاولى القول بحرفية كلمتى المفاجأة كما هو مذهب ابن برى والعامل فى بينا وبينما حينئذ ما بعد كلمتى المفاجأة اه فمعنى بينا زيد قائم اذ رأى هندا رأى زيد هندا بين أوقات قيامه وقال الزمخشرى عاملهما مقدر من معنى المفاجأة وعليه فالتقدير وقت قيام زيد فاجأ رؤية هند فتقدير الحديث وقت مشى بالمدينة فاجأ كون انسان خلفى قائلا ارفع الخ فقوله (اذا) بالالف للمفاجأة وقوله (انسان خلفى) مبتدأ موصفة و (يقول) أى ذلك الانسان الذى هو انسان العين خبر المبتدا ويحتمل ان الظرف خبر لمبتدا والمسوغ للابتداء بالنكرة اذا الفجائيه وجملة يقول حالية (ارفع ازارك) أى عن الارض (فانه) أى الرفع (أتقى) من التقوى أى أقرب اليها وأدل عليها لانه يدل غالبا على انتفاء الكبر والخيلاء وفى نسخة أنقى بالنون من النقاء أى أنظف من الوسخ (وأبقى) بالموحدة

(١) كتب عليه المؤلف كذا فى ابن حجر وتأمله اه من خطه اه مصححه

عليك فانى لست بملك ولا جبار وانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم وقال يا أيها الناس انى أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا ورأته قيلة بنت مخرمة فى المسجد قاعدا القرفصاء فارتعدت من الفرق رواه أبو داود وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيما له صلي الله عليه وسلم ولو قيل لى صفه لما قدرت واذا كان هذا وهو من أجلاء الصحابة فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لولا أنه كان يباسطهم ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويؤنسهم لما قدر أحد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما ألقى الله عليه من المهابة والجلالة وقد خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاشار لجبريل يستشيره فاشار اليه أن تواضع فاختار العبودية وعصمة كله أى حفظ يستحيل شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها في سائر حركاته وسكناته فى باطنه وظاهره وسره وعلانيته جده وهزله رضاه وغضبه وقد اجمع الصحابة رضى الله عنهم علي اتباعه والتأسى به فى كل ما يفعله من قليل أو كثير صغير أو كبير سرى أو علاني علم بهم أو لم يعلم ما لم تظهر الخصوصية ومن عصمته صلى الله عليه وسلم حفظه من أعدائه الحريصين علي قتله فكان أصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فاخرج صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى وتواعد جماعة علي قتله فلما هموا سمعوا صوتا هائلا ففشي عليهم ثم تواعدوا مرة أخرى فاذا رأوه جاءت الصفا والمروة فحالتا بينه وبينهم وحياءه كله كما فى البخارى عن أبى سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها والحياء بالمدلغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق مأخوذ من الحياة أو من الحيا المقصور وهو المطر وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفها وهو انواع منها حياء الكرام ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بما

أكثر دوا ما للثوب فعلل صلى الله عليه وسلم أمره بالمصلحة الدينية وهى طهارة القلب أو القالب أولا لانها المقصودة بالذات وثانيا بالمنفعة الدنيوية فانها التابعة للاخرى وفيه ايماء الى أن المصالح الاخروية لا تخلو عن المنافع الدنيوية (فالتفت) أى نظرت الى ورائى (فاذا هو) أى ذلك الانسان (رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت) معتذرا عن فعلى (يا رسول الله انما هى) أى الازار والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله (بردة) يلبسها الاعراب (ملحاء) بفتح الميم تأنيث أملح يقال كبش أملح ونعجة ملحاء أى فيها بياض يخالطه سواد علي ما فى الصحاح فالملحاء التى فيها خطوط من سواد وبياض وقيل ما فيه البياض أغلب وأما قول بن حجر ملحاء بضم أوله فهو سهو قاله فى جمع الوسائل أى لان فعلاء بالضم غير محفوظ في أوزان المؤنث الممدود وكأن مراد الصحابى ان هذا الثوب ليس من فاخر الثياب التى يخاف منها الخيلاء والكبر ولم يعتذر عن قوله أبقى لان أمره أخف فاجابه صلى الله عليه وسلم بطلب الاقتداء به لانه صلى الله عليه وسلم لا يرتكب الا الاكمل الذي هو الاحب الى الله تعالى ولذلك (قال أما لك) استفهام انكارى ومانافية (فى) بتشديد الياء أى أليس لك فى فعلى (اسوة) بضم الهمزة وكسرها أي قدوة ومتابعة (فنظرت) أى الى لباسه (فاذا ازاره الى نصف ساقيه) أى واذا كان هو صلى الله عليه وسلم مع انه مأمون عليه مما يخاف على غيره من آفات الدين كالخيلاء والكبر لا يرتكب ما هو مظنة ذلك فاولى غيره قال ابن عطية في تفسير قوله فبغى عليهم فى قصة قارون كان من بغيه انه زاد فى ثيابه شبرا على ثياب الناس وفي قوله أما لك الخ تأكيد للامر برفع الازار فان الفعل أقوى من القول وفيه أيضا اشارة الى أن السنة تعرف من أفعاله كما قوله وان الاليق بالمؤمن حسم مادة ما يتوقع منه الضرر فى دينه وغلق أبواب الشر ما أمكن وان لا يثق بنفسه فى هذا وما كان من قبيله والله أعلم بمراد رسوله * قال المصنف (حدثنا سويد بن نصر نا عبد الله بن المبارك عن موسى بن عبيدة عن اياس بن سلمة بن الاكوع) روى عنه الستة (عن أبيه) أى سلمة بن الاكوع وهو نسبة الى الجد فانه سلمة بن عمرو ابن الاكوع غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات (قال كان عثمان بن عفان) بالصرف وعدمه (يأتزر) بهمزة ساكنة ويجوز ابدالها ألفا أي يلبس الازار ويرخيه (الى أنصاف ساقيه) المراد بالجمع ما فوق الواحد بقرينة ما أضيف اليه وقيل في اجمع المذكور اشارة الى التوسعة (وقال) أى عثمان ويحتمل سلمة علي بعد ويؤيد الاول تكرار قال وانما يقل ويقول بلفظ المضارع لانه يدل على التكرار ولم يسمع ذلك منه مكررا (هكذا) أى مثل هذا الائتزار المذكور (كانت ازرة صاحبى) بكسر أوله وسكون الزاى صيغة نوع وهيئة (يعنى) أى يريد عثمان بصاحبه (النبى صلي الله عليه وسلم) وقائل يعنى هو سلمة وفائدة نقل سلمة الازرة عن عثمان مرفوعة ولم يرفعها هو ليفيد انها سنة باقية بين أكابر الصحابة رضى الله تعالى عنهم سيما الخلفاء الراشدون فيتأكد الندب * قال المصنف (حدثنا قتيبة) أي ابن سعيد كما فى نسخة (نا أبو

يكرهه بل اذا بلغه عن أحد شيء قال ما بال أقوام ومنها حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب في غيبة محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحي منه لا محالة ومنها حياء المؤمن من نفسه ان رضيت بالنقص أو قنعت بالدون حتى كأن له نفسين فيستحي باحداهما من الاخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي الا بخير والحياء من الايمان وجعل

الاحوص عن أبي اسحق) أي السبيعي (عن مسلم بن نذير) مصغرا أخرج حديثه البخاري في الادب المفرد والنسائي وابن ماجه وفي نسخة يزيد بفتح التحتية وكسر الزاي (عن حذيفة بن اليمان) صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين والفتن أسلم هو وأبوه قبل بدر وشهد أحدا وقتل أبوه في المعركة قتله المسلمون خطأ فوهب لهم دمه وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمن وقال فيه صلى الله عليه وسلم ما حدثكم فصدقوه وكان عمر يقول له نشدتك الله هل تعلم في نفاقا وكان يسأله عن المنافقين وروى الترمذي والحاكم عن علي رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان كل نبي أعطي سبعة نجباء رفقاء وانى أعطيت منهم اربعة عشر منهم حذيفة (قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضلة ساقي) في النهاية عضلة على وزن طلحة وفي القاموس محركة وهو الموافق للنسخ المعتمدة وعضلة الساق اللحمة المجتمعة أسفل من الركبة بمؤخر الساق (أو ساقه) شك من الرواة مسلم أو من دونه وأما من حذيفة فبعيد وفي بعض الطرق بلفظ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم اسفل من عضلة ساقي بغير شك (فقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (هذا) اي العضلة وذكر المبتدا باعتبار الخبر وهو (موضع الازار فان أبيت) في الاخذ بالاكمل وأردت التجاوز عن العضلة (فاسفل) بالرفع اي فموضعه اسفل من العضلة قريب من الكعبين (فان ابيت فلا حق للازار في الكعبين) اي في وصوله اليهما فوصوله اليهما خلاف السنة وحديث البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اسفل من الكعبين من الازار في النار يدل على ان الاسبال الى الكعبين جائز وان ما اسفل منه هو الممنوع فيحمل حديث حذيفة على المبالغة والاحتياط سدا للذريعة على وزان كالراعي يرعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه فيفهم منه بطريق الاولى ان ما اسفل من الكعبين اشد كراهة والحاصل ان المستحب نصف الساق والجائز بلا كراهة اسفل من ذلك والى الكعبين من المتشابه الذي تركه أولى وما اسفل من الكعبين محرم ان كان خيلاء لان العبد لا يليق به الا التواضع لحديث ابن عمر في البخاري مرفوعا لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء ولحديث ابي هريرة عنده ايضا بلفظ لا ينظر الله يوم القيامة الي من جر ازاره بطرا والبطر بفتحتين التكبر والطغيان ولحديث ابن عمر مرفوعا بينا رجل يجر ازاره خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة ومكروه ان كان عادة فقط وأما حديث ما اسفل من الكعبين من الازار في النار فمحمول على حديث التقييد بالخيلاء ويؤيده ما وقع في بعض طرق حديث ابن عمر المذكور عند البخاري ايضا ان أبا بكر لما سمع ذلك قال يا رسول الله ان احد شقي ازاري يسترخي الا ان اتعاهد ذلك منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء وجائز ان كان لضرورة كمن يكون باسفل كعبه جرح يؤذيه الذباب ان لم يستره بازاره وقد حكى عياض الاجماع على ان المنع من الاسبال في حق الرجال دون النساء لما ثبت في سنن النسائي وجامع الترمذي وصححه ان أم سلمة أم المؤمنين لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه

من الايمان مع انه غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم فالحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي والغريزي معين على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين فكان في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها

(لا تحل الباساء منه عرا الصبر ولا تستخفه السراء)

لا تحل الباساء أي الشدة وان أفرطت لاسيما في الحروب وقد أسعرت نيرانها واصطامت عقول شجعانها منه متعلق بما بعده من المضاف أو المضاف اليه أو بتحل وعراجمع عروة وهي أخت الزر والصبر هو حبس النفس على ما تكره أي لا تحل أسبابه من الحلم والعفو والصفح والشجاعة المشبهة في اشتمالها على من قامت به حتى منعته من وقوع بادرة منه عند ثوران نار الغضب بحبال ربطت علي شيء وأحكمت في عرا فاستمسكت عليه ولم يمكن حلها ولا نقضها وتشبيه الصبر بالثوب السابغ ذي الازرار والعرا المحكمة استعارة بالكناية وذكر

لا تحل ترشيح والعرا تخييل وحسبك صبره صلى الله عليه وسلم على من حاربوه يوم احد في اشد ما نالوا به من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف وشق ذلك على اصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت الله عليهم فقال اللهم اغفر لقومي واهد قومي فانهم لا يعلمون اي لا تعاجلهم بالعقوبة من اجلي فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم في ذلك من أنواع العذاب وأصناف العقاب (وروي) عن عمر رضي الله عنه انه قال بأبي وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا

من عند آخر نافلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت أن تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر اللهم املأ قلوبهم نارا لان الحق لله وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله امتثالا لقول الله سبحانه وتعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم فى أماكن متعددة لاسباب مختلفة لكن مرجعها الى أنه لم يغضب لنفسه بل لربه عز وجل ففى المواهب

روى الطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى عن زيد بن سعينة بالمهملة وبالنون المفتوحتين كما قيده به عبد الغنى وذكره الدارقطنى وبالمثناة التحتية ثبت فى الشفاء وصحح عليه مؤلفه بخطه وهو الذى ذكره ابن اسحق وهو كما قال النووى أجل أحبار اليهود الذين أسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شىء الا وقد عرفته فى وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف له لأن اخالطه فاعرف حلمه فابتعت منه تمرا الى أجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين أو ثلاثة أتيته فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضينى يا محمد حقى فوالله انكم يا بنى عبد المطلب مطل فقال عمر اى عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفى رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر تأمرنى بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضى اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل قال فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيد شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما فاشهدك انى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا (وروى) أبو داود ان اعرابيا جاء اليه صلى الله عليه وسلم فجذبه بردائه وكان خشنا حتى أثر فى عنقه الشريف وقال احملنى على بعيرى هذين فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال أبيك فقال له رسول الله

المسلم

وسلم الوعيد فى حق مسبل الازار قالت كيف تصنع النساء بذيولهن فقال يرخين شبرا فقالت اذن ينكشف أقدامهن قال فيرخينه ذراعا لا يزدن عليه ﴿تنبيهات﴾ ﴿الاول فى معنى الازار القميص والسراويل وسائر الملبوسات وخص الازار بالذكر لانه غالب ملابسهم ويدخل فى النهى عن جر الثوب تطويل أكمام القميص والعذبة ونحوهما قال العراقى حدث للناس اصطلاح وصار لكل صنف من الخلائق شعار يعرفون به فمهما كان ذلك بطريق الخيلاء فلا شك فى تحريمه وما كان على سبيل العادة فلا يجرى النهى فيه مالم يصل الى حد الاسراف المذموم ﴿الثانى﴾ لما كان صلى الله عليه وسلم لا يبدو منه الا طيب كان علامة ذلك أن لا يتسخ له ثوب ومن خواصه أن ثوبه لم يقمل ونقل الفخر الرازى ان الذباب لم يقع على ثوبه قط وان البعوض لم يمتص دمه وقال الامام قاضى القضاة سيدى محمد بن ابراهيم التنائى المالكى المصرى رحمه الله تعالى من معجزاته صلى الله عليه وسلم أن من كتب هذه الامور العشرة ووضعها فى بيت لم يحترق ومن كتبها وطرحها على النار خمدت الاولى ما وقع ظله صلى الله عليه وسلم على الارض قط الثانية ما ظهر بوله على الارض قط الثالثة لم يقع عليه الذباب قط الرابعة لم يحتلم قط الخامسة لم يتثاءب قط السادسة لم تهرب دابة ركبها قط السابعة ولد مختونا الثامنة تنام عيناه ولا ينام قلبه التاسعة ينظر من ورائه كما ينظر من أمامه العاشرة كان اذا جلس بين قوم كانت كتفاه أعلى منهم والله أعلم انتهى وقد نظم بعضهم هذه العشرة فى قوله

خص نبينا بعشرة خصال * لم يحتلم قط ولا له ظلال
والارض ما يخرج منه تبتلع * كذلك الذباب عنه ممتنع
تنام عيناه وقلب لا ينام * من خلفه يرى كما يرى أمام
لم يتثاءب قط وهى السابعه * ولد مختونا اليها تابعه
تعرفه الدواب حين يركب * تاتى اليه سرعة لا تهرب
يعلو جلوسه جلوس الجلسا * صلى عليه الله صبحا ومسا

وما ذكره من انه ولد مختونا هو أحد ثلاثة أقوال ذكرها المناوى الثانى ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع له مأدبة حكاه ابن عبد البر وغيره وعن ابن عباس الثالث ختنه جبريل عند حليمة لما شق صدره رواه الطبرانى فى الاوسط قال الذهبى وهو منكر ﴿التنبيه الثالث﴾ اختلفوا هل لبس النبى صلى الله عليه وسلم السراويل فجزم بعضهم بعدمه واستأنس له بأن عثمان لم يلبسه الا يوم قتل لكن صح انه صلى الله عليه وسلم اشتراه قال ابن القيم والظاهر انه اشتراه ليلبسه اه ونقل السيوطى فى فتاويه عن أبى هريرة قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البزازين فاشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زن وأرجح وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل فذهبت لأحمله عنه فقال صاحب الشيء أحق بحمله الا ان يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه عليه أخوه

صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله وكررها ثلاثا ثم أمر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا (وروى) البخاري ان أعرابيا جذبه حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مرلي من مالي الذي عندك فضحك صلى الله عليه وسلم ثم أمر له بعطاء وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أي لم يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا وروى البخاري ان رجلا استأذن (١٤٣) عليه صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس اليه ألان له القول وانبسط اليه فلما مضى سألته عائشة عما قال وعما فعل فقال متى عهدتني فحاشا و"العشيرة القبيلة وقال فيه أولا ما قال لانه اطلع على باطن حاله وعاقبة ما آله قيل وهو عيينة بن حصن الفزاري وقد كان منه أمور في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موته تدل على ضعف ايمانه بل ارتد في زمن الصديق وحارب ثم أسلم في زمن عمر فقوله فيه من علامات النبوة وانبساطه اليه تألف له لانه رئيس قومه وفيه تعليم الامة وجواز المداراة اتقاء الشر وقد قال العلماء المداراة سنة والمداهنة معصية قال ابن القيم الجوزية والفرق بينهما ان المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده اليه أو عن الباطل والمداهن يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على هواه قال فالمداراة لاهل الايمان والمداهنة لاهل النفاق وقد مثل لذلك بمثال مطابق وهو رجل به قرحة عرف حالها الطبيب المداوي الرفيق فلينها حتى نضجت ثم بطها برفق ثم وضع عليها المرهم حتى منع فساد موضعها ونبت فيه اللحم ثم رد على ما نبت منه ما نشف الرطوبة عنه الى ان تم برؤه والمداهن يقول لصاحبه لا بأس عليك هي لا شيء فلم تزل مادتها تقوى وتستحيل حتى عظم فسادها اه فان قيل ما مر من انه صلى الله عليه وسلم لم ينتقم لنفسه ينافيه ما ثبت من أنه أمر بقتل عقبة بن أبي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم أجيب بأن ذلك ليس انتصارا لنفسه لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى وحصل الاياس من ايمانهم ومن ثم لما طمع في ايمان المنافقين أمهلهم من شدة ايذائهم له بما لا يصبر عليه بشر قوله ولا تستخفه السراء

المسلم انتهى قال ابن القيم وروى انه لبسه وكانوا يلبسونه وباذنه اه قال بعضهم ومما يرجح انه صلى الله عليه وسلم لبسه أمره به فقد أخرج العقيلي وابن عدي في الكامل والبيهقي في الادب عن علي مرفوعا انه عليه السلام قال اتخذوا السراويلات فانها من أستر ثيابكم وحصنوا بها نساءكم اذا خرجن نقله في الجامع * (فائدة) * من ابن حجر ملابس الاوبار والاصواف تدفئ وتسخن وملابس الكتان والحرير والقطن تدفئ ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير ألين من القطن وأقل حرارة منه وأسخن من الكتان وكل لباس خشن فانه يهزل ويصلب البشرة وليس في ثياب الحرير شيء من اليبس والخشونة فهي نافعة للحكة وقد رخص صلى الله عليه وسلم كما في البخاري للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة كانت بهما وفي رواية ارخص لهما فيه لما شكيا اليه القمل ويحتمل ان الحكة نشأت عن القمل والله اعلم

باب
ما جاء في مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم

أي هيئة مشيه المعتادة له (حدثنا قتيبة بن سعيد نا ابن لهيعة) بفتح اللام وكسر الهاء ابن عقبة الحضرمي صدوق وجزم النووي بضعفه في التهذيب وفي التقريب خلط بعد احتراق كتبه (عن أبي يونس عن أبي هريرة قال ما رأيت) أي أبصرت وعملت وهو أبلغ (شيأ أحسن) صفة على الأول أو مفعول ثان على الوجه الثاني (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) سبق ان معنى هذه العبارة عرفا أنه أحسن من كل شيء وانه واحد في حسنه صلى الله عليه وسلم (كان الشمس تجري في وجهه) استئناف بياني شبه الشمس بالانوار التي تلوح على وجهه وعكس التشبيه مبالغة والاصل كأن الانوار التي تلوح على وجهه الشمس فقوله تجري صفة لمحذوف وقد أخرج الطبراني والدارمي من حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء لو رأيته لرأيت الشمس طالعة والقصد من هذا اقامة البرهان على أحسنيته وانما خص الوجه بذلك لانه الذي تظهر به المحاسن لان حسن البدن تابع لحسنه غالبا (وما رأيت احدا أسرع في مشيته) بكسر الميم للهيئة وفي بعض النسخ مشية بفتح الميم بلا تاء (من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى) أي تجمع وتجعل مطوية (له) تحت قدميه (انا) استئناف للبيان (لنجهد) قال الجزيري بضم النون وكسر الهاء ويجوز فتحهما (أنفسنا) أي نحملها فوق طاقتها في حال سيره صلى الله عليه وسلم طمعا في مماشأنه فلا نقدر على ذلك يقال أجهد دابته وجهدها اذا حمل عليها في السير فوق طاقتها (وانه لغير مكترث) الجملة حال من فاعل نجهد أي غير متكلف سرعة مشيه لان سرعته كانت من كمال القوة لا من تكلف المشقة والجهد والعجلة المذهبة بالبهاء والوقار وقد تقدم يخطو تكفؤا ويمشي هونا وقد تقدم الكلام على صفة مشيته صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث الثاني من الباب الاول فانظره هناك وما هنا لا يستلزم تقدمه صلى الله عليه وسلم على

اى لاتخرجه عن ثباته وتواضعه ووقاره السراء أى الرخاء والسعة فى الجيوش والفتوح التى منحها في آخر حياته بل هو معها كهو قبلها لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ولما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم فتحها خضع لله تعالى حتى كاد رأسه يصل الى رحل ناقته

(كرمت نفسه فما يخطر السو * ء علي قلبه ولا الفحشاء) أى انما اتصف صلى الله عليه وسلم بهذه الكرامات التى لم توجد فى غيره لانه كرمت نفسه لانه تعالى لما أراد ايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية في حضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها علي (١٤٤) اقتضاء كمال حكمه وماسبق فى ارادته وعمله ثم اعلمه تعالى بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته وبانه نبي الانبياء وواسطة جميع الاصفياء وأبوه آدم بين الروح والجسد بل لاروح ولاجسد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر ممدا لها في علمها المتقدم علي علم الاشباح فكان هو الجنس العالى على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات فهو وان تأخر وجود جسمه فهو أول المخلوقات متميزا عن العوالم كلها برفعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمدانى وممتد بقوة الامداد الرحماني وراجع افتتاح المواهب فان فيه من هذا النمط أعجب العجائب ولله در تاج العارفين سيدى علي بن وفى اذ يقول

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد
هذا النعيم هو المقيم الى الابد
أصبحت فى كنف الحبيب ومن يكن
جار الحبيب فعيشه العيش الرغد
عش فى أمان الله تحت لوائه
لاخوف فى هذا الجناب ولا نكد
لاتختشى فقرا فعندك بيت من
كل المنى لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن
هو فى المحاسن كلها فرد أحد
قطب النهى غوث العوالم كلها
أعلي علي سار أحمد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد *
لولاه ماتم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم اعين هو نورها لما ورد مع
لو أبصر الشيطان طلعة نوره * فى وجه آدم كان اول من سجد أولو رأى النمروذ نور جماله * عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الحق جل فلا يرى * الا بتخصيص من الله الصمد(١) عين الوفا معنى الصفا سر الندى * نور الهدى روح النهى جسد الرشد

اصحابه في المشي حتى يعارض ماتقدم فى حديث ابن أبى هالة من أنه كان يسوق أصحابه بل يدرك هذا المعنى وهو قوة مشيته صلى الله عليه وسلم مع السوق كما يظهر مع السبق وبيانه أن السوق مستلزم لتقدم المسوق علي سائقه فاذا كان المسوق لايقاوم سائقه في مشيته أدركه من التعب بحسب ضعفه وقوته لانه لامحيدله حينئذ عن جهد نفسه فى المشى واستفراغ جهده فيه والا كان مسبوقا لامسوقا فيتحقق بسبب عند السابق قوة السائق وهذا مما يجده المرء من نفسه ويعتمد فى ادراكه علي حسه قاله بعض شيوخنا رحمه الله قال فى جمع الوسائل ولعل المناسبة بين الجملتين ان حسن وجهه كان مستمرا لم يتغير فى حال دون حال بخلاف غيره اه قال المصنف (حدثنا على بن حجر وغير واحد قالوا نا عيسى بن يونس عن عمر بن عبد الله مولى غفرة) بضم معجمة فسكون فاء (نى ابراهيم بن محمد من ولد علي بن أبى طالب قال كان علي اذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان) اى الرسول (اذا مشى تقلع) من قلع الشجرة اذا نزعها من أصلها أى مشى بقوة أي رفع رجله عن الارض بهمة وقوة لامع اختيال وتقارب خطا لان تلك مشية النساء ومن تشبه بهن (كأنما ينحط فى صبب) اى ينزل فيها انحدر من الارض كناية عن سرعة مشيه فان الماء اسرع مايكون جاريا اذا كان منحدرا وفى نسخة من صبب فهى بمعنى فى أو تعليلية أى من اجله والحديث سبق فى صدر الكتاب وهذا مختصر منه أو حديث برأسه وكذا الحديث الذى بعده وهو قوله (حدثنا سفيان ابن وكيع نا ابى عن المسعودى عن عثمان بن مسلم بن هرمز) بضم الهاء والميم غير منصرف (عن نافع بن جبير) بالتصغير (ابن مطعم عن علي رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا) أى مال الى سنن المشى (كأنما ينحط من صبب) تقدم معناه

باب
ماجاء فى تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم

التقنع قال فى القاموس تقنعت المرأة لبست القناع وفلان تغشى بثوب انتهى فهو تغطية الرأس بطرف العمامة أو الرداء فوق العمامة أو تحتها وفى البخارى انه صلى الله عليه وسلم أتي بيت أبي بكر فى القائلة متقنعا بثوبه والظاهر انه كان متغشيا به فوق العمامة لاتحتها لانه كان مستخفيا من اهل مكة يريد الهجرة الى المدينة والمراد بالقناع هنا ثوب يلقيه الشخص علي رأسه بعد ادهانه لئلا يصل أثر الدهن الى القلنسوة والعمامة وأعالى الثوب بدليل الحديث الذى ذكره فقول ابن حجر بين التقنع والمشى مناسبة تامة لاحتياج الماشى اليه كثيرا للتوقى من الحر أو البرد اه يوم ان المراد به هنا مايستعمل للتوقى من الحر والبرد وقد علمت ان المراد به هنا خلاف ذلك وأيضا فانه لو قدم التقنع على الباب قبله لكانت المناسبة حاصلة أيضا

(١) فابشر بمن سكن الجوانح منك يا * أنا قد ملأت من المنى عينا ويد هذا البيت موضعه بين الصمد وعين وكان المصنف لم يطلع عليه اه من طرة الاصل بتصرف اه مصحح

هو للصلاة مع السلام المرتفق * الجامع المخصوص مادام الأبد فبسبب كرامة نفسه صلى الله عليه وسلم وتشريفها وتنزيهها من كل رذيلة مايخطر السوء علي قلبه ولا الفحشاء كيف وقلبه قد طهر بشق الملائكة له المرات المتعددة عند تنقله في الاطوار المختلفة واخراج مافي قلبه مما جبل عليه النوع الانساني ثم طهر وغسل وحشي من الحلم والعلوم بما لايحيط به الالمان به عليه وذكر الفحشاء مع العلم بانتفائها بالاولى من انتفاء السوء لانها السوء الذي جاوز حده (١٤٥) لان المقام مقام اطناب

منع مناسبات أخر باعتبار ماقبله ومابعده قاله في جمع الوسائل بمعناه والحاصل كما قال العصام ان الفصل بين هذا الباب وبين باب اللباس غير ظاهر وقد ذكره البخاري في تراجم اللباس وكذا الفصل به بين المشية والجلسة الأن ينظر الى أن التقنع قد يستعمل عند ارادة المشي في الجملة كما في حديث الهجرة فناسب أن يذكر بعد باب المشي (حدثنا يوسف بن عيسى نا وكيع نا الربيع بن صبيح) بالتكبير فيهما (عن يزيد بن أبان) بالصرف وبدونه (عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القناع) بكسر القاف أي لبسه واستعماله (كأن ثوبه) الذي هو ذلك القناع أو أعالي ثوبه لانه وان ألقي علي رأسه القناع لابد ان يصل منه شيء الى أعلى ثوبه (ثوب زيات) بائع الزيت أو صانعه فان الغالب أن يكون بثوبهما دهن وقد تقدم في باب الترجل الكلام علي هذا الحديث

باب
ماجاء في جلسة رسول الله ﷺ

الجلسة بكسر الجيم هيئة الجلوس قال في جمع الوسائل والظاهر ان المراد بالجلسة هنا مقابل القيام ليشمل الباب حديث الاستلقاء أيضا انتهى ويأتي مالابن حجر في وجه المناسبة (حدثنا عبد بن حميد نا عفان بن مسلم نا عبدالله بن حسان عن جدتيه) وفي نسخة بالافراد (عن قيلة بنت مخرمة انها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو قاعد القرفصاء) بضم القاف والفاء يمد ويقصر مفعول مطلق وهو جلسة المحتبي يقال قرفص الرجل اذا شد يديه تحت رجليه والمراد هنا ان يقعد على اليتيه ويلصق فخذه ببطنه ويحتبي بيديه على ساقيه كما يحتبي بالثوب وقيل انه يجلس على ركبتيه متكئا ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه اي يجعل كلا تحت ابط وهي جلسة الاعراب قلت وهذا التفسير الثاني انسب هنا لما في هذه الهيئة من تنكيس الرأس والخضوع ومن ثم قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشع وفي القاموس القرفصاء مثلث القاف والفاء مقصورة وبالضم ممدودة وبضم الفاء والراء على الاتباع اه لكن الرواية هنا ماتقدم (قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشع) اي المتواضع صفة رسول او مفعول ثان لرأيت اذا كان بمعنى علمت واستظهر المناوي انه حال فتكون الالف واللام زائدة والتفعل هنا لزيادة المبالغة لا للتكليف فهو كوصفه تعالى بالمتكبر (في الجلسة) اي في هيئة جلسته المتضمنة اظهار عبوديته كما اشار اليه بقوله أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد لاعلى هيئة جلوس الجبارين المتكبرين من التربع والاتكاء وشموخ الانف وعدم الالتفات الى المساكين والاحتجاب عن المحتاجين (أرعدت) بالبناء للمجهول اي حصلت لي رعدة (من الفرق) بفتح الفاء والراء اي الخوف الالهي المستفاد من تواضعه في جلوسه أو لما كان يغشاه من هيبة الله وجلاله وفي الحديث من خاف الله خوف منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء وقد تقدم وجه ذلك في الباب الاول

(عظمت نعمة الاله عليه
فاستقلت لذكره العظماء)

أي اذا تأملت ما اتاه الله تعالى من تلك الكمالات التي لاتحد ولاتعد علمت أنه قد عظمت نعمة الله عليه عظمة قطعت سائر الخلق عن أن يصل أحد منهم الى مبادي غاياتها ومقاصد نهايتها فبسبب هذه العظمة المذكورة استقلت لذكره أي عند أي وقت ذكر ماأنعم الله به عليه العظماء جميع ماأنعم الله به عليهم لانه أوتي غاية الكمالات الباهرة التي لايدرك شاوها مخلوق ولو عرض معها علي ذوي العقول الكاملة جميع النعم والفضائل التي أوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها دون كمالاته وقطعوا بان ماأوتيه أعظم وأجل وأفخم

(جهلت قومه عليه فاغضى
وأخو الحلم دأبه الاغضاء)

أي آذوه أذي لايطاق فضربوه وخنقوه وأغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ورجموه بالحجارة الى أن أدموا رجليه فسال منهما الدم علي نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا علي قتله مرات وحصروا لاجله بني هاشم وبني المطلب في شعبهم سنتين وفي البخاري ومسلم من

حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتي عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة فاغضى عنهم حلما وتكرما لاسيما وقد جاءه لما ان اشتد أذاهم له ملك الجبال وقال له يامحمد ان الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتأمرني بامرك ان شئت اطبقت عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم ارجو أن يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولايشرك به شيأ فكان الامر كما رجا صلي الله عليه وسلم

قوله وأخو الحلم هو التأني في الأمور وعدم الانتقام ممن أتى بمكروه وأن عظم أي الذي تطبع عليه حتى صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه دأبه شأنه وعادته المستمر عليها الاعضاء وهو في الاصل اطباق العين عن رؤية المكروه واستعير هنا للتغافل عن ان يلتفت الى أنه أذى فضلا عن ان ينتقم ممن آذاه والجامع بينهما الاعراض عن المكروه وفيه تذييل وختم بالمثل السائر ومن ثم لما آذوه يوم أحد بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له ادع عليهم فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون أي علما ينتفعون به اما لجهلهم اي اعتقادهم الشيء على خلاف ماهو عليه واما لعنادهم كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فنزل علمهم منزلة الجهل واذا كان أخو الحلم دأبه ذلك فكيف نبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذي وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى هو الذي تولى تأديبه بنفسه وأفاض عليه من حقائق حلمه وقدسه حيث قال له خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وفسرها جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم حين سأله فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك

(وسع العالمين علما وحلما
فهو بحر لم تعيه الاعباء)

العالمين جمع عالم من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى فصار اسما لكل ماسواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد الذي هو العالم أدل على الشمول والاستغراق لأن الغرض هنا افادة ان له اجناسا مختلفة كالجن والانس والملائكة والأفلاك والدواب والجماد واستغراق جميعها بطريق الى المطابقة ولو قيل العالم لاوهم استغراق بعض افراد تلك الأجناس فقط وغلب في جمعه العقلاء لشرفهم وعدل عن جمع الكثرة مع تبادره تنبيها على ان العوالم وان كثرت قليلة في جنب عظمة الله تعالى وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذي العلم وهو الانس والملائكة والجن وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل العالم خص بالانسان فان كل واحد من افراده عالم من حيث انه مشتمل على ما في

في قول علي رضي الله عنه من رآه بديهة هابه فكان مع تخشعه وتواضعه عظيما مهابا ووقع في هذه القصة بعد قولها أرعدت من الفرق فقال له جليسه يا رسول الله أرعدت المسكينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظر الى وأنا عند ظهره يا مسكينة عليك السكينة قالت فأذهب الله ما كان دخل في قلبي من الرعب ولعل هذه أول ملاقاة حصلت لها وقد تقدم قوله للرجل الذي أرعد بين يديه هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد * قال المصنف (حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي وغير واحد قالوا نا سفيان عن الزهري عن عباد بن تميم) أي الانصاري المازني ثقة وقيل ان له رؤية (عن عمه) أي عبد الله بن زيد ابن عاصم بن محمد صحابي شهير روى صفة الوضوء وغير ذلك ويقال هو الذي قتل مسيلمة الكذاب روى عنه الستة (انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم مستلقيا) أي مضطجعا على قفاه (في المسجد) ولا يلزم منه النوم (واضعا احدى رجليه على الاخرى) اي مع نصب الاخرى أو مدها وهذا الحديث في الصحيحين وهو بظاهره ينافي ما رواه مسلم عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستلقين أحدكم ثم يضع احدى رجليه على الأخرى فاما ان يحمل حديث الباب على وضع احدى الرجلين على الأخرى مع مدهما وحديث النهي على وضع احدى الرجلين على ركبة الاخرى بعد نصبها واما أن يحتمل حديث الباب على حالة الامن من انكشاف العورة كالمتسرول وحديث النهي على حالة عدم الامن من ذلك كالمؤتزر قال العسقلاني والتأويل اولى من ادعاء النسخ لانه لا يصار اليه بالاحتمال وكذا القول بأن الجواز من خصائصه بعيد لانه لا يثبت بالاحتمال أيضا ولان من الصحابة من كان يفعل ذلك بعده صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه احد وفيه جواز الاتكاء والاضطجاع والاستراحة في المسجد مطلقا ويمكن تقييده بحالة الاعتكاف لما علم ان جلوسه كان على الوقار والتواضع اه المناوي والظاهر من حال المصطفى صلى الله عليه وسلم انه انما فعله بالمسجد عند خلوه ممن يحتشم منه * وقال ابن حجر وجه مناسبة الحديث للباب ان فيه دليلا على حل الجلوس على سائر كيفياته بالاولى لان هذا الاضطجاع اذا جاز في المسجد فولى ان يجوز سائر أنواع الجلوس في المسجد وغيره وقد تقدم أول الباب عن جمع الوسائل توجيه آخر * قال المصنف (حدثنا سلمة بن شبيب) بفتح المعجمة وكسر الموحدة الاولى أخرج حديثه مسلم والاربعة (نا عبد الله بن ابراهيم المدني) وفي نسخة المديني أخرج حديثه أبو داود أيضا (نا اسحق بن محمد الانصاري) مجهول أخرج حديثه أبو داود أيضا (عن ربيح) مصغر ربح براء فموحدة فمهملة (ابن عبد الرحمن بن أبي سعيد) أخرج حديثه أبو داود وابن ماجه (عن ابيه) اي عبد الرحمن (عن جده أبي سعيد الخدري) بالدال المهملة (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المسجد) وفي نسخة في المجلس (احتبى بيديه) زاد البزار ونصب ركبتيه أي جعلهما مكان الاحتباء بالثوب في الصحاح احتبى الرجل اذا جمع ظهره وساقيه بعمامته وقد يحتبي بيديه اه والاحتباء جلسة الاعراب لقيامه مقام الاستناد

العالم الكبير من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع انظر ابن حجر وقوله علما تمييز أي وسع علمه علوم العالمين الانس والملائكة والجن لأن الله تعالى أطلعه على العالم فعلم علم الأولين والآخرين ما كان منه ومايكون وحسبك في ذلك القرآن الذي أوتيه وقد قال تعالى مافرطنا في الكتاب من شيء فالعلوم كلها مندرجة منغمرة في علومه صلى الله عليه وسلم وقوله وحلما تمييز أيضا أي وسع حلمه حلم العالمين باسرهم كما سبق ومامن حليم الاوقد عرفت له زلة أو هفوة تحدش في كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لاتزيده شدة الاذى له والجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا فهم بسبب جمعه لتلك المعالي التي لم تجتمع لغيره بحر اي واسع العلم والحلم وغيرهما من أخلاق نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه بليغ أي كالبحر لم تعيه من أعيا فلان في مشيه اى تعب ووقف والاعباء بفتح الهمزة جمع عبء بكسر أوله بعدها موحدة ثم همزة الحمل والثقل من أي شيء كان أي لم يكدر بحر علمه شك ولاشبهة وبحر حلمه ايذاء ولاجهالة فاستعار الاعباء للاكدار والاعباء للشبه والجهالات

الى الجدار وجاء النهي عنه في المسجد والامام يخطب لانه يستجلب النوم فربما يفوت سماع الخطبة او الصلاة في الجماعة وجاء عن جابر بن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صلي الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء أي نقية بيضاء ذكره النووي في الرياض وقال صحيح رواه ابو داود باسانيد صحيحة قال في جمع الوسائل فنقول اختلفت أحواله صلى الله عليه وسلم فتارة تربع وتارة احتبى وتارة استلقى وتارة ثنى رجليه توسعة للامة المرحومة وقال ابن حجر احتباؤه انما كان في غير مابعد صلاة الصبح اه فجعل هذا الحديث مخصصا لحديث الباب والله أعلم بالصواب

باب
ما جاء في تكأة رسول الله صلى الله عليه وسلم

تكأة كهمزة مايتكأ عليه من وسادة وغيرها مما هيء وأعد لذلك فخرج الانسان اذا اتكئ عليه فلا يسمى تكأة ولهذا ترجم المصنف لهما بابين فاندفع الاعتراض بأن الكل باب واحد فلا وجه للفصل بينهما وقدم باب الاتكاء على غير الانسان لانه الاصل وأما الاتكاء على الانسان فعارض قليل وعبر هنا بالتكأة وفيما يأتي بالاتكاء لان التكأة مقصودة للاتكاء بطريق الذات وكان النص عليها في الترجمة أولى والمتكأ عليه هناك ليس كذلك فكان حذفه لاجل ذلك والنص على الاتكاء أولى فاندفع الاعتراض أيضا بان القياس استواء البابين في التعبير بالتكأة هنا وبالمتوكا عليه هناك او في التعبير بالاتكاء في البابين قال معناه ابن حجر وسلمة في جمع الوسائل (حدثنا عباس بن محمد الدوري) بضم المهملة نسبة الى محلة من بغداد أو قرية من قراها (البغدادي) ثقة حافظ أخرج حديثه الاربعة (نا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي أبصرته حالة كونه (متكئا على وسادة) أي مخدة ويقال وساد بلا تاء واسادة بالهمز (على يساره) أي كائنة على الجانب الايسر وهذا البيان الواقع لالتقييد فيجوز الاتكاء عليها يمينا وشمالا وسيأتي للمصنف ان اسحق انفرد بهذه الزيادة ومن ثم قال في جامعه حديث حسن غريب لكنه مع ذلك يحتج به ويفهم من قوله على يساره ان المراد بالاتكاء هنا الميل والاعتماد على أحد الشقين لا الاستواء قاعدا كما قيل * قال المصنف (حدثنا حميد بن مسعدة نا بشر ابن المفضل نا الجريري) هو سعيد بن اياس (عن عبد الرحمن بن أبي بكرة) هو اول تابعي ولد بالبصرة روى عنه الشيخان وغيرهما (عن أبيه) أبي بكرة نفيع بن الحرث صحابي مشهور بكنيته نزل من الطائف من بكرة تعلق بها فكناه النبي صلى الله عليه وسلم بابي بكرة وكان مثل النصل من العبادة قال الحسن البصري لم ينزل البصرة من الصحابة ممن سكنها افضل من عمران بن حصين وأبي بكرة وكان يأبى ان ينتسب ويقول أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أولاده أشرافا في البصرة بالولايات والعلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم)

(مستقل دنياك أن ينسب الامساك منها اليه والاعطاء)

اى اذا تأملت ماتقدم من أوصاف كماله الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذي اندرجت البحار كلها في يمه والحليم الكريم الذي دخل كل كريم وحليم تحت حياطة كرمه وحلمه وعلمت أنه صلى الله عليه وسلم لعصمته عن الالتفات لماسوى الله تعالى مستقل اى محتقر دنياك اى الاموال التي هي من جملتها اذ هي في الاصل اسم لما بين السماء والارض وعدل عن التعبير بالزهد لانه انما يزهد فيما له بال والدنيا لاقدر لها ولا بال عنده صلى الله عليه وسلم ثم أبدل من قوله دنياك بدل اشتمال ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء منها لانها لفنائها وكثرة شغلها عن المعالي حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو لمستحقها احتقار الشأنها وتعليما للامة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها أشد الاعراض خبر الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب لكن أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك

وفيه الاستلذاذ بخطابه تعالى في الحالين وروى الطبراني باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال ياجبريل والذى بعثك بالحق ما أمسي لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته فقال صلى الله عليه وسلم ياجبريل أمر الله القيامة ان تقوم فقال لا ولكن أمر اسرافيل ينزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ماذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وأمرني ان أعرض عليك ان اردت ان تسير معك جبال تهامة

زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فأومأ اليه جبريل أن تواضع فقال نبيا عبدا قالها ثلاثا ثم اعلم ان الناس فى طلب الدنيا على قسمين عبد طلب الدنيا للدنيا وعبد طلب الدنيا للآخرة وهذا فى الحقيقة لادنيا له لان دنياه لآخرته قال ابن عطاء الله سمعت شيخنا أبا العباس المرسى رضى الله عنه يقول العارف لادنياله دنياه لآخرته وآخرته لربه والاشياء انما تذم وتمدح بما تؤدي اليه فالدنيا ليست تذم بلسان الاطلاق ولا تمدح كذلك بل المذموم منها ماشغلك عن مولاك ومنعك من الاستعداد لاخراك والممدوح منها ماأعانك على طاعته وأنهضك الى القيام بخدمته ولكونها ذات وجهين وردت أحاديث بذمها والتنفير منها وأخرى بمدحها والثناء عليها فمن الاولى حديث الدنيا جيفة قذرة وحديث الدنيا ملعونة ملعون مافيها الاذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما وحديث حب الدنيا رأس كل خطيئة وصح انه صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء ومن الثانية حديث لاتسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر لكن لما كان حال أكثر الناس طلبها لحظوظ أنفسهم العاجلة واشتغالهم بها عن الله وعن الآجلة كانت أحاديث ذمها والتحذير منها أكثر وأشهر وتعاطى أسبابها على الوجه الشرعى والمنهج المرعى لايشغل عن الله ولذا قال فى التنوير لابد من الاسباب وجودا ومن الغيبة عنها شهودا فاثبتها من حيث اثبتها الحق

وفى نسخة أخبركم والهمزة للاستفهام ولا للنفي والمعادل محذوف والتقدير أينتفى اخباركم بأكبر الكبائر أم لاينتفى وانما يعلمهم بها من أول وهلة ايذانا بغاية التنفير منها لانها أفحش المعاصى وأشنعها ومرتكبها مشتغل بتخريب ايمانه وافساده (بأكبر الكبائر) أى بكبائر هى أكبر الكبائر أي أعظمها وأشنعها فالموصوف متعدد لان الحديث يدل على ان اكبر الكبائر متعدد فلا يرد ماقال العصام ان تعدد أكبر الكبائر مشكل لان معناه كبيرة أكبر من جميع ماعداها من الكبائر وحاصل الجواب ان المراد ان هذا العدد من الكبائر كل واحد منه أكبر من جميع ماعداه من الكبائر وادعاء ان الاكبر لايكون الا واحدا انما هو ان اريد الحقيقى أما ان أريد النسبي فانه يكون متعددا وهو المراد هنا ولا يلزم من هذا ان كل فرد من افراد هذا العدد مساو لغيره لكن يرد أن يقال القتل أكبر من العقوق بل ليس بعد الشرك أكبر منه والزنا أكبر من العقوق فلم ينبه على ذلك وأجيب بان ذلك علم من أحاديث أخر والنبي صلى الله عليه وسلم كان يراعى فى مثل ذلك أحوال الحاضرين ولذلك قال مرة أفضل الاعمال الصلاة لاول وقتها وأخرى أفضل الاعمال الجهاد وأخرى أفضل الاعمال بر الوالدين وقد اختلف العلماء فيما تمتاز به الكبائر عن الصغائر على اقوال منها انها تمتاز بالعد قال القلشانى قال بعضهم استقريت من جميع الاحاديث انها ثمان عشرة كبيرة أربعة فى القلب الشرك بالله والامن من مكر الله والاياس من رحمته والاصرار على الذنب وثلاثة فى البطن أكل مال اليتيم وأكل الربا وشرب الخمر وخمس فى اللسان الكذب وشهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس والغيبة واثنان فى اليد البطش والسرقة واثنان فى الفرج الزنا واللواط وواحدة فى الرجل الفرار من الزحف وواحدة فى جميع البدن وهى العقوق وقال ابن عباس هى الى السبعين أقرب وفى رواية الى سبعمائة أقرب وقيل حدها مبهم لتترك كل معصية خوف الوقوع فى الكبيرة كما أخفيت الوسطى والاسم الاعظم وليلة القدر وساعة الجمعة وانظر بقية الاقوال فى جمع الجوامع وغيره وأما حصر الصغائر فمتعذر قال ابن حجر كقبلة أجنبية ولعن ولو لبهيمة وكذب لاحد فيه ولا ضرر وهجو مسلم وهجره فوق ثلاثة أيام واشراف على بيت غيره وجلوس مع فاسق لايناسب ونجش واحتكار وبيع معيب علم عيبه ولم يذكره انظر بقيتها فيه وتأمل بعض هذه الامثلة فقد لايسلم ان جميعها من الصغائر (قالوا بلى يارسول الله) أى أخبرنا بذلك وفائدة النداء الاشارة الى عظم الاذعان لرسالته وماينشأ منها من الشريعة واستجلاب ماعنده من الكمالات والعلوم (قال الاشراك بالله) أى اعتقاد ان له سبحانه شريكا في ألوهيته والاظهر ان المراد هنا مطلق الكفر وخص الاشراك بالذكر لغلبته فى الوجود لاسيما فى بلاد العرب والا فبغض الكفر أعظم قبحا من الاشراك وهو التعطيل ويكفى في قبح الكفر قوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فكل ذنب ترجى مغفرته الا الكفر وفى الحديث الصحيح يقول الله عز وجل من لقيني بقراب الارض خطيئة لايشرك بى شيأ

بحكمته ولا تستند اليها لعلمك باحديته وهذا لاينافى الزهد لان الزهد عبارة عن طرح الدنيا من القلب وعدم تعلقه بها والحب لما وان كانت فى يده وعدم الزهد هو تعلق القلب بها والالتفات اليها وان لم تكن فى اليد قال القرافى فى الفرق الخامس والخمسين والمائتين بين قاعدة الزهد وعدم ذات اليد اعلم ان الزهد ليس عدم المال بل عدم احتفال القلب بالدنيا والاموال وان كانت فى ملكه فقد يكون الزاهد من أغنى الناس وهو زاهد لانه غير محتفل بما فى يده وبذله فى طاعة الله تعالى أيسر عليه من بذل الفلس على غيره وقد يكون الشديد الفقر غير زاهد بل فى غاية الحرص لاجل ما اشتمل عليه قلبه من الرغبة فى الدنيا اه وفى لطائف المنن لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد قال أما انه ليس باضاعة المال ولا تحريم الحلال ولكن أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك وان يكون ثواب المصيبة أرجح عندك من بقائها وقال فى التنوير للزهد فى الدنيا علامتان علامة فى وجدها وعلامة فى فقدها فالعلامة التى فى وجدها الايثار منها والعلامة التى فى فقدها وجود الراحة منها فالايثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة شكر لنعمة الفقدان وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان وذلك لان الحق سبحانه كما ينعم بوجودها ينعم بصرفها بل نعمته فى صرفها أتم وقال الشيخ أبو يزيد البسطامي مر علينا شاب حاجا فقال لى ما علامة الزهد عندكم فقلت له اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا قلت له فما الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وفى شرح الوغليسية للشيخ سيدى احمد زروق سئل الشيخ سيدى عبد القادر الجيلانى عن الدنيا فقال

شيأ لقيته بمثلها مغفرة وقال تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به وقال والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى وقال تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وقال تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير الآية فهو كسر لا يجبر فاعرف قدر نعمة الايمان (وعقوق الوالدين) أي كل من الوالدين قال فى جمع الوسائل وهذا أظهر من قول ابن حجر جمعهما لان عقوق أحدهما يستلزم عقوق الآخر غالبا ويجر اليه اه والعقوق ان يفعل مع الوالد ما يتأذى به تأذيا ليس بالهين فى العرف بهذا ضبطه بعضهم وارتضاه ابن حجر قال فى جمع الوسائل وحاصله ان العقوق مخالفة توجب الغضب وأما مادونه فمن الصغائر ويؤيده ما ورد رضا الرب فى رضا الوالد وسخط الرب فى سخط الوالد رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمرو البزار عن ابن عمر ولا شك ان بين الرضا والسخط حالا متوسطا فقوله تعالى ولا تقل لهما أف من باب المبالغة فى الزجر اه قال ابن حجر وهل المراد بقولهم ليس بالهين بالنسبة للوالد حتى ان ما يتأذى به كثيرا وهو عرفا بخلاف ذلك كبيرة أو بالنسبة الى العرف فما عده أهله مما لا يتأذى به كثيرا ليس بكبيرة وان تأذى به كثيرا كل محتمل والذى يظهر ان المراد الثانى بدليل انه لو أمر ولده بنحو فراق حليلته لم تلزمه طاعته وان تأذى بذلك كثيرا فعلمنا ان ليس المناط وجود التأذى كثيرا بل ان يكون ذلك من شأنه ان يتأذى منه كثيرا اه قلت قد يتأذى الوالد بما لا يتأذى به لسوء طبعه أو لنقصان عقله ومن الناس من لا يرضيه شيء فالظاهر والله أعلم انه اذا فعل معه مالا يسميه الناس اذاية فان ذلك لا يكون عقوقا وان لم يقنع بذلك منه ثم اعلم ان العقوق من الذنوب التى تعجل عقوبتها فى الدنيا فان العاق قل ما ينجح له عمل دينى أو دنيوي وفى الحديث ملعون من سب والديه قالوا يارسول الله كيف يسب والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه قال القرطبى انما استحق ساب أبويه اللعن لمقابلته نعمة الابوين بالكفران وانتهائه الى غاية العقوق والعصيان كيف وقد قرن الله برهما بعبادته وان كانا كافرين وبتوحيده وشريعته اه بل قد يؤدى العقوق الى الكفر أخرج الدارقطنى والبيهقى فى شعب الايمان وفى دلائل النبوة عن عبد الله بن أبى أوفى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان ههنا غلاما قد احتضر فيقال له قل لا اله الا الله فلا يستطيع ان يقولها قال أليس كان يقولها فى حياته قالوا بلى قال فما منعه منها عند موته فنهض النبى صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه حتى أتى الغلام فقال يا غلام قل لا اله الا الله قال لا أستطيع أن أقولها قال ولم قال لعقوق والدتى قال أهى حية قال نعم قال أرسلوا اليها فجاءته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنك هو قالت نعم قال أرأيت لو ان نارا أججت فقيل لك ان لم تشفعى فيه قذفناه فى هذه النار فقالت اذن كنت أشفع له قال فأشهدى الله وأشهدينا بانك قد رضيت عنه أخرجها من قلبك واجعلها فى يدك فانها لا تضرك وقال شيخنا أبو العباس بن عقبة الحضرمى ليس الرجل الذي يعرف وجوه تفريق الدنيا فيفرقها انما الرجل الذي يعرف كيفية امساكها فيمسكها قلت وذلك لانها كالحية وليس الشأن فى قتل الحية وانما الشأن فى امساكها حية وقال الشيخ ابو العباس المرسى فى اشارة قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى الآية يقال للولى وما تلك بيمينك أيها الولى فيقول هى دنياى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى وغنمه اعضاؤه ولى فيها مآرب أخرى فيقال له ألقها فناء عنها فالقاها فيكشف له عن حقيقتها فاذا هى حية تسعى فيقال له خذها ولا تخف فيأخذها باذن كما تركها باذن فاطاع الله فى أخذها كما أطاعه فى

تركها وقال الشيخ ابو مدين الدنيا جرادة اذا قطع رأسها حلت ورأسها حبها اه وعلى هذا تحمل أحوال الصحابة رضوان الله عليهم وكذا من بعدهم من صلحاء الامة الذين بسط لهم فى الدنيا فكثرت أموالهم واتسعت فيها أحوالهم وبذلك وصفهم الله سبحانه وهو المطلع على أسرارهم العالم بهم فى سائر أطوارهم فقال عز من قائل فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة الآية فاخبر عنهم بانهم لا يلهيهم ماذكر عن طاعته فاثبته لهم ونفى عنهم الشغل به عنه اشارة الى أنه قد طهر أسرارهم وكمل أنوارهم فلم تأخذ الدنيا من قلوبهم ولم تحدث فى وجه معرفتهم وزهدهم ولذا قال تعالى فى حقهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكذا حال العارفين والأولياء الكاملين وانظر قول بعضهم لمن قال له الى متى الجلوس في الحانوت وتعاطى المكس الجسد فى الحانوت والقلب فى الملكوت وانما يخشى من اتساع الدنيا وبسطها على أهل البداية لعدم تمكنهم ورسوخهم فيخشى عليه أن تأخذ من قلوبهم وتقطعهم عن الوصول الى مطلوبهم ولذا ابتلى الحق سبحانه الصحابة بالفاقة فى أول أمرهم حتى اذا تكملت انوارهم وتطهرت أسرارهم بذلها لهم وأفاضها عليهم فتصرفوا فيها تصرف الخازن الامين فيما يليه وامتثلوا قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وأخرج ابن عساكر عن أنس انه صلى الله عليه وسلم قال ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا فان الدنيا بلاغ الى الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس على ان من الناس من لا تتم وجهته الى ربه ولا يجمع قلبه على حبه الا بسعة الحال وكثرة المال والفقر يشوش باله ويوجب اختلاله ففى بعض الاحاديث القدسية ان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر وان بسطت له أفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك انى أدبر أمور عبادى لعلمى بقلوبهم انى عليم خبير ذكره ابن الجوزى فى صفوة الصفوة وقد فسر

فقالت قد رضيت عن ابنى فقال يا غلام قل لا اله الا الله فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى أنقذه بي من النار وذكره السيوطى فى شرح الصدور وكأن هذا والله أعلم وجه ذكر العقوق اثر الاشراك بالله مع ان شهادة الزور أعظم من العقوق (قال) أي أبو بكرة (وجلس وكان متكئا قال وشهادة الزور) أكد صلى الله عليه وسلم التحذير من شهادة الزور بالجلوس بعد الاتكاء مع ان الاشراك أعظم منها لتساهل الناس فيها وتسارعهم اليها مع انه يترتب عليها مفاسد كثيرة من زنا وقتل وتحريم حلال وعكسه قال القرطبي وليس بعد الشرك أعظم منها وقال النووى القتل أعظم منها ويكفى فى قبحها انه سبحانه قرنها فى التنزيل بالشرك فقال اجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور فجمع الشرك وقول الزور فى قران واحد لان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال اجتنبوا عبادة الأوثان التى هي رأس الزور واجتنبوا الزور كله لا تقربوا شيئاً منه لتماديه فى القبح والسماجة وماظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وجاء من شهد زوراً علق من لسانه يوم القيامة قال الأبى وهى أن يشهد بما لم يعلم عمداً وان طابقت الواقع كمن شهد أن زيداً قتل عمراً وهو لا يعلم أنه قتله وقد كان قتله (أو قول الزور) هو أعم مطلقاً من شهادة الزور والشك قال المناوى هو من الراوى لا من الصحابى اذ يبعد نسيانه مع المبالغة وكثرة التكرار اه وقد صرح مسلم بان الشك من الراوى لانه ذكر الحديث عن أبي بكرة ثم ذكره عن أنس بن مالك بالشك ثم قال وقال شعبة وأكثر ظنى انه شهادة الزور اه قال فى جمع الوسائل والأظهر أن أو للتنويع ورواية البخاري لا شك فيها وهى ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ألا سكت وهو من عطف الخاص على العام وقال ابن دقيق العيد يحتمل انه عطف تفسير فانا لو حملنا القول على الاطلاق لزم أن الكذبة الواحدة كبيرة وليس كذلك (قال) اى ابو بكرة (فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها حتى قلنا ليته سكت) أى تمنوا سكوته لانهم كانوا اذا غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد خوفهم خوف أن يغضب الله لغضب رسوله أو تمنوا سكوته فى تلك الحالة اشفاقا عليه وكراهة لما يزعجه ويؤلمه وفى الحديث ما كانوا عليه من كثرة الخوف من الله تعالى والادب مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمحبة له والشفقة عليه وان افادة العلم مع الاتكاء لا تنافي الادب والكمال فى بعض الأحيان ومع بعض الأشخاص وان الواعظ ينبغى له أن يبالغ فى التحذير مما يقع الاستخفاف به من حقوق الخالق أو المخلوقين حتى يرحمه السامعون وليس فى هذا الحديث ولا فى الحديث بعده مناسبة للباب وان كان الاتكاء يستلزم التكأة * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا شريك عن علي بن الأقمر عن أبى جحيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئاً) لأن وقت الأكل وقت تواضع وشكر لله تعالى والأكل متكئاً صفة المتكبرين وهذا ظاهر ان فسر الاتكاء بالميل على شق حالة الأكل ومنه الاعتماد على اليد اليسرى عند الأكل فانه نوع من الاتكاء كما قال مالك وكذا ان

كان سعد بن عبادة سيد الخزرج رضى الله عنه يدعو اللهم هب لى حمدا وهب لى مجدا فانه لا مجد الا بفعال ولا فعال الا بمال
اني لا يصلحنى القليل ولا أصلح عليه ذكره فى الصفوة أيضا وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة والافضال وسمت همته لدرك
المعال ابتغاء لذلك مرضاة الكبير المتعال كما عبر عنه من قال أردت بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبلى
كما ان ايثار الفقر مذهب من غلب عليه حب السلامة وآثرها لكثرة الخطر علي تلك الكرامة كما قال القائل

وقائلة مالى أراك مجانبا
أمورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالى بربحك حاجة

ونحن أناس بالسلامة نفرح والحاصل كما قال فى الاحياء ان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد لذكر علام الغيوب فرب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور مايشغل عن الله تعالي والافالدنيا فى عينها غير محذورة لاوجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى ارفوزهم ونجاتهم فى انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله عزوجل وعمدة الاشتغال بالله القلب اه وقد ذكر في الاحياء ان زهد النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا واعراضه عما عرض عليه من خزائنها وايثاره للتقلل منها والاقتصار على القدر الضرورى من متاعها انما كان نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به فى الترك اذلو اقتدوا به فى الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل القوى بين يدى اولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه انه لو أخذها لاخذها أولاده اذا رأوها فهلكوا والسير بسيرة الضعفاء سيرة الانبياء عليهم السلام اذهم فى مقام الاقتداء والتشريع للكافة وعلى ذلك يحمل أيضا هروب من هرب منها من المشايخ الكاملين والائمة الراسخين ولكل وجهة هو موليها وكلا وعد الله الحسنى * وفى طبقات ابن السبكى فى ترجمة ابن حبان بعد كلام تنبغى مراجعته وسماعى مرات كثيرة من الشيخ الوالد رحمه الله وهو معتقدى انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيرا قط ولا كانت حالته

فسر بالاستناد الى وسادة ونحوها لما فى ذلك من التهاون بنعمة الله ومن ذلك الاكل مضطجعا وأما ان فسر بالجلوس على وجه يتهيأ معه الاكثار من الاكل كالتربع وبه فسره القاضى عياض فلان ذلك من فعل المستكثرين من الاطعمة المتنعمين المشغوفين بكثرة الاكل الذين لهم نهمة وشره وعلي كل فهو حرام فى حق النبي صلى الله عليه وسلم وكان تارة يجلس على صدور قدميه وتارة ينصب رجله اليمنى ويجلس علي اليسرى وقال ابن القيم يذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يجلس للاكل متوركا علي ركبتيه ويضع ظهر قدمه اليمنى علي بطن اليسرى تواضعا لله عزوجل وأدبا بين يديه قال وهذه الهيئة أنفع هيآت الاكل وأفضلها لان الاعضاء كلها تكون علي وضعها الطبيعى الذى خلقها الله تعالى عليه اه بنقل ابن حجر ونقله فى جمع الوسائل أيضا بعد هذا المحل وأما فى حق غيره فالاتكاء مكروه على الاصح وحينئذ فليس النهي مقصورا عليه ووجه تخصيصه نفسه الشريفة بذلك ان المناسب لكماله عدم الاتكاء فى الاكل اذ مقامه الشريف يأباه من كل وجه فامتاز عليهم بذلك قاله ابن حجر قال فى جمع الوسائل والاظهر ان مراده التعريض بغيره من الجاهلية والعجم الذين يفعلون ذلك اظهارا للعظمة والكبرياء والافتخار والخيلاء والمراد أما أنا ومن تبعنى فلا أفعل ذلك فاكتفى بذكر المتبوع عن التابع وفيه اشارة الى نهى المؤمنين عن ذلك وتنفيرهم عن فعله بوجه لطيف وهو انه لا يفعل ذلك بوجه لان أما تفيد المبالغة والتأكيد والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن ابن مهدى نا سفيان) هو الثورى كما صرح به العسقلانى (عن على بن الاقمر قال سمعت أبا جحيفة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا) يظهر الفرق بين الحديثين باختلاف رجال السند وتغيير يسير فى المتن والغرض تأكيد هذا الامر بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى وان اتكاءه انما كان فى غير حالة الاكل وعند ابن ماجه والطبرانى باسناد حسن أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثا على ركبتيه يأكل فقال له اعرابى ماهذه الجلسة فقال ان الله جعلنى عبدا كريما ولم يجعلنى جبارا عنيدا قال ابن بطال وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا لله ومن ثم قال انما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد ثم ذكر من طريق أيوب عن الزهرى قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم يأته قبلها فقال ان ربك يخيرك بين ان تكون عبدا نبيا أو ملكا نبيا فنظر الى جبريل كالمستشير له فاومأ اليه ان تواضع قال بل عبدا نبيا قال فما أكل متكئا وهذا مرسل أو معضل وقد وصله النسائى من طريق آخر عن ابن عباس نحوه * قال المصنف (حدثنا يوسف بن عيسى نا وكيع نا اسرائيل عن سماك ابن حرب (عن جابر بن سمرة) صحابيان (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا علي وسادة) أى مخدة (قال أبو عيسي) هو المصنف (لم يذكر وكيع فيه) أى فى هذا الحديث (علي يساره) أى هذا اللفظ (وهكذا روى غير واحد عن اسرائيل نحو رواية وكيع ولا نعلم أحدا ذكر فيه علي يساره الا ماروى اسحق بن منصور عن اسرائيل) حاصله ان اسحق تفرد بزيادة

فقراء بل كان أغنى الناس بالله وكان الله تعالى قد كفاه أمر دنياه فى نفسه وعياله ومعاشه واحفظ أن الشيخ الامام رحمه الله اقام من مجلسه من قال كان النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا قياما صعبا وكاد يسطو به ومانجاه منه الا أنه استتابه واستسلمه وكان رحمه الله يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحينى مسكينا ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة التى هى ان يجد مالا يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد ذلك والحق معه فان من جاءت اليه مفاتيح خزائن الارض وكان قادرا على تناول مافيها كل لحظة كيف يوصف بالعدم ونحن لو وجدنا من معه مال جزيل فى صندوق من جوانب بيته لوسمناه بسمة الغنى المفرط مع العلم بانه قد يسرق أو تغتاله غوائل الزمان فيصبح فقيرا فكيف لا يسمى غنيا من خزائن الارض بالنسبة اليه أقرب من الصندوق بالنسبة الى صاحب البيت وهى فى يديه بحيث لا تتغير بل هو آمن عليها بخلاف صاحب الصندوق فما كان النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا مسكينا نعم كان أعظم الناس جؤارا الى ربه وخضوعا له وأشدهم فى اظهار الافتقار اليه والتمسكن بين يديه اه

شمس فضل تحقق الظن فيه أنه الشمس رفعة والضياء

أى هو شمس سماء العلوم والكمالات باسرها بجامع الحسن والاشراق على الوجود والامداد لكل موجود كيف وكل فضل تحلى به كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك تحقق أى ثبت الظن أى انتقل الظن من الرجحان الى الاعتقاد الجازم المطابق للواقع فيه أى فى ذاته وصفاته انه بالنسبة الى بقية الكمل فى اشراقه ورفعته عليهم الشمس المشرقة على هذا العالم رفعة لا يصل اليها أحد منهم وانه الضياء المفيض عليهم أضواء الكمالات وفى وخوارق الامتدادات فاجملة من قوله تحقق الظن الخ حالية مؤكدة لما قبلها وبين الشمس والضياء مراعاة النظير وفيهما التشبيه البليغ وقد تقدم بيان هذا التشبيه وان المشبه أعلى من المشبه به وارفع ولذا قال

(فاذا ماضحاها نور الظل وقد أثبت الظلال الضحاء) الفاء للسببية أى فبسبب ان المشبه قد يكون أعلى من المشبه به

على يساره من بين سائر الرواة عن اسرائيل وكان الاولى ايراد هذا الطريق عقب طريق اسحق بن منصور أول الباب بل لا وجه لايراده آخر الباب قاله المناوى

باب ماجاء فى اتكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

المقصود من هذه الترجمة كما تقدم بيان اتكائه على أحد من أصحابه حال المشى لعارض مرض ونحوه كما يفهم من الحديثين الموردين هنا فالمراد من البابين مختلف فلذلك لم يجعلهما بابا واحدا كما تقدم (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا عمرو بن عاصم نا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شاكيا) أى مريضا والشكوى لمرض يقال شكا يشكو واشتكى شكاة وشكاوة وشكوى (فخرج) أى من الحجرة الشريفة (يتوكأ) من التوكؤ بمعنى الاتكاء أى يعتمد (على اسامة) أى ابن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعليه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (ثوب قطرى) نوع من البرد غليظ وفيه اعلام (قد توشح به) أى أدخله تحت يده اليمنى والقاه على منكبه الايسر كما يفعله المحرم وقيل التوشح هو ان يخالف بين طرفى الثوب على عاتقه وهو الاشتمال على المنكبين بان يأخذ طرف الثوب الايسر من تحت اليد اليسرى فيلقيه على المنكب الايمن ويأخذ الطرف الايمن من تحت اليد اليمنى فيلقيه على المنكب الايسر قاله فى المشارق (فصلى بهم) أى اماما باصحابه قيل وكان هذا فى مرض موته وتقدم هذا الحديث فى باب اللباس * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا محمد بن المبارك نا عطاء بن مسلم الخفاف الحلبى نا جعفر بن برقان) بموحدة مضمومة فراء ساكنة فقاف (عن عطاء بن أبى رباح عن الفضل بن عباس قال) اى الفضل (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه وعلى رأسه عصابة) هى مايشد به الرأس لوجع أو نحوه أو العمامة (صفراء) لعل صفرتها كانت عارضة فى ايام المرض لا أصلية ولا مانع من كون لونها الاصلى أصفر وتقدم فى باب العمامة عصابة دسماء (فسلمت) أى فرد على السلام هو أو غيره (فقال يا فضل قلت لبيك يا رسول الله) فيه الجواب بالتلبية لغير الله تعالى ونقل الشيخ خليل فى توضيحه عن ابن أبى جمرة ان اجابة الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم بالتلبية من خصائصه وان الاجابة بها لغيره مكروهة وقد اعترضه الشيخ مصطفى فى حواشيه على تت بان الاصل عدم الخصوصية قال وماذكره من أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعله مع أصحابه خلاف مالعياض وماذكره أبو نعيم عن عائشة وترجمة البخارى لذلك تدل على عدم الخصوصية انظر بقية كلامه رحمه الله ومانقله من نصوص الائمة فى ذلك فانه حسن (قال اشدد بهذه العصابة رأسى) فيه التداوى واظهار الافتقار والمسكنة والتبرى من الحول والقوة (قال ففعلت ثم قعد) بعدما كان مضطجعا (فوضع كفه على منكبى) أى ليستعين بذلك على القيام ويسمى هذا اتكاء اذ قد يراد به مطلق الاعتماد على الشىء (ثم قام ودخل المسجد)

كان شأنه صلى الله عليه وسلم انه اذا ماضحا أى مشى عقب طلوع الشمس والمراد ماهو أعم لكنه فى هذا الوقت أظهر لقوة ضياء شمس الضحى محانوره الظل أى ظل ذاته الكريمة أى لايكون له ظل كما يكون لغيره من كل قائم لان نوره أصل كل نور والظل ظلمة وهى تضمحل مع وجود النور ويحتمل ان يكون معنى ضحا ظهر ونوره ماجاء به ودعا اليه والظل كل مانهى عنه من الكفر والضلال قوله وقد أثبت الظلال الضحاء والواو للحال والظلال جمع ظل وهو ماتنسخه الشمس أو ينسخها والضحاء بالضم والقصر الشمس والمد ضرورة ويصح ان يكون بالفتح والمدوهو مابعد الضحي بقرب الزوال وخص الوقت المذكور لشدة ظهور الشمس فيه وأشار الناظم بالبيت الى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يرتسم له ظل فى شمس ولاقمر ووجهه القاضى فى الشفاء بقوله لانه كان نورا اى ولانه وان كان بشرا لكن بشريته ليست كبشرية سائر البشر فهو بشر ليس كالبشر كما ان الياقوت حجر ليس كالحجر فهو مع بشريته نور ولذلك سمى نورا وقد قال بن عباس لم يقم صلى الله عليه وسلم مع شمس قط الاغلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الاغلب ضوءه ضوء السراج رواه ابن الجوزى ووجه أيضا بحفظ ظله الذى هو مثال صورته عن الامتداد علي الارض اجلالا له ولان الظل المرتسم معرض للارتسام في الاماكن القذرة وأيضا الظل ملزوم للظلمة فى الجملة بالنسبة الى النور اذ هو حجاب له وهو صلى الله عليه وسلم النور المنير فلا تظهر منه ظلمة وأيضا الشمس والقمر منه ظهرا وعنه نشآ فلا يستران به اذ المظهر للشيء يمتنع ان يكون ساترا لما أظهره *(فائدة)* ذكر بعض العلماء ان من معجزاته صلى الله عليه وسلم ان من كتب هذه الامور العشرة الآتية ووضعها فى بيت لم يحترق ومن كتبها وطرحها علي النار خمدت وهى ماوقع ظله صلى الله عليه وسلم علي الارض قط ماظهر بوله علي الارض قط ولم يقع عليه الذباب قط لم يحتلم قط لم يتثاءب قط لم تهرب منه دابة ركبها قط ولد مختونا تنام عينه ولا ينام قلبه ينظر من ورائه كما ينظر من أمامه كان اذا جلس

وفى نسخة فدخل فى المسجد والشائع تعدية دخل بنفسه (وفي الحديث قصة) أى طويلة كما فى نسخة وهى انه صعد المنبر وأمر بنداء الناس وحمد الله واثنى عليه والتمس من المسلمين ان يطلبوا منه مافي ذمته من الحقوق ولا يتركوه للآخرة وبالغ فيه فطلب منه رجال حقوقهم وتفصيله فى مطولات كتب الاثر وقال ذلك لينبه علي أن لهذا الحديث في غير هذا الباب تتمة لئلا ينكرها من يراها بعد ماسمع هذا الحديث المختصر قاله المناوى

باب
ما جاء فى صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم

اى فى بيان بعض آداب أكله من أنه كان يأكل أصابعه لا بآلة وانه كان يلعق اصابعه بعد الفراغ من الاكل وانه كان يأكل على هيئة التواضع لله تعالى لا متكئا والاكل قال ابن حجر ادخال غير المائع من الفم الى المعدة والشرب ادخال المائع اليها (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن سعد) بفتح فسكون وفى نسخة سعيد قال المناوى وهو تصحيف (ابن ابراهيم عن ابن لكعب بن مالك) عبد الله بن كعب من كبار التابعين مات سنة سبع أو ثمان وتسعين أو عبد الرحمن وهو أيضا تابعى وقيل انه ولد فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومات فى خلافة سليمان بن عبد الملك (عن ابيه) اى كعب بن مالك الانصارى السلمى بفتح السين المدني صحابي مشهور وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا مات فى خلافة علي رضى الله عنه (ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلعق) بفتح العين اى يلحس (أصابعه) اى بعد الفراغ لا فى الاثناء قال ابن حجر قبل المسح والغسل وبعد الفراغ من الاكل لعقها لرواية مسلم ويلعق يده قبل ان يمسحها تنظيفا ومحافظة علي البركة فى الحديث اذا اكل أحدكم طعامه فليلعق أصابعه فانه لايدرى فى ايهن البركة اي لا يعلم البركة فى اى واحدة منهن فليس فيه حذف مضاف خلافا لمن وهم فيه اه قال في جمع الوسائل قلت الظاهر ان فيه حذف مضاف والتقدير فى اى طعامهن البركة ويؤيده رواية مسلم لانه لايدرى فى اى طعامه البركة ومن المعلوم ان محل البركة الطعام لا مجرد الاصبع فتامل اه قال النووى معنى قوله فى اى طعامه البركة ان الطعام الذى يحضر الانسان فيه بركة لايدرى ان تلك البركة فيما أكل أو فيما بقى علي أصابعه أو فيما بقى أسفل القصعة اى اللقمة الساقطة من يده فينبغى أن يحافظ علي هذا كله لتحصيل البركة اه قلت فى قوله لايدرى فى أيه البركة توجيه لنفس اللعق وفى قوله لايدرى فى ايهن البركة توجيه لتعميم الاصابع التى تعلق بها الطعام باللعق ومعنى رواية لايدرى فى ايه البركة متضمن لمعنى رواية فى أيهن وزيادة والله اعلم ومعنى ذلك والله أعلم زيادة التغذية وكفاية للقليل منه فان اصل البركة الزيادة والاتساع فى الشيء والتقوية على الطاعة وقد أبدى القاضي عياض علة اخرى للعق فقال انما أمر بذلك لئلا يتهاون بقليل الطعام وقال ابن دقيق العيد وقد يعلل بان مسحها قبل لعقها فيه زيادة تلويث لما يمسح به مع الاستغناء عنه بالريق قال العسقلانى

بين قومه كانت كتفاه أعلي منهم (فكأن الغمامة استودعته * من أظلت من ظله الاكفاء)

لما ذكر ان نوره صلى الله عليه وسلم يمحو كل ظل ورد عليه ان الغمامة كانت تظله فلم يمح نوره ظلها فأجاب بقوله فبسبب محو نوره الظل الحسى صار صلى الله عليه وسلم هو الظل المعنوى الاعظم على جميع اتباعه حتى كأن الغمامة لما أظلته قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا لما سيصير اليه أمره أعلمته بأنها استودعته الامة باسرها لكن أصحابه بلا واسطة وهم الدفقاء ومن بعدهم بواسطة استمداد الاولين من ظله وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل فالذين بواسطتهم هم الذين أظلتهم بعض ظله الاعظم الدفقاء جمع داف كعلماء جمع عالم وهم الجيوش سموا بذلك لانهم يدفون نحو العدو اي يسيرون اليه لدفعه ولاستئصاله وحاصل الجواب ان ذلك التظليل الذى كان قبل النبوة كان لحكمتين احداهما الارهاص وثانيتهما اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤل اليه امره من ان الله سبحانه سيجعل له أمة أكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد من القرن الذى قبله وان الكل مستمدون وممدون من ظله فظله المعنوى عم جميع الامة فالمحو المذكور هو الاصل المستمر والبقاء انما كان على خلاف الاصل لما ذكر هذا محصل ما فى المنح ولا يخلو عن تكلف الجأه اليه ارادة الارتباط بين هذا البيب والذى قبله باعتبار المعنى الثاني وهو غير لازم والصواب ان يقال انه اشار الى ذكر حكمة تظليل الغمامة له وانه لا ينافى محو الظل لان المراد به ما فى الارض لا ظل السماء فيكون الناظم رحمه الله اشار هنا الى ان الغمامة لما ظللته بظلها الحسى فكانها استودعت عنده بسبب ذلك أمته ليظللها بظله المعنوى خدمة منها له صلى الله عليه وسلم لما تعلمه من محبته لامته كانها تقول بلسان حالها هذا الظل خدمة منى اليك وان كنت لا حاجة لك به لكنى قصدت به ان تكون له به يد عندك وأنت أكرم من جازى وتلك المجازاة جعلتها لامتك فى ويصير سبك البيت كان الغمامة استودعت النبى صلى الله عليه وسلم جميع أمته الذين أظلتهم من أجل ظلها له صلى الله عليه وسلم فكان الظل أولا ما كان الا لهم لغناء هو عنه وهم الدفقاء وذكر الشهاب الخفاجى فى رحلته عن بعض الشيوخ انه غلط الشراح فى هذا البيت رواية قال وانما هو هكذا فكأن الغمامة استودعته * مذ أظلت من ظله الدفقاء

والعلة المذكورة في الحديث لا تمنع ماذكره ابن دقيق العيد فقد يكون للحكم علتان فاكثر والتنصيص على واحدة لا ينفى الزيادة (ثلاثا) استظهر ابن حجر تبعا للحنفى ان ثلاثا قيد للعق فيؤخذ من الروايات الآتية ان اللعق فى ثلاث اصابع ومن هذه الرواية ان اللعق ثلاثا لكل من تلك الثلاث والاظهر ماقاله المناوى من ان قوله ثلاثا حال من قوله أصابعه ليوافق الروايات الآتية اذ لم يأت التصريح فى رواية بأنه كان يلعق أصابعه ثلاث مرات ووقع التصريح بلعق اصابعه الثلاث فى كثير من الطرق فينبغى حمل هذه الرواية عليها من باب حمل المجمل على المبين لاسيما مع اتحاد الرواى وهو كعب بن مالك فسيأتي من حديثه بلفظ كان يأكل بأصابعه الثلاثة ويلعقهن فتكون روايته الثانية مفسرة لروايته الاولى ويؤيد هذا الحمل قوله (قال أبو عيسى) يعنى المصنف (وروى غير محمد بن بشار هذا الحديث قال كان يلعق أصابعه الثلاث) أى الابهام والمسبحة والوسطى قال يوسف بن عمرو قد كان النبى صلى الله عليه وسلم يلعق أصابعه حتى تحمر اه ونقله الشيخ زروق والخطاب فى حاشيته على الرسالة وقال العراقى هذه الزيادة لا أصل لها قال العسقلانى وقع فى حديث كعب بن عجرة عند الطبرانى فى الاوسط صفة لعق الاصابع ولفظه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث الابهام والتى تليها والوسطى ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل ان يمسحها الوسطى ثم التى تليها ثم الابهام وكان السر فيه ان الوسطى أكثر تلويثا لانها أطول فيبقى فيها من الطعام اكثر من غيرها ولانها لطولها أول ماتقع فى الطعام أولان الذى يلعق الاصابع يكون بطن كفه الى جهة وجهه فاذا ابتدأ بالوسطى انتقل بالسبابة الى جهة يمينه ثم الى الابهام كذلك اه وقال الشيخ يوسف بن عمر قال التامسانى يبدأ من الخنصر ثم الابهام ثم الوسطي ثم البنصر ثم السبابة وقد حفظنا عنه قبل هذا غير هذا الترتيب اه فالعق على ترتيب خاوبس وقال بعضهم على ترتيب خوابس قال ابن حجر بعد ذكر الترتيب الوارد فى الحديث الثانى واعتراض ذلك بأن نسبة الثلاث للفم سواء غفلة عن الخبر والمعنى المذكور اه قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة ظاهر كلام المؤلف ان اللعق أولا ثم المسح ثم الغسل وهو أنظف وأطيب للنفس وذكر لى بعض الاصحاب ان الزناتى ذكر انه السنة اه وقد فهم من الحديث ان الاكل يكون بالاصابع لا بآلة وان السنة الاكل بثلاثة أصابع وقد قال الشافعى الاكل باصبع واحد مقت وباثنين تكبر وبثلاثة سنة وما زاد على ذلك شره اه وقد تورع بعض السلف عن الاكل بالملاعق لكون الوارد انما هو الاكل بالاصابع وقد أحضر الرشيد طعاما ودعا بالملاعق فقال أبو يوسف جاء فى تفسير جدك ابن عباس فى قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم وجعلنا لهم أصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه وأما ما أخرجه سعيد بن منصور من مرسل ابن شهاب ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل أكل بخمس فمحمول على القليل النادر لبيان الجواز او على المائع فان عادته فى اكثر الاوقات هو الاكل بثلاث أصابع قاله

فاستودعت وأظلت مبنيان للمفعول ومذ بضم الميم واعجام الذال والدقعاء بدال مهملة مفتوحة وقاف وعين مهملة والمدوهي الارض وترابها والمعنى ان الغمام انما أظله لئلا يمس ظله الارض فلذا أخذه وديعة عنده ليصونه عن مس التراب وهذا معنى بديع يعرفه من ذاق حلاوة الشعر وفي قوله مذ أظلت الخ معنيان أحدهما مذ مس ظله التراب والآخر مذ صارت الارض كلها في حمايته لانه ظل الله اه فليتأمل وقد قالوا من جملة نكت هذا التظليل خدمة الامور له وأنه صاحب الملك الحقيقي الذي لا يحتاج الى تكلف كسائر الملوك ففيه التنبيه على أنه ذو الملك التام والعزة البالغة وان شمسيته أجمل وأحسن وأكمل وأبهى وأعظم من الشمس المحجوب عنها لان المحفوظ من الشيء أعظم من ذلك الشيء فكان حجبه عنها حجب حفظ لا حجب منع من اشراق نوره وفيضان فضله وأيضا شأن الشمس انها تمنع التمكن من التأمل فيما انتشرت عليه فظلل ليتم التمكن من التأمل فيه فكان التظليل عين الجلاء وأيضا ليتمحض النور له ولا يشاركه فيه شيء وأيضا جماله صلى الله عليه وسلم من جمال الشمس أجمل وجلاله من جلالتها أجل ونوره من نورها أنور وبهاؤه من بهائها أبهى وأبهر فخجلت منه حين طلوع طلعته وبروزسنا رفعته فاختفت عن موضعه ولم تستطع ان تلقاه وذلك مقتضى استحياء الاصاغر من الاكابر والخدام من السادات ألم تران الوزير يكون في تصرفاته الهائلة وأحكامه المتطاولة فاذا أشرف عليه الامير أخفى ذلك وقطعه وأزال ثوب التقدم ونزعه اجلالا ومهابة واستحياء وأدبا وان التلميذ يكون في تقريراته المحققة وتحريراته المرونقة فاذا أشرف عليه المعلم قعد للتعلم بين يديه وفوض أمر التقرير والتحرير اليه ويرحم الله القائل

أفضل الخلق أحسن الناس خلقا * زانه الله ما أشد احتشامه
ان جلا في الدجا هلال جبين * وعن الوجه ان أماط لثامه
أخجل الشمس في الضحى وأعار الـ * ـبدر في الليل نوره وتمامه
ولسيدي عبد الرحيم البرعي رحمه الله
نبي ما رأته الشمس الا * وكلت عن محاسنه حياء

في جمع الوسائل وفي الاكمال من اضطر الى أكثر من ثلاث أصابع لخفة الطعام وعدم تلفيقه بالثلاث فليدعمه بالرابعة اه قال ابن حجر ويسن لعق الاناء لخبر أحمد والمصنف وابن ماجه وابن شاهين والدارمي وغيرهم من أكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة قال المصنف وهو حديث غريب وروى أبو الشيخ من أكل ما يسقط من الخوان او القصعة أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق والديلمي من أكل ما يسقط من المائدة خرج ولده صباح الوجوه ونفى عنه الفقر أورده في الاحياء بلفظ عاش في سعة وعوفي في ولده والثلاثة مناكير اه وقد جاء من التقط فتاتا من الارض وأكلها كان كمن اعتق رقبة وجاء في التقاط ما يقع من الطعام انه مهر الحور العين وجاء ان من داوم على ذلك لم يزل في سعة قال في المواهب وهي أحاديث واهية اه قال في جمع الوسائل في الجامع الصغير من لعق الصحفة ولعق أصابعه أشبعه الله في الدنيا والآخرة رواه الطبراني بسند ضعيف عن العرباض والعمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال جائز عند أرباب الكمال اه * قال المصنف (حدثنا الحسن بن علي الخلال نا عفان نا حماد عن ثابت عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اكل طعاما لعق) بكسر عينه (أصابعه الثلاث) * قال المصنف (حدثنا الحسين بن علي بن يزيد الصدائي) نسبة الى صداء قبيلة (البغدادي حدثنا يعقوب بن اسحق يعني الحضرمي نا شعبة عن سفيان الثوري عن علي بن الاقمر عن أبي جحيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا) تقدم في باب التكأة ما فسروا به الاتكاء وتحقيق ما في ذلك وذكر ابن حجر هنا ان الميل على أحد الجانبين عند الاكل يضر بالآكل فانه يمنع مجرى الطعام الطبيعي على هيئته ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء وأخرج ابن أبي شيبة عن النخعي كانوا يكرهون أن يأكلوا متكئين مخافة أن تعظم بطونهم اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا سفيان عن علي بن الاقمر نحوه) ظاهره انه موقوف عليه ويحتمل رفعه وكان المناسب أن يذكر هذا الحديث باسناديه أول الباب أو آخره لئلا يقع فصل بين أحاديث الاكل بالاصابع الثلاث ولعقهن قاله في جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق الهمداني نا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن ابن لكعب بن مالك عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل باصابعه الثلاث ويلعقهن) بفتح الياء مضارع الثلاثي أو بضمها مضارع الرباعي وقد قال ابن حجر في الحديث الاول في رواية يلعق أو يلعق أي يلعقها غيره فينبغي لمن يتبرك به ان يفعل ذلك مع من لا يتقذره من نحو ولده وخادم وزوجة يحبونه ويتلذذون بذلك منه فان في ذلك بركة لحديث اذا أكل أحدكم طعامه فليلعق أصابعه فانه لا يدري في أيهن البركة اه وقد تقدم معنى هذا الحديث * قال المصنف (حدثنا أحمد ابن منيع نا الفضل بن دكين) بضم ففتح (نا مصعب) بصيغة المفعول (ابن سليم) مصغر (قال سمعت أنس بن مالك يقول أتى) أي جيء (رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر فرأيته يأكل

(خفيت عنده الفضائل وانجا * بت به عن قلوبنا الاهواء
أم مع الصبح للنجوم تجل * أم مع الشمس للظلام بقاء)

اى اذا تقرر ان كل فضل مستمد من فضله وان نوره يمحو الظل علم أنه قد خفيت عنده اى فى جنب ما أوتيه الفضائل التى أوتيها غيره من الانس والملائكة والجن وانه قد انجابت أى انكشفت به أي بسبب ما بينه لنا من علومه وآدابه وأخلاقه عن عقولنا معشر أمة الاجابة الاهواء أى الضلالات والنقائص فلم نقع فى روطة شيء منها كما وقع فيها من أعرض عن الهدى وسلك سبيل الردى ثم استدل على ذلك الخفاء وكشف الاهواء بما أفاده الاستفهام الانكارى فقال على طريق اللف والنشر المرتب أيوجد مع الصبح للنجوم تجل أو يوجد مع الشمس للظلام بقاء أي انما خفيت الفضائل عنده لانه الفجر الصادق وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما ان النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك سائر الكمل وانما كشف عن عقولنا الاهواء لانه كالشمس والاهوية والنقائص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حائل بينها وبين ما أشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام تجنيس التقابل وفى البيت الكلام الجامع

(معجز القول والفعال كريم الـ
ـخلق والخلق مقسط معطاء)

أى هو صلى الله عليه وسلم معجز القول لان الله تعالى أنعم عليه بجوامع الكلم مع كونه أفصح أهل الفصاحة وهم العرب ومن ثم قيل ان كلامه معجز كالقرآن والاكثر على خلافه وهو معجز الفعال فلا يقدر مخلوق ان يوجد فعلا مطابقا لسائر المصالح الظاهرة والباطنة في ذلك الوقت الذى أوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هى مرتبة وارث حضرة الالهية التى لا يدخل أحد اليها الا باذنه وتقدم بعض كرم خلقه وخلقه وسيأتى بعض آخر منها وبين القول والفعال والخلق والخلق تجنيس التقابل مع تجنيس التحريف بعضهم في الثانى والمقسط العادل فى أحكامه وأقواله وافعاله فلا يصدر عنه شيء قط الا على غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من رآه وعلم أحواله حتى أعداؤه وبهذا كانوا يسمونه الامين والمأمون وصح ان رجلا قال له وهو يقسم اعدل فقال ويلك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل وكان يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم

وهو مقع) اسم فاعل من الاقعاء (من الجوع) أى لاجله والاقعاء يطلق على معنيين أحدهما أن يجلس جلوس البدوي المصطلى وهو جلوسه على اليتيه ناصبا فخذيه واضعا يديه بالارض والثانى أن يفترش رجليه ويضع اليتيه على عقبيه وكل منهما منهى عنه فى الصلاة عند المالكية وأما في هذا الحديث فقيل المراد به الوجه الاول قال ابن حجر وهو الاصح ثم وجه ذلك بما بحث فيه المناوي فانظره وقيل المراد الوجه الثاني وهو رجوعه على صدور قدميه ويبعده قوله من الجوع فانه يدل على أن جلوسه كان حينئذ على وجه تحصل به استراحة مما كان به من الضعف فالظاهر تفسيره هنا بالوجه الاول وهو الاحتباء مع استناد الى ما وراءه قال فى القاموس أقعى فى جلوسه أى تساند الى ما وراءه فمعنى مقع من الجوع جالس على اليتيه ناصب ساقيه مستند الى ما وراءه من الضعف الحاصل له بسبب الجوع وقد أشار ابن حجر الى هذا الوجه ثم قال وبما تقرر تعلم ان الاستناد ليس من مندوبات الاكل بل من ضروراته لانه صلى الله عليه وسلم لم يفعله الا لذلك الضعف الحاصل له

باب
ما جاء فى صفة خبز رسول الله صلى الله عليه وسلم

أي بيان أنه كان من شعير فى غالب الاوقات وانه لم يأكل خبزا مرققا الى ان فارق الدنيا (حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد) أبو بكر الكوفى ثقة من كبار الثالثة (يحدث عن الاسود) هو أخو عبد الرحمن الراوى عنه أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن مخضرم ثقة مكثر فقيه من الثانية على ما فى التقريب (ابن يزيد) أى ابن قيس النخعى (عن عائشة رضى الله عنها انها قالت ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم) يعنى عياله الذين كانوا فى مؤنته وليس المراد بهم من حرمت عليهم الصدقة قال المناوى ويحتمل أن يكون لفظ آل مقحما ويؤيده ان المصنف أخرج هذا الحديث من طريق شعبة باسناده فى آخر الباب بلفظ ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ ويحصل به المطابقة بين الحديثين وبين الترجمة أيضا قلت خبز رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خبز آله فالمطابقة بين الحديثين والترجمة حاصلة على كل حال (من خبز الشعير يومين) أى فاحرى خبز البر لكن فى رواية البخارى من حديث عائشة أيضا التقييد بثلاث ليال كما يأتى قريبا الا ان يقال لا مفهوم لقوله ثلاث ليال فلا تنافى (متتابعين) مفهومه انه كان يشبع يومين غير متتابعين ومما ينبغي ان يتنبه له ما ذكره الاتبرى من أن الشبع فى حقه انما هو ما يحمل جسمه ويحفظ حياته وصحته لا الامتلاء من الطعام والشبع المتعارف وقال فى جمع الوسائل المذموم من الشبع هو الشبع المثقل الموجب للكسل المانع من تحصيل العلم والعمل اه وقد نص العلماء على أن الشبع الى حد التخمة وافساد المعدة حرام وما دون ذلك مما يؤدى الى الثقل مختلف فيه بالكراهة والاباحة وعليها اختلف فى الجشاء هل يقول عندها الحمد لله أو استغفر الله وجمع

الفزع الاكبر وكان لا يؤاخذ أحدا بقول أحد ولا يصدق أحدا في أحد وأشار بقوله معطاء وهو مفعال من العطاء لكثرة عطائه صلى الله عليه وسلم وجوده وسخائه وفي الصحيحين من حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس قال في المواهب وأجود أفعل تفضيل من الجود وهو اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي ومعناه هو أسخى الناس لما كانت نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الامزجة لابد ان يكون فعله أحسن الافعال وشكله أملح الاشكال وخلقه أحسن الاخلاق فلاشك أن يكون أجود وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات وفي مسلم عن أنس ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا أعطاه فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال ياقوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر وعنده أيضا عن صفوان بن أمية قال لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وانه لمن أبغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لأحب الناس الى قال ابن شهاب أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وفي مغازي الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى صفوان يومئذ واديا مملوأ ابلا ونعما فقال صفوان أشهد ماطابت بهذا الا نفس نبي وأخرج ابن عدى من حديث أنس مرفوعا أنا أجود بني آدم فكان جوده صلى الله عليه وسلم بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع لهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم وروى البخاري من حديث جابر ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا أى ماطلب منه شيء من امر الدنيا فمنعه أي لا ينطق بالرد وانما يعطي أو يسكت وقد يقول لا على جهة الاعتذار وروى الترمذي انه حمل اليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها قال وجاءه رجل فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءني شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله مالا تقدر فكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل من الانصار يارسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت وروى انه في يوم حنين أعطى عطاء كثيرا حتى قوم ما أعطى ذلك

بعضهم بينهما وهو أحسن فيحمد الله اعتبارا بالنعمة ويستغفر الله لسوء أدبه في أكله ومالا يحصل معه الثقل مما لا يخل بقواه هو المطلوب وعليه نبه سبحانه بقوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فالاكل على هذا الوجه من الدين وهو الذي تظهر أنواره على صاحبه وفي الحديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب المؤمن لقيمات يقمن صلبه فان كان ولابد فثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس أخرجه المصنف وصححه (حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم) اشارة الى استمراره على تلك الحالة الى الوفاة وظاهره نفي الشبع يومين متتابعين قبل الهجرة وبعدها وفي رواية البخاري عنها بلفظ ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض فانظر هل قولها منذ قدم المدينة تقييد وفي هذا الحديث ومافي معناه من أحاديث الباب دليل على اعراضه صلى الله عليه وسلم عن نعيم الدنيا وزهده فيها واقتصاره على ماتدعو اليه ضرورة الحياة كما تقدم غير مرة ثم لا ينافي هذا انه صلى الله عليه وسلم كان يدخر لعياله قوت سنة لقول النووي في شرح مسلم انه كان يفعل ذلك أو اخر حياته لكن تعرض عليه حوائج المحتاجين فيخرجه فيها فصدق انه ادخر قوت سنة وانهم لم يشبعوا لانه لم يبق عندهم ما ادخر لهم قال في جمع الوسائل وهذا يقتضي أن ضيق حالهم انما كان في آخر السنة والاحاديث تقتضي عموم الاحوال فالاحسن في الجواب أن يقال لم يكن يدخر لهم على وجه الشبع الى أن قال مع انه لا تصريح فيه انهم كانوا لا يشبعون من القلة وانما كان عادتهم عدم الشبع نعم ما كانوا يجدون من لذيذ الاطعمة المؤذية الى الشبع غالبا وقد روى الشيخان عن عائشة توفي النبي صلى الله عليه وسلم وليس عندي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففنى اه وقد تقدمت فوائد اختباره صلى الله عليه وسلم هذه الحالة في الحديث الثالث من باب ماجاء في عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي اول حديث أبي الهيثم وفي آخر حديث من الباب المذكور فراجعه ففيه كفاية والله الموفق وذكر في الشفاء ان قلة الاكل هو المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وهو الذي كان يأمر به ويحض عليه ولم تزل العرب والحكماء تمدح بقلة الاكل وتذم بكثرته لان قلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة وسبب للصحة وحدة الذهن وكثرة الاكل دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة جالب لمضار الدنيا والآخرة وأمراض البدن وغلبة النوم الجالبة لعدم الذكاء والفطنة وقساوة القلب والكسل وتضييع العمر في غير تقنع اه وعلى هذا كانت سيرة السلف الصالح رضي الله عنهم قالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع فان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وقيل البطن عضو ان أشبعته جاع سائر الاعضاء وان أجعته شبع سائر الاعضاء وقال ذو النون ماشبعت قط الا عصيت أو هممت والحاصل أن الشبع يحرك النفس للمعاصي وفي الحديث عن أبي جحيفة قال أكلت ثريدة بر بلحم وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا اتحشا فقال

اليوم فكان خمسمائة ألف ألف وفي البخاري من حديث أنس انه أتى بمال من البحرين فامر بصبه في المسجد وكان أكثر مال أتي به صلى الله عليه وسلم فخرج الى المسجد فلم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاء العباس فقال اعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفع الى قال لا قال فارفعه أنت علي قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله (١٥٨) فلم يستطع فعل ذلك ثلاث مرات ثم احتمله فالقاه على كاهله فانطلق

فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه فما قام عليه الصلاة والسلام وثم درهم منها وفي رواية ابن أبي شيبة كان مائة ألف وكان صلى الله عليه وسلم قد اتاه سبي فشكت اليه فاطمة ماتلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فأمرها ان تستعين بالتسبيح والتحميد والتكبير وقال لأعطيك وادع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وقد كان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله وفي ابتغاء مرضاته ويؤثر على نفسه وأولاده فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك ويعيش في نفسه عيش الفقراء فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار على جهة الاختيار

(لا تقس بالنبي في الفضل خلقا
فهو البحر والانام اضاء)

يقال قست الشيء بغيره اذا قدرته على مثاله اي لا تشبه بالنبي في الفضل الجامع الذي اعطيه خلقا من نبي او ملك اي لا تعتقد ان مخلوقا يساويه أو يقاربه في وصف من اوصاف الكمال والانام اي الخلق بالقسبة اليه اضاء بالكسر والمدجمع أضاة كقناة وهو الغدير وشتان ما بين البحر والغدير وفيه مراعاة النظير

(كل فضل في العالمين فمن فضـ ـل النبي استعاره الفضلاء)

اي وكيف لا يكون كذلك وكل فضل وجد في ما العالمين اي الانس والملائكة والجن فهو كائن في فضل ذلك النبي الاكرم على ربه من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين في حال كون ذلك الفضل استعاره الفضلاء اي اكتسبوه من فضله لانه الممدلهم اذ هو المتلقى عن الحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد منها الا بواسطة فلا يصل منها لكامل شيء الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبي انما هي مقتبسة

اكفف أو احبس عليك جشاك أبا جحيفة فان أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة قال الراوي فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تعشى لا يتغدى واذا تغدى لا يتعشى اه وفي النصيحة الشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف به من الحرام (١)

* قال المصنف (حدثنا عباس بن محمد الدوري) بضم الدال (نا يحيى بن أبي بكير) مصغر وفي نسخة ابن أبي بكرة (نا حريز) كعزيز (ابن عثمان عن سليم) مصغر (ابن عامر قال سمعت أبا امامة) بضم الهمزة وهو الباهلي (يقول ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خبز الشعير) كناية عن عدم شبعهم * قال ابن حجر المعنى لم يكثر ما يجدونه ويخبزونه من الشعير عندهم حتى يفضل عندهم منه شيء بل كانوا لا يجدون ما يشبعهم في الاكثر اه وقال المناوي اي كان لا يبقى في سفرتهم فاضلا عن مأكولهم وهذا لا يدل على انهم كانوا لا يشبعون من ذلك الخبز بخلاف الاحتمال الاول * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحي) بضم جيم وفتح ميم (نا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا) أي خالي البطن جائعا يقال طوى بالكسر يطوى طوى اذا جاع فهو طاو وطيان أي جائع وطوى بالفتح يطوي طيا اذا جوع نفسه قصدا يقال فلان يطوى ليالي وأياما قاله المناوي (هو وأهله) اي عياله ويكنى بالاهل عن الزوجة ومنه قوله تعالى وسار بأهله وتأهل تزوج وأهل البيت ساكنه قاله في المغرب (لا يجدون) اي الرسول وأهله (عشاء) بفتح أوله وهو ما يؤكل عند العشاء بالكسر والمعنى لا يجدون ما يأكلونه في الليل أو ما يقاربه من آخر النهار (وكان أكثر خبزهم خبز الشعير) فيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من المبالغة في ستر حاله عن أصحابه لشرف نفسه وتخامة منصبه ورأفته بهم ورحمته وعلو همته ومزيد حشمته وقد قال لقمان لابنه ان افتقرت يوما فاجعل فقرك فيما بينك وبين الله عز وجل ولا تحدث الناس بفقرك فتهون عليهم وانما في ذلك ان يحزن صديقك ويفرح عدوك ولبعضهم في ذلك لا تظهرن لعاذل أو عاذر * حاليك في السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة * في القلب مثل شماتة الاعداء

وهذا خلاف قول القائل

ولا بد من شكوى الى ذي مروأة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

* قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي نا عبد الرحمن وهو ابن عبد الله بن دينار نا ابو حازم عن سهل بن سعد انه) اي الامر والشان (قيل له) اي لسهل (أكل) بحذف اداة الاستفهام وفي نسخة أأكل بذكرها (رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي) اي من النخالة (يعني الحواري) بضم الحاء وتشديد الواو وراء مفتوحة وهو الذي نخل مرة بعد مرة من التحوير وهو التبييض فهو تفسير للنقي أدرجه الراوي في الخبر (فقال سهل

(١) بياض بالاصلين اللذين بايدينا اه

من نوره لانه كالشمس وهم كالكواكب فبنوره صلى الله عليه وسلم نطق كل ناطق وحسن كل حسن وعقل كل عاقل وكرم كل كريم وعلم كل عالم الى غير ذلك من أنواع الفضائل انظر ابن حجر والمواهب فقد أجاد وأفاد وتذكر قول الناظم

وكل آي أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس في الظلم

(شق عن قلبه وشق له البد * رومن شرط كل شرط جزاء) (١٥٩) يوجد في بعض النسخ عن صدره وهي صحيحة أيضا لانه شق عن صدره أولا ثم عن قلبه المرة بعد المرة أربع مرات مبالغة في التطهير والتخليص من الاغيار عند الانتقال من الاطوار وشق له أي لاجله صلى الله عليه وسلم البدر أي القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبه كفار مكة وبالغوا في عناده وطلبوا منه آية يريها لهم تدل على صدقه وهي أن ينشق له القمر نصفين فسأل ربه فانشق له كذلك كما نص عليه القرآن وتواترت به الاحاديث ولفظ البخاري عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وهو من أمهات معجزاته لا يكاد يعدلها شيء من آيات الانبياء لظهوره في ملكوت السموات خارجا عن جملة الطباع لما في هذا العالم المركب من الطبائع فلم يطمع أحد في الوصول اليه بحيلة واختلفوا هل تعدد أم لا ومن قال بعدم التعدد أول رواية انشق مرتين بفلقتين كما في رواية أخرى وشاهده من كان بمكة وغيرها وانما شق له القمر لانه شق عن صدره حتى أخرج قلبه ثم شق أي جرح وطهر فجوزي على ذلك اذ من شرط كل شرط ولو في البدر لغرض مقصود ان يكون له جزاء أي من علامة كل شرط يقع في الجسد جزاء من برء ونحوه فانه لما روع صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة بما حصل له من الخوف جوزي على ذلك بحيز عظيم مشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو أظهر معجزاته وأبهر آياته وفي كلامه أولا وثانيا الجناس التام ومنه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة وكذا قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وقوله تعالى يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو

مارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى) أي فضلا عن أكله ففيه مبالغة لا تخفى (حتى لقى الله عز وجل) كناية عن موته لان الميت بمجرد خروج روحه تهيأ للقاء ربه ثم لا يلزم من نفي رؤيته عدم وجوده عند غيره وظاهره انه صلى الله عليه وسلم لم يره قبل البعثة ولا بعدها وفي رواية البخاري عن سهل مارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه فقوله من حين ابتعثه يحتمل التقييد لانه صلى الله عليه وسلم توجه في أيام الفترة مرتين الى الشام تاجرا ووصل الى بصرى والخبز النقي عندهم كثير والظاهر انه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك عندهم ويحتمل عدم التقييد ويؤيده انه أطلق في رواية المصنف ويأتي نظير هذا في آخر الباب (فقيل له) أي لسهل (هل كانت لكم) أي معشر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد من كان قاطنا بالمدينة من المهاجرين والانصار (مناخل) جمع منخل بضمتين على غير قياس آلة النخل وهي ما يغربل به الدقيق وفتح الخاء لغة (على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي من زمانه (قال ما كانت لنا مناخل) قال في جمع الوسائل فيه مقابلة الجمع بالجمع فلا يرد انه لا يلزم من نفي الجمع نفي المفرد والمراد ما كانت لنا مناخل في عهده ليطابق الجواب السؤال وليوافق ما في الواقع اذ بعده صلى الله عليه وسلم كانت لهم ولغيرهم مناخل ممن لم يثبت على حاله ولذا قيل المنخل أول بدعة في الاسلام (فقيل كيف كنتم تصنعون بالشعير) أي بدقيقه مع كثرة نخالته (قال كنا ننفخه) في رواية نقول اف (فيطير منه ماطار) مما فيه خفة كالتبن ويبقى ما فيه رزانة كالدقيق (ثم نعجنه) بفتح النون وكسر الجيم وفي هذا بيان تركه صلى الله عليه وسلم التكلف والاهتمام بشأن الطعام فانه لا يعتنى به الا أهل البطالة والغفلة ولهذا كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل أهله طعاما قط ولا يشتهيه ان أطعموه أكل وما طعموه قبل وما سقوه شرب وما عاب طعاما قط قال المناوي قال الغزالي وهذا لا يقتضي ان اتخاذ المناخل لنخل الطعام منهي عنه وان كان أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المنهي عنه هو بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع بعد بقاء علته وليس نخل الطعام كذلك لان القصد منه تطييب الطعام وذلك مباح مالم ينته الى التنعم المفرط اه * (تنبيه) * قال ابن حجر روى البزار بسند ضعيف قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه وحكى البزار عن بعض أهل العلم وصاحب النهاية عن الاوزاعي انه تصغير الارغفة وهذا أولى من خبز الديلمي صغروا الخبز وأكثروا عدده يبارك لكم فيه فانه واه ومن ثم ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ومن خبر البركة في صغر القرص فانه كذب كما نقل عن النسائي اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا معاذ بن هشام نا أبي) هو هشام الدستوائي (عن يونس) هو ابن أبي الفرات البصري المشهور بالاسكاف كما صرح به المصنف فيما سيأتي (عن قتادة) هشام من المكثرين عن قتادة وكأنه لم يسمع هذا الحديث منه وسمعه من يونس عنه (عن أنس بن مالك قال ما أكل نبي الله صلى الله عليه وسلم على خوان) المائدة ذات الارجل جمعه اخونة والاشهر كسر المعجمة ويجوز ضمها وفيه لغة ثالثة وهي اخوان بكسر الهمزة

من الكتاب أي بما كتبت أيديهم لتحسبوه من التوراة والانجيل وماهو من جنس كتاب الله تعالى انظر ابن حجر فله كلام بديع فيما يرجع لفن البديع (ورمى بالحصى فاقصد جيشا * ماالعصا عنده وماالالقاء) اى ومن معجزاته صلي الله عليه وسلم أيضا انه فى غزوة بدر وغزوة حنين رمى الاعداء بالحصى فاقصداي اصاب فأهلك جيشا عظيما كانوا تألبوا عليه وما استفهام انكارى أى ماالعصا التى ألقاها موسى علي حبال (١٦٠) سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك عنده أى الحصى المرمى أى فى جنبه وما الالقاء علي تلك الحبال والعصى الذى فعله سحرة فرعون أى لاتقس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم فى القاء ذلك الحصى بمعجزة موسى عليه السلام فى القاء عصاه لان معجزة نبينا صلي الله عليه وسلم أظهر وأبهر اذ القاء موسى لعصاه حاكى به القاء السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لم تحاك قط ووصول تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك الجيش الذى هو ألوف مؤلفة حتى هزمهم الله عن آخرهم وشتت شملهم أبهر من قلب العصا ثعبانا وابتلاعها تلك الحبال من حيث انها مع ذلك لم تقهر العدو ولاشتت شملهم بل زادوا بعد ذلك طغيانا وعتوا علي موسى وقومه وأشار الناظم بالبيت الى ماوقع له صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر وذلك انه لما التقى الجمعان تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه أى قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من أشرافهم وكذلك لما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن مالم يروا مثله فتفرق المسلمون فامر صلى الله عليه وسلم أن ينادى فى الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على أولادها يقولون يالبيك يالبيك واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمى الوطيس وهو التنور الذى يخبز فيه أى اشتد حر الحرب حتى أشبهت التنور وحينئذ تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها فى وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينه من تلك القبضة * (تنبيه) * قال ابن حجر أكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعمى بصيرتهم

هذا

وسكون المعجمة قال فى جمع الوسائل ولعلها سميت بذلك لاجتماع الاخوان عندها قال ابن حجر والاكل على المائدة ذات الارجل لم يزل من دأب بعض المترفين وصنيع الجبارين لئلا يفتقر الى خفض الرأس عند الاكل فالاكل عليه بدعة لكنها جائزة ان خلا عن قصد التكبر (ولا فى سكرجة) بضم السين والكاف والراء المشددة وصوب بعضهم فتح الراء اناء صغير كانت العجم تستعمله فى الكوامخ وما أشبهها من الجوارشات علي الموائد حول الاطعمة للاشتهاء والهضم وذلك من دأب المترفين وعادة أهل الحرص علي الاكل (ولا خبز له مرقق) بالرفع على انه نائب الفاعل وفى نسخة بالنصب علي انه حال من المفعول أو بتقدير أعنى والجار هو النائب والمرقق هو الملين وهو المغربل حتى صار خالصا حواري أو المرقق هو الموسع كالثريد فى عرفنا ولاشك ان المرقق دأب أرباب التكلف والتنعم الذى هو صلى الله عليه وسلم برىء منه وظاهر السياق أنه لم يأكله قبل البعثة ولا بعدها وانه كان يأكله اذا خبز لغيره لكن ظاهر الحديث الآتى آخر الباب انه لم يأكله مطلقا ويأتي مايؤيده (قال) أى يونس (فقلت لقتادة فعلى ما) باثبات الالف فى نسخ الشمائل علي الاستعمال القليل والاكثر حذفها وهو الذى عند أكثر رواة البخاري أي فعلى أى شيء (كانوا يأكلون) أى النبي وأهله أو الصحابة لانهم كانوا يتأسون باحواله ويقتدون بأقواله وأفعاله فالسؤال عن احوالهم كالسؤال عن حاله صلى الله عليه وسلم (قال) أى قتادة (علي هذه السفر) بضم ففتح جمع سفرة قال فى النهاية وهى فى الاصل طعام يتخذه المسافر والغالب انه يحمله فى جلد مستدير فنقل اسمه الى ذلك الجلد وسمى به كما سميت المزادة راوية واشتهرت لما يوضع عليه الطعام جلدا كان أو غيره ماعدا المائدة لما مر انها شعار المتكبرين غالبا (قال محمد بن بشار يونس هذا الذى روى عن قتادة هو يونس الاسكاف) هو فى اللغة الخفاف أى الخراز * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا عباد بن عباد المهلبي) بفتح اللام المشددة (عن مجالد) بكسر اللام (عن الشعبي) بفتح فسكون هو عامر بن شرحبيل الكوفي أحد الاعلام من التابعين ولد فى خلافة عمر قال أدركت خمسمائة من الصحابة وقال ما كتبت سوداء في بيضاء قط ولاحدثت بحديث الاحفظته مات سنة أربع ومائة وله اثنان وثمانون كذا فى أسماء الرجال لمؤلف المشكاة وقد مر به ابن عمر وهو يحدث بالمغازي فقال شهدت وهو أعلم بها منى وقال ابن سيرين لابى بكر الهمدانى الزم الشعبي فلقد رأيته يستفتى وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالكوفة وقال الزهرى العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن بالبصرة ومكحول بالشام اه نقله فى جمع الوسائل فى باب الحجامة (عن مسروق) سمى بذلك لانه سرق صغيرا ثم وجد أسلم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرك الصدر الاول من الصحابة كابى بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وعائشة رضي الله عنهم شهد حرب الخوارج ومات بالكوفة سنة اثنين ومائة كذا فى جامع الاصول (قال دخلت على عائشة رضى الله عنها فدعت لى بطعام) أى ضيافة (وقالت ماأشبع من طعام) أى طعام كان

واكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري مامن الانبياء نبي الا اعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا وفي معناه قولان غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى أن المراد ان معجزات الانبياء انقرضت (١٦١) بانقراض أعصارها مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصا موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر الى يوم القيامة لا يمر عصر الا ويظهر فيه شيء أخبر بانه سيكون فكان من يتبعه لاجلها أكثر اذما يدرك بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الاول والى هذا يشير الناظم في البردة بقوله

دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين اذ جاءت ولم تدم

هذا ظاهره لاخصوص الخبز واللحم كما قال ابن حجر (فأشاء ان أبكي الا بكيت) قال ابن حجر أي تحزناً وتأسفاً لتلك الشدة التي قاساها صلى الله عليه وسلم أو تحسراً على فوات ذلك المقام الأكمل الذي كانت اعينت عليه ورضيت به ببركة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم اه وقال بعضهم في بكائها غاية الاعتراف بالنعم والتحدث بسببها المفعم والاعتراف بالنعم شكر عظيم والتحدث بها ثناء على المنعم بها جسيم (قال) اي مسروق (قلت لم قالت أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا والله ماشبع من خبز ولحم مرتين في يوم واحد) هذا يقتضي انه لم يشبع من مجموعهما مرتين في يوم واحد وهذا لاينفي شبعه من مجموعهما مرة ولا شبعه من أحدهما مرتين في يوم لكن في نسخة من خبز ولا لحم بلا النافية وليس في هذا بيان صفة خبزه صلى الله عليه وسلم فانظر ماوجه ادخاله في ترجمته * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا ابو داود نا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث عن الاسود بن يزيد عن عائشة قالت ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير) أي فضلا عن خبز بر (يومين متتابعين حتى قبض) وفاء بقوله أجوع يوما فأصبر وأشبع يوما فأشكر * قال المصنف (حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن نا عبد الله بن عمرو) بالواو (أبو معمر) كنية عبد الله بن عمرو (قال) اي عبد الله (نا عبد الوارث عن سعيد بن ابي عروبة) بفتح فضم (عن قتادة عن أنس قال ماأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا أكل خبزاً مرققاً حتى مات) فائدة تكرار الحديث مع الاختلاف في السند كله او بعضه التقوية كما تقرر غير مرة وظاهر النهي انه لم يأكله قبل البعثة لكن في رواية للمصنف من حيث بعثه الله فاحتمل انها للتقييد لانه قبل البعثة دخل الشام وفيها المرقق وغيره من مأكولات المترفهين فيحتمل انه أكله ويحتمل انه لبيان الواقع لا للتقييد ويؤيده مافي البخاري ماأعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله ولا رأى شاة سميطاً بعينه حتى لحق بالله والسميط ماأزيل شعره بماء سخن وشوى بجلده وانما يفعل ذلك بصغير السن كالسخلة وفيه عن أنس أيضا ماأكل النبي صلى الله عليه وسلم خبزاً مرققا ولا شاة مسموطة حتى لقي الله

باب
ما جاء في صفة ادام رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما بين صفة خبزه صلى الله عليه وسلم تعرض هنا لبيان صفة ادامه وهو مايؤتدم به اي يؤكل به الخبز من خل وتمر ولحم وزيت ودباء وحلواء وعسل وغير ذلك من المائعات وغيرها قال المناوي الادام بكسر الهمزة كالادم بضم الهمزة وسكون الدال المهملة ويقال بضمها ايضا مايؤتدم ويؤكل مع الخبز وجمعها أدم بضم الهمزة والدال ككتاب وكتب واختار العسقلاني في مقدمة شرح البخاري ان الأدم بضم الهمزة وسكون الدال جمع ادام وبما ذكره المصنف في هذا الباب وغيره من انواع المأكولات تعلم انه صلى الله عليه وسلم لم يكن من عادته حبس

(ودعا للانام اذ دهمتهم
سنة من محولها شهباء)
(فاستهلت بالغيث سبعة أيا
م عليهم سحابة وطفاء)
(تتحرى مواضع الرعي والسقـ
ـي وحيث العطاش يوهي السقاء)
(وأتي الناس يشتكون أذاها
ورخاء يؤذي الانام غلاء)
(فدعا فانجلى الغمام فقل لى
وصف غيث افلاعه استسقاء)

أي ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انه دعا للانام أي أهل المدينة ومن ضاهاهم وقت أن دهمتهم بكسر الهاء اي غشيتهم سنة شهباء اي لا خضرة فيها ولا مطر من أجل محولها اي شدة جدبها وقحطها والسنة العام فشهباء تأكيد وسبب دعائه ما في الصحيحين ان الناس أصابتهم سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اعرابي وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وليس في السماء قطعة سحاب فما وضعها حتى صار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل حتى اصابهم مطر واستمر الى الجمعة الثانية فقام ذلك الاعرابي او غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا زاد في رواية اللهم على الآجام

والاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجرة والآجام بفتح الهمزة وكسرها الشجر المتلف والآكام كذلك الربوة من الارض والظراب بكسر الظاء الجبال الصغار فأقلعت السحاب وخرجوا يمشون فى الشمس وسار الوادي شهرا ولم يجئ احد من ناحية الاحدث بالجود أى بفتح الجيم المطر الواسع الغزير فلذا قال الناظم فبسب دعائه استهلت بالغيب اى صب المطر بشدة سبعة ايام كوامل بالغاء لكسر عليهم سحابة وطفاء مسترخية الجوانب لكثرة حملها الماء حال كونها تتحري أى تقصد تلك السحابة بمائها والاسناد مجازى او المراد الملائكة الموكلون بها مواضع الرعى أي الكلا الذى يرعى ومواضع شرب البهائم فقط بقرينة قوله من الكلا ثم عمم فقال وتتحرى أيضا حيث العطاش أى مواضعهم التى يوهى بالبناء للمفعول السقاء وهو القربة منهم فيها أى تلك السحابة عمت جميع تلك الاماكن بمائها حتى انها تتحرى الامكنة المعطشة التى تخترق أسقية العطاش فيها فيحتاجون الى الغدران للشرب منها والانسب تأخير هذا البيت عن البيتين بعده ولما استمرت عليهم تلك المدة أتى الناس اليه صلى الله عليه وسلم فى الوقت المذكور يشتكون أذى تلك السحابة أى الماء النازل منها لقطعه السبل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وفي ذكر الناس مجاز فكانه أى الاعرابى متكلم بلسانهم لاشتراكهم في ذلك ورخاء اى سعة من المطر يؤذى الانام غلاء أى شدة عظيمة فبسبب ان هذا الرخاء الذى المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو اهلاكها دعا صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشفه عنهم فانجلى الغمام اى زال السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون فى الشمس واذا تقرر هذا فقل أيها العالم بهذه الواقعة ماشئت من الكلام الدال على التعجب في وصف غيث اقلاعه الابدان اى انكشافه استسقاء أى ذو استسقاء على خلاف المتعاوف اذ الاستسقاء غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه *(تنبيه)* ماتقدم من ان الناظم أشار الى القضية التى وقعت فى المدينة هو الظاهر وقد ذكرها البخارى فى مواضع عديدة من صحيحه ويحتمل ان يكون أشار الى مافى البخارى أيضا عن ابن مسعود قال ان قريشا أبطؤا عن الاسلام فدعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فاخذتهم

نفسه على نوع واحد من الاغذية فان ذلك يضر غالبا بالطبيعة وان كان أفضل الاطعمة بل كان يأكل ماتيسر من لحم وفاكهة وتمر وغيرها مما سيأتي (حدثنا محمد بن سهيل بن عسكر وعبد الله بن عبد الرحمن قالا نا يحيى بن حسان نا سليمان بن هلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم الادام الخل) ورواه مسلم وأحمد والثلاثة أيضا وهو حديث مشهور كاد ان يكون متواترا (قال عبد الله بن عبد الرحمن فى حديثه) أى فى روايته (نعم الادم) بضم فسكون وبضمتين (أو الادام الخل) يعنى وقع الشك فى حديثه دون حديث محمد بن سهل وقد اختلف الائمة في المراد من الحديث فقال الخطابى معناه مدح الاقتصاد فى المأكل ومنع النفس من ملاذ الاطعمة والتقدير ائتدموا بالخل ومافى معناه مما تخف مؤنته ولا يعز وجوده ولا تتنافسوا فى الشهوات فانها مفسدة للدين والبدن وتقله عياض فى الاكمال وقال النووى والصواب الذى ينبغى الجزم به انه مدح الخل نفسه واما الاقتصاد فى المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد أخر اه وجمع ابن حجر بين التفسيرين فقال مامعناه الاولى ان يقال استفيد من مدحه انه ادام فاضل جيد ومن الاقتصار عليه مدح الاقتصاد فى الاكل ومنع النفس من ملاذ الاطعمة وشهواتها اه وقال فى جمع الوسائل ماقاله النووى غير ظاهر لذوى الالباب فضلا عن ان يكون هو الصواب اذ ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يمدح طعاما ولا يذمه فان فى الاول شائبة الشهوة وفى الثانى احتقار النعمة اه قال مقيده عفا الله تعالى عنه لا يخفى ان المراد من الحديث انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يمدح طعاما من حيث شهوة النفس لا مطلقا فلا ينافى ماورد من مدحه للخيل لاسباب أخر ففى رواية جابر بن عبد الله فى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أهله الادم فقالوا ماعندنا الا خل فدعا به فجعل يأكل وهو يقول نعم الادام الخل فمدحه صلى الله عليه وسلم لما أفهم كلامهم انه ليس من الادم المستحسنة وعن أم سعد رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل اللهم بارك فى الخل وفى رواية فانه كان ادام الانبياء من قبلى وفى حديث لم يقفر بيت فيه خل رواهن ابن ماجه وفى الرواية الثانية رد على بن حجر حيث أتى باداة الحصر فقال ثم الثناء عليه بذلك انما هو بحسب مقتضى الحال الحاضر لتفضيله على غيره خلافا لمن ظنه لان سبب الحديث ان أهله قدموا له خبزا فقال أمامن أدم فقالوا ماعندنا الا خل فقال نعم الادام الخل جبرا وتطييبا لقلب من قدمه لا تفضيلا له على غيره اذ لو حضر نحو لحم او عسل أولبن لكان اولى بالمدح منه اه وأيضا فقد قال فى جمع الوسائل ولا يخفى ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مع ان الحديث ليس فيه الا مدحه لا أنه افضل من سائر الادم اه ابن حجر وفى طلبه صلى الله عليه وسلم الادم اشارة الى ان أكل الخبز مع الادم من أسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على أحدهما اه وذكر الحكيم الترمذي فى نوادر الاصول ان فى الخل منافع دينية ودنيوية وانه بارد يقطع حرارة السموم ويطفئها وذكر ابن حجر انه سهل الحصول قامع للصفراء نافع لاكثر

سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام فجاءه أبوسفيان فقال يامحمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله وفي رواية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا وشكا الناس كثرة المطر قال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت الناس عن رأسه فسقوا الناس حولهم اه وفى البخارى أيضا ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون اه

الابدان قال في جمع الوسائل لا يصلح ذلك أن يكون تعليلا لمدحه صلى الله عليه وسلم فان شيأ من الاشياء لا يخلو عن فائدة وخاصية عند الاطباء وذلك لا يناسب أن يحمل عليه كلام سيد الانبياء اه قال مقيده كان الله سبحانه له مدحه صلى الله عليه وسلم للخل لما فيه من الخواص ولكونه دواء وغذاء ولغير ذلك من الاسباب غير مناف لما علم من أن كل عشبة نابتة لله فيها حكمة ثابتة وقد سبق اكتحلوا بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة فلا بعد فى كون حديث نعم الادام الخل منها والله أعلم * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا أبو الاحوص) سلام بن سليم ثقة متقن صاحب حديث من السابعة مات سنة تسع وسبعين ومائة قاله المناوى (عن سماك بن حرب قال سمعت النعمان بن بشير يقول ألستم فى طعام وشراب ما شئتم لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم ومايجد من الدقل مايملا بطنه) سبق فى باب عيشه صلى الله عليه وسلم مايتعلق بهذا الحديث معنى واعرابا وسبق توجيه الاضافة فى قوله نبيكم ولم يقل نبينا أو نبي ونبيكم بأن المراد حثهم على الاقتداء به والاعراض عن الدنيا ومستلذاتها ما أمكن قال ابن حجر وأما قتل خالد مالك بن نويرة لما قال له كان صاحبكم يقول كذا فقال صاحبنا وليس بصاحبك ثم قتله فهو ليس لمجرد هذه اللفظة بل كانه بلغه عنه انه ارتد وتأكد ذلك عنده بما اباح له الاقدام على قتله * قال المصنف (حدثنا عبدة بن عبد الله الخزاعى نا معاوية بن هشام عن سفيان) اى الثورى (عن محارب بن دثار) بكسر الدال المهملة وتخفيف المثلثة (عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل) تقدم انه حديث مشهور كاد أن يكون متواترا قال المصنف (حدثنا هناد نا وكيع عن سفيان عن أيوب عن ابى قلابة) بكسر القاف اسمه عبد الله ابن زيد (عن زهدم) بفتح الزاى وسكون الهاء وفتح الدال المهملة (الجرمى) بالجيم المفتوحة والراء الساكنة ابو مسلم البصرى ثقة من الثالثة (قال كنا عند ابى موسى الاشعري فاتى) بصيغة المجهول نائب الفاعل ضمير ابى موسى خلافا لمن قال ان النائب قوله (بلحم دجاج) مثلث الدال كما ذكره المنذرى وابن مالك ولم يحك النووى ضم الدال واحده دجاجة مثلثة أيضا سمى به لسرعته فى الاقبال والادبار من دج يدج اذا اسرع وقيل ان الدجاج بالكسر اسم للذكران دون الاناث الواحد منها ديك وبالفتح اسم للاناث دون الذكران والواحد دجاجة بالفتح ايضا والمعنى انه اتي بطعام فيه دجاج كما يأتى (فتنحي) اى تباعد (رجل من القوم) ليس هو زهدما كما قيل لان زهدما بين هذا الرجل بصفته ونسبته كما فى الرواية الآتية (فقال) اى ابو موسى لذلك الرجل (مالك) اى ما الموجب لتنحيك (قال انى رأيتها) اى ابصرت الدجاجة اى جنسها (تأكل شيأ) اى من القاذورات وفى نسخة تتنابنون بينهما فوقية مكسورة ويجوز سكونها اى شيأ ذا نتن (فحلفت أن لا آكلها) اى لاستقذارها ونفرة طبعه منها بدليل قوله فى الرواية الآتية فقذرته لا لتوهم حرمتها كما قيل لأنه لو اعتقد الحرمة ما احتاج الي اليمين ولأنه من التابعين وفي أيام الصحابة فلا يحرم حلالا بغير دليل قطعى مع ان الطعام مطبوخ فى بيت ابى موسى قاله في جمع

(ثم أثرى الثرى فقرت عيون بقراها وأحييت احياء)
(فترى الارض غبه كسماء أشرقت من نجومها الظلماء)
(تخجل الدر واليواقيت من نو ر رباها البيضاء والحمراء)

أى ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم أثرى الثرى من أثرى الرجل اذا كثر ماله اى اهتزت الارض وربت وعلا ترابها وكثر حتى كثرت فوائده بانباته الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال فبسبب هذه الكثرة قرت أي فرحت واطمانت عيون بعمارة قراها أى العيون أو المدينة جمع قرية بتلك الفوائد الكثيرة بعد خرابها وأحييت بعد ماحصل لها من الجدب والشدة ماصيرها كالموتى من أحياه الله فحي والاكثر الادغام والاحياء جمع حى أي قبائل العرب وفيه تجنيس الاشتقاق في ثلاثة فترى أنت لو شاهدت تلك الواقعة الارض غبه أي عقب ذلك الغيث المتولد عنه مايدهش الابصار من النبات والازهار كسماء حال ان كانت الرؤية بصرية أو مفعول ثان علي انها علمية أشرقت الظلماء من أجل نجومها أى زالت عنها والمراد تبدلت ظلمتها بالاشراق من نجومها ووجه الشبه زوال الظلمة الحقيقية فى السماء باشراق نجومها والمجازية فى الأرض بمحو الجدب وسدل الخصب فلذا تراها ايضا تخجل بضم التاء من أخجله اذا ادهشه وحيره وفى القاموس خجل كفرح استحيا ودهش وبقى ساكنا لا يتكلم ولا يتحرك والدر اللؤلؤ وهو مفعول مقدم واليواقيت جمع ياقوتة معطوف عليه وهو جوهر معروف فارسي معرب اجوده الأحمر الرمانى واسناد الخجل اليها مجاز والمراد اضمحلال حسنها بالنسبة الى تلك الأزهار وعدم قوتها على مقاومة حسن تلك الأنوار لأن النبات

يحصل بشمه الانتعاش ويكفى مؤنة المعاش أو هو على حذف مضاف أى أهلها بمعنى ان من بايديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا يملكون أنفسهم عن رؤية تلك الازهار الغريبة والأعشاب العجيبة والنور بفتح النون أى الزهر وهو بيان لفاعل الخجل والربا بضم الراء المحال المرتفعة لأن نباتها أبهى وأبهر والبيضاء فاعل تخجل وهو راجع للدر والحمراء راجع لليواقيت أى تدهش تلك الانوار المنوعة الألوان التى هى نور رباها الدر واليواقيت ففيه لف ونشر مرتب ومراعاة النظير بذكر

المعدنين والتقابل بذكر الضدين وقد اكثر الشعراء من تشبيه نبات الأرض بالذهب والفضة وغيرهما يحكى ان ابانواس غفر الله له بقوله تأمل في نبات الأرض وانظر
الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات
وأحداق كالذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك
(وقال آخر)
ان هذا الربيع شيء عجيب
تضحك الارض من بكاء السماء
ذهب حيثما ذهبنا ودر
حيث درنا وفضة فى فضاء

(ليته خصنى برؤية وجه
زال عن كل من رآه الشقاء

لما ذكر الناظم رحمه الله من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما يشوق كل سامع لشيء منها الى رؤية وجهه الكريم لان من رأى ليس كمن سمع تمنى ذلك فقال ليته اى النبي صلى الله عليه وسلم خصنى برؤية وجهه الكريم مناما او يقظة لأن من رآه مناما فقد رأى الحق لأن الشيطان لا يتمثل به كما صح فى الحديث الذى رواه البخارى عن انس وفى الصحيحين عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رآني فى المنام فسيراني فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي زاد مسلم او فكأنما رآني فى اليقظة والحق انه لا يشترط فى حقيقة رؤيته صلى الله عليه وسلم ان يري على صورته التى كان عليها لكن اذا رؤى عليها كانت الرؤيا على ظاهرها لا تحتاج الى تعبير واذا رؤي على غيرها كان ذلك راجعا الى الرائى لتخيله الصفة على غير ما هى عليه ويحتاج حينئذ الى التعبير قاله المازرى وعياض والقشيرى وبه جمع الحافظ ابن حجر بين القولين ولذا قالوا رؤيته شابا جلدا تدل على سنة شديدة وناقص بعض الأعضاء تدل على خلل في دين الرائى

الوسائل (قال ادن) أى اقرب وخالف طبعك واتبع شرعك (فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل لحم دجاج) فاللائق بالمؤمن متابعته لقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به قال النووي فى الاربعين حديث صحيح وفى رواية البخارى ان أبا موسى حدث الرجل بحديث الأشعريين وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم حلف أن لا يحملهم ثم أعطاهم خمس ذود وقال والله ان شاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا أتيت الذى هو خير وتحللتها قال المناوى قال ابن القيم ولحم الدجاج حار رطب فى الأولى خفيف على المعدة سريع الهضم جيد الخلط يزيد فى الدماغ والمنى يصفى الصوت ويحسن اللون ويقوى العقل ويولد دما جيدا وهو مائل الى الرطوبة ولحم الديوك أسخن مزاجا وأقل رطوبة اه وليس فى الحديث شاهد للمشهور فى مذهب مالك من جواز أكل الجلالة اذ لا يلزم من أكله صلى الله عليه وسلم الدجاج أنه اكل الجلالة وفى خبر ابن عدى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يأكل دجاجة أمر بها فربطت اياما ثم يأكلها والله اعلم * قال المصنف (حدثنا الفضل بن سهل الأعرج البغدادي نا ابراهيم ابن عبد الرحمن بن مهدى) بفتح الميم (عن ابراهيم ابن عمر بن سفينة عن ابيه) اى عمر (عن جده) اى سفينة وهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى اباعبد الرحمن ويقال كان اسمه مهران فلقب بسفينة لكونه حمل معه شيئا كثيرا فى السفر صحابى مشهور له احاديث (قال اكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حبارى) بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وفتح الراء والفه للتأنيث خلافا للجوهرى فى قوله انها ليست للتأنيث ولا للالحاق وانما بنى الاسم عليها فصارت كأنها من نفس الكلمة وهو طائر معروف يقع على الذكر والانثى واحده وجمعه سواء وان شئت قلت فى الجمع حباريات وهو من اشد الطير طيرانا وذلك انها تصاد بالبصرة فتوجد فى حواصلها الحبة التى شجرتها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام ولذلك قالوا فى المثل أطلب من الحبارى واذا نتف ريشها وابطأ نبتها ماتت حزنا وهو طائر كبير العنق رمادى اللون فى منقاره بعض الطول لحمه بين البط والدجاج وهو اخف من لحم البط ومن شأنها تصاد ولا تصيد وهى من اكثر الطير حيلة فى تحصيل الرزق قال ابن القيم ولحم الحبارى حار يابس بطىء الانهضام نافع لاصحاب الرياضة والتعب قال ابن حجر وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم اكل لحم حمار الوحش والجمل والأرنب وروي مسلم انه اكل من دواب البحر اه وفي ذلك كله رد على من حرم اكل اللحم من الفرق الضالة قال المصنف فى الجامع وهذا حديث غريب لا يعرف الا من هذا الوجه * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا اسمعيل بن ابراهيم عن ايوب عن القاسم التيمى عن زهدم الجرمي قال كنا عند ابي موسى قال) اى زهدم (فقدم طعامه وقدم في طعامه لحم دجاج وفى القوم) اى الحاضرين رجل من بنى تيم الله) هو حى من بنى بكر يقال لهم اللهازم (احمر كانه مولى قال) اى زهدم (فلم يدن) اى لم يقرب الى الطعام او لم يتناول منه (فقال له ابو موسى ادن فانى رأيت رسول الله صلى

وزيادته تدل على ادخاله في الدين ماليس منه قال سيدى ابن أبي جمرة وهذا هو الحق وبه تحصل الفائدة الكبرى فى رؤياه صلى الله عليه وسلم حتى يتبين للرائى هل عنده خلل أم لا لانه صلى الله عليه وسلم نورانى مثل المرآة المصقولة ما كان فى الناظر اليها من حسن أو غيره تصور فيها وهى فى ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها ولا شين اه هذا والاظهر أن الناظم رحمه الله تمنى أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم فى اليقظة فى دار الدنيا وقد ذكر الغزالى ان أرباب القلوب قد يشاهدون فى يقظتهم الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يرتقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق نطاق النطق عنها اه قيل وتواترت الاخبار عن الاولياء بذلك وصح عن مولانا أبى الحسن الشاذلي أنه قال لو حجب عنى النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ماعددت نفسى من المسلمين وصح ذلك أيضا عن تلميذه سيدى أبي العباس المرسى والناظم تلميذه فيغلب على الظن انه سأل هذه الرواية الخاصة ولاصحبة بهذه الرؤية لان شرطها الوقوع فى الحياة المتعارفة والباء في قوله برؤية باء الاختصاص والغالب دخولها على المقصود كما هنا لكن على معنى ليته جعلنى من جملة من خص بالرؤية وقصرت عليه فتمناه الانخراط فى سلك من سبقت له العناية فصار من جملة من أتحف بالرؤية التى هى منتهى كل نهاية ولذا قال زال أي تحول وذهب عن كل من رآه مؤمنا جميع أنواع الشقاء أو معنى الاختصاص راجع الى ماتثمره تلك الرؤية من العوارف والمعارف والامدادات ولا بدع فى أن يخص بشىء لم يكن لغيره لان الجناب رفيع والملجأ منيع ويحتمل ان يكون مدخول الباء مقصورا عليه والقصر اضافى اى ليته جعلنى مقصورا على الرؤية بحيث تستغرقنى مشاهدته ولا تغيب عنى طلعته وهذا أنسب بالمعنى الذى ظن بالناظم انه قصده وأظهر من ذلك كله ان يكون ليته جعلنى من أهل الخصوصية بسبب رؤية وجهه الشريف *(فائدة)* من الاسباب المهمة فى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم كثرة التحبب اليه ظاهرا بكمال التقوى فى الدين ودوام ذكره الشريف ومفاخره ومعجزاته وخصائصه وكثرة الصلاة والسلام عليه جهرا وسرا خالصا مخلصا وقد ذكر الفاكهانى في

صلى الله عليه وسلم أكل منه قال) أى الرجل (انى رأيته يأكل شيأ فقذرته) بالذال المعجمة اى استقذرته (فحلفت أن لا اطعمه) بفتح العين أي لا آكله (أبدا) اى مدة ما أعيش فى الدنيا والجمع بين هذه الرواية والرواية الاولى بتعدد قوله ادن لانه قال له حين تنحى ادن مالك أومالك ادن كما هو العادة ولما تعلل بما تعلل قال له ادن فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث كذا قال فى جمع الوسائل وتأمله فان الرواية الاولى تدل بظاهرها على أن اعتذار الرجل عن تنحيه مقدم على قول أبي موسى ادن فاني رأيت الخ والرواية الثانية تدل بظاهرها على عكس ذلك * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو أحمد الزبيرى وأبو نعيم قالا نا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن رجل من اهل الشام يقال له عطاء) فى التقريب شامي أنصارى سكن الساحل مقبول من الرابعة (عن أبى أسيد) بفتح فكسر على الصحيح فى التقريب هو ابن ثابت المدنى الانصارى قيل اسمه عبد الله (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت) أى مع الخبز فلا يردان الزيت مائع فلا يكون تناوله أكلا ولا الاعتراض بعدم مناسبته للباب قاله فى جمع الوسائل (وادهنوا به) أمر من الادهان بتشديد الدال وهو استعمال الدهن والامر للاستحباب لمن كان قادرا لا للاباحة بدليل تعليله بقوله (فانه) أى أصله (من شجرة مباركة) لكونها تنبت فى الارض المقدسة التى بارك الله فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام ويلزم من بركة هذه الشجرة بركة ثمرتها هي الزيتون وبركة مايخرج معه من الزيت وكيف لا وفيه التأدم والدهن وهما نعمتان عظيمتان وقد ورد عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور رواه الطبرانى وأبو نعيم عن عقبة بن عامر وورد عليكم بزيت الزيتون فكلوه وادهنوا به فانه ينفع من الباسور رواه ابن السنى عن عقبة بن عامر أيضا وروى أبو نعيم فى الطب عن أبي هريرة بلفظ كلوا الزيت وادهنوا به فان فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام قال ابن القيم والدهن فى البلاد الحارة كالحجاز من أسباب حفظ الصحة واصلاح البدن وهو كالضرورى لهم وأما فى البلاد الباردة فضار وكثرة دهن الرأس به فيها خطر بالبصر انتهى ومناسبة الحديث للباب ان الامر بأكله يستدعى أكله صلى الله عليه وسلم منه أو يقال المقصود من الترجمة معرفة ما أكل منه صلى الله عليه وسلم وما أحب الاكل منه قاله فى جمع الوسائل * قال المصنف (نا يحيى بن موسى نا عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة قال أبو عيسى) يعنى المصنف (وعبد الرزاق) أحد رواة هذا الحديث والواو للاستئناف والاولى اسقاطها (كان يضطرب فى هذا الحديث) أى فى اسناده (فربما) بيان للمراد بالاضطراب هنا (أسنده) أى أوصله كما سبق (وربما أرسله) أى فحذف الصحابى لما سيأتى وكان من حق المؤلف أن يؤخر هذا الكلام الى ايراد الاسانيد بالتمام قال ابن حجر الاضطراب تخالف روايتين أو أكثر اسنادا او متنا مخالفة لا يمكن الجمع بينهما

الفجر المنير أن من صلى بهذه الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم سبعين مرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وهي اللهم صل علي روح محمد في الارواح اللهم صل على جسد محمد في الاجساد اللهم صل علي قبر محمد في القبور اه وذكر اليافعي ان من قام ليلة الخميس نصف الليل وتوضأ وصلى ثلاث عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة الفاتحة مرة وسورة ألم تر الذي يكذب بالدين عشر مرات ويستغفر الله بين كل ركعتين ثلاثين مرة ويصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة فانه مادعا الله بشيء عقب ذلك الا استجيب له اه (١) وقال أبو بكر ابن العربي في قانون التأويل ذهبت الصوفية الي انه اذا حصل للانسان طهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق وحسم اسباب مواد الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس والاقبال على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا كشفت له الغيوب ورأى الملائكة وسمع أقوالهم واطلع علي ارواح الانبياء وسمع كلامهم اه ومن المقرر المعلوم أن الانبياء بعد ماقبضوا ردت اليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم وقد رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج جماعة منهم واخبر ان صلاتنا معروضة عليه وان سلامنا يبلغه وان الله تعالى حرم الارض ان تأكل لحوم الانبياء وقد ألف البيهقي جزأ في حياة الانبياء فنبينا صلى الله عليه وسلم حي بجسده وروحه يتصرف ويسير حيث شاء في اقطار الارض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منها شيء وانه مغيب عن الابصار كما غيبت الملائكة مع كونهم احياء باجسادهم فاذا اراد الله رفع الحجاب عمن أراد اكرامه برؤيته رآه علي هيئته التي هو عليها لامانع من ذلك ولاداعي الي التخصيص برؤية المثال وقد سئل بعضهم كيف يراه الراؤن المتعددون في أقطار الارض فانشد

كالشمس في أفق السماء وضوءها * قطع البلاد مشارقا ومغاربا تكثر

وقد صح عن جماعة من الاولياء انهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فمن ذلك ماذكروه عن الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني

مالم تترجح احداهما لنحو كثرة طرق احدى الروايتين أو كونها أصح أو أشهر أو رواتها اتقن أو معهم زيادة علم كما هنا فان المسند معه زيادة علم علي المرسل سماوا المرسل أسند مرة أخرى فوافق اسناد غيره له دائما وهو أبو اسيد في الرواية السابقة اه أي فان كان ترجيح فالحكم للراجح ولا اضطراب حينئذ والا فمضطرب يستلزم الضعف * قال المصنف (حدثنا السنجي) بكسر المهملة وسكون النون وبالجيم نسبة الى سنج قرية من قرى مرو (وهو أبو داود سليمان بن معبد المروزي السنجي) ذكره أولا وثانيا اشارة الى انه قد يقع في كلام المحدثين ذكر نسبته فقط وقد يقع ذكر اسمه ونسبه ونسبته (نا عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه) أي مثله لفظا ومعنى (ولم يذكر فيه عن عمر) يعني فيكون الحديث بهذا الطريق مرسلا فالحديث مضطرب والاضطراب انما نشأ من عبد الرزاق قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن مهدي قالا نا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الدباء) بضم الدال وتشديد الموحدة ممدود ويجوز القصر حكاه الفراء وأنكره القرطبي وهو اليقطين وهو القرع واحدها دباءة (فأتي بطعام أو دعي له) أي وفيه دباء والشك من أنس أو ممن دونه قال أنس (فجعلت أتتبعه) أي أطلب الدباء من حوالي القصعة (فأضعه بين يديه) أي قدامه صلى الله عليه وسلم فيه جواز مناولة من علي المائدة بعضهم بعضا مما بين أيديهم لان جميعه لهم وانما يكره من ذلك ان يناول من علي مائدة لمن على مائدة أخرى وفيه جواز جولان اليد في الطعام المختلف اذا قلنا ان هذا من المختلف والا فوجه ذلك ان أنسا لم يكن معه غير النبي صلى الله عليه وسلم فكان الطعام بين أيديهما معا لا غير وانما تناول أنس ما كان بين يدي نفسه وغير ذلك كان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أو انه كان يأكل مع من يعلم سروره بذلك وفرحه به اولان الطعام كان عمل للنبي صلى الله عليه وسلم فكان جميعه له انظر المعلم والاكمال (لما اعلم) اي لعلمي (انه يحبه) وفي بعض النسخ بفتح اللام وتشديد الميم اي حين اعلم انه يحبه اي يرضيه أكله ويستحسنه ويحب تناوله قال ابن حجر وكان سبب محبته له صلى الله عليه وسلم مافيه من افادة زيادة العقل والرطوبة المعتدلة وما كان يلحظه من السر الذي أودعه الله فيه اذ خصصه بالانبات علي اخيه يونس عليه السلام حتى وقاه حر الشمس وبرد الليل وتربى في ظله فكان له كالأم الحاضنة لولدها قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا حفص بن غياث) بكسر أوله (عن اسمعيل بن ابي خالد عن حكيم بن جابر) ثقة من الثالثة مات سنة اثنين وثمانين (عن ابيه) اي جابر بن طارق الاحمسي بمهملتين وهو صحابي مقل (قال دخلت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي في بيته (فرأيت عنده دباء يقطع) من التقطيع وهو جعل الشيء قطعة قطعة (فقلت ماهذا) أي مافائدة تقطيعه لا ماحقيقته وان كان الاصل في مالانه لايجهل حقيقته قاله ابن حجر ردا علي شارح والمراد والله اعلم السؤال عن تقطيعه هل هو ليطبخ وحده أو ليصنع به دواء أو لغير ذلك (قال

---

(١) وذكر ابن منظور على خصائص القرآن ان سورة المزمل من ادمن علي قراءتها شهرا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه ونال منه مايريد وذكر أيضا في سورة القدر ان من قرأها مائة مرة في زوال الشمس راي النبي صلى الله عليه وسلم في منامه اه ومن منافع القرآن مانصه من قرأ سورة الكوثر ليلة اجمعة الف مرة وصلى علي النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة ونام رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه اه منه

نفعنا الله به انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الظهر فقال لي يابني ألا تتكلم فقلت يا أبتاه أنا رجل أعجمي كيف أتكلم علي فصحاء بغداد قال افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعا وقال تكلم علي الناس وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فصليت الظهر وجلست وحضر لي خلق كثير فأرتج علي فرأيت عليا قائما بازائي في المجلس فقال لي يابني لم لا تتكلم فقلت يا أبتاه قد ارتج علي فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستا فقلت لم لم تتكلمها سبعا (١٦٧) قال تأدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توارى عني فقلت غواص الفكر يغوص في بحر القلب علي درر المعارف فيستخرجها الى ساحل الصدر فينادي عليها بشار ترجمان اللسان فتشترى بنفائس حسن الطاعة في بيوت اذن الله ان ترفع اه ورأى بعض العارفين النبي صلى الله عليه وسلم فعلمه ان يقول اللهم ان حسناتي من عطائك وسيآتي من قضائك فجد بما أنعمت على ماقضيت وامح ذلك بذلك جللت ان تطاع الا باذنك أو تعصى الا بعلمك اللهم ما عصيت حين عصيت استخفافا بحقك ولا استهانة بعذابك لكن لسابقة سبق بها علمك فالتوبة اليك والمغفرة لديك اه وقد شاع عن سيدي أحمد الرفاعي أنه لما حج ثم وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الارض عني وهي نائبتي وهذه نوبة الاشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي فخرجت اليد الشريفة من القبر الشريف فقبلها ورآها كل من حضر هذا وقد قال شيخ شيوخنا ابن زكري رحمه الله في همزيته نظرة منه تجذب القلب والرو ح فتسعى لامره الاعضاء نظرة فيه تكسب النور والقر ب وفيها السرور والآلاء

نكثر) من التكثير وهو جعل الشيء كثيرا (به) أي بتقطيعه (طعامنا) قال ابن حجر وفي بعض النسخ يقطع بالبناء للمفعول من القطع ويكثر من الاكثار مسندا الى طعامنا وفيه ان الاعتناء بامر الطبخ ومايصلحه لاينافي الزهد والتوكل بل يلائم الاقتصاد في المعيشة المؤدي الى القناعة (قال أبو عيسى وجابر هذا) أي المذكور في اسناد هذا الحديث (هو جابر بن طارق ويقال ابن أبي طارق) يعني لاجابر بن عبد الله لانه من المكثرين وهو وأبوه صحابيان وانما نبه المصنف على هذا لان جابر بن عبد الله هو المشهور من الصحابة والمطلق ينصرف اليه عند المحدثين (وهو) أي جابر ابن طارق (رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لانعرف له) بالبناء للفاعل او المفعول (الا هذا الحديث الواحد) قال ابن حجر قيل لاوجه لذكره هذا في جابر وتركه في أبي أسيد السابق مع أنه مثله فيه اه وليس في محله لانه يحتمل ان حال أبي أسيد مشهور فاكتفى عن ذلك فيه لشهرته أو انه حفظ ذلك في هذا دون ذاك فبين ماعرفه وسكت عما لايعرفه اه * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة انه) اي اسحق (سمع أنس بن مالك يقول ان خياطا) قال العسقلاني لم أقف علي اسمه لكن في رواية ثمامة عن أنس انه كان غلاما للنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان مولى خياطا (دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه فقال أنس فذهبت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم الى ذلك الطعام) اما بدعاء مخصوص او تبعا لكونه خادمه لى الله عليه وسلم فهو مدعو حكما لان الكبير العظيم اذا دعى لايأتي وحده عادة (فقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا من شعير ومرقا) بفتحتين (فيه دباء وقديد) لحم مملح مجفف في الشمس او غيرها فعيل بمعنى مفعول والقد القطع طولا وفي السنن عن رجل ذبحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون فقال املح لحمها فلم أزل أطعمه منه الى المدينة نقله ابن حجر (قال أنس فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع) أي يتطلب (الدباء حوالى القصعة) بفتح اللام وسكون الباء وكسرت هنا لالتقاء الساكنين وهو مفرد لفظا مجموع معنى اي جوانبها خلافا لمن قال أصله حوالين كجانبين فسقطت النون للاضافة ومنه حديث اللهم حوالينا ولا علينا والقصعة بفتح القاف هي التي يأكل منها عشرة أنفس وفي نسخة حوالى الصحفة وهي التي يأكل منها خمسة كذا في المهذب والصحاح وأغرب ابن حجر فقال تسع ضعفي ماتسع القصعة وقيل هما واحد انتهى قاله في جمع الوسائل قال ابن حجر وتتبعه صلى الله عليه وسلم حوالى القصعة اما بالنسبة لجانبه دون جانب البقية او مطلقا ولا يعارضه نهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك لانه للتقذر والايذاء وهو منتف فيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يودون ذلك منه لتبركهم بآثاره صلى الله عليه وسلم حتى نحو بصاقه ومخاطه يدلكون به وجوههم وقد شرب بعضهم بوله وبعضهم دمه انتهي وفي رواية عن أنس أنه قال فلما رأيت ذلك جعلت أجمعه بين يديه ولا أطعمه وفي الحديث جواز طبخ اللحم مع غيره من الخضر لتكثير الطعام وتطييبه وليس من باب ادامين ولا من السرف وقد تقدم قوله نكثر به

(مسفر يلتقي الكتيبة بسا * ماذا اسهم الوجوه اللقاء) هذه صفة ثانية لوجه أي مشرق نوره الذي يكاد يخطف الابصار

يلتقي ذلك الوجه أيضا الكتيبة اى الجيش من تكتب اذا اجتمع حال كونه بساما اي متبسما يفتر عن مثل سنى البرق او حب الغمام ان تبسم يلمع النور فيه * او افتر تنجلي الظلماء وذلك اذا أسهم الوجوه اللقاء من سهم وجهه اذا احمر وتغير أي اذا غير اللقاء للعدو الوجوه فان وجهه صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة التي تتغير فيها الوجوه وتضطرب يزداد نورا واشراقا وابتساما مما رزقه الله

تعالى من عظيم الشجاعة المحصله لغاية الطمأنينة والثبات والسكينة لعلمه بان الله ناصره وحافظه وقوة يقينه بمولاه وشجاعته صلى الله عليه وسلم وثباته فى المواطن الهائلة امر معروف مشهور وفى كتب السير بعضه مسطور

جعلت مسجدا له الارض فاهتز * زبه للصلاة فيها حراء) الضمير فى له للوجه المكرم وأمته تبع له والمسجد موضع السجود

والارض للعموم أى جميعها صالح للسجود (١٦٨) فيه مباح له او المسجد على بابه مجازا ى لانه لما جازت الصلاة فى كل جزء منها صار جميعها كانه مسجد وفى البخارى عن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة اه وفى حديث آخر وكان من قبلى انما يصلون فى كنائسهم وقيل ان الصلاة لم تكن تباح لهم الا فى موضع يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة فابيحت لهم فى كل الارض الا ما يتيقنون نجاسته والاول أولى فبسبب هذا الجعل المذكور اهتز أى تحرك طربا وفرحا به صلى الله عليه وسلم لاجل الصلاة فى الارض الجبل الذى الشان فيه انه يرسي الارض اذا تحركت وهو حراء يمد ويقصر ويؤنث ويذكر باعتبار البقعة والمكان فيمنع من الصرف ويصرف وهو جبل بقرب مكة على يسار الخارج منها ذاهبا الى منى كان يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وأشار بهذا الى ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان على حراهو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال عليه الصلاة والسلام اسكن حرا فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد ورواه البخارى فى أحد بلفظ انه كان معه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله الشريفة وقال أثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ورواه النسائي والترمذى فى ثبير وهو جبل يقابل حرا وكان معه عليه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارة الحضيض أى التى فى قراره وأسفله فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وهذا محمول على تعدد القضية بدليل

طعامنا مع ما فى ذلك من تدبير طبى لكسر حرارة القديد وتعديل يبسه ببرد القرع ورطوبته انظر الاكمال (فلم أزل أحب الدباء من يومئذ) أى محبة شرعية لا طبيعية وهذا من صريح ايمانه رضى الله عنه فان محبة المصطفى مؤدية الى محبه ما كان يحبه حتى من ما كول ومشروب وملبوس وفى الحديث فوائد منها اكلة الخادم وان كسب الخياط ليس بدنيء وانه يسن محبة الدباء لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا كل شيء كان يحبه ذكره النووى وبيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من عظيم التواضع والتلطف والرفق باصاغر أصحابه وتعاهدهم بالمجيء الى منازلهم وانه يندب اجابة الدعوة وان قل الطعام وكان المدعو شريفا والداعى دونه من محترف او غيره ومما كتب به مولانا احمد الذهبي للشيخ القطب العارف بالله سبحانه سيدى محمد البكرى نزيل مصر نفعنا الله به بخط يده بعد كتبه كتابا

ولما نأيت ولم أستطع * وصولى اليكم بنقل القدم
أتيت اليكم برجل الرسول * وخاطبتكم بلسان القلم

فاجابه الشيخ المذكور

فان زرتم وتفضلتم * وشرفتمونا بنقل القدم
فليس بعار ولا منقص * دخول الموالى بيوت الخدم

*قال المصنف (حدثنا احمد ابن ابراهيم الدورقى وسلمة بن شبيب) كحبيب (ومحمود بن غيلان قالوا أخبرنا أبو أسامة) قيل اسمه حماد بن اسامة (عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل) الحلواء بالمد ويجوز قصره كل ما فيه حلاوة فالعسل تخصيص بعد تعميم وقال الخطابي يختص بما دخلته الصنعة وفى كتاب فقه اللغة للثعالبى ان حلواءه صلى الله عليه وسلم التى كان يحبها المجيع كعظيم وهى تمر يعجن بلبن وقيل ما صنع وعولج من الطعام بحلو وقد يطلق على الفاكهة وقيل المراد به المستلذات من المباحات وعلى غير هذا القول الاخير من الاقوال المتقدمة فكل ما شابه الحلواء والعسل من أنواع المآكل اللذيذة داخل فى معنى هذا الحديث لان الحلواء والعسل من جملة الطيبات قال ابن حجر وفيه ان محبة الاطعمة النفيسة اللذيذة لا تنافى الزهد ولكن من غير قصد وتكلف لتحصيلها ومن ثم قال الخطابى لم تكن محبته صلى الله عليه وسلم للحلواء على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزوع النفس وانما كان ينال منها اذا حضرت نيلا صالحا فيعلم بذلك انها تعجبه اه وقال ابن حجر بعد هذا المحل فلا محذور فى محبة الملاذ بالطبع لان هذا من كمال الخلقة وانما المحذور المنافى للكمال التفات النفس وعناؤها فى تحصيل ذلك وتأثرها لفقده قال ولم يصح انه صلى الله عليه وسلم رأى السكر وخبر انه صلى الله عليه وسلم حضر ملاك أنصارى فجاءت الجوارى معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فأمسكوا أيديهم فقال صلى الله عليه وسلم ألا تنتهبون فقالوا انك نهيت عن النهبة قال اما العرسان فلا

اختلاف المحال والحال فيها وفى قول الناظم اهتزاشارة الى ان اهتزازه للفرح والطرب لا للسخط والغضب وذلك لان الله تعالى خلق فى الجمادات ادراكا ادركت به النبى صلى الله عليه وسلم فلما حل على تلك الجبال حصل لها من ذلك الجمال ما أوجب تحركها نشاطا ثم ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم بأن المقام يقتضى الفرح مع ملازمة الادب ويحتمل ان يكون تحركها هيبة وجلالا فعرفها أن من حل عليها يغلب فى جانبه مشاهد ما يناسب حاله من غاية الادب ولا ينافى الفرح والطرب بل الاولى هو الجمع فافهمه والله أعلم

فلا قال معاذ فرأيته صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه غير ثابت كما قال البيهقى فى سننه قال ولا يثبت فى هذا المعنى شىء وشنع على احتجاج الطحاوى به لمذهبه ان النثار غير مكروه وبين ان فيه ضعيفين ومجهولا وانقطاعا انتهى قال فى جمع الوسائل قلت لو لم يثبت عنده لما احتج به لمذهبه اه قال المصنف (حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى) بفتح الفاء نسبة الى قرية يقال لها الزعفرانية (نا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج) بجيمين مصغرا اسمه عبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج فهو نسبة الى الجد (نى محمد بن يوسف ان عطاء بن يسار أخبره ان أم سلمة) احدى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن اسمها هند بنت أبى أمية (أخبرته انها قربت) بتشديد الراء أى قدمت (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبا) وفى نسخة لحما (مشويا) قال شارح من شاة وردبأنه لا دليل لهذا التقييد (فاكل منه) قال ابن حجر بين بذكر هذا عقب الحلواء والعسل ان هذه الثلاثة افضل الاغذية وأنفعها للبدن والكبد والاعضاء ولا ينفر الامن به علة أو آفة واللحم سيد طعام أهل الجنة وقد روى ابن ماجه وغيره بسند ضعيف اللحم سيد الطعام لاهل الدنيا والآخرة وله شواهد منها عند أبى نعيم عن على مرفوعا سيد طعام أهل الدنيا اللحم ثم الارز ومنها عند أبى الشيخ عن أبى سمعان سمعت علماءنا يقولون كان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وهو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة قال الزهرى وأكله يزيد سبعين قوة قال الشافعي أكله يزيد فى العقل وعن على رضى الله عنه انه يصفى اللون ويحسن الخلق ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه ذكره فى الاحياء اه قال فى المدارك كان لمالك في كل يوم فى لحمه درهمان قال مطرف لو لم يجد مالك فى كل يوم درهمين يبتاع بهما لحما الا أن يبيع فى ذلك بعض متاعه لفعل وفى الجامع الصغير روى الطبرانى وأبو نعيم فى الطب والبيهقى عن بريدة سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء وسيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية يعنى ورق الحناء (ثم قام الى الصلاة وما توضأ) * قال المصنف حديث صحيح فيكون ناسخا لحديث توضؤا مما مسته النار ان كان المراد منه الوضوء الشرعى كما عليه الجمهور خلافا لبعض أهل الغريب ويوافقه الخبر الصحيح كان آخر الامرين من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيرت النار * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا ابن لهيعة) بفتح فكسر (عن سليمان بن زياد عن عبد الله بن الحرث قال أكلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شواء) بكسر أوله ممدودا أى لحما مشويا بالنار ويعنى مع الخبز كما فى رواية (فى المسجد) فيه دليل لجواز أكل الطعام فى المسجد جماعة وفرادى ان لم يحصل ما يقذر المسجد والا فيكره أو يحرم وزاد ابن ماجه ثم قام فصلى وصلينا معه ولم نزد على أن مسحنا أيدينا بالحصباء * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا وكيع نا مسعر) بكسر فسكون ففتح (عن أبى صخرة جامع بن شداد عن المغيرة بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة قال ضفت) بكسر أوله (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة) ذات صلة ترفع احتمال

(مظهر شجة الجبين على البر ء كأظهر الهلال البراء)

مظهر ذلك الوجه الشريف شجة اى جرح الجبين وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ والمراد هنا الجبهة فهو من مجاز المجاورة وعلى البرء أى فيه أو معه وما مصدرية والبراء أول ليلة أو يوم من الشهر أو آخرها أو آخره واشار الناظم الى ما وقع له صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقد روى الطبرانى وغيره ان عبد الله بن قميئة رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قميئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقماك الله أى صغرك وأذلك فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى ابن اسحق عن حميد الطويل عن أنس قال كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وعند ابن

عائد من طريق الاوزاعى بلغنا انه لما جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيا فجعل ينشف دمه وقال لو وقع شىء منه على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال ضرب وجه النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها وراجع المواهب وغيرها من كتب السير تطلع على تمام الخبر وأشار بقوله كما أظهر الخ الى أن وجهه المكرم أظهر آثار تلك الشجة مع برئها

ظهورا واضحا ليس فيه أدنى شين بل فيه غاية الجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله لحكمتين ليتذكر الراؤن لذلك والراوون عنهم ماوقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها فيقتدوا به فى ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه من ذلك بل زادته جمالا على جماله لانها صارت بعد البرء كالهلال فى وجهه الذى هو أحسن من الهلال ولذا قال

(ستر الحسن منه بالحسن فاعجب * بجمال له الجمال وقاء) (١٧٠) أى ستر ذلك الوجه الحسن الاصلى منه بالحسن العارض من الشجة فاعجب لجمال أصلى له الجمال العارض وقاء وذلك لان الله تعالى أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم غاية الجمال التى لم يعطها لمخلوق فى باطنه وظاهره فجعله كله نورا ولذا لم يظهر له ظل فكان جلده ساترا لجماله الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من أنوارها الباطنة مايصيرها كالهلال فى وجهه وصار حينئذ حسن ظاهره مستوراً بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بمحسوس يوضح ذلك ويكشفه فقال

(فهو كالزهر لاح من سجف الا * كمام والعود شق عنه اللحاء)

فهو أى ماظهر فالشجة من باطن بدنه الشريف كالزهر أى نور النبات اذا لاح اي ظهر من السجف بفتح السين وكسرها وسكون الجيم وفتحه ضرورة اى ستر والاكمام جمع كم بكسر الكاف غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد وهو أيضا مثل العود الذى يتطيب به اذا شق عنه اللحاء وهو قشره الاعلى من لحوت الشجرة ألحوه اذا قشرته فظاهر الجلد كاللحاء وباطنه كالعود وفى هذين التشبيهين مايعلمك ان جمال باطنه فاق جمال ظاهره ومن ثم قال

(كاد أن يغشي العيون سنى منـ * ـه لسر حكته فيه ذكاء) النبى

فاعل كاد يعود علي ماظهر بالشجة أو على جهة الكريم ويغشي بالغين المعجمة وبالمهملة أى يغطى العيون سنى بالقصر أى ضوء عظيم خارج منه لسر عظيم حكته أى شابهته فى ذلك الباطن الذي ظهر ذكاء أى شمس أى شابهت أصله وفى قوله كاد اشارة الى ان هذا الامر وان اقتضاه الحال لم يقع ليتمكن الناس من الاخذ عنه وينتفوا بما يشاهدون منه

أن يرد بالليلة مطلق الزمان فهى مع الليلة بمنزلة رأيت عين زيد قاله الابي في ذات يوم وقد تقدم نحو هذا أثناء باب اللباس فراجعه هنالك أى نزلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم علي رجل ضيفين له يقال ضاف القوم وتضيفهم نزل عليهم ضيفا وأضافوه وضيفوه أنزلوه انظر الصحاح قال القاضى اسمعيل وقد وقعت هذه الضيافة فى بيت ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم وقال العسقلانى ويحتمل انها كانت فى بيت ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها اه وعليه فتكون مع بمعنى عند وهو أحد معانيها كما فى المغنى (فاتى بجنب مشوى) فى رواية أبى داود فامر بجنب فشوى (ثم أخذ) أى النبي صلى الله عليه وسلم (الشفرة) بفتح الشين وسكون الفاء وهى السكين العريض الذى امتهن بالعمل ويسمى الخادم شفرة لانه يمتهن فى الاعمال كما تمتهن هذه فى قطع اللحم (فحز) أى قطع (لى بها منه) أى من ذلك الجنب المشوى وفى نسخة فجعل يحز لى وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم احتز من كتف شاة فدعى الى الصلاة فالقاها والسكين التى يحتز بها ثم قام فصلى ولم يتوضأ ولا يعارض هذا مارواه أبو داود والبيهقى فى شعب الايمان عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه فانه أهنأ وأمرأ لقولها ليس هو بالقوى ولانه يجوز ان يكون احترازه صلى الله عليه وسلم ناسخا لنهيه عن قطع اللحم بالسكين وان يكون لبيان ان النهى للتنزيه أو ان النهى فى لحم قد تكامل نضجه أو فى صغير والاحتراز فى الكبير لشدة لحمه أو لان النهش أطيب ولذا علله بقوله فانه أهنأ وأمرأ والهنىء اللذيذ الموافق للغرض والمرىء من الاستمراء وهو ذهاب ثقل الطعام وفى الحديث انه ينبغى للكبير أن يحز للصغير اظهارا للمحبة وتألفا له وتواضعا (قال) أى المغيرة (فجاء بلال) هو أبو عبد الرحمن كان يعذب فى ذات الله فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه وأعتقه وهو أول من أسلم من الموالى شهد بدرا وما بعدها ومات بدمشق سنة ثمان عشرة وله ثلاث وستون سنة من غير عقب وفى الصحيحين أنه صلي الله عليه وسلم قال له حدثنى بأرجى عمل عملته فى الاسلام عندك فانى سمعت الليلة خشف نعليك فى الجنة قال ماتطهرت الاصليت ما كتب لى وفى البخاري عن جابر كان عمر يقول أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعنى بلالا وهو من النجباء الاربعة عشر وكان ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم فى الحضر والسفر يتصرف فى حوائجه ولبعض الادباء رحمه الله

أبو بكر حباه الله مالا * وحين دعى أجاب نعم بلالا
لقد واسى النبي بكل خير * واعتق من ذخائره بلالا
لوان البحر يبغضه اعتقادا * لما أبقى الاله به بلالا

(يؤذنه) بسكون الهمز ويبدل واوا من الايذان بمعنى الاعلام وفى نسخة بهمزة مفتوحة وقد تبدل وتشديد الذال من التأذين وهو الاعلام بوقت الصلاة (بالصلاة فألقى) أي رمي

(صانه الحسن والسكينة ان تظهر فيه آثارها البأساء) لما تقرر ان من أسباب عدم شينه بتلك الشجة ما أوتيه من الحسن الذي لم يؤته غيره قال صانه ذلك الحسن أي حفظه لو انفرد فكيف وقد انضم اليه السكينة أي وقار الظاهر مع طمأنينة الباطن وعدم تحركه بما يمتحن به من المؤذيات التي لا يسكن عندها غيره فهما صاناه ان تظهر فيه آثارها الباساء أي الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية الطمأنينة ونهاية الجمال كما مر فهو صلى الله عليه وسلم على غاية الجمال ونهاية الكمال في حالتي السراء والبأساء

النبي صلى الله عليه وسلم (الشفرة فقال ماله) أي لبلال (تربت يداه) بكسر الراء أي لصقت بالتراب من شدة الافتقار فهو في الاصل دعاء بالعدم والفقر وجرى في ألسنة العرب غير مراد به ذلك بل مجرد اللوم كأنه صلى الله عليه وسلم كره تأذينه حين الاشتغال بالطعام مع اتساع الوقت قاله ابن حجر ويحتمل أنه أنكر عليه ترك قص شاربه اذا قلنا ان الضمير المضاف اليه في قوله (قال وكان شاربه قد وفى) يعود على بلال وهو الذي قرر به ابن حجر وغيره من الشراح وهو المتبادر من ظاهر العبارة ولكن وقع في رواية أبي داود وكان شاربي وفى فقصه لي على سواك وعليه فيتعين ان يكون ضمير شاربه للمغيرة بن شعبة ويكون فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذا كان ضمير قال للمغيرة بن شعبة فان كان فاعل قال هو المغيرة بن عبد الله نقل كلام المغيرة ابن شعبة فلا التفات انظر جمع الوسائل (فقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (له) أي لبلال او للمغيرة (أقصه لك على سواك) أي أقصه بتقدير الاستفهام او هو مجرد اخبار (أوقصه) أي أنت (علي سواك) وهو العود الذي يستاك به بأن يوضع تحت الشارب ثم يقص ما فضل عن السواك والشك من المغيرة أو ممن دونه قال ابن حجر فيه دليل لما قاله النووي من ان السنة في قص الشارب أن لا يبالغ في احفائه بل يقتصر على ما تظهر به حمرة الشفة وطرفها وهو المراد باحفاء الشوارب في الاحاديث اه وقال الحطاب في حاشيته علي الرسالة قال في المقدمات في كتاب الجامع يجمع بين الاحاديث الواردة في قص الشارب والاحاديث الواردة في احفائه بأن يقص أعلاه ويحفى منه الاطار الذي علي الشفة قال وهذا الذي ذهب اليه مالك اه بالمعنى وقال الحطاب أيضاً قال ابن يونس في جامعه سئل مالك عن رجل أحفى شاربه فقال يوجع ضربا وهذه بدعة اه وقال النووي ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب وفعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره ولا بأس أيضا بتقصيره وروى ذلك البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما اه وقال ابن حجر رأى الغزالي وغيره انه لا بأس بترك السبالين اتباعا لعمر ولان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وكره الزركشي ابقاءه لخبر صحيح ابن حبان ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس فقال انهم قوم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم وكان يجز سباله كما تجز الشاة والبعير وفي خبر عند أحمد قصوا أسبالكم ووفروا لحاكم ثم قال ابن حجر وفي مرسل عند البيهقي كان صلى الله عليه وسلم يقلم اظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل الخروج الي الصلاة وروي النووي كالعبادي من أراد ان يأتيه الغنى على كره فليقلم أظفاره يوم الخميس وفي حديث ضعيف يا علي قص الاظفار ونتف الابط وحلق العانة يوم الخميس والغسل والطيب واللباس يوم الجمعة قيل ولم يثبت في قص الظفر يوم الخميس حديث بل كيفما احتاج اليه ولم يثبت في كيفيته ولا في تعيين يوم له شيء وما يعزى من النظم في ذلك لعلي او غير باطل اه وفي الحديث اشارة الى طلب تحسين الهيئة والاحسان الى المخالط والمقارن والمحافظة علي ما يستمر به حسن الصورة المشار اليه بقوله تعالى وصوركم فأحسن صوركم وفي ذلك محافظة علي المروءة

(وتحال الوجوه ان قابلته
ألبسته ألوانها الحرباء)

أي تظن أنت الوجوه ان قابلته أي عاينت وجهه الكريم فوقعت عليها أنواره وجواب ان محذوف أي خجلت من فرط جماله وتلونت بالوان مختلفة كما يشاهد ممن قوى خجله حتى كأن تلك الوجوه عند ذلك التلون ألبستها الحرباء ألوانها وهي دويبة تستقبل الشمس وتدور كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة

(فاذا ثمت بشره ونداه
أذهلتك الانوار والانواء)

أي فبسبب هذا الجمال الباهر اذا ثمت أي نظرت من ثام البرق اذا نظر الى سحابه أين يتوجه بمائه البشر بكسر الموحدة طلاقة الوجه والندي جوده الفائض العام أي اذا تطلعت الى مخايله ببصرك متنظرا اليه اذهلتك أي أنستك ما كنت بصدده الانوار أي أنواره الباهرة التي تحصل لك من بشره عند رؤية وجهه والانواء جمع نوء وأصله النجم الذي تضيف العرب المطر اليه فيقولون مطرنا بنوء كذا وهنا كناية عن فواضله وعوارفه وخيراته الواصلة منه صلى الله عليه وسلم لمن قصد نداه وأمله وفيه لف ونشر مرتب وجناس لاحق وتشابه الاطراف وهو ختم الكلام بما يناسب ابتداء في المعنى نحو قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار الآية فاللطيف يناسب لا تدركه الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار

(أو بتقبيل راحة كان لله وبالله أخذها والعطاء) أي وليته خصني بتقبيل أي لثم راحة أي كف كان أخذها بالله وعطاؤها لله أي لاجل ابتغاء وجهه دون غرض آخر وبسبب شهود اعانته وقدرته لبراءته عن كل غرض ينافي الكمال الاعظم لم يقع

تصرف منه في شيء منذ أفاض الله عليه خوارق جوده الامع شهود سلب كل حول وقوة عما سواه تعالى

(تتقي باسها الملوك وتحظي * بالغنى من نوالها الفقراء) بفتح التاءين أي تخاف وتحذر بأسها أي شدتها في الحرب الملوك كقيصر وكسرى والمقوقس الى أن ظفرها الله بجميعهم وكانت تحظى أي تفوز بالغنى الحسي والمعنوي من بعض نوالها اى عطائها العظيم الفقراء جمع فقير أي لانه كان اجود الناس فيعطى عطاء تعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش الفقراء لايثاره على نفسه وعياله وكان جوده كله لله تعالى وفي ابتغاء مرضاته يبذل الاموال تارة للفقراء والمحتاجين وتارة ينفقها في سبيل الله اومن يسلم باسلامه نظراؤه وفي البيتين تجنيس التقابل في ثلاثة مواضع بين الاخذ والعطاء وتتقي وتحظي والملوك والفقراء

(لاتسل سيل جودها انما يكـ
ـفيك من وكف سحبها الانداء)

لاتسل أصله بالهمز ثم خفف والسيل الماء الكثير الجاري وبينهما تجنيس التحريف والجود بفتح الجيم المطر الغزير أي لاتسأل هذا الامر المكنى به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شيء لايقدر أحد من البشر قدره بل انما الذي يليق بك ان تسأل مايكفيك وهو يصل اليك من وكف أي قطر سحبها بضم السين جمع سحاب الانداء جمع ندى وهو البلل أي بلل قطرها على ان بلل هذا القطر فيه الغنى الكلي فمن وصلت اليه بلة من قطرة منه كانت سببا لغناه في الدارين رضي الله عنه عن سيدنا حسان اذ يقول

له همم لامنتهى لكبارها
وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو ان معشار جودها
على البر كان البر أندى من البحر

وعلى التكلف المطلوب لان الانسان اذا بدا في هيئة جميلة كان ادعى لانبساط النفوس اليه فيقبل قوله ويحمد رأيه والعكس بالعكس ولهذا طلبت سائر خصال الفطرة * قال المصنف (حدثنا واصل بن عبد الاعلى نا محمد بن فضيل عن أبي حيان التيمي) وفي نسخة التميمي بميمين وهو يحيى بن سعيد بن حيان الكوفي ثقة عابد من السادسة مات سنة خمس وأربعين ومائة (عن أبي زرعة) بضم الزاي وسكون الراء وهو ابن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي واختلف في اسمه فقيل هرم وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل جرير (عن أبي هريرة قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع) هو اليد من كل حيوان لكنها من الانسان من طرف المرفق الى طرف الاصابع تؤنث وقد تذكر ومن البقر والغنم مافوق الكراع وهو المراد هنا وقول شارح انه ساعد رد قاله المناوي (وكان تعجبه) قال النووي لسرعة نضجها مع زيادة لينها وسرعة استمرائها مع زيادة لذتها وحلاوة مذاقها وبعدها عن مواضع الاذى اه ويمكن ان يكون لافادة زيادة القوى بها قاله في جمع الوسائل (فنهس منها) بالمهملة وفي نسخة بالمعجمة في النهاية النهس أخذ اللحم باطراف الاسنان والنهش بجميعها وقيل لافرق بينهما وانه أخذ ماعلى العظم من اللحم باطراف الاسنان وفعله صلى الله عليه وسلم لانه اهنأ وأمرأ كما جاء في الحديث الصحيح ولانه ينبئ عن ترك الكبر والتكلف وترك التشبه بالاعاجم فهو أولى من القطع بالسكين وان كان جائزا * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا أبو داود عن زهير يعني ابن محمد عن أبي اسحق عن سعد) وفي نسخة سعيد (بن عياض عن ابن مسعود قال كان النبي صلى الله عليه وسلم تعجبه الذراع قال) أي ابن مسعود (وسم في الذراع) يحتمل ان يكون نائب الفاعل ضمير النبي أي أعطى النبي صلى الله عليه وسلم السم في الذراع ويحتمل انه الجار والمجرور قال ابن حجر سم في الذراع في فتح خيبر جعل له فيه سم قاتل لوقته فأكل منه صلى الله عليه وسلم لقمة ثم أخبره جبريل بانه مسموم فتركه ولم يضره ذلك السم يعني حينئذ والا فلم تزل تلك الاكلة تتعاهده صلى الله عليه وسلم الى أن مات بها وذلك ليجمع الله بين ثواب الرسالة والشهادة وعند الدمياطي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للقوم الذين أكلوا معه ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبر بانها مسمومة (وكان يرى) بالبناء للمفعول أو الفاعل وهو ابن مسعود (ان اليهود سموه) أسنده الى اليهود لانه صدر على أمرهم واتفاقهم والا فالمباشر لذلك زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودي وقد أحضرها صلى الله عليه وسلم وقال ماحملك على ذلك فقالت قلت ان كان نبيا لايضره السم والا استرحنا منه فاحتجم على كاهله وعفا عنها ولم يعاقبها لانه كان لاينتقم لنفسه قال الزبير وغيره فاسلمت وعن الزهري انها أسلمت فتركها فيحتمل انه تركها لاسلامها ولأنه لاينتقم لنفسه فلما مات بشر بن البراء وكان أكل معه منها دفعها لورثته فقتلوها قودا وبه جمع القرطبي وغيره بين الاخبار المتدافعة قال ابن حجر ثم اسلامها رواه سليمان التيمي في مغازيه وانها استدلت بعدم تأثير السم فيه على انه نبي قال في جمع الوسائل ولعل هذا هو السر في ان

(درت الشاة حين مرت عليها * فلها ثروة بها ونماء) أي من أوصاف تلك الراحة العالية جبريل

أيضا انها درت الشاة أي ارسلت لبنها الغزير حين مرت عليها فبسبب ذلك صار لها بعد فقد اللبن بالكلية اذ لم يطرقها فحل قط ثروة اي كثرة اللبن بها اي بسبب تلك الراحة الكريمة ونماء اى زيادة في تلك الكثرة وهذه القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم حين خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فاخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قرب رابغ على أم

معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية فطلبوا منها لحما ولبنا يشترونه فلم يجدوا عندها شيأ فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة تخلفت عن الغنم لشدة الجوع فسألها هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك والله ماضر بها من محل قط فقال صلى الله عليه وسلم أفتأذنين لى أن أحلبها قالت نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا بإناء يشبع الجماعة فملأه من حلبها وسقى القوم حتى رووا وشرب هو آخرهم ثم حلب (١٧٣) فيه مرة أخرى وتركه عندها راجع ما تقدم

جبريل والشاة ما أخبراه قبل تناوله صلى الله عليه وسلم منها لتظهر هذه المعجزة وليكون سببا لاسلام من أسلم وحجة على من عاند فى كفره وتصمم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا مسلم بن ابراهيم نا أبان بن يزيد عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي عبيد) بالتصغير بلا تاء وهو مولى للنبي صلى الله عليه وسلم واسمه كنيته (قال طبخت للنبي صلى الله عليه وسلم قدرا) بكسر اوله اى لحما فى قدر فذكر القدر وأراد ما فيه مجازا (وكان تعجبه الذراع فناولته الذراع) ظاهر السياق انه لم يطلبه أول مرة وانما ناوله بلا طلب لعلمه بأنه يعجبه (ثم قال ناولنى الذراع فناولته) اى الذراع فحذف المفعول (ثم قال ناولنى الذراع فقلت يا رسول الله وكم للشاة من ذراع) ابن حجر الظاهر انه استفهام استعظام وتعجب لا انكار لانه لا يليق بهذا المقام (فقال والذى نفسى بيده) هذا مما فيه مذهبان مذهب السلف انه من المتشابه فنعتقد تنزيهه تعالى عن ظاهره المستحيل ونفوض فهم المراد منه الى الله تعالى ومذهب الخلف التأويل وان المراد باليد القدرة (لو سكت) عما قلت وامتثلت أمرى (لناولتنى الذراع مادعوت) اى ما طلبت اى مدة دوام طلبه وانما كان كلامه ما نعا من رؤية هذه الكرامة لما فيه من الخشونة وقلة الادب بين يدى الكبراء ولذلك يقال اذا جالست الكبراء ففارق ما تعلم وذلك ان شهود هذه الكرامة فيه نوع تشريف لمن اطلع عليها وذلك التشريف لا يليق الا بمن كمل تسليمه حتى لم يبق فيه أدنى حظ ولا ارادة اشار الى ذلك ابن حجر وهذا من باب تكثير الطعام الذي هو أحد معجزاته عليه السلام وهو باب أكثر من ان يحاط به انظر الشفاء * قال المصنف (حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى نا يحيى بن عباد عن فليح بن سليمان قال حدثنى رجل من بنى عباد) قبيلة (يقال له عبد الوهاب بن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت ما كان الذراع أحب اللحم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي على الاطلاق لما سيأتى من قوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب اللحم لحم الظهر (ولكنه كان لا يجد اللحم الا غبا) أى وقتا دون وقت (وكان يعجل) بفتح الجيم اى يسرع (اليها لانها أعجلها) أى اللحوم المفهومة من قوله لا يجد اللحم لانه مفرد محلى باللام فهو معنى الجمع (نضجا) بضم أوله أي طبخا وليس فيما قالته منافاة لبقية احاديث الباب من كونه كانت تعجبه الذراع اذ يجوز كانت تعجبه وليست باحب اللحم اليه كما قال بعضهم ولا محذور فى محبته صلى الله عليه وسلم للحم وغيره من المستلذات لان محبة ذلك بالطبع والغريزة من كمال الخلقة وانما المحذور المنافى للكمال كما تقدم التفات النفس وعناؤها فى تحصيل ذلك وتاثرها لفقده ثم كما يحتمل انه كان يعجل للذراع لما قالت عائشة يحتمل ان يكون ليقل زمن الاكل ويتفرغ لصالح نفسه والمسلمين كما قال ابن حجر * قال المصنف (حدثنا محمود ابن غيلان نا أبو احمد نا مسعر قال سمعت شيخا من فهم) بفتح فسكون قبيلة واسم هذا الشيخ محمد بن عبد الله بن أبى رافع الفهمى ويقال اسم ابيه عبد الرحمن مقبول من الرابعة كذا فى التقريب (يقول) وفي كثير من النسخ قال بلفظ الماضى (سمعت عبد الله بن جعفر يقول

(نبع الماء أثمر النخل فى عام بها سبحت بها الحصباء)

اى ومن اوصاف تلك الراحة الجليلة أيضا انه نبع الماء بها أى بسببها ولم يقل منها ليفيد انه نبع تارة منها وتارة من غيرها ببركتها أما الاول فقد قال القرطبي قصة نبع الماء من بين أصابعه الكريمة قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة وروايت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزنى صاحب الشافعي ان هذا أبلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسى لان الحجر مألوف منه خروج الماء ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن ما فى الصحيحين عن أنس أن الناس احتاجوا لصلاة العصر فلم يجدوا الماء فاتى النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده فى ذلك الاناء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضؤا كلهم زاد البخارى وكانوا ثمانين وفى رواية اخرى فقلنا لانس كم كنتم قال ثلثمائة وفيهما عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من ركوة فجاؤه يشتكون العطش فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون فتوضؤا وشربوا كلهم وكانوا ألفا وخمسمائة بل قال جابر لو كنا مائة ألف لكفانا وفى رواية لابن شاهين انه وقع نظير ذلك فى غزوة تبوك لما شكوا اليه فطلب فضلة ماء فأتي بها فصبها فى صحفة ثم وضع راحته فيها فتخللت عيون بين أصابعه فروام وابلهم وتزودوا منه * وأما الثاني ففى مسلم عن معاذ انكم ستأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتي فسبق رجلان والعين

مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيأ قالا نعم فسبهما وقال لهما ماشاء الله ان يقول ثم غرفوا من العين قليلا حتى اجتمع فى شن ثم غسل عليه الصلاة والسلام به وجهه ويديه ثم صب الغسالة في العين فجرت العين بماء كثير ثم قال يامعاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ماهنا قد ملئ جنانا اى بساتين وعمرانا وفى الموطا فانحرق من الماء ماء له حس كحس الصواعق *(تنبيه)* قال النووى فى أول كتاب الفضائل من شرح مسلم وفى كيفية هذا

سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان أطيب اللحم) اى ألذه وأحسنه (لحم الظهر) وجه مناسبة هذا الحديث للترجمة ان أطيبيته تقتضى انه صلى الله عليه وسلم ربما تناوله فى بعض الاحيان لان من لم يذق لم يعرف ويمكن ان يكون بطريق الكشف قاله فى جمع الوسائل وفى الجامع الصغير كان يعجبه الذراعان والكتف رواه ابن السنى وأبو نعيم فى الطب عن ابى هريرة قال ابن حجر ومما كان يحبه صلى الله عليه وسلم أيضا الرقبة على ماورد عن ضباعة بنت الزبير انها ذبحت شاة فارسل اليها النبي صلي الله عليه وسلم ان أطعمينا من شاتكم فقالت مابقى عندى الا الرقبة وانى لاستحي أن ارسل بها اليك فقال للرسول ارجع اليها فقل أرسلى بها فانها هدية الشاة وأقرب الشاة الى الخير وأبعدها من الاذى أي فهى كلحم الذراع والعضد أخف على المعدة وأسرع هضما ومن ثم ينبغى ان يؤثر من الغذاء ما كثر نفعه وتأثيره في القوى وخف على المعدة وكان أسرع انحدارا عنها وهضما لان ماجمع ذلك افضل الغذاء اه وورد انه صلى الله عليه وسلم كان يكره من الشاة سبعا المرارة والمثانة والحياء والذكر والانثيين والغدة والدم وكان أحب الشاة اليه مقدمها قال في الجامع الصغير رواه الطبرانى فى الاوسط عن ابن عمر والبيهقى عن مجاهد مرسلا وابن عدى والبيهقى عن مجاهد عن ابن عباس وفى الجامع الصغير أيضا كان يكره للكليتين لمكانهما من البول ورواه ابن السنى فى الطب عن ابن عباس وفيه أيضا كان يكره ان يأكل الضب ورواه الخطيب فى التاريخ عن عائشة * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا زيد بن الحباب عن عبد الله بن المؤمل) بتشديد الميم المفتوحة وقيل بكسرها (عن ابن أبي مليكة) بالتصغير قيل هو عبد الله بن عبد الله بن أبى مليكة منسوب الي جده ويقال اسم أبى مليكة نمير (عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم الادام الخل) كان المناسب ذكر هذا وما بعده متصلا بما تقدم أول الباب * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا أبو بكر بن عياش) بتحتية مشددة وشين معجمة وهو مشهور بكنيته واسمه شعبة أو محمد أو عبد الله أو سالم أو رؤبة أو مسلم أو مطرف أو حماد أو خبيب وهو المقرئ صاحب عاصم القارئ المشهور (عن ثابت عن أبى حمزة الثمالى) بضم المثلثة وتخفيف الميم منسوب الى ثمالة وهو لقب عوف بن أسلم أحد أجداد أبي حمزة لقب بذلك لانه كان يسقيهم اللبن بثماله أى برغوته يروى عن أنس وغيره وعنه وكيع وأبو نعيم وخلق ضعفوه (عن الشعبى عن أم هانئ) بهمز فى آخره هي بنت ابى طالب واسمها فاختة وقيل هند لها صحبة وأحاديث (قالت دخل على النبي صلي الله عليه وسلم) أى فى بيتى يوم فتح مكة (فقال أعندك شيء) أى مما يؤكل (فقلت لا الا خبز يابس وخل) الظاهر ان لا لنفى الجنس ومابعد الابدل من اسم لا المحذوف أى لا شيء عندنا الا خبز الخ وفيه دليل لجواز حذف المبدل منه كما قال ابن مالك وأما قول ابن حجر انها عاملة عمل ليس وان الاستثناء مفرغ فليس بظاهر لان ماقبل الا غير طالب لما بعدها فكيف يكون مفرغا والله أعلم ولم تقل بلى عندى خبز يابس وخل اظهارا لحقارة ماعندها فى جنب عظمته

النبع يعنى فى القسم الاول قولان حكاهما القاضى عياض وغيره أحدهما انه كان يخرج من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وينبع من ذاتها وهذا قول أكثر العلماء والثانى ان الله تعالى كثر الماء فى ذاته فصار يفور من بين أصابعه اه قال الحطاب فى شرح المختصر وعلي القول الاول فهو أشرف مياه الدنيا والآخرة اه ومن أوصافها أيضا انها أثمر النخل فى عامها أى فى سنة غرسه بها أي بسبب مس تلك الراحة الكريمة لذلك النخل وذلك فى قصة سلمان الفارسى وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة اتاه سلمان وآمن به وكان مستر قا وأمره صلى الله عليه وسلم أن يكاتب سيده فكاتبه علي غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر وأربعين أوقية ذهبا ثم أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر أصحابه ان يعينوه بالودي فأعانوه به ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده فأثمرت كلها فى عامها وجيء النبى صلى الله عليه وسلم بمثل دجاجة من ذهب من بعض المعادن فاعطاها فقال وأين تقع هذه مما على فقال خذها فان الله سيؤدى بها عنك فوزن لهم منها أربعين أوقية ومن أوصافها أيضا انها سبحت بها اى فيها الحصباء اى الحصا واحدها حصبة كقصبة وأرض حصبة كفرحة ومحضبة كثيرتها وحصبه رماه بها وروي البزار والطبرانى صلى والترمذى انه صلى الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر وعمر وعثمان وعلي فقبض حصيات فسبحن فى كفه الشريف حتى سمع لهن حس كحس النحل فناولهن ابابكر فسبحن فى كفه ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم أخذها الحاضرون فلم يسبحن مع احد منهم قال العسقلانى ليس لحديث تسبيح الحصي الا طريق واحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس نعم أخرج البخارى من حديث ابن مسعود كنا

ما كل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وفي الشفاء انه صلى الله عليه وسلم مرض فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه فسبح

(احييت المرملين من موت جهد * اعوز القوم فيه زاد وماء)

أى من أوصافها العلية انها أحييت المرملين جمع مرمل أى المحتاجين الذين نفد زادهم حتى اشرفوا على الموت فتسميتهم موتى حتى وصفوا بالحياة مجاز كما ان اسناد الاحياء الى الراحة مجاز أيضا فهو استعارة تبعية وقوله من موت جهد أى قحط شديد أطلق عليه الموت لما كان سببا له والاضافة بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا الموت أطلق عليه اسمه وقوله أعوز القوم أى أعجزهم وضمير فيه يعود على الجهد والزاد فى الأصل طعام المسافر وعبر به لقلته عندهم فصاروا كالمسافرين الذين فنى زادهم فاشرفوا على الهلاك

(فتغذى بالصاع الف جياع
وتروي بالصاع الف ظماء)

اى فبسبب احيائه لهم كثر الله كرامة ومعجزة له الطعام والماء القليل جدا حتى تغذى بالمجمة من الغذاء بكسر الغين والذال المعجمتين وهو ما به نماء الجسم وقوامه وبفتح الغين والدال المهملة المأكول وقت الغداة وهو ماقبل الزوال وجياع جمع جائع من الجوع ضد الشبع والظماء جمع ظامئ أي عاطش وقد وقع هذا فى الخندق فى قصة شاة جابر وذلك كما فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه رأى فى وجه النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته وأخبرها فاخرجت صاعا من شعير وشاة داجن أى سمينة فذبحها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم فى البرمة ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره وطلب أن يأتى بنفر معه فصاح صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع سورا (١) فحيهلا بكم ثم امره أن لاينزل البرمة وأن لايخبز العجين حتى يجيء فلما جاء بصق فى العجين ثم في البرمة وبرك ثم امرها أن تدعو خابزة تخبز معها وأن تغرف من برمتها ولاتنزلها فاكلوا وهم الوف حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم كما هما وفى الصحيحين ايضا عن انس أن ام سليم ارسلت مع انس الى النبي صلى الله عليه وسلم اقراصا من شعير ملفوفة بحمار فلما رآه النبي صلى الله

صلى الله عليه وسلم ومن ثم طيب خاطرها بقوله (هاتي) أى أحضرى ما عندك (ما أقفر) أى ماخلا (بيت من أدم) بضمتين ويسكن الثانى متعلق باقفر (فيه خل) صفة بيت وفيه الفصل بين الصفة والموصوف بالأجنبي قال فى جمع الوسائل وفي رواية الطبرانى وأبي نعيم عنها والحكيم الترمذى عن عائشة بلفظ ما اقفر من ادم بيت فيه خل وبه يزول الاشكال ويحمل التغير على انه من بعض الرواة وقال ابن حجر ليس فيه الفصل باجنبي من كل وجه لأن أقفر عامل فى بيت وصفته وفيما فصل بينهما وفى النهاية أي ماخلا من الادام ولاعدم أهله الادام والقفار الطعام بلاادام واقفر الرجل اذا اكل الخبز وحده والقفار هى الارض الخالية التى لا ماء فيها وفى الحديث الحث على عدم النظر للخبز والخل بعين الاحتقار وانه لابأس بسؤال الطعام ممن لايستحي السائل منه لصدق المحبة والعلم بود المسؤل لذلك * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن عمرو بن مرة) بن عبيد الله بن طارق (عن مرة) بن شراحيل (الهمدانى عن ابى موسى) أى الاشعرى (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) سيأتي هنا تفسير الثريد وفى الحديث بعد تفسير الثريد ومابعده قال المناوى من أطلق نساءه وردعليه خديجة وهى أفضل من عائشة على الصواب لتصريحه بانه لم يرزق خيرا من خديجة ولخبر ابن ابى شيبة فاطمة سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران وآسية وخديجة فاذا فضلت فاطمة فعائشة اولى ومن أول بنساء زمنها وردعليه فاطمة وفى شأنها قال المصطفى ماسمعت وقد قال جمع من السلف لايعدل ببضعة رسول الله احد قال البعض وبه يعلم أن بقية اولاده كفاطمة اه ومما يرجح القول بان خديجة افضل من عائشة ان عائشة أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل وخديجة اقرأها السلام جبريل من ربها عز وجل ويفهم من حديث ابن ابي شيبة أن خديجة افضل من فاطمة ويعارضه ما اخرجه ابن عساكر عن ابن عباس مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء اهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون وسئل ابن داود ايما افضل فاطمة ام امها فقال فاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وسلم فلا نعدل بها احدا وسئل السبكى فقال الذى نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد افضل ثم امها خديجة ثم عائشة وعن ابن العماد ان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا السيادة انتهى وانما لم يساو فاطمة غيرها من اخواتها لشدة شبهها به صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا ولان سائر اخواتها متن فى حياته صلى الله عليه وسلم وفاطمة انما ماتت بعده فكان صلى الله عليه وسلم فى ميزانها كذا كان يقرره شيخنا العلامة ابو عبد الله سيدى محمد ابن احمد المسناوى رحمه الله تعالى وفي الحديث فاطمة خير بناتى انها اصيبت بى وقد اختلف ايضا هل الافضل مريم بنت عمران على القول بانها ليست بنبية ام فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وقد تعرض للكلام فى ذلك الشيخ تقى الدين السبكى فى فتاويه الحلبيات وشفى الغليل

(١) بضم المهملة وسكون الواو وبغير همز قال ابن الاثير اى طعاما يدعو اليه الناس قال واللفظة فارسية اه من خط المؤلف

عليه وسلم قال له آرسلك أبو طلحة قلت نعم قال لطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فانقدمهم أنس فاخبر عمته فقال يا أم سليم قد جاء رسول الله صلي الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فتلقى أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سليم هلمي ماعندك فاتت بذلك الخبز فامر به صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت عكة فآدمته ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فاكلوا حتى شبعوا فخرجوا فقال ائذن لعشرة

وهكذا فأكلوا وشربوا وهم ثمانون ثم أكل صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وتركوا بقية وروى مسلم انهم فى غزوة تبوك جاعوا فسأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعوا بفضل أزوادهم ثم يدعو الله لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شيء يسير فدعا صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فاتركوا فى العسكر وعاء الاملؤه فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال عليه الصلاة والسلام أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله وفى الصحيحين عن أنس أيضاً ان أمه أرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيسة من تمر وسمن واقط فى تور وهو عروس بزينب فامره ان يدعو من لقي فدعا من لقى فكانوا زهاء ثلثمائة فوضع صلى الله عليه وسلم يده فى تلك الحيسة وتكلم بماشاء الله تعالى ودعا عشرة فاكلوا حتى شبعوا قال أنس فما أدرى حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت وصح عن سمرة بن جندب انهم تداولوا قصعة من غدوة الى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة فقيل له مم كانت تمد فقال ما كانت تمد الى من ههنا وأشار الى السماء رواه الدارمي وابن أبى شيبة والترمذى والحاكم والبيهقى وصححه

واقتضب الشيخ جلال الدين السيوطى من كلامه ماهو المقصود وكأنهما مالا الى تفضيل فاطمة على الكل وخديجة على عائشة وقال الشيخ زكريا ماحاصله الذى اعتقده الآن ان جهات التفضيل مختلفة ففاطمة أفضل من جهة البضعة وخديجة أفضل من جهة المؤازرة والنصرة والمواساة قال النبي صلى الله عليه وسلم والله مارزقنى الله خيرا منها آمنت بي حين كذبنى الناس واعطتنى مالها حين حرمنى الناس وعائشة أفضل من جهة العلم فقد حفظت شيأ كثيرا حتى قيل ان ربع الاحكام منقول عنها وعنه صلى الله عليه وسلم خذوا دينكم عن هذه الحميراء يعنى عائشة وقال عطاء بن أبى رباح كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا لكن قال فى جمع الوسائل اذا لوحظت الحيثية فما يوجد أفضل على الاطلاق مطلقا ولذا قيل ان عائشة أفضل من فاطمة لان كلا منهما تكون مع زوجها فى الجنة ولاشك فى تفاوت منزلتهما وحكى ابن السبكى عن أئمة عصره انه فضل الحسن والحسين على الخلفاء الاربعة اى من حيث البضعة لا مطلقا فهم أفضل منهما علما ومعرفة وأكثر ثوابا واثارا فى الاسلام ثم قال فى جمع الوسائل والحاصل ان الحيثيات مختلفة والروايات متعارضة والمسئلة ظنية والتوقف لاضرر فيه قطعا فالتسليم أسلم والله أعلم انتهى وفضل عائشة رضى الله عنها وردفيه شيء كثير وهى عائشة بنت أبي بكر الصديق عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين ودخل عليها وهي بنت تسع سنين ومات صلى الله عليه وسلم وهى بنت ثمان عشرة سنة وعاشت بعده خمسين سنه وتوفيت علي رأس ثمان وستين سنة رضى الله عنها وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه قال العسقلانى فى الصحيح لما جاءت فاطمة الى النبي صلي الله عليه وسلم قال لها ألست تحبين ما احب قالت بلى قال فاحبي هذه يعنى عائشة وقال تقى الدين السبكى وهذا الامر لا صارف لحمله علي الوجوب وحكمه عليه السلام على الواحد حكم علي الجماعة فيلزم من هذا وجوب محبتها على كل واحد انتهي هذا والثريد هو أن يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون اللحم معه اللحم وانما كان الثريد أفضل سائر الطعام لانه جامع بين القوة واللذة وسهولة التناول وقلة المضغ بل قال فى النهاية ان القوة اذا كان اللحم نضيجا في المرق أكثر مما فى نفس اللحم وقال الاطباء انه يعيد الشيخ الى صباه وفى حديث سلمان رواه الطبراني والبيهقي البركة فى ثلاثة فى الجماعة والثريد والسحور وفى ضرب المثل به اشعار بما أعطيته عائشة رضي الله عنها من حسن الخلق وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأى ورصانة العقل والتحبب الى البعل فهي تصلح للتبعل والتحدث والايناس بها والاصغاء اليها وحسبك انها عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مالم يعقل غيرها من النساء وروت مالم يرو مثلها من الرجال قاله الطيبي وتقدم ماقيل ان ربع الاحكام الشرعية منقول عنها وقول عطاء بن أبى رباح كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا وقال عروة بن الزبير مارأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا اسمعيل

(ووفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء ابن

كان يدعى قنافا عتق لما * أينعت من نخيله الاقناء أفلا تعذرون سلمان لما * ان عرته من ذكره العوراء)

وفى بتخفيف الفاء وتشديدها أى أكمل قدر بيضة اى بيضة الدجاجة والنضار بضم النون الذهب وسلمان هو الفارسى رضي الله تعالى عنه والدين الموفى بقدر البيضة من النضار أربعون أوقية من ذهب فى كل أوقية أربعون درهما كما تقدم فالدين

عظيم والبيضة صغيرة لكن ببركة نبي الله صلى الله عليه وسلم لما براحته الكريمة وقت الدين المذكور حين حان اى قرب الوفاء أى حلول الاجل وبين وفى والوفاء الجناس الناقص ورد العجز على الصدر وبين دين وحين وحان الجناس اللاحق وسبب ترتب هذا الدين على سلمان انه كان يدعى قنا أى رقا بالباطل فاعتق باداء نجوم الكتابة لما أينعت اى اخضرت الاقناء حال كونها من نخيله التى كوتب عليها والاقناء جمع قنو وهو العرجون وملخص قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من اصبهان واجتهد فى المجوسية حتى صار رئيسا فرر بكنيسة النصارى فاعجبوه فذكر ذلك لابيه فقيده وقال له دينك ودين آبائك خير من دينهم وكان سألهم عن أصل دينهم فقالوا بالشام فارسل اليهم اذا جاءكم أحد من الشام فاخبرونى ففعلوا فحل القيد وتوجه اليها فسأل عن أعلمهم فدل عليه فخدمه الى أن مات ثم خدم من أقيم مقامه فلما احتضر قال بمن توصينى قال بفلان بالموصل فجاءه فاخبره وخدمه فلما احتضر قال بمن توصينى قال بفلان بنصيبين فجاءه فاخبره وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك له فقال بفلان بارض الروم فلما احتضر قال له بمن توصينى فقال يابنى ما أعلم أحدا على ما كنا عليه آمرك أن تأتيه وانه أظل زمان نبي وهو مبعوث بدين ابراهيم يخرج من أرض العرب يهاجر الى أرض بين حرتين يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بارضه فافعل ثم مات فمر به نفر من كلب فقال لهم احملونى الى أرض العرب وأعطيكم ما عندى فحملوه فلما بلغوا وادى القرى ظلموه فباعوه من يهودى فباعه من ابن عم له من بنى قريظة بالمدينة قال فحملنى اليها فعرفتها وبعث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فلم أسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينا أنا أجنى لسيدي تمرا اذ جاءه ابن عمه فقال قاتل الله بنى قيلة وهي أم الأوس والخزرج انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم اليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فاخذتنى رعدة شديدة حتى ظننت انى ساقط فنزلت فقلت لسيدى ماذا قال لك هذا فغضب ولطمنى لطمة شديدة وقال مالك ولهذا أقبل على عملك فلما أمسى أخذ شيأ جمعه وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فقال له هذا صدقة فامر أصحابه بأكله ولم يأكل فجمع

ابن جعفر نا عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر أبو طوالة) بضم الطاء كان قاضى المدينة زمن عمر ابن عبد العزيز (انه سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد) فعيل بمعنى مفعول وهو الخبز المأدوم بالمرق سواء كان مع اللحم وهو الاغلب أو لم يكن كما تقدم (على سائر الطعام) أى باقى ذلك الطعام فالثريد الذى هو الخبز المفتت فى مرق اللحم أو غيره أفضل من ذلك الباقى وليس المراد ان الثريد افضل الاطعمة على الاطلاق أو يقال المراد تفضيل الثريد على سائر الاطعمة التى كانت معروفة عند العرب لا على الاطعمة كلها * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبى صالح) قيل اسمه ذكوان (عن أبيه عن أبى هريرة انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ من ثور اقط) الثور بالمثلثة القطعة العظيمة من الاقط كما فى القاموس وهو لبن يجمد بالنار فالاضافة بيانية والمعنى انه توضأ وضوءه للصلاة من أجل أكل قطعة عظيمة من الاقط وفى هذا الوضوء مما مست النار وفى الحديث توضؤا مما مست ولو ثور اقط لكن هذا منسوخ كما تقدم بحديث جابر قال كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار وهو حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي وغيرهما من أهل السنن باسانيد صحيحة ونحو حديث جابر قوله هنا (ثم رآه أكل من كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ) فبين أبو هريرة ان الوضوء مما مست النار نسخ باكله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كتف شاة وترك الوضوء منه وصلى كما يدل عليه كلمة ثم المقتضية للتراخى وهذا مما أجمع عليه بعد الصدر الاول وأما حمل الوضوء على معناه اللغوى فبعيد من قوله ثم صلى ولم يتوضأ كما تقدم قال فى جمع الوسائل والظاهر من ايراد هذا الحديث فى هذا الباب أن المصنف أراد أن يبين أنه صلى الله عليه وسلم أكل ثور الاقط وكتف الشاة بطريق الائتدام وليس فى لفظ الخبر ما يدل عليه صريحا اللهم الا أن يقال انهما من جملة الادام عادة فاعتبر العرف وحمل عليه الحديث وذكره هنا والله أعلم بالصواب * قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر) قيل اسمه محمد بن يحيى بن ابي عمر منسوب الى جده وقيل ان أباعمر كنية يحيى (نا سفيان بن عيينة عن وائل بن داود عن ابنه وهو بكر بن وائل عن الزهري عن انس بن مالك قال أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق) هو دقيق القمح او الشعير المقلو اى جعل طعام وليمته عليها التمر والسويق وفى الصحيحين أولم عليها بحيس وهو الطعام المتخذ من التمر والاقط والسمن وقد يجعل عوض الاقط الدقيق كذا فى النهاية والوليمة اسم لطعام العرس خاصة من الولم وهو الجمع وزنا ومعنى لان الزوجين يجتمعان وقيل ان اسم الوليمة يقطع على كل دعوة تتخذ لسرور من نكاح وختان وغيرهما لكن استعمل عند الاطلاق فى النكاح ويقيد فى غيره فيقال وليمة الختان ونحو ذلك وصفية هذه هى بنت حيي بن أخطب اليهودى وهى من نسل هرون أخى موسى الكليم عليهما السلام قال لها النبى صلى الله عليه وسلم لما أغضبها بعض نسائه جدك نبي وعمك نبي وزوجك نبي وهي من أجل

شيا آخر وأتى به وهو بالمدينة فقال له هذا هدية فأكل هو وأصحابه ثم جاء وهو بالبقيع وقد تبع جنازة وجعل ينظر الى ظهره فعرف انه يتأمله لشيء وصفه له فألقى رداءه عن ظهره فرأى خاتم النبوة فقص عليه حديثه وأسلم فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب فكاتب كما تقدم نظراً لحالته الراهنة والافهو من جملة الاحرار وفي صحيح البخاري عن سلمان انه تداوله بضعة عشر من رب الى رب ولذا قيل لاتكره المكروه عند حلوله * ان العواقب لم تزل متباينه كم نعمة لاتستقل بشكرها * (١٧٨)

لله في طي المصائب كامنه

وقوله أفلا تعذرون سلمان اى اتلطمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لايؤمن به فلا تعذرون سلمان اى ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل عندكم على نبوته لما أى حين ان عرته اى غشيته من أجل ذكره اى ذكر اليهودي لقريبه النبي صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به في قبا العرواء اى قوة الحمي ومسها في اول اخذها الانسان بالشدة والرعدة وبين عرته والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق

تنبيه تقدم ان السيد سلمان هو من اصبهان ولاتعلق له بفارس الا أن العرب كانوا يسمون ماتحت ملوك العجم كله فارسا وكان رضي الله عنه من أبناء الامراء ومع ذلك لما سئل عن نسبه قال أنا سلمان ابن الاسلام وفي الحديث ان الله ليرضى لرضا سلمان ويسخط لسخطه وان الجنة لتشتاق الى سلمان أشد من اشتياق سلمان الى الجنة قيل عاش مائتين وخمسين سنة وهو الاصح وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وكان عطاؤه خمسة آلاف فيفرقها ويأكل من كسب يده بعمل الخوص وفي القاموس الخوص بالضم ورق النخل والخواص بائعه اه

نساء قومها كانت عروسا تحت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فقتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع ووقعت في السبي واصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه وكانت رأت قبل أن القمر سقط في حجرها فتؤول بذلك قال الحاكم وكذا جرى لجويرية أم المؤمنين وفي رواية انها صارت لدحية فأخذها النبي صلي الله عليه وسلم لما ذكر له جمالها وقال له صلى الله عليه وسلم خذ جارية من السبي غيرها وحكمة أخذها منه انها بنت بعض ملوكهم فلقلة نظيرها في السبي وكثرة نظراء دحية خشي من تغيير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها فان في ذلك رضا الجميع وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها توفيت سنة خمسين وقيل اثنين وخمسين ودفنت بالبقيع * قال المصنف (حدثنا الحسين بن محمد البصري نا الفضيل بن سليمان نا فائد مولى عبيد الله بن علي بن أبي رافع) هو القبطي واسمه ابراهيم أو أسلم اوثابت اوهرمز (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) كان للعباس فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس أعتقه وكان اسلامه قبل بدر وروى عنه خلق كثير مات قبل قتل عثمان بيسير (قال حدثني عبيد الله ابن علي) أي ابن أبي رافع (عن جدته سلمى) بفتح أوله وهي زوجة ابي رافع وهي قابلة ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وغاسلة فاطمة بنت عميس (ان الحسن بن علي) وفي نسخة الحسين ابن علي بالتصغير (وابن عباس وابن جعفر) اى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (أتوها) زائرين لها (فقالوا لها اصنعي لنا طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان كان من العجب بفتحتين فرسول مرفوع وهو من باب علم وضمير الموصول محذوف في الصلة أي مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وان كان من الاعجاب فرسول امامرفوع أيضاً أي يستحسنه رسول الله اومنصوب قاله في جمع الوسائل والظاهر هوالوجه الثالث (ويحسن أكله) من الاحسان اوالتحسين اى يعده من المأكول الحسن لانه يكثر من اكله (فقالت يابني لاتشتهيه اليوم) أفردت مع أن الجمع هوالملائم ايثاراً لأكبرهم اولانهم لما اتخذت طلبتهم صاروا بمنزلة شخص واحد (قال بلى اصنعيه لنا) لانا نشتهيه على سبيل البركة ونفهامحمول على طريق الطبع وعرف الوقت لاتساع العيش وذهاب ضيقه الذي كان أولها ولهذا قيدته باليوم (قال) اى الراوي عن سلمى اواحد الثلاثة (فقامت فاخذت شيأ من الشعير) اى قليلا (فطحنته ثم جعلته) اى دقيقه (في قدر وصبت عليه شيأ) اى قليلا (من زيت) اى زيت الزيتون اوغيره (ودقت الفلفل) حب هندي معروف (والتوابل) بفتح الفوقية وكسر الموحدة ابزار الطعام وهو أدوية حارة يؤتي بها من الهند وقيل هو مركب من الكزبرة والزنجبيل والكمون جمع تابل بموحدة مكسورة اومفتوحة (فقربته) اى الطعام بعد طبخه (اليهم فقالت هذا مما كان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم ويحسن أكله) قال ابن حجر وروى المصنف وقال حسن غريب انه صلي الله عليه وسلم أكل السلق مطبوخا بالشعير وأكل الخزيرة بمعجمة مفتوحة فزاي

مكسورة

(وأزالت بلمسها كل داء * أكبرته أطبة رؤساء) اى ومن اوصاف تلك الراحة انها أيضاً أزالت بلمسها لمن به مرض كل داء اكبرته اى استعظمته وعجزت عن برئه اطبة جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذي هوحفظ صحة الانسان بدفع ماحصل من المرض ومنع مالم يصل ورؤساء جمع رئيس اى مهرة في الطب وفي بعض النسخ واساء بكسر الهمزة جمع آس كراع ورعاء وهو الطبيب

والنسخة الاولى أولى لمزيد الفائدة وروى الدارمي ان امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فقاء من جوفه الجرو الاسود فشفي وروى البخاري ان سلمة أصيب يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث فيها النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط

(وعيون مرت بها وهي رمد * فارتها مالم تر الزرقاء) أي ومن أوصافها أيضا انها برئت بها عيون جمع عين أي باصرة مرت بها تلك الراحة الكريمة وهي رمد جمع رمداء من الرمد بفتح الراء والميم وهو هيجان العين ووجعها فارتها أي أرت تلك الراحة تلك العيون أي جعلتها ترى ما أي الشيء البعيد الذي لم ترة الزرقاء أي زرقاء اليمامة التي كانت ترى مسيرة ثلاثة أيام وروي البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال أين علي فقيل يشكو عينيه قال أرسلوا اليه فاتي به فبصق صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبراني عن علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه وسلم رأسي في حجره ثم بزق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما اشتكيتها حتى الساعة وروى ابن أبي شيبة والبغوى والبيهقي والطبراني وأبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيا وكان وقع علي بيض حية فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان

مكسورة فتحتية فراء قال الطبري كالعصيدة الا انها أرق وقال ابن فارس دقيق يخلط بشحم والجوهري كالقتبي لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه دقيق وقيل هي بالاعجام من النخالة وبالاهمال من اللبن وأكل الكباث رواه مسلم وهو بفتح الكاف وتخفيف الموحدة وبمثلثة آخره النضيج من ثمر الاراك وقيل ورقه وفي نهاية ابن الاثير انه كان يحب ثمار النخل وروى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم أتى بجبن تبوك فدعا بسكين فسمى وقطع * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو أحمد نا سفيان عن الاسود بن قيس عن نبيح) بضم نون وفتح موحدة وسكون تحتية وحاء مهملة (العنزي) بفتح المهملة والنون منسوب الى بني عنزة (عن جابر بن عبد الله) صحابيان (قال أتانا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فذبحنا له شاة) يصدق بالضأن والمعز والذكر والانثى (فقال كأنهم علموا أنا نحب اللحم) أي فاضافونا به وقصد بذلك تأنيسهم وجبر خواطرهم دون اظهار الشغف باللحم والافراط في محبته وفيه ارشاد المضيف الى أنه ينبغي له أن يثابر على ما يحبه الضيف ان عرفه والضيف الى أنه يخبر بما يحبه حيث لم يوقع المضيف في مشقة قاله ابن حجر ويحتمل انه قصد بذلك مدح اللحم مطلقا كما تقدم نظيره أو في ذلك الوقت للاحتياج الى القوة لمدافعة العدو ومقاومتهم قاله في جمع الوسائل (وفي الحديث قصة) قال المناوي هي معجزة عظيمة ومحصولها انه طبخ شاة وعجن شيأ من دقيق الشعير وأخبر النبي سرا فنادى في أهل الخندق بتمامهم هلموا ثم بصق في العجين وفي البرمة فاكلوه وهم ألف حتى تركوه وانحرفوا والبرمة تغط أي تغلي والعجين يخبز وهي مشهورة فلعل الاشارة اليها لكن الحديث المذكور هنا يدل على ذبح الشاة بعد مجيء النبي صلى الله عليه وسلم منزلهم وحديث الخندق فيه ان ذبح الشاة كان قبل المجيء فالظاهر انها غيرها اه قال في جمع الوسائل ويمكن دفع الاشكال بان يقال قوله أتانا أي اراد ان يأتينا بمناداتنا اياه فذبحناله شاة فناديناه وأعلمناه بما عندنا من اللحم وصاع الشعير فقال كانهم علموا انا نحب اللحم ويمكن ان يكون المعنى فذبحناله شاة أخرى لما رأينا من كثرة أصحابه ويمكن انه صلى الله عليه وسلم جاء منزل جابر لحاجة ثم رجع فانقلب جابر الى بيته وصنع ما صنع ثم اخبره به فوقع ما وقع والله أعلم وهذا الحديث من باب المعجزات واستيفاؤها يستفاد من المطولات وقد نقل ابن حجر هنا منها جملة وافرة * قال المصنف (حدثنا ابن أبي عمر) أي محمد بن يحيى (نا سفيان نا عبد الله بن محمد بن عقيل) أي ابن أبي طالب (انه سمع جابرا قال سفيان) أي في اسناد آخر (ونا محمد بن المنكدر عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه فدخل على امرأة من الانصار) أي معها خدمها وحشمها (فذبحت له شاة فاكل) أي النبي صلى الله عليه وسلم اصالة وغيره معه تبعا (منها وأتته بقناع) بكسر القاف وهو الطبق الذي يؤكل عليه (من رطب فاكل منه ثم توضأ للظهر وصلى ثم انصرف) من صلاته أو من محلها (فأتته بعلالة) بضم العين المهملة اي بقية (من علالة الشاة) أي من بقية لحمها والعلالة كما في القاموس بقية اللبن وغيره فمن للبيان خلافا لمن

وأعادت علي قتادة عينا
فهي حتى مماته النجلاء

أي ردت علي قتادة ابن النعمان عينه الذهبت فهي الى مماته النجلاء اي الواسعة حسا ومعنى وذلك ان عينه أصيبت يوم أحد ووقعت علي وجنته فاتى بها النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ان لي امرأة احبها وأخشي ان رأتني تقذرتني فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد علي عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من أنت فقال ابونا الذي سالت علي الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما رد

فعادت كما كانت لاول امرها * فياحسن ماعين وياحسن ماخد فوصله عمرو أحسن جائزته قال السهيلي وفي رواية أصيبت عينه يوم أحد فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان وأخرج الطبراني وأبو نعيم عنه كنت يوم أحد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما بدرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه الكريمتان فقال اللهم في قتادة كما وقي وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا قال ابن حجر والجمع بين رواية الواحدة والاثنتين ان من ذكر الواحدة لم ينف الاخرى او ظن ان الساقطة واحدة فأخبر بما علم وغيره علم انهما اثنتان وزيادة الثقة مقبولة اه قلت وهذا الجمع متعذر لقوله فاجعلها احسن عينيه الخ فانه صريح في أن الاخرى كانت سالمة فتأمله

(أو بلثم التراب من قدم لا نت حياء من مشيها الصفواء)

أي أوليته خصني في اليقظة أو في النوم على مامر بلثم أي تقبيل التراب المنفصل من قدم موصوفة باوصاف جليلة منها انها كانت اذا مشت على حجر لانت لاجل الحياء من أجل مشي تلك القدم الكريمة الصفواء اى الحجارة الصلدة قال السيوطي في خصائصه ومما أورده رزين في خصائصه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وطئ على الصخر أثر فيه وقال التبريزي الحنبلي تلميذ ابن القيم في خصائصه وأما الانة الحديد لداود عليه الصلاة والسلام فان الانة الحديد معروفة بالنار وقد ألان الله تعالى الحجارة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا بغيرها وهذا ابلغ ثم قال وأعجز من هذا انه كان اذا مشى على الصخر لان تحت أقدامه واذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة انظر المواهب ولله در القائل

هو الذي اختاره الباري وأرسله * برا رؤفا رحيما بالمساكين ان سار في الرمل لم تنظر له اثرا * وان علا الصخر عاد الصخر كالطين

(موطئ الاخمص الذي منه للقلب اذا مضجعي أقض وطاء) موطئ بالجر بدل من التراب ويصح الرفع والاخمص المراد به

استبعده (فأكل فيه دليل على انه لا حرج في الاكل بعد الاكل وان لم يطل فصل ولا انهضم الاول أي ان أمن التخمة باعتبار عادته او قلة المأكول ولم يتخلل بينهما شرب لانه حينئذ أكل واحد وفيه انه أكل من لحم في يوم مرتين لانه شبع منه في يوم مرتين كما توهم اذ لا يلزم من أكله مرتين الشبع في كل منهما فمن عارضه بقول عائشة السابق ما شبع في يوم من لحم مرتين لم يكن على بصيرة قال المناوي (ثم صلى العصر ولم يتوضأ) فيه دليل على ان الوضوء الاول لم يكن مما مست النار او الاول بطريق الاستحباب والثاني لبيان الجواز قاله في جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا العباس بن محمد الدوري نا يونس بن فليح بن سليمان عن عثمان ابن عبد الرحمن عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أم المنذر) يقال اسمها سلمى بنت قيس بن عمرو الانصارية من بني النجار ويقال هي احدى خالاته صلى الله عليه وسلم قال صاحب المشكاة هي بنت قيس الانصارية ويقال العدوية لها صحبة ورواية (قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي ولنا دوال) جمع دالية وهي العذق من النخلة يقطع بسراتم يعلق فاذا أرطب يؤكل والواو فيه منقلبة عن الالف (معلقة) بالرفع صفة مؤكدة لدوال (قالت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل) أي قائما كما هو الملائم للمقام اوقاعدا (وعلي معه يأكل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه) اسم فعل بمعنى اكفف (ياعلي فانك ناقه) اسم فاعل من نقه الشخص بفتح القاف وكسرها اى قريب العهد بالمرض (قال فجلس علي والنبي صلى الله عليه وسلم يأكل قالت فجعلت لهم) أي لاهلها وللضيفان ووقع في بعض نسخ المصابيح وفي بعض نسخ الشمائل له بضمير الافراد والاظهر انه للنبي صلى الله عليه وسلم لانه الاصل والمتبوع كما يدل عليه صيغة الجمع ويبعد ان يكون الضمير لعلي (سلقا) بكسر فسكون بقل معروف (وشعيرا) والمعنى فطبخت لهم (فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياعلي من هذا) أي لا من غيره (فأصب) قال ابن حجر أي أمامن هذا فأصب بالفاء جواب مقدر (فان هذا) وفي نسخة فانه (أوفق لك) لان السلق والشعير من أنفع الاغذية للناقه لما في ماء الشعير من التغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة بخلاف الفاكهة فانها تضر بالناقه لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم القوة فأوفق بمعنى موافق اذ لا أوفقية في الرطب أصلا ويصح كونه على حقيقته بان يدعى بان في الرطب موافقة له من وجه وان ضره من وجه آخر وفي الحديث انه ينبغي الحمية للمريض والناقه آكد فان التخليط يوجب انتكاسه وهو اصعب من ابتداء المرض وقد نطق التنزيل بطلب الحمية حيث قال وان كنتم مرضى الى قوله فتيمموا فحمى المريض من استعمال الماء لكونه يضره وأما الخبر الدائر على الالسنة الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء ودواء كل جسد ما اعتاد فليس بحديث وانما هو من كلام الحرث بن كلدة طبيب العرب قاله المناوي وفيه ايضا ان التداوي مشروع ولا ينافي التوكل اقتداء بسيد المتوكلين كما لا ينافيه دفع الجوع بالاكل وقد ورد في طلب التداوي احاديث * فني الصحيح ما أنزل الله داء الا انزل شفاء فتداووا

ووورد

الجنس أى الاخمصين لانه صلى الله عليه وسلم كان خمصان الاخمصين فهو من التعبير بالبعض عن الكل والاخمص من القدمين الموضع الذى لا يلتصق بالارض منها عند الوطء والخمصان المبالغ فيه ولا يرد على كلامه ما رواه البيهقى عن أبى هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا وطئ بقدميه وطئ بكلها ليس له أخمص وابن عساكر عن أبى امامة كان صلى الله عليه وسلم لا أخمص له يطأ على قدميه كلها لان المراد ان أخمصه معتدل الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابي اذا كان خمص (١٨١) الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو أسفل القدم جدا فهو أحسن ما يكون وان استوى أو ارتفع جدا فهو مذموم وقوله الذى منه للقلب الخ هو نعت للمضاف الذي هو موطئ ومنه صفة للمبتدا الذى هو وطاء فقدمت عليه فصارت حالا وللقلب خبر المبتدا والمضجع موضع الاضطجاع يقال ضجع كمنع ضجعا وضع جنبه بالارض كانضجع واضطجع والمضجع كمقعد موضعه وأقض بالقاف والضاد المعجمة أى صار فيه القضة بالكسر وتفتح الحصا الصغار والقضض محرك التراب يعلو الفراش ووطاء أى فراش ومهاد وصف ذلك التراب الذى هو موطئ القدمين الشريفتين بانه لو فرض ان مضجعه أصابه شيء منه سرى سر ذلك التراب الى قلبه فانار وأراحه من الاغيار وصيره على أكمل الاحوال وصانه عن قبائح الخطرات والاهوال كما ان الفراش شانه ذلك فتأمله ويحتمل أن يكون معناه انه تمنى ان يكون موطئ قدمه الشريف محل رقود لقلبه وسبك البيت موطئ الاخمص الذى أتمنى ان يكون للقلب وطاء منه اذا مضجعى أى مرقد جنبى أقض أى أصابه القضض وهو التراب وذلك حالة الواقع فى القبر وهذا أظهر والله أعلم

ووردان الله تعالى بعث ملكا ومعه ستر فجعله بين الداء والدواء فكل ما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء فاذا أراد الله برأه أمر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وأما خبر من استرقى واكتوى برئ من التوكل فمعناه برئ من توكل المتوكلين السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب فان بعض التوكل أفضل من بعض أو برئ من التوكل ان استرقى بمكروه أو علق شفاءه بوجود نحو الكى وأعرض عن ان الشفاء من عنده تعالى وأما من فعله على وفق الشرع ناظرا لرب الدواء متوقعا للشفاء من عنده قاصدا الصحة بدنه للقيام بطاعة ربه فتوكله باق بحاله فان سيد المتوكلين عمل بذلك فى نفسه وغيره فلابد من التعلق بالله تعالى ولابد من عمل الاسباب في الظاهر وخلو الباطن من التعلق بها وانظر النبى صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه وربط على بطنه الحجر من الجوع وجاهد وواصل الايام العديدة وقال بعد ذلك لن يدخل أحدا عماله الجنة قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته فرجع الى التعلق بالله وترك النظر الى الاسباب والتعلق بها فالتمسك بالحقيقة فقط أو بالشريعة فقط خلاف الصواب الذى هو الجمع بينهما وقد قيل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا فتعطيلها يقدح فى التوكل انظر استيفاء ذلك فى كتاب الاحياء وسيأتى شيء من هذا أول باب الحجامة وانه اختلف هل ترك التداوى فضيلة أو التداوي أفضل ودليل كل من القولين ثم الادوية المعنوية كصدق الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه والخضوع بين يديه مع الصدقة والاحسان والتفريج عن المكروب أصدق فعلا وأسرع نفعا من الادوية الحسية بشرط تصحيح النية ومن ثم ربما تخلف الشفاء عمن استعمل طب النبوة لمانع قام به من نحو ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول وهذا هو السبب أيضا فى عدم نفع القرآن لكثيرين مع أنه شفاء لما في الصدور انظر جمع الوسائل وابن حجر وقد ذكر ابن حجر هنا كثيرا من الامراض التى طبها صلى الله عليه وسلم فانظره * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا بشر بن السرى عن سفيان) أى الثورى (عن طلحة بن يحيى عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتينى فيقول أعندك غداء) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة والمد وهو الطعام الذى يؤكل أول النهار (فأقول لا) أى احيانا (قالت فيقول اني صائم) فى رواية صحيحة اني صائم اذن أى ناو للصوم وفيه انه لا بأس باظهار النوافل لحاجة كتعليمهم مسئلة كما هنا وفيه جواز الصوم بنية من النهار وبجواز ذلك قال أبو حنيفة والشافعى والاكثرون وقال مالك يجب التبييت لعموم حديث لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل قال ولا دليل في انى صائم اذن لاحتمال اني صائم اذن كما كنت أو انه عزم على الفطر لعذر ثم تم الصوم واستبعد ابن حجر حمل انى صائم على ذلك (قالت فأتانى يوما فقلت يارسول الله انه) أى الشان (أهديت لنا هدية قال وما هى قلت حيس) بحاء مهملة مفتوحة وتحتية ساكنة بعدها سين

(حظى المسجد الحرام بمشا * هاولم ينس حظه ايلياء) يعنى بالمسجد الحرام جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك كثيرا كما فى القرآن فى مواضع كثيرة ماعدا قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وضمير بمشاها يعود على تلك القدم الكريمة أى بمشيها فيه أى فضل حرم مكة بسبب مشى النبى صلى الله عليه وسلم فيه مع تربيته ونشأته فيه وايلياء ككبرياء بيت المقدس أى لم ينس حظه من بمشاها فيه ونسبة عدم النسيان له مجاز لحظى ليلة الاسراء بمشيها فيه وصلاته بالانبياء كما فى الصحيح ﴿ تنبيه ﴾

المستفاد من كلام الناظم ان مكة حصل لها الفضل والحظوة بمشى النبي صلى الله عليه وسلم فيها وليس فيه ما يستفاد منه انها أفضل من المدينة ولا العكس على انه علق الحظوة بالمشى فالمدار عليه لان تعليق الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية وقد وجد ذلك فى المدينة مع فضائل أخر ولذا كان المشهور من مذهب مالك ان المدينة أفضل وقال ابن وهب وابن حبيب مكة أفضل وهو مذهب الشافعى وأهل الكوفة ويدل لمشهور (١٨٢) مذهب مالك ما رواه الدارقطنى والطبرانى من حديث رافع بن خديج المدينة خير من مكة نقله فى الجامع الصغير والخلاف في غير موضع قبره عليه الصلاة والسلام لانه افضل من كل بقعة باجماع وتنضم الروضة لموضع القبر اذ لم يثبت لبقعة انها من الجنة بخصوصها الاهى ففى البخارى ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة

مهملة هو التمر مع السمن والاقط وقد يجعل عوض الاقط الدقيق أو التفتيت ثم يدلك حتى يختلط وأصل الحيس الخلط قاله فى جمع الوسائل وقال العسقلاني

السمن والتمر معا ثم الاقط * الحيس الا انه لم يختلط

(قال أما) بالتخفيف للتنبيه (انى أصبحت صائما قالت ثم أكل) قال ابن حجر فيه التصريح بجواز الخروج من صوم النفل وهو مذهب الشافعى كالا كثرين ويوافقه خبر الصائم المتطوع أمير نفسه ان شاء صام وان شاء أفطر ومنعه مالك الا لعذر لقوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ولامره صلى الله عليه وسلم عائشة بالقضاء لما أكلت فى صوم نفل وجوابه ان الآية محمولة على الفرض جمعا بين الادلة والحديث مرسل فلا حجة فيه وعلى التنزل فيحمل الامر بالقضاء على الندب جمعا بين الادلة أيضا اه وفيه ان الحديث ليس بصريح فى المقصود لاحتمال ان معنى أصبحت صائما أى مريد الصوم وقاصد اله من غير صدور نية جازمة ويمكن انه كان صائما ثم أكل لضرورة وان الحديث المرسل حجة عند الجمهور وحمل الامر على الندب خلاف الاصل وأما حديث الصائم المتطوع الخ فمعناه انه أمير نفسه قبل الشروع ولو كان عادته ذلك الفعل تطوعا وقد أجمع العلماء على ان الشروع فى الحج والعمرة يلزم فكذا غيرهما من العبادات والا فيلزم الملعبة فى الصلاة مثلا بأن يشرع فيها ويقطعها قاله فى جمع الوسائل قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا عمر بن حفص بن غياث نا أبي عن محمد بن أبى يحيى) قيل اسمه سمعان (الاسلمى عن يزيد بن أبى أمية) لم يسم (الاعور) صفة لاحدهما (عن يوسف بن عبد الله بن سلام) صحابيان وفى نسخة صحيحة زيادة عن عبد الله بن سلام قال صاحب المشكاة فى أسماء رجاله يوسف بن عبد الله يكنى أبا يعقوب كان من بنى اسرائيل من ولد يوسف ابن يعقوب عليهما السلام ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل اليه وأقعده فى حجره وسماه يوسف ومسح رأسه ومنهم من يقول له رواية ولا رواية له وأما ابوه عبد الله بن سلام بتخفيف اللام فيكنى أبا يوسف (قال) أى عبد الله على نسخة زيادة عن عبد الله أو ابنه (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذ كسرة من خبز شعير فوضع عليها تمرة ثم قال هذه) أى التمرة (ادام هذه) اى الكسرة (وأكل) قال الطيبى لما كان التمر طعاما مستقلا ولم يكن متعارفا للائتدام به اخبر صلى الله عليه وسلم انه صالح للائتدام به وفى الحديث تدبير الغذاء فان الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على الاصح فالجمع بينهما من احسن التدبير وفيه القناعة بالائتدام بما تيسر وفيه جواز وضع الادام على الخبز قال ابن حجر ومحله ان سلم ما اذا لم يقذره بحيث يعافه غيره * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن) يعنى الدارمي (قال نا سعيد بن سليمان عن عباد بن العوام عن حميد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الثفل) بضم المثلثة ويكسر وسكون الفاء وهو فى الاصل ما يرسب من كل شىء او ما يبقى بعد العصر وقد يطلق على ما بقى فى آخر الوعاء من نحو الدقيق والسويق (قال عبد الله) اى شيخ المصنف (يعنى)

(ورمت اذرمى بهاظلم الليـ ـل الى الله خوفه والرجاء)

اى ومن اوصافها ايضا انها ورمت من الورم الذى هو النفخ وقت رمى بهاظلم الليل فيه استعارة بالكناية شبه القدم الشريفة بسهم صائب من حيث ان قيام القدم فى طاعة الله اوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما ان رمى السهم فى طاعة الله تعالى يزيل سورة العدو ووطأته وصولته فتشبيه القدم بالسهم فى ذلك استعارة بالكناية لبنائها على هذا التشبيه المكنى فى النفس واثبات الرمي لها استعارة تخييلية وقوله الى الله خبر مقدم ومابعده مبتدا اى خوفه صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى الذى هو اشد خوفا لقوله انا اعلمكم بالله واخوفكم منه ورجاؤه اى سعة امله فيما عنده لا الى غرض آخر لان الله تعالى عصمه من الميل الى غير الله طرفة عين بل هو دائم المثول في حضرات الشهود الاقدس والتملى بمعانى القرآن الانفس واشار الناظم بهذا الى ما فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اى اتتكلف هذا وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا قال ابن بطال فى هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة فى العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم فضلا عمن لم يأمن انه استحق النار اه وقال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم طول ليله على قدميه الكريمتين الا قليلا فلما تورمت قدماه كان يقف

علي اطراف أصابعه فانزل الله عليه طه اى طا الارض بكل قدميك واسترح مما انت فيه من التعب فانا ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ويؤيد هذا التقدير ما اشار اليه القرطبي حيث قال ظن من سأله فى حديث الصحيحين عن سبب تحمله المشقة فى العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة وارحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فافادم ان هنا طريقا آخر للعبادة وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي شكورا لكنه قليل (١٨٣) كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور

اى يريد أنس بالثفل (مابقى من الطعام) اى فى القدر ولعل وجه اعجابه انه منضوج غايه النضج القريب الى الهضم فهو أهنأ وأمرأ وألذ أو فى الصحفة ويؤيده ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل فى قصعة فلحسها استغفرت له القصعة رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن عائشة وقيل الثفل هو الثريد وهو مختار صاحب النهاية وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من التواضع فكان يؤثر الناس باول الطعام وأعلاه ويختار لنفسه مابقى منه فى أسفل الوعاء وكثير من أغبياء الاغنياء يتكبرون ويأنفون من أكل الثفل ويريقونه وقد جعل الله تعالى فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله صلى الله عليه وسلم صنوف اللطائف وألوف المعارف والظرائف فطوبي لمن عرف قدره واقتفى اثره والاظهر ان المصنف ختم الباب بهذا الحديث المشتمل آخره علي مابقى من الطعام اشارة الي براعة الختم * قاله فى جمع الوسائل بمعناه

باب
ماجاء فى وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام

تضمن الحديثان الاولان من أحاديث الباب ان الوضوء الشرعى غير مطلوب عند الطعام وانما يطلب عند الصلاة وتضمن الحديث الثالث ان الوضوء اللغوي وهو غسل اليد مطلوب قبل الاكل وبعده فدل ذلك علي ان مراد المصنف بيان كيفية الوضوء المستحب عند الطعام قبله وبعده وحملنا الحديث الثالث علي الوضوء اللغوى لئلا يتحقق التناقض بين الاخبار فكانه يقول باب ماجاء فى بيان أن المطلوب عند الطعام الوضوء اللغوى دون الشرعى وكأنه اطلق الوضوء فى الترجمة علي النظافة الشاملة للشرعى ولغيره انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل ابن ابراهيم عن أيوب) السختياني عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الخلاء) هو في الاصل المكان الخالى والمراد هنا مكان قضاء الحاجة (فقرب اليه طعام فقالوا ألا) للعرض (نأتيك بوضوء) بفتح الواو مايتوضأ به والمعنى ألا تتوضأ كما فى الحديث الآتى (قال انما امرت بالوضوء) بضم الواو وهو الوضوء الشرعى (اذا قمت الى الصلاة) أى لا عند الاكل فالحصر اضافى فان الوضوء يجب أيضا عند سجدة التلاوة ومس المصحف وارادة الطواف وليس في هذا الحديث والذي يليه تعرض لغسل اليدين لاجل الطعام لانفيا ولا اثباتا فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم غسل يديه عند شروعه فى الاكل فلا يتم استدلال من احتج به على نفى الوضوء مطلقا قبل الطعام لوجود الاحتمال * قال المصنف (حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي نا سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن سعيد بن الحويرث عن بن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغائط) هو فى الاصل ما انخفض من الارض كانوا يأتونه للحاجة قبل اتخاذ الكنف فى البيوت فكنوا به عن نفس الحدث لمجاز المجاورة والمراد هنا هو المعنى الاصلى بدليل الحديث السابق (فأتى بطعام فقيل الا توضا) علي حذف احدى التاءين (فقال أأصلى فأتوضأ) روى منصوبا

قال العلماء انما الزم الانبياء انفسهم شدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه تعالى ابتدأهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم فى عبادته ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله تعالى أعظم من ان يقوم بها العباد اه وقيام الليل كان فى اول الاسلام واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته كما ذكره الله تعالى فى اول سورة المزمل ثم نسخ بما فى آخرها ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه علي الاصح كما نص عليه الشافعى ولكن اكثر أصحابه على انه لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اى عبادة زائدة فى فرائضك وهذا مشهور مذهب مالك أيضا ولكن قال أبو عمر بن عبد البر لا أعرف وجه الوجوب وليس في الآية دليل عليه فلذا قيل في الآية معناها زيادة خالصة لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالصا له لكونه لا ذنب عليه فسائر تطوعاته صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب وأما حديث اللهم انى أسالك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل وأعوذبك من النار وما قرب اليها من قول وعمل فهو تعليم لامته ويصح ان يكون ورمت بفتح الراء من الرمي وظلم الليل مفعوله وخوفه والرجاء فاعل رمى والى الله متعلق بخوفه والرجاء علي وجه التنازع

(دميت فى الوغى لتكسب طيبا * ماأراقت من الدم الشهداء) دميت اى خرج دمها فى الوغى وهو الصوت والجلبة ويقال للحرب لما فيها من كثرة اختلاط الاصوات وهو المراد هنا وما بمعنى الذي ومن الدم بيان لها والشهداء فاعل أراقت جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما أعد الله له فيها عند طلوع روحه أو بمعنى مفعول لان ملائكة الرحمة تشهده عند ذلك أي من حكم

خروج الدم من رجله المشرفة ان يعود طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم الشهداء حتى تكون رائحة دمهم كريح المسك وكان ينبغي للناظم ان يذكر هذا من أوصاف يده الكريمة لان الذي في البخاري انه صلى الله عليه وسلم دميت أصبعه فقال

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

وقد يحمل كلام الناظم على ما وقع له صلى الله عليه وسلم لما خرج الى ثقيف يدعوهم الى الاسلام فامتنعوا وسلطوا

عليه سفهاءهم فرموه بالحجارة الى أن أدموا رجليه وهذا حرب لغة وعرفا لانه كان يسب آلهتهم ويتحمل مشقة اذايتهم وهم كانوا يقابلونه بشدة الاذاية والغلظة

(فهي قطب المحراب والحرب كم دا رت عليها في طاعة ارحاء)

اى تفرع عن كونه صلى الله عليه وسلم قام على قدميه في الصلاة حتى تورمت اودميت في الحرب انها حينئذ قطب المحراب وقطب الحرب اى انتهى اليها الثبات في الصلاة والحرب الى حالة لم توجد في غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا أتقى منه لله ولا أشجع منه لثقته بالله فهي قطب العبادات والجهاد في سبيل الله لا تتحرك ولا تنتقل عن مكانها فلذا دارت عليها قبائل العرب الذين أكرمهم الله تعالى بطاعته للاقتداء به والمجاهدة معها كما قال كم دارت اى مرات كثيرة دارت عليها ارحاء جمع رحا اى قبائل العرب حال كونها في طاعة الله وهذا تذييل وقطب الرحا الذي تدور عليه ويسمى امير الجيش قطب رحا الحرب لانها انما تدور عليه واستفيد من ذلك انها مركز دائرة الوجود فهي نقطة الكون المخلوق لاجله ابتداء والمتصرف فيه انتهاء

(وأراه لو لم يسكن بها قـ ـل حراء ماجت به الدأماء)

لكونه بعد الاستفهام الانكاري وروى مرفوعا * قال المصنف (حدثنا يحيى بن موسى نا عبد الله بن نمير نا قيس بن الربيع ح) اشارة الى تحويل الاسناد ولذا عطف فقال (وحدثنا قتيبة قال نا عبد الكريم الجرجاني عن قيس بن الربيع عن ابي هاشم عن زاذان عن سلمان) اي الفارسي (قال قرأت في التوراة) اى قبل الاسلام (ان) بفتح الهمزة ويجوز كسرها (بركة الطعام الوضوء) اى غسل اليدين (بعده) أى بعد اكله (فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم واخبرته بما قرأت في التوراة) عطف تفسير ويمكن ان يكون المراد بقوله فذكرت ذلك الخ اى سألته هل بركة الطعام الوضوء بعده والحال اني اخبرته بما قرأت في التوراة من الاقتصار على الوضوء بعده (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده) يحتمل ان يكون اشارة الى تحريف ما في التوراة ويحتمل انه اشارة الى ان هذه الشريعة زادت الوضوء قبله ايضا والمراد من الوضوء الاول غسل اليد والحكمة فيه تعظيم نعمة الله ليبارك له فيه نفسه فان اليد لا تخلو عن تلوث في تعاطي الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة والنزاهة ولان المقصود بالاكل الاستعانة على العبادة فهو جدير بان يجرى مجرى الطهارة من الصلاة فيبدأ فيه بغسل اليد وظاهر هذا ان غسل اليد مطلوب ولو كانت نظيفة وفي الرسالة وليس غسل اليد قبل الطعام من السنة الا ان يكون بها أذى قال شارحها كرهه مالك وقال انه ليس من الامر اى من السنة المأمور بها فيلزمنا التزامها لانها من فعل الاعاجم ولم يرو عن السلف الا أن يخشى ان يكون قد مس بيده شيأ يكره ان يباشر به الطعام انتهى ونحوه في اللمع للتلمساني وقال في المدخل فاذا أراد ان يأكل فلا يخلو ان تكون يده نظيفة أم لا فان كانت نظيفة فهو مخير في الغسل والترك والغسل أولى الا ان التزامه اعني المداومة عليه بدعة فان كان على يده شيء اوحك بدنه اومس اعراقه فلابد من غسلها اه وقال في الكافي وغسل اليد قبل الطعام وبعده حسن وبركة فيه ثم ذكر حديث سلمان هذا والمراد من الوضوء الثاني غسل اليد والفم من الدسومات والحكمة فيه النظافة وانقاء الروائح الكريهة والمؤذيات قال صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده عمر بفتحتين ولم يغسله فاصابه شيء فلا يلومن الا نفسه أخرجه المؤلف في جامعه وابن ماجه في سننه وابو داود بسند صحيح على شرط مسلم والنمو والزيادة في موائد الطعام وآثاره بان يكون سبباً لسكون النفس وتقوية العبادات والطاعات والاخلاق المرضية والافعال السنية قال ابن حجر جعله نفس البركة للمبالغة والا فالمراد انها تنشأ عنه فينمو ويزيد بالاول وتعظم فائدته بالثاني لاستلزامه زوال نحو القمر المستلزم لبعد الشيطان ودحضه وورد بسند ضعيف من اكل من هذه اللحوم شيأ فليغسل يده من ريح وضره لا يؤذى من حذاءه اه قال في جمع الوسائل واغرب بعض الشافعية فقال المراد بالوضوء هنا الوضوء الشرعي وهو خلاف ما صرح به اصحاب المذاهب من ان الوضوء الشرعي ليس بسنة عند الاكل * (تنبيه) * قال المؤلف في جامعه بعد ايراد حديث سلمان هذا لا يعرف هذا الحديث الا من حديث قيس بن الربيع

اى مفعوله الاول ضمير القدم ولو مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثاني وهي هنا دالة على امتناع جوابها وهو الموج لامتناع شرطها وهو عدم التسكين بوجوده ويؤل الى قوله لكنه سكنه فلم يمج اى اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يسكن بها أى بقدمه الشريفة قبل أى عند ابتداء تحركه حراء مصروف مفعول ليسكن ماجت أى تحركت واضطربت به أى بالقدم أو بصاحبها وفي نسخة بها الدأماء بالدال المهملة البحر شبه الجبل بالبحر لتحركه تشبيها مضمرا في النفس ثم

أطلق اسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية ثم أتي بقوله ماجت ترشيحا لمناسبته للبحر لان الماء هو الذى يموج والتانيث فى ماجت نظر اللفظ الدأماء لانه مؤنث لفظا واعتمد الناظم فيما قاله من ان الذى سكنه بقدمه هو حراء مع ان الذى فى الصحيح انه أحد على ما أخرجه الامام أحمد من حديث بريدة بلفظ حراء واسناده صحيح فقوى احتمال تعدد القصة كما قاله الحافظ ابن حجر وتقدم ذلك ويحتمل ان المراد لو لم يسكن حراء بتعبده فيه قبل النبوة لاستمر تموجه (١٨٥) واضطرابه فرحابه لما صعد عليه بعدها هو

الربيع وهو ضعيف فى الحديث اه وقال الذهبي فى الكاشف فى ترجمته كان شعبة يثني عليه وقال ابن معين ليس بشيء وقال أبو حاتم ليس بقوى وقال ابن عدى عامة رواياته مستقيمة وقال ابن حجر فى التقريب صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ماليس من حديثه انظر جمع الوسائل

باب
ما جاء فى قول رسول الله ﷺ قبل الطعام

(أى قبل أكله) والمراد به التسمية (وبعد ما يفرغ منه)

أى من الطعام والمراد به الحمد * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا ابن لهيعة) بفتح فكسر واسمه عبدالله (عن يزيد بن أبى حبيب) اسم سويد بالتصغير (عن راشد اليافعى) نسبة الى موضع او الى قبيلة من رعين على ما فى القاموس (عن حبيب بن أوس عن ابي ايوب الانصارى) أي الخزرجى واسمه خالد بن زيد وكان مع على بن أبى طالب فى حروبه كلها ومات بالقسطنطينية مرابطا سنة احدى وخمسين وذلك مع يزيد بن معاوية لما أعطاه أبوه القسطنطينية خرج معه فمرض فلما ثقل قال لاصحابه اذا انا مت فاحملوني فاذا صافتم العدو فادفنوني تحت أقدامكم ففعلوا ودفنوه قريبا من سورها وقبره معروف الى اليوم معظم يستشفون به فيشفون فكانه اشارة الى أن من تواضع رفعه الله روي عنه جماعة شهد بدرا وأنزل المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة عنده (قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقرب) أي اليه كما فى نسخة (طعام فلم أر طعاما كان أعظم بركة منه أول ما أكلنا) اى فى اول وقت أكلنا فما مصدرية واول منصوب على الظرفية (ولا اقل بركة) اى منه (فى آخره) اى فى آخر وقت أكلنا اياه (قلنا يارسول الله كيف هذا) أي ما السبب فى كثرة البركة أول الاكل وقلتها آخره (قال اناذكرنا اسم الله تعالى حين أكلنا ثم قعد من أكل ولم يسم الله تعالى فأكل معه الشيطان) لان الشيطان يستحل الطعام الذى لم يذكر اسم الله عليه كما فى مسلم فيأكله وذلك حقيقة عند جمهور العلماء سلفا وخلفا لامكانه شرعا وعقلا ثم ان تنزيل الحديث على القول بان التسمية سنة عين ظاهر وهو ظاهر المذهب وأما على انها سنة كفاية وهو الذى حكاه النووى عن الشافعى فالظاهر كما فى جمع الوسائل ان يقال كلام الشافعى محمول على ما اذا اجتمع جماعة على الطعام يسمى واحد منهم فتسمية هذا الواحد تجزئ عن الباقى من الحاضرين لا عن شخص لم يكن حاضرا معهم وقت التسمية فاذا لم يحضر انسان وقت التسمية عند اجماعة لم تؤثر تلك التسمية فى عدم تمكن شيطان ذلك الانسان من الاكل معه وأما ما اختاره ابن حجر من ان المراد هنا ان هذا الذى أكل معه الشيطان انما قعد بعد فراغهم من الاكل ولم يأكل معه فلم تنفعه تسميتهم فهو خلاف ظاهر الحديث اذ قوله اول ما أكلنا يقتضى ان معنى قوله فى آخره فى آخر اكلنا فيقتضى انه أكل قبل فراغهم وأما كلمة ثم فانما تدل على تراخى قعود الرجل عن أول اشتغالهم بالاكل لا على قعوده بعد فراغهم من الاكل والله أعلم نعم انما يحسن الجواب الاول اذا فرضنا ان من أكل بغير

وأعيان أصحابه ويحتمل ان يكون أراد بالدأماء الارض مجازا من باب تسمية المحل باسم الحال وخص منها حراء لشرفه أي لو لم يسكن بقدمه الشريفة حراء لماجت الارض كلها فرحا وطربا الى آخر الدهر

تنبيهان

الاول جبل أحد هو مشهور بقرب المدينة المنورة على أقل من فرسخ منها سمى بذلك لتوحده وانقطاعه وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم أحد جبل يحبنا ونحبه كما فى الصحيحين والصواب حمله على ظاهره كما اختاره البغوى والمنذرى اذ لاينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء وأهل الطاعة كما حنت الاسطوانة على مفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع الناس حنينها الى أن سكتها وكما أخبر ان حجرا كان يسلم عليه قبل الوحى فلا ينكر ان يكون جبل أحد وجميع أجزاء المدينة تحبه ونحن الى لقائه حالة مفارقته اياها اه وفى حديث الطبرانى هذا أحد جبل يحبنا ونحبه على باب من أبواب الجنة وهذا عير جبل يبغضنا ونبغضه على باب من أبواب النار وعير جبل كبير على يسار ذى الحليفة

(الثاني) قد أكثر الناس من الكلام على لو والحق فيها ماحققه السعد فى مطوله وسبقه اليه الامام

تقى الدين السبكى وألف فيها تأليفا سماه كشف القناع فى حكم افادة لو للامتناع ولخصه نظما فى قوله

مدلول لو ربط وجود ثان * بأول فى سابق الازمان مع انتفاء ذلك المقدم * حقا بلا ريب ولا توهم

أما الجواب ان يكن مناسبا * وليس غير شرطه مصاحبا فاحكم له بالنفى أيضا واعلم * بان كلا داخل فى العدم

أو لم يكن مناسبا فواجب * من باب أولى ذاك حكم لازب وفي مناسب له اذ يفقد * مناسب سواه قد لا يوجد
هذا جواب لو بتقسيم حصل * ممتنع وواجب ومحتمل ومعظم المقصود فيما يجب * اثباته في كل حال يطلب
مثاله نعم الذي لو لم يخف * لما عصى الهه ولا اقترف ومعظم المقصود في الممتنع * بيان نفي شرطه الذي ادعى
كلو يكون فيهما شريك * لفسدا فالواحد المليك أو ان ذاك النفي حقا أثرا * في عدم الذي يلي بلا مرا
كلو أتيتني لكنت تكرم
كرامتي لمن قلاني تعدم

(عجبا للكفار نالوا ضلالا
بالذي للعقول فيه اهتداء)

لما ذكر جملة وافرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التي من شاهدها آمن بها من فوره بين ان الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا حقيقون بان يقال في حقهم ماذكر فقوله عجبا هو منصوب على المفعول المطلق الآتي بدلا من لفظه والعجب الامر المستغرب الخارج عن قياس العقول وللكفار بمعنى منهم حال كونهم زادوا ضلالا بالذي فيه اي بالمعجز كالقرآن وغيره الذي في كل فرد من افراده للعقول السليمة الخلية عن الخذلان والعناد والحسد اهتداء اي ارشاد الى الدين القيم الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والى صحة ما تحدى به ويصح ان يراد بالعقول المطلقة حملا للاهتداء على ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها الاهتداء مطلقا لكن اذا قارنها عناد أو خذلان لم ينتفع بها ووجه التعجب منه واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الآيات والمعجزات التي ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم الا اباء وكفرا وتمردا كما قال الله تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر لشدة

(والذي يسألون منه كتاب * منزل قد أتام وارتقاء)

الذي مبتدأ وكتاب خبره ومنزل صفته وقد أتام جملة حالية وارتقاء معطوف على الخبر اي صعود الى السماء والمعنى ان الذي يسألونه من النبي صلى الله عليه وسلم على جهة التعنت والعناد كتاب منزل قد أتام به وارتقاء اي صعود الى السماء وقد وقع ذلك في الاسراء ويحتمل ان يكون تقدير البيت وعجبا من الذي يسألون منه

تسمية اتماما جاء بعد فراغ النبي صلى الله عليه وسلم من الاكل والا فيبعد أو يستحيل ان يأكل الشيطان معه عليه الصلاة والسلام وربما أرشد لهذا قوله عليه الصلاة والسلام في رواية عائشة الآتية لو سمى لكفاكم ولم يقل لكفانا قال ابن مخلص في هذا الحديث بركة ذكر اسم الله تعالى عند الطعام والشراب وكل ما يستفتح به وانه حرز لذاكره وفيه ان الشيطان لا يقرب ماذكر اسم الله عليه وانه مطردة للشيطان وفيه ان البركة تقل بترك ذكر اسم الله عز وجل ومخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا يحيى بن موسى نا أبو داود نا هشام الدستوائي) كان يبيع البز الدستوائية فنسب اليها (عن بديل العقيلي عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أم كلثوم) قيل هي اللتبية المكية وقيل تيمية بنت محمد بن أبي بكر الصديق (عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فنسي) أي ترك نسيانا قال ابن حجر وألحق به أمتنا ما اذا تعمد أو جهل أو أكره (ان يذكر اسم الله تعالى يعني على طعامه) اي الذي يريد ان يأكله اي ثم تذكر في اثنائه انه ترك التسمية (فليقل بسم الله أوله وآخره) اي في اوله وآخره اي على جميع أجزائه كما يشهد به المعنى الذي قصد بالتسمية فلا يقال ذكرها يخرج الوسط فهو كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا مع قوله تعالى أكلها دائم او يقال المراد باوله ما أكل وبآخره ما سيؤكل بلا واسطة بينهما وفي حديث رواه ابو داود كان رجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه الا لقمة فلما رفعها الى فيه قال بسم الله اوله وآخره فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله عليه استقاء ما في بطنه ففائدة التسمية في اثناء الاكل تحصيل السنة في الباقي وليقيء الشيطان ما أكل في الفائت وعلى هذا لو سمى بعد الفراغ من الاكل لكان في ذلك فائدة وهي الاضرار بالشيطان فان فيه رضا الرحمن والله أعلم بل قال ابن حجر انه يشمله اطلاق الحديث وقال شيخنا العلامة في شرح الحصن للشارع ان يجعل التسمية المتأخرة كالمتقدمة فتنسحب بركتها على اوله وآخره اما المتأخر عنها فظاهر واما الماضي فيندفع بالتسمية ما كان يترقب من ضرر تركها وكذلك يندفع ما وقع بالشفاء منه ان كان مرضا مثلا ونحو ذلك ألا ترى ان ما أكله الشيطان يقيئه كما ورد انتهى قال ابن مخلص وفي الحديث تدارك ما فات الانسان من طاعة اوذكر او اتباع سنة اذا نسي وان الله تعالى يعوضه عما فاته خيرا اذا بادر الى اصلاح ما فرط فيه وفعل ما ترك تفضلا منه فانه يقبل معذرة من اعتذر وتوبة من ندم واستغفر قال الله عز وجل كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن الصباح الهاشمي البصري نا عبد الاعلى عن معمر عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عمر بن ابي سلمة) اسمه عبد الله بن عبد الاسد (انه) اي عمر وهو ربيب النبي صلى الله عليه وسلم من ام سلمة ولد بالحبشة ومات سنة ثلاث وثمانين (دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده طعام فقال ادن) بضم الهمز والنون امر من الدنو اي اقرب (يا بني) بصيغة التصغير شفقة واهتماما بحاله وفيه انه ينبغي للكبير ملاطفة الصغير لاسيما على الطعام

على جهة التعنت وهو كثير منه كتاب منزل معه عليهم من السماء قد أتاهم به وهم يشاهدونه وارتقاء منه اليها وغير ذلك وهذا كما حكى الله تعالى عنهم في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية

(أولم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء) أى أيقولون ذلك كله ويتعنتون به ولم يكفهم عن ذلك كله ذكر كائن من الله واصل اليهم فقدمت الصفة فصارت حالا وتسميته ذكرا جاءت فى آية مرادا به الشرف كما فى قوله وانه لذكر لك ولقومك وفى أخرى مرادا به انه مذكر بكل ماينفع ومحذر عن كل مايضر وهذا الذكر فيه للناس الانس والجن والملائكة تغليبا رحمة باهتداء المؤمنين به وتاخير عذاب الاستئصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وشفاء من كل داء ظاهر او باطن حسى او معنوى كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وتخصيص المؤمنين لانهم المقصودون بذلك بالذات لانتفاعهم باتباعه وغيرهم بطريق التبع قال بعض الائمة ان الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن ولكنهم حريصون على استماعه من غيرهم قالوا ولم ينزل الله من السماء شيأ قط أعم ولا أنفع ولا اعظم ولا انجع فى ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدأ القلوب جلاء كما قال تعالى وينزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الرازى وغيره من ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذى هو القرآن ماهو شفاء للامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة فى الالهية والنبوة والمعاد وفى القرآن من النصوص القاطعة بفساد تلك الاعتقادات مايكفى ويشفى من الاخلاق المذمومة وفيه اوضح بيان لانواعها وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن مع الخلوص وفراغ القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله تعالى بكليته وعدم أكل الحرام وعدم دنس الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلوب وصح حديث ان الله لايقبل الدعاء من قلب غافل لاه وقراءته ممن تلك حالته على اى مرض كان مبرئ له وان اعيا الاطباء ومن ثم قيل متى تخلف الشفاء فهو اما لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المحل المنفعل أو لمانع قوى فيه يمنع

لشدة الاستحياء (قسم الله تعالى) الامر للسنية ومن سنة التسمية ان ينطق بها جهرا ليذكر الغافل ويعلم الجاهل (وكل بيمينك) الامر للندب وقد تقدم الكلام على ذلك اثناء باب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكل مما يليك) أى ندبا وقيل وجوبا لما فيه من الحاق الضرر بالغير وفى الرسالة واذا أكلت مع غيرك أكلت مما يليك قال الخطاب قال ابن الفاكهانى ناقلا عن ابن رشد هذا اذا كان الطعام صنفا واحدا كالثريد واللحم وشبهه واما اذا كان أصنافا مختلفة كانواع الفاكهة فى طبق مما يختلف اغراض الآكلين فيه فلا بأس للرجل ان يتناول مما بين يدى غيره وذلك منصوص عن النبى صلى الله عليه وسلم انتهى ونقله ابن ناجى انتهى وفى جمع الوسائل لاينبغى التعميم فى الفاكهة بل يحمل على ما اذا لم يكن عنده مما يكون عند غيره ومع هذا لايخفى مافيه من الشره والتطلع الى ماعند غيره وترك الايثار الذى هو اختيار الابرار انتهى وقد تقدم توجيه تتبع النبى صلى الله عليه وسلم الدباء حوالى القصعة ويؤخذ من الحديث كما قال ابن حجر انه يندب لمن على الطعام تعليم من ظهر منه اخلال بشىء من مندوباته وفى قوله سم الله حض على التبرك بذكر اسم الله تعالى فى اول طعامه وهو السنة وفى قوله كل بيمينك تعليم لما كان يحبه من التيمن فى شأنه كله وتحذير من خلق الشيطان الذى لايأكل الا بشماله كما فى الحديث وفى قوله وكل مما يليك تعليم العشرة مع المؤاكل حتى لايعدو عليه ولا يستثقله ولا يأتى بما يكره منه * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أحمد) اسمه محمد بن عبد الله بن الزبير (الزبيرى) بالتصغير (نا سفيان) اى الثورى (عن أبي هاشم عن اسمعيل بن رياح عن رياح بن عبيدة) بفتح فكسر (عن ابى سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من طعامه) اى من اكله (قال الحمد لله) معنى هذه الجملة الثناء على الله تعالى بان جميع المحامد ثابتة له وفى ضمن ذلك الاعتراف بان جميع الكمالات له لان الحمد لايكون الا فى مقابلة جميل (الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين) اى موحدين منقادين لجميع امور الدين وفى ختم الاكل بهذا الحمد اشارة الى ان المطلوب من العبد كلما تجددت عليه نعمة ان يشهدها من الله تعالى وان يحمده عليه فان شهودها منه سبحانه نوع من الشكر عليها وسبب فى امتلاء القلب بمحبة المنعم بها وتعظيمه وحمده عليها موجب لدوامها والمزيد منها بشهادة لئن شكرتم لازيدنكم وقدم الطعام لانه الباعث على الحمد وثنى بالسقى لانه من تتمته لان الطعام لايخلو من شرب يعقبه غالبا وثلث بنعمة الاسلام تذكيرا بنعمة الدين فيقع الحمد على النعم الدنيوية والدينية فيكون ترقيا من نعمة الدنيا الى نعمة الدين التى هى افضل النعم وأشرفها وأجلها وكل نعمة وان عظمت فهى تبع لها وكل عمل لايقبل دونها فيكون اشارة الى انها بالحمد أولى وأحق * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا يحيى بن سعيد نا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان) يكنى أبا عبد الله الشامى الكلاعى من اهل حمص قال لقيت سبعين رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ثقات الشاميين مات بطرسوس سنة اربع ومائة (عن ابي أمامة

أن ينفع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية وقد روى حديث من لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال خير الدواء القرآن *(فائدة)* ذكر ابن السبكي في الطبقات في ترجمة زين الاسلام الاستاذ أبي القاسم سيدي عبد الكريم القشيري صاحب الرسالة المشهورة المباركة التي قيل ما تكون في بيت فينكب مانصه وبلغنا انه مرض للاستاذ أبي القاسم ولد مرضاً شديداً بحيث أيس منه (١٨٨) فشق ذلك على الاستاذ فرأى الحق سبحانه وتعالى في المنام فشكا اليه فقال له

الحق تعالى اجمع آيات الشفاء واقرأها عليه أو اكتبها في اناء واجعل فيه مشروبا واسقه اياه ففعل ذلك فعوفي الولد وآيات الشفاء في القرآن ست وهي ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما في الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء قال التاج السبكي ورأيت كثيرا من المشايخ يكتبون هذه الآيات للمريض ويسقاها في الاناء طلبا للعافية

(أعجز الانس آية منه والجن
ن فهلا تأتي به البلغاء)

قال في الشفاء وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه أتى به معلوم ضرورة وكونه عليه الصلاة والسلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته واعتراف المقرين بالعجاز بلاغته اه وقال ابن حجر قيل علم اعجازه ضروري والاصح ان محله فيمن شاهد النبي صلى الله عليه وسلم أو علم وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك وهو لان من كشف عن قلبه الغطاء عند المشاهدة يحصل له قطعا العلم الضروري انه رسول الله وان ماجاء به هو من عند الله تعالى وانه معجز للخلق عن محاكاته لان هذا أمر يدركه الذوق السليم وان لم يكن لصاحبه ان يعبر عنه بل لو ادعى مدع ان ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم يبعد لاسيما وكل أحد يدرك فرق ما بديهيا بين القرآن وغيره عند سماعهما وعبر بقوله آية تبعا للقاضي ولم يبال

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفعت المائدة من بين يديه) فيه اشعار بان الحمد انما يطلب بعد الفراغ من الاكل وأنكر ابن الحاج البسملة على كل لقمة والحمد على بلعها وقال هذا وان كان حسنا فالسنة أحسن منه وهي التسمية أولا والحمد آخرا وتقدم انه صلى الله عليه وسلم ما أكل على خوان قط فالمراد بالمائدة هنا السفرة وشبهها مما يوضع عليه الطعام ويصان من الارض لا خوان الخشب المعد لذلك وقد تطلق المائدة على الطعام نفسه فيكون مراد أبي أمامة اذا رفع من عنده صلى الله عليه وسلم ماوضع عليه الطعام أو بقيته (يقول) رافعا صوته للتعليم وان كانت سنة الحمد كما قال علماؤنا الاسرار اذا لم يفرغ جلساؤه لان رفع الصوت اذ ذاك كالأمر بالانكفاف لمن سمعه من الآكلين كذا في جمع الوسائل وغيره قلت وقوله اذا رفعت المائدة من بين يديه يدل على انه صلى الله عليه وسلم ماجهر بالحمد حتى فرغ الآكلون من الاكل فلا حاجة الى الاعتذار بانه جهر بالحمد للتعليم وان كانت السنة الاسرار به (الحمد لله) تقدم معنى هذه الجملة (حمدا كثيرا طيبا) أي خالصا من الرياء والسمعة التي لا تليق بجنابه تعالى وتقدس لانه طيب لا يقبل الا الطيب وليس في رواية البخاري لفظ حمدا (مباركا فيه) اي احمد أي حمدا ذا بركة دائما لا ينقطع لان نعمه لا تنقطع عنا فينبغي ان يكون حمدنا لا ينقطع أيضا ولونية واعتقادا (غير مودع) بنصب غير باضمار أعني أو علي انه حال من حمدا وفتح دال مودع وتشديدها أي غير متروك ذلك الحمد بل الاشتغال به دائم من غير انقطاع كما ان نعمه سبحانه وتعالى لا تنقطع عنا طرفة عين ويحتمل ان يكون حالا من لله أي غير متروك الطلب منه والرغبة فيما عنده وعند البخاري غير مكفي ولا مودع الخ ومعناه كما قال الخطابي غير محتاج الى أحد بل هو الذي يطعم عباده ويكفيهم وقيل غير ذلك (ولا مستغنى عنه) أي الحمد والله علي الاحتمالين فيما قبله قال ابن حجر ليس عطف تفسير كما قيل بل فيه فائدة لم تستفد من سابقه نصا وهي انه لا استغناء لاحد من الحمد لوجوبه علي كل مكلف اذ لا يخلو أحد عن نعمة بل نعم لا تحصي وهو في مقابلة النعم واجب كما صرحوا به لكن ليس المراد بوجوبه ان من تركه لفظا يأثم بل من أتي به في مقابلة النعمة أثيب عليه ثواب الواجب ومن أتى به لا في مقابلة شيء أثيب عليه ثواب المندوب أما شكر المنعم بمعنى امتثال أوامره واجتناب نواهيه فهو واجب شرعا علي كل مكلف يأثم بتركه اجماعا اه وقد بحث شيخنا العلامة في شرح الحصن في كلام ابن حجر هذا من وجوه منها ان قوله نصا يقتضي انها تستفاد لا نصا بل لزوما وفيه ان نفي الترك لا يستلزم نفي الاستغناء ومنها انه ان أراد بقوله لوجوبه الخ ان هذا الحمد يجب بهذا اللفظ وبقيد كونه باثر الاكل مثلا ففي الوجوب علي كل احد نظر لا يخفى وان أراد الحمد اللغوي أي الوصف بالجميل فلا شك انه يجب الثناء على الله سبحانه ولا يجوز تركه ولا الاستغناء عنه لكن يظهر من تعليله بقوله اذ لا يخلو أحد الخ ان المراد العرفي وهو كذلك أيضا لا يجوز تركه ولا الاستغناء عنه ومنها ان مقتضى قوله اذ لا يخلو الخ انه لا يتصور ولا في مقابلة النعمة فلا يكون الا واجبا ومقتضى قوله

بان الذى عليه الجمهور ان أقل ماوقع به التحدى أقصر سورة منه وهى ثلاث آيات لقوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الآية لان فى دليلهم شيأ اذ لايلزم من كونه لم يطلب منهم دون السورة انهم قادرون على أقل منها لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا عن بعض آية لان فى ارتباطها بما قبلها ومابعدها أنواعا من بدائع الحكم فالحق انهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته بدليل انه لم يسمع عن أحد قط حاكى شيأ منه سواء فى ذلك الانس والجن والملائكة أيضا ولكنهم لم يذكروا لعصمتهم عن المخالفة فلهذا لم يستطع أحد أن يأتى بمثل آية منه على نظمه البديع وتأليفه المنيع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله فهلا الخ هلا فى الاصل للتخصيص والمراد بها هنا التهكم والتوبيخ لمن يزعم امكان المعارضة وضمير بها عائد على الآية والبلغاء جمع بليغ من البلاغة وهى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته والبليغ من فيه ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ وأفاد الناظم بهذا ان البلغاء فضلا عن غيرهم مع انهم العرب الفصحاء والخطباء البلغاء من قريش وغيرها والمتقدمون فى اللسن والتبيان والرؤساء فى قوانين المعانى والبديع والبيان والفرسان فى ميادين الفصاحة والشجعان فى مهامه البلاغة أظهروا عجزهم عن المعارضة وكلت عقولهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك أعجب فى الآية وأوضح فى الدلالة من احياء الموتى وابراء الأكمه والابرص لان قوم عيسى لم يكونوا يطمعون فى ذلك ولايتعاطون عليه وقريش كان أعلى أربهم ومنتهى طلبهم التفنن فى أفنية الفصاحة والتنزه فى رياض البلاغة والتقدم فى أعاجيب الخطابة وأساليب البراعة فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه انما هو لكونه من اعلام نبوته وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة فحال أن يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة سكوتا عن معارضة آية منه المستلزمة لنقض أمره وتفريق أتباعه وزوال شوكته

وهو فى مقابلة النعم الخ انه ينقسم الى واجب وغيره والى مايكون فى مقابلة نعمة وغيره اللهم الا أن يقال اذا قصدت المقابلة كان واجبا واذا لم تقصد المقابلة فلا وجوب وفيه نظر اذ هى دعوى تحتاج لدليل فقد يقال لامانع من أن يكون حكمه الندب وان كان فى مقابلة النعمة ويكون الاعتراف بالنعمة عند تذكرها هو القدر الواجب وزيادة النطق بخصوص هذا الثناء او بلفظ الحمد ونحوه مستحبا ويبقى الواجب على حقيقته من ترتب الذم والعقاب على تركه والمدح والثواب على تحصيله والله تعالى أعلم وأما احتمال أن يكون مودع بكسر الدال على انه حال من القائل أى غير تارك الحمد او غير تارك الطلب والرغبة فيما عنده ففيه مع بعده أنه غير ملائم لقوله ولا مستغنى عنه اذ الرواية فيه ليست الا على صيغة المفعول كما هو مقتضى الرسم قاله فى جمع الوسائل (ربنا) بتثليث الموحدة فالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف أى هو ربنا أو أنت ربنا اسمع حمدنا ودعاءنا وعلى انه مبتدا خبره غير مودع الخ بالرفع مقدم عليه والنصب على انه منادى باسقاط حرف النداء أى يا ربنا اسمع حمدنا ودعاءنا او على المدح او الاختصاص والجر على انه بدل من الله او من الضمير المجرور بعن على احتمال انه عائد على الله ويؤيده رواية الدرامى ولا مستغنى عن ربنا * قال المصنف (حدثنا ابو بكر محمد بن أبان) بالصرف وعدمه (نا وكيع عن هشام الدستوائى) بفتح فسكون ففتح (عن بديل) بضم موحدة وفتح مهملة (ابن ميسرة العقيلى) بالتصغير (عن عبد الله بن عبيد بن عمير) بالتصغير فيهما (عن أم كلثوم عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام) اللام للعهد الذهنى اى طعاما كافى نسخة (فى ستة) أى مع ستة أو كائنا فى ستة (من أصحابه) وفيه اشارة الى كثرة الطعام (فجاء اعرابى فأكله) ولم يسم الله تعالى (بلقمتين) وفى نسخة فى لقمتين والمآل واحد (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سمى لكفاكم) أى الطعام ببركة التسمية وفى نسخة لكفانا وفيه تصريح بعظيم بركة التسمية وفائدتها والظاهر ان هذه الواقعة غير الواقعة المتقدمة اول الباب عن أبى أيوب الانصارى واخبار عائشة بذلك اما عن رؤيتها قبل الحجاب او بعده او عن اخبار النبى صلى الله عليه وسلم او من غيره قاله ابن حجر * قال المصنف (حدثنا هناد ومحمود بن غيلان قالا نا أبو اسامة عن زكريا) بالقصر ويمد (ابن أبى زائدة عن سعيد بن أبى بردة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرضى عن العبد) أى يقبل عليه بان يستعمله فى طاعته ويثيبه على أكله وشربه ثوابا عظيما فهو احسان مخصوص واكرام عظيم يلقى عبده به وهذا ظاهر اذا كان أكله على وجه العبادة كان يأكل بنية التقوى على العبادة والقيام بحق البدن وانما يحتاج الى هذا اذا أريد بالرضا اعلاه وأما مطلق الرضا فيحصل بمجرد التلفظ بالحمد لانه ثناء على الله عز وجل (أن يأكل الاكلة) بفتح الهمزة اي المرة من الاكل حتى يشبع وأما رواية الاكلة بضم الهمزة اى اللقمة فلا تلائم قوله (أو يشرب الشربة) فانه بالفتح لاغير وليست او للشك من راو خلافا لزاعمه وانما هى للتنويع (فيحمده) هو فى النسخ بالرفع أي فهو أى

وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها وطلبها منهم وقتل أكابرهم وسبي ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم فعجزهم حتى كشف من نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم انى افتريته لعلمى باخبار الامم فأتوا بمفترى مثله فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه مصقع والا لظهر ووجد من يستجيده ويحامى عليه فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته قطع بعجزهم وانقطاعهم قال الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم أعقل خلق الله وقد قطع القول بان ما أتى به من عند ربه وانهم لا يأتون بمثل أقصر سورة منه فلولا انه على بينة واضحة من ربه لم يقطع بذلك على انه لم يزل ينادى عليهم بالعجز عن معارضته والتقصير عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع أحد منهم شيأ من ذلك وما أحسن ما قيل لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول السليمة بانه من عند الله فكيف وقد جاء على يدى أصدق الخلق ولهذا قال العلماء من أعلى وجوه اعجاز القرآن ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب فانهم أوتوا منهما ما لم يؤته غيرهم لانهم كانوا يأتون منهما على البداهة بالامر الاعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهة عند شدة الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويتراسلون فى أوديتهما فيأتون منهما بالسحر الحلال ويتطوقون من درريهما أجمل من سمط اللآل فلا يشك عاقل أنهما طوع مرادهم وسلك قيادهم فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم أفصح ما كانوا فى هذا الباب مقالا وأشهر ما وجدوا فى الخطابة والشعر منالا صار خافيهم فى كل حين مقرعا لهم على رؤس الملا أجمعين فأتوا بحديد بسورة من مثله والا فأنتم المردودون الى اسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم ويسفه احلامهم ويحط أعلامهم ويسب آلهتهم ويستبيح أنفسهم وأموالهم وهم لا يزدادون الا تقهقرا عن المعارضة لم يأتوا بمقال صابرون على الجلاء والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتراف بالامتراء في

العبد يحمده (عليها) وفى نسخة بزيادة هذه الجملة بعد الفقرة الاولى أيضا وفيه ان الشكر على النعمة ولو قلت سبب لنيل رضاه تعالى الذى هو أشرف أحوال أهل الجنة لحديث أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا وكان الشكر سببا لذلك الاكرام العظيم لانه يتضمن معرفة المنعم وافتقار الشاكر اليه وفيه ان اصل سنة الحمد يحصل بكل ما يدل على الثناء على الله تعالى وما سبق من حمده صلى الله عليه وسلم المشتمل على تلك الصفات البليغة البديعة انما هو لبيان الاكمل وفيه ان كرمه تعالى لا يشبهه كرم يرزق العبد ويلهمه الحمد والشكر على ذلك ثم يثيبه على ذلك الحمد بما لا نهاية له فهو تعالى يعطى العبد ويعطيه على ذلك العطاء فسبحانه من محسن ما أكرمه ومتفضل ما أرحمه قال بعضهم فى قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الآية ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض أضعافا قال سيدى ابو عبد الله بن عباد نفعنا الله به واستقراض الرب من عبده ما وهبه له غاية فى ترفيعه لقدره وابانته لشرفه ووعده مع ذلك جزيل الثواب عليه نهاية فى اكرامه له وتفضله عليه انتهى ﴿تنبيه﴾ مما يتعلق بالاكل ما أشار اليه ابن حجر فى الباب قبل ونصه روى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم أتى بصحفة تفور فقال ان الله لم يطعمنا نارا وأبو نعيم عن أنس مرفوعا كان يكره الكى والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد فانه ذو بركة ألا وان الحار لا بركة له وروى ابو نعيم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن النوم على الاكل ويذكر أنه يقسى القلب ولذا قال الاطباء من أراد حفظ الصحة فليمش بعد العشاء ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه فانه مضر جدا ومما يسهل الهضم الصلاة بعد الاكل ونقل ابن حجر فى هذا الباب ما نصه كان صلى الله عليه وسلم اذا أكل عند قوم لا يخرج حتى يدعو لهم فدعا فى منزل عبد الله بن بسر بقوله اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم رواه مسلم وفى منزل سعد أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة رواه ابو داود وسقاه آخر لبنا فقال اللهم أمتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة فلم ير شعرة بيضاء رواه ابن السنى وفى خبر مرسل عند البيهقى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل مع قوم كان آخرهم أكلا وروى ابن ماجه والبيهقى مرفوعا اذا وضعت المائدة فلا يقوم الرجل وان شبع حتى يفرغ القوم فان ذلك يخجل جليسه وعسى ان يكون له فى الطعام حاجة انتهى

باب
ما جاء فى قدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

اى فى صفته والقدح هو ما يشرب به قال ابن الاثير هو اناء بين اناءين لا صغير ولا كبير وربما وصف باحدهما وفى المصباح جمعه أقداح كسبب وأسباب * قال المصنف (حدثنا الحسين بن الاسود البغدادى نا عمرو بن محمد نا عيسى بن طهمان عن ثابت قال أخرج الينا أنس بن مالك قدح خشب) بالاضافة البيانية وهى على معنى من خلافا لما يوهمه ابن حجر (غليظا مضببا

قولهم ان هذا الاسحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه وأساطير الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقد قالوا لو شئنا لقلنا مثل هذا فقال الله تعالى لهم فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا اذ لو قدروا على أدنى معارضة لبادروا اليها وألجموا الخصم الذى كانوا محافظين على اطفاء نوره واخفاء أموره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل أبسلوا فأيسوا وقطعوا فانقطعوا هذا كله والآتي به اليهم مكث بين أظهرهم أربعين سنة أمياً لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم سحرا ولا أنشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروى أثرا حتى أكرمه الله تعالى بالوحى المنزل والكتاب المفصل قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون روى البيهقى وغيره ان عتبة ابن ربيعة قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال له اسمع منى فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى أن بلغ السجدة فسمع ما أبهره فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فقام الى أصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به اليه فقالوا له ماوراءك فقال لهم سمعت قولا ما سمعت مثله قط فوالله بشعر ولا سحر ولا كهانة أطيعونى معشر قريش وخلوا بينه وبين ماهو فيه فليكونن له نبأ ولما بلغ فان أعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم انه اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وفي الخصائص الكبرى للاسيوطى اخرج الحاكم والبيهقى من طريق عكرمة عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أباجهل فاتاه فقال ياعم ان قومك يرون أن يجمعوا لك مالا قال ولم قال ليعطوكه فانك أتيت محمدا لتتعرض له فقال قد علمت قريش انى من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له وانك كاره له قال وماذا أقول فوالله مافيكم احد اعلم بالاشعار منى والله ما يشبه الذى يقوله شيأ من هذا والله ان لقوله الذى

بحديد) أى مشدودا بضباب من حديد جمع ضبة وهي حديدة عريضة يضبب بها أى يجمع بها الخشب ويمنعها من التفريق وفى بعض النسخ بجر غليظ ومضبب (فقال) أى أنس (يا ثابت هذا قدح رسول الله صلى الله عليه وسلم) اشارة الى كمال تواضعه وترك تكلفه صلى الله عليه وسلم وقد ثبت فى الصحيح ان قدح النبى صلى الله عليه وسلم الذي كان عند أنس هو قدح جيد عريض أى طوله أقصر من عرضه اتخذ من النضار بضم النون وخفة المعجمة ومعناه العود الخالص وقال بعض أرباب السير أصله من النبع بفتح النون وسكون الموحدة وقيل انه كان من الاثل يميل الى الصفرة وفى الصحيح أيضا انه قد انصدع فسلسل بعضه ببعض بفضة ففى البخارى عن عاصم الاحول رأيت قدح النبى صلى الله عليه وسلم عند أنس وكان قد انصدع فسلسله بفضة قال وهو قدح جيد عريض من نضار فيحتمل ان الواصل هو النبى صلى الله عليه وسلم أو أنس وصح أيضا ان أنس بن مالك أراد ان يجعل مكان حلقة الحديد التى كانت فى قدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقة من فضة أو ذهب فنهاه أبو طلحة زوج أم سليم والدة أنس وقال لا تغير شيأ صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر واشترى هذا القدح من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف وعن البخارى انه رآه بالبصرة وشرب منه * قال المصنف (حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن نا عمرو بن عاصم نا حماد بن سلمة نا حميد وثابت عن أنس قال لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) يقال سقى وأسقى وكل منهما يستعمل فى الخير وضده قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال وسقوا ماء حميما وقال لاسقيناهم ماء غدقا وقال وأسقيناكم ماء فراتا خلافا لابن حجر فى قوله ان سقى للخير وأسقى لضده (بهذا القدح) الظاهر ان المشار اليه القدح المذكور فى الحديث السابق اذ لم يثبت فى الاحاديث الصحيحة تعدد القدح النبوى عند أنس (الشراب كله) أى أنواعه كلها وفيه أيضا تعليم الناس زهد النبى صلى الله عليه وسلم وانه فى قدح واحد سقاه الشراب كله على عادته صلى الله عليه وسلم فى اقتصاره على أقل ما يكفى فى كل شيء فلم تكن له أقداح كثيرة وفى ألفية العراقى

أقداحه الرباب والمغيث * وآخر مضبب يغيث
به اذا ما مسهم من حاج * وقدح آخر من زجاج
وقدح تحت السرير عيدان * يقضى به حاجته فى الاحيان

(الماء) هو وما بعده بدل بعض مما قبله واقتصر على هذه الاربعة لكونها أشهر أنواعه (والنبيذ) هو ماء يجعل فيه تمرات أو غيرها من الحلاوات كالزبيب والعسل ليحلو وكان ينبذ له صلى الله عليه وسلم أول الليل ويشربه اذا أصبح يومه ذلك والليلة التى تجىء والغد الى العصر فان بقى شىء منه سقاه الخادم أو أمر به فصب رواه مسلم ولعله انما سقاه الخادم لما حدث فيه من الرائحة التى تكره لا خوف الاسكار والا لما سقاه الخادم ولا غيره وهذا النبيذ له نفع عظيم فى زيادة القوة ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الاسكار (والعسل) أى ماء العسل

يقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه ومغدق اسفله وانه ليعلو ولا يعلى وانه ليحطم ماتحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر فيه فلما فكر قال هذا سحر يؤثر عن غيره فنزلت ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت الآية اه وقد اعترف جميع من سمع القرآن من فصحاء المشركين بأنه خارج عن طوق بشريتهم كما دل على ذلك وقائعهم المذكورة في الخصائص وغيرها * والحق ما شهدت به الاعداء * وتجب (١٩٢) ههنا مراجعة الشفاء والمواهب فان فيهما الشفاء والعجائب وهذه الوقائع

انما تذكر ليتبين الاعجاز لمن لا يعرف وجهه لعدم ممارسته لفن البلاغة اما العارف بفن البلاغة فانه يعرف وجه الاعجاز بما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة والايجاز لانه اذا نظر في آيات القرآن وتأمل فيها علم يقينا انه لا تمكن معارضته وان الاتيان بمثله ليس في طوق البشر لانه يرى كلاما جامعا للاحوال التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال لا يفوته منها شيء فيستخرج منها بقدر فهمه ما تحار فيه العقول ويتيقن انه لا يحيط به غير العليم الخبير ثم اذا افرغ ذهنه واستحضر قواعد البلاغة واعاد التأمل استخرج اشياء أخر أدق واتم تحت كل واحد منها ما يعني الافهام ثم اذا اعاد النظر فكذلك ثم يجيء من بعده فيستخرج ما لم يستخرجه الاول وهكذا ويجد ذلك مطردا في جميع آياته غير اتفاق مع انه ليس في فن منضبط ذي قواعد مخصوصة يرجع اليها في تحقيقه بل الفنون مأخوذة منه ومندرجة تحت آياته على احكم وجه واتمه واصوبه مصون جميعه لا يتأتى فيه ذلك ولو كان من البشر لا يتأتى فيه ذلك ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والحاصل ان وجوه الاعجاز كثيرة لكنها ترجع الى اربعة احدها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ثانيها صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب ثالثها ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن وما لم يقع فوجد على الوجه الذي اخبر رابعها ما انبا به من اخبار القرون الماضية والامم الفانية

لانه يلحس ولا يشرب الا ان يقال بالتغليب كذا ذكروه لكن قال تعالى يخرج من بطونها شراب فالله في جمع الوسائل (واللبن)

باب
صفة فاكهة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الراغب الفاكهة هي الثمار كلها وقيل ما عدا التمر والرمان لعطفهما عليها في قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان والاصل في العطف المغايرة ولان التمر غذاء والرمان دواء وقال ابن حجر الفاكهة ما يتفكه به أي ما يتنعم بأكله ولا يتغذى به كالطعام ولا يتداوى به * قال المصنف (حدثنا اسمعيل بن موسى الفزاري) بفتح الفاء والزاي نسبة الى بني فزارة (نا ابراهيم بن سعد عن ابيه عن عبد الله بن جعفر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء) بكسر القاف ويضم وتشديد المثلثة ممدودا نوع من الخيار (بالرطب) وورد في الصحيح انه كان يأكل الرطب بالقثاء ولعل الفرق بينهما ان المقدم أصل في المأكول كالخبز والمؤخر كالادام وقد اخرج الطبراني بسند ضعيف ان عبد الله بن جعفر قال رأيت في يمين النبي صلى الله عليه وسلم قثاء وفي شماله رطبا وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة انتهى وهو محمول على تبديل ما في يديه لئلا يلزم الأكل بالشمال قاله في جمع الوسائل وفي الحديث كما قال النووي جواز الاكل الطعامين معا والتوسع في الاطعمة ولا خلاف بين العلماء في جوازه وما نقل عن بعض السلف من خلاف هذا محمول على كراهة اعتياد هذا التوسع والترفه والا كثار منه لغير مصلحة دينية وأخرج أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن بسر السلمي قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر وفيه كما قال القرطبي جواز مراعاة صفات الاطعمة وطبائعها واستعمالها على قانون الطب فانه رأس العلماء والحكماء والاطباء كان يعدل الضد بضده ان امكن والا تناول بقدر الحاجة من غير اسراف وذلك غير ضار ومن فوائد هذا المركب تعديل المزاج وتسمين البدن اخرج ابن ماجه من حديث عائشة قالت ارادت أمي ان تعالجني للسمن لتدخلني على النبي صلى الله عليه وسلم فما استقام لها ذلك حتى أكلت الرطب بالقثاء فسمنت كاحسن السمن * قال المصنف (حدثنا عبدة بن عبد الله الخزاعي البصري حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل البطيخ) وفي رواية الطبيخ بتقديم الطاء وهي لغة في البطيخ ايضا (بالرطب) ويقول كما في رواية علي ما في الجامع الصغير يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا وهذا يقتضي ان المراد بالبطيخ الاخضر فان فيه برودة يعدلها بالرطب والا فالبطيخ الاصفر حار ايضا ويحتمل ان المراد به الاصفر فان في الاصفر بالنسبة للرطب برودة وان كان فيه لحلاوته طرف حرارة وهو المعبر عنه بالخربز في الحديث الذي اشار له فقال (حدثنا ابراهيم بن يعقوب نا وهب بن جرير نا ابي قال سمعت حميدا يقول او قال نى حميد) المقصود غاية الاحتياط في عبارة الرواية

(كل يوم تهدى الى سامعيه * معجزات من لفظه القراء) اى في كل وقت تهدى القراء من لفظ القرآن الى السامعين له معجزات اى

غرائب وعجائب ونكتا ولطائف شبه المعجزات المذكورة بالذخائر والنفائس المهداة استعارة مكنية وتهدى استعارة تخييلية تبعية قال القاضى عياض فى الشفاء من وجوه اعجازه كونه آية باقية لاتعدم مابقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات النبى صلى الله عليه وسلم انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه الى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضته ممتنعة

والافرتبة السماع والقول واحدة عند المحدثين فى اصطلاحهم (قال وهب وكان) أى حميد (صديقاله) أي لجرير أو بالعكس والجملة حالية معترضة (عن أنس بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الخربز) بكسر الخاء والباء (والرطب) أو يحمل الخربز والبطيخ على نوع من الاصفر وهو الذي لم يتم نضجه فان فيه برودة وروى الطيالسى عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يأكل الخربز بالرطب ويقول هما الاطيبان وهو لا ينافى مارواه أحمد انه صلى الله عليه وسلم سمى اللبن بالتمر الاطيبين * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا محمد بن عبد العزيز الرملى) نسبة الى رملة وهى مواضع أشهرها بلد بالشام كما فى القاموس (نا عبد الله بن يزيد بن الصلت عن محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم أكل البطيخ بالرطب) أراد المصنف ان لهذا الحديث طرقا كثيرة عن عائشة قال العراقى ولم يبين الترمذى فى الجامع والشمائل كيفية أكل البطيخ بالرطب هل يقرن هذا بهذا ويأكل من هذا لقمة ومن هذا لقمة وقد ورد التصريح بالثانى فى خبر اه وقد أخرج أبو نعيم فى كتاب الطب له بسند فيه ضعف عن أنس انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة اليه ذكره العسقلانى وروى الطبرانى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأكل العنب خرطا يقال خرط العنقود واخترطه اذا وضعه في فيه ثم يأخذ حبه ويخرج عرجونه عاريا منه كذا فى النهاية والحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وكتابه هذا خال عن الموضوع فانظره مع مانقله ابن حجر عن العقيلى انه قال لا أصل لهذا الحديث قال ابن حجر وروى فى فضل البطيخ أحاديث كلها باطلة كما قاله الحفاظ * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس ح ونا اسحق ابن موسى نا معن نا مالك عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال كان الناس اذا رأوا أول الثمر) بالثاء المثلثة كل رطب يجنى من الثمار والتمر بالتاء المثناة كل يابس (جاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ايثارا له على أنفسهم وحبا له وتعظيما لجنابه الرفيع ونظرا الى انه أولى بما سبق اليهم من الارزاق وطلبا لمزيد البركة فيما تجدد عليهم من النعم وينبغى ان خلفاءه من العلماء والاولياء مثله فى ذلك قاله ابن حجر (فاذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) طالبا لمزيد الانعام على وجه يعم الخاص والعام وداعيا بالبركة فى الاقوات فى عموم الاوقات اشارة الى انها الاصل فى أمور معاشهم المعينة على أمور معادهم (اللهم بارك لنا فى ثمارنا) أى بالنمو والحفظ من الآفات (وبارك لنا فى مدينتنا) أي بكثرة الارزاق ودوامها على أهلها وباقامة شعائر الدين فيها واظهارها على غاية لاتوجد فى غيرها فهو تعميم بعد تخصيص قاله ابن حجر قلت وبتضعيف أجر العاملين فيها وقد ورد صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد قال ابن مخلص فان قيل اي بركة فيها وهى بلد الجوع ولازرع فيها ولا ضرع وهذا سؤال توجهه الملحدة فالجواب انا نقول البركة فى اللغة هي الزيادة

والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادى للشرع عتيد فما منهم من أتي بشيء يؤثر فى معارضته ولا ألف كلتين في مناقضته ولا قدر فيه علي مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه فى ذلك الا بزند شحيح بل المأثور كل من رام ذلك القاؤه بالعجز في يديه والنكوص علي عقبيه

تتحلى به المسامع والافـ
ـواه فهو الحلى والحلواء

تتحلى من التحلية أى بسماعه المسامع أى الآذان وتتحلى من الحلو بألفاظه الافواه فهو الحلى أى مايتحلى به راجع للاول والحلواء أى مايستحلى به راجع للثانى قال فى الشفاء ومن وجوه اعجازه ان قارئه لايمله وسامعه لايمجه بل الاكباب علي تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لايزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة مابلغ يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد والقرآن يستلذ به فى الخلوات ويؤنس بتلاوته فى الازمات وسواه من الكتب لايوجد فيها ذلك حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطربا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم علي قراءتها ولهذا وصف

 رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لايخلق علي كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لايشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذى لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به اه *(تنبيه)* لايقال انا نجد أحزاب المشايخ وقصائد المديح فى الجناب العلى من كلام البشر وهى تتكرر وتتردد ولا تمل لانا نقول ذلك انما هو لكونها فى خصوص التوحيد الخاص والادعية النافعة والثناء علي المحبوب

فمن ثم جاء هاذلك مع انضمام كونها تقرب الحون وطرق مخصوصة يستعان بها على النشاط عندها بخلاف القرآن فانه مشتمل على ذلك وغيره كذكر أحوال أهل النار والرد على طوائف الكفار وبيان الاحكام الشرعية وغير ذلك وجميعه لا يمل منه فظهرت الخصوصية ثم اعلم ان التلذذ به دائم حاصل حتى في الجنة ففي الحديث الصحيح انه يقال للقارئ في الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فيؤخذ منه انه يقرأ ويتلذذ بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها وما يفتح الله به على القراء من أنواع المعارف اللائقة بتلك الدار وتلك الذوات التي ثم فيها التأمل وذلك أمر لا يتناهى أبدا انتهى

(رق لفظا وراق معنى فجاءت في حلاها وحليها الخنساء)

رق أي حسن لفظا أي من جهته فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافي كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر أو تعقيد وراق أي تصفى من شوائب النقص فأعجب كل ناظر فيه من جهة معناه فلا تجد معنى من معانيه الا وهو واصل في الاحكام ووضوح المرام الغاية القصوى فبسبب كون سوره رقت وراقت جاءت الخنساء بنت عمرو الشاعرة المفلقة كما يأتي حال كونها في حلاها أي صفاتها الجميلة وحليها أي وزينتها شبه سوره في صفاتها العلية وتزيينها بما أودعته من الاسرار البهية بامرأة بلغت في الزينة واوصاف الحسن مالم يمكن التعبير عنه وخص الخنساء بالذكر لكونها أشعر نساء العرب ومن أجلهن وهذا انما هو على طريق التشبيه حيث تعجز العبارة عن الاتيان بمشبه به يصلح لذلك فيؤتى باحسن شيء تستحسنه النفس وان كان المشبه أعلى من المشبه به

(وأرتنا فيه غوامض فضل رقة من زلاله وصفاء)

وأرتنا أوضحت لنا وفاعله رقة الآتي غوامض فضل أي خفاياه كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التي لا تحد لها ولا غاية ومن ثم جاء عن علي كرم الله وجهه لو شئت ان أوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت وعنه لو أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضع على الفاتحة وقر سبعين بعيرا لفعلت والزلال الماء الصافي العذب البارد شبه آي القرآن في محاسن أسيالها وصفاء مواردها الموجبين لمن حدق في خفاياها حديد نظره وحقق في غورها رقيق فكره برد اليقين والنماء فاذا وردت في الشريعة فانما المراد بها سلامة الدين وقلة الحساب وكثرة النماء في الاجر وهذا كقوله تعالى يمحق الله الربا وأنت تراه يتكاثر ويربي الصدقات وأنت تراها تنقص المال وتفنيه لكن المعنى عائد الى ما بيناه اه وهذا الجواب بعيد من السياق متكلف كما لا يخفى وقال القرطبي اذا وجدت البركة فيها في وقت حصلت اجابة الدعوة ولا يستلزم دوامها في كل حين ولكل شخص اه وقد ضاعف مولانا جل وعلا خيرها بما جلب اليها في زمن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين من مشارق الارض ومغاربها ككنوز كسرى وقيصر وخاقان مما لا يحصى ولا يحصر وفي آخر الزمان يأرز الدين اليها من أقاصي الارض وشاسع البلاد كما تأرز الحية الى جحرها على ما ورد به الخبر وهذا الجواب الذي ذكره القرطبي بعيد أيضا فان المراد من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها حصول البركة فيها دائما والظاهر في الجواب ان يقال لا يلزم من حصول البركة فيها عدم الضيق والحاجة فان ثمارها وما يجلب اليها بالنسبة الى سكانها وعمارها شيء قليل لا يكفي غيرها من البلدان الا القليل من الناس ولكن ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لما كان في قليل ثمارها كفاية لكثير سكانها كما اختاره النووي في معنى البركة في صاعها ومدها وسيأتي (وبارك لنا في صاعنا) هو أربعة أمداد أي بمده صلى الله عليه وسلم بالاتفاق (وبارك لنا في مدنا) هو ملء كفين متوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين وتحتمل البركة في الصاع والمد وجوها اختار النووي منها ان المراد البركة في نفس المكيل من زرع وثمر وغير ذلك بحيث يكفي المكيال فيها ما لا يكفي اضعافه في غيرها وقد استجاب الله دعاءه كما هو محسوس قال ابن حجر وينبغي لكل آخذ با كورة ان يدعو بهذا الدعاء المبارك الى هنا (اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك) من الخلة بضم الخاء وهي الصداقة والمحبة التي تخللت القلب وتمكنت في خلاله وقد بسط القول فيها ومافيها من الخلاف في الشفاء فانظره (ونبيك وانى عبدك ونبيك) توسل بالعبودية والنبوة وقدم العبودية لانه لا شرف أعلى منها ولم يزد وخليلك تواضعا فان اللائق بمقام الدعاء التواضع والانكسار لا التمدح والافتخار وأدب مع أبيه ابراهيم الخليل والا فهو خليل كما ورد في عدة أخبار بل خص صلى الله عليه وسلم بمقام المحبوبية التي هي أرفع من مقام الخلة (وانه دعاك لمكة) بقوله ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون وقد استجاب الله دعاءه فرزقهم وهم في أودية ليس فيها شجر ولا ماء كما قال تعالى أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء (وانى أدعوك للمدينة بمثل مادعاك به لمكة ومثله معه) الضمير ان لمثل مادعاك واعلم أن دعاء ابراهيم عليه السلام لاظهار حرمة مكة لا لابتدائها ودعاء النبي عليه السلام لابتدائها اذ لم يكن للمدينة احترام قبل حلوله بها ودعائه لها ومكة والمدينة أفضل بقاع الارض وفي الافضل منها خلاف (قال) أي أبو هريرة (ثم يدعو أصغر وليد) أي صغير (يراه فيعطيه ذلك الثمر) في رواية لمسلم أصغر وليد له فيعطيه فاما ان تؤول هذه الرواية بأن المراد أصغر وليد للمؤمنين وليس المراد

وصفاء القلب عن كل سوى حتى أطلع على سائر الغوامض من العلوم الالهية والمعارف الاختصاصية والمواهب الرحمانية والمشارب الروحانية بما في غاية العذوبة والبرودة وصفاء الجوهرية ورقتها بحيث لا يمنع من رؤية ما تحته مما شأنه ان يخفى وذلك انما يحصل

لمن انصقلت مرآة فكرته كما أشار لذلك بكلام جامع بديع فقال (انما تجلى الوجوه اذاما * جليت عن مرآتها الاصداء)
أي انما تبصر الوجوه وتظهر ظهورا واضحا لاخفاء معه بوجه ان قوبلت بالمرآة اذاما أزيلت عن مرآتها بكسر الميم والمد

من اهل بيته خاصة وهذا هو المناسب لحسن عشرته وكمال شفقته ورحمته او يحتمل المطلق على المقيد وفي الجامع الصغير كان اذا أتى بباكورة الثمر وضعها على عينيه ثم على شفتيه وقال اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان رواه ابن السني عن أبي هريرة والطبراني في الكبير عن ابن عباس وانما آثر بذلك الصبيان لشدة فرحهم وكثرة رغبتهم أو لكمال المناسبة بين الباكورة وبينهم لقرب عهدهما بالابداع وانما لم يأكل منه اشارة الى ان النفوس الزكية والاخلاق المرضية لا تتوق الى تناول شيء من أنواع الباكورة الا بعد عموم الوجود فيقدر كل أحد على تحصيله * قال المصنف (حدثنا محمد بن حميد الرازي نا ابراهيم بن المختار عن محمد بن اسحق عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن الربيع) بضم الراء وفتح الموحدة وتشديد التحتانية المكسورة (بنت معوذ) بتشديد الواو المكسورة ونقل العسقلاني انها بالفتح على الاشهر (ابن عفراء) استشهد ببدر وهو الذي قتل أبا جهل وعفراء أمه وأبوه الحرث (قالت بعثني معاذ بن عفراء) هو عمها وهو المشارك لاخيه في قتل أبي جهل ببدر وحز رأسه وهو مجروح مطروح يكلم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (بقناع) بكسر القاف الطبق الذي يؤكل فيه وقيل الذي يهدي عليه (من رطب) اى فيه بعض رطب (وعليه) اى على قناع الرطب (أجر) جمع جرو وهو الصغير من كل شيء حتى الحنظل والبطيخ ونحوه والمراد هنا القثاء كما بينه بقوله (من قثاء) بكسر أوله ويضم (زغب) بالجر نعت لقثاء وبالرفع نعت لاجر وهو المناسب وسيأتي من قوله وأجر زغب وشبه وبر القثاء بالزغب وهو صغار الريش أول ما يطلع (وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القثاء فأتيته به) اى بالقناع المذكور وفي نسخة بها اى بالاشياء المذكورة (وعنده حلية) الواو للحال والحلية على وزن لحية ما يتزين به من ذهب او فضة او غيرهما (قد قدمت عليه) اى وصلت اليه (من البحرين) أي من خراجها وهو بلفظ التثنية ويعرب اعرابها موضع بين البصرة وعمان وهو من بلاد نجد (فملأ يده) اي كفه كما في الرواية بعد (منها) اى من الحلية (فأعطانيه) وفي هذا عظيم سخائه وجوده ومروأته ورعاية كمال المناسبة فان الانثى أحق بما يتزين به * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل) بفتح فكسر هو أخو علي بن ابي طالب رضي الله عنه (عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب وأجر زغب فاعطاني ملء كفه حليا) بضم فكسر فتشديد تحتية وفي نسخة بفتح فسكون تحتية (أو قالت ذهبا) للشك من الراوي عن الربيع أو ممن دونه وفي هذا المكافأة على الهدية القليلة بالعطاء الجزيل

باب
صفة شراب رسول الله ﷺ

هو ما يشرب من المائعات أي بيان ما كان يشربه صلى الله عليه وسلم (حدثنا ابن أبي عمر نا سفيان) اى ابن عيينة كما سيأتي (عن معمر عن الزهري عن عروة) اى ابن الزبير (عن عائشة

أي آلة الابصار الاصداء جمع صدأ وهو ما يعلو الحديد من الوسخ فكذلك مرآة القلوب لا تجتلي لها العلوم والمعارف من القرآن الا اذا جليت عنها اصداء الاغيار وأذابت قواها فيما هي بصدده آناء الليل واطراف النهار قال المحاسبي في بغية السالك في أشرف المسالك واعلم ان سر القرآن ولبابه ومقصده دعوة الخلق الى المعرفة بالله تعالى اذ كل ما اشتمل عليه القرآن من التعريفات كالتعريف بالله وصفاته وأفعاله والتعريف بطريق السلوك اليه والتعريف بوعده ووعيده والتعريف بأهل التخصيص كالانبياء والملائكة والاولياء والتعريف بأهل المقت كابليس وجنوده والجن والانس والتعريف بالاحكام التي طوقها عباده كل ذلك تعريفات تحرك النفس الى الاتصاف بمعنى التوحيد الجاذب الى المعرفة الحقيقية وهي قيام معنى التوحيد في النفس حتى يصير صفة لها لا تغفل عنه ولا تجد أنسا بغيره قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية وهذه الحقيقة هي المطلوب من جميع العباد اه ولبعضهم في ذلك مراد كتاب الله جذب قلوبنا الى حضرة الرحمن والزهد في الدنيا

فبلغ أخي القرآن منك مراده * لترقى بفضل الله للجنة العليا (سور منه أشهت صورا منه * نا ومثل النظائر النظراء)
السور بالسين جمع سورة وهي الطائفة من القرآن المخصوصة المسماة باسم خاص توقيفي ومنه لبيان الجنس لان ما يأتي به ليس خاصا ببعض سوره بل يشملها كلها أشبهت لاشتمال كل منها على مفادات من العلوم وغيرها مستقلة بها لا تتوقف على ما في الاخرى ومن ثم وقع التحدي بأقصر سورة منه وصورا جمع صورة وصورة الشيء شكله وانما اشبهت سور منه صورا منا لاشتمال كل منها على

عقل وادراك وفهم وخلق لايشاركها فيها غيرها ولاتتوقف علي مافي غيرها وكان الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على المعتزلة في قولهم ان الاعجاز انما هو بمجموع القرآن لابكل سورة منه وهي مقالة فاسدة لمنافاتها لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله والنظائر والنظراء جمع نظير وهو المثل والنظراء أيضاً الاماثل والافاضل وهذا كالتذييل لما قبله ويحتمل ان يكون اشارة بالنظائر الى السور المخصوصة التي كان يعتني بها النبي صلى الله عليه وسلم من الناس والافاضل منهم الذين يتناظرون في التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل

(١٩٦) كما في البخاري ولها فضائل خاصة بها أي ومثل النظائر من السور النظراء أي الاماثل

قالت كان أحب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد) يحتمل أن يكون أحب اسم كان والحلو البارد خبرها ويحتمل العكس والمراد بالحلو البارد الماء العذب لما روى أبو داود انه صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا وهي بضم السين المهملة وسكون القاف عين بينها وبين المدينة يومان قال ابن بطال واستعذاب الماء لاينافي الزهد ولايدخل في الترفه المذموم بخلاف تطييبه بنحو المسك فقد كرهه مالك لما فيه من السرف وقد شرب الصالحون الماء الحلو وطلبوه وليس في شرب الماء المالح فضيلة وشرب الماء الحلو البارد فيه مزيد الشهود لعظائم نعم الحق واخلاص الشكر له من غير أن يكون فيه اشعار بتكليف بخلاف المآكل ولذا كان يستعمل أنفس الشراب لا أنفس الطعام غالبا اه والحاصل ان استعذاب الماء لايتضمن سرفا بخلاف انتخاب الطعام فانه يستدعي السرف وكثرة الاكل المؤدي الى كثرة الشبع الذي هو مبدأ كل شر وكان أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره يقول اذا شربت الماء الحلو أحمد ربي من وسط قلبي وفي التنوير قال الشيخ أبو الحسن قال لي شيخي يابني برد الماء فان العبد اذا شرب الماء السخن قال الحمد لله بكزازة واذا شرب الماء البارد فقال الحمد لله استجاب كل عضو فيه بالحمد لله ويحتمل أن يكون المراد بالحلو البارد الماء الممزوج بالعسل قال ابن القيم فان فيه من حفظ الصحة مالا يهتدي لمعرفته الافاضل الاطباء فان شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن ويحتمل أن المراد الماء المنقوع فيه تمر أو زبيب وكان صلى الله عليه وسلم يشرب اللبن خالصا تارة وبالماء البارد أخرى لان اللبن عند الحلب يكون حارا وتلك البلاد حارة غالبا فكان يكسر حره بالماء البارد وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم دخل علي أنصاري في حائط له يحول الماء فقال له ان كان عندك ماء بات في شن أي قربة خلقة والا كرعنا فانطلق للعريش فسكب في قدح ماء ثم حلب عليه من داجن فشرب صلى الله عليه وسلم وحاصل عنوان الباب الحلو البارد أحب الشراب اليه وهو لعمومه يشمل الماء القراح والمخلوط بالحلاوة واللبن الخالص والمخلوط بالبارد فلا يشكل بما يأتي انه كان يقول في اللبن زدنا منه وفي غيره أطعمنا خيرا منه مع ان المراد من غيره هو الطعام لا الشراب فيرتفع الاشكال من أصله قاله في جمع الوسائل وفي ابن حجر يجاب بان الاحبية هنا أحبية مخصوصة أي كان احب الشراب الذي هو ماء اوفيه الماء * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم نا علي بن زيد عن عمر هو ابن أبي حرملة عن ابن عباس قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخالد بن الوليد علي ميمونة فجاءتنا باناء من لبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا علي يمينه وخالد عن شماله) علي في الاول وعن في الثاني تفنن (فقال لي الشربة لك) أي لانك صاحب اليمين وقد ورد الايمن فالايمن رواه مالك وأحمد وأصحاب السنن عن أنس قال في جمع الوسائل ويستفاد منه تقديم الايمن ندبا ولو صغيرا ولذا قال (فان شئت آثرت بها خالدا) لانه اكبر من ابن عباس سنا اه قلت انظر من أين يستفاد

(والاقاويل عندهم كالتماثيل لم فلا توهمنك الخطباء

الاقاويل جمع قول وهو هنا اللفظ المفيد عندهم أي الكفار ظرف للمبتدا أو لخبره وهو كالتماثيل جمع تمثال وهو الصورة المصورة يعني ان تقولهم في القرآن وافتراءهم عليه بما يقدح في أحقيته أمر مزخرف مموه بالاباطيل كما ان التصاوير التي يخترعها المصورون كذلك لاحقيقة لها فكما ان هذه لاوجود لها في الحقيقة ولااعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور واذا تقرر لك ان جميع ماقالوه في القرآن باطل قطعي البطلان فلا يوهمنك الخطباء أي فاحذر أن يوقع مزخرفوا الكلمات بتمشدقهم وتفاصحهم في ذهنك أدنى ريب أو شك في شيء من أوصاف القرآن التي مر بيان بعضها ونبه علي بعضها الآخر بقوله

(كم أبانت آياته من علوم عن حروف أبان عنها الهجاء)

كم خبرية أي مرات كثيرة أبانت أي أوضحت آياته جمع آية وهي لغة العلامة واصطلاحا قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدا ومقطع مندرج في سورة قاله الجعبري قال ابن حجر ويشكل كون عدم نحو تم نظر في المدثر آية اذ ليس في هذه جمل صريحا ولا تقديرا فالاولى قول غيره طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها وسميت الآية بذلك لانها علامة على صدق الآتي بها وعلي عجز المتحدين بها وقوله من علوم من زائدة في الاثبات علي رأي جماعة أي أوضحت آياته علوما كثيرة لاتنحصر كما قال الله تعالى مافرطنا في الكتاب من شيء وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وروى

الترمذى وغيره حديث [illegible] فما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الاولين والآخرين قال البيهقى يعنى أصول العلم وأخرج عن الحسن أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها فى أربعة منها وهى التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم الثلاثة فى القرآن أي مع زيادات لاتنحصر ومن ثم قال الشافعي جميع ماتقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال أيضا جميع ماحكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مافهمه من القرآن قال بعضهم مامن شيء فى العالم الا وهو فى القرآن فقيل له فاين ذكر الخانات فيه فقال فى قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم فهى الخانات وقال آخر مامن شيء لايمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى وقد استنبط عمره صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى فى آخر سورة المنافقين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها فانها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن لظهوره بموته صلى الله عليه وسلم وانظر النوع الخامس والستين من الاتقان للسيوطى وقوله عن حروف أبان عنها الهجاء أى تولدت تلك العلوم ونشأت عن حروف أبان عنها أي عن مسميات تلك الحروف الهجاء أى التهجي وهو تعداد الحروف بذكر أسمائها فالمراد بالحروف مسمياتها وحروف التهجى أسماء كاشفة عن تلك المسميات ويدل لهذا قول سيبويه قال الخليل يوما لاصحابه كيف تقولون اذا أردتم ان تتلفظوا بالكاف التى فى ذلك والباء التى فى ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تتلفظوا بالحرف وقال قولوا كه به فحروف القرآن من الاول وحروف التهجى من الثانى ودليل تسميتها حروفا الخبر الصحيح من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لاأقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فتسمية كل حرفا اما لغة أو مجازا باعتبار مدلوله *(فائدة)* قال الامام سيدى عبد الرحمن الجادرى فى تذييل نظمه الذى اختصر فيه الدرر اللوامع لابى الحسن بن برى وهو نظم حسن من منهوك الرجز مانصه

وقال أيضا سمحا * ربي له وصفحا وهاك مالسور * فى العد للمختبر وسور القرآن * (قيد) الى الامان

كون تقديم الايمن ندبا وأما قوله الشربة لك فانما يفيدان الحق له فى ذلك وهل هو حق واجب له أوليس بواجب يبقى ماهو أعم وأما قوله فان شئت الخ فلايدل على الندب وانما يدل على ان الحق فى ذلك للمخلوق فله اسقاطه ثم فى نسبة المشيئة اليه تطييب لخاطره وتنبيه على ان له الايثار وانه أولى له لان ذلك مقتضى الادب مع الكبير قال ابن حجر قد يشكل على ذلك قول أئمتنا يكره الايثار بالقرب وقد يجاب بان محل ذلك حيث آثر من ليس أولى منه بذلك والا فلا كما هنا وكتقديم غير الافقه مثلا الافقه فى الامامة فلا كراهة اه قلت ظاهره تسليم انه من باب الايثار بالقرب لكنه ليس بمنهى عنه فى هذا ونحوه وقد اعترضه فى جمع الوسائل فقال هذا غريب فانه اذا قدم من هو أولى منه فى الامامة وغيرها لايسمى ايثارا وانما الايثار اذا كان متساويا مع غيره فى الاستحقاق أو هو أولى من غيره فى الارتفاق كما يدل عليه قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة اه قلت وعلى تسليم انه من باب الايثار فالظاهر أن يقال ليس فيه ايثار بقربه فان المقام مقام تشريع وتعليم ولم ينظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مالسؤره من المزية والفضيلة وانما نظر الى أن الحق فى الشرب لصاحب الايمن من غير تفريق بين سؤر وسؤر ليكون الحكم عاما منطبقا على جميع الجزئيات فرغب ابن عباس فى اسقاط حقه هذا فنظر ابن عباس الى مالسؤره صلى الله عليه وسلم من الشرف والفضل فحمله ماعنده من تعظيم جانب المصطفى صلى الله عليه وسلم على ان قال ماقال بهذا قرره شيخنا المحقق سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى أبقى الله علينا من بركاته لما تفاوضت معه فى المسئلة فان قيل قد استأذن فى هذا الخبر الايمن وهو ابن عباس ولم يستأذن اعرابيا قعد على يمينه والصديق على يساره فى قصة نحو هذه فالجواب انه استأذن ابن عباس ادلالا عليه وثقة بطيب نفسه باصل الاستئذان لاسيما والاكبر هو خالد قريبه وقريب العهد بالاسلام مع رياسته فى قومه وشرف نسبه بينهم فأراد تطييب خاطره وتألفه بذلك وأما الصديق فانه مطمئن الخاطر راض بكل مايفعله المصطفى لايتغير ولايتأثر انظر المناوى (فقلت ماكنت لاوثر على سؤرك أحدا) يحتمل أن على هنا بمعنى الباء أى ماكنت لافضل بسؤرك أحدا ويحتمل ان تكون على بابها ويقدر فى الكلام مضاف أى لاأوثر على سؤرك سؤر أحد وهو حسن لاركاكة فيه خلافا لابن حجر فان من المعلوم ان خالدا ماكان يشرب سؤره صلى الله عليه وسلم كله ولايطابق اللفظ هذا المعنى الا بتقدير ذلك المضاف ويحتمل أن تكون تعليلية قال القرطبى وهذا قول أبرزه ماكان عنده من تعظيم المصطفى واغتنام بركته مع صغر سنه وليس فى كلام المصطفى أمر حتى يتحتم عليه اجابته اه وقال ابن مخلص فيه ندب الاصاغر وتعليمهم الادب والايثار والاكرام لمن هو أكبر منهم سنا وفيه ان الصغير اذا تمسك بحقه فهو أولى به لاسيما فى الامور الدينية كما فى هذا الحديث وابن عباس رضي الله عنهما كبير القدر عالى الهمة لكنه لم يقدر أن يؤثر بسؤر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وهذا على عادتهم فى تعظيمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة محبتهم فيه والتبرك بكل شيء منه لايقدمون على ذلك شيأ اه قال فى جمع

و(صح)في المفصل * من القتال منجلى وآيه (وريد) * في آخر وزيد ثلاثة * وبالمدينة جلى وكلمه قال عطا * (عدد ضرتفطا) ومن حروف(سكج * يه) وذاك المنهج وقيل عن يحيى(سكا * ثلج) حروفه حكا ونصف أولى نكرا *في الكهف نصفها سرا ونصفه من الكلم * في الحج والجلود سم ونصف الاى العالمين* وبعده أوفوا يبين ونصفه من السور * ختم الحديد يعتبر (١٩٨) فنصفه عشرله * لغز اتي فحله وباعتبار ماكتب * توابه وما حسب

اه وقداشتملت الابيات المذكورة على عددسور القرآن وهى مائة وأربع عشرة المشار اليها بقيد لان اصطلاحه ان الحرف الاخير آحاد وماقبله عشرات وماقبله مئون وهكذا وعلي عدد سور المفصل وانها ثمان وستون وأولها سورة القتال وهو احد الاقوال وعلي عدد آى القرآن وانها ستة آلاف ومائتان وأربعة عشر باعتبار عد المد فى الاخير وأما على عد المد فى الاول فبزيادة ثلاثة وعلى عد كلماته وهى سبعة وتسعون ألفا بموحدة ثم مثناة وأربعمائة وتسعة وثمانون واليه أشار بقوله ضرتفطا والالف للاطلاق وعلي عدد حروفه وهى ثلثمائة ألف وعشرون ألفا وثلثمائة وخمسة عشر وقيل عددها يزيد علي هذا بمائتين وثمانية عشر وعلي ان نصف القرآن باعتبار الحروف نكرا الاول وهو قوله لقدجئت شيأ نكرا ونصفه باعتبار الكلمات والجلود ولهم مقامع من حديد فى سورة الحج ونصفه باعتبار الآى ان أجرى الاعلي رب العالمين أوفوا الكيل ونصفه من السور آخر سورة الحديد فما بعد الحديد نصف باعتبار عدد السورة وعشر باعتبار الاحزاب وأما اعد الله تعالى لقارئه من الثواب فذلك مما يعلمه المالك الوهاب* وفى الشفاء مانصه ففى القرآن من الكلمات نحو من سبعة وتسعين ألف كلمة ونيف وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن علي نسبة عدد انا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز فى نفسه ثم اعجازه بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار فى كل جزء من هذا العدد معجزتان متضاعفا العدد من هذا الوجه انظر تمامه وقال بعضهم علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وتسعون الف علم علي عدد كلم القرآن مضروبة فى اربع اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ويضم لذلك اعتبار تركيب

الوسائل لكن غفل ابن عباس عن ان سؤره صلى الله عليه وسلم مع بقاء سؤر خالد أفضل فكان الايثار موجبا للاكمل فان سؤر المؤمن شفاء ولذا لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يشرب ماء زمزم قال العباس للفضل هات الشربة من البيت فان ماء السقاية استعملته الايدى فقال صلى الله عليه وسلم انما اريد بركة أيدى المؤمنين أو ماهذا معناه وفى الجامع الصغير انه صلى الله عليه وسلم كان يبعث الى المطاهر أى السقايات فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدى المؤمنين رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر اه قلت وقد يقال مراد ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن لايكون بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم واسطة وان يكون شربه متصلا ومواليا لشربه صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك شرفا ومزية وغنيمة ونظير هذا الاخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة والاخذ عنه بواسطة وشتان مابينهما فنظر ابن عباس بهذا الاعتبار أعلى وأتم والله أعلم (ثم قال صلى الله عليه وسلم من أطعمه الله طعاما فليقل) أى ندبا بعد أكله واحمد عليه لان حال الاكل لايقال اطعمنا خيرا منه أو زدنا منه كما هو ظاهر خلافا لابن حجر والمناوى حيث قالا فليقل حال الاكل فان اخره الى مابعده فالاولى ان يقوله بعد الحمد قاله فى جمع الوسائل قلت اى فائدة للدعاء بالبركة فيه اذا كان بعد الفراغ من أكله اللهم الا ان يكون المراد بالبركة النمو والزيادة فيما ينشأ عنه كالتقوية به على العبادة ونحو ذلك من الافعال السنية والاخلاق المرضية * وقد نقل شيخنا العلامة فى شرح الحصن كلام الشارحين وسلمه قائلا لعل مستندهما فى كون الدعاء بعد الشروع لاقبله التمسك بظاهر قوله اذا اكل احدكم يعنى فى رواية أبي داود فانه ظاهر فى وقوع الاكل الصادق ببعضه او بكله ولامقتضى لحمله على المجاز الذى هو اذا أراد الاكل وأما أولوية كونه بعد الحمد اذا تأخر فظاهر من تقديم الثناء على الدعاء كما هو شهير اه (اللهم بارك لنا) أى معشر المسلمين أو الآكلين (فيه واطعمنا خيرا منه) أي من الطعام الذى أكلناه (ومن سقاه الله لبنا) خالصا أو ممزوجا بماء أو غيره (فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه) فيه انه لاخير من اللبن بالنسبة لكل أحد وبالنسبة لكل شراب ولكل طعام حتى الثريد واللحم وان كان سيد الادام كما سبق وأشار المصنف الى دليله بقوله (قال) أى ابن عباس (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب) أى يقوم مقامهما ويغنى عنهما معا (غير اللبن) لكونه يغذى ويسكن العطش وغير بالنصب علي الاستثناء وبالرفع علي البدل وبهذا علم ان سائر الاشربة لاتلحق باللبن فى ذلك بل بالطعام ويشير الى ذلك تعليل الدعوة فى اللبن بما يخصه وهو انه يقوم مقام الطعام والشراب (قال أبو عيسى) يعنى المصنف فى بيان بعض مايتعلق برواية الحديثين المتقدمين (هكذا) أى مثل ماسبق فى ايراد اسناد الحديث الاول (روي سفيان بن عيينة هذا الحديث) يعنى الاول (عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة) أي متصلا كاذكرناه وله اسناد آخر يكون به مرسلا أشار له بقوله (ورواه عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق وغير واحد) أى وكثير من الرواة (عن معمر عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم) زاد فى بعض النسخ مرسلا أي بحذف الصحابي مع قطع النظر

مابينها من روابط لكن هذا لايحصيه الا المتكلم به تعالى نعم أما علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم ومن ثم سميت الفاتحة أم لاشتمالها على هذه الثلاثة وسورة الاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والاخبار والديانات وقال آخر اشتمل القرآن على كل شيء كما قال تعالى مافرطنا في الكتاب من شيء أما العلوم فلا تجد مسئلة هي أصل الا في القرآن مايدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والارض ومافي الافق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الانبياء (١٩٩) والملائكة وعيون أخبار الامم السابقة وشأنه صلى الله عليه وسلم وغزواته وأخباره الى مماته ثم شأن أمته من بعده وبدء خلق الانسان الى موته وأمارات الساعة وجميع أحوال البرزخ والمحشر والجنة والنار وقد قال العلماء مامن برهان ودلالة وتقسيم وتحديد مبنى من كليات العلوم العقلية الا كتاب الله قد نطق به فمن ذلك ان من أول سورة الحج الى قوله وأن الله يبعث من في القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات وكذا قوله ما أنزل الله على بشر من شيء الآية وفيه اشارة الى علم الهندسة في قوله الى ظل ذي ثلاث شعب الآية فيؤخذ منه الشكل المثلث لكن وردت حججه على عادة العرب دون دقائق المتكلمين لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه

(فهي كالحب والنوى أعجب الزر
راع منها سنابل وزكاء)

يعني ان حروف القرآن وان غزرت معانيها وكثرت أحكامها لايستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها لان لها مثالا يقربها نوع قرب والافشتان مابينهما اذ مايأتي له أمد معلوم يفنى فيه عن قرب وهذه مستمرة النمو والزيادة على ممر الاعصار وتوالي الأزمان في هذه الدار وفي دار القرار وذلك المثال هو اما انها كحروف أسماء الاعداد فانها مع كونها الفاظا محصورة لاينتهي الوهم الى المعدود بها واما انها كالحب الذي يلقيه الزراع والنوى الذي يلقيه الغارس بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب ومن الثاني من الثمر مالايحصى وفي هذه الحالة اعجب السنابل والزكاء اى النمو الكائن ذلك من تلك الزروع والاشجار والزراع اي والغراس لكثرته وخروجه عن حد العد والاحصاء وهو متفرع عن حب ونوى قليلة فكذلك حروف القرآن وان قلت يحصل منها من العلوم والمعارف مالايحصى

النظر عن اسقاط عن عروة فان الزهري أحد الفقهاء والمحدثين والعلماء الاعلام من التابعين سمع سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبا الطفيل وغيرهم وروى عنه خلق كثير قاله في جمع الوسائل * قال المناوي فصار بترك الصحابي مرسلا وبترك التابعي منقطعا (ولم يذكروا) اى ابن المبارك والاكثرون (فيه) أي في الاسناد (عن عروة عن عائشة وهكذا روى يونس وغير واحد عن الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا) اي فيكون بن عيينة منفردا من بين أقرانه في اسناده موصولا ولهذا قال (قال أبو عيسى وانما اسنده ابن عيينة من بين الناس) أي فيكون حديثه غريب الاسناد والغرابة لاتنافي الصحة والحسن كما هو مقرر في محله وحاصله ان سند الارسال أصح من سند الاتصال كما صرح به المصنف في جامعه فقال والصحيح ماروى عن الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا اه وهو لايضر فان مذهب الجمهور ان المرسل حجة وكذلك عند الشافعي اذا اعتضد بمتصل قاله في جمع الوسائل وقال ابن حجر بين المصنف ان هذا الحديث روى مسندا ومرسلا ولم يبين حكم ذلك لشهرته وهو ان الحكم للاسناد وان كثرت رواة الارسال لان مع المسند زيادة علم * قال المصنف وهو حديث حسن اه (وميمونة) اى المذكورة في الحديث الثاني (بنت الحرث) أى الهلالية العامرية (زوج النبي صلى الله عليه وسلم) هي اول امرأة اسلمت بعد خديجة يقال ان اسمها كان برة فسماها النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة كانت تحت مسعود بن عمرو الثقفي في الجاهلية ففارقها فتزوجها ابو رهم ابن عبد العزى وتوفي عنها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة سبع في عمرة القضاء بسرف على عشرة اميال من مكة وقد رالله تعالى انها ماتت في المكان الذي تزوجها وبنى بها فيه بسرف سنة احدى وستين عن ثمانين سنة وصلى عليها ابن عباس ودفنت فيه وهو موضع بين التنعيم والوادي في طريق المدينة وبنى على قبرها مسجد يزار ويتبرك به وهي أخت لبابة الكبرى أم بني العباس ولبابة الصغرى أم خالد بن الوليد وأخت أسماء بنت عميس للام زوجة جعفر وأخت سلمى بنت عميس امرأة حمزة وهي آخر من تزوج النبي صلى الله عليه وسلم قيل وهي التي وهبت نفسها من النبي صلى الله عليه وسلم لانها لما جاءتها خطبته وهي على بعيرها قالت البعير وما عليه لله ولرسوله وجعلت أمرها للعباس فانكحها النبي صلى الله عليه وسلم روى عنها جماعة منهم عبد الله بن عباس (هي خالة خالد بن الوليد وخالة ابن عباس وخالة يزيد بن الاصم) بين بهذا وجه دخولها على ميمونة وذكر يزيد استطرادا وهي أيضا خالة عبد الله بن شداد بن الهاد (واختلف الناس في رواية هذا الحديث) اى الحديث الثاني (عن علي ابن زيد بن جدعان) بضم الجيم وسكون الدال المهملة (فروى بعضهم عن علي بن زيد عن عمر بن ابي حرملة) كما سبق في الاسناد (وروى عن شعبة) اى من بين المحدثين (عن علي بن زيد فقال) أى شعبة في اسناده (عن علي عن عمرو بن حرملة والصحيح عمر بن ابى حرملة) الصحة في موضعين الاول عمر بلا واو والثاني ابن ابى حرملة على الكنية وانما اعاد هذا مع استفادته من ايراد اسناده لبيان المراد بالتصريح ولمقام الاختلاف بالتصحيح قاله في جمع الوسائل

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني وأوله باب ماجاء في صفة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

صحيفة

٥ باب ماجاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

٤٠ باب ماجاء فى خاتم النبوة

٥٠ باب ماجاء فى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم

٥٤ باب ماجاء فى ترجل رسول الله صلى الله عليه وسلم

٥٨ باب ماجاء فى شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم

٦٤ باب ماجاء فى خضاب رسول الله صلي الله عليه وسلم

٦٩ باب ماجاء فى كحل رسول الله صلى الله عليه وسلم

٧٣ باب ماجاء فى لباس رسول الله صلى الله عليه وسلم

٨٧ باب ماجاء فى عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٠٤ باب ماجاء فى خف رسول الله صلي الله عليه وسلم

١٠٦ باب ماجاء فى نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

١١٥ باب ماجاء فى ذكر خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٢١ باب ماجاء فى تختم رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٢٧ باب ماجاء في صفة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٢٩ باب ماجاء فى صفة درع رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٣٢ باب ماجاء فى صفة مغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٣٥ باب ماجاء فى عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٣٨ باب ماجاء فى صفة ازار رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٤٣ باب ماجاء فى مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٤٤ باب ماجاء في تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٤٥ باب ماجاء فى جلسة رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٤٧ باب ماجاء فى تكأة رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٥٢ باب ماجاء فى اتكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٥٣ باب ماجاء فى صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٥٦ باب ماجاء فى صفة خبز رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٦١ باب ماجاء فى صفة ادام رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٨٣ باب ماجاء فى صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام

١٨٥ باب ماجاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الطعام وبعد مايفرغ منه

١٩٠ باب ماجاء فى قدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٩٢ باب صفة فاكهة رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٩٥ باب صفة شراب رسول الله صلي الله عليه وسلم

الجزء الثاني

من شرح الشمائل الترمذية

الموسوم بالفوائد الجليلة البهية علي الشمائل المحمدية

للعلامة المحقق الفهامة المدقق

من أضاءت معارفه اضاءة الشموس سيدى محمد بن قاسم جسوس

وبهامشه لوامع أنوار الكوكب الدرى فى شرح همزية الامام البوصيرى للعالم النحرير والحبر الكبير ذي التحقيق النفيس سيدى محمد بن احمد بنيس عم الله تعالى الجميع برضوانه وأكرمهم بالمشاهدة فى فسيح جنانه آمين

الطبعة الأولى

مطبوعات
مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده
بميدان الأزهر بمصر

سنة ١٣٤٦ هجرية
سنة ١٩٢٧ ميلادية

(فاطالوا فيه التردد والريب وقالوا سحر وقالوا افتراء) (٢) (واذا البينات لم تغن شيأ * فالتماس الهدى بهن عناء)

(واذا ضلت العقول على علـ
ـم فماذا تقوله النصحاء)

١٤

وانك لعلى خلق عظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

باب
ما جاء في شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

أي في كيفية شربه هل قائما أو قاعدا وهل كان يتنفس أثناء الشرب أولا والشرب هو المص حقيقة ويطلق على غيره مجازا وهو بتثليث أوله مصدر وقد قرئ بالحركات الثلاث قوله تعالى فشاربون شرب الهيم لكن الكسر شاذ وهو في معنى النصيب أشهر كقوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وأما قول ابن حجر انه بالفتح جمع شارب كصحب جمع صاحب فعلى تقدير صحة وروده فلا مناسبة له بالباب قاله في جمع الوسائل (حدثنا أحمد بن منيع نا هشيم) مصغر هشام (نا عاصم الاحول ومغيرة) بضم فكسر هو ابن مقسم الضبي مولاهم الكوفي الفقيه الضرير ابو هشام ثقة متقن مات سنة ثلاثة وثلاثين ومائة (عن الشعبي) تابعي مشهور (عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب) قيل في حجة الوداع (من زمزم وهو قائم) هذا صحيح وفي صحيح مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائما بل في رواية لمسلم من حديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يشربن أحدكم قائما فمن نسي فليستقئ قال الشيخ مجد الدين الفيروزابادي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب غالبا قاعدا وقد شرب مرة قائما فقال بعضهم النهي ناسخ له وقال بعضهم انه ناسخ للنهي وقال بعضهم النهي محمول على التنزيه وشربه قائما لبيان الجواز وقال بعضهم الشرب قائما كان لعذر قال ابن حجر وحيث أمكن الجمع بين احديثين وجب المصير اليه ودعوى النسخ ليست في محلها اه وقال الشيخ محي السنة وأما النهي فنهي أدب وارفاق ليكون تناوله على سكون وطمأنينة فيكون أبعد من الفساد اه اى لان في الشرب قائما ضررا ومن ثم ندب الاستقاء منه حتى للناسي لانه يحرك خلطا يكون القيء دواءه قال ابن القيم وللشرب قائما آفات منها انه لا يحصل به الري التام ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الاعضاء وينزل بسرعة الى المعدة فيخشى منه ان يبرد حرارتها ويسرع النفوذ الى أسافل البدن بغير تدريج وعند احمد عن أبي هريرة انه رأى رجلا يشرب قائما فقال له قئه فقال لم فقال أيسرك ان يشرب معك الهر قال لا فقال له قد شرب معك من هو شر منه الشيطان قال في جمع الوسائل ويمكن ان يكون القيام مختصا بماء زمزم وبفضل ماء الوضوء كما في صحيح البخاري ويأتي في الاصل أيضا عن علي ونكتة التخصيص في ماء زمزم الاشارة الى استحباب التضلع من مائه وفي فضل الوضوء الايماء الى وصول بركته

أي ومن عجيب شأن الكفار انهم مع هذه المعجزات والآيات البينات استمروا على مام عليه من غاية الاعراض والانكار وأطالوا التردد والريب أي الشك فقالوا كما حكاه الله تعالى عنهم في كتابه انه سحر اى تمويه لا حقيقة له وأصل السحر لغة كل ما لطف مأخذه ورق وقالوا مرة أخرى انه افتراء اى كذب وأساطير الاولين وغير ذلك من افترائهم واقتراحهم ومباهتهم وتلبيسهم وضلوا فيما قالوا بل هو كلام الله تفضل بانزاله وهو قرآن مجيد في لوح محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكل ذلك ينادي عليهم بالبوار والعناد وانهم لا عقل لهم ولا رأى ولا استعداد ولكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق لما هو مقرر في العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة انه اذا كانت البينات اى الحجج القاطعة البرهان الواضحة البيان لم تغنهم أي تفدم شيأ من الهدى فالتماس الهدى بهن اى طلبه منهم بتلك الحجج عناء اى تعب لا يجدي وهذا مقتبس من قوله تعالى وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون واذا ضلت العقول عن طريق الحق على علم اى مع علم منها بتلك الطرق اى اضلها الله فاي قول يقوله الانبياء النصحاء بل قولهم حينئذ لا يفيد وهذا مقتبس من قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن

يهديه من بعد الله أفلا تذكرون هذا ولابد من استحضار قوله تعالى لايسئل عما يفعل وهم يسئلون وقوله فى الحديث القدسى هؤلاء الى الجنة ولاأبالى وهؤلاء الى النار ولا ابالى واعتقاد أن التكليف منوط بالظاهر الذى يشعر بالاختيار وبه يثاب من امتثل ويعاقب من خالف ولذا قيل الانسان مجبور فى قالب مختار والمسئلة طويلة الذيل محلها كتب الاصول فلتراجع

(قوم عيسى عاملتم قوم موسى * بالذى عاملتكم الحنفاء (٣) صدقوا كتبكم وكذبتم كتـ * ـبهم ان ذا لبئس البواء)

الى جميع الاعضاء ثم رأيت بعضهم صرح بانه يسن الشرب من ماء زمزم قائما اتباعا له صلى الله عليه وسلم ويؤيده حديث علي الآتى حيث تبعه صلى الله عليه وسلم فى القيام المخصوص ولم ينظر الي عموم نهيه عن الشرب قائما ونازعه ابن حجر بما لا طائل تحته اه * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا محمد بن جعفر عن حسين المعلم عن عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبد الله ان عمرو بن العاصى (عن أبيه) شعيب (عن جده) قال ابن حجر أراد جده بواسطة أو جد أبيه وهو عبد الله الصحابى الجليل الافضل من أبيه والاكثر منه ومن غيره تلقيا وأخذا للعلم عنه صلى الله عليه وسلم وحينئذ فحديثه موصول وروايته محتج بها ولهذا احتج بهذا السند أكثر الحفاظ الى ان قال وانما يكون ذلك لقرائن أثبتت عندهم سماعه من جد أبيه عبد الله انظر تمامه فيه ولم يروشعيب عن أبيه محمد كما تقرر عند النقاد وفى سنن أبي داود والنسائى وغيرهما بلفظ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاصى (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قائما) أى نادر البيان الجواز وحمل النهى علي التنزيه أو لضرورة أو لخصوصية كما تقدم (وقاعدا) أى مرارا كثيرة لبيان الافضل والوجه الاكمل وماقيل من أن النبى صلى الله عليه وسلم منزه عن فعل المكروه فكيف شرب قائما فمردود لانه اذا كان لبيان الجواز فواجب عليه فكيف يكون مكروها * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا ابن المبارك عن عاصم الاحول عن الشعبى عن ابن عباس) زاد فى أكثر النسخ (قال) أى ابن عباس (سقيت النبى صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم) وقد تقدم فالمراد بتعدد الاسناد قوة الاعتماد وفى سياق هذا الحديث اشارة الى تعدد شربه صلى الله عليه وسلم قائما وايماء الى ان أحدها كان علي يد ابن عباس رضى الله عنهما والله أعلم قاله فى جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ومحمد بن طريف) بفتح المهملة (الكوفى قالا حدثنا الفضيل عن الاعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال أتى علي بكوز من ماء) الكوز ما اتسع رأسه من أواني الشراب اذا كان بعراً وآذان ويجمع على كيزان وأكواز فان لم يكن لها خراطيم ولا عرا فهى أكواب واحدها كوب فان كانت ملأى من شراب فهي أكواس قاله فى المشارق (وهو فى الرحبة) بفتح الراء والحاء وتسكن المكان المتسع والمراد هنا رحبة مسجد الكوفة وكانت وسطه كان علي رضى الله عنه يقعد فيه ويعظ (فأخذ منه) أى الكوز أو الماء (كفا) أى قدر كف من الماء (فغسل يديه) أى الى رسغيه (ومضمض واستنشق ومسح وجهه وذراعيه ورأسه) يبعد كل البعد غسل هذه الاعضاء ومسح بعضها من كف واحد فيكون قوله ومضمض وما بعده معطوفا علي أخذ لا علي غسل (ثم شرب وهو قائم) لم يذكر غسل الرجلين فيحتمل ان المراد غسل رجليه كما فى رواية ثم شرب وعليه فالمراد وضوء التجديد ويحتمل انه لم يغسل رجليه فالمراد الوضوء اللغوى وهو مطلق التنظيف وعلي الاول فأراد بمسح الوجه والذراعين الغسل الخفيف وقد ورد مصرحا به فى بعض الروايات (ثم قال هذا) اى ماذكر

لما فرغ الناظم رحمه الله من الكلام علي حال المشركين وما آل اليه أمرهم شرع فى الكلام مع أهل الكتابين فقال ياقوم عيسى المدعوين بالنصارى عاملتم قوم موسى وهم اليهود بالتصديق بكتابهم وهو التوراة الذى عاملتكم بنظيره وهو التصديق بكتابكم الذى هو الانجيل الحنفاء أى المسلمون جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين القويم ثم بين ما أبهمه بقوله صدقوا أى قوم عيسى كتبكم وهي التوراة وما بعدها كالزبور وكذبتم أيها اليهود كتبهم أى الانجيل وجمعه للمشاكلة أو لتنزيله منزلة كتب متعددة باعتبار أجزائه وفى هذا التفات لان قوم عيسى خوطبوا أولا وأعيد لهم ضمير الغيبة وقوم موسي بالعكس وبين موسى وعيسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الآتيين وفى التصديق والتكذيب الطباق وقوله ان ذا أى الذى فعلتموه معشر اليهود لبئس البواء أي الصنيع الذى رجعتم به القهقري فهو مقتبس من قوله تعالى وباؤا بغضب من الله ويحتمل أن يكون المراد بالبواء الجواب كما فى القاموس ويحتمل أن يكون ضمير صدقوا عائدا علي الحنفاء وضمير كتبكم وكذبتم لليهود والنصارى وكتبهم للحنفاء ويكون ذلك تفسير العاملتكم الحنفاء

(لو جحدنا جحودكم لاستوينا * أو للحق بالضلال استواء)

الجحود الانكار عن علم اى لو انكرنا كتابكم كانكاركم كتابنا وكتاب عيسي لاستوينا نحن وأنتم ايكون ذلك مناوليس للحق وهو مانحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله مساواة بالضلال وهو مامنم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض

(مالكم اخوة الكتاب أناسا * ليس يرعى للحق منكم اخاء يحسد الاول الاخير ومازا * ل كذا المحدثون والقدماء)

أي أي شيء حصل لكم ياإخوة الكتاب من اليهود والنصارى سمام بذلك لانه لما جمعهم مافيه من التكاليف والاحكام صاروا مستوين فيه كاستواء الاخوة في الانتساب الى أصل واحد حال كونكم اناسا ليس شأنكم أنه يرعى للحق منكم اخاء بكسر الهمزة نائب فاعل يرعى ويجوز أن يكون اسم ليس (٤) ونائب الفاعل ضميره والاخاء مصدر آخاه اخاء ومؤاخاة أي ليس يصدر منكم مراعاة للدين الحق بالقيام بما يجب له من الحقوق التي منها تصديق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما في كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفي اخاء مع اخوة رد العجز على الصدر وبينهما جناس الاشتقاق ومن عدم رعايتكم لذلك انه يحسد الاول الاخير كما وقع لليهود انهم حسدوا عيسى صلى الله عليه وسلم حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم بل رفعه الله اليه لينزل آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقبل جزية وانما الاسلام اوالسيف ومازال كذا اي هكذا المذكور من حسد الاول الاخير المحدثون والقدماء من لدن آدم الى اليوم كما اشار اليه بقوله

(قد علمتم بظلم قابيل هابيـ ـل ومظلوم الاخوة الاتقياء)

قد للتحقيق علمتم ياأهل الكتاب بظلم قابيل باضافة المصدر الى فاعله وهو اول اولاد آدم وهم اربعون ولدتهم حواء في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وانثى وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا اربعين ألفا وكان من شريعته ان اختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الآخر وبالعكس (حدثنا وهابيل هو ثاني اولاد آدم عليه السلام وكان قتله اياه بشدخ رأسه بين حجرين حسدا له على الدين من أجل كون الله تعالى تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه كما حكى الله تعالى ذلك في كتابه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام كن خير ابني آدم كن عبدالله المقتول ولا تكن عبدالله القاتل روى ان آدم لما امر قابيل ان يزوج اخته لهابيل امتنع فأمرهما ان يقربا قربانا لله وكانت العلامة على

والاشارة لما عدا الشرب (وضوء من لم يحدث) أي من لم يرد طهر الحدث بل أراد التجديد أو التنظيف والا فوضوء المحدث معلوم بشرائط معروفة (هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل) من بعض المشار اليه الشرب قائما وهذا سبب ايراد هذا الحديث في هذا الباب وتقدم عن جمع الوسائل ان شربه قائما من فضلة الوضوء يحتمل ان يكون اشارة لندب الشرب قائما من فضلة الوضوء ويدل عليه عمل علي بعده ولو كان فعله صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز لكان ترك علي له أفضل * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد ويوسف بن حماد قالا نا عبد الوارث بن سعيد عن أبي عاصم) كذا في نسخة وفي أخرى عصام بكسر المهملة روى له مسلم وأبو داود والنسائي (عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتنفس في الاناء ثلاثا اذا شرب) في الصحيحين عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي ان يتنفس في الاناء فالمعنى انه كان يشرب ثلاث مرات وفي كل ذلك يبين الاناء عن فيه فيتنفس ثم يعود والمنهي عنه هو التنفس في الاناء بلا ابانة (ويقول) أي النبي صلى الله عليه وسلم (هو) اي الشرب بالتنفس ثلاثا (أمرأ) أي أسوغ وألذ أفعل من مرؤ الطعام والشراب في بدنه اذا خالطه بسهولة ولذة وفي رواية أبرأ وهو بمعنى أمرأ أي أحسن شربا وأقله ضررا (وأروى) من الري أي أشد رياو أبلغه وأنفعه وأقمع للعطش وقد ورد بسند حسن انه صلى الله عليه وسلم كان يشرب في ثلاثة أنفاس واذا أدنى الاناء الى فيه سمى الله واذا أخره حمد الله يفعل ذلك ثلاثا وورد انه صلى الله عليه وسلم نهى عن العب نفسا واحدا وقال ذلك شرب الشيطان رواه البيهقي عن ابن شهاب مرسلا وفي رواية لابي نعيم في الطب وابن السني والبيهقي عن أبي حسين مرسلا اذا شرب أحدكم فليمص الماء مصا ولا يعبه عبا فان الكباد من العب وفي مسند الفردوس عن علي مرفوعا اذا شربتم الماء فاشربوه مصا ولا تشربوه عبا فان العب يورث الكباد بضم الكاف وتشديد الباء وجع الكبد ويخاف من الشراب عبا الشرق لانسداد مجرى الشرب لكثرة الوارد عليه فاذا شرب على دفعات أمن من ذلك وفي حديث البيهقي عن أنس مرفوعا التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان وفي رواية ابي داود والحاكم والبيهقي عن سعد مرفوعا التؤدة في كل شيء خير الا في عمل الآخرة قال عياض اختلف السلف في الاخذ بظاهر هذه الاحاديث فكره بعضهم الشرب من نفس واحد منهم بن عباس وطاوس وعكرمة وقالوا هو شرب الشيطان واباحه جماعة منهم ابن المسيب وعطاء بن ابي رباح وعمر بن عبدالعزيز ومالك ابن انس اه وانما نهى عن التنفس في الاناء لانه يغير الاناء اما لتغير الفم بما كول او ترك سواك اولان النفس يصعد ببخار المعدة قال ابن العربي وبالجملة فالتنفس في داخل الاناء يعلق به روائح منكرة فيفسد الماء وذلك معلوم بالتجربة ولهذا قلنا ان الشرب على الطعام لا يكون حتى يمسح فمه ولا يدخل حرف الاناء في فيه بل يجعل الحرف على الشفة السفلى ويشرب الماء بالشفة العليا مع نفسه الجاذب فاذا جاء نفسه الخارج نزع الاناء عن فيه * قال المصنف

قوله اذ ذاك نزول نار من السماء تأكله فقرب كل منهما قربانه وقربان هابيل كبش وقربان قابيل زرع فتقبل قربان هابيل فزاد حسده الى أن قتله ﴿ تنبيه ﴾ ماذكرناه تبعا للشارح من أن حواء ولدت فى كل مرة ذكرا وأنثى ليس على اطلاقه لانها ولدت شيثا الذى هو من عمود نسب النبى صلى الله عليه وسلم وحده كما نبه عليه ابن الجوزى فى كتابه جلوة الاحزان ونصه فولدت له أربعين ولدا فى عشرين بطنا ووضعت شيثا وحده كرامة لمن أطلع الله عز وجل بالنبوة سعده (٥) قوله ومظلوم الاخوة يصح أن يكون مظلوم جمع تصحيح حذفت منه النون للاضافة ثم الواو تخفيفا كما قيل فى قوله تعالى وصالح المؤمنين ويصح أن يراد به الجنس كما قيل به فى الآية أيضا والاتقياء جمع تقى أى المتصفون بالتقوى واضافته بمعنى من أى لايظلم من الاخوة الا الاتقياء بل الاتقى منهم لانه هو الذى يصبر على أذى اخوته ولا ينتقم لنفسه وهذا فى معنى ارسال المثل للاستدلال به على ماقبله كقوله فيما تقدم ومازال الخ *(فائدة)* قال ابن جزى فى تفسيره الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصى الله بها فى السماء وفى الارض أما في السماء فحسد ابليس لآدم وأما في الارض فقتل قابيل لاخيه هابيل بسبب الحسد ثم ان الحسد على درجات الاولى أن يحب الانسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وان كانت لاتنتقل اليه بل يكره انعام الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها ورجاء انتقالها اليه الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وانما هو غبطة والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات احداها اكتساب الذنوب لان الحسد حرام الثانية سوء الادب مع الله تعالى فان حقيقة الحسد كراهة انعام الله على عبده واعتراض على الله فى فعله الثالثة تألم قلبه وكثرة همه وغمه فنرغب الى الله تعالى أن يجعلنا محسودين لاحاسدين فان المحسود ذو نعمة والحاسد فى كرب ونقمة ولله در الشاعر فى قوله

اني لارحم حاسدى لفرطما * ضمنت صدورهم من الاوغار

(حدثنا علي بن خشرم) بفتح الخاء وسكون الشين المعجمتين (ناعيسى بن يونس عن رشدين) بكسر فسكون معجمة فدال مكسورة فتحتية ساكنة فنون ضعيف (ابن كريب) بالتصغير (عن أبيه) أى كريب وهو ثقة (عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا شرب تنفس مرتين) أي فى بعض الاوقات وبه يجمع بين الروايات ويؤيده مارواه المصنف فى جامعه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لاتشربوا واحدا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا اذا أنتم شربتم واحمدوا اذا أنتم رفعتم وفى رواية البخارى مرتين اوثلاثا واو للتنويع لانه ان روى بنفسين اكتفى بهما والا فثلاث وهذا ليس نصا فى الاقتصار على المرتين بل يحتمل أن يراد به التنفس فى الاناء وسكت عن النفس الاخير لانه من ضرورة الواقع فى الختم وفى كلام الحافظ العراقى مايشير الى حصول أصل السنة بالتنفس مرتين وان كالها انما يكون بثلاث وان كفى مادونهما * قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر نا سفيان عن يزيد بن يزيد) اتفق اسم الولد والاب وهذا كثير (ابن جابر عن عبد الرحمن بن أبي عمرة) قيل اسمه أسيد وقيل اسامة (عن جدته كبشة) بفتح الكاف وسكون الموحدة فشين معجمة هى أما بنت ثابت بن المنذر الانصارية أخت حسان لها صحبة وحديث ويقال كبيشة بالتصغير وأما بنت كعب بن مالك الانصارية زوج عبدالله بن أبى قتادة لها صحبة وتعرف بالبرصاء وهى جدة عبد الرحمن بن أبى عمرة وهو الراوى عنها (قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من فى قربة معلقة قائما) وردعنه صلى الله عليه وسلم النهى عن الشرب من فى السقاء لانه ربما يكون فيها مايؤذي ولا يراه الشارب وفى رواية نهي عن اختناث الاسقية واختناثها أن يقلب رأسها ثم يشرب منه ففعله صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز وان النهي للتنزيه لبيان الافضل والاكمل اولمكان الضرورة وتقدم مافى شربة قائم مع نهيه عن ذلك (فقمت الى فيها) اى قاصدا الى فم القربة (فقطعته) اى لاجل التبرك اوعدم الابتذال أولهما معا * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا عزرة بن ثابت الانصارى عن ثمامة بن عبدالله قال كان أنس بن مالك يتنفس فى الاناء ثلاثا وزعم أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم) بفتح ان لانه مفعول زعم وان كان بمعنى قال (كان يتنفس فى الاناء ثلاثا) تقدم معناه * قال المصنف (حدثنا عبدالله بن عبد الرحمن نا ابو عاصم عن ابن جريج عن عبد الكريم) اى ابن مالك الجزرى (عن البراء بن زيد) بالتنوين (ابن ابنة أنس بن مالك) صفة ثانية للبراء (عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل) زاد فى نسخة علي أم سليم (وقربة معلقة فشرب من فم القربة وهو قائم فقامت أم سليم) هى أم انس بن مالك وقد اختلف فى اسمها (الى رأس القربة) اى فمها (فقطعتها) فى نسخة فقطعته وهو القياس والتأنيث باعتبار المضاف اليه اوباعتبار كونه قطعة فى المآل زاد فى رواية لابى الشيخ وقالت لايشرب منها أحد بعده * قال المصنف (حدثنا أحمد بن نصر النيسابوري) كان يذاكر مائة الف حديث وصام

نظروا صنيع الله بي فعيونهم * في جنة وقلوبهم في نار (وقول الآخر) ان يحسدوني فاني غير لائمهم *
قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا فدام لي ولهم مابي ومابهم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد ثم ان الحسود
لا تزول عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشتكي كانه مظلوم ولقد صدق القائل كل العداوة قد ترجى ازالتها *
الا عداوة من عاداك من حسد (٦) (وقد قال حكيم الشعراء) وأظلم خلق الله من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

(وسمتم بكيد أبناء يعقو
ب أخاهم وكلهم صلحاء
حين ألقوه في غيابة جب
ورموه بالافك وهو براء)

عدل عن قوله أنبياء الى قوله صلحاء لانه الامر المتفق عليه بخلاف يوسف فنبي اتفاقا وأخرج ابن جرير وابن المنذر ان أباعمرو قيل له كيف تقرأ ترتع ونلعب بالنون وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء وقد قيل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط انه نص على نبوتهم لان الاسباط أولاد يعقوب باتفاق وهم اخوة يوسف وذهب الجمهور الى ان المراد من نبئ من أبناء الاسباط وقوله حين القوه ظرف لكيدوالجب البئر الكثير الماء وبعيدة القعر او التي لم تطو وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه عليهم مع كونه أصغرهم بما أنبأت عنه رؤياه المذكورة في سورة يوسف اذ الاحد عشر كوكبا مثال لهم والشمس والقمر أبوه وخالته وسجود الكل له دخولهم تحت أمره وطاعته فكان الامر كذلك فانهم لما جاؤا اليه مع أبيهم وخروا له سجدا قال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل الآية ومن كيدهم له أيضاً أنهم رموه بالافك أي السرقة حيث قالوا ان يسرق أي بنيامين في قصة الصواع فقد سرق أخ له من قبل أي يوسف وأصل الافك أسوأ الكذب وبراء بفتح الباء أي بريء منه وليس مارموه به بسرقة فقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى قالوا ان يسرق الآية قال سرق يوسف صنما لجده أبي أمه من ذهب وفضة فكسره فألقاه على الطريق فعيره اخوته بذلك وانما أراد بذلك الخير وفي رواية ان

نيفا وثلاثين سنة وتصدق بخمسة آلاف درهم مات سنة تسع وتسعين ومائتين (نا اسحق بن محمد الفروى نا عبيدة) بالتصغير (بنت نائل) بالهمز كبائع (عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص) الزهرية المدنية ثقة من الرابعة عمرت حتى أدركها مالك وماتت بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة عن أربع وثمانين سنة ووهم من زعم ان لها رؤية خرج لها البخاري وأبوداود والنسائي (عن أبيها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشرب قائما وقال بعضهم) وفي نسخة قال أبوعيسى وقال بعضهم أي بعض المحدثين (عبيدة بنت نابل) بكسر الباء الموحدة ولم يصحح العسقلاني في كتاب التقريب عبيدة ولا أباها بل قال عبيدة بنت نائل مقبولة من السابعة ولم يزد على ذلك شيأ

باب
ماجاء في تعطر رسول الله صلى الله عليه وسلم

اي استعماله العطر اى الطيب وكان صلى الله عليه وسلم طيب الريح دائما وان لم يمس طيبا كما جاء في الاخبار الصحاح وكان مع ذلك يحب استعمال الطيب استكثاراً للروائح الحسنة لانه كان يناجي الملائكة وتشريعا لامته وسيأتي في باب الخلق قول أنس ماشممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيأ أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد الا عرف انه سلكه من طيبه عليه السلام وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب قالوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها وكان يضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بطيب الرائحة وفي صحيح مسلم انه نام عند أم سليم فعرق فسلتت عرقه في قارورتها فاستيقظ فقال ماهذا الذي تصنعين ياأم سليم فقالت هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب وروى أبو يعلى والطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم سلت من عرقه لمن استعان به على تجهيز بنته وجعله في قارورة وقال مرها فلتتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين قلت ويفهم من قوله الاعراف انه سلكه ومن قوله فيعرف من بين الصبيان ومن قول أم سليم هو أطيب الطيب ومن قوله شم اهل المدينة ذلك الطيب ان طيبه عليه السلام لايشبهه طيب فتنبه لذلك قال ابن حجر وأما الخبر المروى في مسند الفردوس وغيره ان الورد الابيض خلق من عرقه صلى الله عليه وسلم والاحمر من عرق جبريل والاصفر من عرق البراق فقال النووي لايصح اه وكذا حديث من شم الورد ولم يصل على فقد جفاني كل ذلك لاأصل له انظر ابن حجر وقد ذكر ابن حجر وغيره بعض ما للائمة مني الادلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم ثم قال قيل وسببه شق جوفه الشريف وغسل باطنه صلى الله عليه وسلم فانظره وقد تقدم في حديث هند عند قوله مفلج الاسنان الكلام على ريقه صلى الله عليه وسلم (حدثنا محمد بن رافع) أي القشيري النيسابوري

سمع

أمه أمرته بذلك لانها كانت مسلمة فالذي وقع منه صورة سرقة فذكروها تعييرا له فهم لم يكذبوا وانما الذي وقعوا فيه أنهم عيروه بما لا عار فيه بل بما فيه غاية الرفعة والمدحة له لكن لما سموه سرقة على طريق التعيير صح للناظم أن يقول ورموه بالافك والذي يجب اعتقاده نزاهة اخوة يوسف وبراءتهم من كل ما لا يليق بهم لاحتمال أن ما ارتكبوه لهم فيه تأويل باعتبار شرعهم انظر ابن حجر

(فتأسوا بمن مضى اذ ظلمتم * فالتأسي للنفس فيه عزاء) فتأسوا أي (٧) تعزوا اذ التأسي التعزي من تأسيت بفلان تعزيت به أي حملت حالي على حاله ففي التأسي تسكين النفس على الامر الشاق وتصبر ما عليه والتعزي الحمل على الصبر بوعد الأجر أي قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدائد والمحن وصبروا عليها ففازوا برضا الله فاقتدوا بمن قبلكم من الكمل في ذلك وقت أن ظلمتم من الكفار بما رموكم به من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال فالتأسي في المصائب لاسيما بالكمل فيه عزاء للنفس أي تسل وتصبر بحملها على أن لا يصدر منها الا كمال الأخلاق والأعراض عن النظر الى ما يصدر من أهل النفاق والشقاق كما قالت الخنساء في أخيها صخر

وما يبكون مثل أخي ولكن
أعزي النفس عنه بالتأسي

سمع ابن عيينة ومعن ابن عيسى والنضر بن شميل وغيرهم روى عنه البخاري ومسلم وكان فوق الثقة قال زكريا بعث اليه طاهر بن عبد الله بخمسة آلاف درهم بعد العصر وهو يأكل الخبز مع الفجل فلم يقبل وقال قد بلغت الشمس رؤس الحيطان أي قربت أن تغرب مات في سنة خمس وأربعين ومائتين (وغير واحد) أي كثير من المشايخ سوى محمد بن رافع (قالوا أخبرنا أبو أحمد الزبيري نا شيبان عن عبد الله بن المختار عن موسى ابن أنس بن مالك عن أبيه قال كان) وفي نسخة كانت (لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكة) بضم السين المهملة وتشديد الكاف طيب مركب قال الفيروزابادي صاحب القاموس السك طيب يتخذ من الرامك مدقوقا منخولا معجونا بالماء ويمسح بدهن الخيري لئلا يلتصق بالاناء ويترك ليلة ثم يسحق المسك ويخلط به ويعرك عركا شديدا ويقرص ويترك يومين ثم يثقب بملة وينظم في خيط قنب ويترك سنة وكلما عتق طابت رائحته والرامك كالصاحب شيء أسود وقد تفتح الميم ويحتمل أن يكون المراد بالسكة وعاء فيه طيب قال العسقلاني فان كان المراد بها نفس الطيب فالظاهر أن يقال كلمة من في قوله (يتطيب منها) للتبعيض ليشعر بانه يستعمل في دفعات بخلاف ما لو قال بها فانه يوهم انه يستعملها دفعة واحدة وان كان المراد بها الوعاء فمن للابتداء اه وروى النسائي والبخاري في تاريخه عن محمد بن علي قال سألت عائشة أكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب قالت نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر في النهاية ذكارة الطيب وذكورته ما يصلح للرجال وهو ما لا لون له كالمسك والعنبر والعود * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا عزرة بن ثابت عن ثمامة بن عبد الله قال كان أنس بن مالك لا يرد الطيب وقال أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب) هذا حديث صحيح اخرجه احمد والبخاري والنسائي وقد ورد النهي عن رده مقرونا ببيان الحكمة في حديث صحيح رواه ابو داود والنسائي وابو عوانة من طريق عبيد الله بن ابي جعفر عن الاعرج عن ابي هريرة مرفوعا من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة وفي مسلم مثله الا انه قال ريحان بدل طيب والمحمل بفتح الميم الاولى وكسر الثانية والمراد به هنا الحمل بالفتح والمعنى انه ليس بثقيل بل قليل المنة وهو مع ذلك طيب الرائحة فالهدية اذا كانت قليلة وتتضمن منفعة فلا ترد لئلا يتأذى المهدي ويأتي تعليله ايضا بانه خرج من الجنة * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا ابن ابي فديك) اسمه محمد بن اسمعيل بن مسلم بن ابي فديك (عن عبد الله بن مسلم بن جندب) بضم الجيم والدال ويفتح (عن ابيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث) اي ثلاث هدايا (لا ترد الوسائد) جمع وسادة وهي ما يجعل تحت الرأس عند النوم ويقال المخدة لوضعها تحت الخد قال المناوي والظاهر ان المراد انها اذا بسطت ليجلس عليها ينبغي ان يجلس عليها اذ لا منة في الاستناد اليها ولو نفيسة وليس المراد قبول عين الوسادة اذا أهديت (والدهن) لعل المراد الدهن الذي فيه طيب (واللبن) قال ابن حجر وغيره ويلحق بهذه الثلاثة

(أتراكم وفيتم حين خانوا
أم تراكم أحسنتم إذ أساؤا)
(بل تمادت على التجاهل آبا
ء تقفت آثارها الأبناء)

الفاعل لأهل الكتاب والمفعول المسلمين أي أتظنكم أهل الكتاب وفيتم بما عاهدتم الله تعالى عليه فاظهرتم الحق ودمتم على العمل به حين خانوا ما عاهدوا الله عليه وكتموا الحق وأبوا قبوله من غيرهم أم تظنكم أي أهل الكتاب يا أيها الحنفاء أحسنتم في اتباع نبيكم في جميع ما جاء به فلم تغيروا منه شيأ قط ولم تبدلوا في حياته ولا بعد وفاته اذ أساؤا بمخالفوا ولم يتبعوا ما شرعه أنبياؤهم بل بدلوا وغيروا وكتموا ايثارا للحظوظ الدنيوية على الدرجات الاخروية بل لا يرون شيأ من ذلك وتتابعت واستمرت على التجاهل الموجب لرفض الحق واتباع الباطل اي اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وتبعت الابناء آثار الآباء الباطلة كما قال الله تعالى حكاية عنهم انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون

أعزي النفس عنه بالتأسي

(بينته توراتهم والاناجيـ * ـل وهم فى جحوده شركاء) اى بينت التوراة والاناجيل الحق الذى من جملته نبوة سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته والتوراة من أوريت الزند قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور والاناجيل جمع انجيل من نجل
الشيء اخرجه وجمعه باعتبار أجزائه يشير الى قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الاي الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة
والانجيل الآية وهذا من أعظم الدلالة (٨) علي صحة نبوته وعموم رسالته وانه على السنة الواضحة من أمره لانه صرح
بذلك علي رؤس اهل الكتابين ولم يخش ان أحدا منهم يقول ليس كذلك فى كتابنا فاذا صرح بذلك ولم يعترضوه كانوا عالمين به وكان تحلفهم عن اتباعه لمحض العناد والفساد والحسد ولذا قال جل من قائل يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به وأخرج ابن عساكر ان عبدالله بن سلام رضى الله عنه لما سمع بمخرج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له انت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال انشدك بالله الذى انزل التوراة علي موسى أتجدنى فى التوراة قال انسب ربك فارتج النبى صلى الله عليه وسلم فقال جبريل قل هو الله أحد الى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد انك لرسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد صفتك فى كتاب الله اى التوراة ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولاسخاب فى الاسواق ولايجزى السيئة بمثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم لا به الملة العوجاء يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وأخرج البيهقى وابو نعيم عن كعب مثله والبخارى عن عمرو بن العاصي نحوه
بزيادة قوله وهم فى جحود شركاء اى اليهود والنصارى شركاء فى جحودهم الحق الذى بينته التوراة والانجيل فلعنة الله على الكافرين

كل مالامنة عرفا في قبوله ولبعضهم

عن المصطفى سبع يسن قبولها * اذا ما بها قد أتحف المرء خلان
فحلو وألبان ودهن وسادة * ورزق لمحتاج وطيب وريحان

* قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا ابو داود) قيل اسمه عمرو بن سعد (الحفرى) بفتح الحاء المهملة والفاء نسبة الى حفرة محل بالكوفة (عن سفيان) الثورى (عن الجريرى) بضم الجيم وفتح الراء الاولى اسمه سعيد بن اياس (عن ابي نضرة) المنذر بن مالك (عن رجل) وفي نسخة عن الطفاوى بضم الطاء المهملة والفاء منسوب لطفاوة حى من قيس عيلان وهو مجهول أيضا ففى الحديث مجهول على كل تقدير لكن حسنه المؤلف فى جامعه وان كان فيه مجهول لانه تابعى والراوى عنه ثقة فجهالته تغتفر من هذا الوجه (عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الرجال) جاء الطيب مصدرا واسما وهو المراد هنا ومعناه مايتطيب به واستبعد ابن حجر ارادة المصدر (ماظهر ريحه وخفى لونه) كماء الورد والمسك والعنبر وأما مايظهر لونه فمن زينة النساء وحليتهن وملعون من الرجال من تشبه بالنساء فلايتزين الرجل بالنواوير كالقرنفل والورد والريحان والنسرين والياسمين وان كان يجوز له ان يشمه (وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه) كالزعفران والحناء قال العلماء هذا انما يتعين عند خروجهن لان مايظهر ريحه يجر الى الفتنة اذا خرجن فى النسائى عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية وروى احمد ومسلم وابو داود والنسائى عن ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أيما امرأة اصابت بخورا فلاتشهد معنا العشاء الآخرة واما اذا كانت عند زوجها فلتتطيب بما شاءت قالوا ويتأكد الطيب للرجال فى نحو يوم الجمعة والعيد وعند الاحرام وفى حضور المحافل وقراءة القرآن والعلم والذكر ليدفع عن نفسه مايكره من الروائح وليدخل علي اخوانه المؤمنين بذلك راحة ويدفع عنهم بضدها مضرة وليظهر مروأته ونظافته وقد بنى الاسلام علي النظافة ولايفعل ذلك فخرا ورياء واختيالا بدنياه ومباهاة بوجده والله لايحب كل مختال فخور ويقال ليس شيء أضر على النفس من الروائح القبيحة وليس شيء يلائمها وينعشها أكثر من الروائح الطيبة ففيها غذاء للنفس وتقوية للقلب ويتأكد لكل من الرجل والمرأة عند المباشرة فانه من حسن المعاشرة * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر) بضم الحاء المهملة وسكون الجيم (نا اسمعيل بن ابراهيم عن الجريرى عن ابي نضرة عن الطفاوى) تقدم انه مجهول لايعرفه اسمه (عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله) اى مثل الحديث السابق فى اللفظ والمعنى فقوله (بمعناه) للتأكيد كما ان ايراد هذا الاسناد لزيادة الاعتماد فى الاسناد كذا في جمع الوسائل ومقتضى ماسبق فى بيان اصطلاحهم فى نحوه ومثله ان يكون قوله بمعناه لبيان ان المثل هنا لم يستعمل فى معناه عند الاطلاق وهو ان الموافقة فى اللفظ والمعنى وانما هو مستعمل بمعنى نحوه فيكون قوله بمعناه للتأسيس

(ان يقولوا ما بينته فازا * لت بها عن عيونهم عشواء) (او يقولوا قد بينته فالـ * ـاذن عما تقوله صماء)

اى ان يقل اهل الكتاب لم تبين ذلك الحق توراتهم والاناجيل فازالت بها اى بالتوراة والانجيل عن بصائرهم ظلمة مانعة لهم من ابصارهم الحق والعشواء الناقة التى لا تبصر امامها فعى تخبط بيديها على كل شيء يقال ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء أى ناول الامر على غير بصيرة فاشار الى المثل وفيه استعارة بالكناية لانه شبه (٩) العيون بالبصائر والعشواء بالظلمة واثبات الظلمة للعيون تخييل وفى قوله مابينته ترشيح لانه يناسب المشبه به أو يقول اليهود والنصارى قد بين الكتابان الحق كما هو الحق فاى شيء حصل للاذن التى هي آلة السمع حتى انها عما تقوله التوراة والاناجيل صماء أى غير سامعة سماع قبول أى فلا موجب للاعراض عن ذلك الامحض العناد والحسد واسناد القول الى الكتب فيه مجاز او استعارة

(عرفوه وأنكروه وظلما كتمته الشهداء)

مفعول عرفوا وأنكروا يحتمل الحق والنبى صلى الله عليه وسلم اى عرفوه معرفة يقين ببواطنهم وأنكروه بظواهرهم كما قال الله تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وظلما مفعول لاجله وضمير كتمته يعود على الحق المذكور والشهادة بدل اشتمال من مفعول كتمته اى كتمت الشهادة به الشهداء الذين هم اهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصفة دينه وجميع أمره معرفة قطعية ثم أنكروا ذلك حسدا وعنادا وبغيا ومباهتة وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى لهم ماينالوه منهم من الحطام الفانى ايثارا على الدين الموجب للسعادة الدائمة اى أيكتمون ذلك ويظهرون

لا للتأكيد وقد تقدم ان كلا منهما قد يستعمل فى موضع الآخر * قال المصنف (حدثنا محمد بن خليفة وعمرو بن على قالا نا يزيد بن زريع نا حجاج الصواف عن حنان) بفتح الحاء المهملة وتخفيف النون الاولى وستأتى ترجمته عند المصنف وفى نسخة بفتح أوله فوحدة مخففة وفى نسخة بموحدتين (عن أبى عثمان النهدى) بفتح النون وسكون الهاء منسوب الى بنى نهد قبيلة من اليمن واسمه عبد الرحمن بن مل بتثليث ميم ولام مشددة مشهور بكنيته ادرك الجاهلية وأسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يلقه سمع عمر وابن مسعود وأبا موسى وروى عنه قتادة وغيره ثقة ثبت عابد مات سنة خمس وتسعين وقيل بعدها وعاش مائة وثلاثين سنة وقيل أكثر والحديث مرسل كما صرح به السيوطى فى الجامع الصغير فقال رواه أبو داود فى مراسيله والترمذى عن أبى عثمان النهدى مرسلا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعطى احدكم الريحان) هو كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم على مافى النهاية واهل المغرب يخصونه بالآس والآس هو المراد فى حديث ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر واهل العراق والشام يخصونه بالحبق وقيل يحتمل ان يراد به الطيب كله ليوافق مامر ويطابق رواية أبى داود من عرض عليه طيب ورواية البخارى كان صلى الله عليه وسلم لا يرد الطيب (فلا يرده) بفتح الدال وهو نص فى كونه نهيا وروى بضمها فيحتمل النهى والنفى بمعنى النهى كقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون (فانه خرج من الجنة) اي والجنة محبوبة ومحبها لا يرد من محبوبه فان كل ماينسب للمحبوب محبوب ويعنى ان اصل الطيب من الجنة وليس المراد ان طيب الدنيا خرج بعينه من الجنة فان طيب الجنة يوجد ريحه من مسيرة خمسمائة عام كما فى الحديث وخلق الله سبحانه الطيب فى الدنيا ليذكر به العباد طيب الآخرة ويرغبوا فى الجنة ويزيدوا فى الاعمال الصالحة الموصلة اليها (قال ابو عيسى لا نعرف لحنان) اى المذكور فى السند (غير هذا الحديث) بنصب غير وفى نسخة لا يعرف لحنان بياء الغيبة مبنيا للمجهول فيكون غير مرفوعا ويوجد فى بعض النسخ مانصه (وقال) عطف على لا نعرف من مقول المصنف (عبد الرحمن بن أبى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل حنان الاسدى) بفتحتين ويسكن ويقال الازدى بالزاى الساكنة بدل السين (من بنى أسد بن شريك) اسد بن شريك بطن من الازد ويقال للاسد أزد (وهو صاحب الرقيق) بفتح الراء وكسر القاف الاولى (عم والد مسدد) قال العسقلاني حنان كوفى مقبول من السادسة وقال غيره يعد من أهل البصرة وكان فى الاصل كوفيا وهو مقل جدا له هذا الحديث الواحد المرسل (وروى) اي حنان (عن ابى عثمان النهدى وروى عنه) أى عن حنان (ابن ابى عثمان الصواف) اسمه الحجاج (سمعت) اى قال عبد الرحمن سمعت (أبي) يعنى أبا حاتم (يقول ذلك) اي هذا القول فى ترجمة حنان * قال المصنف (حدثنا عمر بن اسمعيل بن مجالد بن سعيد الهمداني نا أبى) أى سعيد (عن بيان عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله) أى البجلى صحابى مشهور

(٢ ـ جسوس ـ ثانى)

أو نور الاله تطفئه الافـ*ـواه وهو الذى به يستضاء)

الضلال ونور الله الذى هو النبوة والرسالة تطفئه اى تذهب نوره الافواه لا يكون ذلك كما قال تعالى يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وكيف يطفأ ذلك النور الالهى وهو الذى به يستضاء ظاهرا وباطنا أي يبصر

الحق من الباطل والصادق من الكاذب (أولاينكرون من طحنتهم * برحاها عن أمره الهيجاء)

أي أيستمرون علي ضلالهم وادعاء انهم محقون وينكرون نبوته ولاينكرون من طحنتهم أى أهلكتهم برحاها أى أسلحتها عن أمره الهيجاء أى حربه صلى الله عليه وسلم (١٠) أى لاينبغى لهم ذلك بل الذى ينبغى لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بأنهم ان استمروا عليه طحنهم صلى الله عليه وسلم برحى حربه كما طحن آباءهم وأبناءهم وأهاليهم بجلاء بنى النضير الى الشام وقتل بنى قريظة

(وكسام ثوب الصغار وقد طلـ لمت دما منهم وصينت دماء)

أى ولشدة بأسه وظهور نصرته صلى الله عليه وسلم كسام ثوب الصغار أى الذل والهوان كضرب الرق علي غير المقاتلين من بنى قريظة استعار اللباس للصغار علي حد قوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما يلائم المشبه به وهو الكسوة وبما يلائم المشبه وهو طلول دماء وصون دماء فالاولى ترشيحية والثانيه تجريدية أى والحال انه قد طلت أى دفعت وهدرت دما منهم قصره ضرورة كبنى قريظة وصينت دماء منهم كبنى النضير والمراد دماء المسلمين لان الله تعالي جعل لهم الغلبة والدائرة علي اعدائهم

(كيف يهدى الاله منهم قلوبا حشوها من حبيبه البغضاء)

أى اذا تقرر اتصاف أهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق لهم ان يقال في حقهم كيف يهدى أى يوصل الاله قلوبا منهم حشوها أي ملؤها البغضاء أى شدة البغض لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فمن بمعنى اللام المعدية تتعلق بالبغضاء ويصح أن تكون تعليلية أي من أجله أو للبدل أى حشوها بغضه بدل حبه ولايخفى مافى كلامه من الاستعارة

(خبرونا أهل الكتابين من أيـ * ـن أتاكم تثليثكم والبداء)

ريحها

سيد قبيلة بجيلة كان طويلا جدا يصل الى سنام البعير وكان مفرط الجمال ومن ثم لقب يوسف هذه الامة وكان المصطفى يتبسم عند رؤيته كما يأتى فى باب الضحك أسلم فى السنة التى توفى فيها النبى صلى الله عليه وسلم قال جرير أسلمت قبل موت النبى صلى الله عليه وسلم بأربعين يوما نزل الكوفة وسكنها زمانا ثم انتقل منها ومات سنة احدى وخمسين روى عنه خلق كثير وفى البخاري ان النبى صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى ذى الخلصة دعا له وقال اللهم ثبته على الخيل واجعله هاديا مهديا وقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه وقال فيه انه سيدخل عليكم من هذا الباب من خير ذى يمن وان على وجهه لمسحة ملك وقال فيه جرير بن عبد الله منا أهل البيت ظهر البطن قالها ثلاثا (قال عرضت بين يدي عمر بن الخطاب) عرضت بالبناء للمجهول وعرضه عليه من أمره بذلك لينظر قوته وجلادته كعرض الجيش علي الامير ليعرفهم ويتأملهم حتى يرد من لايرتضيه وكان جرير اغاب الى خلافة عمر فلما حضر أمر بعرضه عليه ليتبين حاله (فألقى جرير رداءه ومشي فى ازار) اظهارا لقوته وتجلده وشجاعته وكان القياس فألقيت ردائى ومشيت فهو التفات من التكلم الى الغيبة ويحتمل أن يكون من كلام قيس نقل به كلام جرير او نقله بالمعنى (فقال) عطف علي عرضت أى فقال عمر (لهخذ رداءك) أى واترك مشيك متجردا فانه قد ظهر أمرك (فقال عمر) بعد ذلك (للقوم) أى للحاضرين أو غيرهم (مارأيت رجلا) أى صورة رجل فالكلام علي حذف مضاف بدليل قوله (أحسن من صورة جرير) أى بدنه فان دحية كان أجمل من جرير وجها وقد ورد انه كان اذا دخل بلدا خرج لرؤيته حتى العواتق من خدورهن ويدل على ماذكرنا ان عمر لم يقل ذلك الا عند تجرد جرير انظر ابن حجر والمناوي (الا مابلغنا من صورة يوسف عليه السلام) ان كان رأيت بمعنى أبصرت فالاستثناء منقطع وان كان بمعنى علمت فهو متصل وهو أنسب وكان عمر رضى الله عنه اتكل علي ماقد استقر فى الاذهان ان المصطفى صلى الله عليه وسلم أجمل العالمين وأجلهم وان يوسف عليه السلام انما أعطى شطر حسنه صلى الله عليه وسلم فلم يحتج الى استثناء صورة نبينا صلى الله عليه وسلم ولولا ان الله سبحانه ستر عن أصحابه كثيرا من جماله الزاهر وكماله الباهر بالهيبة والوقار وأعمى عنه آخرين لما أمكنهم التلقى عنه والتعلم منه اذ لو برز لهم جماله لما استطاع أحد أن ينظر اليه بهذه الابصار الضعيفة الدنيوية ولافتتنوا به كما افتتن صواحب يوسف بيوسف عليه السلام حتى قطعن أيديهن ويرحم الله القائل

ماحسن يوسف والنبي الكامل * الا كشطر من بحور الكامل
لو لم يك الاله ذو الجمال * كما الجمال منه بالجلال
ما اسطاعت العين اليه تنظر * ولرأت ما ليس منه تقدر

وراجع ماتقدم فى قول علي رضي الله عنه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ولم يظهر وجه لذكر حديث جرير هذا فى ترجمة التعطر وأما قول ابن حجر ان طيب الصورة يلزمه غالبا طيب

اى أعلمونا ياأهل الكتابين أى التوراة والانجيل من أين استفهام انكارى أتاكم تثليثكم أى ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس ومن أين لكم معشر اليهود البداء بموحدة ومهملة من بدا أى ظهر وهو عندهم ظهور مصلحة بعد خفائها وبنوا على ذلك امتناع النسخ والاستفهام بمعنى النفى أى لم يأتكم واحد من ذينك الامرين عن دليل صحيح بل عن محض جهل وسفه وعناد وفى القاموس بداله فى الامر بدوا وبداء وبداءة نشأله فيه رأى وهو (١١) فى حق الله تعالى محال لايبدو له شىء كان غائبا عنه ويجىء بدا بمعنى أراد كما فى حديث الاقرع والأعمى والأبرص بدا لله أن يبتليهم أى أراد لاظهر لأنه كفر

ما أتى بالعقيدتين كتاب
واعتقاد لانص فيه ادعاء

الاعتقاد هو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم مافى نفس الأمر فصحيح والافباطل والمراد بالنص البرهان القطعي فى اثباته والادعاء الدعوى من غير دليل وهو باطل لأنه اختراع فى الدين بمجرد التشهى وعبر بالنص المراد به هنا مالايحتمل لفظه غير معنى واحد معين بان خلا عن الاحتمالات العشرة المقررة فى محلها دون الدليل الاعم من ذلك لأن الاعتقادات لايكفى فيها الدليل الظنى والمراد بالعقيدتين التثليث والبداء

(والدعاوى مالم تقيموا عليها
بينات أبناؤها أدعياء)

الدعاوي جمع دعوى أى ماتدعيه اليهود والنصارى وما مصدرية ظرفية وتقيموا أى تنصبوا البينات الأدلة القاطعة لأن الكلام فى الاعتقادات ولا يقيد فيها الظن والمراد بالابناء النتائج والأدعياء جمع دعى وهو من ينسب الى غير أبيه أو من تبناه غير أبيه شبه دعاويهم بوطء الزنا بجامع فساد كل

ريحها ففيه ايماء الى التعطر اه فلا يخفى مافيه من التكلف ولهذا قال بعضهم لعله من ملحقات بعض النساخ سهوا

باب
كيف كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب خبر لمبتدا محذوف على ماهو معروف ثم على أنه منون فالجملة بعده مستقلة مستأنفة لمقصود الترجمة وكيف حال على أن كان تامة وخبرها على أنها ناقصة وقدمت لصدارتها وعلى انه غير منون ففى الكلام مضاف مقدر أى هذا باب جواب كيف كان أو بيان كيف كان وانما احتجنا الى هذا المقدر لأن لفظ الباب لايضاف الى الجملة ولأن المترجم له ليس هو السؤال وانما هو جوابه فانه هو المتكلم عليه فى الترجمة ونظير هذه الترجمة ماوقع فى أول كتاب صحيح البخارى باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعلم أنه لما بعث صلى الله عليه وسلم لتعليم الحق وتبليغه وبث الحكمة ونشرها واحياء الايمان والعلم واماتة الكفر والجهل وايضاح طرق الهدايه والتوفيق لتسلك واظهار سبيل الغواية والخذلان لتجتنب ولذلك كان لاينطق الا بالحق حتى فى مزاحه كان كلامه صلى الله عليه وسلم متوفرا لشروط الحسن والكمال من جهة اللفظ والمعنى قال ابن حجر كان صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق لسانا وأعذبهم كلاما وأسرعهم ردا وأحلام منطقا وأحلهم جنانا وأوضحهم بيانا كيف ولسانه أعظم سيف من سيوف الله يبين عنه مراده ويقصم بساطع نوره حجج المبطلين ويهدى الله به عباده قال له عمر رضى الله عنه مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا قال كانت لغة اسمعيل قد درست أى متمماتها فجاءنى بها جبريل فحفظتها رواه ابو نعيم وروى العسكري بسند ضعيف جدا انهم قالوا نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ماتفهم أكثره فقال ان الله تعالى أدبنى فاحسن تأديبي ونشأت فى بنى سعد بن بكر وروى الحاكم وصححه ان أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم اه وفى الجامع الصغير أحبوا العرب لثلاث لأنى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربي رواه الطبراني والحاكم والبيهقى عن ابن عباس وأما حديث أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش فصرح الحفاظ بانه موضوع قاله فى جمع الوسائل * (حدثنا حميد بن مسعدة البصري نا حميد بن الاسود عن أسامة بن زيد) أى الليثى مولاهم صدوق من السابعة مات سنة ثلاث وخمسين ومائة (عن الزهري عن عروة قالت) جلس أبو فلان يروى الحديث وكنت أصلى فاردت أن أقول له اذا أنا فرغت (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد) اي يستعجل فى كلامه ويوالي بين جمله ويصل بعضه ببعض بحيث لايتبين بعض حروفه لسامعه ويلتبس عليه (سردكم) مفعول مطلق وفى بعض النسخ كسردكم (هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بين) بتشديد التحتية المكسورة اى ظاهر وفي بعض النسخ بينه بصيغة الماضى

وقبحه وعدم الاعتداد بما ينشأ عنه لانه ناشيء عن أصل فاسد وهذه استعارة بالكناية ثم خيل لها بذكر ماهو من لوازم المشبه به الذى هو وطء الزنا وهم الابناء الذين هم نتيجته ورشحت بذكر الادعياء وبين الادعاء والدعاوى والادعياء تجنيس الاشتقاق وفى النظم القياس الاقترانى المركب من مقدمتين حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول ونظمه اعتقاد التثليث والبداء دعوى بلانص وكل دعوى بلانص باطلة ينتج اعتقاد التثليث والبداء باطل واعلم أن فرق النصارى ثلاث نسطورية ويعقوبية

وملكانية ولكل فرقة اعتقاد قال الطبرى فى التاريخ قال الملكانية الله تعالى هو المسيح فنزل اليهم قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال النسطورية ان عيسى ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فنزل فيهم وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال اليعقوبية الله تعالى اله وعيسى اله ومريم امه اله وفيهم نزل لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وقد أشار الناظم للبحث مع الكل والرد عليهم اجمالا وأكثر الكلام مع القائلين بالتثليث وهو أن الله تعالى واحد مركب من ثلاثة أقانيم الوجود والعلم والحياة ويعبرون عنها بالابن والاب وروح القدس بقوله

(ليت شعرى ذكر الثلاثة والوا
حد نقص فى عدكم أو نماء)
(كيف وحدتم الهانى التو
حيد عنه الآباء والأبناء)
(أإله مركب ما سمعنا
باله لذاته أجزاء)
(أ لكل منهم نصيب من الملـ
ـك فهلا تميز الانصباء)
(أترام الحاجة واضطرار
خلطوها وما بغى الخلطاء)

وفى بعضها يبينه بصيغة المضارع (فصل) يحتمل ان يكون من قبيل رجل عدل مبالغة أو بمعنى فاصل بين الحق والباطل أو بمعنى مفصول من الباطل ومصون عنه أو مفصول بعضه من بعض فلا يلتبس على سامعه وفي بعض النسخ بينه فصل على أن بين ظرف وفصل مرفوع به أى بينه مهلة وفرق ليفهم يؤيده قولها (يحفظه من جلس اليه) أي لظهوره وامتيازه وكمال فصاحته وبلاغته وفى الصحيحين من حديث عائشة أيضا كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه أولان كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى برز منه وكسوة القلب الموفق هي النور ولا نور يماثل نوره صلى الله عليه وسلم فلا كلام يماثل كلامه فى الرونق والحسن والبهجة والجمال ومن ثم كان يأخذ بمجامع القلوب وتنقاد له الالباب فألف الله به بين أشتات الامم وجمع به بين الضدين العرب والعجم وأنستهم حلاوته الآباء والأبناء وكانوا عند سماعه كانما على رؤسهم الطير ولهذا كان اذا أمر تبادروا الى امتثال أمره من غير تردد ما فى قضايا كثيرة منها قضية أبى جحيفة قال أكلت ثريدة بر بلحم وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتحشى فقال اكفف أو احبس عليك جشاءك أبا جحيفة فان أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة قال الراوى فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تعشى لا يتغدى واذا تغدى لا يتعشى انظر شرح همزية شيخنا المحقق * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا أبو قتيبة سلم) بفتح فسكون (ابن قتيبة عن عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس ابن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة) الصادقة بجزء الجملة وبالجملة وبالجمل والمراد اذا لم يتبين مبناها أو معناها الا بالاعادة أو كانت تحتاج الى مزيد تأكيد أو حض (ثلاثا) معمول لمحذوف أى يتكلم بها ثلاثا لان الاعادة بحقيقتها لو كانت ثلاثا لكان تكلمه أربعا وليس كذلك (لتعقل عنه) أى لكمال هدايته وشفقته على أمته وفى هذا وما قبله دليل على أنه يندب للعالم ان يتأنى فى كلامه ويتحرى فى ايضاحه وبيانه ويعيده ثلاثا حتى يفهم عنه وحكمة الثلاث أن الاولى للاسماع والثانية للوعى والثالثة للفكرة او الاشارة الى أن مراتب الفهم ثلاث أعلى وأوسط وأدنى وان من لم يفهم فى ثلاث مرات لم يفهم باكثر * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا جميع) بالتصغير (ابن عمر) وفى نسخة ابن عمرو بالواو وفى أخرى ابن عمير بالتصغير (ابن عبد الرحمن العجلى) بكسر فسكون (قال حدثنى رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن ابن لابى هالة عن الحسن بن على قال سألت خالى هند بن أبى هالة وكان وصافا) تقدم هذا كله فى صدر الكتاب (قلت) بيان لسألت (صف لى منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى كيفية نطقه وهيئة سكوته المقابل لمنطقه كما يدل عليه الجواب فهو من باب الاكتفاء (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان) أى لا ينفك حزنه عن حزن يعقبه قال ابن قيم الجوزية حديث هند فى صفته عليه السلام أنه كان متواصل الاحزان لا يثبت وفى اسناده من لا يعرف وكيف يكون متواصل

أى ليتنى علمت ما تقولون ولا أعلمه لبطلانه او ليتنى علمت ما أردبه عليكم أبلغ رد فيما صدر عنكم حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة وقلتم مرة اخرى هو واحد أذلك نقص فى عدكم أم نماء اى زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر من عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم كيف وحدتم ايها القائلون بالتثليث الهانى التوحيد عنه الآباء والأبناء اللذان اثبتموهما فى دعواكم التثليث ايمكن ان يوجد اله مركب من ثلاثة اجزاء اواقل اواكثر لانا ما سمعنا باله لذاته اجزاء اوجزآن اى بوجود اله كذلك بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما يحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله مركب من اجزاء اومتعدد قيل لهم الكل منهم نصيب من الملك اى حظ من التصرف عن قدرة فان قالوا نعم قيل لهم فهلا وفى نسخة فلم لا تميز بالبناء للفاعل أو للمفعول الانصباء اى نصيب كل من الآلهة حتى يكون ذلك التميز دليلا على ما زعمتموه ولا يتميز

الاحزان

فلا تعدد كما هو بديهي وبين الثلاثة والواحد والنقص والفناء التقابل كالحاجة والاضطرار والاماتة والاحياء الآتيات فان قالوا لكل نصيب او انصباء لكنهم خلطوها قيل لهم أترام اي تظنهم خلطوا لحاجة اى احتياج واضطرار وهو شدة الحاجة الى الشيء بحيث لايجد مندوحة عنه فان قالوا نعم قيل لهم الاله لايحتاج ولايضطر لشيء مطلقا لانه غنى بذاته عن غيره فاحتياجه واضطراره دليل قطعي على عدم ألوهيته وان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا (١٣) لاضطرار قلنا أيتصور وجود شركة دائمة بين شريكين فاكثر والحال انه مابغى أى ظلم الخلطاء أي الشركاء بعضهم بعضا لايتصور ذلك بل متى وجدت شركة وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم لانهما ان استويا في القوة تمانعا ولم يقع فعل من احدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم ان لايتم نظام هذا العالم لان الفرض وقوع الشركة وعدم التمييز واحتمال توافقهما دائما الذى يجوزه العقل لانظر اليه لانه مما تحيله العادة التي هي مناط الادلة القرآنية والسلائق العربية لان من شأن النفوس ان لاتريد بقاء شريك معها وذلك يمنع دوام الموافقة قطعا ونحن نشاهد هذا العالم باقيا على أكمل وجوه الاتقان وأحكم قواعد الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان الاله لاشريك له مطلقا

الاحزان وقد صانه الله عن الحزن في الدنيا وأسبابها ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر فمن أين يأتيه الحزن بل كان عليه السلام دائم البشر ضحوك السن وقد استعاذ من الهم والحزن وقال أبو العباس بن تيمية ليس المراد بالحزن في حديث هند الالم على فوت مطلوب أو حصول مكروه فان ذلك منهى عنه ولم يكن من حاله وانما المراد به الاهتمام والتيقظ لما يستقبله من الامور اه أو كان حزنه عليه السلام لاستغراقه في شهود جلال الله تعالى وكبريائه وعظمته وغلبة غيبته على قلبه أو لاهتمامه بامر أمته وملاحظة عاقبة أمرهم وما آلهم وشدة شفقته عليهم وقد تقدم طرف من ذلك في قوله شيبتني هود وأخواتها وقال الترمذى الحكيم لما فاته من كمال اللقاء والوصال والشهود في هذه الدار لان هذه الدار لاتسع ذلك بل محل ذلك الدار الآخرة فكان على غاية الاشتياق الى كمال التلاق وسيأتي ان شاء الله في باب البكاء بسط القول في معنى خوف الانبياء عليهم السلام وسيأتى في باب الضحك وجه الجمع بين قوله هنا متواصل الاحزان وقوله في باب الخلق دائم البشر قال ابن حجر وغيره ثم هذا وبعض مابعده زيادة على ماطلب منه وصفه لكمال علاقته وشدة ارتباطه به وظهور مابينهما من المناسبة والملازمة اه وأيضا فان المؤمن مهما شرع في مدحه صلى الله عليه وسلم فانه لايقتصر على مدح واحد لكثرة وجود أوصافه المادحة وشدة حلاوتها في القلب ولشيخنا المحقق في هذا المعنى

اذا ماشرعت في مديحك راقني * لحسنه واستحلائه فاغيب

ويتبع بعضا بعضه لارتباطه * وكثرته والكل منه عجيب

(دائم الفكرة) اى في خلق السموات والارض وغير ذلك مما يثمر عظمة الله تعالى ومهابته ويفيضهما على القلب وفي الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وقد قال بشر الحافى لوتفكر الناس في عظمة الله تعالى ماعصوا الله تعالى وهذا كالتوجيه والتعليل لتواصل أحزانه فان تواصل الاحزان من لوازم دوام الفكر (ليست له راحة) هذا من لوازم ماقبله وهو دوام الفكر أيضا فان من لازم اشتغال القلب انتفاء الراحة أو المراد انه لايمضى له وقت في غير عمل لله عز وجل فظاهره في كدح عظيم لاشتغاله بوظائف العبادات والقربات ومايصلح الامة والتعليم والجهاد والمواساة وتدبير المهمات الدينية والدنيوية وباطنه في نعيم مقيم راضيا عن الله تعالى مسرورا بذكره وطاعته وحلاوة الانس به ولذيذ مناجاته (طويل السكت) هو أيضا تصريح بما علم ضمنا من قوله دائم الفكرة فان دوام التفكر يستدعى دوام الصمت والسكت بفتح السين وسكون الكاف بمعنى السكوت واغرب ابن حجر حيث قال بكسر أوله قاله في جمع الوسائل (لايتكلم في غير حاجة) أى من غير ضرورة دينية أودنيوية فلا يتكلم بلا فائدة حسية أومعنوية وقد قال عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه رواه جماعة من المحدثين وقال رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أوسكت فسلم وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أوليصمت كيف والله تعالى يقول وماينطق عن الهوى (يفتتح) أى يبدأ (الكلام

(أهو الراكب الحمار فياعجـ
ـزاً له يمسه الاعياء)
(أم جميع على الحمار لقد جد
ـل حمار بجمعهم مشاء)
(أم سواهم هو الاله فما نسـ
ـبة عيسى اليه والانتماء)

هذا وجه آخر في بطلان التعدد وذلك ان عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كان يركب الحمار كما عرف ذلك بالتواتر عنه صلى الله عليه وسلم وحينئذ يقال لهم أهو عيسى الاله الراكب الحمار فان قالوا انه هو فركوبه يستدعى حدوثه وتعبه وهو يستدعى عجزه والاله لايكون عاجزا ولا حادثا فلذا تعجب من دعواهم فنادى العجز والاعياء التعب وأم متصلة لمعادلتها للهمزة أي أتقولون الثلاثة الذين زعمتموهم آلهة م على الحمار فيقال لكم لقد جل حمار يجمع الالهة أى بمجموعهم مشاء صيغة مبالغة من مشى أم يقولون سوى الثلاثة

الذين على الحمار هو الاله فبسبب ذلك يقال لهم على سبيل الاستفهام مانسبة عيسى اليه أى اخبرونى عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله حينئذ هل يوجب التثليث الذى زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه

(أم أردتم بها الصفات فلم خصصت ثلاث بوصفه وثناء) (أم هو ابن الاله ماشاركته * فى معاني البنوة الانبياء)

(قتلته اليهود فيما زعمتم * ولاموا تكم به احياء) (١٤) أى أردتم بها أى بالثلاثة التى زعمتم انها آلهة الصفات

القائمة بذات الاله والصفة مادل على معنى زائد على الذات فلم خصت اى فلم افردت ثلاث بوصف الاله جل وعلا وثناء اذ الصفات لا تنحصر فى الاثنين ولا فى الثلاث فادعاء التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل أم يقولون هو اى عيسى ابن الله فيقال لهم لم اختص عيسى بذلك وبقية الانبياء فى ذلك على حد السواء فكان عليكم ان تصفوا جميع الانبياء بما وصفتم به عيسى فادعاء البنوة لعيسى تحكم باطل وقد قتلت عيسى اليهود حال كون قتلهم له انما هو فى التقول الذى زعمتم معشر النصارى والحال انه لامواتكم بعيسى احياء اى رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيي الموتى فكيف يكون من يحيي الموتى يتمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود فى ذلك شاهد صدق على سخافة عقولكم لوقوعكم فى التناقض الصريح ولا تنتبهون له

(ان قولا أطلقتموه على الله * ه تعالى ذكرا لقول هراء)

هذا من القول البديع الجامع اى ان القول الذى حكى عنكم واطلقتموه على الله تعالى عما تقولون أنتم وامثالكم علوا كبيرا ذكرا اى ثناء وتعظيما له هو فى قولكم الله ثالث ثلاثة أو ذكرا تمييز اى تعالى ذكره والهراء بضم الهاء وفتح الراء الفاحش قال فى القاموس هرأ السوء فى منطقه كمنع اكثر الخنا او الخطأ والهراء كغراب المنطق الكثير الكلام وفى نسخة بالزاى من هزأ منه وبه كمنع هزأ وهزوا ومهزأة سخر ورجل هزأة بضم فسكون يهزأ منه وبضم ففتح يهزأ بالناس وفى نسخة بالذال المعجمة والهذيان الساقط الذى لا معنى له ولا يصدر من عاقل (مثل ماقالت اليهود وكل * لزمته مقالة شنعاء) يجوز نصبه حالا اى لقول هزاء حال كونه مثل أو نعتا لمصدر

ويختمه) من الختم وفى نسخة ويختتمه من الاختتام اى يتمه (باسم الله تعالى) كذا فى بعض النسخ والظاهر ان المراد ان كلامه عليه السلام كان محفوفا بذكر الله تعالى لا بخصوص هذا اللفظ وان المراد بذكر الطرفين زمان الكلام كله على حد ماقيل فى قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وفى قوله وسبح بالعشى والابكار اذ ليس المراد خصوص الطرفين وأبعد من قال ان المعنى انه كان يفتتح كلامه بالبسملة ويختتمه بها ومن قال انه يفتتحه بالبسملة ويختمه بالحمد أو بغيره كالاستغفار وهذا كله بالنسبة للذكر اللفظى والا فكلامه صلى الله عليه وسلم كله ذكر وسكوته جميعه فكر وليس الذكر منحصرا فى التسبيح والتهليل ونحو ذلك بل كل مطيع لله فى قوله او فعله فهو ذاكر له سبحانه فقد قال عمر رضى الله عنه افضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه اى بان يمتثل ماأمر الله به وينتهى عما نهى الله عنه وانما كانت المحافظة على الامر والنهى افضل لان ذاك هو نتيجة الذكر القلبى واللسانى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وقد قال بعض اتباعه صلى الله عليه وسلم

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردتى

وفى بعض النسخ المصححة باشداقه جمع شدق وهو بكسر أوله طرف الفم والمراد بالجمع مافوق الواحد والمراد انه يستعمل جميع فمه فى التكلم ولا يكتفى بادنى تحريك الشفتين كما هو شأن المتكبرين وبعض الناس يتكلم بطرف لسانه وشفتيه وذلك كله غير محمود مخل بالفصاحة وبعضهم يتشدق ويتكلف فى العبارة وذلك ايضا مذموم منهى عنه وكلامه صلى الله عليه وسلم كان وسطا عدلا خارجا عن طرفى الافراط والتفريط (ويتكلم بجوامع) جمع جامع (الكلم) اسم جنس واحده كلة والاضافة من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف والمعنى انه كان يتكلم بالفاظ يسيرة متضمنة لمعان كثيرة ولا يناسب ان تفسر هنا بالقرآن وان صح ان يفسر به قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم اذ لا يقال فى وصف منطقه انه كان يتكلم بجوامع الكلم التى هى القرآن خلافا لابن حجر وقد جمع جمع من الائمة من كلامه صلى الله عليه وسلم الموجز البديع احاديث كثيرة كقوله من آذى جاره أورثه الله داره وقوله لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وقوله ترك الشر صدقة اى لان الظلم تحت جناح كل احد ومن ثم قال بعضهم الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

وكان الشيخ سيدى احمد المنجور ينشد فى هذا المعنى

عديا فى زماننا * عن طريق المكارم
من كفى الناس شره * فهو فى جود حاتم

وقوله لا فقر اشد من الجهل ولا مال أعز من العقل ولا وحشة أشد من العجب وقوله الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كيف شئت وقوله صنائع المعروف تقى مصارع

محذوف ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا محذوف أى هو مثل ماقالت اليهود أى قولهم بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين وكل من الفريقين لزمته بدعواه مقالة شنعاء أى قبيحة جدا

(اذم استقروا البداء وكم سا * ق وبالاليهم استقراء) استقروه أى تتبعوه وتصفحوا ماأخذوه منه حتى قال ماعدا العيسوية منهم لايجوز عقلا ولاسمعا نسخ ملة بملة لانه يوم البداء وهو ظهور مصلحة (١٥) بعد خفائها حتى ينسخ مامضى من أجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة على ذلك ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا وأما قول بعض المسلمين الحكم الثابت لايرتفع بل ينتهى فلا يكون نسخا فممنوع بل هو نسخ وحينئذ فالخلاف لفظى وادعاء اليهود ان النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر ان المصالح الداعية للنسخ ترجع اما الاحوال المكلفين أو للازمنة ولا يقتضى ان الله تعالى ظهر له شىء بعد ان لم يظهر وزعم كفرة الرافضة انه يجوز البداء عليه لوقوع النسخ منه عز وجل وهذا أغلظ من كفر اليهود وقالت اليهود لعنهم الله تعالى الفعل اما حسن فيستحيل النهى عنه واما قبيح فيستحيل الامر به والجواب ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وعلى تقدير تسليمهما فالعلم العادى قاطع بان الفعل قد يكون مصلحة فى حق واحد مفسدة فى حق آخر ولامانع ان علمه تعالى يتعلق بان حرمة كذا تنتهى بوقت كذا أو فعل كذا قالوا والسمع يمنع النسخ أيضا لان اللفظ الدال على شرع موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اما أن يدل على الدوام أم لا فان دام وضم عليه مايقتضى نسخه فهو تناقض وان لم ينضم اليه ذلك كفى فى العمل به مرة فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه أيضا ماعلم تواترا من قول التوراة تمسكوا بالسبت أبدا وجوابه انهم فى زمن بختنصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر بل قيل لم يبق منهم الاستة أطفال على ان الابد كثيرا مايطلق ويراد به الزمان الكثير الطويل كما فى مواضع من التوراة ـ﴿ فائدة ﴾ـ ذكر الامام الرازى فى المطالب العالية فى الحكمة فى نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها مايعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا ومجامع

السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وقوله القناعة مال لاينفد وكنز لايفنى وقوله الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد للناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم وقوله من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ولله در القائل فى هذا المعنى

وما الحسب الموروث لادر دره * بمحتسب الا بآخر مكتسب
اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس للحطب

وقوله ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ونظم بعضهم معناه فقال

ليس الشجاع الذى يحمى فريسته * يوم الزحام ونار الحرب تشتعل
بل الذى غض طرفا أو ثنى قدما * عن المحارم ذاك الفارس البطل

وقوله اياكم وخضراء الدمن المرأة الحسناء فى المنبت السوء وقوله استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقوله انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم وقوله الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقوله أخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنيا غيره وقوله اليمين حنث أو ندم وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ماحرم الله وقوله ماانتقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله وهذا بحر لاساحل له ولكن أتينا بهذه الغرفة للبيان والتبرك انظر ابن حجر والمناوى وجمع الوسائل فقد ذكروا من ذلك طرفا كبيرا (فصل) يحتمل احتمالات تقدم أكثرها ومنها ان يكون معناه وسطا عدلا بين الافراط والتفريط فيكون قوله (لافضول ولاتقصير) كالبيان له والتفسير أى ليس فيه زيادة على المحتاج ولانقص عن أداء المراد بل هو على غاية المطابقة لما يقتضيه المقام من ايجاز او اطناب أو مساواة اذ لامساوى له فى فصاحته صلى الله عليه وسلم (ليس بالجافى) من الجفاء وهو غلظ الطبع ومنه حديث من بدا جفا أى من سكن البادية غلظ طبعه لقلة مخالطته الناس والمعنى انه صلى الله عليه وسلم ليس بالغليظ الطبع السيئ الخلق العديم البر بل كان بره وخيره عاما للاقارب والاجانب لانه نعمة مهداة للمؤمنين ورحمة مرسلة للعاملين (ولا المهين) بفتح الميم من المهانة وهى الحقارة والضعف أى ما كان حقيرا ذميما بل فخما مفخما كبيرا عظيما يغشاه من أنوار الوقار والمهابة والجلالة ماترتعد منه فرائص الجبابرة ويخضع عند رؤيته جفاة الاعراب وتذل لعظمته عظماء الملوك فكان صلى الله عليه وسلم متواضعا للمؤمنين متكبرا على المتجبرين وقد أثنى الله سبحانه بذلك على من اتصف به من المؤمنين فقال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقال أشداء على الكفار رحماء بينهم وراجع ماتقدم فى قوله من رآه بديهة هابه وفى نسخة ولا المهين بضم الميم من الاهانة أى لايهين ولايحقر أحدا من الناس (يعظم النعمة وان دقت) أى لايستصغر شيأ من نعم الله سبحانه وان كان صغيرا ولايحتقره فان القليل من الجليل جليل كما قيل

قليل منك يقنعنى ولكن * قليلك لايقال له قليل

هذه الشرائع العقلية أمران التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها لما هو المقصود من الاعمال الى معرفة الله تعالى وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطرق وعلم ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية احوال (١٦) القلب والروح في المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى تطهير السرائر وقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة من الشيء فوضع في كل عصر رسول بشريعة جديدة لينشطوا في أدائها ومن حكمه اظهار شرف نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فانه نسخ شريعته بشرائعهم وشريعته لا ناسخ لها ومن حكمه أيضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب أمر بدواء يوما وبآخر في يوم آخر وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثاني أثقل * واعلم أن شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا في شريعة عيسى هل هي ناسخة لشريعة موسى عليهما السلام أو مخصصة وهو الاظهر لقوله تعالى ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وقال الامام في تفسيره روى ان الرسل بعد موسى عليهم الصلاة والسلام كلهم على شريعته الا عيسى عليه السلام

ولا يشكر الكثير من لا يشكر القليل بل كان يقوم بتعظيمها قولا بحمده تعالى وشكره وفعلا بصرفها في مرضاة ربه (لا يذم مناشيأ) لما عنده من شهود عظمة المنعم بها المستلزم لعظمة النعمة بسائر أنواعها فكان يجمع بين نفي المذمة وتعظيم جميع افراد النعمة (غير انه لم يكن يذم ذواقا) اسم لما يذاق من مأكول أو مشروب وهذا مما يشمله قوله لا يذم مناشيأ وانما خصه بالذكر لقوله (ولا يمدحه) فانه نفى به ما يتوهم من قوله يعظم النعمة من انه يمدح الطعام والشراب فاخبر ان الامر بخلاف ذلك أما نفي الذم فلكونه نعمة وذم النعمة كفران وازدراء بنعمة الله تعالى وفيه كسر لقلب صانعه وأما نفي مدحه فلكون مدحه يشعر بالحرص والشره والنهمة وحاصل الكلام أنه كان يعظم جميع نعم الله تعالى ولا يذم مناشيأ الا انه لا يشتغل بمدح المأكول والمشروب لانه ينبئ عن الميل اليه كما لا يشتغل بذمه لانه من أعظم نعم الله عليه ويأتي لهذا المعنى تتمة في باب الخلق في قول علي رضي الله عنه ولا عياب (ولا تغضبه الدنيا وما كان لها) وفي بعض النسخ ولا ما كان لها أي لا يوقعه في الغضب جاهها ومالها وكل ماله تعلق بها لعدم اعتداده بها ونظره اليها لعلمه بدناءتها وسرعة فنائها وكثرة عنائها وخسة شركائها فلا يبالي بما فاته منها وأما قول ابن حجر ومن تبعه وكيف تغضبه وهو ما كان خلق لها أي للتمتع بلذاتها بل لهداية الضالين وارشاد المسترشدين وتكميل ما لا غنى له عن الكمال والشفاعة فيمن استحق العذاب والنكال اه فهو مبني على ان ما في قوله وما كان لها نافية ورواية ولا ما كان لها تدل على انها موصولة (فاذا تعدى الحق) بصيغة المجهول اى تجاوز أحد الحق (لم يقم لغضبه) أي لم يدفع غضبه ولم يقاومه (شيء) من الاشياء المانعة في العرف والعادة (حتى ينتصر له) أي ينتقم للحق بالحق لانه صلى الله عليه وسلم بعث للامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يقر أحدا على منكر وسيأتي في حديث علي لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه (لا يغضب لنفسه) ولو تعدى في حقها بالقول أو الفعل من أجلاف العرب أو من بعض المنافقين (ولا ينتصر لها) بل يقابل بالحلم والعفو أخذا بقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وسيأتي ان شاء الله شواهد ذلك في باب الخلق عند قول عائشة رضي الله عنها لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقولها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ويرحم الله القائل صفوح عن الاجرام حتى كأنه * من العفو لم يعرف من الناس مجرما

وليس يبالي أن يكون به الاذى * اذا ما الاذى لم يغش في الناس مسلما

(واذا أشار) أي الى انسان ليجلس أو يقف أو يذهب لقضاء حاجة مثلا (أشار) اليه (بكفه كلها) ولا يقتصر على الاشارة ببعضها لانه من أفعال المتكبرين وأخلاق المتجبرين (واذا تعجب) أي في أمر (قلبها) بان يجعل باطنها أعلى كما هو شان كل متعجب أو المراد قلبها من الهيئة التي كانت عليها حالة التعجب الى ظاهرها أو باطنها وكأن حكمة قلبها الاشارة الى تقلب ذلك الامر المتعجب منه وتغيره الى الحال الاكمل ببركته صلى الله عليه وسلم أو يكون قلبها اكتفاء بالفعل عن القول

(وأراهم لم يجعلوا الواحد القهار في الخلق فاعلا ما يشاء)

أي أعلم انهم لقولهم بذلك أعني امتناع النسخ لئلا يلزم البداء لم يجعلوا أي لم يعتقدوا الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له بوجه ما القهار في الخلق أي للخلق على نفوذ ما أراده فيهم ويصح تعليق في الخلق بفاعلا ما يشاء لان امتناع النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه تعالى عن ذلك

(جوزوا النسخ مثل ما جوزوا المس * خ عليهم لو انهم فقهاء)

النسخ تجويز امثل تجويز المسخ الذي وضع فيهم فانهم مسخوا قردة وخنازير فبدلت صورتهم الى صورة أقبح منها هذا قول الجمهور وقال مجاهد حولت قلوبهم فصاروا لا يفهمون بمنزلة قلوب القردة والخنازير

(هو الآن يرفع الحكم بالحكم * وخلق فيه وأمر سواء)

أى ليس النسخ الا أن يرفع الحكم الشرعى بالحكم الشرعى والمراد بالمرفوع استمراره وتعلقه لا ذاته لانه خطاب الله تعالى القديم المتعلق بفعل المكلف من حيث انه مكلف اقتضاء أو تخييرا ومائبت قدمه استحال عدمه قوله وخلق اى ايجاد فيه أي المسخ باذهاب الصورة الاولى وايجاد الصورة الثانية وأمر أي تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثاني سواء أى مستولان المسخ فيه رفع الصورة الاولى بالثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول بالثاني فاذا جوزتم الاول فجوزوا الثانى والاتبين سفهكم وعنادكم

فى اظهار التعجب قاله ابن حجر والوجه الثاني أقرب (واذا تحدث اتصل) أى حديثه المفهوم من تحدث (بها) أى بكفه بمعنى ان حديثه يقارب تحريكها لقصد الافهام ورفع الابهام عن المشار اليه (وضرب براحته اليمنى بطن ابهامه اليسرى) كان هذا كان عادة عندهم ان الانسان عند حديثه يحرك يمينه ويضرب بها بطن ابهام يسراه وللشراح هنا أقوال متناقضة ليس تحتها فائدة فاعرضنا عنها وقد نقل ابن حجر جملة منها (واذا غضب) من أحد وفى نسخة أغضب بصيغة المجهول من باب الافعال (أعرض) اى عما يقتضيه الغضب وعدل عنه الى الحلم والكرم والعفو (واشاح) الاشاحة تكون بمعنى الجد فى الامر أى جد فى الاعراض وبالغ فيه وتكون بمعنى الاعراض بالوجه يقال أشاح اذا عدل بوجهه فيكون من باب قوله تعالى فاعف عنهم واصفح زاد فى بعض النسخ (واذا فرح غض طرفه) أى أطرق ببصره ليكون أبعد الناس من الاشر والفرح عند الفرح فان الناس يحدقون النظر اذا فرحوا وينظرون بملء أعينهم والنبى صلى الله عليه وسلم لا يستخفه الفرح ولا يحركه وفى رواية وكان اذا رضى سر أي ظهر فى وجهه الشريف أثر السرور أخرج ابو الشيخ فى أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من طريق الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال كان النبي صلي الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه من وجهه كان اذا رضى فكانما يلاحك الجدر وجهه واذا غضب خسف لونه والمعنى ان جدر البيت ترى فى وجهه كما ترى فى المرآة لوضاءته (جل ضحكه) اي معظمه (التبسم) يأتي الكلام عليه فى الباب بعده وزاد فى نسخة (يفتر) اي يضحك (عن مثل حب الغمام) هو البرد بفتحتين الذي على هيئة اللؤلؤ شبه أسنانه صلى الله عليه وسلم به في بياضه وصفائه وقيل حب الغمام اللؤلؤ لانه يحصل من ماء المطر النازل من الغمام الى السحاب وهذا أشبه فى باب التشبيه لما فى الاول من البرودة ولما فى الثانى من زيادة تشبيه الفم بالصدف والريق بماء الرحمة فى بحر النعمة قاله فى جمع الوسائل

باب
ما جاء فى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم

اى فى صفته وأسبابه من الافعال والاقوال الحاملة عليه ويقال ضحك ضحكا بالفتح والكسر وبكسرتين وككتف قاله فى القاموس (حدثنا هناد بن السرى نا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة) بفتح مهملة فكسر موحدة (السلمانى) بفتح السين وسكون اللام ويفتح منسوب الى بنى سلمان قبيلة من مراد (عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اني لاعرف آخر اهل النار) أي من العصاة (خروجا) زاد فى بعض النسخ (من النار رجل) قيل اسمه جهينة بصيغة التصغير او هناد الجهنى (يحرج منها زحفا) هو المشى على الاست من اشراف الصدر وفى رواية حبوا بفتح الحاء وسكون الموحدة وهو المشى على اليدين والرجلين أو الركبتين أو المقعدة ولا تنافى بين الروايتين لان أحدهما قد يراد به الآخر أو انه

تنبيه — قال ابن الحاجب فى مختصره الاصلى النسخ رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر اه وقال فى الجمع وشرحه اختلف فى أن النسخ رفع للحكم أو بيان لانتهاء أمره والمختار الاول لشموله النسخ قبل التمكن والصحيح جوازه والمراد من الاول انه رفع الحكم الشرعى بخطاب والمراد رفعه من حيث تعلقه بالفعل وخرج بالشرعى رفع الاباحة الاصلية وخرج بخطاب الرفع بالموت والجنون والغفلة

(ولحكم من الزمان انتهاء
ولحكم من الزمان ابتداء)

قوله انتهاء أى غاية يرتفع عندها تعلقه وابتداء اى افتتاح فيجب امتثاله وقول الشارح ان الناظم أشار الى تفسيرين فى النسخ لا يصح لان حقيقة الرفع مستحيلة والمرتفع تعلقه وعلي كل فجواز النسخ رفعا وبيانا وسواء جعلنا المسخ فى صورهم حتى صار أقاربهم المؤمنون لا يعرفونهم وهم يعرفونهم فكان القرد يجيء الى قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه فيقول له ألم أنهك عن المخالفة فيشير برأسه أن نعم أم فى قلوبهم فقط كما قال مجاهد وقد قالوا قلوبنا غلف

(فسلوهم أكان فى مسخهم نسخ لآيات الله أم انشاء)

قردة وخنازير فى الصورة علي المشهور أو فى قلوبهم بجعلها كقلوب البهائم لا تقبل هداية مع بقاء ذواتهم علي ما زعمه مجاهد او هو نسخ لآيات الله تعالى وهى الصورة الاولى مع أحكامها أو الادراك الاول على قول مجاهد أم انشاء أى ايجاد لصورة مستقلة وحكم مستقل يتعلق بها أو للادراك كذلك فان قالوا بالاول فقد ناقضوا أنفسهم ولزمتهم الحجة أم بالثانى فهى مكابرة للحس والحق ان المسخ

فى صدر البيت التفات عن خطابهم مبالغة فى تحقيرهم أى جعلهم

متردد بين انشاء الخلق وبين النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة للثانية البهيمية انشاء

(وبداء فى قولهم ندم الله علي خلق آدم أو خطاء) أي سلوم عن قولهم المروى عنهم ندم الله علي خلق آدم أهو عن قصد منهم أو عن خطا فان قالوا عن قصد كان عين البداء الذى أنكروه لانه يستلزم جهل الرب عزوجل بعواقب الامور وحينئذ فكيف يمنعون النسخ فرارا من لازمه عندهم (١٨) وهو البداء هذا تناقض وان قالوا انه خطا منهم فيكفيهم الاعتراف علي نفسهم وانهم فى غاية الغباوة والسفاهة وبداء مبتدا وفى قولهم خبره وخطاء معطوف علي بداء وأصله القصر

(أم محا الله آية الليل ذكرا بعد سهو ليوجد الامساء)

أى وسلوم عن علامة الليل هل أذهبها الله تعالى ذكرا بضم الذال أي عن ذكر أى علم وقصد بعد سهو ليوجد الامساء اى الظلام بعد النهار اى قولوا لهم هل هذا المحو واقع أم لا وبفرض وقوعه فهل هو عن عمد بعد سهو أو عن عمد ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته أو بالثاني من الترديد الاول فقد كابروا الحس اومن الترديد بالثانى لزمهم القول بالبداء لان من جوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وبين ذكرا وسهو جناس التطابق كحرم والتحليل وجحدوا وآمنوا الآتيات

(أم بدا لاله فى ذبح اسحـ ق وقد كان الامر فيه مضاء)

أى وسلوم عن امر الله بذبح اسحق ثم نسخه بعد ان كان الامر فيه مضاء اى ماض نافذ وفي نسخة قضاء بالقاف اى حتم برؤيا ابيه ابراهيم خليل الله تعالى عليهما السلام فى نومه امر الله تعالى بذبحه ورؤيا الانبياء عليهم السلام وحى والمكروه

يزحف تارة ويحبو أخرى قال المناوى وانما فعل ذلك لضعفه بعذاب النار أو توار يا من ملائكة العذاب ليهرب (فيقال له انطلق فادخل الجنة قال فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل) اى منازلهم ويتخيل له انه لم يبق منزل لغيرهم (فيرجع) عن الشروع فى دخولها (فيقول يارب قد أخذ الناس المنازل) كأنه سأل ان يؤخذ منهم منزل له (فيقال له أتذكر الزمان الذى كنت فيه) اي أتقيس زمنك هذا الذى أنت فيه الآن بزمنك الذى كنت فيه فى الدنيا الضيقة أن الامكنة اذا امتلأت بساكنيها لم يكن للقادم فيها مسكن فيحتاج أن يأخذ منزلا من بعض أصحاب المنازل (فيقول نعم فيقال له) ليتبين له خطؤه في قياس الاخرة التى هى دار سعة ومنحة على الدنيا التى هى دار ضيق ومحنة (تمن) اى فان كل ما تتمناه من الديار والاشجار والثمار وغير ذلك يتيسر فى هذه الدار علي طريق خرق العادة بقدرة الملك الغفار (قال فيتمنى فيقال له فان لك الذى تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا) اي امثالها لان ضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله وكأن المراد عشرة أمثال الدنيا في المساحة والا فموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا ومافيها كما فى الحديث بل جميع مافي الدنيا لايساوى ذرة مما فى الجنة فانظر هذا مع قول الغزالى ان هذا ليس بمعنى تضاعف المقدار بالمساحة بل كما ان الجوهرة تكون عشرة أمثال فرس لا بالوزن والمقدار (قال) أى النبي صلى الله عليه وسلم (فيقول) من غلبة الفرح والسرور ببلوغ مالم يخطر بباله (أتسخر بي) ولم يك ضابطا لما قاله ولا عالما بما يترتب عليه بل جري علي عادته فى مخاطبة المخلوق فهو كما أخبر عليه السلام عن الآخر فى الحديث الصحيح انه لم يضبط نفسه من الفرح لما رد الله عليه راحلته فقال اللهم أنت عبدى وأنا ربك قاله في الاكمال قال فى جمع الوسائل وخطر لى انه يمكن ان يكون المخاطب بهذا المقال واحدا من الملائكة على مايفهم من قوله فيقال الخ وفى نسخة اتسخر منى والكل صحيح فصيح فى القاموس سخر منه وبه كفرح هزئ اه الا أن الوارد فى القرآن تعديته بمن وفى رواية أتضحك منى (وانت الملك) اى العظيم الشان استبعد ان يكون له هذا النعيم العظيم بعد ان كان فى عذاب الجحيم ولم ير نفسه أهلا لذلك (قال) اى ابن مسعود (فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك) اما تعجبا من دهش الرجل أو من عظيم رتبة التواضع عند الله سبحانه اومن غلبة رحمته على غضبه (حتى بدت نواجذه) زاد البخارى وكان يقال ذاك أدني أهل الجنة منزلة والنواجذ بالمعجمة جمع ناجذ قال فى القاموس هى أقصى الاسنان اوالانياب أو التى تلى الانياب أو الاضراس اه واقصى الاضراس هى أربع آخر الاسنان كل منها يسمى ضرس العقل لانه لاينبت الا بعد البلوغ قال السيوطى واشهر الاقوال الاول وهو ان النواجذ أواخر الاضراس وحينئذ فالمراد مبالغة مثله فى الضحك بان يكون ضحكه فوق ما كان يصدر منه اى واما ضحكه الى ان يبدو أواخر اسنانه فبعيد من سيمته صلى الله عليه وسلم ومحصول مجموع الاخبار كما فى ابن حجر وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان في أغلب احواله لايزيد على التبسم وربما زاد علي ذلك فضحك

(تنبيه) ماجرى عليه الناظم رحمه الله من ان الذبيح هو اسحق هو قول على وابن مسعود واهل الكتابين واستدل له بأمرين أحدهما ان البشارة المعروفة لابراهيم بالولد انما كانت باسحق لقوله تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب والثانى ماروى ان يعقوب عليه السلام كان يكتب من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله واقتصر الناظم على هذا القول لانه فى مقام الرد علي اليهود وهذا هو

معتقدم ومذهب أهل السنة ان الذبيح هو اسمعيل واستدل له بثلاثة اوجه احدها ماروى عنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وأن بعض العرب قال له ذلك فاقره ويعنى بهما اسمعيل وعبدالله والد النبي صلى الله عليه وسلم حين نذر والده عبدالمطلب أن يذبحه ان يسر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الابل * ثانيهما ان الله تعالى قال بعد قصة الذبيح وبشرناه باسحق فهذا يدل على ان الذبيح غيره والثالث انه روى ان ابراهيم انما جرت له قصة الذبح بمكة والذي (١٩) كان بمكة هو اسمعيل وقد أنشد بعضهم

ان الذبيح هدية اسمعيل
نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا
وأبانه التفسير والتأويل
وانظر أوائل المواهب فله هنا
كلام حسن جدا

والمكروه الاكثار منه والافراط فيه لاذهابه الوقار والذى ينبغى أن يقتدى به من أفعاله ماواظب عليه وروى البخاري في الادب المفرد وابن ماجه لاتكثروا الضحك فان كثرته تميت القلب * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا أبو الاحوص عن ابى اسحق عن على بن ربيعة قال شهدت عليا رضى الله عنه) حال كونه (أتي بدابة) فرس أو بغل أو حمار (ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله) كان فعله صلى الله عليه وسلم المبنى عليه فعل على كرم الله وجهه مقتبس من قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله ولا بدع في تأسى النبي صلى الله عليه وسلم بغيره من الانبياء وقد قال تعالي فبهداهم اقتده كما ان بقية الاذكار الآتية مأخوذة من قوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام الآية (فلما استوى على ظهرها قال الحمدلله) أى على نعمة الركوب ثم لما كان تسخير المركوب أثرا من آثار قدرته الباهرة التى انفرد بها جل وعلا ولا شريك له فيها ناسب ذكر التسبيح المقتضى لتنزيهه تعالي عن الشريك فاشار له بأن قال (سبحان الذى سخر لنا هذا) أى ذلل هذا المركوب لاجلنا مع قوته وضعفنا (وما كنا له) أي لتسخيره (مقرنين) أي مطيقين لولا تسخيره (وانا الى ربنا لمنقلبون) أي راجعون كأن وجه مناسبة هذا لماقبله التحذير من الاغترار بنعمة الاستعلاء الحسى لان الموت هاذم اللذات فيحمله ذلك على التواضع لله ولعباده ويحتمل ان وجه المناسبة ان السير من مكان الى مكان يذكر بالانتقال من الدنيا الى الآخرة ومن هذا النعيم الى ذلك النعيم وعلى الوجه الاول فقوله انا الخ كناية عن الموت وعلى الثاني فمعنى الى ربنا جزائه وثوابه فكأنه يقول كما تفضل تعالى على عبده في الدنيا تفضل عليه فى الاخرى فهو المنعم علي عبده دنيا وآخرة وهذا والله أعلم أنسب بمقام شهود المنة من قول ابن حجر ناسب ذكره لان الدابة سبب من أسباب التلف اذ كثيرا مايسقط الراكب فيموت فيكون شهود الراكب لهذا السبب حاملا له على التقوى فى ركوبه وسيره اه (ثم قال) شكرا لنعمة التسخير (الحمدلله ثلاثا) في التكرار اشعار بتعظيم تلك النعمة التى لايقدر عليها غيره تعالى (والله أكبر ثلاثا) فى التكبير وتكريره اشارة الى تقصيره فى القيام بشكر نعمه ثم زاد هذا المعنى ايضاحا فقال (سبحانك انى ظلمت نفسى فاغفر لى) وانما طلب المغفرة بعد الاعتراف بالتقصير فى حق مولاه اشارة الى انه لايرى لنفسه حقا ولا أهلية لما يطلبه ولا يستحق علي مولاه شيأ وانما يطلب فضله بفضله (فانه لايغفر الذنوب الا أنت) فيه بعد الاقرار بالذنب والخوف من سوء عاقبته والاهتمام بحق المولى جل وعلا الاعتراف بانه تعالى المنفرد بالقدرة العظيمة وانه الآخذ بيد عبده والمنقذله بعد الاشراف علي التلف وأن العبد مضطر الى رحمته وعفوه لامل جأله غيره ولا مقر له سواه لم يجد محيدا عن بابه ولا خيرا الا من قبله وجنابه وهذا المعنى باب عظيم من أبواب المعرفة بالله تعالى وضرب من العبودية له ولهذا ترتب عليه الثواب الجزيل كما سيأتي ثم اعترافه صلي الله عليه وسلم بالظلم لنفسه اما لاظهار ذلة العبودية وعظمة الربوبية واما للتشريع فانه صلى الله عليه وسلم القدوة واما من ترك الاولى واما الترقية في

(أوماحرم الاله نكاح الأ
خت بعد التحليل فهو الزناء)

هذا مما يرد عليهم أيضاً فى انكارهم النسخ وهو ان نكاح الاخت كان حلالا فى شريعة آدم كما تقدم ثم حرمه الله فان اعترفوا بذلك فهو عين النسخ وان جحدوه فهو محض عناد

(لاتكذب أن اليهود وقد زا
غوا عن الحق معشر لؤماء)

أى واذقد بان لك قبيح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فامسك عن حجاجهم وأعرض عنهم ولا تكذب انهم قد زاغوا أى مالوا عن الحق من وجوه عديدة سفها وحسدا معشر أى قوم لؤماء جمع لئيم وهو الشحيح النفس

(جحدوا المصطفى وآمن بالطا
غوت قوم هم عندهم شرفاء)

جحدوا بدل من زاغوا والمصطفى المختار من الصفوة أو المصفى من كل نقص أى أنكروا نبوته ورسالته بعد علمهم بها علما يقينيا قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والحال انه قد آمن بالطاغوت أى الشيطان وكل ماعبد من دون الله أو صد عن عبادته فعلوت من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء فاعل آمن وهو كالذى بعده بيان لعظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من الشمس وأقروا من آمن بالباطل ومدحوهم علي ذلك بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم ثم ظاهر النظم ان المؤمن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم آمنوا به لقوله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب

يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ويصح أن يكون المراد وآمن بالطاغوت قوم من قريش هم عندهم شرفاء ومعنى الآية حينئذ ويقولون أى اليهود للذين كفروا أى كفار العرب الذين آمنوا بالجبت الخ ويدل على هذا أن حيي بن اخطب لما ذهب الى قريش وغيرهم ليحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ومعهم أشراف من اليهود سألوهم أنحن خير دينا من محمد قالوا نعم

ففرحوا وخرجوا للقتال (٢٠) (قتلوا الانبياء واتخذوا العجـ * ـل ألا انهم هم السفهاء) قتلوا بدل بعد بدل والانبياء

كزكريا ويحيي وغيرهما جاء انهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ثم أقاموا سوق معاشهم واتخذوا العجل الهـا ومعبودا مع ان السامرى هو الذي صاغه لهم بحضرتهم من الحلى الذى استعاروه من القبط قبل غرقهم وألقى فيه قبضة من تراب أخذه من تحت حافر فرس جبريل الذى جاء به لفرعون حتى دخل وراءهم البحر لما انفلق لهم لانه كان أحجم عن دخوله فبمجرد أن ألقى فيه تلك القبضة خور فقال لهم هذا الهكم واله موسى فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقدوه الها ومعبودا كما نصه الله تعالى علينا مبسوطا في كتابه العزيز ومن ثم كان في كلامه اقتباس كقوله ألا انهم هم السفهاء والاحرف تنبيه لاستفراغ وسع السامع في القاء سمعه لما بعدها فجهلهم مركب والسفهاء جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة رأى وانطماس بصيرة ومن ثم لم ينظروا الى كونه محدثا بحضرتهم من جماد والاله لا يكون كذلك عند من له ادنى عقل وتمييز ثم بين أدنى أنواع سفههم بقوله ما محا لما وقع

(وسفيه من ساءه المن والسلـ
وى وأرضاه الفوم والقثاء)

درجات المقربين فانه في الترقي دائما فيرى ما كان فيه بالنسبة لما بعده كالذنب حسنات الابرار سيآت المقربين وقد تقدم لنا شيء من هذا قبيل باب الشعر في قوله تعالى واستغفر لذنبك (ثم ضحك) أى على (فقلت) وفي نسخة فقال أى ابن ربيعة فيكون فيه التفات من التكلم الى الغيبة أو من باب النقل بالمعنى للراوى عنه (من أى شيء ضحكت) وفي نسخة من أى شيء تضحك (يا أمير المؤمنين) هذا الخطاب يدل على ان القضية في أيام خلافته (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت) أى قولا وفعلا (ثم ضحك فقلت من أى شيء ضحكت يا رسول الله قال ان ربك ليعجب) المراد بالاعجاب في حقه تعالى أثره الناشيء عنه كالرضا بالفعل واثابته عليه وتكثير ثوابه (من عبده اذا قال رب اغفر لى ذنوبي يعلم) حال من فاعل قال ولا تحتاج هنا الى تقدير قد خلافا لمن زعم ذلك أى قال رب اغفر لى حال كونه عالما غير غافل ولا جاهل (انه) أي الشأن (لا يغفر الذنوب أحد غيره) وفي بعض النسخ غيرى بياء المتكلم وهو خلاف الظاهر لانه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كلامه تعالى فسبب ضحكه صلى الله عليه وسلم هنا فرحه برضاه تعالى عن عبده المستلزم لجزيل الثواب بعد ارتكابه موجبات الغضب والعقاب بمجرد رجوعه الى ربه واعترافه بذنبه وعلمه بأنه لا يكشف الكروب الاعلام الغيوب ولما تذكر ذلك على كرم الله وجهه حمله الفرح بذلك على الضحك كما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ضحكه مجرد تقليد لانه غير اختيارى وان كان قد يتكلف له * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا عباد بن العوام نا الحجاج وهو ابن ارطاة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال كان في ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي نسخة في ساقى بصيغة التثنية (حموشة) بضم الحاء المهملة والميم أى دقة أى لم يكن فيه غلظ وذلك مما يتمدح به وأما قول ابن حجر تبعا للعصام بضم أوله المعجم فمخالف للاصول ومعارض للغة على ما يشهد به القاموس والنهاية ومغير للمعنى فان الخمش بالمعجمة هو خدش الوجه ولطمه وقطع عضو منه (وكان لا يضحك الا تبسما) جعل التبسم من الضحك مجازا اذ هو مبدؤه فهو بمنزلة السنة من النوم ومعنى فتبسم ضاحكا أى شارعا في الضحك الذي هو انبساط الوجه حتى تبدو الاسنان من السرور وأطلق النفي مع ثبوت انه ضحك حتى بدت نواجذه الحاقا للقليل بالعدم أو انه أراد أغلب أحواله لرواية جل ضحكه السابقة وقيل ما كان يضحك الا في أمر الآخرة وأما في أمر الدنيا فلم يزد على التبسم قال في جمع الوسائل وهو تفصيل حسن وتعليل مستحسن ووردانه صلى الله عليه وسلم كان اذا ضحك يتلألأ في الجدر بضم أوليه أى يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق نور الشمس عليها (وكنت اذا نظرت اليه قلت) لشدة سواد جفون عينيه (أكحل العينين) أى مكحلهما بالكحل (وليس بأكحل) بالكحل بل كان أكحل بحسب الخلقة هذا أظهر ما قيل في معنى هذا الكلام قاله في جمع الوسائل وقد تقدم التنبيه على ما فيه في حديث علي رضى الله عنه * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا ابن لهيعة عن عبيد الله بن المغيرة عن عبد الله بن الحرث بن جزء) بفتح الجيم

(ملئت بالخبيث منهم بطون * فهى نار طباقها الامعاء)

سفيه خبر مقدم ومن ساءه مبتدأ مؤخر أى احزنه والمن نوع من الحلواء كان ينزل عليهم وهم في التيه وسكون في غاية الاضطرار والسلوى طير من اشهى الطيور لحما وانفعها واطيبها غذاء كان يأتيهم الى محالهم فرقا فرقا ليمدوا ايديهم اليه ويأخذوا منه ما شاؤا والفوم الثوم والقثاء الخيار ونحوه وفي كلامه اقتباس من آية البقرة وبين ساءه وارضاه طباق وفي المن والسلوى والفوم والقثاء مراعاة النظير

المراد بالخبيث ماسالوه من الفوم ومامعه وبطون نائب ملئت ومنهم صفة لما تقدمت عليها فصارت حالا وامتلاؤها بذلك لتناسب ماانطوت عليه من الغل والحسد والغباوة والسفاهة والمراد ملئت بالداء الخبيث الذى لادواء معه وهو الغل ومابعده والظاهر ان المراد بالخبيث الحرام وأكل السحت والربا وقوله فهي نار اى مشتملة على مايؤدى اليها أوسماها نارا اعتبارا بالمآل كما فى أرانى أعصر خمرا والطباق جمع طبق والضمير للنار والامعاء جمع معى بكسر الميم (٢١) والقصر اى مصارينهم طباق للنار اى معى ثم نار فوقه ثم معى ثم نار فوقه وهكذا ويصح ان المراد ان بطونهم صارت كنار ذات طباق بعضها فوق بعض وطباقها أمعاؤهم

(لو أريد وافى حال سبت بخير كان سبتا لديهم الاربعاء)

السبت مصدر سبت اليهود اذا عظموا السبت بالسكون فيه عما عدا العبادة وأصله القطع والباء فى بحير قيل زائدة والاربعاء بتثليث الباء وهذا من حيث ترتبه على ماقبله بطريق الملازمة المستفادة من لو فى غاية الاشكال ووجهه ابن حجر بأن السبت من مادة القطع والاربعاء محل النور الحسى والمعنوى فلو أريد بهم الخير لجعل قطعهم وصلا وجعل محل عبادتهم زمان خلق الانوار التى هى ثمرة العبادة لكنهم لم يرد بهم خير فجعل محل عبادتهم يوم السبت المؤذن بالقطع وعدم الاعتداد لعبادتهم * وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه * قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعه فى آخر الخلق فى آخر ساعة من

وسكون الزاى (قال مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا كقول على رضي الله عنه كان دائم البشر ووجه الجمع بينه وبين قول هند كان متواصل الاحزان انه كان متواصل الاحزان باطنا وكان دائم البشر ظاهرا تأليفا للناس فلا منافاة بين كثرة الحزن الذى هو من كيفيات الباطن وبين كثرة التبسم والبشر الذى هو من كيفيات الظاهر بل لامنافاة بين حزنه الذي هو أثر من آثار الخوف وبين فرحه بالله تعالى وتنعم قلبه بذكره كما لامنافاة في الجمع بين الخوف والرجاء وأبعد من قال ان المعنى ان تبسمه أكثر من ضحكه بخلاف سائر الناس فان ضحكهم اكثر من تبسمهم فلا ينافى ماقيل من انه متواصل الاحزان اه لان ماذكره لايستفاد من الحديث وانما معناه انه اكثر تبسما من غيره * قال المصنف (حدثنا أحمد بن خالد الخلال نا يحيى بن اسحق السيلحاني) قال ابن حجر نسبة لسيلحون قرية اه وفى صحة هذه النسبة نظر اذ لو كان كذلك لقيل السيلحونى بالواو (نا ليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الله بن الحرث) اى ابن جزء (قال ما كان ضحك رسول الله صلي الله عليه وسلم الا تبسما) تقدم توجيه هذا الحصر (قال أبو عيسى هذا حديث غريب من حديث ليث بن سعد) الغرابة فى السند لتفرد الليث وهو مجمع علي امامته وجلالته لافى المتن فلا تنافى صحته * قال المصنف (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث نا وكيع نا الاعمش عن المعرور بن سويد عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم أول رجل يدخل الجنة وآخر رجل يخرج من النار) أول من يدخل الجنة علي الاطلاق هو النبي صلى الله عليه وسلم وأما آخر رجل يخرج من النار فقد تقدم فى حديث ابن مسعود علي ان الذى في رواية مسلم وغيره عن أبى ذر انى لاعلم آخر رجل يدخل الجنة الخ وأما قوله (يؤتى بالرجل يوم القيامة) فالظاهر انه بيان لحال رجل ثالث غير الاول والآخر فهو استئناف لابيان لاول داخل لانه صلى الله عليه وسلم لاذنب له (فيقال) اى يقول الله تعالى للملائكته (اعرضوا عليه صغار) بكسر الصاد اى صغائر (ذنوبه وتخبأ) من الخبء بالهمزة والظاهر انه جملة حالية فلا يقال فيه عطف الخبر على الانشاء (عنه كبارها) اى للحكمة الآتية (فيقال له عملت يوم كذا) اى الوقت الفلاني من السنة والشهر والاسبوع واليوم والساعة (كذا) أى من الذنب (وكذا) اى من الذنب الآخر (وهو مقر لاينكر وهو مشفق) اى خائف (من كبارها) اى من عرض كبارها عليه خوف ان يؤاخذ بها فان من يؤاخذ بالصغيرة يؤاخذ بالكبيرة من باب أولى (فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة) فيبدل الله سبحانه بفضله سيآته حسنات لكونه من المحبوبين الذين سبقت لهم العناية فلا تضرهم الجناية وفى الحديث اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ذكره فى القوت في كتاب المحبة وفيه أيضا عن زيد بن اسلم ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول له اصنع ماشئت فقد غفرت لك ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه واجعل سيآتنا سيآت من احببت ولاتجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالاحسان لاينفع مع البغض منك والاساءة

النهار فيما بين العصر الى الليل أى وفيه اشارة الى ان الجميع مخلوق له ولبنيه وهذا صريح فى أن الله ابتدأ الخلق يوم السبت وبه قال كثير بل قال السهيلى فى روضه لم يقل بأن أوله الاحد الا ابن جرير وانتصر له القفال بأن الخبر السابق تفرد به مسلم وتكلم فيه البخارى وغيره وجعلوه من كلام كعب وان ابا هريرة انما سمعه منه ولكن اشتبه علي بعض الرواة فجعله مرفوعا ولايخفى ان من حفظ الرفع حجة علي من نفاه ومما يؤيد انهم لم يرادوا بحير فى حال سبت ان الله تعالى ادخر لهذه الامة الجمعة المؤذنة بغاية الوصل اذ مقام الجمع

هو مقام الوصل الذى هو أكمل المقامات وأفضلها وجعل لليهود السبت المؤذن بتقطيعهم وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات ففيه اشارة الى ما آل كل أمة وفى الصحيح ان الله هدانا ليوم الجمعة وأضل عنه اليهود والنصارى أى لان اليهود لما اعتقدوا ان اول الاسبوع الاحد كان الجمعة سادسا فاخذوا السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا ان

اوله الاثنان أخذوا الاحد وأما هذه الامة فاعتقدوا ان اوله السبت فاخذوا السابع يوم الجمعة قيل ولا حجة فى اشتقاق نحو الاحد من الواحد وهكذا لأن هذه التسمية لم تثبت بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعل اليهود وضعوها على مذهبهم فاخذتها العرب عنهم ولم يرد فى القرآن الا الجمعة والسبت على أن هذه التسمية لو ثبتت لم يكن فيها دليل لان العرب تسمى خامس العدد أربعاء وهكذا ولذا قال ابن عباس أن التاسع هو عاشوراء ويحتمل أن يكون المعنى لو أريد بهم خير لكانت الايام كلها عندهم كيوم السبت محلا للعبادة وذكر الاربعاء تمثيل

(هو يوم مبارك قيل للتصريف فيه من اليهود اعتداء)

هذا كالاستدراك لرفع ما عسى ان يتوهم ان يوم السبت مذموم لذاته فهو يعود على السبت يوم مبارك لان الله تعالى ابتدأ فيه الخلق فى قول مقدم وزعم اليهود انه ابتدأ يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت فقالوا نحن نستريح فيه كما استراح الرب تعالى فيه وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم بقوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب اى من تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يلحق التعب الا حادثا مخلوقا واجبا قديما انما أمرنا لشىء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون اى من غير كاف ولا نون وغرابة وانما اذا اردنا ان نوجده وجد فورا فلا يتخلف عن الارادة فهو كناية عن ذلك قوله قيل للتصريف فيه بناه للمجهول لضيق النظم لا لضعفه والتصريف التصرف فيه ببيع وغيره من اليهود اعتداء اي ظلم وعدوان كان سببا لمسخ كثير منهم قردة وخنازير بصيد الحوت فيه بقرية ايلة فى زمن داود عليه السلام كما قال الله تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون

لا تضر مع الحب منك (فيقول) طمعا فى ان يعامل فى الكبائر بما عومل به فى الصغائر (ان لى ذنوبا ما أراها هنا) اى فى موضع العرض (قال أبو ذر فلقد) أتى بالقسم لئلا يرتاب فى خبره لما اشتهر من ان المصطفى كان لا يضحك الا تبسما (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك) أى تعجبا من اظهار الرجل كبائر ذنوبه بعد خوفه منها (حتى بدت نواجذه) تقدم تحقيقه *قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا معاوية بن عمرو نا زائدة عن بيان عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله قال ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت) اى عن الدخول معه فى مجالس كبار أصحابه لا عن أهله قال فى جمع الوسائل ويحتمل ان يكون المراد انه لم يمنعه من سائر ملتمساته بل اعطاه جميع مطلوباته (ولا رآنى) منذ أسلمت (الا ضحك) أي تبسم كما فى الرواية الآتية وتقدم انه كان جميل الصورة فكأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتذكر برؤية الحسن الذى هو مظهر الجمال ما هو أحسن فيتبسم والله تعالى اعلم *قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا معاوية بن عمرو نا زائدة عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس عن جرير قال ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآنى الا تبسم) وفى بعض النسخ تأخير منذ أسلمت عن قوله ولا رآنى *قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا محمد بن عبد الله الانصارى نا ابن عون عن محمد بن محمد بن الاسود عن عامر بن سعد) اى ابن ابى وقاص الزهرى القرشى سمع اباه وعثمان روى عنه الزهرى وغيره مات سنة اربع ومائة (قال قال سعد) هو أحد العشرة المبشرة أسلم قديما وهو ابن سبع عشرة وقال كنت ثالث الاسلام وأنا اول من رمى بسهم فى سبيل الله وتقدمت ترجمته فى باب العيش (لقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ضحك يوم الخندق) كجعفر حفير حول اسوار المدينة (حتى بدت نواجذه قال) أى عامر (قلت كيف كان) اى على اى حال كان (ضحكه) فى ذلك اليوم (قال) أى سعد (كان رجل معه ترس) الجملة خبر كان (وكان سعد راميا) الظاهر انه من كلام سعد فيكون فيه التفات ويحتمل انه من كلام عامر قال سعد (وكان ذلك الرجل يقول كذا وكذا) أى مما لا يليق بجناب المصطفى وصحابته كنى به استقباحا لذكره (وكان بالترس) متعلق بقوله (يغطي جبهته) وجملة وكان الخ حال من ضمير يقول (فنزع له سعد بسهم) اى اخرج له سهما من كنانته ووضعه فى الوتر قال فى المصباح نزع فى القوس مدها فالباء زائدة (فلما رفع رأسه) اى من تحت الترس وظهرت جبهته (رماه فلم يخط هذه منه) اى من السهم بل اصابها وفيه نوع من القلب نحو عرضت الناقة على الحوض وقوله (يعنى جبهته) تفسير لقوله هذه وهو من كلام عامر أو من قبله (وانقلب) أى صار أعلاه أسفل (وشال برجله) الباء للتعدية أى رفعها يقال شالت الناقة بذنبها وأشالته أى رفعته وفى نسخة وأشال فالباء زائدة للتعدية (فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه) ولما كان ذلك قد يوهم أن ضحكه من افتضاح الرجل وكشف عورته استفسر الراوى سعدا بقوله (قلت من أى شىء ضحك قال) القياس قلت ففيه التفات (من فعله بالرجل) أى من قتل سعد اياه

في السبت الآية قال المفسرون وذلك ان الله تعالى ابتلاهم بأن ألهم السمك يوم السبت أنه يرفع خرطومه من البحر حتى يكون سهل التناول فاذا مضى يوم السبب تفرق ونفر فأجمع رأى جماعة منهم على حيلة بان حفروا جداول بقرب البحر فصارت تمتلئ يوم السبت حوتا ويغلقون عليه ثم يأخذونه يوم الاحد فلما علم بذلك جيرانهم افترقوا أثلاثا ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي أما الثالث الذى صاد ففيه قال الله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أى صاغرين فكانوها ولا خفاء في نجاة الثلث الناهى * قال ابن عباس ما أدري ما فعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لانها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس انه رفع اليه وأعجبه اى لان كراهتها بقلبها للمنكر تغيير له في الجملة مع قيام الفرقة الناهية بذلك وهو من فروض الكفاية الذى اذا قام به البعض وظن الباقى قيامهم به وأحرى ان تحقق ذلك سقط عنه قال مالك يؤخذ من القضية المذكورة تحريم الحيلة ووجوب سد الذرائع ولذا قيل ان السلامة من سلمى وجارتها

ان لا تحل على حال بواديها

(فبظلم منهم وكفر عدتهم طيبات في تركهن ابتلاء)

الظلم وضع الشيء فى غير محله كخياتهم فى السبت وأكلهم الربا وأخذهم أموال الناس بالباطل وهو متعلق بعدتهم وكفر من عطف الاخص لزيادة الاهتمام وعدتهم فاتتهم وجاوزتهم طيبات من الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية وتقديم قوله فبظلم للحصر والتنكير للتعظيم أو التكثير والذى حرم عليهم هو المذكور فى قوله سبحانه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا بظلم عظيم ارتكبوه وهو المذكور قبل هذه الآية وبمنعهم عن الايمان خلقا كثيرا وصدا كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه لان الربا كان محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه وأكلهم أموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة ومن شأن الطيبات أنه يوجد فى تركهن الذى تحتم الامر به ابتلاء أى اختبار ومحنة للعبد تكون سببا لفلاحه أو هلاكه كما فى قضية الحوت المتقدمة (خدعوا بالمنافقين وهل ينفق الا على السفيه الشقاء)

وغرابة اصابة سهمه لعدوه والانقلاب الناشئ عنه مع رفع الرجل أى وسرورا بنعمة الله تعالى عليه وبنصره على أعدائه الذين قاتلوه وآذوه وبما يترتب على ذلك من اطفاء نار الكفر واظهار نور الايمان واذلال أهل الضلال قال الله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين لامن انكشاف عورته لان ذلك مما لا يليق بجنابه صلى الله عليه وسلم

باب
صفة مزاح رسول الله ﷺ

المزاح بضم الميم مصدر مزح كمنع يقال مزح مزحا ومزاحا ويقال مازح مزاحا كقاتل قتالا بكسر الميم والمضموم هو المناسب هنا دون المكسور لانه مصدر باب المفاعلة وهى للمبالغة أو المبالغة وكلاهما غير صحيح فى حقه صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر وغيره وهو الانبساط مع الغير من غير ايذاء له وبه فارق الهزء والسخرية والمزاح من أسباب الضحك فناسب ان ينظم فى سلكه ثم اعلم أن المزاح المباح هو ما كان كمزاحه صلى الله عليه وسلم ومزاحه عليه السلام انما كان على سبيل الندور لمصلحة كتطييب نفس المخاطب ومؤانسته وتأليفه ورفع خوفه وزوال خجلته وأما الافراط فيه والمداومة عليه فهو مذموم منهى عنه فى حديث خرجه المصنف فى جامعه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تمار أخاك ولا تمازحه قال النووي اعلم ان المزاح المنهى عنه هو الذى فيه افراط ويداوم عليه فانه يورث الضحك وقسوة القلب ويشغل عن ذكر الله والفكر فى مهمات الدين ويؤول فى كثير من الاوقات الى الايذاء ويوجب الاحقاد ويسقط المهابة والوقار فأما ما سلم من هذه الامور فهو المباح الذى كان صلى الله عليه وسلم يفعله على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته وهو سنة مستحبة فاعلم هذا فانه مما يعظم الاحتياج اليه اه ويرحم الله القائل

أفد طبعك المكدود بالجد راحة * يجم وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

وستأتي تتمة لهذا (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو اسامة عن شريك عن عاصم الاحول عن أنس ابن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له ياذا الاذنين قال محمود) أى شيخ المصنف وفى نسخة قال ابو عيسى بدل محمود (قال ابو اسامة) اى شيخ محمود (يعنى) اى يريد صلى الله عليه وسلم بقوله له ياذا الاذنين (يمازحه) لانه سماه بغير اسمه فيوهم اختصاصهما به مع احتمال كون أذنيه طويلتين او قصيرتين وأبعد من قال ان معنى هذا الكلام الحض والتنبيه على حسن الاستماع لما يقال له لان السمع بحاسة الاذن ومن خلق الله له الاذنين فغفل ولم يحسن الوعى لم يعذر اه * قال المصنف (حدثنا هناد) أى ابن السرى كما في نسخة (نا وكيع عن شعبة عن ابى التياح عن أنس بن مالك قال ان) مخففة من الثقيلة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى خدع يهود المدينة وماقرب منها وهو بدل من زاغوا لكن ذاك عام وهذا خاص لتقييده بالمنافقين من الاوس والخزرج أى المظهرين للاسلام المبطنين للكفر كما قال الله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب الآية قوله وهل ينفق أى وماينفق الشقاء الاعلى السفهاء يقال نفق البيع اذا راج أى لم يكسد ولم يبر فيه ارسال المثل واستعارة بالكناية حيث شبه الشقاء الحاصل لهم بدوام تصرف والتخييل باثبات الانفاق لها (واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم انا لكم أولياء)

اطمأنوا سكنوا وفرحوا والاحزاب جمع حزب أى طوائف العرب من قريش وغيرهم الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق وكان سبب ذلك تحريض حيي بن أخطب وغيره من اليهود لعنهم الله تعالى ايام علي حربه صلى الله عليه وسلم وقوله اخوانهم اى فى الكفر انا لكم أولياء أى متوالون ومتفقون علي حرب محمد حتى نستأصله فترقب اليهود ذلك ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا *(وملخص ماأشار اليه الناظم من غزوة الخندق)* وهى الاحزاب وكانت سنة أربع علي قول موسى ابن عقبة أو خمس علي قول ابن اسحق وغيره ان نفرا من اليهود قدموا علي قريش بمكة وقالوا انا سنكون معكم حتى نستأصله فاعتدوا معهم لذلك وذهبوا الى غطفان كذلك فخرجت قريش وقائدها أبوسفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزارى في فزارة والحرث بن عوف المرى فى مرة وكان عددهم عشرة آلاف والمسلمون ثلاثة آلاف ولما سمع النبى صلى الله عليه وسلم بالاحزاب حفر الخندق باشارة سلمان اذ لم تكن العرب تعرفه وعمل النبى صلى الله عليه وسلم معهم فيه بيده ولما رأي مابهم من التعب قال اللهم لاعيش الاعيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فاجابوه

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد مابقينا أبدا

وفى رواية انه كان ينقل التراب ويقول

اللهم لولا أنت ماهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

ان الألى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم على الاحزاب قوله اللهم منزل الكتاب سريع الحساب

ليخالطنا) اى يعاشرنا بالجميل وضمير الجمع لانس وأهل بيته أى انتهت مخالطته باهلنا كلهم (حتى يقول لاخ لى صغير) من الام اسمه كبشة وأبوه طلحة بن زيد بن سهل الانصارى وستأتى ترجمة أبي طلحة آخر باب البكاء (ياأباعمير) بالتصغير (مافعل النغير) تصغير نغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار وقيل هو العصفور والمعنى ماحاله وماشأنه (قال أبوعيسى وفقه هذا الحديث) أي المسائل الفقهية المستنبطة منه (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمازح) لان أباعمير كان له نغر يلعب به فمات فحزن عليه فمازحه النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام ليسليه حزنه عليه كما هو شأن الصغير اذا فقد لعبته وانما كان ذلك مباسطة له لانه يفرح بمكالمة المصطفى ويرتاح لها ويفتخر بعد ذلك فيقول لاهله كلمنى وسألنى فيشتغل باغتباطه بذلك عن حزنه ويزيل فرحه بذلك تلك الاحزان وكأن هذا الصغير كان له قوة ذكاء وفطنة فلذا خاطبه النبى صلى الله عليه وسلم بذلك لذلك (وفيه أنه كنى) بتخفيف النون وتشديدها (غلاما صغيرا فقال له ياأباعمير) أى جعل الصغير أباالشخص فيؤخذ منه ان مثل هذا التكنى لايدخل فى باب الكذب لان القصد من الكنية التعظيم والتفاؤل لاحقيقة اللفظ من اثبات ابوة وبنوة وما ذكره المصنف مبنى علي انه كان مسمى بهذا الاسم وهو كذلك فقد روى الشيخان عن أنس انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لى أخ يقال له أبو عمير وكان له نغير يلعب به فمات فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ماشأنه فقالوا مات نغيره فقال ياأباعمير مافعل النغير وفي رواية لمسلم وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا جاء ورآه قال ياأباعمير مافعل النغير خلافا لمن قال انه تصغير عمر بضم العين والميم وانه من قبيل أبى الفضل للاشارة الى انه يعيش قليلا فلا يدل علي جواز التكنى بماليس واقعا اذ لادليل على ما ادعاه من انه تصغير عمر وليس بعلم وأيضا لو كان كذلك كيف يسليه عن حزنه بما يشعر بقصر عمره فان ذلك مما لايناسب افعاله الجميلة واخلاقه الحسنة صلى الله عليه وسلم (وفيه أنه لابأس ان يعطى الصبى الطير ليلعب به) قال ابن مخلص معنى هذا اللعب عند العلماء امساكه له وتلهيته بحسنه لا بتعذيبه والعبث به انتهي وليست فوائد هذا الحديث منحصرة فيما ذكره المصنف بل فيه انه يجوز للانسان ان يسأل عن الشيء وهو يعلمه فانه صلى الله عليه وسلم كان قد علم بموت النغير وفيه اباحة تصغير الاسماء للترفق والتلطف وفيه معاشرة الناس ومخاطبتهم على قدر عقولهم وفيه جواز السجع وموضع النهى ما فيه تكلف ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ بك من علم لاينفع وقلب لايخشع ونفس لاتشبع ودعوة لاتسمع وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم لايمنع من السجع كما منع من الشعر قال المناوى وفيه جواز حبس الطير فى نحو قفص لسماع صوته أو رؤية لونه اذا أحسن القيام به وقص جناح الطير اذ لايخلو حال طير أبي عمير من واحد منهما وأيهما كان الواقع التحق به الآخر فى الحكم اه قيل وفيه جواز صيد المدينة بخلاف صيد مكة واحتمال انه صيد

اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وروي أحمد عن أبي سعيد قال قلنا يوم الخندق يارسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح (وروى) أنه صلى الله عليه وسلم دعا فقال اللهم ياصريخ المكروبين يامجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى مانزل بي وباصحابي فاتاه جبريل فبشره بان الله سبحانه وتعالى يرسل عليهم ريحا وجنودا فاعلم أصحابه ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت (٢٥) ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد والقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا في أرجاء عسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هاربين فلله الحمد ولتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها انظر المواهب

صيد خارجها خلاف الاصل فيحتاج الى اثبات قيل وفيه جواز دخول الرجل على المرأة الاجنبية اذا أمن الفتنة وفيه انه ليس في الحديث ذكر للمرأة مطلقا وعلى تقدير وجودها من أين له ثبوت الخلوة معها وعلى فرض تسليم ذلك فيجب القول بالاختصاص اذ حرمة الخلوة مع الاجنبية اجماعية ولو أمن على نفسه الفتنة وقد قال بعض العارفين لو كان الرجل هو الحسن البصري والمرأة رابعة العدوية فلا يحل الاختلاء بينهما لان الاحكام الشرعية وردت على اطلاقها قال في جمع الوسائل ولا يلزم من دخول سفيان وغيره على رابعة العدوية وجلوسهم اليها اختلاؤهم بها حاشى الاولياء مع كمال روعهم واحتياطهم في الدين ان يقع من أحدهم هذا الامر المكروه المنكر شرعا وعرفا مع انه لا ضرورة اليه وانما قال بهذا بعض أهل البدعة والله ولي دينه وفوائد هذا الحديث تزيد على المائة وقد أفردها ابن القاضي بجزء وقد قال الامام تاج الدين عطاء الله نفعنا الله تعالى به في كتابه التنوير لما تكلم على حديث اتقوا الله واجملوا في الطلب وذكر ان فيه عشرة أوجه ماحاصله انه ليس القصد الحصر بل الامر أوسع من ذلك لانه كلام صاحب الانوار المحيطة فلا يأخذ الآخذ منه الا على حسب نوره ولا يحصل من جواهر بحره الاعلى قدر غوصه وكل يفهم على حسب المقام الذي أقيم فيه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وما لم يأخذوا أكثر مما أخذوا وقد قال عليه السلام أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا فلو عبر العلماء بالله أبد الآباد عن أسرار الكلمة الواحدة من كلامه لم يحيطوا بها علما ولم يقدروا لها فهما حتى قال بعضهم عملت بحديث واحد سبعين عاما ومافرغت منه وهو قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وصدق رضي الله عنه ولو مكث عمر الدنيا أجمع وأبد الآباد لم يفرغ من حقوق هذا الحديث وما أودع فيه من غرائب العلوم وأسرار الفهوم اه وناهيك ان الله تعالى آتاه علم الاولين والآخرين ومنحه من الحكمة مالم يمنحه أحدا من العالمين فما من عالم ضربت له أكباد الابل في أشتات العلوم العقلية والنقلية ممن تقدم أو تأخر الا وكلام المصطفى صلى الله عليه وسلم له قدوة واشارته له حجة دون تعلم منه صلى الله عليه وسلم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا جلوس مع علمائها

كفاك بالعلم في الأمي معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليتم

قال المصنف (حدثنا عباس بن محمد الدوري نا علي بن الحسن بن شقيق نا عبد الله بن المبارك عن اسامة بن زيد عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قالوا يارسول الله انك تداعبنا) بالدال المهملة والباء الموحدة أي تمازحنا أي وقد نهيتنا عن المزاح كما سبق ونحن مأمورون باتباعك في الاقوال والافعال فما الحكمة في ذلك فكأنهم قصدوا السؤال عن المداعبة هل هي من خصائصه فلا يقتدي به فيها (قال اني لا أقول الا حقا) اي حتى في مزاحي فكل من قدر على المحافظة على قول الحق وتجنب الكذب وأنواع الباطل من السخرية والاستهزاء وعلى ابقاء

(حالفوهم وخالفوهم ولم أد
رلماذا تخالف الحلفاء)

أي حالفوا اليهود وعاهدوهم على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وخالفوهم فرحلوا عنهم وأسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم كذا قرره ابن حجر ويصح ان يريد حالفهم المنافقون ويشهد له مابعده وقوله ولم أدر لماذا تخالف الحلفاء فيه تجاهل العارف وسماه السكاكي سوق المعلوم مساق المجهول اغراء للسامع على الحث عن سبب ذلك لانكاره والتوبيخ عليه وان كان ظاهرا وهو هنا ان الله تعالى أراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستئصال دابرتهم

(أسلموهم لاول الحشر لا مي
عادم صادق ولا الايلاء)

أي أسلم المنافقون كعبد الله بن أبي وأصحابه وتركوا اليهود وهم بنو النضير لاول الحشر لا ميعادهم أي المنافقين لليهود انهم ينصرونهم صادق ولا الايلاء أي ولا حلفهم

(٤ - جاسوس - ثاني) صادق قال تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر الآية اي في أول حشرهم واخراجهم من جزيرة العرب الى الشام وانما كان أولا لانهم لم يصبهم مثله قبله وآخر حشرهم اجلاء عمر لمن بخيبر منهم ومن اهلها الى الشام اوفى اول حشر الناس للشام لانها فتحت بعد ذلك بقليل وقصدها الناس للاقامة بها وعليه فآخر حشرهم بها عند قيام الساعة لانها ارض المحشر (سكن الرعب والخراب قلوبا * وبيوتا منهم نعاها الجلاء) المراد بالرعب هيبة النبي

صلى الله عليه وسلم وخوف انتقامه منهم والخراب ذهاب العمران ففي البيت لف ونشر مرتب ونعاها الجلاء نعت لبيوتنا أي أخبرها الجلاء وهو خروج أهلها منها بخرابها الذي هو موت معنوي لان النعي الاخبار بالموت وفيه استعارة بالكناية اذ شبه خروجهم بكونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان مخبر بالموت وخيل بذكر النعي الملائم للمشبه به

(وبيوم الاحزاب اذ زاغت الابصار فيه وضلت الآراء) (٢٦) يعني ان بني قريظة منهم خدعوا واطمأنوا يوم الاحزاب وهو غزوة الخندق اذ جاءت قريش وغطفان وغيرهم بعشرة آلاف ونزلوا علي المدينة من أعلي واسفل اذ زاغت الابصار فيه وضلت الآراء وكان المسلمون ثلاثة آلاف وجاء حيي بن اخطب الى بني قريظة ورئيسهم كعب وقال جئتكم بعز الدهر وان العرب عاهدوني لا يبرحون حتى يستأصلوا محمدا وأصحابه فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد الذي بينهم وبين النبي صلي الله عليه وسلم فبلغ المسلمين ذلك وعظم البلاء واشتد الخوف وأتام العدو من كل جهة حتى ظن المسلمون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين وفي ذلك أنزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا

(وتعدوا الي النبي حدودا كان فيها عليهم العدواء)

يعني ان اليهود تعدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم حدودا حرمها الله تعالى عليهم ومنعهم من تجاوزها فلم يقفوا عندها وآذوا النبي صلى الله عليه وسلم فكان عليهم في مجاوزتها العدواء أي الفساد بوقوعهم بالهلاك وبعدم عن النجاة والمراد بالمتعدين مطلق الكفرة فيشمل المنافقين وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين واحد الظرفين من قوله كان فيها عليهم العدواء خبر والآخر حال وبين تعدوا والعدواء جناس الاشتقاق وكذا بين نهتهم وانتهت والبداو البداء والخيل والخيلاء وأكدى وكداء وعفا وعفواء وسوى وسواء وأحجمت والحجون واحلم والحلم الآتيات (ونهتهم وما انتهت عنه قوم * فابيد الامار والنهاء)

أي نهت أقوام منهم المتعدين عن استمرارهم علي اذاية النبي صلى الله عليه وسلم ومخالفته وما انتهت عنه أي عن مخالفته وايذائه وقوم

المهابة والوقار أبيح له ومن لا فلا لما يترتب عليه من المفاسد كجرءة من الصغير علي الكبير ونحو ذلك كما تقدم في كلام النووي وقد اختلف الشراح في المزاح اذا سلم من المحذور هل هو مندوب لان الاصل في أفعاله وأقواله عليه السلام وجوب أو ندب التأسي به فيها الا لدليل يمنع من ذلك ولا دليل هنا يمنع فتعين الندب أو هو جائز فقط أي ليس بممنوع لوجود المانع من السنية وهو نهيه عن المزاح بطريق العموم والقاعدة الاصولية انه صلى الله عليه وسلم اذا نهى عن شيء ثم فعله يكون فعله لبيان الجواز وان نهيه للتنزيه لا للتحريم كما في الشرب قائما والبول قائما وامثال ذلك قال في جمع الوسائل وقد تقدم أول الباب عن النووي حمل حديث النهي علي مزاح مخصوص وأحاديث الجواز علي نوع آخر ولو لا انه ثبت المزاح من أصحابه معه صلى الله عليه وسلم فأقره ولم ينههم منه لحمل مزاحه علي الاختصاص به (فقد روى أبو يعلى) ان رجلا كان يهدي اليه صلى الله عليه وسلم العكة من السمن أو العسل فاذا طولب بالثمن جاء بصاحبه فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم اعطه متاعه أي ثمنه فما يزيد صلى الله عليه وسلم على ان يتبسم ويأمر لصاحبه بثمنه وفي رواية انه كان لا يدخل المدينة طرفة الا اشتراها ثم جاء بها فقال يا رسول الله هذه هدية لك فاذا طالبه صاحبها بثمنها جاء به فقال أعط هذا الثمن * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا خالد بن عبد الله عن حميد عن أنس بن مالك أن رجلا) قيل كان به نوع من البلاهة (استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي سأله أن يعطيه دابة يركب عليها (فقال انى حاملك علي ولد ناقة) فتوهم ان المراد بولدها هو الصغير من أولادها على ما هو المتبادر الى الفهم (فقال يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل تلد الابل) صغرت أو كبرت (الا النوق) فيه مع مباسطته الارشاد له ولغيره انه اذا سمع قولا ان يتأمله ولا يبادر برده * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق نا معمر عن ثابت عن أنس بن مالك ان رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا) هو ابن حرام الاشجعي شهد بدرا (وكان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم هدية من البادية) أي مما يوجد فيها من أزهار وثمار ونبات وغيرها لانها تكون مرغوبة عزيزة عند أهل الحضر (فيجهز النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج) أي يعطيه من الطرف والمستحسنات التي تكون في الحاضرة ما يعينه علي كفاية أهله جزاء وفاقا (فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان زاهرا بادينا) أي نستفيد منه ما يستفيده الرجل من باديته من أنواع النبات فصار كأنه باديته وأبعد من قال انه علي حذف مضاف أي ساكن باديتنا (ونحن) أي أهل بيت النبوة فليس الجمع للتعظيم كما قيل ويؤيده ما في جامع الاصول من ان زاهرا كان يسكن البادية وكان لا يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه الا بطرفة يهديها اليه صلى الله عليه وسلم فقال ان لكل حاضر بادية وبادية آل محمد زاهر ابن حرام (حاضروه) أي نعوله ما يحتاجه من الحضر وليس هذا من ذكر المن بالانعام وانما هو ارشاد للامة الى مقابلة الهدية بمثلها أو خير منها لما في ذلك من حسن المعاملة والتخلق بالمجاملة

ويتنازعه فيه نهت وانتهت فبسبب ذلك أيد أى أهلك الامار جمع آمر منهم باذايته والنهاء جمع ناه أى عن اتباعه لبقاء كل من الفريقين على ضلالته وبين الامار والنهاء جناس الطباق كنهتهم ومانتهت وكالغدو والعشاء والقطع والوصل والتقريب والاقصاء والملام والاطراء والتباين والوفاء الآتيات (وتعاطوا في أحمد منكر القو * ل ونطق الاراذل العوراء) يعنى ان الكفار لعنهم الله تعالى تداولوا فى النبي صلى الله عليه وسلم ماينكر من القول شرعا لفساده وحمله عليه (٢٧) حسدهم وعداوتهم له عليه الصلاة والسلام فكانت اليهود لعنهم الله تعالى تعرض للنبي صلى الله عليه وسلم براعنا ونحوه حتى نهى الله تعالى عن ذلك وقال المنافقون يوم الخندق يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر وان أحدنا اليوم لايأمن على نفسه ان يذهب الى الغائط ورماه المشركون بالسحر الى غير ذلك مما تكرر ذكر قضاياه ونطق أى منطوق الاخساء الكلمة القبيحة أى شأنهم الفحش

(كل رجس يزيده الخلق السو ء سفاها والملة العوجاء)

الرجس القذر أى كل قذر وغضب قائم بهم يزيده ماجبلوا عليه وهو الخلق السوء بفتح السين وضمها أى القبيح سفاها بفتح السين من سفه بالضم سفاها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه ويزيده أيضا سفاهة وبعدا عن الخير الملة أى الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب العوجاء أى الباطلة فتضاعف رجسهم بسوء خلقهم وفساد معتقدهم فهم فى نهاية البعد عن الخير شبهها بطريق عوجاء لايهدى سالكها الى مطلوبه بل يتيه ويضل فيها على سبيل الاستعارة المكنية واثبات العوج تخييل

بالمجاملة (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه) يشهد له ماتقدم ومايأتي وذلك علامة على سعادته ووفور حظه من الخير (وكان رجلا دميما) بالدال المهملة أى قبيح الصورة (فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو يبيع متاعه) جملة حالية (واحتضنه) في نسخة فاحتضنه بالفاء وهو أنسب أى ادخله فى حضنه بان ضمه اليه والحضن مادون الابط الى الكشح وهو مابين الخاصرة الى الضلع وكانه وجده مشغوفا ببيع متاعه بمجامع قلبه فاشفق عليه ان ينهار فى قعر بئر البعد عن الحق فاحتضنه احتضان المشفق على من أشرف على السقوط (من خلفه) أى من ورائه بان أدخل يديه تحت ابطى زاهر فاعتنقه ولعله أخذ عينيه بيديه كى لايعرفه ولذلك قال (ولا يبصره) حال من مفعول احتضنه (فقال) لماشق عليه الاشتغال عن بيعه (من هذا ارسلنى من هذا فالتفت) أى ببعض بصره (فعرف النبى صلى الله عليه وسلم) فلما وجد برد الذات المتعالية فى قلبه لامعا لم يكن بمجرد ذلك العناق قانعا (فجعل لايألو ماألصق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم) مامصدرية أى لايقصر فى الصاق ظهره بصدره تبركا بمن هو رحمة للعالمين وتحصيلا لثمرات القرب من سيد المرسلين والظاهر انه كان حينئذ ممسوكا بيديه صلى الله عليه وسلم والالوقع على رجليه وقبلها بمقلتيه وتبرك بغبار قدميه وجعله كحل عينيه (حين عرفه) كره اهتماما بشأنه وتنبيها على ان منشأ هذا الالصاق معرفته ليس الا (فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول) تأديبا له (من يشترى العبد) وفى نسخة هذا العبد اشارة الى أن من شغل بغير الله فهو عبد هواه ماأحببت شيأ الا كنت له عبدا وهو لايريد ان تكون لغيره عبدا كما قال فى الحكم (فقال يارسول الله اذن والله تجدنى كاسدا) أى غير مرغوب فيه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مبشرا له بعلى قدره وعظيم رتبته وفخره لما استشعر منه الانابة (لكن عند الله لست بكاسد) الظرف متعلق بكاسد (أو قال) شك من الراوى (أنت عند الله غال) وهذا أبلغ من الاول وبهذا تعلم ان مزاحه صلى الله عليه وسلم ليس مزاحا الا باعتبار الصورة لايخلو عن بشرى فاضلة أو مصلحة شاملة أو فائدة كاملة فهو فى الحقيقة غاية الجد وقد أخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول فى الاصل الثانى والاربعين هذا الحديث بغير هذا اللفظ ونصه عن ثابت البناني قال لاتسخروا من أحد فان أنسا حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبقيع فاذا باعرابى أعمش العينين دقيق الساقين عليه شملتان معه عكة سمن يبيعها فجاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذا زاهر هذا يحب الله ويحبه فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يشترى منى زاهرا فقال يارسول الله اذن تجدنى كاسدا فقال انك عند الله لست بكاسد اذا قدمت المدينة فانزل على واذا أنا بدوت نزلت عليك اه وفي الحديث ان المدار على حسن الباطن ولذا ورد ان الله لاينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم * قال ابن حجر وفيه الدخول الى السوق والاعتناق من خلف وتسمية الحر عبدا والنداء على البيع ومدح الصديق بما يناسبه لقوله باديتنا وقوله

(فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وماساق للبذي البذاء) اى تأملوا أيها العقلاء الحنفاء كيف وقع عاقبة أى مآل ومصير القوم الذين تعدوا الحدود وخالفوا ماأمرهم به المعبود فكفروا وتعاطوا فى نبيه صلى الله عليه وسلم شنيع القول من مآلهم الى خزى الدنيا ومصيرهم الى عذاب الآخرة وانظروا أيضا ماساق للبذى اللسان اى فاحش النطق بذاؤه اى فحشه والمسوق له هو تحلفه عن سعادة الدارين وفيه تشبيه البذى بدابة مسوقة والبذاء بسائقها على سبيل الاستعارة المكنية واثبات السوق للبذى على جهة كونه فاعلا وللبذى على جهة كونه

واقعا عليه تحييل (وجد السب فيه سما ولم يد * راذا لميم فى مواضع باء) فاعل وجد يعود علي البذى والسب الشتم وضمير فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالسم القاتل المعروف وبينه وبين السب الجناس المضارع ولم يدر ذلك البذى ان سبه هو عين السم القاتل لوقته لفظا اذ الميم باء فى مواضع من كلام العرب فاذ تعليلية والميم مبتدأ وباء خبره اذ يتقارضان ويتعاقبان وفى مواضع حال من الخبر وذلك كقولهم في بيد ميد وفى بكر (٢٨) مكر وفى ما اسمك باسمك وهى لغة مازن ربيعة وقد سأل الوائق رجلا منهم بقوله

باسمك فقال بكر ففطن لذلك وانه تجنب لغته لاقتضاء المقام ذلك والمعنى ان سهم اهلكهم كما يهلك السم بل أكثر وأبلغ لان اهلاك السم فى الدنيا وله أدوية تزيله واهلاك السب فى الدنيا والآخرة ولا دواء له

أنت عند الله غال وقبول الهدية والمجازاة عليها ومداعبة الاعلي للادنى * قال المصنف (حدثنا عبد بن حميد نا مصعب بن المقدام نا المبارك بن فضالة) بفتح الفاء (عن الحسن) اى البصرى لانه المراد عند الاطلاق فى اصطلاح المحدثين فالحديث مرسل (قال أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم) أى جاءته امرأة كبيرة ولا يقال عجوزة الا فى لغة رديئة على ما فى القاموس وهذه المرأة قيل انها صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام وعمة النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن حجر تبعا لشارح أسلمت وهاجرت مع ولدها الزبير شهدت الخندق وقتلت رجلا من اليهود وضرب لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم توفيت فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة عشرين ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع (فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان) كأن الراوى نسى الاسم الذى جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم فأقام لفظ فلان مقامه (ان الجنة لا تدخلها عجوز قال) الحسن (فولت تبكي فقال أخبروها أنها) أى أم فلان المذكورة وغيرها يعلم بالمقايسة وعليه فتكون مبشرة بالجنة ويحتمل ان الضمير لجنس العجوز الدال عليه قوله ان الجنة لا تدخلها عجوز وهو الاظهر وان قال ببعده ابن حجر قاله فى جمع الوسائل (لا تدخلها وهى عجوز) اى بل تدخلها وهى شابة (ان الله تعالى يقول) استئناف متضمن للعلة (انا أنشأناهن انشاء) على ان ضمير الاناث يعود علي النساء وهو مقتضى ماهنا يكون المعنى خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر غير خلقهن وهو قوله فجعلناهن أبكارا الخ واما علي ان الضمير للحور العين المدلول عليه بالسياق فالمعنى خلقناهن خلقا ابتداء من غير ولادة ولا تدريج فى التربية والسن وهو الذى ذكره البيضاوى وابن حجر هنا لكن علي هذا وجه المطابقة بين الآية والحديث غير ظاهر فالاظهر كما فى جمع الوسائل ان يجعل الضمير الى نساء الجنة بأجمعهن ويكون حاصل المعنى ان نساء الجنة كلهن خلقهن الله خلقا آخر يناسب البقاء والدوام وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى البدنية وانتفاء صفات النقص (فجعلناهن أبكارا) عذارى كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع (عربا) جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها عشقا له وقيل الغنجة والغنج فى الجارية تكسر وتدلل وقيل الحسنة الكلام (أترابا) جمع ترب اى مستويات فى السن أبناء ثلاثين أو ثلاثة وثلاثين اذ هذا أكمل أسنان نساء الدنيا ولعل اقتصاره صلي الله عليه وسلم علي العجائز لسبب ورود الحديث أولأن غيرهن يعلم بالمقايسة بل بالطريق الاولى لانه اذا كان هذا نعت النساء اللاتى خلقن للرجال فما ظنك بالرجال * وقد ورد ان أهل الجنة جرد مرد بيض جعد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على خلق آدم عليه السلام طولهم ستون ذراعا عرض سبعة أذرع وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ويعطى الرجل منهم من القوة فى اليوم الواحد افضل من سبعين منكم * ومن أحاديث الباب ما رواه ابن أبى حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم الفهرى انه قال للمرأة التى سألته عن زوجها أهو الذى بعينه بياض

(كان من فيه قتله بيديه
فهو فى سوء فعله الزباء)

كان ناقصة واسمها قتله وبيديه الخبر ومن فيه أى فم البذى هو حال من الضمير المستتر في الخبر ومن تعليلية اى من اجل ما صدر من فيه كان قتله بيديه وقتل الانسان نفسه أشد من قتل غيره له فبسبب ذلك هو اى البذى القاتل لنفسه فى سوء فعله بنفسه الزباء اى شبيهها وهى الملكة المشهورة فى العرب كان جذيمة الابرش قتل أباها ثم احتالت عليه حتى قتلته ثم احتال عليها ابن أخته عمرو بن عدي حتى ظفر بها ولم يتمكن منها فتناولت خاتما مسموما فصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدى لا بيد عمرو خوفا من تعذيبه اياها وقصتها مشهورة وفى غير ما ديوان مسطورة

(او هو النحل قرصها يوجب الحتف
نف اليها وماله انكاء)

هذا تشبيه آخر للبذى فهو فى سوء فعله كالنحل لسعها لغيرها يوجب الحتف اى الموت اليها عقب لسعها والحال ان لسعها ليس له انكاء وقد اي جرح ولا قتل ولا تأثير قوى للملسوع فكل منهما مثل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليهما بما كان سببا لهلاكهما

(صرعت قومه حبائل بغى * مدها المكر منهم والدهاء) صرعت فعل أى ألقت فاعله حبائل جمع حبالة وهى التى يصاد بها ونا صبها يسمي الحابل وقومه مفعوله والبغى الظلم والمكر ابطان السوء مع اظهار خلافه ومنهم حال من المكر والدهاء بالقصر والمد

المكر وجودة الرأى والمعنى ألقت قوم النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسله الله اليهم فلم يؤمنوا به قتلى بين يديه شباك ظلم من تلك الشباك اليه المكر الصادر منهم والدهاء أى رأيهم الفاسد وفى كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه صلى الله عليه وسلم صرعى بين يديه بصيود مصروعة بين يدى الصائد ومن حيث تشبيه البغى بشبكة الصائد ومن حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد كما تقتضيه نسبة المدالهما أو بحبال الشبكة التى يمدها الصائد حتى يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المدالملازم للمشبه وتجريدية بذكر الصرع اللائق بالمشبه وبه تعلم ان فى كلامه ثلاث استعارات مكنيات الاولي تشبيه القوم بالصيد وجرد لها بذكر الصرع والمكر والدهاء لهم ورشح لها أو خيل بذكر الحبائل والمدوالثانية تشبيه البغى بالشبكة وخيل لها باثبات الحبائل له ورشح بذكر المدوجرد بذكر الصرع الملائم للبغى والثالثة تشبيه المكر والدهاء بالصائد على مامر وخيل باثبات المد ورشح بذكر الحبائل وجرد بذكر الصرع هنا اذ لامانع من اشتراك مكنيتين أو أكثر فى كون الشئ الواحد تخييلا وترشيحا أو تجريدا للكل اعتبار الكل علي حدتها بما يناسبها

وقد ذكره القاضى عياض فى الشفاء من غير اسناد * وردأنه صلى الله عليه وسلم مج مجة في وجه محمود بن الربيع وهو ابن خمس سنين يمازحه فكان فيها من البركة أنه لما كبر ولم يبق فى ذهنه من الرواية غيرها فعد بها من الصحابة ورواتهم وجعل عمره أقل زمان التحمل وانه نضح الماء فى وجه بنت أم سلمة فلم يزل رونق الشباب فى وجهها وهى عجوز كبيرة نقله ابن حجر وغيره قبل هذا المحل

باب
صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعر

الشعر أصله من شعرت أي أصبت او علمت علما دقيقا كدقة الشعر ومنه قولهم ليت شعرى اي ليتنى علمت وقد صار فى العرف اسما للكلام الموزون المقفى قصدا وهذا القيد يخرج ما صدر منه صلى الله عليه وسلم من الكلام الموزون وأما ما وقع فى الكتاب المكنون نحو لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون نصر من الله وفتح قريب فلاشك أنه مقرون بالارادة والمشيئة التى هى معنى القصد لانه لايقع فى الكون شيء بدون المشيئة ولعل الجواب أنه ليس مقصودا بالذات وانه وقع تبعا قاله في جمع الوسائل والاخبار فى ذم الشعر ومدحه متعارضة * وقد روى باسناد حسن عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشعر فقال هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح قال العلماء معناه ان الشعر كالنثر لكن التجرد له والاقتصار عليه مذموم وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا وصديدا خير له من أن يمتلئ شعرا وفى الرسالة ولا بأس بانشاد الشعر وماخف من الشعر أحسن ولاينبغى أن يكثر منه ومن الشغل به اه وآية وماعلمناه الشعر تقتضى غضاضة علي الشعر * وعن عائشة كان الشعر أبغض الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لما فيه غالبا من تزوير القلب والكذب ومجاوزة الحد فى المدح وتصوير الباطل بصورة الحق وعكسه وغير ذلك مما يتحاشى عنه جانب النبوة فحمى الله سبحانه نبيه منه ترفيعا له وتنزيها لقدره * وفى ذم الشعر يقول المتنبى

لاتحسبن الشعر فضلا بارعا * ما الشعر الا معجنة وخبال
الهجو قذف والرثاء نياحة * والعتب ضغن والمديح سؤال

وفى مدحه يقول أبو تمام

ولم أر كالمعروف ترعى حقوقه * مغارم فى الاقوام وهى مغانم
ولا كعلا مالم ير الشعر بينها * فكالارض غفلا ليس فيها معالم
ولولا خصال سنها الشعر مادرت * بغاة العلا من أين تؤتي المكارم
يرى حكمة مافيه وهو فكاهة * ويرضي بما يقضى به وهو ظالم

وقال عمر رضي الله عنه تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوى تتقى اه ويأتي لهذا المعنى تتمة (حدثنا على بن حجر نا شريك عن المقدام بن شريح عن أبيه) أى شريح ابن هانئ الحارثى أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو من جملة أصحاب على كرم الله وجهه وممن ظهرت

(فاتتهم خيل الى الحرب تختا
ل وللحرب فى الوغى خيلاء)

اى فبسبب مكرم ودهائهم أتتهم من قبله صلى الله عليه وسلم خيل تتبختر بهارا كبوها تها وعجبا وللخيل النفائس وعليها الشجعان فى الوغى أى الحرب خيلاء أي كبر وتبختر وترفع وهذا تذييل والحاصل انهم مهما تحزبوا الحربه صلى الله عليه وسلم وحاولوا اخفاء أمره بدد الله جمعهم وقتل ساداتهم وأظهر أمره عليهم ولايحيق المكر السيء الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون به كيدا الا عاد وباله عليهم وكيف وهو الذى أيده بنصره وبالمؤمنين

(قصدت فيهم القنا فقوافى الطـ*ـعن منها ماشانها الايطاء) أى قصدت فى ابدانهم القنا جمع قناة اى الرماح وفى هذا الاستعارة المشهورة فى قوله تعالى جدارا يريد أن ينقض فاقامه ولاينا فى ذلك عد كثير له من أنواع المجاز باعتبار ان فيه اضافة الفعل الى مالا يصلح منه وهي الارادة التى هى من صفات الحيوان لان ذلك مبنى على تشبيه ميله للوقوع بارادته له وللاستعارة مجاز علاقته المشابهة

ومن ثم قيل زوج المجاز التشبيه فتولد بينهما الاستعارة وهل هو مجاز لغوى أو عقلى خلاف والاصح الاول لانها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لاعم منهما فأسد فى رأيت أسدا يرمى موضوع للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجرىء والقوافى جمع قافية والطعن الضرب والمراد الطعنات المتوالية المشبهة بالقوافى فى تتابعها حال كون ذلك الطعن منها أى من تلك الرماح ماشانها من الشين أى ماعابها الايطاء وهو تكرير القافية لفظا ومعنى قبل (٣٠) سبعة أبيات وهو معيب عندهم لانه يدل على عى الشاعر وقصوره وكذلك هنا فى الطعن لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه أى فلم يوجد فى طعناتهم مايطعن فيها مما يشبه الايطاء وفى بعض النسخ فقوى فى الطعن منها من شأنه الايطاء فيكون قوى فعل ماض على لغة طيء لانهم يبدلون فى كل فعل معتل الآخر على وزن فعل بكسر العين كسرته فتحة والياء الفا كخفى ورضى قال فى الكافية والكسر فتحا ردواليا ألفا لطيء كخفى اردده خفا ومن يفتح الميم فاعل قوى ومنها بمعنى بها والمعنى فقوى فى الطعن بها من عادته الكرة على العد وبعد الكرة

(واثارت بارض مكة نقعا
ظن ان الغدو منها عشاء)

فاعل أثارت عائد على الخيل أى رفعت تلك الخيل لما ركضت فى مهامه الحرب بارض مكة نقعا أى غبارا أظلم الجو حتى ظن العدو من أجل تلك الخيول التى أثارت ذلك النقع وقت عشاء وفيه تلميح الى قوله تعالى فأثرن به نقعا وفى البيت اشارة الى غزوة الفتح التى هى الفتح الاعظم الذى أعز الله به دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم وجنوده وحرمه الامين واستنقذ بلده وبيته الذى جعله هدى للعالمين من أيدى الكفار والمشركين وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء افهام ودخل الناس فى دين الله أفواجا وأشرق به وجه الدهر ضياء وابتهاجا خرج له صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية فانه قد كان وقع الشرط انه من أحب ان يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب ان يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله

فتوا فى زمن الصحابة (عن عائشة قال) أى شريح وفى نسخة قالت (قيل لها كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل) أى يستشهد (بشىء من الشعر) فى القاموس تمثل أنشد شعرا وتمثل بشىء ضربه مثلا (قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة) هو عبد الله بن رواحة الانصارى الخزرجى أحد النقباء شهد العقبة وبدرا واحدا والخندق والمشاهد بعدها الا الفتح ومابعده لانه قتل يوم مؤتة شهيدا أمير اسنة ثمان وهو أحد الشعراء المحسنين ومن شعره

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ماقال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم تمثل من شعره بقوله يبيت يجافى الخ (ويتمثل) أى بشعر غيره أيضا (ويقول) أى متمثلا بقول أخى قيس طرفة بن العبد (ويأتيك بالاخبار من لم تزود) من التزويد وهو اعطاء الزاد قال فى جمع الوسائل والظاهر انه أراد بالآتى بالاخبار من غير تزويد نفسه الشريفة كما تشير اليه الآية المنيفة قل ما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على الله والله أعلم اه وهو بعيد وظاهر هذه الرواية أنه تمثل بهذا المصراع ولم يكسر وزنه والذى عند الشيخ السمرقندى عن عائشة أنه قال ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال أبو بكر ليس هكذا يارسول الله فقال ما أنا بشاعر وكذا ذكره ابن كثير فى تفسيره فكأنه صلى الله عليه وسلم تمثل بمعناه فانه كان اذا حاول انشاد بيت قديم متمثلا كسر وزنه وانما كان يحرر المعانى فقط فاما ان يقال معنى قولها هنا ويتمثل الخ انه تمثل بمادته وجوهر حروفه دون ترتيبه الموزون او يحمل على تعدد الواقعة وظاهره أيضا ان البيت من كلام ابن رواحة لا سيما على نسخة ويتمثل بقوله وقد اتفقوا على انه من شعر طرفة والجواب أنه كلام برأسه والضمير المجرور لشاعر مشهور به معروف عندهم والظاهر انه انما تمثل بهذا المصراع دون صدره وهو قوله

* ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان الثورى عن عبد الملك بن عمير نا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أصدق كلمة) المراد بها هنا الكلام (قالها الشاعر) رواية مسلم وستأتى عند المصنف أشعر كلمة تكلمت بها العرب وفى رواية ان أصدق بيت قاله الشعراء (كلمة لبيد) هو ابن ربيعة العامرى الصحابى أدرك الجاهلية والاسلام وحسن اسلامه عاش مائة وأربعا أوسبعا وخمسين وهو أفصح شعراء العرب وفصحائهم ولم يقل شعرا بعد الاسلام وكان يقول يكفينى القرآن * قال فى جمع الوسائل وكأنه رضى الله عنه استحيا أن يقول شيأ بعد سماع كلامه تعالى المعجز للاولين والآخرين أو غاص فى لجج امواج بحار علوم القرآن الجامع لعلوم الاولين والآخرين فأغناه الاشتغال به عن الاشتغال بغيره تحققا بقوله تعالى أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وقد قال ابن عباس جميع العلم فى القرآن ولكن تقاصر عنه

صلى الله عليه وسلم وعهده وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت المدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير فاصاب منهم رجل يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال وامدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا في خفية وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا من خزاعة فقدموا على (٣١) رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه

افهام الرجال ولعله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بالشعر ويمدحه أحيانا تألفا لقلوب المؤمنين وتدريجا باقوال العارفين الى كلام رب العالمين لمناسبة البشرية العاجزة غالبا عن فهم الاسرار الالهية وهذا وجه ماحكي أن بعض المشايخ قرأ حزبه من القرآن بعد الصبح ولم يحصل له وجد فحضر قوال فأنشد له شعرا فحصل له تواجد عظيم فلما أفاق قال أما تعذرون القائلين في حق أنه الزنديق اه بالمعنى (الا كل شيء ماخلا الله باطل) أي فانه مضمحل وانما كان هذا أصدق الكلام لموافقته لقوله تعالى كل من عليها فان وقوله كل شيء هالك الا وجهه والمقصود من هذا الكلام التزهيد في الاكوان والتعلق بالحي القيوم الذي هو كل يوم في شأن وذلك أن كل ماسوى الله تعالى في نظر العارفين عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه والوجود الحقيقي انما هو لله سبحانه وأما وجود ماسواه تعالى فهي غاية الضعف لانه محفوف بالعدم السابق وبالعدم اللاحق ويجوز عليه في كل لحظة الزوال والفقد وكما أنا اذا رأينا خيط عنكبوت في الهواء لا نعبأ به ولا نشغل قلوبنا بشانه ولا نعتمده في شيء لغاية ضعفه فكذلك جميع الاكوان عند العارفين اذ كلهم لا يملك لنفسه فضلا عن غيره نفعا ولا ضرا وكلهم يجوز عليه الانعدام في كل لحظة والتحقق بهذا المعنى هو زبدة التوحيد وعمدة أهل التفريد وفي ذلك يقول قائلهم

الله قل وذر الوجود وماحوى * ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها * لولاه في محو وفي اضمحلال
من لاوجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا * شيا سوى المتكبر المتعالى
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا * في الحال والماضي والاستقبال

فمن أشرف هذا النور في قلبه انقطع الى الله ولم تسكن الى شيء سواه لاستحضاره عجز الكل وقدرة الواحد وتيقنه فقر الجميع وغنى الواحد ومعرفته بضعف الجميع وقوة الواحد وذل الجميع وعزة الواحد فاوجب له ذلك الاعراض عن الجميع والاقبال على الواحد فقصر أمله عليه وجعل وجهته كلها اليه وآخر هذا البيت * وكل نعيم لامحالة زائل * وبعده

وكل ابن أنثى لو تطاول عهده * الى الغاية القصوى فللقبر آيل
وكل أناس سوف تحدث بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وأول القصيدة

ألا تسالان المرء ماذا يحاول * أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

(وكاد أمية بن أبي الصلت) الثقفي أدرك الاسلام ولم يوفق له وكان يتعبد في الجاهلية ويؤمن بالبعث وكان ينطق في شعره بالحقائق ويغوص على المعاني البديعة والرقائق ولذلك لما سمع

بالذي أصابهم ويشعرونه فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه ويقول لانصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسي وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله من العرب كأسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا وجمع بانه خرج بعشرة آلاف ثم تلاحق به الالفان واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم واتفقوا على أنه في رمضان سنة ثمان من الهجرة وكان سيدنا العباس قد خرج قبل ذلك باهله وعياله مسلما مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وكان ممن لقيه في الطريق أبو سفيان بن الحرث بن عمه عليه الصلاة والسلام وكان معه ولده جعفر فاسلما قبل دخول مكة ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم نزل عند الظهران عشاء فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون مما يخافون من غزوه اياهم فبعثوا أبا سفيان بن حرب وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء حتى أتوا مر الظهران فلما رأوا العسكر فزعهم فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوهم فاخذوهم فاتوا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم أبو سفيان بن حرب فلما سار قال العباس اجلس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى تنظر الى المسلمين فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان فمرت

كتيبة فقال يا عباس من هذه قال هذه غفار قال مالي ولغفار ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك ثم أقبلت كتيبة لم ير مثلها قال من هذه قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار بالمعجمة المكسورة قيل معناه هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من ان ينالني مكروه وقال ابن اسحق زعم بعض أهل العلم ان سعدا قال اليوم (٣٢) يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعه رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما آمن ان يكون لسعد في قريش صولة فقال لعلي ادركه فخذ الراية منه فكن انت تدخل بها ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي سفيان قال ألم تعلم ماقال سعد ابن عبادة قال ماقال فذكره له قال كذب سعد هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تركز رايته بالحجون وفي حديث موسى بن عقبة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وامره ان يدخل من كدى من اعلى مكة وان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وامره ان يدخل من اسفل مكة وان يغرز رايته عند ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم ولا يقاتلوا الا من يقاتلهم واندفع خالد ابن الوليد حتى دخل من اسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحرث ابن عبد مناف وناس من هذيل ومن الاحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا فقاتلهم فانهزموا وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة او اربعة حتى انتهى بهم القتل الى باب المسجد حتى دخلوا الدور ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البارقة فقال ماهذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من ان يقاتلهم فقال قضى الله خيرا وعند ابن اسحق فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفس العباس لاهل مكة فخرج ليلا راكبا بغلة النبي صلى الله عليه وسلم لكي يجد أحدا فيعلم اهل مكة بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم ليستأمنوه فسمع صوت

عليه السلام من شعره مائة بيت كما يأتي قال في حقه كاد أي قرب أمية (ان يسلم) وقال أيضا آمن شعره وكفر قلبه وقيل انه المراد في قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي الآية فانه قرأ التوراة والانجيل في الجاهلية وكان يعلم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فطمع ان يكون هو فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر عاش حتى أدرك وقعة بدر ورثى من قتل بها من الكفار ثم مات أيام حصار الطائف كافرا وذلك في سنة ثمان وقيل تسع وقيل غير ذلك * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن الاسود بن قيس عن جندب بن سفيان البجلي قال أصاب حجر اصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم) بكسر الهمزة وفتح الباء وفي القاموس انه مثلث الهمزة والباء (فدميت) بفتح الدال وكسر الميم وفي رواية البخاري من طريق ابي عوانة عن الاسود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض المشاهد فدميت أصبعه الخ قال الكرماني قيل ذلك كان في غزوة أحد وفي صحيح مسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم في غار فدميت أصبعه قال الباجي لعله غاز يا فصحف لقوله في الرواية الاخرى في بعض المشاهد أو المراد بالغار الجيش وقال العسقلاني وقع في رواية شعبة عن الاسود خرج الى الصلاة أخرجه الطيالسي (فقال هل أنت) أي ما انت وتجوز قراءته بالتحقيق والنقل (الا اصبع دميت) باشباع التاء صفة لاصبع (وفي سبيل الله ما لقيت) الواو للحال وما موصولة مبتدأ حذف عائدها وفي سبيل الله خبره اي الذي لقيته حاصل في سبيل الله أي والمحب لا يبالي بما يلقاه في رضا محبوبه ويحتمل الاستفهام والاصل وما لقيت في سبيل الله والنفي اي ما لقيت شيأ في سبيل الله تحقيرا لما لقيته وتمنيا لما زاد * قال ابن حجر ولتوجعها خاطبها حقيقة معجزة له صلى الله عليه وسلم او على سبيل الاستعارة تسلية وتخفيفا لما اصابها اذ لم تبتل بقطع ونحوه مع ان ما ابتليت به لم يكن الا في سبيل الله ورضاه * قال المناوي وهذا الشعر لابن رواحة اخرج ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس ان جعفرا لما قتل بمؤتة دعا الناس يا ابن رواحة فاقبل وقاتل فاصيب اصبعه فارتجز وجعل يقول هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

يا نفس الا تقتلي فموتي * هذا حياض الموت قد صليت

وما تمنيت فقد لقيت * ان تفعلي فعلهما هديت

وقيل للوليد بن الوليد بن المغيرة اه * قال المصنف (حدثنا ابن عمر نا سفيان بن عيينة عن الاسود بن قيس عن جندب بن عبد الله) اي ابن سفيان (البجلي نحوه) اي بمعناه دون لفظه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا يحيى بن سعيد نا سفيان الثوري نا ابو اسحق عن البراء ابن عازب) صحابيان جليلان (قال قال له رجل) في رواية انه من قيس لكن لا يعرف اسمه (أفررتم) اي يوم حنين كما في رواية الصحيحين (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عمارة) بضم العين وتخفيف الميم كنية البراء والاستفهام للانكار او للاستعلام والمراد افررتم كلكم (فقال لا) اي لم يفر جميعنا بل بعضنا واكد بقاء البعض بقوله (والله ما ولى رسول الله صلى الله

ابى سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فاردف أباسفيان خلفه وأتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وانصرف الاخران ليعلما ان اهل مكة ويجمع بينه وبين ماتقدم بان الحرث لما أخذوه استنقذه العباس ويروى ان عمر رضي الله عنه لما رأى أباسفيان رديف العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذا أبو سفيان دعنى أضرب عنقه فقال العباس يارسول الله انى قد أجرته فقال صلى الله عليه وسلم اذهب ياعباس به الى رحلك فاذا اصبحت فأتنى به فذهب فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك ياأباسفيان ألم يأن لك ان تعلم ان لااله الا الله فقال بأبى أنت وأمي ماأحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت انه لو كان مع الله اله غيره لما أغنى عنى شيأ ثم قال ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم انى رسول الله قال بأبى انت وأمي ماأحلمك وأكرمك وأوصلك أماهذه ففى النفس منها شيء فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فاسلم وشهد شهادة الحق فقال العباس يارسول الله ان اباسفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيا قال نعم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى كتيبة خضراء وهو علي ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير ووضع صلى الله عليه وسلم رأسه تواضعا لله لما أكرمه به من الفتح حتى ان رأسه لتكاد تمس رجله شكرا وخضوعا لعظمته أن أحل له بلده ولم يحله لاحد قبله ولا لاحد بعده ومذهب

عليه وسلم) اي فكيف يفر جميعنا فكأنه اشار الى انه يلزم من ثبات الرسول عدم فرار أكابر الصحب لمثابرتهم على بذلهم نفوسهم دونه وعلمهم بان الله تعالى لايخذله وانه ينصره ويعصمه من الناس فهذا من البراء رضي الله عنه احتجاج على عدم فرار أكابر الصحابة لكن انما اتفقوا على ثبات العباس وأبى سفيان بن الحرث واختلفوا فيمن عداهم من سائر الصحابة وقال ماولى ولم يقل مافر تنزيها لمقامه الرفيع عن ان يستعمل فيه لفظ الفرار فى النفي فضلا عن الاثبات لانه أشنع من لفظ التولى اذقد يكون لتحرف اوتحيز بخلاف الفرار فانه لايكون الا للخوف والجبن غالبا انظر ابن حجر ثم بين ان مبدأ الفرار انما كان ممن في قلبه مرض من مسلمة الفتح ومؤلفتهم واخلاطهم الذين لم يتمكن الاسلام من قلوبهم بقوله (ولكن ولي سرعان الناس) قال الكرماني بفتح السين وكسرها جمع سريع وبفتح السين والراء أوائلهم واخفاؤهم الذين يسارعون الى الشيء ويقبلون عليه بسرعة فلما انكشفوا عن العدو ظن من فر من الصحابة انه لم يبق فيهم غناء فكروا ليعرفوا الخبر فاطلق علي فعلهم الفرار فى بعض الآثار أخذا بالظاهر وفى رواية لمسلم ياأباعمارة فررتم يوم حنين قال لا الخ وفى أخرى اكنتم وليتم يوم حنين ياابا عمارة فقال الخ فقال النووى ماحاصله تقدير الكلام افررتم كلكم فيقتضى ان النبي صلى الله عليه وسلم وافقهم فى ذلك لبعد ثباته منفردا في مقابلة جيش عظيم فقال البراء لاوالله مافر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن جماعة من أصحابه جري لهم كذا وكذا اه وهذا التقرير مناسب لرواية مسلم المتقدمة اذليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولرواية عند البخاري أوليتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واما علي رواية الترمذى ومثلها عند البخارى فقول السائل افررتم عن رسول الله لايدل علي انه عليه السلام فر بل علي انهم فروا وبقى هو منفردا فليس فيه مايوهم انه فر حتى يحتاج الى رفع هذا الايهام فالاولى فى تقرير رواية الترمذى ماتقدم انظر جمع الوسائل قال ابن حجر لم يرد عن احد من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم انهزم ومن ثم اجمع المسلمون علي انه لايجوز عليه الانهزام فمن زعم انه انهزم فى موطن من مواطن الحرب أدب تأديبا عظيما لائقا بعظيم جريمته الا ان يقوله علي جهة التنقيص فانه يكفر فيقتل مالم يتب علي الاصح عندنا ومطلقا عند مالك وجماعة من اصحابنا وبالغ بعضهم فنقل فيه الاجماع بل لو اطلق ذلك قتل عندهم علي ماأشار اليه بعض محققيهم اه وانظر قوله ومطلقا عند مالك فان الذى فى مختصر خليل واستتيب في هزم ثم ذكر سبب فرارهم بقوله (تلقتهم) اى قابلتهم وواجهتهم (هوازن) قبيلة مشهورة بشدة السهم لاتكاد تخطئ سهامهم (بالنبل) اى برميه وهو اسم جنس يراد به السهام العربية لا واحد له من لفظه وقيل انه جمع نبلة ويجمع على نبال وانبال وفى رواية لمسلم عن البراء وكانت هوازن يومئذ رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا علي الغنائم فاستقبلونا بالسهام الخ (ورسول الله صلى الله عليه وسلم علي بغلته) هى بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة الجذامى كذا فى مسلم وقيل ان البغلة التى ركبها يوم حنين هي دلدل وكانت شهباء أهداها له

(٥ - جسوس - ثانى) مالك هو الذى تدل عليه احاديث الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يومئذ غير محرم وفى هذا اليوم اغتسل فى بيت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب وصلى الضحى ثمان ركعات خفف فيها وصلاها صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فكلما مر بصنم أشار اليه بقضيبه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه رواه البيهقي * وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة

في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت قال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ ان الامر سيصير الى ماقال فلما كان يوم الفتح قال ياعثمان ائتني بالمفتاح فأتيته به فأخذه مني ثم دفعه الي وقال خذوها خالدة تالدة لاينزعها منكم الاظالم ياعثمان ان الله استأمنكم علي بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت ناداني فرجعت اليه قال ألم يكن الذي قلت لك قلت بلى اشهد انك رسول الله وصعد صلى الله عليه وسلم علي الصفا ورفع يديه الى الدعاء فقالت الانصار فيما بينهم أترون رسول الله صلي الله عليه وسلم يقيم ببلده فقال لهم صلى الله عليه وسلم معاذالله المحيا محياكم والممات مماتكم واقام صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة اوسبع عشرة او ثمان عشرة او تسع عشرة يقصر الصلاة انظر المواهب والله الموافق

(أحجمت عنده الحجون واكدى عند اعطائه القليل كداء)

الحجون بفتح الحاء المهملة هو الجبل المطل علي مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو كداء بالفتح والمدومن هناك دخل النبي صلى الله عليه وسلم وقال للزبير وقد قدمه قبله بمن معه من المهاجرين والانصار اركز الراية عند الحجون واحجمت اى كفت أونكصت هيبة عندذلك النقع المثار والمراد بمن أحجم هم أهل الحجون من قريش الذين يلون ناحيته فلم يقاتلوا بل نكصوا عنه ولم يعرضوا له واكدى اى قطع وعند اعطائه القليل حال من كداء بضم الكاف والمد فى لغة ضعيفة اى واعطى الصوت اهل كداء قتالا قليلا ثم قطعوا وفروا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم امر خالدابن الوليد سيف الله تعالى ورضى عنه ان يدخل بالخيل من اسفل مكة من كداء ويغرز رايته عند أدني البيوت وان لايقاتل فبدأه بعضهم بالقتال فقاتلهم حتى ادخلهم البيوت بل المسجد ثم كف وقال له النبي صلي الله عليه وسلم بعد ذلك لم قاتلت وقد نهيتك فقال كففت يدي ما استطعت فقال قضاء الله تعالى خير

المقوقس وأما التي أهداها له فروة فيقال لها فضة قال العلماء وركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة فى موطن الحرب مع عدم صلوحها للحرب ومن ثم لم يسهم لها مع كونها من مراكب الامن والطمأنينة ومع ان الملائكة لم تقاتل فى ذلك اليوم الاعلي الخيل ومع انه كان له افراس متعددة هو النهاية فى الشجاعة وليكون أيضا معتمدا يرجع اليه المسلمون وتطمئن قلوبهم به وبمكانه وليكون ممتازا عن غيره وايذانا بان سبب نصرته مدده السماوي وتأييده الرباني الخارق للعادة وانه غير مكترث ولاملتفت لحكم العدو وقد انهزم الكفرة وهم عشرة آلاف مقاتل من بين فارس وراجل بقبضة من حصى حتى سبيت نساؤهم وحيزت أموالهم بعد ماانهزم منهم المسلمون وقتل من المشركين أكثر من سبعين واستشهد من المسلمين أربعة (وأبو سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب) هو ابن عمه عليه السلام وأخوه من الرضاعة وكان يألفه قبل البعثة فلما بعث عاداه وهجاه ثم أسلم عام الفتح وحسن اسلامه ويقال انه مارفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه منذ أسلم أسلم معه ولده جعفر لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالابواء وأسلما قبل دخول مكة وروى عنه انه قال لما حضرته الوفاة لاتبكوا علي فانى لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت توفي بالمدينة سنة عشرين وقال ابن قتيبة دفن بينبع وكان رضى الله عنه هو الذى حفر قبر نفسه قبل ان يموت بثلاثة أيام وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابوسفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة وسيد فتيان أهل الجنة (آخذ بلجامها) فهو ممن ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ولم يفر قيل ولم يثبت معه يومئذ الاعمه العباس وأبو سفيان بن الحرث وابوبكر وأبو امامة الباهلي وأناس من أهل بيته واصحابه وفى مسلم عن العباس قال لما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال عباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة ان لاتسرع وابوسفيان آخذ بركاب رسول الله الحديث ويمكن الجمع بأن أخذ اللجام كان علي سبيل المناوبة فى خدمة ذلك المقام (ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لاكذب أنا ابن عبدالمطلب) مثل هذا لاينافي قوله تعالى وماعلمناه الشعر وماينبغي له امالان الرجز ليس بشعر وامالانه متزن لاموزون بمنزلة ماوجد من القرآن متزنا اتفاقيا لاقصدا واما لان الشعر المنافى للآية هو الذى يقصده الشاعر ويتصرف فيه تصرف الشعراء فى أفانينهم واذا كان مراد الآية هذا المعنى لم يضر ان يجرى على لسانه الشيء اليسير منه قاله الخطابي بمعناه وكأنه صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي والنبي لايكذب فلست بكاذب فيما اقول حتى انهزم بل انا متيقن ان ماوعدني الله به من النصر حق وان خذلان أعدائي صدق وفي تعريفه صلى الله عليه وسلم بنفسه وهو بين أعدائه فى شرذمة من اصحابه بقوله انا ابن عبدالمطلب دليل على كمال ثباته وقوة شجاعته صلى الله عليه وسلم وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل

(ودهت أوجهابها وبيوتا * مل منها الاكفاء والاقواء) أي أصابت وأهلكت تلك الخيل أوجهامن الناس بها قاتلت اوالمراد ماهو أعم فيدخل من قتل ممن أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمهم وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة وهم ستة رجال وأربع نسوة منهم ابن خطل ومقيس بن صبابة والبيوت جمع بيت محل السكنى ومل اى سئم منها الاكفاء وهو المخالفة بين مجاء القوافي كأن يكون روى بعضها ميما والآخر باء ولعل المراد به هنا ميل من (٣٥) قتل من قريش وأتباعهم وهم اثنان وعشرون للارض وسقوطهم عليها أوامالة الغير ايام من اكفأ اذامال أو أمال اوانكفاء تلك الوجوه على من قاربهم من المؤمنين يحمونهم ويجيرونهم والاقواء هو مصدر أقوى الشاعر اذا خالف قوافي شعره برفع بيت وجر آخر من أقوت الدار اذا خلت والمراد فرمنها أهلها الى مكان يأمنون فيه على أنفسهم اوخلت بيوت من قتل منهم وبما قررنا به كلامه من قوله قصدت الى هنا يعلم انه استعار القوافي للطعن المتتابع ورشح بذكر الايطاء ولمح بذكر البيوت ترشيحا لبيوت الشعر المرشح بها وبذكر مايختص بها من الاكفاء والاقواء الى الاستعارة الاولى وفيهما توريه ولف ونشر مرتب لان الاكفاء راجع للوجوه والاقواء راجع للبيوت

الصوت فتلقام رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين مالقى النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه انا كنا اذا حمى الوطيس واشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه وقيل كان الشجاع الذى يقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقربه من العدو وانما انتسب الى جده دون أبيه لان انتسابه الى جده أشهر لموت أبيه شابا ولانه لما استفاض بينهم انه سيكون من بنى عبد المطلب من يسود ويغلب على الاعداء ذكرهم بانه ابن عبد المطلب الذى قيل فيه ماقيل لتطمئن نفوسهم وتقوى قلوبهم لا للمفاخرة والمباهاة للنهى عن ذلك ونظيره قول علي رضى الله عنه

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره

وقول سلمة أنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق نا جعفر بن سليمان نا ثابت عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء) ابن حجر المراد بالقضاء هنا القضية اى المقاضاة والمصالحة لا القضاء الشرعى لان عمرتهم التى تحللوا منها بالحديبية لا يلزمهم قضاؤها كما هو شأن المحصر عندنا اه (وابن رواحة) اي والحال ان ابن رواحة وهو أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم (يمشى بين يديه) اى قدامه صلى الله عليه وسلم (وهو) اى ابن رواحة (يقول خلوا) اى دوموا على التخلية لانهم يومئذ تركوا مكة للنبي صلى الله عليه وسلم (بنى الكفار) اى يا أولاد الكفرة بالله ورسوله (عن سبيله) اى اتركوا سبيله فى دخوله البلد الحرام اى يمتنع انتهاك حرمته (اليوم نضربكم) بسكون الباء لضرورة الوزن (على تنزيله) اى النبي صلى الله عليه وسلم اى على التكذيب بارسال الله اليكم فهو كالامر النازل من السماء او على التكذيب بما أنزل عليه وهو القرآن فالضمير على كل حال للنبي صلى الله عليه وسلم وأبعد ابن حجر فى قوله ان الضمير للقرآن وان لم يتقدم له ذكر لانه ماذكر مايفهمه نحو حتى توارت بالحجاب اه ويحتمل كما فى جمع الوسائل ان المعنى على عدم الوفاء بتنزيلكم اياه واعطائه العهد والامان فى دخول حرم الله (ضربا يزيل الهام) اى رؤس الكفار جمع هامة وهى الرأس (عن مقيله) اي محله وهو الاعناق (ويذهل الخليل عن خليله) فيصير ذلك اليوم كما قال تعالى فى يوم القيامة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه اى يمنعه من ان يتفقده ويسأل عنه لشغله عنه بما هو أهم من ذلك وهو خشية فوات نفسه وروى عبد الرزاق هذا أيضا من وجهين لكن بلفظ

خلوا بنى الكفار عن سبيله * قد أنزل الرحمن فى تنزيله
بأن خير القتل فى سبيله * نحن قتلناكم على تأويله
* كما قتلناكم على تنزيله *

(فدعوا أحلم البرية والعف وجواب الحليم والاغضاء) اى نادوا أكثر الخلق حلما وهو الصفح عن الاساءة وترك العقوبة للمسيء وهو النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه العفو والصفح عن ظلمهم واساءتهم اليه وايذائه الذى لا يتحمل غيره ماأوذى به والعفو اى الصفح وعدم المؤاخذة بالذنب جواب الحليم أى العاقل المتأنى من الحلم وهو الاناة والعقل والاغضاء اى التغافل عن العورات وعقوبتها واصله ارخاء الجفون من الجفاء وفى القاموس وأغضى ادنى الجفون وعلى الشيء سكت وفى ذكر الحلم والعفو والاغضاء مراعاة النظير

(ناشدوه القربى التى من قريش * قطعتها الترات والشحناء) ناشدوه اى سألوه العفو بالقرابة التى من قريش اى التى بينه وبين سائر بطون قريش وهو ولد فهر بن مالك وهو الصحيح أو ولد النضر بن كنانة ومن ليس من ذرية فهر

أو النصر على القولين فليس بقرشي وقطعتها حال والترات بفوقيتين جمع ترة وهي الطلب في الدم وفي الصحاح والموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه تقول وترته بتره وترا وترة والشحناء العداوة والبغضاء التي كانت منهم له صلى الله عليه وسلم

(فعفا عفو قادر لم ينغصه * عليهم بما مضى اغراء) لا عفو كاملا الا عن قدرة وكان صلى الله عليه وسلم قادرا على استئصالهم ولم ينغضه اى لم يكدر ذلك العفو عليهم اغراء (٣٦) اى تحريش منهم لسفهائهم على اذايته من اغرى الكلب بالصيد اذا حمله عليه وأغرى بينهم العداوة ألقاها وفي القاموس وأنغص الله تعالى عليه العيش ونغصه وعليه كدره فتنغصت معيشته تكدرت وبما مضى منهم صفة لاغراء تقدمت عليه فصارت حالا والمعنى لم يكدر عفوه عنهم اغراء سفهائهم الواقع منهم فيما مضى او الذي سبق منهم حتى بالغوا في اذايته بما لا يتحمله غيره وخلاصة ما أشار اليه انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم الفتح قام خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهل له عز وجل ثم قال أيها الناس ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما يسفك أو يعضد بها شجرا فان أحد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله تعالى أذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما أحلت لي ساعة من نهار يعني من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال عليه الصلاة والسلام يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا أخ كريم وابن أخ كريم قال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فانتم الطلقاء من القتل والاسترقاق وفي رواية قال لهم أقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم فلما

وأخرج الطبراني والبيهقي بلفظ المصنف لكنه ابتدأ بعجز الاول وجعل عجز الثاني

يارب اني مؤمن بقيله * وزاد ابن اسحق على هذا * انى رأيت الحق في قبوله *

قاله ابن حجر (فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول شعرا) اى وقد ذم الشعر في كلامه تعالى وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا (فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر) اى اتركه (فلهي) اى الابيات او الكلمات أو القصيدة المدلول عليها بقوله شعرا والمراد فلتأثيرها (أسرع فيهم) اى أعجل في ايذائهم (من نضح النبل) اى رمي السهم والنضح في الاصل الرش وهو سريع النفوذ والسراية والمعنى ان مجامهم باللسان اقوى في النكاية لهم من الضرب بالسنان كما قيل

جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

روى عن كعب بن مالك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم بالنبل فالشعر المشتمل على مدح الاسلام ومكارم الاخلاق والحث على صدق اللقاء ومبايعة النفس لله تعالى وعدم المبالاة باعدائه ليس بمذموم لانه نوع من الجهاد في سبيل الله وضرب من الاغلاظ على أعداء الله المأمور به في كتاب الله فلا حرج في انشاده بين يدى رسول الله وفي حرم الله ليس الشعر مذموما على الاطلاق * قال المصنف (نا علي بن حجر نا شريك عن عبد الملك بن عمير عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أشعر كلمة) اى أحسنها وأدقها وأجودها (تكلمت بها العرب) أي شعراؤهم وفصحاؤهم (كلمة لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل) تقدم الكلام عليه قال ابن حجر قيل لما سمع عثمان ما بعده وهو قوله * وكل نعيم لا محالة زائل قال كذب لبيد فان نعيم الجنة لا يزول فلما سمع قوله بعد ذلك * نعيمك في الدنيا غرور وحسرة البيت عرف ان مراده نعيم الدنيا فقال صدق لبيد * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا مروان ابن معاوية عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عمرو بن الشريد عن أبيه) هو الشريد بن سويد (قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم) أي رديفه زاد مسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية بن ابي الصلت شيء فقلت نعم فقال هيه فأنشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت ففيه دلالة على ان قوله (فأنشدته مائة قافية) انما كان بعد قوله هل معك الخ وان المراد بالقافية البيت من اطلاق الجزء وارادة الكل (من قول أمية بن أبي الصلت كلما أنشدته بيتا قال لي النبي صلى الله عليه وسلم هيه) بكسر الهاء واسكان الياء وكسر الهاء الثانية بلا تنوين وأصله ايه يستعمل للاستزادة من حديث او عمل معهود وبسكون الهاء كلمة زجر بمعنى حسبك فضبطها بالسكون هنا مشكل (حتى أنشدته مائة يعني بيتا) وانما استزاده صلى الله عليه وسلم من شعره لما فيه من الاقرار بوحدانية الله تعالى والبعث ومن كلامه

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شيء أعلى منك حمدا وأمجدا

(واذا كان القطع والوصل لله تساوى التقريب والاقصاء)

اى اذا كان قطعه ووصله صلى الله عليه وسلم لله عز وجل استوى لديه تقريب الاقارب والاباعد واقصاؤهما ولم يتميز بأحدهما قريب ولا بعيد لان النظر لله تعالى ولامتثال أمره لا لغيره ولا التفات له الى مخلوق وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى

لرضاه ويسخط لسخطه وهذا من القول البديع الجامع قوله (وسواء عليه فيما أتاه * من سواء الملام والاطراء)
المجروران في البيت حالان من المبتدا وهو سواء أو الخبر وهو الملام بفتح الميم وهو السب والتنغيص والاطراء المدح بالمبالغة لانه لا ينظر
الى نفسه وانما ينظر الى تصرف الحق في خلقه بما أراد منهم أي مستو عنده ما جاء من غيره من الملام والاطراء لما تقدم * (تنبيه) * ما وقع
للناظم هنا من العطف بالواو بعد سواء دون همزة الاستفهام لغة جرى عليها الفقهاء في كتبهم وذكرها صاحب

فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته أو هذا البيت منها على ما قال بعضهم (قال النبي صلى الله عليه وسلم ان كاد ليسلم) ان مخففة مهملة بدليل اللام الفارقة * قال المصنف (حدثنا اسمعيل ابن موسى الفزاري وعلي بن حجر والمعنى واحد قالا نا عبد الرحمن بن أبي الزناد) اسمه عبد الله ابن ذكوان (عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت) بن المنذر بن عمرو بن حرام الانصاري الخزرجي يكنى أبا الوليد وهو من فحول الشعراء قال أبو عبيدة أجمعت العرب على أن اشعر اهل المدر حسان بن ثابت قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم حسان هجاز بين المؤمنين والمنافقين لا يحبه منافق ولا يبغضه مؤمن وقال رفعه الشعر حتى قال رضي الله عنه الذي أوجب له الجنة عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الاسلام وكذا عاش أبوه وجده وجد أبيه المذكورون وتوفي سنة أربع وخمسين (منبر افي المسجد يقوم عليه قائما) قال بعضهم قد يرد المصدر على وزن اسم الفاعل نحو قمت قائما أي قياما وفي نسخة يقول عليه قائما أي يقول حسان الشعر وينشده على المنبر حال كونه قائما (يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى يذكر مفاخر رسول الله ومثالب أعدائه (او قال) اى عروة عن عائشة وفي نسخة او قالت عائشة (ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي يخاصم ويدافع عن جهته والمناضحة والمكافحة المدافعة والمضاربة فالمراد انه كان يهاجي المشركين ويجيبهم عن أشعارهم (ويقول) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على تعدد هذا القول منه له وفي نسخة وقال (ان الله يؤيد حسان) بالصرف وعدمه (بروح القدس) بضم الدال وسكونه اى جبريل وسمي به لانه يأتي الانبياء بما فيه الحياة الابدية وأضيف الى القدس وهو الطهارة لانه خلق منها وتأييده له امداده بابلغ جواب والهامه لاصابة الصواب وانطاقه بما هو أليق بالمقام حتى لا يتبع الهوى ولا يهيم في كل واد على عادة الشعراء الذين مادة قولهم من القاء الشيطان اليهم ومن تلقاء أنفسهم ولذلك لا يحلو الشعر من تزويق وذكر أمور لا تليق كما تقدم والجملة يتعين ان تكون خبرية ولا يصح ان تكون دعائية لان شرط الجملة المصدرة بان ان تكون خبرية خلافا لما في جمع الوسائل نعم في رواية عند مسلم اللهم أيده بروح القدس (ماينافح او يفاخر) او للشك وتحتمل التنويع وفي رواية ما نافح اي مادام ينافح (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) قيل لما دعاله النبي صلى الله عليه وسلم أعانه جبريل بسبعين بيتا وقد ذكر أهل السير ان الذين كانوا يهجون المسلمين أربعة عبد الله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب وعمرو بن العاص وأبو سفيان بن الحرث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنع الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسيافهم ان ينصروه بألسنتهم فانتدب لذلك حسان وهو أشهرهم وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ومن كلام حسان في رده على أبي سفيان بن الحرث

هجوت محمدا وأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء

سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه وعنهم وشج وجهه الشريف وكسر رباعيته الكريمة وغير ذلك من اذايته ثم عفا وصفح كما أمره الله تعالى وجبله عليه حيث أسلموا لان الاسلام يجب ما قبله (قام لله في الامور فارضى الله منه تبيان ووفاء)
التباين التخالف وهو راجع لاعداء الله تعالى كالوفاء لأوليائه وحاصل البيت انه عليه الصلاة والسلام لا تعويل له على غير رضا ربه

(فعله كله جميل وهل ينـ * ـضح الا بما حواه الاناء) (أطرب السامعين ذكر علاه * بالراح مالت به الندماء)

وسواء عليه فيما أتاه * من سواء الملام والاطراء

الفقهاء في كتبهم وذكرها صاحب الصحاح فقال تقول سواء علي قمت أو قعدت وصاحب القاموس فقال وسواء تطلب اثنين سواء زيد وعمرو أي ذوا سواء واستويا وتساويا تماثلا وذكرها سيبويه كما قال صاحب البديع عنه اذا كان بعد سواء همزة استفهام فلابد من أم اسمين كانا أو فعلين وان كان بعدها فعلان بغير الف الاستفهام عطف الثاني بام تقول سواء علي قمت أو قعدت وان كان بعدها اسمان بلا الف عطف الثاني بالواو تقول سواء علي زيد وعمرو وان كان بعدها مصدر كان الثاني بالواو أو بأو وحملا عليها انتهى فعلم صحة ما عليه الفقهاء واندفع قول ابن هشام ان ذلك لحن وان ما في الصحاح سهو وان قراءة أولم تنذرهم من الشذوذ بمكان فاستحضر ذلك فانه معهم قاله ابن حجر

(ولو ان انتقامه لهوى النف
س لدامت قطيعة وجفاء)

اي لو كان ذلك لهوى النفس ومرادها لالله تعالى لدامت قطيعة لرحمه وجفاء أي بعدلهم ولكن لما كان انتقامه لله تعالى دون نظر للهوى وصلهم ولم يعاملهم بما سبق منهم من محاربته في غير مرة وقتل أصحابه الكرام والتمثيل بهم في أحد وقتل عمه سيد الشهداء

النضح الرشح وأطرب السامعين أي حملهم على الطرب وهو خفة وأريحية تعترى الانسان عند سماع مايسره ذكر علاء اى كاله ولام يالراح بالفتح لانها للاستغاثة وسميت الخمر راحا لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا مادام سكرانا بها ولاجل اشتهار هذا المعنى في المسكرات أنشد القاضي عبد الوهاب

زعم المدامة شاربوها انها * تنفي الهموم وتصرف الغما
صدقوا سرت بعقولهم فتوهموا * ان السرور لهم بها تما (٣٨) سلبتهم أديانهم وعقولهم * أرأيت فاقد ذين مغتما

ومالت سكرت وتواجدت وذكر ضمير به العائد على الراح لانه مستعار لذكر علاء وهو مذكر لفظا ومعنى وفي الخمر نفسها لغة بالتذكير وان كان الاشهر فيها التأنيث والندماء جمع نديم بمعنى نادم أي شاربوا الخمر ونادمه منادمة ونداما جالسه على الخمر وفي هذا استعارة تصريحية وترشيحية لانه شبه ذكر علاء في اطراب سامعيه بالراح في اطرابها لشاربها ثم قرن بذلك مايلائم المستعار منه وهو ذكر الميل والندماء

هجوت مطهرا برا حنيفا * أمين الله شيمته الوفاء
أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

وروى ان حسان بن ثابت استأذن على عائشة بعد ان كف بصره فاذنت له فدخل عليها فاكرمته فلما خرج عنها قيل لها هذا من القوم قالت الذي يقول فان أبي ووالده الخ هذا البيت يغفر له كل ذنب نقل ذلك في الاستيعاب وورد انه لما جاء صلى الله عليه وسلم بنو تميم وشاعرهم الاقرع بن حابس نادوه يا محمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين فلم يزد صلى الله عليه وسلم على أن قال ذلك الله اذا مدح زان واذا ذم شان اني لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس ان يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم فقام الاقرع بن حابس فقال

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وان رؤس الناس من كل معشر * وأن ليس في ارض الحجاز كدارم

فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا يجيبهم فقام قال

بني دارم لاتفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم
هلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول مابين قن وخادم

فكان أول من أسلم شاعرهم وثابت المذكور هو خطيبه صلى الله عليه وسلم وخطيب الانصار وهو خزرجي شهد له صلى الله عليه وسلم بالجنة واستشهد باليمامة سنة ثنتي عشرة قال ابن حجر وفي الحديث حل انشاد الشعر في المسجد بل ندبه اذا اشتمل على مدح الاسلام وأهله او هجاء الكفار وتحقيرهم والتحريض على قتالهم وندب الدعاء لمن قال شعرا كذلك وروى البخاري ان من الشعر حكمة اى قولا صادقا مطابقا للحق قال الطبري وبه يرد على من كره الشعر مطلقا ولا حجة له في قول ابن مسعود الشعر من مزامير الشيطان لانه محمول على الافراط فيه والاكثار منه او على شعر فيه سخف او هجو او نحوهما مما غلب على الشعراء وبه ضلوا وغووا * قال المصنف (حدثنا اسمعيل بن موسى وعلي بن حجر قالا نا ابن ابي الزناد) هو عبد الرحمن كما تقدم (عن أبيه عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله) اى مثل الحديث السابق لفظا ومعنى وانما المغايرة بحسب الاسناد فالاول برواية عبد الرحمن عن هشام عن عروة عن عائشة وهذا برواية عبد الرحمن عن أبيه بدل عن هشام عن عروة عن عائشة فالاسنادان متصلان وفائدة ذكرهما تقوية الحديث والله أعلم * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر ناشريك عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان) وفي نسخة فكان بالفاء (أصحابه يتناشدون الشعر) اى يطلب بعضهم بعضا ان ينشد الشعر والانشاد أن يقرأ شعر الغير ثم يحتمل ان المراد الشعر السالم من الفحش والخنى وان كان مشتملا

(النبي الامي أعلم من أسندعنه الرواة والحكماء)

النبي خبر مبتدا محذوف والامي نعت نسبة للام وهو من لايكتب ولايقرأ المكتوب على أصل ولادة أمه اذ الغالب في النساء عدم الكتابة وقيل نسبة الى أم القرى وهي مكة شرفها الله تعالى وقيل غير ذلك ومع ذلك فهو أعرف العارفين واعلم من أسند عنه الرواة والحكماء والرواة جمع راو والحكماء جمع حكيم وهم العلماء الذين يضعون كل شيء في محله فهو من عطف الاخص على الاعم هذا وقد قال ابن الفاكهي في الفجر المنير كونه صلى الله عليه وسلم أميا لايقرأ ولا يكتب يظهر سره من ثلاثة أوجه الاول ان يتحقق الائمة العارفون بانه عليه الصلاة والسلام لم يكتب كتابا قط ولا تعاطى ذلك ولا تعلمه وان القرآن العظيم والكتاب الكريم منزل بلا علاج ولا اكتساب علي فيتضح وجه الصواب وينتفي اللبس والارتياب الوجه الثاني أن الكتابة علاج ضروري لاجل قصور الاذهان عن استيعاب حفظ مايتعين حفظه والكتابة تنفع في حصول هذا الغرض فاذا أعطي الله نبيه من الحفظ والذكر مايستغني به عن الواسطة كان ذلك أشرف في حقه عليه الصلاة والسلام وأرفع قال الله تعالى لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه وقال تعالى سنقرئك فلا

تنسى فكان الضمان لحفظ القرآن والعصمة من النسيان والوعد بالقدرة على البيان أجل من التسبب فى ذلك بكتابة يغسلها الماء وتأكلها الارضة وهى هدف لاسباب كثيرة وعرضة ﴿الوجه الثالث﴾ ان الكتابة تصوير وتشكيل وتخليط ومقامه عليه الصلاة والسلام أعلى من ان يتعاطى بنفسه ماينطلق عليه اسم التصوير وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن التصوير وشدد فيه ثم هى وان كانت فضيلة فانما كانت فضيلة بحاجة من اتصف بها اليها فهى (٣٩) فضيلة تستلزم نقيصة وغضاضة ثم يكون الافضل لمن رفع الله تعالى قدره عن هذه الطبقة عدم تلك الفضيلة الممتزجة بغضاضة الحاجة حتى تكون فضائله متمحضة متخالصة وأيضا فان الكتابة صناعة وليست بعلم وقد نزه الله تعالى نبيه عنها فقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فان قلت فقد أطلق الله تعالى على الكتابة علما فقال ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب فجعل الكتابة علما وأضاف تعليمه اليه قلت المراد هنا أحكام العقود المكتوبة والعلم بشرائط الوثائق المحررة لانفس رسم الخط فان قلت قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ماهو قلت المراد علمه المعلومات المكتوبة بالقلم لانفس الكتابة هذا معنى كلام ابن المنير

على ذكر شىء من أيام الجاهلية ووقائعهم فى حروبهم ومكارمهم ويحتمل ان المراد الشعر الذى فيه الحث على الطاعة والمواعظ والامثال التى يتعظ بها الناس وانشاد ما كان من قبيل الاول وسماعه مباح وما كان من قبيل الثانى وهو المناسب لحال الصحابة مندوب (ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية) وفى نسخة جاهليتهم (وهو ساكت) اى ساكت عنهم لم يمنعهم من انشاد الشعر وذكر أمر الجاهلية لحسن خلقه فى عشرتهم وكمال رفقه ورأفته بهم ولولا ذلك لما قدر احد منهم ان يجتمع به هيبة له وفرقا منه ولا أخذ الفوائد والحكم من حكاياتهم كما هو شأن العارفين (وربما تبسم) وفى نسخة يتبسم بصيغة المضارع (معهم) روى ان بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم قال ما نفع صنم أحد مثل ما نفعنى صنمى فانى جعلته من الحيس فنفعنى فى زمن القحط ومن كان معي من الرهط فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال آخر رأيت ثعلبا صعد فوق صنمى وبال على رأسه فقلت

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فتركت طريقة الجاهلية ودخلت فى الشريعة الاسلامية فضحك الصحابة وتبسم النبى صلى الله عليه وسلم معهم عند تذاكرهم أحوال الجاهلية تعجبا مما كانوا فيه من الضلالة ويفهم من هذا أن التحدث بما لا اثم فيه من شأن الاخيار قال مالك كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا صلى الظهر قعد يحدث الناس بما يأتيه من أخبار الاجناد ويحدثونه قال مالك وقوم اذا رأوا الناس يتحدثون يقولون اذكروا الله ولم يكن ذلك شأن الاخيار كانوا يتحدثون وعن البخاري بسنده لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متخوفين ولا متحازنين وكانوا يتناشدون الشعر فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فاذا أريد أحد منهم على شىء من دينه دارت حماليق عينيه فى وجهه كأنه مجنون

باب
ما جاء فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السمر

فى القاموس السمر محركا الليل وحديثه وظل القمر والدهر اه قال ابن حجر والمراد هنا الثانى اه والظاهر ان المراد هنا الاول وانما يستقيم الثانى لو كانت الترجمة باب ماجاء فى سمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أى تحدثه بالليل (حدثنا الحسن بن الصباح البزار نا أبو النصر نا ابو عقيل الثقفى عبد الله بن عقيل عن مجالد الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة) كلمة ذات مقحمة للتأكيد قاله الشراح وتقدم أثناء باب الادام نحوه عن الابى مع زيادة قال فى جمع الوسائل ولا يظهر وجه التأكيد فالاولى ان يقال انها صفة لموصوف مقدر أى ساعة ذات ليلة كما قالوا فى قوله تعالى انه عليم بذات الصدور اى بضمائرها وخواطرها اه وتأمله (نساءه) أى أزواجه كلهن أو بعضهن ويمكن ان يكون منهن بعض بناته أو أقاربه من النساء (حديثا فقالت امرأة منهن كان الحديث) اي هذا الحديث

(وعدتنى ازديارة العام وجنا ٭ ومنت بوعدها الوجناء)

وعدتنى ازديار افتعال بمعنى الزيارة اى زيارة النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا العام الحاضر والوجناء الناقة القوية من الوجين وهو ماغلظ من الارض ومنه الوجناء للناقة الشديدة ومنت أنعمت ووعدها موعودها تلك الوجناء بان وفت به فهو اخبار عن لسان حال مركوبه مجازا

(أفلا انطوى لها فى اقتضائيه ٭ لتطوى مابيننا الاقلاء) أى أيليق بى ترك الزيارة فلا انضم اليها بركوبها فى اقتضائيه

اى طلبى اياه منها (١) وفيه ضرورة ارتكاب اتصال الضمير من امكان انفصاله لان اقتضاء مصدر مضاف للفاعل وهو الياء والمفعول هو الهاء فان أراد الاضافة لم يصح لانه يجتمع فيها أداتا تعريف وهو الاضافة الى كل من الضميرين ولا يضاف الى شيئين واضافة

(١) قوله وفيه ضرورة الخ لا يخفى ما فى هذه العبارة من السهو

المصدر محضة الاعلى قول ضعيف ان اضافة المصدر الى مرفوعه أو منصوبه لفظية فيصح ذلك ولا يجتمع اداتا تعريف وقوله لتطوى بالبناء للفاعل أو للمفعول والاول أولى اذ يلزم على الثاني الحكم بزيادة ما بخلافه على الاول فهى المفعول والافلاء خبر مبتدا محذوف أى والذي بيننا هو الافلاء وعلى الثاني هو النائب عن الفاعل وما بيننا أى بيني وبين من وعدتني الوجناء بازديارة وهو النبي صلى الله عليه وسلم والافلاء الصحارى أي لتقطع (٤٠) الناقة الموصوفة المفاوز التى بيننا وفى القاموس الفلاة الصحراء الواسعة اجمع فلا وفلوات وفلى وفلى وجمع الجمع افلاء وأفلى صار اليها ودخلها

(بالوف البطحاء يحفلها النيـ
ـل وقد شف جوفها الاظماء)

ألوف بفتح الهمزة مبالغة من ألف كعلم والبطحاء كالابطح مسيل متسع فيه دقاق الحصى والباء متعلقة بتطوى أى لتقطع الافلاء التى بيننا بوجناء كثيرة الالف لبطحاء مكة أو لبطحاء ببلدنا أو مطلقا لان البطاح مرتعها وهو تجريد من الوجناء الذى هو الانتزاع من أمر ذى صفة امرا آخر مماثلا له فيها مبالغة لكماله فى ذلك الامر كقوله

* وبذا اللوجود منك كريم *

وقوله يحفلها النيل أى يزعجها ويقلقها نيل مصر لبطحاء مكة شرفها الله تعالى المألوفة لها على الاحتمال الاول لشدة شرفها الى التحلى بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك الآثار وقوله وقد شف أى جفف رطوبة جوفها الاظماء وهى جمع ظمء وهو ما بين الوردين والشربتين والمراد انها راضية بما أصابها فى طريقها من شدة العطش والمشقة المؤذية الى التلف فى جنب ما أملته فى تلك الحضرة من مزايا الانعام ولطائف التحف والاكرام

(حديث خرافة) قال ابن حجر لم ترد المرأة ما يراد من هذا اللفظ وهو الكناية عن ذلك الحديث بانه كذب مستملح لانها تعلم انه لا يجرى على لسانه صلى الله عليه وسلم الا الحق وانما أرادت انه حديث مستملح لا غير وذلك لان حديث خرافة يشتمل على وصفين الكذب والاستملاح فيصح التشبيه به فى احدهما اه قال فى جمع الوسائل أقول الاظهر ان يقال ان حديث خرافة يطلق على كل ما يكذبونه من الاحاديث وعلى كل ما يستملح ويتعجب منه على ما فى النهاية فاستعمل هنا على المعنى الثاني من معنييه فلا اشكال اه فقولها كان الحديث حديث خرافة هو على معنى التعجب لغرابته وقلة سماع نظيره لا التكذيب كما تطلقه العامة اليوم (فقال) صلى الله عليه وسلم (أتدرون) القياس أتدرين كما فى نسخة وكانه خاطبهن بخطاب الذكور تعظيما لشأنهن وتنزيلا لهن منزلتهم فى كمال العقل ببركة صحبته صلى الله عليه وسلم كما قيل فى قوله تعالى وكانت من القانتين (ما خرافة) ولما كان من المعلوم انهم لا يدرون حقيقة خرافة ولا حقية حديثه بادر الى بيانه قبل جوابهم فقال (ان خرافة كان رجلا من عذرة) بضم عين مهملة وسكون دال معجمة قبيلة مشهورة من اليمن (أسرته الجن) اي اختطفته (فى الجاهلية) اى فى أيامها وهى ما قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وفى الجامع الصغير روى المفضل الضبي فى الامثال عن عائشة مرفوعا رحم الله خرافة انه كان رجلا صالحا (فمكث) بضم الكاف وفتحها أى لبث (فيهم دهرا) أى زمانا طويلا (ثم ردوه الى الانس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الاعاجيب فقال الناس حديث خرافة) اى فيما سمعوا من الاحاديث العجيبة والحكايات الغريبة قال ابن مخلص انظر هل يجوز استعمال هذا المثل فى التكذيب بالشيء كما تستعمله العامة اليوم اما أنه خطأ فلا اشكال فيه وانما النظر فى استعماله شرعا هل يجوز أم لا لان فيه تبديل ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه انتهى ويؤخذ من هذا الحديث والذى بعده حسن عشرة الرجل مع أهله وتأنيسهم واستجلاب محادثتهم بما لا اثم فيه وقد وردت الاحاديث الصحيحة بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم لاهله ومباسطته اياهم وكذلك عن السلف الصالح وقد قال مالك رحمه الله فى ذلك مرضاة لربك ومحبة فى أهلك ومثراة فى مالك ومنسأة فى أجلك أى زيادة وكان رحمه الله تعالى من أحسن الناس خلقا مع أهله وولده وكان يقول يجب على الانسان ان يتحبب الى أهل داره حتى يكون أحب الناس اليهم وقد ذكر ابن حجر فى حديث الحسين الآتى فى باب التواضع انه صلى الله عليه وسلم كان يرسل لعائشة بنات الانصار يلعبن معها وانها شربت من اناء فأخذه ووضع فمه موضع فمها وشرب وأنه كان يتكىء فى حجرها ويقبلها وهو صائم وانه كان يريها الحبشة يلعبون فى المسجد وهى متكئة على منكبه وهو يقول لها أشبعت وهى تقول له لا وروى أبو داود أنه سابقها فى سفر على رجليها فسبقته قالت فلما حملت اللحم سابقته فسبقنى فقال هذه بتلك وعند أحمد وغيره عن عائشة ما رأيت صانعة طعام مثل صفية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم اناء من طعام فما ملكت نفسى أن كسرته فقلت يا رسول الله ما كفارته فقال اناء

(أنكرت مصر فهى تنفر مالا * ح بناء لعينها أو خلاء) انكارها مصر لاجل الفها البطحاء دون كاناء

الابنية وتنفر بكسر الفاء وضمها أى تجزع وتتباعد ما ظهر بناء لعينها أو خلاء أى فضاء وفسره الشارح الجوجرى بالحشيش الرطب وهو بعيد لمقابلة البناء به

(فافضت على مباركها بر * كتها فالبويب فالخضراء) أفضت نشرت وفرقت من الفضيض وهو الماء العذب أو السائل على مباركها وهى جمع مبرك وبركتها بكسر الباء موضع بقرب مصر والبركة فى الاصل الحوض

ومستنقع الماء أي أفاضت على مبارك تلك الوجناء من الماء العذب ما أرواها وراكبها وغيرهما قال ابن حجر البركة هي أول محل يلي طريق الحجاز يجتمع فيه الحجاج للتأهب لسفرهم ولذا كان مجمعا عظيما يجتمع فيه كل ما يحتاجه الحجاج سميت بذلك لان النيل يأتي اليها فيمكث فيها زمنا طويلا وكانت فضاء صرفا فعمر فيها المتبولى رضى الله تعالى عنه من نحو سبعين سنة جامعا وجعل فيه مجاورين يقرؤن القرآن فعادت بركته عليهم حتى ذكر بعض صالحيهم ممن أدركناه يوم بجامع الازهر انه اشتهى زيارة امه بالعجم

كاناء وطعام كطعام وفى رواية فاخذتها من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام يلتقط اللحم والطعام ويقول غارت امكم فوسع خلقه الكريم طفحات غيرتها ولم يتأثر بل أنصف منها وهكذا كانت احواله معهن يعذرهن وينصف بعضهن من بعض من غير قلق ولا غضب وفى خبر لا بأس به عن عائشة مرفوعا ان الغيرى لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه وفى الحديث ان الغيرى لا تؤاخذ لحجب عقلها بما يثور عن الغيرة ويؤخذ من هذا الحديث ايضا حل السمر فى الخير كملاطفة الزوجة وقد ترجم البخارى بباب السمر مع الضيف والاهل فاورد من النهى عن السمر بعد العشاء الاخيرة ليس على عمومه بل هو محمول على السمر بما لا يعنى خوف ان تختم صحيفته على عمل باطل ليس تحته طائل ولذلك كانت عائشة تقول لمن كان يسمر ألا تريحون الكتاب وايضا يخاف من ذلك التفريط فى قيام الليل وفى ايقاع صلاة الصبح فى وقتها وقد كان عمر رضى الله عنه يعيب السمر بعد العشاء ويطوف فى المسجد بعد العشاء الاخيرة ويقول الحقوا برحالكم لعل الله أن يرزقكم صلاة فى بيوتكم وقيل انما كره السمر بعدها لما روى جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والسمر بعد هدأة الرجل فانكم لا تدرون ما يأتي الله تعالى فى خلقه أغلقوا الابواب وأوكؤا الاسقية وخمروا الآنية وأطفؤا المصابيح

حديث أم زرع

أتى بهذا الحديث فى باب السمر لانه من جملة ما يسمر به قال عياض فيه من الفقه التحدث بمالح الاخبار وطرف الحكايات تسلية للنفوس وجلاء للقلب اه وأم زرع هى واحدة من النساء المذكورات فى حديث الترجمة وسمى حديثهن كله بحديث ام زرع لطوله ولانه المقصود بالذات لقوله صلى الله عليه وسلم كنت لك كابى زرع لأم زرع الدال على حسن عشرته صلى الله عليه وسلم لاهله الذى هو من جملة شمائله الكريمة وأخلاقه الفخيمة صلى الله عليه وسلم (حدثنا على بن حجر نا عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن اخيه عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت جلس احدى عشرة امرأة) القياس جلست كما فى بعض النسخ لكون الفعل مسندا الى المؤنث الحقيقى بلا فاصل والتذكير على حد قال فلانة حكاه سيبويه عن بعض العرب استغناء بظهور تأنيثه عن علامته وظاهره كالصحيحين ان الحديث كله من قول عائشة وانما المرفوع منه قوله كنت لك كابى زرع لأم زرع قال العسقلاني وجاء خارج الصحيحين مرفوعا كله من رواية عباد بن منصور عند النسائى وساقه بسياق لا يقبل التأويل ولفظه قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كابى زرع لام زرع قالت عائشة بابى انت وامى يا رسول الله ومن كان ابو زرع قال اجتمع الخ فساق الحديث كله وكذا جاء مرفوعا كله عند الزبير بن بكار وجاء فى بعض طرقه الصحيحة ثم أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث بحديث ام زرع ويقوى رفع جميعه ان التشبيه المتفق على رفعه يقتضى أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم

وهو ثم فاستأذن الشيخ فى السفر لذلك فلم يأذن له فدخل الى خلوته والناس يقرؤن القرآن على بابها فرأى نفسه ببلده عند أمه فسلم عليها وأقام عندها أربعة أشهر بعدها بالايام والليالى ثم اشتاق الى الشيخ فرأى نفسه فى خلوته فخرج فرأى القراء قد قرؤا فى تلك المدة نحو ربع القرآن وهذا من بعض كرامة أولياء الله تعالى أن الله تعالى يطوى لهم الارض ويفسح لهم فى الزمان ووقع لهم من نظائر ذلك ما لا يحصى وانكار اتساع الزمان القليل دون طى الامكنة تحكم لان كليهما من حيز الكرامة فاذا جاز أحدهما جاز الآخر فتأمله ثم بنى الشيخ ثم الناس حول ذلك الجامع أبنية وبساتين ولا زالت تتسع ببركته حتى صارت الآن قرية كبيرة انتهى قوله فالبويب بالتصغير موضع بعد البركة والخضراء بفتح الخاء المعجمة وهى قرية بالمحل المسمى الآن بعجرود طيب مائه مفقود وطعم الملح فيه موجود وهو حصنان متقاربان مبنيان باوثق بناء وفى أحدهما بئر كبيرة تسقى دائما بالبقر ويخرج الماء من البندر الى ثلاث برك خارجة وفى الحصنين المذكورين عسكر لا يفارقها ابدا وكذلك غيره من

 البنادر فى كل سنة يأتى قوم فيذهب الذين كانوا ولهم جراية من بيت المال على ذلك وشأن هذه البنادر أن يخزن

فيها الطعام على الدوام ليجده الركب فى الذهاب والاياب (فالقباب التى تليها فبئر النخ * ل والركب قائلون رواه)
اي فوادى القباب سمي بذلك لأكداس رمل به بيض مرتفعة شبهت بالقباب البيض المرتفعة والتى تليها يعود ضميرها المؤنث على الخضراء وبئر النخل موضع فيه بركة ماء تملا من بيت المال وماؤها أحسن من الذى قبله ولذلك قال والركب قائلون رواه اي

مستريحون عندها وقت القيلولة ورواء بكسر الراء جمع ريان وهذا هو البندر المعروف ببندر النخيل وهو قلعة حصينة فيها بئر نفيسة ثمينة ماؤها عذب بارد يطيب للصادر والوارد لا تنزح أبدا يسقى منها بالبقر الى برك خارج الحصن وهى ثلاثة مثل التى فى عجرود الآن هذه أعظم منها وتقام الى جانب الحصن سوق كبيرة خيراتها نامية وفيها كثير من الفواكه الشافية

(وغدت ايلة وحقل وقر * خلفها فالمغارة الفيحاء) (٤٢) أى وغدت عقبة ايلة وهى عقبة ذات كؤد صعبة الهبوط والصعود وبندرها حصن حصين فى قرية علي شاطئ البحر فى سفح جبل وبها آبار كثيرة وسوق كبير يحضره اهل غزة بانواع الفواكه والنعم والاعراب بالسمن والعسل والنعم وقد ذكر المفسرون ان القرية التى كانت حاضرة البحر هى ايلة ويقال ان وراء الجبل الكبير المشرف علي القرية بلدة فيها نخل وماء الا انها خالية وفى هذه العقبة قيل

بطريق ايلة اجبل وعقاب
لا يرتجى فيها النجاة عقاب
فكانما المالشى عليها مذنب
وكأنما تلك العقاب عقاب

وهى احساء كثيرة فى مضيق بين جبلين فيها نخيل وماؤها طيب عذب خفيف نافع وبين هذا الموضع ومدين مسيرة نصف يوم وهي مدينة علي ساحل البحر كثيرة الفواكه والمياه وعلي يسار هذا المنزل مغارة يقال ان فيها كان شعيب عليه السلام يأوى بغنمه وبازائها بئر كبيرة معطلة وبجانبها بركة ويقال ان هناك كانت البئر التى سقى منها موسي عليه السلام غنم شعيب عليه السلام وفي هذا الوادى دوم طويل كانه نخل وعريش كثير وفيها جداول الماء الغزير وفى هذا المحل ينشد

قد وصلنا الى مغار شعيب * فرأينا المياه كالانهار فاستقينا من مائه واشتفينا * وظفرنا بغاية الاوطار ليكون
وذكرنا بغاره غار ثور * قد حوى للصديق والمختار خير من انزل الاله عليه * ثانى اثنين اذهما فى الغار

منها جماعة من العلماء منهم عقيل بن خالد ويونس بن يزيد وفى القاموس هى بلد بين ينبع ومصر وحقل محل بعدها وقد قال ابن حجر ليس هذا الاسم مشهورا اليوم عند الناس اي غدت هذه الاماكن خلف الناقة لكونها جاوزتها والمغارة الفيحاء اى الواسعة هى المنسوبة

سمع القصة وعرفها فاقرها فيكون مرفوعا كله من هذه الحيثية (تعاهدن وتعاقدن) أى الزمن أنفسهن عهدا وعقدن علي الصدق من ضمائرهن عقدا (ان لا يكتمن من اخبار أزواجهن شيأ) سواء كان مدحا أو ذما وهؤلاء النسوة قال الكرمانى كلهن من أهل اليمن (قالت الاولى زوجى لحم جمل غث) أى مهزول شبهته بذلك لقلة خيره فان لحم الجمل أخبث اللحم خصوصا اذا كان هزيلا وأشارت بقولها (علي رأس جبل وعر) الى انه مع قلة خيره لا يوصل لما عنده بسهولة لبخله وكبره وشموخ أنفه وفى نسخة وعث بدل وعر ثم بينت وجه الشبه علي وجه اللف والنشر المعكوس بقولها (لا سهل فيرتقى) أى يصعد اليه كما في رواية الطبرانى (ولا سمين فينتقل) اى يحتمل بل يترك زهدا فيه لرداءته وفى نسخة فينتقى بالالف أى فيختار للاكل بان يتناول ويستعمل أى فلا مصلحة فيه تسهل عشرته وهذا الكلام فى غاية الفصاحة والبلاغة والاختصار وفيه من أنواع البديع تقابل الجمل بالجبل والغث بالوعث وفيه تشبيه متعدد بمتعدد (قالت الثانية زوجى لا أبث) أى لا أظهر وفى رواية انث بالنون وهي بمعنى أبث الا ان النث أكثر ما يستعمل فى الشر وفى رواية لا أنم من النميمة (خبره) اى لطوله ولذلك قالت (اني أخاف أن لا أذره) فاعتذرت عن التفصيل بانه طويل وهذا التفسير ان كانت هاء الضمير للخبر أى ان لا أتمه لطوله او ان اتركه علي ان لا زائدة على حد مامنعك ألا تسجد ويحتمل أن الضمير للزوج وعليه فيحتمل أيضا ان تكون لا غير زائدة والمعنى أخاف ان لا اقدر علي فراقه ويحتمل ان تكون زائدة اي اخاف أن اترك الزوج (ان اذكره اذكر عجره وبجره) كنت بذلك عن العيوب الظاهرة والباطنة اى وهى كثيرة ان بدأتها لا يمكننى اتمامها واستقصاؤها وهذا علي التفسير الاول واما علي الثانى فالمعنى اخاف من الطلاق لانى ان خضت فى خبره فضحته وناديت علي مثالبه كلها فيبلغه ذلك فيكون سببا فى الفراق وضياع الاطفال والعيال والعجر فى الاصل أن يتعقد العصب او العروق حتى ترى ناتئة من الجسد والبجر نحوه الا انها فى البطن خاصة يقال رجل أبجر اذا كان عظيم البطن ويقال رجل أبجر اذا كان ناتئ السرة ثم نقلا الى العيوب الظاهرة والباطنة والى الهموم والاحزان قال الاصمعى في قول على رضي الله تعالى عنه الى الله اشكو عجرى وبجرى اى همومي واحزانى قال ابن حجر لا يقال كتمت خبر زوجها فخانت العهد الذى تحالفن علي عدم الخيانة فيه لانا نقول لم تكتم منه شيأ بل شرحته على اتم وجه لكن بدقة لا تخفى علي اولئك العرب العرباء (قالت الثالثة زوجى العشنق) هو الطويل الممتد وهو في الغالب دليل السفه وسوء الخلق ولهذا ذيلته بقولها (ان أنطق أطلق وان أسكت أعلق) تقول ان ذكرت مافيه من العيوب او ان تملقت له طلقنى وان سكت عن عيوبه اوغضبا عليه اوادبا معه تركنى معلقة لا أيم ولا ذات بعل ومنه قوله تعالى فتذروها كالمعلقة (قالت الرابعة زوجى كليل تهامة) مكة وما حولها وهو مشهور بالاعتدال وصفته بحسن الخلق وكمال الاعتدال فى أخلاقه ومن ثم عقبته بقولها (لا حر) اى مفرط (ولا قر) اى برد

لنبي الله شعيب عليه السلام (فعيون الاقصاب يتبعها النبـ ـك ويتلو كفافة الموجاء) سميت بذلك لكثرة مافيها من القصب وفيه يقول الشاعر قد وصلنا العيون القصب * واستراح القلب بعد النصب وعيون الماء فيها قد جرت * كسيول الغيث بين القصب فجلسنا في صفاء حولنا * وظفرنا عندها بالارب وتشوقنا لشاد مطرب * يتغنى بعيون القصب والنبك بسكون الموحدة جمع نبكة * قال ابن حجر وهذا أيضاً غير مشهور وفي القاموس النبكة محركة وتسكن أكمة محددة الرأس وربما كانت حمراء وأرض فيها صعود وهبوط أو التل الصغير الجمع نبك ونبك ونباك ونبوك والنبك بلدة بين حمص ودمشق قوله ويتلو أي يتبع النبك كفافة الموجاء اي المنحرفة عن جادة الطريق وبها علي ساحل البحر قبر ولي يسمى مرزوقا مشهورا لبركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح وللحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارجان عن الحد

(حاورتها الحوراء شوقا فينبو ع فرق الينبوع والحوراء)

أي حادثت الناقة الحوراء فيما هي بصدده شوقا منها لما الناقة مشتاقة له وسائرة اليه واثبات الشوق للجمادات غير منكر لو أنزلنا هذا القرآن علي جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وان من شيء الا يسبح بحمده أي بلسان المقال لا الحال والافاي فائدة لقوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم وأحد جبل يحبنا ونحبه والحوراء هي ذات حفائر على ساحل البحر يحيط بها ديس كثير كالقلائد للنحر وفيها قيل

جئنا الى الحوراء وهي محطة
فيها الاراك نزاهة للرائي

نادیت خلاقف بها متغاملا * وانظر لرمل مغمر بالماء واغنم زمانا مقبلا بسعوده * فيه اجتماع الشمل بالحوراء

قوله فينبوع اى حاورتها أيضاً وهي بلدة معروفة ورقة الينبوع والحوراء سماعهما مايتعلق بالزيارة ومشاهدتهما للزائرين وينبع كينصر هو أول بلاد الحجاز في الذهاب وآخرها في الاياب وقد ذكر اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم وصل اليها في احدى غزواته وذكر السيد السمهودي ان مسجد القرية التي ينزلها الحاج من المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم قلت وقفت عليه ويسمى

ليكون تفسير اللتشبيه (ولا مخافة ولا سآمة) هذا من بقية أوصاف ليل تهامة والمعنى انه حامي الذمار فلا يوصل الى من استجار به والتجأ الى حرمه ولا يسأم الناس لسعة أخلاقه ولا يسأمه الناس لحسن عشرته وشدة شفقته ورحمته او المعنى ليس عنده غائلة اى خديعة ولا شر أخافه ولا يسأمني فيمل صحبتي وهذا كما قال ابن حجر من أبلغ المدح لانها نفت عنه سائر أسباب الاذى واثبتت له جميع أنواع اللذة في عشرته (قالت الخامسة زوجي ان دخل فهد) أى كان كالفهد في كثرة نومه أي غفلته في منزله فلا يتفقد ماذهب من ماله وأمتعة بيته لسخاوة نفسه وكرم قلبه أو لا يلتفت الى ما أضاعته المرأة مما يجب عليها تعهده لحلمه أو يتغافل عن الامور حذرا من الشرور لحسن عشرته يقال فلان أنوم من فهد اذا كان كثير النوم لان الفهد موصوف بكثرة النوم او في شدة وثوبه والمعنى انه كثير الجماع لان الفهد أيضاً شديد الوثوب (وان خرج أسد) اى اذا صار بين الناس وخالط الحرب كان كالاسد في قوته وشجاعته ومهابته فهو كالسيد بين الناس (ولا يسأل عما عهد) اى عما كان عندها قبل ذلك لكرمه ففيه نوع تكرار مع الوجه الاول وأما احتمال انها أرادت الذم وان المعنى انه كالفهد في الوثوب عليها لضربها أو في الكسل وعدم المبالاة بضبط أمور اهل بيته وانه كالاسد في غضبه وسفهه وانه لا يسأل عما عهد تكاسلا فبعيد (قالت السادسة زوجي ان أكل لف) اى لا يبقي شيأ من نهمته وشرهه (وان شرب اشتف) اى استوعب جميع ما في الاناء فهذا ذم بالاسراف في أكله وشربه الدال علي دناءة همته وعدم اعتنائه باهله وقرابته (وان اضطجع التف) أى تلفف بكسائه منعزلا وحده لعدم مبالاته بزوجه ولذلك أيضاً قالت (ولا يولج الكف ليعلم البث) اى لا يدخل كفه الى بدنها ليعلم بثها وحزنها وما نزل بها من المرض لقلة شفقته عليها أو المراد انه لا يضاجعها ليعلم ما عندها من محبتها لقربه وسمت ذلك بثا لان البث من جهته يكون فلا ينفع لزوجته منه لا في الاكل ولا في الشرب ولا في اللباس ولا في الفراش وأما احتمال انها أرادت المدح وان معنى لف أتى بألوان الطعام توسعة علي عياله ومعنى اشتف لا يترك شيأ من أنواع الشراب الا أتى به لاهله ومعنى التف اتى بصنوف الثياب وان معنى ولا يولج الخ أنه اذا حدث بها مرض يشق عليها اطلاع الزوج عليه فانه لا يدخل يده من تحت ثيابها لئلا يطلع علي ما تريد ستره منه تكرما وحلما فيكون المراد بالبث باطن الشيء فبعيد (قالت السابعة زوجي عياياء) بالعين المهملة اى عاجز عن القيام بمصالحه من العي وقيل هو العنين (او) للشك او بمعنى بل (غياياء) بالمعجمة قال عياض يحتمل ان يكون من الغياية وهي كل ما أظل الانسان فوق رأسه فكأنه سترت عليه أموره فلا يهتدي الى مصالحه اومن الغي وهو الانهماك في الشر او بمعنى الخيبة قال تعالى فسوف يلقون غيا قيل خيبة بان لا يظفروا بالمطلوب وعلي هذا فالقياس غواياء بالواو فيكون قلبها ياء هنا على سبيل الشذوذ ولا وجه لانكار أبي عبيدة غياياء بالمعجمة (طباقاء) هو الذي أطبقت عليه أموره يقال فلان طباقاء اذا لم يكن صاحب غزو ولا سفر او هو الثقيل الذي يطبق صدره على صدر المرأة عند

مسجد العشيرة ببطن ينبوع وعنده عين جارية وهناك على التل مزارة لابى الحسن النفاتي وفى ينبع أيضا قبر الحسن المثلث فوق القرية

(لاح بالدهنوين بدر لما بعـ * ـد حنين وحنت الصفراء) الدهنوين بفتح الدال تثنية الدهناء قال فى القاموس موضع أمام ينبع

وثناء الناظم ضرورة أو تكثيرا كقول الشاعر * يبطن المكتين لها عجيج * وقول الآخر * تطلبنى برامتين سلجما *

وانما هى مكة ورامة أى ظهر فيها بدر (٤٤) وهو الوقعة المكرمة التى أعز الله تعالى فيها الاسلام مشهورة الى الآن تزار ويتبرك

بمن دفن فيها من الشهداء وغيرهم وفيها الآن قرية عامرة بها عين كبيرة ونخيل وعلى ذلك البلد الانوار تلوح ورياض النصر تغدو وتروح وفيها مسجد يسمى مسجد الغمامة وهو موضع العريش يوم الوقعة ببدر على الاصح وفيه يقول الشاعر

يا أهل بدر لقد طابت مآثركم
وقد علا قدركم فى أرفع الدرج
فزتم بغفران أوزار وحسن ثنا
على المدى نشره من أطيب الارج
يكفيكم فى علاكم قول مادحكم
هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وانظر مايسمع هنا من صوت الطبل فى ابن حجر وابن مرزوق على البردة وغيرهما وضمير لها عائد على الناقة وبعد بالبناء على الضم أى بعد بدر حنين وفي نسخة قبل ويقال انه جبل صغير قرب بدر لاحنين الذى لقى فيه النبى صلى الله عليه وسلم هوازن فظفر بهم وهو بين مكة والطائف والصفراء قرية معروفة منحرفة عن طريق أهل مصر لايمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة وحنت من الحنين وهو الشوق

الحاجة لها فيرتفع أسفله عنها فلا يحصل لها منه الا الايذاء والعذاب أو هو العاجز عن الجماع أو عن الكلام لما به من اللكنة فتنطبق شفتاه (كل داء) مبتدا (له داء) الجملة خبر المبتدا والمعنى ان كل ما تفرق فى الناس من العيوب فهو مجتمع فيه (شجك أو فلك أو جمع كلالك) أى اما ان يشج رأس نسائه أو يكسر عضوا من أعضائهن او يجمع لهن بين الامرين والخطاب لنفسها أو من باب الخطاب العام (قالت الثامنة زوجى المس مس أرنب) فهو ناعم البدن أولين الجانب واللام عوض عن المضاف اليه أى مسه كمس الارنب حيوان معروف (والريح ريح زرنب) يحتمل ان تريد بهذا طيب ريح جسده ويمكن ان تريد به طيب ثنائه فى الناس وانتشاره فيهم كريح الزرنب وهو نوع من أنواع الطيب معروف (قالت التاسعة زوجى رفيع العماد) العماد الخشبة التى يقوم عليها البيت والمعنى أنه شريف النسب والحسب لان بيوت السادات عاليات مرتفعات ليراها الضيفان وذوو الحاجة فيقصدونها (طويل النجاد) بكسر النون حمائل السيف وطوله يدل على امتداد القامة وهذا مما تمدح به الشعراء وقد قال تعالى وزاده بسطة فى العلم والجسم وفيه ايماء الى شجاعته المستلزم غالبا السخاوته (عظيم الرماد) لكثرة الطبخ المستلزم لكثرة الآكلين فهو اشارة الى الكرم وأيضا فان العظماء يستكثرون من ايقاد النار ليلا ليقصدهم الضيفان (قريب البيت من الناد) أصله النادى فخفف بحذف آخره للسجع وهو مجلس القوم ومتحدثهم وذلك دليل شرف صاحب البيت وسيادته وانه لايقطع أمر دونه وليقصد بيته (قالت العاشرة زوجى مالك) أي اسمه (وما مالك) الاستفهام للتعظيم والتفخيم على حد الحاقة ما الحاقة اشارة الى انه فوق ما يوصف ويذكر بعد (مالك خير من ذلك) أى من زوج التاسعة أو مما ذكره السابقات فى مدح أزواجهن (له ابل كثيرات المبارك) بفتح الميم جمع مبرك وهو محل بروك البعير أو زمانه أو مصدر ميمى بمعنى البروك (قليلات المسارح) جمع مسرح اسم محل أو زمان أو مصدر ميمى من سرحت الماشية أى رعت والمتبادر من الكلام ان المعنى ان معظم الاوقات تكون ابله حاضرة معدة لمن ينزل به من الضيفان ولا يسرحها الا قليلا قدر الضرورة لكن يلزم من هذا ان تكون شديدة الهزال ولذلك قيل ان المراد انها كثيرة فى حال بروكها قليلة اذا سرحت لكثرة ماينحر منها فى مباركها للاضياف وقيل غير ذلك (اذا سمعن صوت المزهر) بكسر الميم عود مشهور يضرب به عند الغناء (أيقن انهن هوالك) لما عودهن انه اذا نزل به ضيف نحر لهم منها وكانت العرب تتلقى الاضياف بالملاهى فرحا بهم (قالت الحادية عشرة) بالتاء المفتوحة فيهما والشين ساكنة وبنو تميم يكسرونها (زوجى أبو زرع وما أبو زرع) لعله كنى به لكثرة زراعته أو تفاؤلا بكثرة أولاده (أناس) بزنة اقام من النوس وهو تحرك الشىء متدليا واناسه حركه غيره أى أثقل (من حلى) بضم الحاء جمع حلية (أذني) أى جعل لها قرطا ينوس أي يتحرك (وملأ من شحم عضدى) تريد انه سمنها باحسانه اليها وخصت العضدين بالذكر لانهما اذا سمنتا سمن سائر الجسد (وبجحنى فبجحت) بكسر الجيم وتفتح (الى نفسى) قال ابن

(ونضت بزوة فرابغ فالجحفة عنها ماحاكه الانضاء)

بزوة بالزاى ثم الواو موضع يسمى بقاع البزوى ووجه تسميته بذلك ان هذه الارض فى هذه المرحلة كلها تسمى بزوي لما فيها من الضيق والاحديداب وعدم الاستواء وهذا الطرف منها لما اطمأن واتسع وسهل الانبارى وما ارتفع سمى بالقاع لاجل الاتساع وأضيف الى البزوى لانه بعضها أو مجاورها ونضت خلعت واسناد الخلع اليها والى مابعده مجاز ورابغ هو وادبين الحرمين الشريفين قرب البحر يأتى اليه السيل من بعيد وتزرع فيه مقاثئ كثيرة ودخنورة وهو من أخصب أودية الحجاز ولذلك سمي رابغا من قولهم ربغ القوم فى النعيم أى أقاموا فيه أو من قولهم عيش رابغ أى ناعم او من قولهم ربيع رابغ

اي مخصب وفيه قرية فيها نخيل وآثار كثيرة وهناك بركة كبيرة مبنية مملوأة ينتفع الناس بها وهنا ينشد

تجردت لما أن وصلت لرابغ * ولبيت للمولى كما حصل الندا وقلت الهي عندك الفوز بالغنى * وانى فقير قد أتيت مجردا

والجحفة بضم الجيم وسكون الحاء المهملة قال في القاموس ميقات أهل الشام وكانت به قرية جامعة على اثنين وثلاثين ميلا من مكة وكانت تسمى مهيعة فنزل بها بنو عبد وهم اخوة عاد وكان أخرجهم العماليق عن يثرب فجاءهم السيل الجحاف فاجتحفهم فسميت الجحفة ولما هاجر الصحابة الى المدينة وجدوها كثيرة الحمى فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انقل حماها الى الجحفة فكان اذا مر الطائر بها سقط وضمير عنها يعود على الناقة اى خلعت تلك الاماكن عن الناقة ماحاكه الانضاء أى الثوب الذي نسجه لها الهزال أى استبشرت لقطعها لتلك الاماكن فما مفعول نضت يقال نضاه من ثوبه جرده وأنضاه هزله شبه الهزال بحائك الثوب والثوب بأثر الهزال من حيث ان الهزال يوجب للبدن من التعب مايعمه ويسترقوته كما يستر الثوب البدن ثم خيل باثبات ماهو من لوازم المشبه به وهو الحياكة ورشح له بذكر الخلع

الانارى معناه عظمني فعظمت عندى نفسى يقال فلان يتبجح بكذا أى يفخر ويترفع ومنه قول الشاعر وما الفقر من أرض العشيرة ساقنا * اليك ولكنا بقرباك نبجح

اى نفتخر بقربانا منك (وجدنى في اهل غنيمة بشق) بكسر المعجمة عند اهل الحديث اى مشقة وضيق فى العيش وبفتحها عند اهل اللغة موضع بعينه او ناحية من الجبل بشق فيه غار ونحوه وقيل هما لغتان بمعنى الموضع (فجعلنى فى اهل صهيل) اصوات الخيل (وأطيط) اصوات الابل وقد يطلق على صوت غيرهما والمراد اهل خيل وابل تريدانها كانت في اهل فقر ومسكنة فنقلها الى اهل ثروة وكثرة ولذلك ايضا قالت (ودائس) اسم فاعل من داس الطعام يدوسه دياسة اى درسه ليخرج الحب من السنبل تريدانهم أصحاب بقر ودواب وزرع وقيل الدائس الاندر (ومنق) بفتح النون من التنقية تريد من ينقى الطعام من الغلث بغربال اوغيره وقيل بكسر النون مأخوذ من النقيق وهو صوت الدجاج وقيل الاولى تفسيره بذابح الطير لانه عند ذبحه ينق فيصير هو ذا نقيق اى جعلنى من أهل ذابحى الطيور وطاعمى لحومها (فعنده أقول) ماشئت من الاقوال (فلا أقبح) اى لا يرد علي قولى لكرامتى عليه ولا يقبحه لقبول كلامي وحسنه لديه (وارقد فاتصبح) اى أنام الصبحة وهى أول النهار لانى مكفية عنده بمن يخدمنى ويخدمه فلا يوقظنى لخدمته ومهنته اذ لا ينام الصبحة الامن كان كذلك (واشرب فاتقمح) اى أروى حتى أدع الشراب من كثرة الرى وكانها احتاجت الى ذكر هذا لقلة الماء عندهم وروى فاتقنح بالنون وهو الرى بعد الرى او الشرب علي رسل لكثرة اللبن اى فلا يقطع علي شربى ولم تذكر الاكل لعله مما سبق او اكتفاء بالشرب لانه فرع الشبع (أم أبى زرع فما أم أبي زرع) انتقلت الى مدح امه مع ماجبل عليه النساء من كراهية ام الزوج اعلاما بامتلاء قلبها من محبته حتى أحبت كل من له تعلق به (عكومها) بضم العين وتفتح جمع عكم بالكسر بمعنى العدل اذا كان منه متاع اي أوعية أمتعتها (رداح) بفتح الراء وروى بكسرها أى كبيرة متسعة وأخبرت عن الجمع بالمفرد علي ارادة كل عكم منها رداح او علي أن رداح هنا مصدر كالذهاب ويحتمل أن تريد كفلها ومؤخرها وكنت عن ذلك بالعكوم وامرأة رداح عظيمة الكفل (وبيتها فساح) اى واسع يقال بيت فسيح وفساح ويحتمل أن تريد خير بيتها وسعة مالها (ابن أبى زرع فما ابن ابى زرع مضجعه) اى مرقده (كمثل شطبة) هى جريدة النخل الخضراء الرطبة تعنى ان مضجعه كموضع سل عنه شطبة او كغلاف السيف فهو مهفهف نحيف (وتشبعه ذراع الجفر) أنثى ولد المعز وقيل الضأن اذا بلغت اربعة اشهر وفصلت عن أمها فهو قليل الاكل مدحته بالضمور والنحافة وقلة الاكل وذلك محمود فى الرجال (بنت ابى زرع فما بنت ابى زرع طوع أبيها وطوع أمها) أعيد طوع اشعارا بالكثرة والمعنى لا تخالف أبويها فى امر ولا نهى (وملء كسائها) لسمنها وهو مطلوب فى النساء وفى رواية وصفر ردائها بكسر الصاد وسكون الفاء وهو الخالى فقيل المراد انها خفيفة أعلى البدن ممتلئة أسفله وهو مكان الكساء لرواية وملء ازارها وقال

(وارتها الخلاص بثر على
فعقاب السويق فالخلصاء)

بثر على هو فاعل ارتها والخلاص مفعوله الثانى اى من التعب وعقاب السويق موضع بعده بقليل والخلصاء قال ابن حجر هو المحل المشهور الآن بخليص فيه عين واسعة وبركة كبيرة اه وفى القاموس الخلصاء موضع بالدهناء وخليص كزبير حصن بين عسفان وقديد أى ارت الناقة هذه الاماكن النجاة من التعب

(فهى من ماء بثر عسفان او من * بطن مر ظمآنة حمصاء) اى فالناقة ظمآنة اى عطشانة حمصاء اى جوعانة من اجل وصولها ماء بثر عسفان وبطن مر المشهورة لان العادة أن الحجيج اذا وصل نحو عسفان اشتد شوقهم فاشتغلوا عن سقى دوابهم واطعامها الى أن يصلوا مكة شرفها الله تعالى وعسفان قرية فيها سوق وآبار متعددة من جملتها البئر التى يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم تفل بها وماؤها حلو غاية شربنا منه تبركا

(قرب الزاهر المساجد منها * بخطاها فالبطء منها وجاء)

قال في القاموس الزاهر مستق بين مكة والتنعيم والمساجد جمع مسجد بكسر الجيم وتفتح والمراد مسجد عائشة المعروف بالتنعيم وبينها وبين الزاهر نحو ميلين وسمي مسجد عائشة لانها لما أحرمت بالتنعيم مع اخيها عبد الرحمن بأمر النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بنى فيه مسجد ونسب اليها وهو أدنى الحل ويسميه الناس العمرة تسمية للشيء باسم مايقع فيه وضمير منها عائد على الناقة والباء في بحطاها سببية اى لما أحست بالوصول (٤٦) أسرعت فالبطء منها قبل ذلك المكان وحاء اى سرعة في ذلك المكان وفي القاموس

الوحا بالقصر الاسراع ويمدوههنا يحق أن ينشد

قالوا غداً نأتي ديار الحمى
وينزل الركب بمغنام
وكل من أمسي مشوقا لهم
أصبح مسروراً بلقيام
قلت ولي ذنب فما حيلتي
بأي وجه أتلقام
قالوا فان العفو من شأنهم
لاسيما عمن ترجام

القاضي عياض الاولى ان المراد امتلاء منكبيها وقيام نهديها بحيث يرفعان الرداء عن أعلى جسدها فلا يمسه فيصير خاليا بخلاف أسفلها (وغيظ جارتها) اى ضرتها اى لحسنها وجمالها ووضاءتها وعفتها وأدبها وفي رواية وعقر جارتها بفتح العين وسكون القاف اى هلاكها من الغيظ والحسد وفي رواية وعبر بضم العين وسكون الموحدة من الاعتبار او العبرة اى البكاء اى ترى من حسنها ما تعتبر به او مايبكيها (جارية ابي زرع فما جارية ابي زرع لاتبث) بضم الموحدة وتشديد المثلثة وروى بالنون بدل الموحدة ومعناهما واحد اى لاتنشر ولاتظهر ولاتشيع (حديثنا) اى كلامنا واخبارنا (تبثيثا) مصدر مؤكد من غير بابه (ولاتنقث) بضم القاف وبالمثلثة وروى ولاتنقل ومعناه بمعنى (ميرتنا) اى طعامنا اى لاتفرقه ولاتفسده لامانتها (تنقيثا) مصدر من غير بابه وروى ولاتنقث بكسر القاف المشددة والثاء المثلثة فهو مصدر مؤكد للمبالغة في وصفها بالامانة والديانة والصيانة (ولاتملأ بيتنا تعشيشا) بمعنى انها مصلحة للبيت مهتمة بتنظيفه والقاء كناسته وعدم تركها في جوانبه كانها أعشاش الطيور وفي رواية بالغين المعجمة اى غشا بالخيانة في طعام او بالنميمة (قالت) اى أم زرع (خرج ابو زرع والاوطاب) زقاق اللبن جمع وطب (تمخض) اى تحرك باستخراج الزبد والجملة حال من فاعل خرج (فلقي امرأة معها ولدان كالفهدين) تثنية فهد وهو سبع مشهور يضرب به المثل في كثرة النوم والوثوب ومن خلقه انه يأنس بمن يحسن اليه فالتشبيه في الوثوب واللعب (يلعبان من تحت خصرها) بفتح الخاء المعجمة اى وسطها وفي رواية من تحت صدرها (برمانتين) قال ابو عبيدة تعني أنها ذات كفل عظيم فاذا استلقت علي قفاها ارتفع الكفل بها من الارض حتى يصير تحتها فجوة يجري فيها الرمان قال القاضي عياض وذهب بعضهم الى ان المراد بالرمانتين هنا الثديان وهو عندي أظهر وأشبه ولاسيما وقد روى من تحت صدرها ومن تحت درعها ولان العادة لم تجر برمي الصبيان الرمان تحت أصلاب امهاتهم ولا استلقاء النساء لهم لذلك حتى يشاهد ذلك منهن الرجال والاشبه انهما رمانتا النهدين شبهتا بذلك لنهودهما ودل ذلك علي صغرها وفتاء سنها (فطلقني ونكحها) رجاء نجابة الولد لما رأى من نجابة ولديها اذ كانوا يرغبون ان يكون اولادهم من النساء المنجبات في الخلق والخلق (ونكحت) بالواو وفي نسخة فنكحت (بعده رجلا سريا) اى شريفا اوسخيا (ركب شريا) اى فرسا فائقا جيدا يستشرى في سيره اى يمضي بلافتور ولاانكسار (وأخذ خطيا) بتشديد الطاء والتحتية بعد الخاء المعجمة المفتوحة وتكسر اى رمحا منسوبا الى الخط قرية في ساحل البحر عند عمان والبحرين (وأراح علي نعما) اى اتى بها الى مراحها بضم الميم وهو موضع مبيتها (ثريا) بمثلثة اى كثيرة ومنه الثروة في المال اى كثرته (وأعطاني من كل رائحة) اى من كل مايروح الى المراح من الابل والبقر والغنم والعبيد (زوجا) اى اثنين وقد يطلق الزوج بمعنى الصنف ومنه قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة (وقال) اى الزوج الثاني (كلي أم زرع وميري) اى اعطي (اهلك) امر من الميرة وهو الطعام

(هذه عدة المنازل لاما عدمنها السماك والعواء)

اى هذه الاماكن المذكورة هي عدة غالب المنازل بين مصر ومكة لامنازل القمر الثمانية والعشرون المعدود فيها السماك والعواء والسماك بفتح السين وكسرها المراد به الاعزل وهو الذي ينزل به القمر لا الرامح والعواء من منازل القمر خمسة أنجم معلومة

(فكأني بها أرحل من مكة شمسا سماؤها البيداء)

كان للتشبيه واسمها ضمير المتكلم اى كأني بتلك المنازل المذكورة او الباء بمعنى علي والضمير للناقة وعليه اقتصر ابن حجر أرحل من مكة اى اليها وهي البلدة المعروفة زادها الله تعالى تعظيما وشرفا أو الى عرفة وغيرها من مواضع النسك شمسا وهي الناقة سماؤها اى محل سيرها البيداء قال ابن حجر شبه الناقة بالشمس في ارتفاعها وقوة سيرها الذى لماعندها من عظم الشوق استعارة بالكناية وشبه البيداء التي هي محل سيرها بالسماء التي هي محل سير الشمس بجامع السعة واثبات السماء لها تخييل وذكر الترحيل والبيداء تجريد لملاءمتها للمشبه الذي هي الناقة وفيه نظر

(موضع البيت مهبط الوحي ماوى الر * رسل حيث الانوار حيث البهاء)

موضع بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل

وبالرفع خبر مبتدا محذوف ومهبط الوحى بالكسر بدل بعد بدل أو معطوف بحذف العاطف ضرورة وكذا يقال فيما بعده والمراد بالبيت الكعبة أى محل نزول الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحى لغة الاشارة وكل كلام خفى وشرعا ما جاء به النبى المبعوث عن ربه على لسان الملك أو بالالهام أو في النوم أو الالقاء فى الروع وسمى مكة شرفها الله تعالى مأوى الرسل لانه ما من نبى الا حج البيت كما جاء في حديث واستثناء صالح وهود على نبينا وعليهما الصلاة (٤٧) والسلام لاشتغالهما بأمر قومهما لم يصح

الذي يمتاره الانسان اى يجلبه لاهله يقال مار أهله يميرهم قال الله تعالى ونمير أهلنا ثم وصفت كثرة نعم أبى زرع وكرمه بقولها (فلو جمعت كل شىء أعطانيه) اى هذا الزوج الثانى (ما بلغ أصغر آنية أبي زرع) أي قيمتها أو قدر ملئها وقال القسطلانى والظاهر انه للمبالغة والا فالاناء لا يسع ما ذكرت انه أعطاها من أصناف النعم والحاصل انها وصفت هذا الثانى بأنواع السودد ومع ذلك لم يقع عندها موقع ابي زرع فرأت ان قليل ابى زرع لا يقوم له كثير هذا الثاني وذلك لان حبها لابى زرع الذى هو أول زوج لها بغض لها الازواج فسكنت محبته فى قلبها كما قيل

* ما الحب الا للحبيب الاول *

ولذا كره أولو الرأى تزوج امرأة لها زوج طلقها مخافة أن يميل قلبها اليه ولذا قيل الثيب نصف المرأة وقد قال تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقال فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لاصحاب اليمين وقال صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك قلت ولعل النبى صلى الله عليه وسلم انما تزوج الثيبات مع حضه على الابكار للامن من ميلان قلب أزواجه لغيره صلى الله عليه وسلم لانه أحسن العالمين خلقا وخلقا فشاهدة طلعته الشريفة ورؤية محاسنه المنيفة توجب الاستغراق فى محبته وعدم القناعة من محبته وتقديمه على الآباء والبنين وقلة الصبر عنه فى كل حين نعم يفوت فى تزوج الثيب كمال التلذذ الحاصل فى تزوج البكر وفى الحديث فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما (قالت عائشة) رضى الله عنها (فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كأبى زرع لام زرع) زاد فى بعض الروايات غير اني لم أطلقك وقال العسقلانى زاد فى رواية الهيثم بن عدى فى الالفة والوفاء لا فى الفرقة والخلاء وزاد النسائى فى رواية له والطبرانى قالت عائشة يا رسول الله بل أنت خير من أبى زرع وفى رواية الزبير بابي وأمى لأنت خير لى من أبى زرع لام زرع وكانه صلى الله عليه وسلم قال ذلك تطييبا لها وطمأنينة لقلبها ومبالغة فى حسن عشرتها قال ابن حجر وأخبر صلى الله عليه وسلم بقوله كنت الخ عما مضى الى وقت تكلمه بذلك وأبقى المستقبل الى علم الله فلا حاجة مع ذلك الى جعل كان للدوام أي كان فيما مضى وهو كذلك ابدا اذ هو خروج عن الظاهر من غير دليل ولا ضرورة ولا الى القول بأنها زائدة لان الزائدة غير عاملة فلا يوصل بها الضمير الذي هو المبتدأ فى الاصل اه بمعناه أى ولا الى القول بأن المراد كنت لك في قضاء الله تعالى وسابق علمه وفى هذا الحديث جواز اخبار الرجل زوجته وأهله بصورة حاله معهم وحسن صحبته اياهم واحسانه اليهم وتذكيرهم بذلك وفى تحديث النساء بهذا الحديث منفعة فى الحض على الوفاء للزوج كما فى كلام أم زرع والصبر على الازواج كما فى حديث غيرها وفيه حل الاخبار عن الامم الماضية وفيه ان المحبة تستر الاساءة لان أبا زرع مع اساءته لها بتطليقها لم يمنعها ذلك من المبالغة فى وصفه الى ان بلغت حد الافراط والغلو وفيه ان ذكر مساوى من ليس بمعروف عند المتكلم والسامع لا يسمى غيبة بل ولا يتوهم فيه ذلك لان عائشة انما ذكرت نساء مجهولات ذكرن مساوى عن أزواج لهن مجهولين فخالها فى ذلك كحال

وقوله حيث الانوار لان الله تعالى ينزلها على قلوب الطائفين دائما والبهاء هنا الحسن المعنوى المكنى به عن حصول ملائم النفس من الحكم والمعارف المفاضة على أهل تلك الحضرة المكرمة وحيث ظرف مكان فهو كالذى بعده بدل مما قبله والانوار مبتدأ والخبر محذوف اى منيرة وهكذا لنسلم من اضافة حيث الى المفرد وفى ذكر الوحي والرسل والانوار والبهاء مراعاة النظير وكذا الطواف وما بعده فيما يأتي

(حيث فرض الطواف والسعى والحلاق ورمى الجمار والاهداء)

فرض الطواف محله الحج كالعمرة ان احرم بها وهو للغرباء أفضل من الصلاة النافلة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد فى غيره واختلفوا فيه مع الوقوف بعرفات أيهما أفضل فقيل الطواف لانه ملحق بالصلاة يشترط فيه شروطها دون الوقوف وقيل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفات اي معظمه ذلك لان من أدركها أدركه بخلاف الطواف ولانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضاء المآرب كما فى الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان وهو الاصح والسعي ركن كالطواف والحلق أيضا ركن عند الشافعية ومنهم الناظم ولذلك قال حيث فرضه وأما رمى الجمار جمع جمرة فواجب لا ركن وقوله والاهداء أى سوق الهدى وبعثه الى مكة ليذبح ويفرق على مساكين الحرم والغرباء وهو سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يرسله الى مكة من المدينة وهو مقيم ويصح ان يريد بالاهداء كل دم وجب فى النسك اثم بسببه كالحلق تعديا أم لا كالمتمتع

(حبذا حبذا معاهد منها * لم يغير آياتهن البلاء)

حبذا فعل مدح بمعنى نعم ومحل شرحها كتب العربية وفى القاموس حبذا

الامر أى هو حبيب جعل حب وذا كشيء واحذو هو اسم ومابعده مرفوع به وذا لزم حب وجرى كالمثل والمعاهد جمع معهد وهو قد
الاصل المنزل الذى يعود اليه مفارقوه دائما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها فهو عائد اليها بالفعل تارة والعزم أخرى فهو وان
فارقها بجسمه مقيم فيها بقلبه ولبه وضمير منها عائد على مكة شرفها الله تعالى أى حبذا معاهد من مكة امتازت على بقيتها كالكعبة
ومسجدها ودار خديجة والصفا والمروة (٤٨) ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم وبالحرم كمنى ومزدلفة وخارجه كعرفات وقوله

لم يغير آثارهن وفى نسخة آياتهن
اى علاماتهن الدالة على شرفهن
من تعظيم الامة لهن بالازدحام
على التبرك بهن وزيارتهن والقيام
بحقوقهن والبلاء بفتح الباء المراد
به طول المدة الذى من شأنه أن
يغير الاشياء عما هى عليه وقد
صانها الله تعالى من التغيير بحرمتها
عنده وفضلها ويستمر لهذه الامة
التمتع بعبادتها الى آخر الدهر
ولما أشرف أبو الفضل الجوهرى
على الكعبة أنشد

قلت للقلب اذ تراءى لعينى
رسم دار لهم وهاج اشتياقى
هذه دارهم وأنت محب
ما احتباس الدموع فى الآماق
حل عقد الدموع واحلل رباها
واهجر النوم واقض حق الفراق
فالمعانى للصب فيها معان
فهى تدعى مصارع العشاق

(حرم آمن وبيت حرام
ومقام فيه المقام تلاه)

أى مكان محرم بحرمة الله تعالى
الى يوم القيامة من يوم خلق الله
السموات والارض كما فى الحديث
الصحيح وحديث ان ابراهيم عليه
السلام حرم مكة المراد به انه أظهر
حرمتها التى كانت خفيت على
الناس فلا تعارض بين الحديثين
وهذا بدل من موضع البيت بدل
كل من بعض على حد جنات عدن فى مريم بناء على اثبات ذلك البدل كما هو رأى
قوم قالوا به ولم ينظروا الى انكار الجمهور له كذا قال ابن حجر والظاهر انه بدل من معاهد وقوله آمن أى يأمن من فيه من شن الغارات
واستباحة المحرمات بل كان الانسان يرى قاتل أبيه فى الجاهلية فيه فلا يعرض له ولما دخله الطوفان لم تعد فيه دابة على دابة وكان رجل
من قوم أبرهة فيه فلم يصبه من رمى الابابيل شيء حتى خرج منه ولذا قيل

من قال فى العالم من يعصى الله ومن يسرق ومثل ذلك لا يتوهم احد أنه من الغيبة فى شيء
فان كان معينا عند المتكلم دون السامع فالذى رجحه القاضي عياض انه لا حرمة اه قال
ابن حجر وقضية مذهبنا بخلافه لان أئمتنا صرحوا بحرمة الغيبة بالقلب وبالضرورة ان الغيبة
بالقلب لا يطلع عليها أحد فاذا حرمت به فاولى حرمتها باللسان ولو بحضرة من لا يعرف المغتاب
اه قال فى جمع الوسائل والاظهر قول القاضى لورود أحاديث ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا
ولا شك انهم كانوا معينين عنده صلى الله عليه وسلم الان يقال لا يلزم من جواز ما بال أقوام
يفعلون كذا وكذا لما يترتب عليه من الحكم والمصالح الدينية والدنيوية جواز الغيبة القلبية
والله أعلم اه بالمعنى قال ابن حجر العسقلاني وقد شرح هذا الحديث جماعة وافرة من أهل العلم
واجمع شروحه وأوسعها شرح القاضى عياض المسمى بغية الرائد فيما فى حديث أم زرع
من الفوائد ومنه أخذ غالب الشراح وقد لخصت جميع ما ذكروه اه ثم ذكر فوائد الحديث
فانظره ان شئت

باب
صفة نوم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكره عقب السمر لما بينهما من المناسبة وفى نسخة باب ما جاء فى نوم الخ (حدثنا محمد بن المثنى نا
عبد الرحمن بن مهدى نا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن يزيد عن البراء بن عازب) عبد الله
ابن يزيد لم يدرك البراء فالحديث منقطع قاله المناوى (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا أخذ مضجعه) أى أراد النوم فى مضجعه بفتح الميم والجيم وتكسر محل الاضطجاع (وضع كفه
اليمنى تحت خده الايمن) فيه دليل ندب النوم على الشق الايمن وفى رواية مسلم وغيره يضطجع
على شقه الايمن والاولى تعليل النوم على الايمن بتشريفه وتكريمه وايثاره على الايسر ولان
النوم أخو الموت والمطلوب أن يكون الميت على شقه الايمن تفاؤلا بأن يكون من أصحاب اليمين
وأما تعليل ذلك بانه أسرع للانتباه لعدم استقرار القلب حينئذ لانه معلق بالجانب الايسر فيبقى
القلب قلقا فلا يستغرقه النوم فبحوث فيه اما أولا فنمنع ان القلب معلق بالجانب الايسر انظر
الافادات للشاطبى وفتح المتعال للامام المقرى وأما ثانيا فعلى تسليم ذلك فقد قال المحقق أبو زرعة
اعتدت النوم على الايمن فصرت اذا فعلت ذلك كنت فى دعة وراحة واستغراق واذا نمت على
الشق الايسر حصل عندى قلق لذلك وعدم استغراق فى النوم اه والنوم على الظهر من أردا
النوم بخلاف مجرد الاستلقاء عليه من غير نوم وأردأ منه النوم منبطحا على الوجه وقد روى
ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم لما مر بمن هو كذلك فى المسجد ضربه برجله وقال قم أو اقعد
فانها نومة جهنمية قال فى جمع الوسائل ولعل السبب فيه أنه موافق لرقاد اللوطية المحرك
للناظر داعية الشهوة النفسية (وقال رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك) وانما قال ذلك مع
عصمته اظهار اللخوف والعبودية والافتقار لما عند الله تعالى ورغبة فى خيره والاعتراف

بالتقصير

ياجيرة حلوا بوادي منى * أضرمتم في القلب منكم جمار أنتم كرام يا عريب النقا * وجاركم من كل جور مجار

قوله وبيت حرام أي ذو حرمة قال تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والمقام بفتح الميم هو مقام ابراهيم وهو الحجر الذي أنزل الله تعالى لابراهيم عليه السلام من الجنة ليقوم عليه عند بناء الكعبة اذا طال البناء فكان يعلو به الى أن يضع الحجر في موضعه ثم يقصر به الى أن يتناول الحجر من اسمعيل عليهما السلام وفيه أثر قدمي ابراهيم عليه السلام وهو الذي نادي

بالتقصير في حقوق ربوبيته وتعليماً لأمته أن يقولوا ذلك عند النوم لاحتمال ان هذا خاتمة العمر فيكون خاتمة عملهم ذكر الله والتواضع له والرجوع اليه بصفة الذل والافتقار والخضوع والانكسار ففي هذا دليل لندب الذكر عند النوم وفيه تنبيه على مطلوبية التفكر في البعث والاهتمام بامور القيامة ومايكون فيها من الاهوال وجعل الموت وما يكون بعدها نصب العين وقد ورد في الصحيح ان جهنم تجيء يوم القيامة معها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها فتزفر زفرة فلايبقى نبي مرسل ولاملك مقرب الا جثا على ركبتيه أعاذنا الله منها بمنه ومن آداب النوم الوضوء لقوله في حديث البخاري ومسلم اذا أخذت مضطجعك فتوضأ وضوءك للصلاة الحديث أي مخافة الموت على غير طهارة وقد ورد ان الانسان يبعث على الحالة التي مات عليها ولما ورد من أن روحه تسجد تحت العرش ولان ذلك أقرب لصدق رؤياه لان الوضوء سلاح المؤمن فيحفظ من تلاعب الشيطان وترويعه ولما جاء انه في صلاة اوذكر حتى يستيقظ وكما ينبغي للنائم أن يكون على طهارة حسية يطلب منه ايضاً ان يبيت على طهارة معنوية بأن لا يبيت وفي قلبه غل على مسلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا عبد الرحمن) اى ابن مهدي كما في نسخة (نا اسرائيل عن أبي اسحق عن ابي عبيدة) مصغراً واسمه عامر ابن عبد الملك بن مسعود (عن عبد الله) أي ابن مسعود (مثله) أي في صدر الحديث (وقال يوم تجمع عبادك) اى بدل يوم تبعث عبادك ولابد من البعث والجمع الا ان البعث يكون أولا والجمع يكون ثانياً والنشر ثالثاً * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا عبد الرزاق نا سفيان عن عبد الله بن عمير عن ربعي) بكسر الراء وسكون الموحدة من التابعين (ابن حراش) بكسر الحاء المهملة (عن حذيفة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أوي) بالقصر وقد يمد أي دخل بقصد النوم (الى فراشه قال اللهم باسمك أموت وأحيا) يحتمل ان يكون المعنى على ذكري لاسمك أموت وعلى ذكره أحيا ما حييت فيكون اشارة الى انه لا يزال معظما لسيده لاهجاً بالثناء عليه مستهتراً (مولعا) بذكره لايفارق ذلك قياماً بواجب بره وشكره ويحتمل أن يكون لفظ الاسم مقحماً والمعنى بك أموت وأحيا اى انت تحييني وأنت تميتني فيكون اعترافا بالعجز وتبرؤا من الحول والقوة وانه لايملك لنفسه نفعاً ولاضرا ولاموتا ولاحياة ولانشورا وانه تعالى هو النافع الضار ولاملجأ ولامنجا منه الا اليه ويحتمل ان المراد باسمك المميت أموت وباسمك المحي أحيا فانه تعالى سمى نفسه بالاسماء الحسنى ومعانيها ثابتة له فكلما ظهر في الوجود فهو آثار أسمائه (واذا استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور) معنى أحيانا اى أيقظنا ومعنى اماتنا انامنا فجعل اليقظة حياة والنوم موتا وذلك مشعر بان المراد بالموت في قوله باسمك اموت النوم وان المراد بالحياة في قوله وباسمك احيا اليقظة فيكون نظير الحديث الآخر اللهم باسمك وضعت جنبي وباسمك ارفعه ومعنى واليه النشور ان اليه المرجع بالبعث بعد الموت ففيه انه ينبغي لمن استيقظ من نومه ان يتذكر بذلك الموت بعد البعث وان الامر

عليه لما فرغ من بناء الكعبة يا أيها الناس ان الله تعالى بنى لكم بيتاً فحجوا اليه فسمعته النطف في الاصلاب والاجنة في الارحام فاجابوه في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم لبيك وفي رواية أنه نادى بذلك على الحجون ولا تنافي لاحتمال انه نادى مرتين واختلف هل موضعه الموجود فيه هو الذي كان فيه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاصح أو لا وانما كان عند باب الكعبة وجعله عمر في موضعه الذي هو فيه الآن قولان ومن الغريب ماقيل المراد بالحجر الذي وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت هاجر ليزور اسمعيل فوجده غائبا فسأل زوجته عن حالهم فشكت اليه فقال مري زوجك فليغير عتبة بابه فجاء فأخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج أخرى فوجده غائبا فسأل زوجته أيضا فأثنت خيراً ثم أمرته بالنزول لتطعمه فأبى فوضعت له حجرا ليغتسل عليه فوضع قدمه الشريف وأمال لها رأسه ففاصت قدمه ثم حولته ففاصت فيه الاخرى ثم قال لها مري زوجك فليلزم عتبة بابه وضمير فيه عائد على الحرم أو البيت لا المقام وهو نظير ومن دخله كان آمنا لان المفسرين صرحوا بان ضمير دخله عائد على

حرم مكة وهو معطوف على مقام ابراهيم الذي هو عطف بيان من آيات بينات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله والاثنان في معنى الجمع ويجوز أن يذكرهاتان الآيتان ويطوى غيرهما دلالة على تكاثر الآيات قيل ومعنى ومن دخله كان آمنا أي من النار لقوله عليه الصلاة والسلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينشران

في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه الصلاة والسلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام والمقام بضم الميم ويجوز الفتح أي الاقامة او موضع القيام وتلاء بفتح المثناة الفوقية اي ذمة وجوار وكأن أخذ هذا من أن اهل مكة شرفها الله تعالى يسمون جيران الله تعالى لتنزل الرحمات واقالة العثرات وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق وكذا بين مقام والمقام وما يأتي من قضينا والقضاء ورمينا ورماء وينشر ونشر وشمت وشمت وقباب وقباء ورحضتها والرحضاء وحططنا ويحط وقرأنا والاقراء وسمحنا ويسمح وذهلنا وأذهل

(فقضينا بها مناسك لايحمد الا في فعلهن القضاء)

أي ادينا اذا القضاء يطلق لغة على الاداء كما في قضيت الدين وضمير بها عائد على مكة وما ينسب اليها كعرفات ومزدلفة ومنى والمناسك جمع منسك من النسك وهي العبادة اى متعبدات الحج والعمرة من ركن وواجب ومندوب وقوله لايحمد الا في فعلهن القضاء اى لايحمد الاداء حمدا مخصوصا بخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته أمه وبتكفير تباعته على خلاف فيه وبكونه اشعث أغبر ممنوعا من مألوفاته مفارقا لاهله ووطنه ولايرفع قدما ولايضعها الا كتب الله تعالى له من الثواب مالا يحيط به غيره وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه واختار القرطبي وابن بزيزة وغيرهما ان ذلك يتضمن الكبائر والصغائر وقال عليه الصلاة والسلام العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة قال المازري اي لايقصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه ولابد أن يبلغ به ادخاله الجنة وقال عليه الصلاة والسلام تابعوا بين الحج والعمرة فان متابعة ما بينهما تزيد في العمر والرزق وتنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد

ليس عملا وانه لابد من مرجع الخلق كلهم الى دار الثواب والعقاب ليجزوا باعمالهم وان يكرر ذلك على قلبه كلما نام واستيقظ حتى تصير الآخرة نصب عينيه ويرحم الله القائل

فلو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي

ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسئل بعده عن كل شي

وقيل معنى كون النشور اليه انه من عنده تعالى وبيده لامدخل فيه لغيره ووجه الحمد بعد اليقظة كما أشار اليه الطيبي ان منافع الحياة التي يفوز الانسان بثوابها انما تتأتى في اليقظة فناسب المستيقظ أن يحمد الله على الاستيقاظ من النوم الذي هو كالموت لاتحصل معه منافع الحياة وقد ورد بقية عمر المؤمن مالها ثمن قال في الاكل وفائدة الذكر اذا أصبح ليكون أول عمله تجديد الايمان بالله تعالى وذكره والاعتراف بان الامور كلها له وبيده ويفتتح يومه بالكلام الطيب * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعد نا المفضل) هو أبو معاوية المصري (ابن فضالة) بفتح الفاء (عن عقيل) بالتصغير (أراه) بضم الهمزة اي أظنه رواه (عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه كل ليلة) ظاهره في الصحة والمرض وفي البخاري عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها فظاهر هذه الرواية ان ذلك خاص بالمرض (جمع كفيه فنفث فيهما) قال النووي في الاذكار قال اهل اللغة النفث نفخ لطيف بلاريق قال أبو عبيدة وأما التفل فلايكون الا ومعه شيء من الريق (وقرأ فيهما) بالواو وكذا هو في صحيح البخاري في كتاب الدعوات (قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس) وهي المسماة بالمعوذات كما في البخاري قال العسقلاني اى يقرأ هذه السورة وينفث حال القراءة في الكفين المجتمعين اه وظاهره ان الواو هنا لعطف احد المتصاحبين على الآخر وبعضهم جزم بان النفث بعد القراءة لان الواو لاترتب فيحمل على النفث بعد القراءة وفي المشكاة فقرأ فيهما بالفاء وفي صحيح البخاري في كتاب فضائل القرآن ثم نفث فيهما فقرأ فيهما بالفاء أيضاً وظاهره يدل على ان النفث قبل القراءة واستبعد ذلك بعض العلماء بان ذلك لافائدة فيه وأجاب بعضهم بان الحكمة فيه مخالفة السحرة وقيل معناه أراد النفث فقرأ ونفث وبعضهم حمله على التقديم والتأخير أي جمع كفيه وقرأ فيهما فنفث قال في جمع الوسائل او تخرج رواية الفاء على رواية الواو التي في صحيح البخاري فقد نص الفراء كما في المغني على ان الفاء لاتقتضي الترتيب كالواو وفي القاموس أيضاً أن الفاء تأتي بمعنى الواو وأما حمل رواية الفاء على السهو من الكاتب او الراوي فبعيد لان فتح هذا الباب يؤدي الى اختلاط الخطا والصواب اه بمعناه وحمله بعضهم على ان النفث وقع قبل القراءة وبعدها أيضاً والحاصل انهم اختلفوا فجزم بعضهم بان النفث قبل القراءة وهو المتبادر من الخبر سيما على رواية الفاء ووجهه مخالفة السحرة وجزم بعضهم بتأخيره عن القراءة

وقال عليه الصلاة والسلام من أراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت ما أتاه عبد يسأل الله دنيا الا اعطاه منها ولا آخرة الا ادخر له منها وفى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص انه عليه الصلاة والسلام قال له أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله وقال عليه الصلاة والسلام الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سألوه أعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان تشفعوا اشفعوا الى غير ذلك من فضائل الحج المبرور الحاملة على تجشم المشاق اليه مع الابتهاج والسرور * قال محمد بن ياسر قال لى شيخ فى الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم و بين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فاتتم جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات خرجت وأنا شاب فا كتهلت قلت هذه والله هى الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فضحك وقال

زر من هويت وان شطت بك الدار
وحال من دونه حجب واستار
لا يمنعنك بعد من زيارته
ان المحب لمن يهواه زوار

قال النسفى واعلم ان العبادة شرعت اما للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم واما بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما معا مع مافيه من تحمل الاثقال وركوب الاهوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجرة البلاد والاوطان وفرقة الاولاد والخلان والتنبيه على مايستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على اعتياده ولا يأكل الا من زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته الا ماسعى فى معاشه لمعاده ولا يؤنس وحشته الا ما كان يأنس به من أوراده وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيبا بالحنوط ملففا فى كفن غير مخيط ثم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يحرج لهفان ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومنى هو موقف المنى للمذنبين الى شفاعة الشافعين وحلق الرأس

القراءة قائلا ان الواو لا ترتب وتحمل رواية الفاء على رواية الواو وقال بعضهم هما سيان (ثم مسح بهما ما استطاع) اى ما تصل اليه يده (من جسده) اى بدنه واعضائه (يبدأ بهما) اى بكفيه (رأسه) فى رواية البخاري على رأسه (ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك) اى ماذكر من الجمع والنفث والقراءة والمسح (ثلاث مرات) كل مرة يجمع كفيه وينفث ويقرأ ويمسح ولم يذكر من رأيت من الشراح المسح وانما ذكروا الثلاث الاول وفى هذا الحديث التعوذ والقراءة عند النوم لان الانسان عرضة لتسلط الشياطين عليه واذاية غيرهم من الحشرات والهوام ومن حياة الحيوان فى ترجمة العقرب عن معروف الكرخى قال بلغنا ان ذا النون المصرى خرج ذات يوم لغسل ثيابه فاذا هو بعقرب قد أقبل عليهم كأعظم مايكون من الاشياء ففزع فزعا شديدا واستعاذ بالله منها فكفى شرها فاقبلت حتى ولجت النيل فاذا هى بضفدع قد خرج من الماء فاحتملها على ظهره وعبر بها الى الجانب الآخر فصعدت ثم سعت وأنا اتبعها الى شجرة كثيرة الاغصان كثيرة الظل واذا غلام أمرد نائم تحتها وهو مخمور فقلت لا قوة الا بالله أتت العقرب من ذلك الجانب للدغ هذا الفتى فاذا بتنين قد أقبل يريد قتل الغلام فظفرت به العقرب ولدغت دماغه الى ان مات ورجعت الى الماء وعبرت على ظهر الضفدع الى الجانب الآخر فانشأ ذو النون المصري يقول

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

فانتبه الفتى على كلام ذى النون المصرى فاخبره الخبر فتاب ونزع ثياب اللهو ولبس أثواب السياحة وساح ومات على تلك الحالة رحمه الله ومما ورد لحفظ النائم آية الكرسي لقضية ابى هريرة وورد أيضا آخر البقرة وآخر الاسراء قل ادعوا الله وادعوا الرحمن الخ وفيه الاستشفاء بالقرآن والتبرك به وقد نص العلماء على انه لا تستمطر الرحمة أبدا بارجى من كتاب الله قال تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الواحدى فى تفسيره قال ابن عباس يريد شفاء من كل داء بمعنى انه يتبرك به ويدفع الله به كثيرا من المكاره والمضار ويؤيد هذا ماروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله وقوله ورحمة للمؤمنين قال ابن عباس يريد ثوابا لانقطاع له اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن سلمة بن كهيل عن كريب عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام حتى نفخ) أى بفمه (وكان) اى من عادته (اذا نام (٣) نفخ فاتاه بلال فآذنه) بالمد أي أعلمه (بالصلاة) اى صلاة الصبح او الظهر (فقام وصلى ولم يتوضأ) لان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان وضوأه لا ينتقض بالنوم مطلقا لانه تنام عينه ولا ينام قلبه فلو وقع حدث لاحس به وسر ذلك كمال حياة قلبه ويقظته ودوام شهوده لربه ومن ثم كان

---

(٣) هنا بياض بالاصل

والتنظيف كالخروج من السيآت بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذى من دخله كان آمنا من الايذاء والقتال أنموذج لدار السلام التى من نزلها بقى سالما من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بمكاره النفس العادية كما ان الكعبة خصت بمتالف البادية فرحبا بمن جاوز مهالك البوادي مسوقا الى اللقاء يوم التنادى ﴿تنبيه﴾ قال بعض محققى المتأخرين لا يتصور القضاء في الحج لانه ما فعل خارج وقته والحج وقته العمر وتضييعه بنحو خوف عطب أو مال أو موت لا يقتضى انه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضاء فيما بعد ذلك الوقت الا على الوجه الضعيف فى نظيره فى صلاة يضيق عليه فعلها فى الوقت ثم بان خلاف ماظنه انها تصير قضاء وان فعلت فى الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا لكثيرانها أداء كما اتفق عليه الاصوليون ان القضاء مايفعل خارج الوقت المقدر له شرعا كذا فى ابن حجر وهو مبنى على مذهبه ومذهب المالكية ماأشار اليه فى المختصر بقوله وفى فوريته وتراخيه لخوف الفوات خلاف ابن عرفة وعلى فوره فى كونه بعد أول عام مستطيعه قضاء أو أداء قولا ابن القصار وغيره

صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ اذ لا يدرى ماهو فيه قاله ابن حجر ويحتمل ماورد عن أنس كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون ولا يتوضؤن على النوم الخفيف دون الثقيل (وفى الحديث قصة) تأتي قريبا فى باب العبادة * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عفان) بالصرف وبدونه (نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا) قال ابن حجر وغيره ذكرهما لان الحياة لا تتم بدونهما كالنوم فالثلاثة من واد واحد فكان ذكره مستدعيا لذكرهما وأيضا النوم فرع الشبع والرى وفراغ الخاطر من المهمات والامن من الشرور والآفات ولذا قال (وكفانا) أى معاشا ودفع عنا مايؤذينا (وآوانا) بالمد بدليل قوله الآتى ولا مؤوى أى ضم شملنا وجعل لنا مأوى أى موطنا ومسكنا نأوي اليه ولم يجعلنا منتشرين كالبهائم فى الصحراء وقيل رحمنا وعطف علينا (وكم) أي كثير (ممن لا كافى له ولا مؤوى) أى كم من خلق لا يكفيهم الله شر الاشرار بل تركهم وشرهم حتى يغلب عليهم أعداؤهم وكم من خلق لم يجعل الله لهم مسكنا ولا قرارا بل تركهم يتأذون ببرد الصحارى والقفار وحفرها وكم من لا راحم له ولا عاطف عليه أى من الخلق ولا مسكن له يأوى اليه أو المعنى الحمد لله الذى عرفنا بهذه النعم ووفقنا لشكرها وكم ممن لا يعرف كافيه ولا مؤويه فكفر بالنعم ولم يشكرها على أن أكثر العوام من هذا القبيل أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون أولا كافي له ولا مؤوى على الوجه الاكمل عادة فلا ينافى أنه تعالى كاف جميع خلقه ومؤويهم من وجه آخر والله سبحانه أعلم هذا حاصل ماللشراح هنا وأسهل من ذلك كله وأظهر منه ان يكون معنى كفانا جعل لنا من يكفينا مؤنة الخدمة من الاهل وغيرهم ومعنى آوانا جعل لنا أصحابا واخوانا نأوى اليهم وكم ممن لا كافى له أى لا أهل له يقومون بمؤنته وخدمته ولا مؤوى أى صاحب يأوى اليه ويستعين به على مصالحه الدينية والدنيوية والله أعلم بالصواب ومعنى كونه تعالى كافيا لجميع خلقه انه قادر على كفاية جميعهم ففيه كفاية لهم فلا معنى لتعلقهم بغيره سبحانه وليس المراد انه كفى جميع خلقه بالفعل اذ كثير من الخلق فى غاية الفقر والحاجة والضياع هذا هو الظاهر أيضا والله اعلم فلا يبقى اشكال فقوله وكم الخ بيان لسبب الحمد الحامل عليه اذ لا يعرف قدر النعمة الا بضدها * قال المصنف (حدثنا الحسن بن محمد الجريرى) بالجيم نسبة الى جرير مصغرا على ماصوبه ابن حجر وقال فى جمع الوسائل هو بالحاء المهملة المفتوحة وكسر الراء على مافى النسخ المصححة والاصول المعتمدة خلافا لابن حجر (نا سليمان بن حرب نا حماد بن سلمة عن حميد عن بكر بن عبد الله المزني عن عبد الله بن رباح) بفتح الراء (عن أبي قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا عرس بليل) أى نزل والتعريس النزول أي وقت كان من ليل أو نهار قاله فى المشارق (اضطجع على شقه الايمن) لانه كان يحب التيامن في شأنه كله كما تقدم (واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه) لعل ذلك تعليما لامته

(ورمينا بها الفجاج الى طيبة والسير بالمطايا رماء)

ضمير بها يعود على الناقة التى هي ألوف النطحاء والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين والمراد هنا الطريق مطلقا وطيبة هى المدينة المشرفة بسا كنها عليه أزكى الصلاة والسلام وعلى كل مؤمن بها بعده سميت بذلك لان الله تعالى طيبها لرسوله لجعلها دار هجرته ومحل نصرته ومكان تربته ولذا قيل

لطيبة عرج ان بين قبابها
حبيب لادواء القلوب طبيب

اذا لم تطب فى طيبة عند طيب * به طيبة طابت فاين تطيب
قرب الحبيب ووصله محيانا * وبه ننال مرامنا ومنانا

وقوله ايضا من قصيدته الطويلة

من لم يطب فى طيبة فهو الذى * فى خيبة ذهبت به الاعمار

وقول الآخر وهو العلامة سيدى عبد المجيد المنالى رحمه الله لئلا

دل الانام على الهدى فهو الذى * عرفت به عرفاتنا ومنانا
فبطيبة طابت قلوب ذوى النهى * والطيبون لطيبة كم زاروا

والمطايا جمع مطية وهى الدابة تمطو فى سيرها أى تجد وتسرع ورماء

بكسر الراء مصدر راميته أى يشبه سير السهم اذا رمي به فهى كالقوس (فاصبنا عن قوسها غرض القر * بونعم الحبيئة الكوماء)

الغرض بفتح المعجمة والراء قرطاس الضرب وهدفه والمراد بالقرب القرب من المدينة المشرفة التى هى محل الحبيب المشبهة بالغرض فى كونها المقصود بالرمي والسير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة بالكناية واثبات الرمي استعارة تخييلية وذكر القوس والغرض ترشيح وقوله ونعم الحبيئة أى الذخيرة الكوماء وهى الناقة العظيمة السنام أى لانها (٥٣) تحمل المحب الى حبيبه والقاصد مقصوده

لئلا يثقل بهم النوم فتفوتهم صلاة الصبح فى اول وقتها وفيه أن من قارب وقت الصبح ينبغى له أن يتجنب عن الاستغراق فى النوم بان ينام على هيئة تقتضى سرعة انتباهه اقتداء بالمصطفى ومحافظة على تحصيل الصلاة فى أول وقتها

باب
فى عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى فى بيان اجتهاده صلى الله عليه وسلم فى عبادة الله تعالى من تهجد وغيره وما كان عليه من الاخذ بالجد فى الدين ولا شك انه صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبادة وأكثرهم طاعة لربه وأشكرهم له فان المقصود من العبادات كلها الثناء على الله تعالى بالدلالات القولية والفعلية واجلاله وتعظيمه والخضوع له وثناء كل واحد وتعظيمه وخضوعه على قدر معرفته بالله تعالى وهو صلى الله عليه وسلم أعرف الخلق بالله فهو أفضل القائمين بحقوق الله التى كلف بها عباده وأكمل العارفين بما يجب له تعالى من امتثال امره والاستسلام لقهره والاستهتار بذكره وشكر احسانه وبره وقد روى البغوى وأبو نعيم ما أوحى الى ان أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين واعلم أن اقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وحركاته وسكناته كلها عبادات لا تخرج عن الوجبات والمندوبات وليس شيء منها من قبيل المباحات اذ لا يتصور أن يصدر منه شيء الا لله وبالله والمذكور من عباداته صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب نوع مخصوص وهو تطوعه صلى الله عليه وسلم بالصلوات الليلية وهى تهجده بالليل والنهارية وهى رواتب الصلوات والضحى وغير ذلك والى أحاديث التهجد أشار بقوله (حدثنا قتيبة بن سعيد وبشر بن معاذ قالا نا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى اجتهد فى الصلاة وطول قيام الليل (حتى انتفخت قدماه) أي تورمتا (فقيل له) فى رواية ان القائل عمر رضى الله عنه (أتتكلف هذا) أى أتلزم نفسك بهذه الكلفة (وقد غفر الله لك) وفى نسخة وقد غفر لك بصيغة المجهول (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قد تقدم معنى الذنب فى حق أهل العصمة قبيل باب الشعر بفتح الشين والعين (قال أفلا أكون عبدا شكورا) أى أترك الصلاة اعتمادا على المغفرة فلا أكون عبدا شكورا بل ألزم الصلاة وان غفر لي لا كون عبدا شكورا ظن السائل عن سبب تكلفه تلك المشقة فى العبادة ان سبب العبادة انما هو خوف الذنب او رجاء المغفرة فأفاده صلى الله عليه وسلم ان لها سببا آخر وهو القيام لحقوق السيد المنعم على عبده ابتداء من غير سابقية استحقاق والمبالغة فى تعظيمه وشكره وخدمته وبره ومغفرة الذنب من أعظم النعم فكيف يحمل بالعبد اهمالها وعدم القيام بواجب شكرها فهى اذن من اعظم الاسباب الحاملة على العبادة فكيف تترك العبادة لاجل المغفرة على ان العمل شكرا أتم وأكمل من العمل رجاء الثواب او خوف العقاب وقد روى عن على كرم الله وجهه

قال تعالى الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون وقد أنشد بعضهم لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

رفع الحجاب لنا فلاح لناظرى
قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطى بنا بلغن محمداً
فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى
فلها علينا حرمة وذمام

(فرأينا أرض الحبيب يفض الط
طرف منها الضياء واللألاء)

أي أبصرنا أرض الحبيب أى حبيب الله تعالى والمؤمنين وهى المدينة وما حولها واعلم ان مقام الاحبية أعلى وأشرف من مقام الخلة لان المحبة الكاملة تستدعى الخلة وزيادة ويفض الطرف أى يخفض البصر من جلالتها التى جفتها الضياء وهو النور المشرق عليها حسا ومعنى واللألاء وهو البرق اللامع على صفحاتها المنبئ عن مواهب الحق المفاضة على زائريها كذا فى المنح المكية لابن حجر وفى القاموس اللالاء الفرح التام وتلألأ البرق لمع

(فكان البيداء من حيث ما قا
بلت العين روضة غناء)

كان أداة تشبيه من اخوات ان تنصب الاسم وترفع الخبر مركبة من كاف التشبيه وأن المؤكدة قال بعضهم وانما تستعمل للتشبيه حيث يقوي الشبه حتى يكاد الرائى يشك فى ان المشبه هو المشبه به او غيره ولذلك قالت بلقيس كانه هو قيل وترد للظن والشك اذا كان خبرها مشتقا والبيداء الفلاة مطلقا أو المحل القريب من ذي الحليفة المشهور اليوم بابيار على ومن حيث يصح فى من ان تكون زائدة على مذهب الاخفش وهو الصواب أو تعليلية أو ابتدائية وما فى حيثما زائدة والروضة الغناء الكثيرة العشب والنبات والازهار

ووصفها بغناء لان الذباب كثيرا مايألفها ويغنى فيها (وكأن البقاع زرت عليها * طرفيها ملاءة حمراء) البقاع جمع
بقعة وهى الأماكن التى حول المدينة المنورة لكثرة مايغشاها من الانوار والاضواء المنزلة على قبره عليه الصلاة والسلام وزرت
بتقديم الزاى على الراء شدت من زر الشيء اذا شده بأزراره بان أدخلها فى عراه وضمير عليها عائد على البقاع وطرفيها مفعول زرت
والضمير لملاءة بعده وهو فاعله والملاءة (٥٤) بالمد الريطة والجمع ملاء قال فى القاموس والريطة كل ملاءة غير ذات لفقين
كلها نسج واحد وقطعة واحدة وفى النهاية هى الازار وفى الصحاح هى الملحفة وحمراء نعت شبه تلك الانوار والاضواء التى غشيت تلك البقاع وعمتها من سائر جوانبها بخيمة حمراء شدت على مافيها أزرارها فى عراها من سائر جوانبها

(وكان الارجاء ينشر نشر المسك فيها الجنوب والجربياء)

الارجاء جمع رجا بالقصر يعنى نواحى المدينة المكرمة وينشر اى يذيع ريح المسك فيها والجنوب بفتح الجيم وهى الريح التى تقابل الشمال والجربياء ككبرياء قال فى القاموس الشمال او الريح بين الجنوب والصبا وهي التى تثير السحاب

(فاذا شمت أو شممت رباها لاح منها برق وفاح كباء)

أى اذا نظرت الى برق سحاب تلك الاماكن او شممت بكسر الميم الاولى على الافصح وتفتح رباها جمع ربوة ماارتفع من الارض لاح منها برق راجع لشمت وفاح اى سطع كباء اى ريح طيب راجع لشممت فيه لف ونشر مرتب وفى القاموس فاح المسك فوحا وفؤحا وفوحانا وفيحا وفيحانا انتشرت رائحته قال والكباء ككساء عود البخور او ضرب منه الجمع كبى وبين لاح وفاح جناس مضارع * (فائدة) * قال فى الرحلة العياشية لابى بكر شكورا)
السجستانى فى اثناء كلام مانصه الذي لايمترى فيه انه نور النبى صلى الله عليه وسلم حقيقة ماعايناه مرارا ونحن مجاورون بالمدينة
المشرفة فى الحرم الشريف فانا نجلس أحيانا نهارا حتى يستفيض من ناحية الحجرة مايخالف ضوء النهار فيغشى الحرم الشريف كله

ان قوما عبدوا رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما
عبدوا شكرا فتلك عبادة الاحرار قال فى القوت روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكونن
أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل وفى الحكم من
عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه وفيما نقل
وهب بن منبه من الزبور ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا
ان أطاع ويرحم الله القائل فى هذا المعنى

لو لم تكن نار ولا جنة * ولا وعيد لاولا موعده
ألم يكن حقا على العبد أن * يشكر بالطاعات من اوجده

فالله تعالى أهل لان يذكر ويشكر ومستحق لذلك ولو لم تكن جنة ولا نار ثم الشكر واجب على
قدر النعمة فكأنه يقول فاذا عظمت نعمتى الى هذا الحد أفلا أكون عبدا مبالغا فى الشكر
متناهيا فى العبادة ففى تعبيره بشكور الذى هو من صيغ المبالغة دليل على ماذكرنا وعلى كمال
علو همته عليه السلام وفى الحديث ندب تشمير ساق الجد فى العبادة وان أدى الى كلفة لانه صلى
الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم ذلك ومن لا يأمن من النار ومن ثم
التزم بعض الصحابة قيام الليل كله وبعضهم صيام الدهر وبعضهم اعتزال النساء ففى صحيح
البخارى من حديث أنس قال جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون
عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبى صلى
الله عليه وسلم قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر فقال احدهم اما انا فأصلى الليل أبدا وقال
آخر وانا أصوم الدهر ولا افطر وقال آخر وانا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليهم فقال أنتم الذى قلتم كذا وكذا أما والله انى لاخشاكم لله وأتقاكم له لكنى
أصوم وافطر وأصلى وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى اه والثلاثة
المذكورون هم على بن أبى طالب وعبد الله بن عمرو بن العاصي وعثمان بن مظعون رأوارضى
الله عنهم ان الواجب فى حق من لم يقطع له بالنجاة استغراق الاوقات فى العبادات فبين لهم عليه
السلام ان سنته الاقتصاد فى العمل لان التشديد قد يفضى الى الملل وانقطاع العمل وسيأتى
بسط ذلك ان شاء الله تعالى فى اواخر باب الصيام فى حديث عليكم من الاعمال ماتطيقون
* قال المصنف (حدثنا أبو عمار الحسين بن حديث) بالتصغير (نا الفضل بن موسى عن محمد بن
عمرو عن أبي سلمة عن ابى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حتى ترم) بفتح
المثناة وكسر الراء وتخفيف الميم بلفظ المضارع من الورم وفى نسخة تورم بصيغة الماضى
او المضارع بحذف احدى التاءين من التورم (قدماه قال) اى أبو هريرة (فقيل له تفعل هذا)
اى هذا الاجتهاد اى أتفعل كما فى نسخة والاستفهام للتعجب (وقد جاءك) اي والحال انه جاءك
من عند الله فى كتابه (ان الله تعالى قد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال أفلا أكون عبدا

فيراء الناس (أى نور واى نور شهدنا * يوم أبدت لنا القباب قباء) الاول بضم النون اى نور باهر والثانى بفتحها اى زهر نضير

زاهر وشهدنا أبصرنا بابصارنا وبصائرنا وبينهما الجناس المحرف ومنه اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي ويوم ظرف لشهدنا وأبدت أظهرت والقباب جمع قبة ويعنى التي هناك وقباء بضم القاف موضع بينه وبين المدينة نحو ثلاثة أميال

(قرمنهادمعي وفراصطباري * فدموعي سيل وصبري جفاء) أي ثبت انهمال دمعي وكثر من رؤية القباب فرحا بالوصول أوخوفا من التقصير في واجب أدب ذلك الجناب العلي أو ندما على مافات من فراقه (٥٥) أو أعم من ذلك وفر أي هرب وشرد

شكورا) ولما طول صلى الله عليه وسلم في قيام الليل حتى تورمت قدماه أنزل الله عز وجل طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعب بما فعلته بعد نزوله من طول القيام تخفف علي نفسك وطا الارض بقدميك لانه كان يرفع قدما ويضع أخرى وقيل في معنى طه غير هذا ولا يلزم من تعبه صلى الله عليه وسلم في الصلاة وغيرها من العبادات مله فان الملل عليه محال وقد ورد في الصحيح وجعلت قرة عيني في الصلاة فكيف يتصور منه ملل مما فيه قرة عينه كيف والمصلي يناجي ربه كما في الصحيح ومن ثم قال بكر بن عبد الله يا ابن آدم ان شئت أن تدخل علي مولاك بغير اذن دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذن أنت قد دخلت علي مولاك بغير اذن وتكلمه بغير ترجمان * قال المصنف (حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى بن عبد الرحمن الرملي) نسبة الي رملة بلدة بين مصر والشام (نا عمي يحيى بن عيسى الرملي عن الاعمش عن أبي صالح عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقوم) أي من الليل (يصلي حتى تنتفخ قدماه فيقال له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا) ذكر الحديث بالاسانيد الثلاثة للتأكيد والتقوية * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبي اسحق عن الاسود بن يزيد قال سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل) أي في أي وقت كانت من الليل (فقالت كان ينام أول الليل) أي نصفه الاول بعد صلاة العشاء (ثم يقوم) أي السدس الرابع والخامس (فاذا كان من السحر) وهو السدس الاخير (أوتر) أي صلى الوتر (ثم أتي الى فراشه) أي للنوم ليقوى علي صلاة الصبح وما بعدها من وظائف الطاعة ولانه يرفع صفرة السهر عن الوجه (فاذا كانت له حاجة) الى المباشرة (ألم بأهله) الالمام هو الجماع وفي أكثر الروايات ثم ان كانت له حاجة (فاذا سمع الاذان) أي الاول كما في مسلم (وثب) أي قام بسرعة وخفة أو قعد عند قبيلة حمير فان الوثوب عندهم بمعنى القعود (فان كان جنبا أفاض عليه من الماء) أي اغتسل (والا توضأ) للتجديد أو لحصول ناقض (وخرج الى الصلاة) أي بعد أن يصلي سنة الفجر في البيت وفي الجامع الصغير أحب الصيام الى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده وابو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر فصرح صلى الله عليه وسلم بان هذا أفضل القيام فينبغي تحري ذلك والعمل به وفي الصحيحين كان يقوم اذا سمع الصارخ أي الديك وهو يصيح في النصف الثاني وبهذا الحديث المتفق عليه استدل الشافعي على أن وسط الليل أفضل من آخره وقال مالك بآخره لحديث النزول وانتهاء وتره عليه السلام الى السحر وهو لا يأخذ لنفسه الكريمة الا ما هو الافضل ولقوله عليه السلام لما سئل أي الدعاء أسمع قال جوف الليل الآخر وادبار الصلوات المكتوبات الحديث رواه أبو داود وغيره ولهذا قال في الرسالة وأفضل الليل آخره في القيام قال ابن حجر وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم

صبرى ودموعى سيل اى جارية قال في القاموس وماء سيل اى سائل وضعوا المصدر موضع الاسم أو السيل الماء الكثير السائل والجفاء بضم الجيم وهو الزبد قال في القاموس جفا الوادى والقدر رميا بالجفاء اى الزبد كاجفى اه ويصح ان يكون بفتح الجيم من جفاء يجفوه اذا باعده ولم يواصله والجفاء ضد الصلة قال في المنح المكية كما أن السيل يذهب بالزبد كذلك دموعى ذهبت بصبرى فلم تبق منه شيأ وهذا من جناس التذييل كقوله الآتي وكم اذهل صبا الخ وفيه لف ونشر مرتب

(فترى الركب طائرين من الشو ق الي طيبة لهم ضوضاء)

أي فترى ايها المخاطب وفد الزائرين وفي القاموس الركب ركاب الابل اسم جمع أو جمع وهم العشرة فصاعدا وطائرين جادين في السير سراعا كالطائر من الشوق وأبرح مايكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار وضوضاء أصوات عالية بذكر الله تعالى والصلاة والسلام علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي القاموس الضوضى مقصورة الجلبة واصوات الناس لغة في المهموز

(فكان الزوار ما مست الباً * ساء منهم خلقا ولا الضراء) الزوار جمع زائر وهذا عطف علي ترى والمراد بالبأساء مشقة السير والضراء تأكيد لما قبله وفي القاموس الضراء الزمانة والشدة والنقص في الاموال والانفس كالضرة

(كل نفس لها ابتهال وسؤل * ودعاء ورغبة وابتغاء) الابتهال التضرع لله تعالى في نيل المراد والسؤل السؤال ورغبة أي مطلوب يرغب والكل الفاظ مترادفة لان المقام مقام اطناب وابتغاء طلب (وزفير تظن منه صدورا * صادحات يعتادهن زقاء)

الزفير تواتر النفس وصعوده لشدة مايعترى القلب من خشية المؤاخذة بما فرط منه وفى القاموس زفر يزفر زفارا وزفيرا أخرج نفسه بعد مده اياه وصادحات أى طيورا مصوتات قال فى القاموس صدح الرجل والطائر كمنع يصدح صدحا وصداحا رفع صوته بغناء وفي الحديث ان صدره صلى الله عليه وسلم من شدة خوف الله تعالى كان يسمع له أزيز كازيز المرجل من البكاء والزقاء بضم الزاى الصياح ويعتادهن من اعتاد الشيء اذا جعله من عادته ونسبة الاعتياد الى الزقاء مجاز قال ابن حجر والحاصل ان ذلك الزفير من شدته ظهر له في صدور هم صوت أشبه صوت الطيور الصادحات التى يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت

كان ربما اغتسل فى أول الليل وربما اغتسل فى آخره وربما أوتر فى أول الليل وربما أوتر فى آخره وربما جهر فى القراءة وربما خافت وعن أم سلمة كان يصلى بنا ثم ينام قدر ماصلي ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ماصلى حتى يصبح رواه أبو داود والترمذى والنسائى وفى رواية للنسائى كان يصلى العتمة ثم يصلى بعدها ماشاء الله من الليل ثم ينصرف فير قد مثل ماصلى ثم يستيقظ من نومه ذلك فيصلى مثل مانام وصلاته تلك الاخيرة تكون الى الصبح وعن عائشة أيضاً ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل بيتى الاصلى أربع ركعات اوست ركعات رواه أبو داود وفى الحديث ان الاولى تأخير الجماع عن ابتداء النوم ليكون على طهارة وفيه أداء العبادة قبل قضاء الشهوة وفيه انه ينبغى الاهتمام بالعبادة وعدم التكاسل عنها بالنوم وفيه القيام بالنشاط للطاعة وقد ورد في فضل الصلاة بالليل والثناء على أهلها آيات قال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما أى تمكنت عظمته من قلوبهم ومحبته من أرواحهم فآثروا عبادته على نومهم وقدموا خدمته ورضاه على هوى نفوسهم وراحة أبدانهم وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى كانوا قليلا من الليل مايهجعون الاية وورد فى ذلك أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل أضاء وجهه بالنهار وروى ان أول ماتكلم به عليه السلام فى المدينة حين قدم من مكة أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وقال عليه السلام شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس وحديث عقد الشيطان على قافية النائم ثلاث عقد فى الصبح وفي نوم الليل كله تشبيه بالكفار لانهم فى نومهم كالجيف لا يتحركون ليلهم لذكر الله وفيه أيضاً اتلاف نصف العمر فى البطالة ولا يحمل بالمؤمن أن يمر عليه النصف من عمره فارغا من ذكر الله تعالى ومما ينسب للامام الشافعى رضى الله عنه

اذا عاش الفتى ستين حولا * فنصف العمر تمحقه الليالى
ونصف النصف يمضى ليس يدرى * لغفلته يمينا من شمال
وباقى النصف آمال وحرص * وشغل بالمكاسب والعيال
وباقى العمر اسقام وشيب * وآفات تدل على انتقال
فحب المرء للحيوان ٣ جهل * وقسمته على هذا التوالى

* قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس ح) اشارة الى تحويل الاسناد ولذا عطف قوله (ونا اسحق بن موسى الانصاري نا معن عن مالك عن مخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس انه أخبره) اى اخبر كريبا (انه) اي ابن عباس (بات عند ميمونة) احدى أمهات

(وبكاء يفريه بالعين مد ونحيب يحثه استعلاء)

يفريه يحمله على ملازمته لها ومداى سيل والدموع تنشأ عن حرقة القلب بالشوق الى المحبوب اوفرحا بلقائه اوخوفا من القطيعة اوهيبة منه عند المثول بحضرته اواعم من ذلك ونحيب بكاء شديد قال فى القاموس النحب اشد البكاء كالنحيب وقد نحب كمنع وانتحب ويحثه يحضه واستعلاء وارتفاع من الزيادة منه لعلو صوت

(وجسوم كانما رحضتها من عظيم المهابة الرحضاء)

رحضتها غسلتها والمهابة بفتح الميم اى هيبة الحبيب عليه الصلاة والسلام فى تلك الحضرة الجليلة والرحضاء بضم الراء وفتح الحاء العرق الكثير قال فى القاموس رحضه كمنعه غسله كأرحضه فهو رحيض ومرحوض والمرحاض بالكسر خشبة يضرب بها الثوب والمغتسل وقد يكنى بها عن مطرح العذرة قال والرحضاء العرق اثر الحمى اوعرق يغسل الجلد كثرة اى جسوم قام بها من عظيم المهابة ماأزعجها ازعاجا يتولد عنده كثرة عرقها حتى كانه غسلها (ووجوه كانما البستها * من حياء الوانها الحرباء) المؤمنين الوجوه جمع وجه والحياء بالمد خلق غريزى باعتبار أصله ومكتسب باعتبار كماله والالوان جمع لون هيئة كالبياض والسواد والحرباء فاعل ألبست مؤخر عن المفعول وهو ألوانها وهى دويبة تستقبل الشمس برأسها وتتلون ألوانا متعددة والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له (ودموع كانما ارسلتها * من جفون سحابة وطفاء)

٣ قوله للحيوان اى الحياة كما فى القاموس

الدموع جمع دمع وهو ماء العين الجارى من حزن أو سرور والجفون جمع جفن وهو غطاء العين من أعلى وأسفل وسحابة وطفاء مسترخية الجوانب لكثرة مائها او هى الدائمة السح الحثيثة طال مطرها ام قصر وفيها وطف اى تدلت ذيولها شبه ماعندهم من الاسباب الباعثة لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوءة ماء ثم جرد بذكر الجفون ورشح بذكر الوطف وخيل بابات السحابة ففيه أربع استعارات كذا قال ابن حجر وفيه نظر اذ حيث شبهت الاسباب (٥٧) بالسحابة واطلق لفظ المشبه به على المشبه

المؤمنين (وهى خالته) أي فهو محرم لها وقد تقدمت ترجمتها قبيل باب الشرب * قال القاضى عياض وقد جاء في بعض روايات الحديث قال ابن عباس بت عند خالتى في ليلة كانت فيها حائضا قال وهذه اللفظة وان لم يصح طريقها فهى حسنة المعنى جدا اذ لم يكن ابن عباس يطلب المبيت في ليلة للنبى صلى الله عليه وسلم فيها حاجة الى اهله سيما وهو كان فى تلك الليلة مراقبا لافعاله صلى الله عليه وسلم ولعله لم ينم أو نام قليلا اه وفى المناوى سبب مبيته كما رواه الحاكم ان المصطفى وعد العباس بذود من الابل فأرسل عبد الله يستنجزه فأدركه المساء فبات عندها اه وفى رواية لمسلم رقدت فى بيت ميمونة ليلة كان النبى صلى الله عليه وسلم عندها لانظر كيف صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بالليل الحديث (قال فاضطجعت فى عرض) بفتح العين على الاصح الاشهر وروى بضمها أى جانب (الوسادة) بكسر الواو المخدة المعروفة ونقل القاضى عياض وغيره ان المراد بها هنا الفراش لقوله (واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى واهله كما رواه مسلم (فى طولها) وكأنه رضى الله عنه نام تحت رجليه صلى الله عليه وسلم تأدبا وتبركا ولا دليل فيما ذكره ابن حجر على ضعف هذا الاحتمال وفى الحديث حل نوم الرجل وأهله بحضرة محرم لها مميز وفيه ان السنة نوم الرجل مع أهله في فراش واحد للايناس والملاطفة وحسن المعاشرة لا اعتزالها فى النوم كما هو عاد بعض الاعاجم والمتكبرين فان ذلك مذموم الا بقصد التأديب لقوله تعالى فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واختار فى الاكمال ان يكون لكل من الزوجين فراش على حدة وانظر وجهه فى باب الفراش (فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى رواية الصحيحين فتحدث مع اهله ساعة ثم رقد (حتى اذا انتصف الليل) اى تخمينا وتقريبا ولذلك قال (أو قبله) أى قبل انتصافه (بقليل او بعده بقليل) الترديد من ابن عباس هذا هو الظاهر (استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم) اى أثره وهو ارخاء الجفون (عن وجهه ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران) فى رواية الشيخين فلما كان ثلث الليل الاخير أو بعضه قعد فنظر الى السماء ثم قرأ العشر الآيات اى من قوله سبحانه ان فى خلق السموات والارض وفيه ندب قراءة خصوص هذه الآيات عقب الاستيقاظ لما اشتملت عليه من الآيات والعبر التى يحصل بها النشاط والايقاظ (ثم قام) اى النبى عليه السلام (الى شن) بفتح الشين المعجمة وبالنون المشددة وهى القربة الخلقة (معلق) اى لتبريد الماء او لحفظه (فتوضأ منها) أنث الشن باعتبار معنى القربة وفى نسخة منه بتذكير الضمير (فأحسن الوضوء) اى أسبغه وأكمله وهذا الوضوء يحتمل ان يكون للتجديد لان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض الوضوء كما تقدم فلا دليل فى هذا الحديث على جواز قراءة المحدث حدثا أصغر وان كان مجمعا عليه فضلا عن ندبها خلافا لابن حجر (ثم قام يصلى قال عبد الله بن عباس فقمت الى جنبه) فى رواية الشيخين فقمت وتوضأت فقمت عن يساره (فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسى ثم أخذ بأذنى اليمنى) * قال ابن حجر وضعها عليه أولا ليتمكن

كانت استعارة تصريحية فكيف يقال بعد ذلك وخيل باثبات السحابة تأمل وفى قوله كل نفس الى هنا من مراعاة النظير والانسجام البديع الذى هو سهولة الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الماء العذب الذى من شأنه الانسجام والسيلان والرقة والحلاوة مالا يخفى على ذى ذوق عظيم بلاغة الناظم رحمه الله تعالى

(فحططنا الرحال حيث يحط الـ ـوزر عنا وترفع الحوباء)

الرحال جمع رحل أي وضعنا الامتعة بفناء الحبيب الذى ينال فيه من الله تعالى السؤال مستمطرين سحائب الانعام والقبول والوزر الذنب اى وضعناها حيث يحط الذنب عنا ببركة الحبيب وشفاعته وترفع الحوباء عنا وهى الحاجة وبين الحط والرفع طباق

(وقرأنا السلام أكرم خلق الله * من حيث يسمع الاقراء)

أى أشرفهم وأعزم عليه وأصفحهم عن الاذى وأجودهم نفسا وفعلا بان سلمنا عليه عند قبره وقلنا السلام عليك يا رسول الله كما هو شأن السلف من التسليم عند قبره تسليم اللقاء كما روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وغيره وقال المجد اللغوى السلام عليه عند قبره أفضل من الصلاة عليه

(٨ - جسوس - ثانى)

يعنى لانه شعار اللقاء والتحية وفى الحديث ما من أحد يسلم على عند قبرى الا رد الله تعالى على روحى حتى أرد عليه السلام ولا يعارضه حديث انه تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى على فى الصلاة الواحدة عشرا وفى رواية مائة وصلاة الله تعالى أفضل من رده عليه الصلاة والسلام لان السلام شعار اللقاء والتحية كما تقدم ثم يصلى عليه بعد السلام كما هو الشأن المعروف يبدأ بالسلام ويختم بالصلاة وفى قوله فى الحديث الا رد الله تعالى على روحى معناه نطق مجازا اذ هو حى على الدوام

ولا يلزم من الحياة النطق فيرد الله عليه النطق عند سلام كل مسلم وعلاقة هذا المجاز أن النطق من لازمه وجود الروح كما ان الروح من لازمه وجود النطق بالفعل او القوة فعبر عليه السلام بأحد المتلازمين عن الآخر ويؤيد هذا قوله تعالى قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فيؤخذ من الآية أن عود الروح لا يكون الا مرتين وفي بعض روايات هذا الحديث الا وقد رد الله علي روحي والمراد الاخبار بان الله يرد عليه روحه بعد الموت فيصير حيا علي الدوام وعلي هذا تحتمل الرواية الاولى ولا يحتاج الى ارتكاب المجاز

وقد صحت الاحاديث بان الانبياء احياء في قبورهم يصلون جمعها البيهقي في جزء واستدل بها علي دوام حياة الانبياء حياة مخصوصة أعلي وأتم من حياة الشهداء المنصوص عليها في القرآن ورد ان محمد بن عبد الله العتبي قال جاء اعرابي الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم سلاما حسنا ودعا كذلك ثم قال بابي أنت وأمي يا رسول الله ان الله قد خصك بوحيه وأنزل عليك كتابا جمع لك فيه علم الاولين والآخرين وقال وقوله الحق ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئت مقرا بالذنوب مستشفعا بك الى ربك ثم قال

يا خير من دفنت بالترب أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الرسول الذي ترجى شفاعته
عند الصراط اذا مازلت القدم
لولاك ما خلقت شمس ولا قمر
ولا نجوم ولا لوح ولا قلم
صلى عليك اله الدهر أجمعه
فانت أكرم من دانت له الامم

ثم ركب راحلته وانصرف قال العتبي فغلبتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ياعتبي الحق الاعرابي وبشره بان الله قد غفر له وقوله من حيث يسمع الاقراء اي من المكان الذي يسمع فيه النبي المميز

من أخذ الاذن اولا نهالم تقع الا عليه اولتنزل بركتها به ليحفظ جميع أفعاله صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وغيره (ففتلها) بالفاء العاطفة على صيغة الماضي وفي نسخة يفتلها على صيغة المضارع من باب ضرب فتكون الجملة حالية قال ابن حجر وفي رواية الشيخين فاخذ بأذني فادارني عن يمينه وفتلها اما لينبهه علي المخالفة للسنة او ليزداد تيقظه لحفظ تلك الافعال او ليزيل ماعنده من النعاس لرواية فجعل اذا أغفيت يأخذ بشحمة أذني (فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين قال معن ست مرات) فتكون صلاته ثنتي عشرة ركعة (ثم أوتر) المتبادر انه أوتر بواحدة منفصلة عن الشفع بسلام ومن يقول ان الوتر بثلاث لرواية انه أوتر بثلاث يقول معنى قوله ثم أوتر انه ضم ركعة لشفعه الاخير ورواية الشيخين فتتامت صلاته ثلاث عشرة ركعة محتملة للوجهين وقد صح الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن الفصل اكثر وأصح وفي شرح الحصن الحصين روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الوتر بثلاث عشرة واحدى عشرة وتسع وتسعين وخمس وثلاث وواحدة قال اسحق بن ابراهيم معنى ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث عشرة انه كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة مع الوتر فنسب صلاة الليل الي الوتر وروى في ذلك حديث عن عائشة واحتج بماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أوتروا يا أهل القرآن اي صلوا بالليل اه وفي رواية لمسلم عن ابن عباس فاستيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث الحديث وهذه الرواية تقتضي انه صلى تسع ركعات ونحوه في رواية النسائي قال ابن حجر ولا تنافي بين هذه الروايات لان في بعضها زيادة فيعمل بها وان سكتت الرواية الاخرى عنها لان من حفظ حجة علي من لم يحفظ وليست الواقعة متعددة حتى يحمل الاختلاف عليها وانما هي واحدة فيجب عند التعارض العمل بالاصح من تلك الروايات وهي رواية الشيخين ثم أحدهما اه وسيأتي حديث عائشة ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره علي احدي عشرة ركعة وسيأتي وجه الجمع بين حديثها وحديث ابن عباس رضي الله عنهما (ثم اضطجع) للاستراحة كما تقدم في الحديث قبله (ثم جاء المؤذن) للاعلام بدخول الوقت (فقام فصلى ركعتين خفيفتين) اي ركعتي الفجر (ثم خرج فصلى الصبح) رواية الشيخين ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فآذنه بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضأ وفي الحديث من الفوائد أن العمل القليل لا يبطل الصلاة بل قد يسن اذا كان لمصلحة وان الامر بالمعروف مشروع حتى في الصلاة وجواز صلاة الفرض بوضوء النفل اذا قلنا ان صلاة الليل لم تكن واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وأخذ العالم باذن المتعلم تنبيها علي الفهم ولتذكر القضية ونفي النوم وان صلاة الصبي صحيحة وان

صلى الله عليه وسلم اقراء السلام عليه وذلك عند قبره المكرم المعظم (وذهلنا عند اللقاء وكم أذ * هل صبا من الحبيب لقاء) اي غبنا عند لقاء الحبيب عن غيره ونسيناه بما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال وسمات ذلك الجمال ولا بدع في ذلك وكم اي مرات كثيرة أذهل صبا أي صباسمي بذلك لكثرة مايصبه من الدموع وفي القاموس الصبابة الشوق أو رقته أو رقة الهوى صبيت كفنعت

تصب فأنت صب وهي صبة ولا أعظم من هذا الحبيب ولا أعز ولا أرجى لنفع ودفع (ورجعنا من المهابة حتى * لا كلام منا ولا ايماء)
أي سكتنا مطرقين من المهابة أي هيبة الحبيب حتى لا كلام منا بما نريده ولا ايماء منا لما نطلبه وذلك حال من قهرته الهيبة

وكم رمت بث الشوق عند لقائه * فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا (ورجعنا وللقلوب التفاتا * تاليه وللجسوم انثناء)
أي صدرنا من عند الحبيب بعد كمال زيارته وللقلوب التفاتات اليه جمع التفاتة أي (٥٩) تلفت والتواء اليه وللجسوم جمع جسم

المميز كبالغ جماعة وموقفا وجواز النفل جماعة اذا لم يكن الجمع كثيرا ولم يكن المكان مشتهرا وأما احتمال ان ابن عباس كان يصلي وحده اذ ليس في الحديث انه اقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم وان تحويله يحتمل ان يكون لضيق المكان أو نحو ذلك فبعيد وندب اتيان المؤذن الى الامام ليخرج الى الصلاة وتخفيف سنة الصبح وأن الاولى في النافلة ان تكون في البيت سواء في ذلك أهل المدينة ومكة وغيرهم وسيأتي لهذا ترجمة وقوله كبالغ جماعة مخالف لمذهب مالك قال خليل وندب لمن لم يحصله كمصل بصبي * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا وكيع عن شعبة عن أبي جمرة) بالجيم واسمه نصر بن عمران الضبعي (عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل) أي فيه على حد اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة أو من للابتداء كما قالوا في نحو صمت من يوم الجمعة ونحو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ثلاث عشر ركعة) تقدمت الرواية الاخرى عن ابن عباس عند مسلم أنه صلى ست ركعات وأوتر بثلاث وتقدم جواب ابن حجر * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة) بضم الزاي أوله (ابن أوفى) له صحبة مات في زمن عثمان بن عفان (عن سعد ابن هشام) ابن عامر الانصاري كما في مسلم (عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا لم يصل بالليل منعه من ذلك النوم) الجملة مستأنفة للتعليل (أو غلبته عيناه) الظاهر انه شك من الراوي عن عائشة أو ممن دونه ويحتمل ان تكون أو للتنويع وأن المراد من منع النوم قوة رغبته فيه مع امكان تركه ومن غلبة عينيه ان يغلبه النوم فلا يستطيع دفعه أو بالعكس كذا قيل وكل من احتمالي الشك والتنويع مشكل اما الاول فلانه يقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم يغلبه النوم حتى تفوته صلاة الليل وهو مقتضى قضية الوادي حيث فاتته صلاة الصبح فما استيقظ حتى حميت الشمس ومقتضى ما يأتي في باب الفراش من قوله صلى الله عليه وسلم ردوه لحاله الاول فانه منعني وطاءته صلاتي الليلة لكن قوله لعائشة كما يأتي عند المصنف ان عيني تنامان ولا ينام قلبي جوابا لقولها أتنام قبل ان توتر يقتضي ان النوم لا يغلبه وأما الثاني فلانه يقتضي انه كان يترك ورده اختياراً لقوة رغبته في النوم وهو مناف للقول بان صلاة الليل كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم بناء على أن معنى قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ما قاله ابن عباس وغيره أي زيادة لك في الفرض واحسن ما يجاب به عن الاشكال الاول والله تعالى اعلم ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد يسلك به مسالك الضعفاء للتشريع فيسهو في الصلاة وينام عن ورده وعن صلاة فرضه ليتعلم من نزل ذلك من أمته كيف يفعل وهو مع ذلك كله غير نائم القلب فكما ان القلب يسهو يقظة لمصلحة التشريع فكذا نوما وأما الجواب عن قضية الوادي بانه كان له حال ينام فيه قلبه لكنه نادر فصادف يوم الوادي أو بان معنى لا ينام قلبه لا يستغرقه النوم حتى لا يحس بالحدث أو بان قلبه اذ ذاك كان مستغرقا بالوحي واستغراقه به لا يستلزم وصفه بالنوم اذ قد كان يستغرق به في اليقظة أيضا أو بان رؤية الفجر من وظائف

أي سخونا بالذي نحبه من مجاورة الحبيب وعدم مفارقته ولم يذكر في القاموس سمح متعديا وانما ذكره لازما فقال سمح ككرم سماحا وسماحة وسموحا وسموحة وسمحا وسماحا ككتاب جاد وكرم كسمح وهو سمح ولكن رجعنا من عند الحبيب مع مزيد محبة المكث بحضرته للواجب الشرعي الضروري من القيام بحق من ترك في الديار من الاهل والولد والمال والضرورات تبيح المحظورات فنحن في ذلك كبخيل يرسل نفيسا من يده قهرا والضرورة الحاجة الملجئة والبخلاء جمع بخيل أي شحيح قال في القاموس والاضطرار الاحتياج الى الشيء واضطره اليه أحوجه والجأه اضطر بضم الطاء والاسم الضرة والضرورة الحاجة اه وقال الشاعر

وقد تحرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بهن ضنين

وبين السماح والبخل الطباق

(لطيفة) قال العياشي في رحلته لما شاورت بعض شيوخنا في المجاورة بالمدينة حضني عليها الوارد في الحديث ان حب الوطن من الايمان والمدينة هي وطن كل مؤمن لانها وطن الايمان فلذلك يحبها كل مؤمن قال ويشهد له قوله عليه الصلاة والسلام ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها فاذا كانت وطن الايمان وهو أشرف أوصاف المؤمن بل هو في الحقيقة كليته التي صار بها معتبرا وجوده ولولا الايمان لكان العدم المحض أفضل منه فاذا ثبت هذا ثبت ان وطن الايمان هو وطن المؤمن وفي هذه اشارة حسنة وهي انه لا ينبغي لساكن المدينة بل ولو لمن بات بها ليلة أو أقام بها لحظة ان يرى في حال اقامته بها أنه غريب بل هو في وطنه الذي هو أحب أوطانه اه

البصر وهو ينام بخلاف قلبه صلى الله عليه وسلم فلا يتم لما في الاول من تخصيص النفي العام وهو قوله لا ينام قلبي الذي خرج جوابا لقولها المذكور وهو تخصيص من غير دليل ولانه يلزم عليه ان نومه صلى الله عليه وسلم قد يكون ناقضا وهو خلاف المعروف ولما في الثاني من تخصيص النفي العام من غير دليل أيضا ولما في الثالث من الدعوى بلا دليل أيضا فمن لنا بان الذي منعه من اليقظة في ذلك الوقت استغراقه بالوحي وأما الرابع فهو وان اختاره ابن حجر العسقلاني وغيره لكن بحث فيه بان رؤية الفجر وان كانت من وظائف البصر لكن كيف لم يشعر قلبه صلى الله عليه وسلم مع يقظته بالوقت مع طول مدته فتأمل ذلك منصفا (صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة) في صحيح مسلم وغيره عنها بلفظ كان صلى الله عليه وسلم اذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة أي تداركا لما فاته من التهجد لقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وفي صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب الله له كانما قرأه من الليل وفيه استحباب المحافظة على الاوراد وأنها اذا فاتت تقضى لئلا تعتاد النفس بالترك وان وقت القضاء ما بين الفجر والزوال قال ابن حجر وهو بيان لوقته الافضل اه ومقتضى قول المختصر والورد قبل الفرض لنائم عنه انه لا يفعل بعد صلاة الصبح بل ولا بعد حل النافلة الا ان يقال اذا جاز فعله فيما بين طلوع الفجر والاسفار ففعله بعد حل النافلة من باب أولى والله أعلم وقد قال المواق في سنن المهتدين ما نصه هذا الامام ابن عرفة على تعظيمه المشهور في المذهب حكي عنه تلميذه الابي أنه كان يتنفل بعد العصر فقيل له في ذلك فقال انما أفعله يوم يفوتني معتادي وحكي عنه أنه قال لآخر لا يأتي من الصلاة الاخير اه فعلى قياس ما فعله ابن عرفة لا بأس بقضاء الورد بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس وان كان ذلك خلاف مذهب مالك ويؤيده حديث مسلم المتقدم من نام عن حزبه من الليل الخ وكأن وجه ما فعله ابن عرفة ان التنفل في ذلك الوقت وان أثيب على تركه على قول فلا يضره فعله على ذلك القول ويؤجر عليه على قول آخر كما قيل بذلك في الصلاة في المسجد على الجنازة والله أعلم وفي الموطا ما من امرئ تكون له صلاة من الليل يغلبه عنها نوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة قال عياض وهذا أتم في التفضل أي من حديث مسلم لانه حبسه عنه وأثابه اه وليس فعل هذا الورد نهارا بقضاء حقيقة بل هو عبادة يعادل ثوابها ثواب ما فاته أو يقرب منه لانه لا يقضى الا الفرض وقد اختلف المالكية في ركعتي الفجر هل فعلهما بعد حل النافلة قضاء حقيقة أولا وهذا ظاهر ان قلنا ان قيام الليل لم يكن واجبا عليه صلى الله عليه وسلم والا كان فعله للورد نهارا قضاء حقيقة والله أعلم وقد ورد عن عائشة أيضا احدى عشرة ركعة وهذه الرواية تقتضي انه فاته الوتر وانه قضاه نهارا وسبقت عن الوتر في رواية ثنتي عشرة اما لان تداركه معلوم بالاولى أو لانه كان قدم وتره أول الليل ولم

(يا أبا القاسم الذي ضمن اقسا * مي عليه مدح له وثناء) هذه كنية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم باكبر يفته ولده مولانا القاسم من خديجة رضي الله تعالى عنها تختص به عند الشافعية فلا يجوز لاحد التكني بها على الاصح عندهم في زمنه وبعده لمن اسمه محمد وغيره للحديث الصحيح سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي والعبرة كما تقرر في الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي هو ان اليهود كانوا ينادونه بذلك فيلتفت فيقولون لا نعنيك فنهى الناس عن ذلك هذا مذهب الشافعية وأما مذهبنا فقال القاضي

عياض في الاكمال فقهاء الامصار على جواز التسمية والتكنية بأبي القاسم والنهي عنه منسوخ وقيل المنع خاص بحياته عليه السلام على هذا قصره مالك وجماعة كما في الابي وقيل خاص بمن اسمه محمد ووجه اختصاص هذه الكنية به عليه الصلاة والسلام انه هو الخليفة الاعظم عن الله تعالى في كل الامور لاسيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال في الحديث الصحيح انما أنا قاسم والله تعالى يعطي ولهذا عدوا من خصائصه انه أعطي مفاتيح الخزائن قال بعضهم وهي خزائن أجناس العالم ليخرج لهم بقدر مايطلبون فكل ماظهر في هذا العالم فانما يعطيه النبي صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح وكما اختص الله تعالى بمفاتيح الغيب الكلي فلا يعلمها الاهو كذلك اختص النبي صلى الله عليه وسلم باعطاء مفاتيح الخزائن الالهية فلا يخرج شيء منها الاعلي يديه وتذكر هنا قوله * ماأرسل الرحمن أو يرسل * وقوله الذي ضمن اقسامي أي الذي في طي اقسامي عليه بالاقسام الآتية مدحه وثناء وفي مرادفة الحمد للمدح ومباينته خلاف وعلى الثاني فرقوا بامور أحدها ان الحمد انما يكون على الجميل الاختياري والمدح على مالا اختيار فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد انما يكون عن علم وبصفة كمال والمدح يكون على ظن وبصفة مستحسنة وان كان فيها نقص ما ورابعها ان في الحمد من التعظيم والفخامة ماليس في المدح والحمد اختص بالعقلاء والعظماء وأكثر اطلاقا على الله تعالى وقول الكشاف انهما أخوان أي متشابهان لامترادفان قال الطيبي وقال السيد بل مترادفان واستدل له بكلام الفائق انتهى والاكثر على ان الحمد يختص بالاختياري والمدح أعم واقسامي بالكسر وثناء تأكيد والاقسام

يفته هذه المرة والله اعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن العلاء نا أبو أسامة عن هشام يعني ابن حسان عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين) الحكمة في ذلك رياضة النفس وتنشيطها حتى تستقبل قيام الليل على أتم وجوه الخشوع وأكملها وفيه ارشاد الى ان من شرع في عمل فليكن عمله على التدريج حتى تتعود نفسه بالعمل فيأتي ببقية عمله على الوجه الاكمل وقد قال في التوضيح الحكمة في تقديم النوافل على الصلاة ان العبد مشتغل بأمور الدنيا فتبعد النفس بذلك عن حضور القلب فاذا تقدمت النافلة على الفريضة أنست النفس بالعبادة وكان ذلك أقرب الى الحضور * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس ح ونا اسحق ابن موسى نا معن نا مالك عن عبد الله بن أبي بكر) اي ابن عبد الله بن عمرو بن حزم (عن ابيه أن عبد الله بن قيس بن مخرمة أخبره) اي اخبر عبد الله بن ابي بكر (عن زيد بن خالد الجهني) نسبة الى قبيلة جهينة (أنه قال) اي زيد (لارمقن) من الرمق وهو النظر الي شيء على وجه المراقبة ومزيد التأمل (صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) اي زيد (فتوسدت عتبته) اي اسكفة الباب والمعنى جعلت العتبة العالية وسادة لي (او فسطاطه) اي خباءه قال ابن حجر والظاهر الثاني فان رمق زيد لا يتصور في الحضر لانه صلى الله عليه وسلم يكون عند نسائه (فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين خفيفتين) هما مقدمة ورد الليل كما تقدم (ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين) كرر هذا الوصف ثلاث مرات اشارة الى انهما في غاية الطول قال ابن حجر وحكمة ذلك ان اول الدخول في الصلاة يكون النشاط أقوى والخشوع أتم فسن التطويل لوجود مقتضيه ومن ثم سن في الفرض تطويل الركعة الاولى على الثانية وكانت الثانية من الرباعية أطول من الاخيرتين اه ومن ثم قال (ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم اوتر) كذا في رواية هذا الكتاب يتكرار ثم صلى ركعتين أربع مرات وكذا هو في رواية مسلم والموطا وسنن ابي داود وجامع الاصول وافراد الحميدي لمسلم وعلى هذا يدخل الركعتان الخفيفتان تحت ما اجمله بقوله (فذلك ثلاث عشرة ركعة) ويكون الوتر بواحدة ومن ذهب الى ان الوتر بثلاث لم يعد الركعتين الخفيفتين من الثلاث عشرة ووقع في نسخ المصابيح بتكرار ثم صلي ركعتين ثلاث مرات فقال شارحوه الوتر هنا ثلاث ركعات لانه عد ما قبل الوتر عشر ركعات ثم قال فذلك ثلاث عشر ركعة قال في جمع الوسائل والاول اصح واصوب رواية ودراية والله اعلم * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه) اي أبا سلمة (اخبره) اي أبا سعيد (انه) أي أبا سلمة (سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان) أي ليالي (فقالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليزيد في رمضان ولا في غيره على

ههنا بمعنى التوسل فهو مشعر بالاستشفاع فلذلك يتعدى بعلى فاذا استعمل في اليمين المطلق تعدى بالباء انظر حاشية العارف علي الحزب الكبير (بالعلوم التي عليك من الله * ـه بلا كاتب لها املاء) أي اقسم عليك بالعلوم التي نزلت عليك من الله وبلا كاتب حال من العلوم واملاء القاء من محل وهو جبريل عليه السلام وجعل أول الاقسام العلوم لان مرتبة العلم لا أعلي منها بل ولا مساوي لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله عليه وسلم بسؤال الزيادة الا في العلم فقال له وقل رب زدني علما وفيه اشارة الى ان أهم شيء عند الناظم هو ان

يفتح عليه فى العلوم والادراكات والفهوم فيبدل ظلام جهله بنور علمه وتفتح بصيرته وتنور سريرته

(ومسير الصبا بنصرك شهرا * فكأن الصبا لديك رخاء) مسير عطف على العلوم والصبا الريح التى مهبها من مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وهى مراد الحسن فى قوله فاذا جعلت ظهرك الى باب الكعبة فالصبا مقابلك وبها نصر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق على الاحزاب وقال (٦٢) في القاموس الصبا ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش قال والدبور ريح تقابل الصبا وقال الشمال بالفتح ويكسر الريح التى تهب من قبل الحجر أو ما استقبلك عن يمينك وأنت مستقبل والصحيح انه ما مهبه من مطلع الشمس وبنات نعش او من مطلع الشمس الى مسقط النسر الطائر قال والجنوب ريح تخالف الشمال مهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا اه ثم الصبا حارة يابسة والدبور باردة رطبة والجنوب حارة رطبة والشمال باردة يابسة وقوله بنصرك اى باعانتك على قهر عدوك شهرا فى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وفيه أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر قال فى المنح وبه يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصره وهو الرعب اى الخوف المزعج لاعدائه مسافة شهر من نواحى المدينة فلم يرفع احد منهم رأسا الا اختطفته لوامع نصره وقواصف أسنة قهره والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولي عليه لا تزيد مسافته فى حياته على شهر فلا ينافى ان هلك امته يزيد على ذلك بكثير واحترز عن غيره من الانبياء فان رعبهم ان وجد لا يصل هذه المسافة وقيل انما جعل الغاية شهراً لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين أحد من أعدائه أكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق ولو كان ثم وحده بغير عسكر وهل هى حاصلة لامته بعده فيه احتمالات أظهرها كما تقتضيه المشاهدة انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا والرخاء الريح اللينة المسخرة لسليمان عليه السلام غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم أعظم وأظهر لان تلك سخرت لذات سليمان عليه السلام وهذه سخرت لصفة من صفات نبينا عليه الصلاة والسلام وهي هيبته وأيضا فتلك كانت تسير

احدى عشرة ركعة) قد اختلفت الروايات عن عائشة فى قدر قيامه صلى الله عليه وسلم قال القرطبي وقد أشكل حديثها حتى نسب الى الاضطراب وانما يتم ذلك لو اتحد الراوى عنها والوقت اه قال الابي عن عياض ما حاصله انه يجمع بين أحاديثها بأن تكون أخبرت باحدى عشرة عن غالب امره وباقى الروايات اخبار عما كان يقع منه نادرا وذلك بحسب الحال من ضيق الوقت واتساعه او تطويل القراءة او مرض او نوم او كبر سن كما قالت فلما اسن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى سبع ركعات فاختلاف قدر قيامه صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون لهذه الاحوال المختلفة ويحتمل ان يكون لقصود مختلفة فقد اشار بعضهم الى ان اختلاف عدد قيامه يحتمل انه راعى فيه عدد ركعات فرض الليل والنهار فى بدء الامر وهو عشر ركعات وهى كانت اكثر صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل غالبا على ما جاء فى الحديث المتقدم وعددها على ما استقرت عليه الآن وهى سبع عشرة وهو اكثر ما روى عنه عليه الصلاة والسلام فى صلاة الليل وعدد صلاة فرض الليل وهو سبع ان جعلت صلاة الصبح من النهار وهو اقل قيامه وتسع ان جعلت من الليل وقد روى عن عائشة ان التسع اكثر قيامه فى اول الامر وعدد صلاة فرض النهار وهو ثمان ركعات أو عشر على الاحتمالين فى الصبح أو عدد رواتب صلاة النهار وهى عشر أربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر أو أربع قبل الظهر وأربع بعدها وركعتان قبل العصر اه قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة ومن أحسن ما يجمع به أنه عليه السلام كان له عدد يعتبره بالدورة فاذا اكثر بالنهار قلل بالليل وبالعكس والذى يهدى اليه الاستقراء انها كانت خمسين ركعة بالفرض والنفل اشارة الى الاصل ففى حديث علي رضى الله عنه كان يصلى من النهار ست عشرة ركعة فى الضحى ستا وقبل الظهر اربعا وبعدها ركعتين وقبل العصر أربعا وحديث ركعتى المغرب والفجر وثلاث عشرة من الليل لا يخفى فتلك ثلاثة وثلاثون وربما نقص من الليل وزاد فى النهار وربما نقص من النهار وزاد فى الليل كما اقتضته أحاديث يطول ذكرها وقد اشار عياض لشيء من هذا فانظره اه ويؤخذ مما تقدم الجمع بين رواية عائشة احدي عشرة ركعة ورواية ابن عباس المتقدمة وروايتها أيضا عند مسلم ثلاث عشرة ركعة أو يقال انه عليه السلام كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين فتارة اعتبرتهما من الورد فقالت ثلاث عشرة وتارة لم تعتبرهما لانهما مقصودتان للوضوء او لحل عقد الشيطان فى حق من يتأسى به عليه السلام اذ لا يصح عقد الشيطان عليه لعصمته لكنه كان يفعل ما يؤمر به وان كانت حكمته مقصودة لغيره لتحقيق الحكم واثبات الاقتداء به كما كان يتقى من نفسه ما هو نجس من غيره ليكون اسوة فيه والله اعلم قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة (يصلى اربعا) قيل معنى ذكر الاربع انه لم يكن يسلم من كل ركعتين وقيل انه لم يجلس الا فى آخر ركعة وقال مالك والاكثر انه كان يسلم من كل ركعتين ثم اختلفوا فى معنى ذكر الاربع فقيل أراد انها على صفة واحدة فى التلاوة والتحسين

بعدامر سليمان لها وهذه تسير بامر الله تعالى من غير واسطة نبينا عليه السلام فهو من تشبيه الاعلى بالعلى نظير كما صليت على ابراهيم

عليه السلام (وعلى لما تفلت بعينيه * وكلتاهما معار مداء) (فغدا ناظرا بعيني عقاب * فى غزاة لها العقاب لواء)

علي هو ابن أبي طالب كرم الله وجهه معطوف على العلوم وغداذهب والعقاب بضم العين طائر معلوم من الصقور وفى الكامل هو سيد الطيور له بصر قوى ومن أمثالهم أبصر من عقاب والغزاة هى غزوة خيبر (٦٣) وهو بلد كبير ذو حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام في سنة سبع وضمير لها عائد على الغزاة والعقاب راية للنبى صلى الله عليه وسلم قال فى المنح أراد بقوله لواء الراية اذ هو العلم الضخم لان الذى كان يومئذ راية لالواء ولم يعرف له صلى الله عليه وسلم الرايات الا بخيبر وقبلها كانت الالوية فقط نعم قال عياض فى مشارقه اللواء الراية وعليه فلا تجوز فى النظم وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب أسود وكانت من برد لعائشة رضى الله تعالى عنها ذكر ذلك كله أهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطى وغيره وبين عقاب والعقاب الجناس التام وفى الصحاح الالوية المطارد وهى دون الاعلام والبنود وفى البخارى من حديث أنس انه صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا وكان اذا أتى قوما بليل لم يغزهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال النبى صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفيه ان عليا بن أبى طالب تخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم لرمد به فلحق فلما كانت ليلة الفتح قال لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه فلما أصبح استشرف الناس لها فقال أين علي بن ابى طالب فقيل يارسول الله هو يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم الحديث روى انه لما ذهب بالراية هرول حتى ركزها

ثم الاربع الثانية مستوية أيضا فى الطول والحسن وان لم تبلغ فى الطول قدر الاولى كما قال زيد ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما وقيل انما خص الاربع بالذكر لانه كان ينام بعد كل أربع نومة وتقدم فى حديث أم سلمة كان يصلى ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام وليس المعنى أنه لم يكن يفصل بينهما بسلام (لا تسأل عن حسنهن وطولهن) يحتمل أن يكون منع السؤال كناية عن العجز عن الجواب ويحتمل ان المعنى انهن من كمال الطول والحسن فى غاية ظاهرة مغنية عن السؤال نظير قوله تعالى ولا تسئل عن أصحاب الجحيم (ثم يصلي أربعا لا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا) يحتمل بسلام واحد ويحتمل انه فصل بين شفعه ووتره بالسلام كما تقدم فى قوله يصلى أربعا (قالت عائشة قلت يارسول الله أتنام قبل ان توتر) قال عياض لما عهدت من أبيها انه يوتر قبل النوم وكانت صغيرة ليس عندها كبير علم ظنت ان فعل أبيها لا يجوز غيره فاجابها بأن (قال ياعائشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبى) والمعنى ان السبب فى تقديم الوتر انما هو خوف غلبة النوم وهو فى ذلك بخلاف الناس لانه صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه وذلك من خصائص الانبياء عليهم السلام وقد تقدم انه لا منافاة بين هذا وما ورد من نومه صلى الله عليه وسلم عن ورده وعن صلاة فرضه فى قضية الوادي وما اختاره أبو بكر من تقديم الوتر هو اختيار ابن المسيب وفعله عثمان وكان عمر وعلي يؤخران وترهما وهو اختيار مالك وهذا لمن جرت عادته بالقيام وقوى عليه ولم تكن عادته ان تغلبه عيناه ولهذا قال عليه السلام لعمر أخذت بالعزم أى بالقوة ولابي بكر أخذت بالحزم أى بالاحتياط * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى من الليل احدى عشر ركعة يوتر منها بواحدة) احتمال أن معنى يوتر الخ انه يضم الشفع لواحدة منها بعيد (فاذا فرغ منها) أى من الاحدى عشرة (اضطجع على شقه الايمن) اى للاستراحة ان كان الصبح قريبا أو للنوم ان كان وقت السحر والله أعلم * قال المصنف (حدثنا ابن عمر نا معن عن مالك عن ابن شهاب نحوه ح) كذا فى بعض النسخ بلفظ نحوه مع حاء التحويل وفى بعضها بدونهما وفى بعضها باحدهما فقط * قال المصنف (وحدثنا قتيبة عن مالك عن ابن شهاب نحوه) * قال المصنف (حدثنا هناد نا أبو الاحوص عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل تسع ركعات) أى فى بعض الاحيان لادائما ولا غالبا ولا يحدش فى ذلك التعبير بكان لانها لا تقتضى الدوام عند كثير من الائمة الاعلام * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا يحيى بن آدم نا سفيان الثورى عن الاعمش نحوه) أى فى بقية الاسناد وفى لفظ الحديث والظاهر أن نحوه هنا بمعنى مثله فلا تفاوت * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى حمزة رجل من الانصار عن رجل من بنى عبس) * قال المصنف فى جامعه والنسائى أبو حمزة عندنا طلحة بن زيد قال الحافظ المنذرى ابو حمزة الانصارى مولاهم

فى رضم من حجارة تحت الحصن فقال له يهودى من الحصن من أنت قال انا علي بن أبي طالب فقال اليهودى علوتم وحق ما أنزل علي موسى بن عمران عليه السلام فما رجع حتى فتح الله تعالى عليه وعند قتاله ضربه يهودى فطرح ترسه عن يده فاخذ بابا فتترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله تعالى عليه ومن كبر ذلك الباب أن ثمانية أرادوا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل أيضا باب الحصن علي ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها (٦٤) فحزروه بعد ذلك فلم يحمله الا أربعون رجلا وفى رواية سبعون توفى رضى الله تعالى عنه شهيدا وهو خارج لصلاة الصبح ضربه ابن ملجم فى جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين عن ثلاث وستين سنة بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم الليلة فشكا اليه ما لقى فقال ادع عليهم فدعا عليهم ان يبدل خيرا منهم وان يبدلوا شرا منه واكثر فى تلك الليلة الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله تعالى ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت وكان له أوز فلما خرج صحن في وجهه فطردن عنه فقلن دعوهن نوائح وماتت ليلة الاحد واختلف في موضع قبره لانه اخفى خوفا من ان ينبشه الخوارج وروى انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل فلم يدر اين ذهب فلذلك قال أهل العراق انه فى السحاب

(وبريحانتين طيبهما منـ
ـك الذى أودعتها الزهراء)

يعنى الحسن والحسين رضى الله عنهما وفى البخارى هما ريحانتاى من الدنيا وفى رواية ان ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا وقوله طيبهما اى حسا ومعنى حاصل منك لانهما بضعتان منك وطيبه صلى الله عليه وسلم معروف بين الصحابة يضرب به المثل وان لم يتطيب بل كانت أم أنس تأخذ من عرقه ليتطيبوا به والذى نعت للريحانتين ونعته بتأويلهما بالمذكور اى الذى أودعتها بالبناء للمفعول الزهراء هى فاطمة سيدة نساء العالمين رضى الله تعالى عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار بقوله اودعتها الى ماهو من خصائصه أن أولادها ينسبون اليه فى الكفاءة وغيرها لانه جعلها مستودعة فهو صلى الله عليه وسلم الذى أودعها تلك الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت الزهراء لانها لم تحض كما فى حديث رواه الغساني

الكوفى وثقه النسائى واحتج به البخارى والرجل شيخه هو صلة بن زفر العبسى الكوفي احتج به الشيخان اه (عن حذيفة بن اليمان) تقدمت ترجمته فى باب الازار (انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم من الليل) اى فيه ولفظ احمد والنسائى فى ليلة من رمضان (قال) اى حذيفة (فلما دخل) أى أراد الدخول (فى الصلاة قال الله أكبر) قيل معناه المبالغة فى الوصف اى البالغ المتناهي فى الكبرياء والعظمة ولم يرد التفضيل على شيء لانه أجل من ان يفضل علي غيره ومن ثم لم يستعمل استعمال اسم التفضيل وقيل المقصود به التفضيل والمفضل عليه محذوف وعليه فقيل المعنى الله أكبر من ان يعرفه غيره لانه تعالى فوق كل ما تطيقه عقولنا لا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون وقيل العبارة علي حذف مضاف اى حق الله أكبر قال صاحب الحلل لما كانت الصلاة أرفع العبادات وحالة العبد فيها مع الله أعظم الحالات والوفاء بما يجب من رعايتها علي التحقيق متعذر والله مقبل علي المصلى ناظر اليه من غير تمثيل ولا تشبيه وجب من أجل ذلك على المصلى اذا عزم علي فعل ركن أو فرغ منه أن يشهد على نفسه بالتقصير وانه لا قدرة له على الوفاء ببعض ما يجب له وليس من الاذكار ما يشعر بما فى قلبه من ذلك الا الله أكبر اى حق الله علي فيما فعلت أو أفعل أكبر وعملى بالنسبة الى عظيم جلاله أحقر اه (ذو الملكوت) فعلوت من الملك قال فى جمع الوسائل اى مالك الملك وصيغة فعلوت للمبالغة والكثرة كما فى رحموت ورهبوت وأما ما ورد من قوله ذو الملك والملكوت فيفرق بينهما بان المراد من الاول ظاهر الملك ومن الثانى باطنه كما يعبر عنهما بعالم الغيب والشهادة (والجبروت) فعلوت من الجبر وهو القهر قال تعالى وهو القاهر فوق عباده فسبحان من قهر العباد بالموت وغيره مما قضى به عليهم وقال الشيخ زروق العوالم ثلاثة عالم الملك وهو ما شأنه ان يدرك بالحس والوهم وعالم الملكوت وهو ما شأنه ان يدرك بالعقل والفهم وعالم الجبروت وهو ما شأنه ان يدرك بهما لا فى الحال بل فى ثاني حال كما فى الجنة اذ هو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر اه فالمعنى علي الوجه الاول الملك الجبار وعلي الثاني خالق عالمي الملكوت والجبروت والمدبر أمرهما والقائم بهما والمتصرف فيهما بسائر أنواع التصرفات التى لا تحيط بها العقول وفسر الجبروت أيضا بالغنى من جبرت الفقير أغنيته ومقتضى القاموس اشتقاقه من التجبر وهو التكبر (والكبرياء) اى الترفع والتنزه عن كل نقص (والعظمة) أى تجاوز القدر عن الاحاطة قاله ابن حجر قال فى جمع الوسائل أو الكبرياء عبارة عن كمال الذات والعظمة اشارة الى جمال الصفات اه ولا يجوز أن يتصف بالكبرياء أو العظمة غيره تعالى ففى الحديث الصحيح يقول الله عز وجل الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدة منهما قصمته وأهلكته وفى رواية أدخلته النار وفى أخري عذبته قال فى الاكمال ما حاصله هذا مجاز علي عادة العرب يقولون فلان شعاره الزهد والورع ودثاره التقوى ولا يريدون بذلك الثوب الذى هو شعار ودثار وانما يريدون ان صفته

وروى الخطابي ان ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وسميت فاطمة لأن الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار رواه النسائي مرفوعا وأخرج الحافظ الدمشقي مرفوعا انما سميت فاطمة لان الله تعالى قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير كذا في المواهب وأخرج الطبراني والخطيب ان الله تعال جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه

ونعته ووجه هذه الاستعارة ان الرداء والازار هما سترة الانسان اللازمة له فضرب ذلك مثلا لكون الكبرياء والعظمة للباري تعالى أحق وله الزم وأوجب اه وانما جعل الكبرياء رداء والعظمة ازاراً ولم يعكس لان العظمة منشأ الكبرياء فهي أسبق بحسب التعقل كما ان الازار قبل الرداء لانه أول ما يلبس قال شيخنا المحقق في جواب له عن هذا السؤال (قال) اي حذيفة (ثم قرأ البقرة) اي بعد الفاتحة وانما لم يذكرها الراوي اعتمادا على ان ذلك معروف من عادته صلى الله عليه وسلم (ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه) اي قريبا منه وهذا يقتضي انه طول في ركوع تهجده قريبا من سورة البقرة وقد ورد ذلك أيضاً في صلاة الكسوف ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يطول في ركوع صلاة الفرض قريبا من السورة والله أعلم (وكان يقول) في ركوعه (سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم) كرره لافادة التكثير اي يكرر هذه الكلمات في هذا الركوع مع طوله قال ابن حجر وهذا الذكر مطلوب في كل ركوع وأقله مرة وأدنى الكمال فيه ثلاث مرات وأكمله احدى عشرة مرة أخذا من مجموع الاحاديث اه ويأتي مذهب مالك (ثم رفع رأسه) اي من الركوع (وكان قيامه) اي بعد الركوع (نحوا من ركوعه وكان يقول لربي الحمد لربي الحمد) كرره أيضاً لما تقدم والمستقر من احواله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد اور بنا ولك الحمد قال ابن حجر ومن ثم صرحوا بان ذلك افضل مما هنا والمعروف عدم تكرار الحمد عند الرفع من الركوع (ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه) اي اعتداله من الركوع ويحتمل ان المراد قيامه للقراءة (وكان يقول) اي في سجوده (سبحان ربي الاعلى سبحان ربي الاعلى) قال ابن مخلص وغيره قال المفسرون لما نزل قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم ولما نزل قوله سبحانه سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اه وخص العظيم بالركوع والاعلى بالسجود للمناسبة فان الاعلى أبلغ من العظيم والسجود أبلغ من الركوع فجعل الابلغ للابلغ وقال ابن حجر صح في السجود أقرب ما يكون العبد من ربه اذا كان ساجدا فربما يتوهم الجاهل ان المراد قرب المسافة فاشير الى تنزيهه تعالى عن ذلك بذكر الاعلى ونظيره قول امام الحرمين في قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس ابن متى انما خص يونس لانه ربما توهم ان قربه في بطن الحوت دون قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه وهو فوق السبع السموات ليلة الاسراء وليس كذلك بل قربهما مع ما بينهما من تباعد المكان بالنسبة اليه تعالى على حد سواء لتعاليه تعالى عن المكان والزمان اذهما من جملة المحدثات ووجوده تعالى أزلي قديم لا يتقيد بحادث اي حادث كان اه وسبحان منصوب عند النحاة على المصدر كالكفران والعدوان اي أسبح الله سبحانا ومعناه التنزيه والمعنى أبرئك وأطهرك من كل نقص وعيب قاله في المشارق وقال الشيخ زروق في شرح الرسالة قال بعضهم في اسمه القدوس هو المنزه عن كل كمال لغيره لان قولك المنزه عن النقائص بمنزلة قولك الملك ليس بجزار فافهم اه

(كنت تأويهما اليك كما آ
وت من الخط نقطتها الياء)

اي تضمهما لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما وأخرج الترمذي والطبراني هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني أحبهما فاحبهما وأحب من يحبهما وروى الترمذي أحب اهل بيتي الى الحسن والحسين وروى احمد وابن ماجه والحاكم من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني وجاء من طرق صح بعضها ابناي الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وأبوهما خير منهما وفي قوله أبوهما خير منهما حجة لاهل السنة أن الائمة الاربعة أفضل من اهل البيت علما وعملا ومعرفة نعم هما أفضل من جهة انهما بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم واستشكل قوله سيدا شباب أهل الجنة بانهما ماتا غير شابين ولان الجنة ليس فيها الشباب والكهول والشيوخ ولكن ورد ان كل من يدخلها يكون على خلقة أبناء ثلاث وثلاثين سنة والظاهر كما قال شيخ شيوخنا ان المراد هما سيدا أهل الجنة مع كونهم شبابا أي ان اهل الجنة مع كمال

حسنهم وقوتهم ونضارتهم ورونقهم وبهجتهم فالحسن والحسين سيدا هم فلفظ شباب ليس للتخصيص وتقسيم المفضل عليهم الى شباب وغيرهم بل لبيان كمال المفضل عليهم وذلك مستلزم لكمال التفضيل ومقتض لغاية شرف المفضل ويشهد لذلك ما في بعض روايات الحديث سيدا أهل الجنة وهو مخصص بمن عدا الانبياء والمرسلين لقيام الدليل القاطع وهنا وجه آخر وهو ان يراد بشباب اهل الجنة أنضرهم وأكملهم حسنا وأعلاهم جمالا أطلق عليه اسم الشباب لان منتهاه

لغة احسن من الكهول والشيوخ والصبيان والياء فاعل آوت أي ضمت ومن الخط حال منه وفي البخاري عن الحسن رضي الله تعالى عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ بيدي فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى ويضمنا ثم يقول اللهم اني أرحمهما فارحمهما وصح عن اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال طرقت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وهو مشتمل على شيء قلت ما هذا فكشف فاذا هو حسن وحسين على وركيه الشريفتين فقال اللهم هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم أحبهما وأحب

من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم أقبل وقد حمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه التخصيص بالياء انها خاتمة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء

(من شهيدين ليس ينسيني الطف ف مصابيهما ولا كربلاء)

من شهيدين بيان للريحانتين فلا تجريد فيه وهما الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما أما الحسن فولد في النصف من شهر رمضان بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة وتوفي سنة خمسين عند الجمهور مسموما روي أن يزيد ابن معاوية أرسل لزوجته جعدة الكندية ان تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة الف درهم ففعلت فرض أربعين يوما ومات وبعثت ليزيد بما وعدها فابى وجهد به أخوه الحسين أن يخبره بمن سمه فابى وقال الله تعالى أشد نقمة وقد حضرت وفاتي ودنا فراقي لك واني لاحق بربي وأجد كبدي تقطع واني لعارف من أين دهيت فبحق عليك لا تكلمت في ذلك بشيء ثم قال وأقسم عليك ان لا تريق في امري محجمة دم وقال له لما احتضر يا اخي ان اباك استشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله تعالى عنه الى الثالثة قبله ثم ولي فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له واني والله ما أرى ان يجمع الله تعالى فينا النبوة والخلافة وربما يستخفك سفهاء الكوفة فيخرجونك وقد كنت طلبت من عائشة ان ادفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما أظن القوم الا سيمنعونك فان منعوك فلا تراجعهم فلما مات سأل الحسين عائشة

ألم تران السيف ينقص قدره * اذا قيل هذا السيف خير من العصى

ولم يحد مالك رضي الله عنه فيما يقال في الركوع والسجود حدا ولا دعاء مخصوصا وهذا معنى قوله في المدونة لا أعرف قول الناس في الركوع سبحان ربي العظيم وفي السجود سبحان ربي الاعلى وانكره قال ابن رشد اي أنكر وجوبه وتعيينه لان تركه أحسن من فعله لانه من السنن التي يستحب العمل بها عند الجميع اه وفي مسلم عن ابي ذر مرفوعا أحب الكلام الى الله سبحان الله وبحمده وفيه عن ابن عباس عن جويرية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال مازلت على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وفي رواية انه قال سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته اه والتسبيح عبادة سائر الخلق قال الله سبحانه يسبح له ما في السموات وما في الارض وقال سبحانه وان من شيء الا يسبح بحمده (ثم رفع رأسه فكان ما بين السجدتين نحوا من السجود وكان يقول رب اغفر لي رب اغفر لي) فيه الدعاء بين السجدتين وتقدم ان دعاءه صلى الله عليه وسلم بالمغفرة مع علمه بانه مغفور له ومع انه معصوم من جميع الذنوب اشفاق وتعليم للامة وخوف من مكر الله عز وجل وتواضع منه صلى الله عليه وسلم او بحسب المقامات يرى مقامه بالامس دون ما ارتقى اليه اليوم فيستغفر من مقامه بالامس ومما ورد من دعائه صلى الله عليه وسلم بين السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واسترني وارزقني واعف عني وعافني اه ويستفاد من هذا الحديث مشروعية التطويل في الرفع من الركوع وفي الجلوس بين السجدتين كما هو مشروع في القراءة والركوع والسجود لكن هذا انما وقع نادرا والمتقرر من عادته صلى الله عليه وسلم عدم التطويل في الاولين والله أعلم (حتى) غاية لمحذوف اي ولم يزل يطول في صلاته تلك الليلة حتى (قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة او الانعام شعبة الذي شك) اي من بين الرواة (في المائدة والانعام) وفي نسخة او الانعام والمراد انه صلى في كل ركعة بسورة من هذه السور الاربع كما بينه ابو داود في روايته فانه قال بعد رب اغفر لي فصلى أربع ركعات قرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام شعبة الحال لكن الذي في النسائي انه قرأ السور الاول الثلاث في ركعة ولفظه عن حذيفة أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ البقرة وآل عمران والنساء في ركعة وكان اذا مر بآية فيها التسبيح سبح او سؤال سأل او تعوذ تعوذ ثم ركع نحوا مما قام ثم قام نحوا مما ركع ثم سجد نحوا مما قام اه فيحتمل انه قرأ المائدة والانعام في ركعة أخرى ويحتمل أنه قرأ بغيرهما وظاهر رواية مسلم كالنسائي انه قرأ الثلاث ايضا في ركعة ولفظه عن حذيفة قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت

يصلي

قالت نعم وكرامة فنعهم مروان وكان والى المدينة فلبس الحسين ومن معه السلاح فرده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب أمه وكان مروان يكثر من اذايته فلما مات بكى فى جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال اني كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا وأشار الى الجبل بيده وكان مروان شديد البغض لاهل البيت وروى الحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فيدعوله فادخل عليه مروان بن الحكم فقال

يصلى بها فى ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح سورة النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا اذا مر بآية فيها تسبيح سبح واذا مر بسؤال سأل واذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم وكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده ثم قام طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربى الاعلي فكان سجوده قريبا من قيامه وفى حديث جرير من الزيادة وقال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد وقد علمت بهذا معارضة رواية النسائي ومسلم مع رواية أبي داود والمصنف فاما ان يحمل على تعدد الواقعة أو يقال فى رواية الترمذى وأبي داود وهما والصواب رواية مسلم والنسائي قال فى جمع الوسائل نقلا عن غيره ويؤيده اتحاد المخرج وهو صلة بن زفر ولعل البخارى لاجل هذا الاختلاف والاضطراب لم يخرجه فى صحيحه أصلا اه وعلى كل حال فليس فى هذا الحديث بيان كم صلى فى هذه الليلة ونسب ابن حجر حديث مسلم المتقدم للشيخين وهو وهم انما هو لمسلم ولم يخرجه البخارى أصلا كما تقدم ونسبه فى جمع الوسائل للنسائى وهو وهم أيضا لان رواية النسائى مخالفة لرواية مسلم كما قد علمت وقد ظهر لك أيضا مما تقدم ان ظاهر رواية مسلم أنه قرأ السور الثلاث الاول فى ركعة لا أنه قرأ الكل فى ركعة خلافا لما وقع فى ابن حجر * قال المصنف (حدثنا أبو بكر محمد بن نافع البصرى) قيل هذا مجهول لانه لم يوجد فى كتب الرجال فلعله محمد بن واسع البصرى (نا عبد الصمد بن عبد الوارث عن اسمعيل بن مسلم العبدى عن أبى المتوكل) اسمه على بن داود ابن دؤد بضم الدال بعده واو بهمزة (عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة) أى أحيا ليلة كلها بقراءة آية واحدة فى صلاة الليل يدل على ذلك ما رواه أبو عبيد فى فضائل القرآن عن أبي ذر رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى فقرأ آية واحدة الليل كله حتى أصبح بها يقوم وبها يركع وبها يسجد فقال القوم لابي ذر أية آية هى فقال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قال ابن حجر ولا ينافيه حديث مسلم انى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا لاحتمال ان هذا النهى كان بعد تلك الليلة اه قال فى جمع الوسائل أو لبيان الجواز اشارة الى ان النهى تنزيهى ويمكن أن يقال المعنى كان يركع ويسجد بمقتضى الآية وما يتعلق بمعناها بان يقول فيها سبحان ربي العزيز الحكيم اللهم اغفر لنا ولا تعذبنا أو ارحم أمتى ولا تعذبهم فانهم عبادك واغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ونحو ذلك والله أعلم اه واحتمال انه كررها فى ركعة واحدة الى ان طلع الفجر بعيد وقد ورد النهى عن البتراء فلا يحمل الحديث عليها والآية فى الكفار وفى قوله فانهم عبادك اشارة الى انهم مماليكه وهو مالكهم فله ان يتصرف فيهم كيف يشاء لا اعتراض عليه وقال البيضاوى فى قوله فانهم عبادك تنبيه على انهم استحقوا التعذيب لانهم عباده وقد عبدوا غيره وفى قوله وان تغفر لهم اشارة الى غفران الشرك ليس ممتنعا لذاته بل بمقتضى الوعيد فلذلك لم يمنع الترديد والتعليق بان قال التفتازانى وذكر المغفرة يوم ان الفاصلة الغفور الرحيم لكن

هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وروى أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا مروان ومروان فى صلبه ومذهب مالك ان مروان غير صحابى فانه قال ولد مروان يوم أحد قال أبو عمر فعلى قول مالك توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين أو نحوها ولم يره لانه خرج الى الطائف طفلا لا يعقل مع ابيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر اليه على يوما فقال ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك اذا شاب ذراعاك وصح ان الحسن حج خمسا وعشرين مرة ماشيا وان النجائب لتقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات ومناقبه وكراماته كثيرة * وأما الحسين رضى الله تعالى عنه فولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع قال الواقدى حملت فاطمة بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة واستشهد يوم الجمعة عاشر المحرم سنة احدى وستين وخر رأسه الشريف وذهب به الى يزيد الخبيث للشام مع نسائه ومن بقى من آله ووجد به احدى وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وكان ذلك على يد عبيد الله بن زياد وقتل معه

من اخوته وبنيه وبنى أخيه الحسن ومن أولاد عقيل وجعفر تسعة عشر رجلا قال الحسن البصري ما كان لهم على وجه الارض يومئذ شبيه واختلفوا هل كان ذلك بامر يزيد أم لا وقد روى انه لما بلغه رأس الحسين ضرب ثناياه بقضيب وحمل آل النبى صلى الله عليه وسلم على أعقاب الجمال موثقين فى الحبال والنساء مكشوفات الوجوه والرؤس وأقيموا على درج الجامع حيث تقام الاسارى والسبى * ولذا قال الامام أحمد بلعنه وكفره وناهيك به ورعا وعلما يقضيان بانه لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة فى ذلك ثبتت

عنده وان لم يثبت عند غيره كالغزالي فانه أطال في رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق صحيح انه قتله ولا أمر بقتله ثم بالغ في تحريم سبه ولعنه وكذلك ابن العربي بل قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده اي بحسب اعتقاده الباطل انه الخليفة والحسين باغ عليه وقد كانت سبقت بيعة يزيد ولا يجوز الخروج على من ثبتت بيعته ويرد هذا بانه انما يصح بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الجائر بعد تلك الاعصار بزمان واجتهاد الحسين اقتضى الخروج على يزيد لجوره بل لم يبايعه الحسين ولا كثير والمبايعون له مكرهون على بيعته ومثل هذا يجاب عن خروج معاوية على علي والحسن فانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه غير آثم لاجتهاده فالحسين كذلك وكان قتله بكربلاء بقرب الكوفة وذلك أنه لما مات معاوية وبويع ليزيد سنة ستين أرسل الى عامله بالمدينة وهو الوليد ابن عقبة ان يأخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه ويمحى عنهم مام فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وأمره ان لا يذهب باهله ان ذهب وبكى ابن عباس وقال واحبيباه وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال استودعك الله تعالى من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير بل لم يبق احد بمكة الا حزن لمسيره ولما بلغ ذلك أخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملأ حجرا بين يديه وكان مما بعثه على الخروج مخافة ان يستباح حرم مكة بسببه ولذلك لما نهاه ابن عباس قال له لان أقتل بمكان كذا وكذا أحب الى أن يستحل بي قال ابن عباس فذلك سلى نفسي عنه وفي رواية انه قال لابن الزبير ان ابى حدثني ان لمكة كبشا به تستحل حرمتها فما أحب ان اكون ذلك الكبش ولان أقتل خارجها بشبرين أحب الى أن أقتل خارجها بشبر واحد عائشة

يعرف بعد التأمل ان الواجب العزيز الحكيم لانه لا يغفر لمن يستحق العذاب الا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه وهو العزيز اي الغالب ثم وجب ان يوصف بالحكيم على سبيل الاحتراس لئلا يتوهم انه خارج عن الحكمة اه وقيل المعنى في قوله فانك أنت العزيز فأنت الذي لا ينقص من عزه شيء بترك العقوبة والانتقام ممن عصاه الحكيم في كل ما يفعله من العذاب والمغفرة اه قال ابن حجر وغيره وانما داوم صلى الله عليه وسلم على تكريرها من هول ما ابتدأت به من العذاب مما أوجب اشتعال نار الخوف في الجوف ومن حلاوة ما ختمت به من الغفران مما اقتضى الطرب والسرور في الجنان اه ويستفاد من هذه الآية المطلوب من العاملين الاعتماد على فضله تعالى وكرمه لا على العمل لان مقتضى عدله تعالى أن يفعل ما شاء ولا يبالي باعمال العاملين ولذلك قال في الحكم المحكم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالني منها فضلك كما يستفاد من الآية أيضا ان المطلوب من الغافلين عدم اليأس من رحمة أرحم الراحمين والحاصل ان المطلوب من كل احد أن يجمع بين الخوف والرجاء اذ لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا سليمان بن حرب نا شعبة عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله) اي ابن مسعود (قال صليت ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل قائما حتى هممت بامر سوء) بالاضافة وعدمها وبفتح السين وضمها وهو بالفتح مصدر وبالضم اسم وشاعت الاضافة في المفتوح قاله في المفتوح وقد قرئ بالوجهين عليهم دائرة السوء والباء للتعدية والمعنى قصدت أمرا سيئا (قيل له وما هممت قال هممت ان أقعد) اي اصلي قاعدا (وأدع النبي صلى الله عليه وسلم) اي اتركه يصلي قائما قال الكرماني في شرحه للبخاري فان قلت القعود جائز في النفل مع القدرة على القيام فما معنى السوء قلت من جهة ترك الادب وصورة المخالفة اه فانما لم يقعد ابن مسعود للتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم او معنى اقعد الخلا أصلي معه بعد ذلك الشفع واتركه يصلي وحده او المراد أقطع القدوة وأتم صلاتي منفردا ولا شك ان ترك الاقتداء به والحرمان من مداومة جماعته امر سوء واحتمال ان المراد يقطع صلاته لا يليق بجلالة ابن مسعود وعلى كل حال فتسمية ذلك سوأ يدل على ان خلاف الأئمة سوء وقد قال صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به قال في الاكمال وفيه حجة ان يرى ان طول القيام افضل وتقدم حيث مسلم عن حذيفة وهو يدل على ذلك أيضا * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا جرير عن الاعمش نحوه) اي اسنادا وحديثا * قال المصنف (حدثنا اسحق ابن موسى الانصاري نا معن نا مالك عن ابي النضر عن ابي سلمة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالسا فيقرأ وهو جالس فاذا بقي من قراءته) اي مقروئه (قدر ما يكون ثلاثين) اي مقدار ثلاثين وفيه اشارة الى ان الذي كان يقرؤه قبل ان يقوم أكثر لان البقية تطلق في الغالب على الاقل (او اربعين آية) يحتمل ان يكون شكا من الراوي عن

وقدم أمامه مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة اثنا عشر الفا ثم خذلوه وسار الحسين غير عالم بذلك فلقي الفرزدق فسأله فقال قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء وروى أن الحسين رضي الله تعالى عنه أنشد الفرزدق فان تكن الدنيا تعد نفيسة * فان ثواب الله أعلى وأنبل وان تكن الابدان للموت انشئت * فقتل امرئ في الله بالسيف افضل

وان تكن الارزاق قسما مقدرا * فقلة حرص المرء في الكسب أجمل وان تكن الاموال للترك جمعها * فما بال متروك به المرء يبخل

ولما وصل القادسية تلقاه الخبر وأمر بالرجوع فقال أخو مسلم لانرجع حتى نأخذ بثارنا أو نقتل فسار فلقيه أوائل خيل عبدالله بن زياد فعدل الى كربلاء فجهز اليه عبيد الله بن زياد عشرين ألف مقاتل وقالوا تنزل على حكم ابن زياد فابى فقاتلوه فحمل عليهم وسيفه مصلت في يده وأنشأ يقول

انا ابن علي الحبر من آل هاشم * كفاني بهذا مفخرا حين أفخر

وجدي رسول الله أكرم من مشى
ونحن سراج الله في الناس يزهر
وفاطمة أمي سلالة أحمد
وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقا
وفينا الهدى والوحي بالخير يذكر
ولما بلغ القتل في آله خمسين صاح
اما ذاب يذب عن حريم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحرث فقاتل بين يديه حتى قتل وكان أكثر مقاتليه الذين كاتبوه ولولا أنهم حالوا بينهم وبين الماء ماقدروا عليه وقاتل قتال الجد الشجعان وقتل رضى الله عنه عددا كثيرا من أبطالهم وشجعانهم حتى قتل * ومن فضائله حديث حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الاسباط وفي رواية الحسن والحسين سبطان من الاسباط وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها ان جبريل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان الحسين مقتول وأراه من تربة الارض التي يقتل فيها فاعطاه لام سلمة واخبرها انه يوم قتله يتحول دما فكان ذلك وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كربلاء وفي رواية فاشار جبريل بيده الي الطف من أرض العراق بناحية الكوفة ولاتخالف لان

عائشة أو ممن دونه ويحتمل أن يكون من كلام عائشة اشارة الى ان ماذكرته مبني على التخمين تحرزا عن الكذب او اشارة الى التنويع بان يقوم تارة اذا بقي ثلاثون وتارة اذا بقي أربعون (قام فقرأ وهو قائم ثم ركع وسجد ثم صنع في الركعة الثانية مثل ذلك) كذا في صحيح مسلم وفيه أيضا عن عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في شيء من صلاة الليل جالسا حتى اذا كبر قرأ جالسا حتى اذا بقي عليه من السورة ثلاثون أو اربعون آية قام فقرأهن ثم ركع اه وهذه الرواية تبين انه انما كان يقرأ جالساً للمشقة التي لحقته في آخر أمره وما كان صلى الله عليه وسلم يدع الافضل الالعذر وقد ورد ان صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فحمله ابن الماجشون على المتنفل من جلوس لغير عذر وأما العذر فاجره غير ناقص لكن في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر قال حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الرجل قاعدا نصف الصلاة قال فأتيته فوجدته يصلي جالسا فوضعت يدي على رأسه فقال مالك ياعبد الله بن عمر قلت حدثت يارسول الله أنك قلت صلاة الرجل قاعدا نصف الصلاة وأنت تصلي قاعداً قال أجل ولكني لست كاحد منكم فقال عياض في الاكمال يعني لست كاحدكم في السلامة من العذر لانه انما فعله للمشقة التي لحقته في آخر عمره من كبر سنه ويحتمل لست كاحدكم في الحكم بل أجري قاعدا كاجري قائما ويكون هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد خص باشياء وهذا مذهبنا والاول باطل لانه لاتبقى معه خصوصية له لان غيره من ذوي الاعذار اجره كامل اه فظاهره انه كان يصلي جالسا لغير عذر وان صلاته قاعدا كصلاته قائما خصوصية له عليه السلام قلت والظاهر والله اعلم هو الاحتمال الاول وان معنى لست كاحد منكم انه لايتصور منه ان يصلي جالسا كسلا وملالا كما يتصور من غيره وانما يصلي جالسا لعذر بخلاف غيره فتارة وتارة فقوله والاول باطل لانه لاتبقى معه خصوصية غير مسلم وفي الحديث صحة تنفل القادر قاعدا وهو اجماع وبعض النفل قاعدا وبعضه قائما وبعض الركعة قاعدا وبعضها قائما وجعل بعض قراءة النفل في القيام وبعضها في القعود في كل ذلك وفيه رد على من اشترط على من افتتح النافلة قاعدا ان يركع قاعدا وقائما أن يركع قائما وهو محكي عن أشهب وبعض الحنفية تمسكا بحديث عبد الله بن شقيق عن عائشة وهو المشار اليه بقوله (حدثنا أحمد بن منيع نا هشام نا خالد الحذاء) بتشديد المعجمة (عن عبدالله بن شقيق قال سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي عن كيفيتها (عن تطوعه) أي بالليل والجار والمجرور بدل من قوله عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي قوله تطوعه اشعار بان صلاة الليل لم تكن فرضا عليه حينئذ (فقالت كان يصلي ليلا طويلا) أي زمنا طويلا فطويلا صفة لقوله ليلا (قائما) حال (وليلا طويلا قاعدا) أي زمنا طويلا من الليل حال كونه قاعدا وليس المراد انه كان يطول في صلاته (فاذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم) هذا والله أعلم يصدق بما اذا كانت القراءة كلها من قيام وبما اذا ابتدأها جالسا وأتمها قائما كما في الحديث

ذلك الموضع يسمى كربلاء وبالطف كذا قيل وقيل كربلاء قريب من الطف وروى الطبراني أما حسن فله هيبتي وسوددي وأما حسين فله جرأتي وجودي * وروى البغوي وغيره سمي هرون ابنيه شبرا وشبيرا واني سميت ابني الحسن والحسين وجاء أن العرب لم تسم بهما في الجاهلية ومما ظهر من الآيات يوم قتله ان السماء أمطرت دما وان أوانيهم ملئت دما وأن السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حتى رئيت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت وان الكواكب ضرب بعضها بعضا

وانه لم يرفع حجرا الا وجد تحته دم عبيط وان الورس انقلب دما وان الدنيا اظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل احمرت ستة اشهر ثم لازالت الحمرة ترى بعد ذلك * وعن ابن سيرين أخبرنا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين قال ابن الجوزي وحكمة ذلك ان غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية فاظهر تأثير غضبه من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظيم الجناية وقوله ليس ينسيني الطف باظهار اعراب (٧٠) لام المعتل ضرورة كقوله ولم تكن * تساوى عندي غير خمس دراهم

قيل (واذا قرأ) أي أتي بجميع القراءة (وهو جالس ركع وسجد وهو جالس) وعلي هذا فلا ينافي الرواية قبله ولا دليل فيه لما قاله أشهب وبعض الحنفية لكن في بعض طرق هذا الحديث في صحيح مسلم فاذا افتتح الصلاة قائما ركع قائما واذا افتتح الصلاة قاعدا ركع قاعدا فيحمل اذن علي انه صلى الله عليه وسلم كان له أحوال مختلفة فكان مرة يفتتح قاعدا ويتم قراءته قاعدا ويركع قاعدا ومرة يفتتح قاعدا ويقرأ بعض قراءته قاعدا وبعضها قائما ويركع قائما وقد جاء في صحيح مسلم عن عائشة أيضا انه كان يفتتح قاعدا ويقرأ قاعدا ثم يقوم فيركع وأما ركوعه من جلوس بعد القراءة من قيام فلم نقف عليه * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسي الانصاري نا معن نا مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن المطلب بن أبي وداعة السهمي عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في سبحته) بضم السين وسكون الموحدة اي في نافلته (قاعدا) وسميت النافلة سبحة لاشتمالها علي التسبيح ولم يسم الفرض بالسبحة مع اشتماله علي التسبيح أيضا لان التسبيح في الصلاة نفلا كانت او فرضا نفل فاشبه النفل في كونه غير واجب على ان المناسبة في وجه التسمية لا تشترط عند المحققين وعلى اشتراطها فلا يشترط اطرادها ولا انعكاسها وزاد مسلم من هذا الوجه في أول هذا الحديث ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته قاعدا حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلي في سبحته قاعدا الحديث (ويقرأ بالسورة ويرتلها) اى يتبين حروفها وحركاتها وسكناتها (حتى تكون اطول من اطول منها) اى حتى تكون السورة التي يرتلها أطول من سورة هي اطول من تلك السورة المرتلة حال كونها غير مرتلة * قال المصنف (حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني نا الحجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرني عثمان بن ابي سليمان ان أباسلمة بن عبد الرحمن أخبره) اى عثمان (أن عائشة اخبرته) اى اباسلمة (ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى كان أكثر صلاته) اى نافلته لقول أم سلمة في حديثها الا المكتوبة انظر المناوى (وهو جالس) أي حتى وجدا كثر نافلته حال جلوسه فكان تامة قاله ابن حجر قال وزعم انها ناقصة وان الواو زائدة وجملة وهو جالس خبرها تكلف بعيد لا يعول عليه اه وفي مسلم عن عائشة قالت لما بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل كان أكثر صلاته جالسا ومعنى بدن أسن وتقدم حديث مسلم عن حفصة ثم أشار المصنف الى أحاديث رواتب الصلوات فقال (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم عن ايوب عن نافع عن ابن عمر قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر) ليس المراد بالمعية هنا انه صلى الركعتين مع النبي صلى الله عليه وسلم جماعة وانما المراد انه صلاهما كما صلاهما النبي صلي الله عليه وسلم (وركعتين بعدها) اى الظهر وفي نسخة بعدهما بضمير التثنية أي الظهر والركعتين قبلها (وركعتين بعد المغرب في بيته) ابن حجر يحتمل رجوعه للثلاثة قبله ولسنة المغرب فقط اه وجزم العراقي بالاول ويؤيده ما في مسلم عن عائشة قالت كان يصلي في بيته قبل الظهر أربعا

وفي نسخة ينسيني الطف ومصابيهما اي مصيبتهما وفجيعتهما ورزيتهما والمراد احدهما وهو الحسين علي حد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اذ هما انما يخرجان من الملح فقط واما الحسن فانما مات بالمدينة وكربلاء تقدم انه موضع قريب من الطف او هو عينه وهما من العراق وقبره هنالك معروف يزار ويتبرك به قاله ابن حجر * وقال الشيخ سيدى عبد الوهاب الشعراني في الطبقات ان بعض عمال مصر اعطى علي الرأس الشريف نحوا من ثلاثين ألف دينار ونقله الى مصر وبنى عليه المشهد الحسيني وخرج هو وعسكره الى نحو الصالحية بطريق الشام مشاة حفاة يتلقون الرأس فوضعه في برنوس من حرير اخضر على كرسي آبنوس وفرشوا تحته الطيب والعنبر والمسك انظر الطبقات

(مارعى فيهما ذمامك مروّ
س وقد خان عهدك الرؤساء)

اى ما لاحظ ولا راقب والذمام الحرمة ومروّس تابع كجندة في الحسن وابن زياد واتباعه في الحسين والرؤساء المتبعون المتمردون في الظلم كيزيد فهما فارا بمنزلة الشهادة العظمى والغيرباء بخسارة الدنيا

(ابدلوا الود والحفيظة في القر * بي وابدت ضبابها النافقاء) فاعل ابدلوا يعود علي المرؤسين والرؤساء ثم

والود المحبة التي اوجبها الله تعالى في القربى والحفيظة الحمية والغضب والمراد بالقربى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل بيته يعني تركوهما وأخذوا بضديهما فقطعوا مودتهم وتحلفوا عن نصرتهم ولم يمتثلوا قول الله تعالى الدال علي وجوب مراعاتهم ومراقبتهم قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى علي القول بان المراد بالقربى القرابة روى عن الحسن بسند حسن انه خطب

خطبة بليغة فيها أنا الحسن بن محمد أنا ابن البشير انا ابن النذير وأنا من أهل البيت الذي افترض الله تعالى مودتهم وموالاتهم على كل مسلم فقال عز وجل فيما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى وفي رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيه حسنا قال اقتراف الحسنة مودتنا * وعن ابن عباس رضي الله عنهما بسند فيه شيعي غال لكنه صدوق أنه لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا محبتهم قال على (٧١) وفاطمة وابناهما * وروى عن ابن

ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ويصلي بالناس العشاء ويدخل في بيته فيصلي ركعتين الحديث وجزم صاحب المدخل بالثاني وعلله بان ذلك شفقة على الاهل لأن الشخص قد يكون صائما فينتظره أهله وأولاده للعشاء ويتشوفون الى مجيئه فلا يطول عليهم وقد نقل كلامه الحطاب ويؤيده ما في مسلم عن ابن عمر قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر سجدتين وبعدها سجدتين وبعد المغرب سجدتين وبعد العشاء سجدتين وبعد الجمعة سجدتين فاما المغرب والعشاء والجمعة فصلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيته اه ويؤيده أيضا قوله هنا (وركعتين بعد العشاء في بيته) حيث فصله عما قبله وقد قال في الاكمال رجح النخعي وأبو عبيدة ايقاع الرواتب في البيوت لفعله صلى الله عليه وسلم ذلك ولقوله صلى الله عليه وسلم صلاة أحدكم في بيته أفضل الا المكتوبة ولئلا تخلو البيوت من الصلاة ولئلا يختلط أمرها فيعتقد انها من الفرائض ورجح غيرهما ايقاعها في المسجد وقال مالك والثوري صلاة النهار بالمسجد وصلاة الليل بالبيت قال الابي ووجهه ابن رشد بأنه بالنهار يشتغل بالباطل قال فان أمن فالبيت أفضل وسمع ابن القاسم تنفل الغريب بمسجده صلى الله عليه وسلم أحب الى ابن رشد لان الغريب لا يعرف وغيره يعرف وعمل السر أفضل اه وقال الحطاب قال في المدخل في آداب طلب العلم ينبغي أن يشد يده على مداومته على فعل السنن والرواتب وما كان منها تبعا للفرض قبله أو بعده فاظهارها في المسجد أفضل من فعلها في بيته كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل عدا موضعين كان لا يفعلهما الا في بيته بعد الجمعة وبعد المغرب ثم وجه ذلك بما تقدم فانظره * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم نا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال وحدثتني) قيل الواو عاطفة على محذوف اى حدثتني غير حفصة وحدثتني (حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين) يعني ركعتي الفجر (حين يطلع الفجر وينادي المنادي) اى يؤذن المؤذن (قال أيوب أراه) بضم الهمزة أي أظن نافعا (قال) اى بعد قوله ركعتين (خفيفتين) قد صح تخفيفهما من طرق في الصحيحين وغيرهما وفي مسلم عن عائشة انها كانت تقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتي الفجر فيخفف حتى اني لاقول هل قرأ فيهما بام القرآن قال القرطبي هذا كناية عن التخفيف لا أنها شكت هل قرأ أم لا قال في الاكمال فيه حجة لمالك والمشهور والجمهور ان من سنتهما التخفيف وظاهر الحديث الاقتصار فيهما على الفاتحة وهو اختيار مالك وجمهور أصحابه وعنه وعن أحمد والشافعي استحسان القراءة بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد على ما جاء في حديث أبي هريرة عند مسلم وصح نعم السورتان يقرأ بهما في ركعتي الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وأجاز الثوري والحسن وأبو حنيفة لمن فاته حزبه من الليل أن يقرأه فيهما وان طال وفي مسلم من حديث ابن عباس أنه كان يقرأ في الاولى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية التي في البقرة

عباس غير هذا وأخرج الطبراني عن زين العابدين أنه لما جيء به أسيرا عقب مقتل أبيه وأقيم على درج مسجد دمشق قال بعض جفاة أهل الشام الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له أما قرأت قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى قال وأنت منهم قال نعم وصح خلافا لابن الجوزي أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله عز وجل وأحبوا أهل بيتي لحبي وصح أيضا قال ما بال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله تعالى ولقرابتهم مني وفي حديث والذي نفسي بيده عز وجل لا يؤمن أحد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عادام ألا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى وفي حديث ان لكل بني أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين لفضلهم من أحبهم أحب الله تعالى ومن أبغضهم أبغض الله تعالى والذي نفسي بيده عز وجل لا يبغض أهل البيت أحد الا كبه الله تعالى في النار وسيأتي مزيد لهذا عند قوله سدتم الناس بالتقى وروى أحمد والترمذي حديث من أحبني وأحب حسنا وحسينا وأباهما وأمهما كان معي في الجنة زاد أبو داود ومات متبعا لسنتي قوله وأبدت ضبابها النافقاء الضباب جمع ضب وأراد يرابيعها جمع يربوع لان النافقاء لا تكون الا لها والنافقاء هو احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها حتى لا يصاد منها ويجعل الحاجز بينهما وبين الفضاء قريبا فاذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي خرج من نافقائه وفي هذا تشبيه المكرة

بالحسنين حتى فعلوا معهما مافعلوا باليرابيع فى مكرها المذكور فهو استعارة تصريحية وفى ذكر النافقاء استعارة ترشيحية أو تشبيه ماعند أولئك من النفاق بالنافقاء بجامع الاظهار بعد الابطان فهى استعارة مصرحة رشحت بذكر الضباب والظاهر أن الضباب هنا جمع ضب وهو الفل والحقد بدليل ان الضب اى الحيوان المعروف لانافقاء له

(وقست منهم قلوب علي من * بكت الارض فقدهم والسماء) أى اشتدت وغلظت وهذا مقتبس من مفهوم قوله فما بكت عليهم السماء والارض اى قوم فرعون معه ومفهومه ان المؤمن تبكى عليه السماء والارض اما الارض فحال سجوده وعبادته واما السماء فحال صعود اعماله كما جاء فى الحديث والحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وخيار المؤمنين والبكاء من الارض والسماء عليهما حقيقى اذ لامانع منه وهذا اولى من تقدير المضاف

(فابكهم مااستطعت ان قليلا
فى عظيم من المصاب البكاء)

اي فابكهم ايها المخاطب مدة دوام استطاعتك تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبجبريل عليه السلام وبعلى رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه روى ابن سعد عن الشعبى قال مر علي بكربلاء عند مسيره الى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الارض فقيل له كربلاء فبكى حتى بل الارض من دموعه قال دخلت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقلت مايبكيك قال كان عندى جبريل انفا واخبرنى ان ولدى الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء فقبض قبضة من تراب اشمنى اياها فلم املك عينى ان فاضتا واخرج الترمذى ان ام سلمة رضي الله عنها رأت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام باكيا وبرأسه ولحيته المكرمتين التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفا وكذا رآه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نصف النهار اشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال دم الحسين واصحابه لم ازل أتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل فى ذلك اليوم ثم قال ابن حجر فان قلت الامر بالبكاء ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجبت لاتبكين باكية ومن ثم قال ائمتنا يكره البكاء بعد الموت قلت ليس المراد بالبكاء المأمور به هنا حقيقته بل لازمه من

وفى الآخرة منهما آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وعنه أيضا انه كان يقرأ فى الثانية قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية اه قال ابن حجر وروى أبو داود انه قرأ فى الثانية ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وانا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم اه وحكى الطحاوى عن قوم انه لاقراءة فيهما جملة قال فى جمع الوسائل من القواعد المقررة ان قراءة سورة قصيرة افضل من آيات كثيرة لكن يستحب ان يعمل بكل حديث ولو مرة فيأتى بكل ماورد واما الجمع بين الآيات الواردة فى ركعتيه علي مااختاره ابن حجر تبعا للنووى فى استحباب الجمع بين قوله ظلما كثيرا وظلما كبيرا فهو ظاهر الدفع اذ الوارد كل منهما على حدة لا كلها مجتمعة اه وهل ركعتا الفجر من السنن او من الرغائب قولان وفي صحيح مسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا ومافيها وقال هما احب الى من الدنيا جميعا وفيه ايضا عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على شيء من النوافل اشد معاهدة منه علي ركعتين قبل الصبح قال فى الاكمال فيه حجة للكافة وكبار اصحاب مالك انهما سنة وصلاته لهما يوم الوادي يدل على تأكيدهما وفى الحديث انهما المراد بقوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار السجود وعن مالك انهما من الرغائب لقوله هما من النفل ولم يقل من السنن ولكن ماسوى الفرض يسمى نفلا ويتنوع الي سنة وفضيلة ومستحب ومرغب فيه واوجبهما الحسن * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا مروان ابن معاوية الفزارى) بفتح الفاء وتخفيف الزاي (عن عبد الله بن برقان) بضم الموحدة (عن ميمون) بالصرف (ابن مهران) بكسر الميم ويضم (عن ابن عمر قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني ركعات ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب) قال ابن حجر ويندب الوصل بينهما وبين الفرض لخبر رزين من صلى بعد المغرب ركعتين قبل ان يتكلم اي بغير الذكر الوارد كما هو ظاهر رفعت صلاته فى عليين (وركعتين بعد العشاء قال ابن عمر وحدثتنى حفصة بركعتى الفجر ولم اكن اراهما) اى ابصرهما (من النبي صلى الله عليه وسلم) اي لانه لم يكن يصليهما الا فى البيت وفي رواية البخارى وكانت ساعة لا ادخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثم رواية المصنف فى هذا الكتاب ان ابن عمر لم يره يصليهما منافية كما قال ابن حجر لروايته ورواية النسائى من حديث ابن عمر رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا كان يقرأ بهما فيهما اي بسورتى الكافرون والاخلاص فى ركعتى الفجر ومن ثم استدل به بعضهم على الجهر بالقراءة فيهما وأجيب بأنه لاحجة فيه لاحتمال انه عرف ذلك بقراءته بعض السورة علي انه صح عن عائشة انه كان يسر فيهما بالقراءة والاسرار هو مشهور مذهب مالك قال فى جمع الوسائل ويمكن ان يجاب بأنه لم يكن يره قبل ان تحدثه حفصة كما يشير اليه قوله رمقت والله اعلم * قال المصنف (حدثنا ابو سلمة يحيى بن خلف نا بشر بن المفضل عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يصلى قبل الظهر ركعتين

التأسف والحزن على ما حصل للدين وأهله من استباحة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل أهل بيته ظلما اه فان قلت كيف نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن البكاء وبكى كما فى الحديث المذكور قلت المنهى عنه انما هو البكاء بعد الموت لوقوع اليأس به فوجود البكاء حينئذ ربما دل على نوع تبرم بالقضاء والواقع هنا البكاء قبله وأيضا المنهي عنه البكاء الاختيارى والواقع منه محض رحمة ولعله اضطرارى وفى الحديث العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا مايرضى الرب عزوجل وليس بحرام البكاء بعد الموت بل الحرام القول بما لايرضى الرب وقوله ان قليلا فى عظيم الخ يعنى ان البكاء وان كثر هو اقل جزء مايقابل به المصاب العظيم أى الرزية الكبيرة الواقعة لأوليائه بقتلهم وكان العبارة فيها قلب وأى رزية أعظم من قتل الحسنين رضى الله تعالى عنهما وغير القليل هو قتل قاتليهم ودوام نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة الثناء عليهم واذلال أعدائهم وغير ذلك

وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين وبعد العشاء ركعتين وقبل الفجر ركعتين) اعلم ان من الصلوات مايتنفل قبله وبعده وهى الظهر والعشاء ومنها مايتنفل قبله لا بعده وهى الصبح والعصر ومنها مايتنفل بعده لا قبله وهى المغرب ولم يذكر المصنف التنفل قبل العشاء لانه كما قال الشيخ زروق لم يرد فيه شيء معين لكن قوله عليه الصلاة والسلام بين كل أذانين صلاة والحديث فى مسلم والمراد بالاذانين الاذان والاقامة والمغرب مستثناة من ذلك على المشهور ولم تذكر عائشة ولا ابن عمر هنا راتبة للعصر وسيأتي فى حديث علي رضى الله عنه وقبل العصر أربعة قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة اختلف فى العصر هل لها راتبة أم لا وقد صحح ابن حبان من طريق ابن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله امرأ صلى أربعا قبل العصر وذكره فى الموطأ والله اعلم انتهى وفي الاكمال لم يأت فى حديث الام التنفل قبل العصر وجاء فى المصنفات ففى حديث ابن عمر حض على أربع قبل العصر وفي حديث على ركعتين فمن شيوخنا من اختار الاخذ بحديث الاربع ومنهم من اختار الاخذ بحديث الركعتين وقال الحسن وابن المسيب والنخعى لا راتبة قبل العصر وحكاه العبدى من شيوخنا العراقيين عن المذهب اه وكما وقع الاختلاف فى عدد راتبة العصر وقع فى راتبتى الظهر فقد تقدم عن ابن عمر وعائشة ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها ويأتى فى حديث على ويصلي قبل الظهر أربعا وبعدها ركعتين وفى مسلم عن عائشة كان يصلى فى بيته قبل الظهر أربعا وقال الشيخ زروق فى شرح الرسالة أخرج الترمذى بسند صحيح عن أم حبيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على اربع قبل الظهر واربع بعدها حرمه الله على النار اه ووقع الاختلاف ايضا في راتبة العشاء فعن ابن عمر وعائشة ركعتين كما تقدم قال ابن حجر وروى أبو داود عن عائشة ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل فى بيتى الا صلى أربع ركعات أوست ركعات اه وهذا الاختلاف يدل على التوسعة وان الاعداد الواردة ليست للتحديد وهو مذهب مالك خلافا لابن حبيب ونص المدونة لم يؤقت قبل الصلاة ولا بعدها ركوعا معلوما وانما يؤقت فى هذا أهل العراق * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت عاصم بن ضمرة يقول سألنا عليا عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من النهار) أي عن كيفية نوافله التى كان يفعلها فى النهار (قال) اى عاصم (قال) اى علي رضى الله عنه لما فهم ان سؤالهم عنها للاقتداء به صلى الله عليه وسلم فيها لا لمجرد العلم بها (انكم لا تطيقون ذلك) أى باعتبار الكيفية والاتقان ومايصحب ذلك من الخشوع والخضوع او باعتبار الدوام والمواظبة فانه صلى الله عليه وسلم كان يداوم على العبادة وهم لا يطيقون المداومة عليها باعتبار الكثرة وفيه اشارة الى ترغيب السائلين فى المداومة على العبادة على وجه المتابعة وان المقصود من العلم هو العمل (قال) اى عاصم (قلنا من أطاق ذلك منا) أى فعل ومن لم يطق علم ذلك (فقال كان) أى النبي صلى الله عليه وسلم (اذا كانت الشمس) اى

(كل يوم وكل أرض لكربى منهم كربلا وعاشوراء)

اى كل ذلك لاجل كربى وهو الغم الذى يأخذ بالنفس بحيث يخشى فوتها وقوله منهم اى بسببهم وكربلا راجع لكل أرض وعاشوراء راجع لكل يوم ففيه لف ونشر معكوس أى كل يوم بسبب الهم الذى حصل لى بقتلهم يوم عاشوراء وهو الزمن الذى قتل فيه الحسين وكل أرض بسبب ذلك كربلاء وهى الارض التى قتل فيها فكربي بسبب قتلهما عم جميع ما أنا فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقنى بالانتقال من زمن لآخر ولا من أرض لاخرى وبين كربي وكربلاء جناس شبيه الاشتقاق

(آل بيت النبي ان فؤادى ليس يسليه عنكم التأساء)

آل بالنصب على النداء وهم مؤمنو بنى هاشم عند المالكية والمطلب أيضا عند الشافعية وهو قول للمالكية أيضا وهم المراد فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أكثر المفسرين انها نزلت فى على وفاطمة والحسنين رضى الله تعالى عنهم وقيل نزلت فى نسائه رضى الله تعالى عنهن ونسب لابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكان عكرمة مولاه ينادى به فى السوق ورد بتذكير ضمير عنكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما

ورجح بأنهن سبب النزول فيدخلن قطعا ويدل له ماصح عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قلت يارسول الله أنا من اهل البيت قال بلى ان شاء الله تعالى وروى مسلم انه أدخل أولئك الاربعة تحت كساء وقرأ الآية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعلهم تحت الكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفي حديث حسن انه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال عليه الصلاة والسلام هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري ايام بملاءتي هذه فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين قوله ان فؤادي ليس يسليه عنكم أي ليس ينسيه محبتكم ولا يذهب بها التاساء بفوقية أوله قال في المنح المكية أي ما يحصل له من الشدائد والمحن وفي القاموس تاساه آذاه واستخف به بل محبتكم فيه مقيمة على الدوام لاتزلزلها محنة ولاتنقصها شدة *(فائدة)* ليس فعل جامد معناه نفي مضمون الجملة في الحال ونفي غيره بالقرينة وقيل هي لنفي الحال وغيره وقواه ابن الحاجب بقوله تعالى ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم قال ابن مالك وترد للنفي العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يغفل عنه وخرج عليه ليس لهم طعام الامن ضريع

(غير اني فوضت أمري الى الله وتفويضي الامور براء)

غير بالنصب استثناء منفصل وفوضت أمري رددت شأني اليه وسلمته وتفويضي الامور اليه وهو مقدرها ومدبرها براء بفتح الباء أي تبرؤ من حولي وقوتي الى حوله وقوته وهذا متعين علي كل عاقل فضلا عن فاضل كامل وفي الحديث لاحول ولا قوة الا بالله براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنة وفي هذا تسلية عما جرى لهم رضي الله عنهم ويزاد في التسلية بأن الله تعالى اختار لنبيه وأهل بيته الآخرة على الدنيا ليزهدوا في الدنيا ويرغبوا عنها لقرب تقضيها وسرعة تقلبها وانقراضها وقد قال صلى الله عليه وسلم انا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وقوله براء ولا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث بل يقال انا براء منه ونحن براء منه بلفظ واحد لكل من المفرد والمتعدد وبين فوضت وتفويضي جناس الاشتقاق وجملة تفويضي الى آخره تذييل عباد

في الارتفاع (من ههنا) اشارة الى جانب المشرق (كهيئتها من ههنا) اشارة الى جانب المغرب (عند العصر) وهو منتصف مابين طلوع الشمس الى الزوال (صلى ركعتين) وهما سنة الضحي وسيأتي الكلام عليها (واذا كانت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا) أي كقدرها في الارتفاع (عند الظهر صلى أربعا) قال ابن حجر في آخر باب الضحي هذه الاربع ورد مستقبل سببه انتصاف النهار وزوال الشمس وعند زوالها تفتح أبواب السماء فهو نظير النزول الالهي المنزه عن الحركة والانتقال بعد نصف الليل اذ كل منهما وقت قرب ورحمة اه وسيأتي هذا في حديث عبد الله بن السائب وأبي أيوب الانصاري وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدمن هذه الاربع وقد نقل الشيخ على الاجهوري كلام ابن حجر هذا وأقره واستبعده في جمع الوسائل قائلا اذ لا يعرف منه صلى الله عليه وسلم المداومة على سنة غير سنة الظهر حينئذ ولهذا لم يعد أحد من الفقهاء صلاة الزوال من السنن المؤكدة ولا من المستحبة اه قلت والظاهر ماقاله ابن حجر من ان هذه الاربع ورد مستقل وأما تفسيرها بصلاة الاوابين كما عليه بعض الشراح وارتضاه في جمع الوسائل هنا وهي الصلاة التي تفعل قبل الزوال بالقرب منه كما اشار اليه في حديث مسلم بقوله عليه السلام صلاة الاوابين حين ترمض الفصال أي حين تحترق اخفاف صغار اولاد الابل بشدة حرارة الرمل من الشمس فيبعده أن صلاة الاوابين هي صلاة الضحى قرب الزوال قال النووي وهو عندنا أفضل صلاة الضحى وصلاة الضحي قد قدمها في قوله اذا كانت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا عند العصر الخ وأما تفسيرها بسنة الظهر كما قرره في جمع الوسائل في حديث عبد الله بن السائب الآتي فيبعده أيضا قوله هنا (ويصلي قبل الظهر أربعا) لان هذه الاربع هي سنة الظهر كما هو ظاهر ثم ماهنا موافق لما في مسلم عن عائشة كان يصلي في بيته قبل الظهر أربعا ومخالف لما تقدم عنها وعن عمر من انه كان يصلي قبل الظهر ركعتين فاما ان يحمل على حالين واما ان يقال كان يصلي في بيته ركعتين أو أربع ركعات ثم يخرج فيصلي ركعتين فرأى ابن عمر مافي المسجد دون ما في البيت واطلعت عائشة على الأمرين (وبعدها ركعتين وقبل العصر أربعا) قال ابن حجر لاينافيه خبر أبي داود عن علي ايضا كان يصلي قبل العصر ركعتين لاحتمال أنه تارة يصلي أربعا وتارة يصلي اثنتين وفي مسلم ان أباسلمة سأل عائشة عن السجدتين اللتين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما قبل العصر ثم انه اشتغل عنهما أو نسيهما فصلاهما بعد العصر ثم اثبتهما وكان اذا صلى صلاة أثبتها أي داوم عليها وفي أبي داود عنها كان يصليهما وينهى عنهما وهو صريح في انهما من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وروى المصنف انهما سنة الظهر البعدية شغل عنهما بقسمة مال فلعله كان يقضيهما قبل العصر أولا ثم شغل عنهما أيضا قبله فقضاهما بعده واستمر على ذلك اه ببعض اختصار (يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبيين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين) قيل المراد بالتسليم تسليم التشهد وهو السلام علينا وعلى

(رب يوم بكر بلاء مسيء * خففت بعض وزره الزوراء) رب حرف تقليل ويوم معمولها ومسيء وصفه بما وقع فيه من قتل الحسين وذويه وخففت بعض وزره أي ثقله على النفوس ذات الغيرة لاهل البيت من ذلك المصاب العظيم والزوراء بغداد قال في القاموس لان أبوابها الداخلة جعلت مزورة عن الخارجة يعني مافعل بانوها وهم ملوك بني العباس ببني أمية بعد ان ملكهم الله تعالى ونصرهم لان بني أمية عتوا وجاروا ولم يراقبوا الله ولا رسوله طرفة عين في آل البيت الطاهرين المطهرين الكاملين الجامعين بين العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكرامات الباهرة والمعاني الفاخرة فلما نصر الله بني العباس على بني أمية أخذوا بثار الحسين وذويه وقتلوهم شر قتلة وشردوهم على كل ناحية وقطعوا دابرهم واستأصلوا شأفتهم وأزالوا من الارض جورهم وفسقهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

(والاعادي كأن كل طريح منهم الزق حل عنه الوكاء)

الاعادي جمع عدو يعني فسقة بني أمية كأن كل طريح أي مطروح منهم على الارض بالسيوف والرماح العباسية والزق بكسر الزاي جلد منتفخ وفي القاموس الزق السقاء أو جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره والوكاء الرباط وهو ما يشد به رأسه وقصصهم مشهورة في التواريخ ككتاب تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطي رحمه الله تعالى * وفي الطبقات الشعرانية ان أهل السير رووا ان الله عز وجل أوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم انى قتلت بيحيى بن زكريا خمسة وتسعين ألفا ولاقتلن بالحسين ابن ابنتك قدر ذلك مرتين اه وكان ممن تولى قتله شمر بن ذي الجوشن الكلابي قبحه الله وسنان ابن أوس النخعي فأما سنان فجاء الى ابن زياد مبشرا له بقوله

أوقر ركابي فضة وذهبا * اني قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال حيث علمته كذلك فلم قتلته ثم قتله وأما شمر فقتله المختار بن عبيد الثقفي شر قتلة وأوطأت الخيل صدره وظهره وأخرج ابو الشيخ عن يعقوب بن عثمان قال كنت في ضيعتي فصليت العتمة ثم جلسنا جماعة فذكروا الحسين فقال رجل ما أعان على قتله أحد الا اصابه قبل أن يموت بلاء ومعنا شيخ كبير فقال أنا ممن شهده وما أصابني أمر أكرهه الى ساعتي هذه قال فطفئ السراج فقام ليصلحه فأخذته

عباد الله الصالحين فانه كما ورد في الصحيح يشمل كل عبد لله صالح في السماء وفي الارض قال ابن حجر وفيه نظر وانما المراد بالتسليم تسليم التحلل من الصلاة فيسن للمسلم منها أن ينوي بقوله السلام عليكم من علي يمينه ويساره وخلفه من الملائكة ومؤمني الجن والانس اه قال في جمع الوسائل ولا يخفى ان سلام التحليل انما يكون مخصوصا بمن حضر المصلي من الملائكة والمؤمنين ولفظ الحديث أعم منه حيث ذكر الملائكة المقربين والنبيين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين اه وعلى ما اختاره في جمع الوسائل فيحتمل انه سلم من كل ركعتين ويحتمل أنه من باب التنفل باربع وسيأتي الكلام على ذلك قال في جمع الوسائل ولعل الجمع بين الوصفين مع ان موصوفهما واحد للاشارة الى انقيادهم الباطني والظاهري والجمع بين النسبة العلمية والمباشرة العملية اه * (تنبيه) * قال في الاكمال قيل حكمة هذه الرواتب أن أوقات الصلوات تفتح فيها أبواب السماء ويستجاب فيها الدعاء فرغب في تكثير العمل حينئذ اه وقال في التوضيح حكمة تقديم النوافل على الصلوات وتأخيرها أن العبد مشتغل بامور الدنيا فتبعد النفس بذلك عن حضور القلب فاذا تقدمت النافلة على الفريضة تأنست النفس بالعبادة وكان ذلك أقرب الى الحضور وأما التأخير فقد ورد أن النوافل جابرة لنقصان الفرائض اه فهي لتكميل ما عسى ان يكون نقصا لكن لا يقصد بتنفله جبران الفرائض فقد كره مالك التنفل بهذه النية قال في سماع ابن القاسم وليس من عمل الناس أن يتنفل ويقول أخاف أني نقصت من الفرض وما سمعت أحدا فعله انظر ابن عرفة والابي * (فائدة) * في مسلم عن أم حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بهن بيت في الجنة وفي رواية من صلى في يوم ثنتي عشرة سجدة تطوعا بني له بيت في الجنة قال الابي والاولي صلاتها من غير الرواتب المذكورة ليحصل ثوابها المذكور مع ثواب الرواتب فان للرواتب ثوابا خاصا

باب
صلاة الضحي

كذا في نسخ المشارقة وهو ساقط في نسخ المغاربة واعلم ان من طلوع الشمس الى الزوال له ثلاثة اسماء فاولها ضحوة وذلك عند الشروق وثانيها ضحى مقصور وذلك اذا ارتفعت الشمس وثالثها ضحاء بالمد وذلك الى الزوال فالضحى اسم لوقت مخصوص وعليه فالاضافة في صلاة الضحى على معنى في كصلاة الليل وصلاة النهار أو من اضافة المسبب الى السبب كصلاة الظهر وقد يطلق اسم الضحى على الصلاة نفسها فتكون الاضافة بيانية * قال المصنف (حدثنا محمود ابن غيلان نا أبو داود الطيالسي نا شعبة عن يزيد الرشك) بكسر الراء لا بضمها خلاف ما وقع في ابن حجر وسيأتي ترجمته في باب الصوم (قال سمعت معاذة) بضم الميم بنت عبد الله العدوية (قالت قلت لعائشة أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى قالت نعم أربع ركعات ويزيد

النار فجعل ينادي النار النار وألقى نفسه في الفرات لينغمس فيه فأخذته النار حتى مات * ومن الغرائب ولا غرابة ان ابن زياد قتله ابن الاشتر عامل المختار يوم عاشوراء في العام المقبل وبعث برأسه ورؤس أصحابه الى المختار فنصب رأس ابن زياد في موضع رأس سيدنا الحسين وروى الترمذي عن عقبة عن عمارة بن عمير قال لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نصبت في المسجد ثم في الرحبة فانتهت والناس يقولون قد جاءت فاذا حية جاءت (٧٦) تتخلل الرؤس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد ثم خرجت فتغيبت ثم رجعت مرتين أو ثلاثا والمختار المذكور وان فعل ما فعل فليس بمختار لانه من الشيعة ومن أراد الاطلاع على تمام الاخبار فعليه بكتب التاريخ للسيوطي وغيره هذا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فقد قال سليمان ابن يسار وجد حجر مكتوب عليه لابدان ترد القيامة فاطمه

وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه

والصور في يوم القيامة ينفخ قال السيد السمهودي وهو شاهد لما روى عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم فتتعلق بقائمة من قوائم العرش فتقول يا عدل احكم بيني وبين قاتل ولدي فيحكم لابنتي ورب الكعبة وعن محمد بن سيرين قال وجد حجر قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلثمائة سنة عليه مكتوب بالسريانية فنقلوه الى العربية فاذا هو

أترجو أمة قتلت حسينا
شفاعة جده يوم الحساب

وروى ان الذين حملوا رأسه نزلوا أول مرحلة فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم حديد فكتبت البيت المذكور بالدم

(آل بيت النبي طبتم فطاب الـ
ـمدح لي فيكم وطاب الرثاء)

يعني آل على أو أعم وتقدم القول فيهم وهم الذين نص الله تعالى في كتابه على تطهيرهم فقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أي من سائر الاخلاق والافعال مرفوعا والاقوال المذمومة وفي الاحاديث تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته اذ هو تمام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب قوم الى أن قطب الاولياء في كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة ختم الآية بتطهيرهم المبالغة في وصولهم لاعلاه وفي دفع النجوز

ماشاء الله) في ضمن هذا الجواب زيادة على ما طلبه السائل وهي الجواب عن السؤال عن عدد صلاته وفيه اشعار بكمال حفظها في القضية لكن الذي في مسلم عن يزيد الرشك قال حدثتني معاذة انها سألت عائشة كم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى قالت أربع ركعات ويزيد ما شاء الله ثم اعلم ان أقل الضحى ركعتان روى المصنف في جامعه وأحمد وابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال أبو هريرة أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وان أوتر قبل ان أرقد متفق عليه ومثله عن أبي الدرداء رواه مسلم وأخرج آدم بن أبي اياس في كتاب الثواب له عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ورفع له مائتي درجة وغفرت له ذنوبه كلها ما تقدم منها وما تأخر الا القصاص وفي مسلم قال صلى الله عليه وسلم يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى وأما أكثر الضحى فظاهر قولها ويزيد ماشاء الله أنه لا حد لاكثرها وأنها لا تنحصر في عدد بل ان صلى مائة ركعة أو أكثر قبل الزوال فهي ضحى وهو الذي اختاره الباجي والسيوطي في حاشية الموطا لكن قال ابن حجر باستقراء الاحاديث الصحيحة والضعيفة علم انه لم يزد على الثمان ولم يرغب في أكثر من ثنتي عشرة ركعة اه ونحوه في الاكمال وظاهره انه صلى الله عليه وسلم لم يصل الضحى ثنتي عشرة ركعة بل رغب فيها فقط بقوله من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة قال المصنف وهو غريب قال ابن حجر الغرابة لا تنافي الصحة والحسن وقول النووي في مجموعه انه ضعيف فيه نظر لان له طرقا تقويه وترقيه الى درجة الحسن وقال في جمع الوسائل روى عن عائشة وأم سلمة على ما ذكره صاحب القاموس في الصراط المستقيم انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي صلاة الضحى ثنتي عشرة ركعة اه قال عياض في قواعده صلاة الضحى ثمان ركعات وقد اختلفت الروايات فيها من اثنتين الى ثنتي عشرة اه وظاهر قولها أربع ركعات ويزيد ماشاء الله ان الاربع هي الغالب من فعله صلى الله عليه وسلم وقد يزيد عليها أحيانا فتكون الاربع أفضل من الست والثمان قال في جمع الوسائل قد يفضل العمل القليل لما اشتمل عليه من مزيد فضل الاتباع على العمل الكثير وقد حكى الحاكم في كتابه المفرد في صلاة الضحى عن جماعة من أئمة الحديث انهم كانوا يختارون أن يصلي الضحى أربعا ويدل عليه أكثر الاحاديث الواردة في ذلك كحديث أبي الدرداء وأبي ذر عند الترمذي مرفوعا عن الله تعالى ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره وقال الشافعية ان الثمان أفضل استدلالا بحديث الفتح مع انه لا يدل على التكرار قطعا انتهى * (تتميم) * قال في جمع الوسائل نقلا عن غيره وجاء في حديث أنس

عنه وتنوينه للتعظيم المشير الى ان ذلك التطهير ليس مما يتعارف ويؤلف ابن حجر وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم خيركم لاهلي وقوله طبتم أي أصلا ونفوسا وأقوالا وأفعالا وطاب المدح أي لذ وزكا وان لم أستوف واجب حقكم ومعالي شرفكم لان الله تعالى أثنى عليكم ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي القاموس مدحه كمنعه مدحا ومدحة أحسن الثناء عليه وطاب الرثاء أي بكائي عليكم بعد موتكم (٧٧) مع تعداد محاسنكم قال في القاموس

مرفوعا من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعا كتب من القانتين ومن صلى ستا كفي ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتب من العابدين ومن صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة وفي اسناده ضعف لكن له شاهد من حديث أبي الدرداء وأبي ذر لكن في اسناده ضعف أيضا قلت لكن يتقوى بعضه ببعض مع ان الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال اه وخرج أبو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته لصلاة مكتوبة فاجره كاجر الحاج ومن خرج الي صلاة الضحي لا ينصبه الا هي فاجره كاجر المعتمر قال صاحب كتاب الترغيب والترهيب قوله لا ينصبه أي لا يتعبه ولا يزعجه الا ذلك اه *قال المصنف (حدثني محمد بن المثنى حدثني حكيم بن معاوية الزيادي نا زياد بن عبيد الله) بالتصغير وفي نسخة عبد الله (ابن الربيع الزيادي عن حميد الطويل عن أنس بن مالك) وكذا روى عن جابر وعن عائشة (ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات) أي في بعض الاوقات *قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلي) اسمه سيار وقيل بلال وقيل داود بن بلال (قال ما أخبرني أحد انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى الا أم هانئ) كذا في مسلم وفي رواية ابن أبي شيبة من وجه آخر عن ابن أبي ليلي قال أدركت الناس وهم متوافرون فلم يخبرني أحد ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحي الا أم هانئ ولمسلم من طريق عبد الله بن الحرث الهاشمي قال سالت وحرصت على ان أجد أحدا من الناس يخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح سبحة الضحى فلم أجد غير أم هانئ أخبرتني فذكر الحديث قال ابن حجر انما فيه انه نفى علمه فلا ينافي ما حفظه غيره علي انه يكفي اخبار أم هانئ (فانها حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل) كذا عند الشيخين وظاهره ان الاغتسال وقع في بيتها ووقع في الموطا ومسلم في كتاب الطهارة من طريق أبي مرة مولى أم هانئ عن أم هانئ أنها ذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو باعلي مكة فوجدته يغتسل ويجمع بينهما اما بان ذلك تكرر منه واما بان يكون نزل في بيتها باعلي مكة وكانت هي في بيت آخر بمكة فجاءت اليه فوجدته يغتسل (فسبح) رواية الصحيحين فصلى (ثمان) أصله ثماني منسوب الى الثمن لانه الجزء الذي صير السبعة ثمانية فهو ثمنها ثم فتحوا أوله لانهم يغيرون في النسب وحذفوا منها احدى ياءي النسب وعوضوا منها الالف وقد تحذف منها الياء ويكتفى بكسرة النون أو تفتح تخفيفا كذا حققه الكرماني (ركعات) في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه كذا في مسلم وروى أبو داود عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح سبحة الضحي ثمان ركعات يسلم من كل ركعتين ولمسلم في كتاب الطهارة ثم صلى ثمان ركعات سبحة الضحي قال ابن حجر وبهذين الحديثين يبطل قول عياض وغيره حديثها ليس بظاهر في قصده صلى الله عليه وسلم سنة الضحي قال في جمع الوسائل بل الصواب قول عياض ومن تبعه لانه لا يلزم من رواية الراوي أنه صلى سبحة الضحى لما دل عليه اقتران وقت

ورثيت الميت رثيا ورثاء ورثاية بكسرهما ومرثاة ومرثية مخففة بكيته وعددت محاسنه

أناحسان مدحكم فاذانح
ت عليكم فانني الخنساء)

أي أنا كهو وهو حسان بن ثابت ابن حرام الانصاري الخزرجي شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أشعر أهل المدر كان رضي الله تعالى عنه يمدح رسول الله صلي الله عليه وسلم ويهجو المشركين ويرد عليهم ما يتقولون في جانب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضي الله تعالى عنهم وفي الحديث عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان ينافح أي يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم أيد حسانا بروح القدس يعني جبريل واراد أن يهجو قريشا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بنسبي اذا له صلى الله عليه وسلم في كل بطن منهم قرابة فقال له لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ونحت عليكم بكيتكم بعد موتكم وعددت محاسنكم وقوله فانني الخنساء أي كهي في بكائها على أخيها صخر وتعداد محاسنه وهي الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية الصحابية رضي الله تعالى عنها قدمت مع قومها بني سليم علي النبي صلى الله عليه وسلم ورأت عليها عائشة رضي الله تعالى عنها ثوب حزن

فاخبرتها بان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بانها لم تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر فسألت أخاها فقاسمها ماله فافتقر فسألته فقاسمها ماله فافتقر ثم الثالثة ثم الرابعة كذلك فعتبته زوجته فاجابها بانها كفته عارها ولومات مزقت خمارها ولبست من شعر صدارها قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب قيل لجرير من أشعر الناس فقال أنا لولا هذه قيل له بم فضلتك قال بقولها ان الزمان وما تفنى عجائبه * أبقى لنا كل مجهول وفجعنا * بالحالمين فهم هام وأرماس

ان الجديدين في طول اختلافهما * لا يفسدان ولكن يفسد الناس واجمع علماء الشعر انه لم تكن امراة قبلها ولا بعدها أشعر منها ومن قولها في أخيها صخر ألا يا صخر ان أبكيت عيني * فقد أضحكتني دهرا طويلا اذا قبح البكاء علي قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا ومنه أيضا يؤرقني التذكر حين أمسي * ويردعني عن الاحزان نكسي علي صخر وأي فتى كصخر * ليوم كريهة وطعان حلس يذكرني طلوع الشمس صخرا * وابكيه لكل غروب الشمس (٧٨) ولولا كثرة الباكين حولي * علي اخوانهم لقتلت نفسي وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي

وسأل المهدي المفضل عن أخر بيت قالته العرب فذكر له قول الخنساء في أخيها

وان صخراً لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار

فاعطاه ثلاثين ألف درهم بعدان شكا عليه عشرة آلاف ورآها عمر رضي الله تعالى عنه تطوف باكية لاطمة لخديها معلقة نعل صخر في خمارها فوعظها فقالت رزئت فارسا لم يرزأ أحد بمثله فقال ان في الناس من هو أعظم رزية منك وان الاسلام غطي ما كان قبله فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها الاربعة فحرضتهم علي الثبات أبلغ تحريض ثم قالت فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا علي أرواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا بالنعيم والكرامة في دار الخلد فتقدموا حتى قتلوا فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو ان يجمعني الله تعالى بهم في مستقر الرحمة فكان عمر رضي الله تعالى عنه يعطيها ارزاقهم لكل مائتان حتى قبض

(سدتم الناس بالتقى وسواكم
سودته البيضاء والصفراء)

أي سدتم الناس يا أهل البيت بالتقى بعد النسب العالي بالحذر من معصية الله تعالى وبالاخذ بطاعته قال في القاموس واتقيت الشيء واتقيته واتقيه وتقيته تقى وتقية وتقاء ككساء حذرته والاسم التقوى وقد علم حالهم في معرفة الله تعالى وخوفهم لله تعالى وهم أعلم الناس وأخوفهم وقد قالوا من كان بالله أعرف كان لله أخوف قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وتقدم ان جماعة يقولون ان القطب لا يكون الا من أهل البيت * وأخرج الطبراني حديث ان أهل بيتي هؤلاء يرون انهم أولى الناس بي وليس كذلك ان أوليائي منكم المتقون من كانوا حيث كانوا وقال الحسن بن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم لبعض الغلاة فيهم ويحكم أحبونا لله تعالى

الضحى انه صلى الله عليه وسلم قصد صلاة الضحى اه قال ابن حجر وأما قول من قال لا تفعل صلاة الضحى الا بسبب لانه صلى الله عليه وسلم انما صلاها يوم الفتح من أجل الفتح أي وانما يقال لها صلاة الفتح وقد صلى خالد بن الوليد في بعض فتوحه لذلك فيبطله ما مر من الاحاديث اه قال في جمع الوسائل فيه انه ليس في الاحاديث ما يدل علي أن الفتح ليس سببا لهذه الصلاة لكن يمكن ان يكون سببا لانشائها ثم المواظبة علي أدائها من غير احتياج الى سبب في كل مرة اه وتأمله (ما رأيته صلى صلاة قط أخف منها) لا يؤخذ منه ندب التخفيف فيها كالفجر لان الثابت انه طول في الضحى وانما خفف يوم الفتح لمهماته وقد روى الحاكم أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي الضحى بسور منها والشمس وضحاها والضحى (غير أنه كان يتم الركوع والسجود) خصت الركوع والسجود لانه كثيرا ما يقع التساهل فيهما فالاستثناء لدفع ما قد يتوهم من قولها ما رأيته الخ وقال الطيبي فيه اشعار بالاعتناء بشأن الطمأنينة في الركوع والسجود لانه صلى الله عليه وسلم خفف سائر الاركان من القيام والقراءة والتشهد ولم يخفف من الطمأنينة في الركوع والسجود قال في جمع الوسائل وفيه انه لا يتصور التخفيف في حصول أصل طمأنينتها بخلاف بقية أحوال الصلاة * قال المصنف (حدثنا ابن أبي عمرنا وكيع نا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى قالت لا الا ان يجيء من مغيبه) اعلم ان بين أحاديث الباب تعارضا في العدد وتعارضا في الثبوت والنفي أما التعارض في العدد ففي حديث عائشة كان يصلي أربعا وفي حديث أنس ستا وفي حديث أم هاني ثمانيا وقد تقدمت أحاديثهم وفي حديث أبي هريرة ركعتين وروي اثنتي عشرة وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين ثم أربعا ثم ستا ثم ثمانيا ووجه الجمع بالنسبة الى الرواة ان كلا روي ما شاهد وأما بالنسبة الي فعله صلى الله عليه وسلم فبين بالركعتين أدنى ما يكون لان النافلة لا تكون أقل منها ثم كان يزيد ما شاء الله كما قالت عائشة فيصليها مرة أربعا ومرة ستا ومرة ثمانيا ومرة اثنتي عشرة علي ما تقدم في ذلك وأما التعارض في الثبوت والنفي فقد تقدم عن عائشة انه كان يصلي أربعا ويزيد ما شاء الله وفي هذا هنا انه كان لا يصليها الا ان يجيء من مغيبه وفي رواية عنها ما رأيته يصلي سبحة الضحي قط وانى لاسبحها وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم وهذه الروايات الثلاث في مسلم والثالثة فقط في صحيح البخاري بلفظ ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح سبحة الضحي وانى لاسبحها ففي الرواية الاولى الاثبات مطلقا وفي الثالثة نفي رؤيتها لذلك مطلقا وفي الثانية تقييد النفي بغير المجيء وقد اختلف العلماء في ذلك فذهب ابن عبد البر وجماعة الي ترجيح ما اتفق عليه الشيخان وقالوا ان عدم رؤيتها لذلك لا يستلزم عدم الوقوع فيقدم من روى عنه من الصحابة الاثبات وذهب آخرون الى الجمع بين أحاديثها قال البيهقي عندي ان المراد بقولها ما رأيته سبحها أي داوم عليها وقولها

فان أطعنا الله تعالى فاحبونا وان عصينا الله فابغضونا ويحكم لو كان الله تعالى نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب اليه منا أي كأبي طالب والله اني لا خاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين ولا يخفى ان نسبهم أشرف الانساب قال تعالى في آية المباهلة فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل الآية قال بعض المفسرين لا دليل أقوى من هذا على فضل علي وفاطمة وابنيهما لان الآية لما نزلت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفها فعلم انهم المراد من الآية وان أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون اليه نسبة حقيقة نافعة في الدنيا والآخرة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم خطب فقال مابال أقوام يقولون ان رحم رسول الله لا تنفع قومه يوم القيامة بل والله ان رحمي موصولة في الدنيا والآخرة الحديث وأخرج الطبراني حديث ان الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وان الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب زاد غيره اذا كان يوم القيامة دعي الناس باسماء أمهاتهم سترا من الله تعالى عليهم الا هذا وذريته فانهم يدعون باسمائهم لصحة ولادتهم لكن ذكر ابن الجوزي هذه الزيادة في العلل المتناهية وعورض بان كثرة طرق الحديث ترقيه الى درجة الحسن أو الصحة وصح عن عمر رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ماخلا سببي ونسبي وفي رواية بزيادة الصهر وذلك هو الذي حمل عمر على تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وصحح الحاكم حديث

واني لاسبحها أي أداوم عليها قال وفي قولها وان كان ليدع العمل الخ اشارة الى ذلك اه وعليه فقولها هنا لا يصليها الا ان يجيء الخ معناه انه لم يكن يداوم عليها في الحضر بل يفعلها تارة ويتركها أخرى الا ان يجيء من سفر قال ابن حجر وردانه صلى الله عليه وسلم كان لا يقدم من سفر الا نهارا وقت الضحى فاذا قدم بدأ بالمسجد أول قدومه فصلى ركعتين ثم جلس فيه اه وقيل ان هذه الصلاة ليست صلاة الضحى انما هي صلاة القدوم ومن ثم قال الابي ان قولها الا ان يجيء الخ استثناء منقطع لانه صلى الله عليه وسلم صلى عند مجيئه صلاة القدوم لا صلاة الضحى وقيل حديث ابن شقيق محمول على صلاته اياها في المسجد وحديث معاذ محمول على صلاته في البيت وأخذ هذا اجمع من كلام ابن حبان وعليه فلا يطلب فعلها في المسجد مطلقا خلافا للشافعية بل عند القدوم من السفر وأما رواية ما رأيته سبح الخ فالمنفي صفة مخصوصة وقال في الاكمال الاشبه عندي في الجمع انها انما أنكرت صلاة الضحى المعهودة عند الناس حينئذ من كونها ثمان ركعات وهو صلى الله عليه وسلم انما كان يصليها أربعا كما قالت ويزيد ماشاء الله ثم قال في الاكمال وجاء من فعله صلى الله عليه وسلم لها وأمره بها ما لا ينكر وعن ابن عباس انها المراد بقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال اه قال ابن حجر أحاديثها تكاد ان تكون متواترة كيف وقد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم من أكابر الصحابة تسعة عشر نقيبا كلهم شهدوا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصليها كما بينه الحاكم وغيره ومن ثم قال شيخ الاسلام أبو زرعة ورد فيها أحاديث كثيرة مشهورة حتى قال محمد بن جرير الطبري انها بلغت حد التواتر اه وفي المناوي نقلا عن ابن العربي انه وقع الاجماع على استحبابها وانما اختلفوا في انها مأخوذة من سنة مخصوصة أو من عمومات اه وما روي عن جماعة من السلف من التصريح بنفيها قال المناوي فاما مضعف أو محمول على المداومة أو على الرؤية والعلم أي والمثبت مقدم على النافي ومن حفظ حجة على من لم يحفظ أو على عدد الركعات أو على اعلانها أو على الجماعة فيها اه وقد صح عن ابن عمر هي بدعة ونعمت البدعة وروي عنه ما ابتدع المسلمون بدعة أفضل من صلاة الضحى وفي البخاري عن مورق قال قلت لابن عمر أتصلي الضحى قال لا قلت فعمر قال لا قلت فأبو بكر قال لا قلت فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا أخاله أي لا أظنه ومراده نفي الجماعة فيها أو اعلانها خوف ان تلحق بالفرائض وقد أنكرها أيضا ابن مسعود على هذا الوجه وقال فان كان لا بد ففي بيوتكم لم تحملون عباد الله ما لم يحملهم الله ولذا رأى جماعة أن تصلى في بعض الأيام دون بعض لئلا تلحق بالفرائض واحتجوا بحديث أبي سعيد كان يصليها حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها * (تنبيه) * حديث عائشة يدل على ضعف ما روي ان صلاة الضحى كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وعدها لذلك جماعة من العلماء من خصائصه ولا يثبت ذلك في خبر صحيح وقول الماوردي في الحاوي انه صلى الله عليه وسلم واظب عليها بعد الفتح الى ان مات اه ليس بحجة لان عائشة قالت انه كان اذا عمل عملا أثبته فلا تستلزم المواظبة معنى الوجوب

وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم وأخرج أحمد حديث والذي بعثني بالحق نبيا لو أخذت بحلقتي الجنة ما بدأت الا بكم وورد في أحاديث ضعيفة ان فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرمها الله تعالى وذريتها على النار نعم أخرج الطبراني بسند رجاله ثقات ان الله تعالى غير معذبك ولا أحدا من ولدك وورد يا عباس ان الله تعالى غير معذبك ولا أحدا من ولدك ولكن لا ينبغي الاغترار بنحو هذا فان ظاهر الوعد لا يقضي على باطن المشيئة ويعني بقوله سواكم الفجرة من بني أمية وأمثالهم وسودته أثبتت له السيادة عند اهل الدنيا امثاله والبيضاء الفضة والصفراء الذهب * (خاتمة) * ثم اعلم ان هذه الآية والاحاديث الواردة في فضائل

أهل البيت رضي الله عنهم هي التي حملت الامام ابن العربي الحاتمي على ان ذكر فيهم كلاما في فتوحاته المكية اختصره الشيخ سيدي أحمد زروق والشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني وهو ان يعتقد في أهل البيت أن الله تعالى تجاوز عن جميع سيآتهم لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابقة عناية من الله لهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فعلق الحكم بالارادة التي لا تتبدل أحكامها

فلا يحل لمسلم أن ينتقص ولا أن يشنأ عرض من شهد الله بتطهيره وذهاب الرجس عنه والعقوق لا يخرج عن النسب مالم يذهب أصل النسبة وهو الايمان وما تعين عليه من الحقوق فأيدينا فيه نائبة عن الشريعة وما نحن في ذلك الا كالعبد يؤدب ابن سيده باذنه فيقوم بامر السيد ولا يهمل حق فضل الولد وقد قال الله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى قال ابن عباس الا أن تودوا قرابتي وما نزل بنا من قبلهم من الظلم نزله منزلة القضاء الذي لا سبب له اذ قال عليه الصلاة والسلام فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها وللجزء من الحرمة ما للكل وقد قال تعالى وكان أبوهما صالحا فأثنى بصلاح الاب فما ظنك بنبوته اذا كان هذا في أولاد الصالحين فما ظنك بأولاد النبيين فماذا تعبر في أولاد سيد المرسلين فبان ان لهم من الفضل ما لا يقدر قدره غير الذي خصهم به قال الشيخ زروق ولما ذكرت أول هذه الجملة لشيخنا أبي عبد الله القوري قال هذا في حقنا فاما بحقهم فليس الذنب في القرب كالذنب في البعد وتلا يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة الآية

*وكتب الامام النظار ابو عبد الله محمد بن قاسم القصار على قوله يعتقد في أهل البيت الخ ما نصه قول القائل ان أهل البيت يعتقد ان الله لا يعاقبهم الخ ان أراد تغليب الرجاء في حق من علم الله تعالى انه منهم على الخوف فحق وان أراد بالاعتقاد الجزم المطابق بانهم لا يعاقبون فقد ابتدع حديث وخالف أهل السنة فان قيل ورد به ظواهر قيل ورد أكثر منها وأوضح في حق فاعل طاعات وأعدى الاعادي لاهل البيت من يوهمهم ذلك بل يذكرهم نحو يضاعف لها العذاب ضعفين وان كثيرا من تلك الظواهر قد لا تشملهم فمن اعتقد ذلك منهم أو من غيرهم فهو مبتدع بل مذهب أهل السنة انهم في المشيئة * وكتب على هذا الكلام العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي رحمه الله ما نصه قف على قوله في حق من علم الله أنه منهم فانه تنبيه على انه لا يقطع به في معين ولا يقطع به لنفسه ولو الامن كون شرطه الوفاة على الاسلام

عليه وأما ما رواه الدارقطني أمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها فضعيف * قال المصنف (حدثنا زياد بن أيوب البغدادي) أفصح الاوجه الاربعة التي فيها على ما في القاموس اهمال الدال الاولى واعجام الثانية قاله في جمع الوسائل (نا محمد بن ربيعة عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى) أحيانا (حتى نقول) أي في أنفسنا أو القول بمعنى الظن (لا يدعها ويدعها) أحيانا خشية وجوبها أو توهم فرضيتها أو تأكيدسنتها أو لغير ذلك (حتى نقول لا يصليها) لعل عدم مواظبته عليها هو سبب خفائها على كثير من الصحابة وقد تقدم ان من أثبت مقدم على من نفى قال المناوي عورض حديث أبي سعيد بحديث مسلم انه كان اذا صلى صلاة أثبتها وقد صلى مرة الضحى بعد صلاة العصر فلم يتركه قال البيهقي وهذا من خصائصه اه قلت معنى أثبتها انه لا يقطعها بالكلية فلا ينافي انه يتركها أحيانا فلا معارضة والله أعلم وفي الحديث انه لا يترتب على قطعها عمى ولا غيره قال ابن حجر حكى الحافظ أبو الفضل الزين العراقي انه اشتهر بين العوام ان من يقطعها يعمى فصار كثير منهم يتركها لذلك وليس لما قالوه أصل بل الظاهر انه مما ألقاه الشيطان على ألسنتهم ليحرمهم الخير الكثير سيما اجزاؤها عن الصدقات التي تصبح على مفاصل الانسان كما في حديث مسلم اه وقال في جمع الوسائل وكذا اشتهر هذا القول بين النساء فتوهمن أن تركها حالة الحيض والنفاس مما يقطعها فتركنها من أصلها وقلن انما يصلي الضحى المرأة المنقطعة الحيض * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا هشيم نا عبيدة) بالتصغير وهو ابن معتب الضبي على ما ذكره الجزري (عن ابراهيم) النخعي (عن سهم بن منجاب) بكسر الميم فنون ساكنة فجيم فألف بعدها موحدة (عن قرثع) بفتح قاف فسكون راء فمثلثة مفتوحة فعين مهملة (الضبي) بضاد معجمة وموحدة مشددة (أو قزعة) بفتح قاف فزاي فعين مهملة (عن قرثع) هكذا وقع في هذه الرواية بالشك وسيأتي من طريق أبي معاوية عن قزعة عن قرثع من غير شك (عن أبي أيوب الانصاري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدمن) أي يداوم (أربع ركعات عند زوال الشمس) أي بعد وقوعه للنهي عن الصلاة حالة الاستواء قال الشيخ زروق في شرح الوغليسية تكره الصلاة عند وقوف الشمس للخلاف في ذلك وانما عدل عن قولها بعد زوالها ليفيد أن المقصود أول وقت زوالها بلا تراخ كانه عند زوالها وقد تقدم ان الظاهر ما قاله ابن حجر من ان هذه الأربع ورد مستقل سببه انتصاف النهار الخ (فقلت يا رسول الله انك تدمن هذه الأربع ركعات) وفي نسخة تكثر من هذه الأربع ركعات (عند زوال الشمس فقال ان أبواب السماء تفتح) بصيغة المجهول (عند زوال الشمس فلا) وفي نسخة ولا (ترتج) بضم الفوقية الأولى وفتح الثانية وتخفيف الجيم أي تغلق (حتى تصلى الظهر فأحب) أي أود وأتمنى (ان يصعد) بفتح أوله ويجوز ضمه أي يطلع ويرفع (لي فيها خير) أي عمل خير من النوافل ليدل على كمال العبودية وغاية الرغبة في خدمة الربوبية تخير واحدا لخير قال ابن حجر وللبزار نحو هذا من حديث

وهو غيب وهكذا ينبغي ان يكون الاعتقاد في كل فضيلة وعد عليها في العقبى فان شرط ذلك الايمان عند الله وهو غيب غير مقطوع به لاحد الا من ميزه النص على أن من تحقق قبضة الحق لا يسكن لوعد وبه تفهم قول سيدي عبد السلام وألحقني بنسبه فان الطيبي مشروط بالديني وهو غيب وكذا ماورد في قبول الطاعات والدعاء وادخاره فانما هو فيمن علم الله منه خاتمة الايمان ونفذت بذلك ارادته ومشيئته وأما أحد في خاصته فلا يصح منه الجزم والقطع بذلك لنفسه (٨١) ولا لغيره وقد قال سيدي أبو الحسن وقد

حديث ثوبان وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يستحب ان يصلي بعد نصف النهار فقالت عائشة يارسول الله أراك تستحب الصلاة هذه الساعة فقال تفتح فيها أبواب السماء وينظر الله الى خلقه بالرحمة وهي صلاة كان يحافظ عليها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام اه وظاهر الحديث ان العمل يصعد قبل ان تصعد الملائكة الحفظة للاعمال قال المناوي وقد يراد بالصعود تعلق علم الله سبحانه به اه وقال في جمع الوسائل في الحديث الآتي قوله يصعد أي الى الله فهو كناية عن قبوله أو الى محل اجابته أي من عليين ونحوه اه وفيه انه ينبغي التعرض لاوقات نفحات الرحمة وقد ورد ان لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله ان يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا قال في الجامع الصغير أخرجه الطبراني في الكبير عن محمد بن مسلمة وقد أخرج مالك في الموطا عن سهل بن سعد الساعدي انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعتان تفتح لهما أبواب السماء وقل داع ترد عليه دعوته : حضرة النداء للصلاة والصف في سبيل الله (قلت) الظاهر انه من كلام أبي أيوب سأل النبي صلى الله عليه وسلم فعند الطبراني قلت يارسول الله هذه الصلاة التي قد أديت حين نزول الشمس الحديث وفي آخره قلت أتقرأ فيهن قال نعم قلت تفصل فيهن بسلام قال لا ويحتمل ان يكون من كلام قرثع سأل أبا أيوب (أفي كلهن قراءة) أي بعد الفاتحة (قال نعم قلت هل فيهن) أي فيما بينهن من الشفعين (تسليم فاصل) أي للخروج من الصلاة احترازا من السلام الذي في التشهد (قال لا) فيه دليل على أن الافضل التطوع في النهار بأربع موصولة باختيار أربع قال أبو حنيفة في الليل والنهار ويجوز عنده ستا وثمانيا قال ولا يزيد في الليل على أربع ولا في النهار على ثمان وقال أحمد والاوزاعي صلاة الليل مثنى مثنى ويجوز في النهار أربع وقال الاسفرايني الاختيار مثنى ليلا ونهارا ويجوز واحدة وثلاث وماشاء ولا ينحصر بعدد ويسلم آخر ذلك وقال مالك والاكثر نافلة الليل والنهار مثنى مثنى اعتمادا على حديث صلاة الليل مثنى مثنى وحديث ابن عباس حين بات عند خالته ميمونة وقدم ذلك على غيره لما ترجح به عنده من مصاحبة العمل وغير ذلك ولم يعتبر مالك مفهوم قوله الليل لانه مفهوم لقب وليس بحجة على الراجح ولانه خرج جوابا السؤال ويرجح المخالف مذهبه بانه يستعمل جميع الاحاديث ولا يسقط منها شيأ ويقول المذهب الذي يؤدي الى استعمال الاحاديث أرجح من الذي يسقط بعضها وعلى المذهب بان النفل مثنى فمن قام الى ثالثة رجع مالم يعقد ركوعها ويسجد بعد السلام فان عقد ركوعها برفع رأسه سجد قبل السلام على قول ابن القاسم وأما ان قام لخامسة فانه يرجع مطلقا ويسجد قبل السلام أيضا لنقص السلام ورواية الاكثر في هذه الصورة السجود بعدي والى هذه المسئلة أشار في المختصر بقوله كنفل لم يعقد ثالثته والاكمل أربعا وفي الخامسة مطلقا وسجد قبله فيهما وقيل ان السجود في الصورة الاولى بعدي لاجل الزيادة وقيل ان كان جلس على الثانية سجد بعد والا سجد قبل وقيل ان جلس على الثانية لم يسجد * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا أبو

أبهمت الامر علينا النرجو ونخاف وذلك سر العبودية وبذلك تنقطع الآمال الا من الله ويتحقق الرجاء والاعتماد عليه لا على الاسباب فاعرفه اه فتبين من نصوص هؤلاء الائمة رضي الله تعالى عنهم ان محمل أحاديث التبشير على غلبة الرجاء في حق من علم الله أنه منهم لكن يشكل عليه ان الآية صرحت بان الله تعالى أراد اذهاب الرجس بمعنى الاثم كما قال المفسرون عنهم وما أراده الله مقطوع بوقوعه وهو معنى قول ابن العربي تعلق الحكم بالارادة التي لا تتبدل أحكامها والجواب من وجهين أحدهما ان الشيخ أبا اسحق الشاطبي حمل الارادة في الآية على الامرية وهي انما تستلزم الرضا بالمراد لا وجوب وقوعه لا يقال لا خصوصية لاهل البيت بذلك مع ان الآية جاءت لبيان مزيتهم وخصوصيتهم لانا نقول لما أمر أمهات المؤمنين بأوامر ونواهن بنواه عقب ذلك بقوله انما يريد تحريكا للهمم العلية وتذكيرا لما خصهم به من المزية التي لا يناسبها الا غاية النزاهة وكمال الطهارة وهو معنى قوله أهل البيت نداء معترضا بين المتعاطفين أي قوموا بحفظ هذه النسبة العظيمة وصونوها وأبعدوها عما لا يناسبها ولا يليق بالمتصف بها كأنه يقول انما امرناكم بكذا ونهيناكم عن كذا لانا لم نرض لكم الا الكمال بأن تأتونا طاهرين من كل شيء وهكذا يقول الناصح لمنصوحه في المنزلة والقدر لا تفعل كذا وانما نهيتك عنه نصيحة ونظرا لك حتى يبقى قدرك محفوظا والثاني ان المراد بأهل البيت فاطمة وبعلها وابناها أو نساء النبي صلى الله عليه وسلم أو هما على أقوال ثلاثة للمفسرين خلافا لابن العربي في التعميم الذي ذكره في الفتوحات * قال السيد السمهودي قد ذكر أهل

كذا لانا لم نرض لكم الا الكمال بأن تأتونا طاهرين من كل شيء وهكذا يقول الناصح لمنصوحه في المنزلة والقدر لا تفعل كذا وانما نهيتك عنه نصيحة ونظرا لك حتى يبقى قدرك محفوظا والثاني ان المراد بأهل البيت فاطمة وبعلها وابناها أو نساء النبي صلى الله عليه وسلم أو هما على أقوال ثلاثة للمفسرين خلافا لابن العربي في التعميم الذي ذكره في الفتوحات * قال السيد السمهودي قد ذكر أهل

السير ان زيد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق كان قد خرج على المأمون فظفر به فبعث به الى أخيه علي الرضا بن موسى الكاظم فوبخه علي الرضا ومن جملة ماقال له يازيد ما أنت قائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سفكت الدماء وأخفت السبل وأخذت المال من غير حقه غرك حمقاء أهل الكوفة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار وهذا لمن خرج من بطنها مثل الحسن والحسين فقط لا لي ولك والله ما نالوا ذلك الا بطاعة الله اه وقال المناوى في حديث

سألت ربي عز وجل أن لا يدخل أحدا من أهل بيتي النار فاعطانيها قال م فاطمة وعلي وابناهما وزوجاته اه هذا ما لخصته من شرح شيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله علي همزيته * وفي الاحياء للغزالي لما تكلم علي الاعجاب بشرف النسب والآباء أن من خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه يلحق بهم فقد جهل ولا يتكل علي شفاعتهم فانه قد لا يؤذن لهم فيه وأنه بمنزلة من يتعاطى أكل السموم اتكالا على طب أبيه وذلك جهل وخطر لان من ذلك مالا يعالج فالحزم الحذر هذا وقد سئل العلامة النحرير القاضي الاشهر سيدى العربي بردلة عن مسئلتين الاولى هل يطلب شرعا البحث في هذه النسبة النبوية لتمييز من ثبتت له شرعا ممن لاحظ له فيها أم لا الثانية علي تسليم المطلوبية هل يترك ذلك لمفسدة تلحق من سقطت دعواه لتلك النسبة من امتهانه وتكليفه المغارم فاجاب عن الاولى بان ذلك الامر مطلوب شرعا ففي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم أمر حسانا ان يذهب الى أبي بكر ليخلص له نسبه أي حين أراد حسان وأمر أن ينافح عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال له صلى الله عليه وسلم فكيف بنسبي فقال حسان لأسلنك منهم وتعين عليه تخليص نسبه الشريف فكذلك سائر الامة لما كلفوا الوصول في حق الآل بامور منها الصلاة عليهم الوارد بها النص ففي البخاري ومسلم أن الصحابة قالوا يارسول الله أمرنا أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبما يجب لهم قال في المختصر خراجها والخمس والجزية لآله صلي الله عليه وسلم ثم للمصالح وبما ننزههم عنه بالكفاية من غيره ففي مسلم ان هذه الصدقة انما هي أوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد

معاوية نا عبيدة) بالتصغير وهو ضعيف اختلط في آخر عمره (عن ابراهيم) النخعي (عن سهم بن منجاب عن قزعة عن القرثع عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه) أي مثله معنى لا لفظا * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا أبو داود نا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد عن عبد الله بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي أربعا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر) أي قبل صلاته (وقال انها) أي الساعة التي بعد الزوال (ساعة تفتح فيها أبواب السماء) أي لنزول الرحمة وصعود الاعمال الصالحة (فاحب أن يصعد) تقدم ما فيه عن جمع الوسائل وغيره (لي فيها عمل صالح) قال المؤلف في جامعه وهذا حديث حسن غريب قال ابن حجر روي المصنف نحوه أيضا في غير هذا الكتاب ولفظه أربع قبل الظهر وبعد الزوال تحسب بمثلهن في السحر وما من شيء الا يسبح الله تعالى تلك الساعة ثم قرأ تتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون أي خاضعون صاغرون اه وفي الجامع الصغير أربع بعد الظهر كمدلهن بعد العشاء وأربع بعد العشاء كمدلهن من ليلة القدر خرجه الطبراني في الاوسط عن أنس * قال المصنف (حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف) بفتح الخاء المعجمة واللام (نا عمر بن علي المقدمي عن مسعر بن كدام) بكسر الكاف فدال مهملة (عن أبي اسحق عن عاصم بن ضمرة عن علي أنه كان يصلي قبل الظهر أربعا وذكر) أي علي (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصليها عند الزوال) أي عقبه كما يدل عليه قوله قبل الظهر (ويمد فيها) أي يطيل في تلك الصلاة يعني بالنسبة الى سنة الفجر فانه كان يخففها كما تقدم وقد استشكل وجه مناسبة أحاديث الاربع ركعات التي كان يداوم عليها صلى الله عليه وسلم عند الزوال لصلاة الضحى وكان المناسب ذكرها قبل باب الضحى عند الكلام علي رواتب الصلوات وقد تقدم ذكرها في حديث علي رضي الله عنه هنالك ولم يظهر لصنيعه وجه لا يتكلف وغاية ما يتكلف لذلك أن يقال انها لما كانت قريبة من صلاة الضحى أدرجت معها على وجه التبعية لما بينهما من المجاورة مع ما في ذلك من الايماء الى أن صلاة الضحى تمتد الى وقت الزوال فكان فيه نوع اشارة الى آخر وقتها

باب
صلاة التطوع في البيت

أي في بيان أنها في البيت أفضل بخلاف صلاة الفرض فانها في المسجد أفضل الا لعارض والمراد بالتطوع كل ما ليس بفرض الا ما يستثنى وسيأتي (حدثنا عباس العنبري نا عبد الرحمن بن مهدي) كمرمي (عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحرث عن حرام بن معاوية عن عمه عبد الله ابن سعد) هو الانصاري وقيل القرشي الاموي والاول أثبت (قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في بيتي والصلاة في المسجد) أي أيهما أحب (قال قد ترى ما أقرب بيتي من المسجد) أتى النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام في جواب السؤال ليكون أدعى الى الاقتداء في فعل النافلة في البيت ولبيان أنها في البيت أفضل ولو كان المسجد قريبا لا كبير مشقة في

روى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال لاأحل لكم أهل البيت من الصدقات شيأ ولاغسالة الايدى ان لكم فى خمس الخمس مايكفيكم أو يغنيكم قال المواق علي قول المختصر وعدم بنوة لهاشم قال ابن حبيب لايدخل فى آل محمد الذين لاتحل لهم الصدقة من فوق بنى هاشم من بنى عبد مناف وبنى قصى ويدخل فى ذلك من دون بنى هاشم من بنى عبد المطلب وبنى بنيهم ماتناسلوا الى اليوم وكذلك يتنزهون عن ان يكونوا عمالا عليها قال في المختصر فى الجابى غير هاشمى قال اللخمى لايستعمل عليها من كان من آل النبى صلى الله عليه وسلم لان أخذها علي وجه الاستعمال عليها لايخرجها عن أوساخ الناس اه فلما كلفت الامة بهذه الاحكام وغيرها فى حق آله عليه الصلاة والسلام تعين تمييز متعلق هذه الاحكام الذي هو للآن من غيرهم ولايتميزون الا بالبحث البالغ والتفتيش المستقصى ولذلك نصبت النقباء قديما وحديثا فى ممالك الاسلام وأهم ما نصب اليه النقباء هو التمييز والبحث عمن ثبتت له هذه النسبة الشريفة ممن لم تثبت له لان الناس جبلوا علي حب العلو لاسيما من أعانه الدهر بوفور مال أو شهرة وجاهة لبسب من الاسباب أو نيل رياسة فكلهم يتطلع ويتحيل للتحلى بهذا النسب الشريف فاذا لم يقع الذب عنه استوى الشريف والمشروف وتعطلت تلك الاحكام أو تعلقت بغير أهلها ونعوذ بالله من ذلك ثم هنالك أمر آخر نبه عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو التوسل بهم عند الشدائد حين خرج للاستسقاء وقام سيدنا العباس وقال اللهم انا كنا نستسقى بنبيك فتسقينا اللهم انا نستسقى بعم نبيك فاسقنا ونذكر قضية الشيخ سيدى عبد القادر الفاسي حيث أشار علي الناس بالاستسقاء بهم ففعلوا فسقوا ولهذا قال الشيخ القصار ينبغي ان يكون لاهل البيت النبوى بل ولجميع الامة غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لاينتسب اليه أحد الا بحق كما جرى عليه السلف الكرام لتعين توخيهم بالاجلال والاعظام وقال ابن حجر الهيتمي وينبغي لكل أحد ان تكون له الغيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لاينتسب اليه صلى الله عليه وسلم أحد الا بحق وأجاب عن المسئلة الثانية بان تلك المفسدة اللاحقة سهلة بالنسبة الى مقابلها الان قصارى

الوصول اليه (فلأن أصلى فى بيتى) أى مع شدة قربه من المسجد (أحب الي من أن أصلى فى المسجد) قال النووى لانها في البيت أخفى وأبعد من الرياء وليتبرك البيت بذلك فتنزل فيه الرحمة ويفر منه الشيطان اه ولهذا طلب ممن أراد السفر أن يصلى فى بيته لان ذلك أفضل حفيظة لاهله والتعليل بتحصيل المنفعة بها للبيت يقتضى أن التنفل فى البيت أفضل ولو كان المسجد خاليا أو كان المصلى غريبا لايعرف لانه وان انتفى الرياء تفوت منفعة نزول الرحمة في البيت وخروج الشيطان منه وفي المنتقى وغيره روى ابن القاسم عن مالك ان التنفل فى البيوت أحب اليه من التنفل فى مسجده صلى الله عليه وسلم الا الغرباء فان تنفلهم فى مسجده صلى الله عليه وسلم أحب اليه ووجهه ابن رشد كما تقدم بأن الغريب لايعرف وغيره يعرف وعمل السر أفضل وقال اليافعى نقل عن بعض أئمة أصحابنا الكبار وهو القاضى أبو الطيب الطبري رضى الله عنه أنه قال ان وجدت خلوة فى المسجد الحرام فالصلاة فيه أفضل من البيت والا فالبيت أفضل قال اليافعى قلت وهذا حسن اه وظاهره ان الصلاة فيه أفضل من البيت اذا كانت خلوة سواء كان غريبا أو لا لخرج مما ذكرنا ان التنفل فى المسجد النبوى أو المسجد الحرام اذا كانت خلوة أو كان المتنفل غريبا أفضل من التنفل فى البيت والمسجد الاقصى كذلك وهل كذلك غيرها من المساجد وهو مقتضى التعليل المتقدم وقال شيخنا العلامة فى شرح الحصن التعليل بنفى الرياء أشبه برجوع التفضيل لنفس الصلاة وماهيتها وكالمها وأما تحصيل المنفعة بها لبيته فامر خارج عن حقيقتها اه (الا ان تكون صلاة مكتوبة) أى فان الاحب الى صلاتها فيه وقد أخرج الشيخان من حديث زيد بن ثابت مرفوعا أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة ومن المتفق عليه أيضا من حديث ابن عمر رفعه اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا قال فى الاكمال قيل يعنى الفرض ليقتدى به من لايخرج من النساء والعبيد والمرضي قالوا والمتخلف عن الجماعة للصلاة فى جماعة دونها ليس بمتخلف ومن علي هذا للتبعيض وقيل يعنى النفل لان السر فى عمل التطوع أفضل ولذا كان بعض السلف لايتطوع في المسجد وهو مذهب الجمهور ومن علي هذا زائدة وقد تكون للتبعيض لان بعض النوافل لاتصلى في البيوت كالتحية ورواتب الفرائض اه وقد تقدم اثناء الكلام علي الرواتب الخلاف فيها هل الراجح فعلها فى البيوت أو فى المسجد وهو الذي اقتصر عليه ابن الحاج في المدخل ونقله الحطاب كما تقدم ويستثنى أيضا صلاة الطواف فانها فى المسجد أفضل اجماعا وكذا التراويح اذا خيف تعطيل المساجد وكذا صلاة كسوف الشمس وكذا تنفل الغريب فى المسجد النبوى على ما رواه ابن القاسم عن مالك كما تقدم وكذا المسجد الحرام ان كانت خلوة على ما تقدم عن ابى الطيب فتزاد هذه السبعة على قوله الا المكتوبة والله أعلم وقد تقدم ما فى فعل الضحى فى المسجد فجزم ابن حجر باستثنائها فيه نظر *(تنبيه)* فهم من الحديث انه لافرق بين المسجد النبوى ومثله المسجد الحرام أو

من سقطت دعواه لتلك النسبة أن يرجع في الدنيا من عوام الناس ينوبه مانابهم ويلزمه مثل مايكلفون به لكن فيه اتقاذله من فضوح الآخرة حيث تحق الحقائق ويظهر الامر على خلاف مايدعى ويطرد عن ذلك الجناب الذى كان اليه ينتمى ثم انه ورد الوعيد الشديد على من خرج عن نسبه بتطلب غيره ففى البخارى من انتسب الى غير أبيه فالجنة عليه حرام ومن انتسب الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (٨٤) وعن مالك من انتسب الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم اه بخ ومانقله عن مالك هو فى آخر الشفاء من رواية أبي مصعب عن مالك لكن رأيت فى حاشية العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسى على البخارى فى آخر كتاب الفرائض عن الابى علي حديث من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام مانصه ان كان انما يقول ذلك ليأمن على نفسه يعنى على وجه التقية من ظلم أو خوف على نفس اومال فذلك خفيف ولكن يوري أحسن اه قال العارف وهذا كما فى دعوى الشرف لاجل ذلك أو الانتماء الى صالح فان كان للضرورة فذلك خفيف كما ذكر والتورية أحسن وان كان لغير ضرورة ففيه الوعيد المذكور في الحديث بلا شك والحديث صادق فى المدعين الشرف بالكذب قيل والناس مصدقون على انسابهم فى غير دعوى الشرف حماية لجناب النبى صلى الله عليه وسلم وقد ذكروا فى باب الردة انه يشدد فى أدب من انتمى له عليه الصلاة والسلام بغير حق سواء كان ذلك الانتساب تصريحا أو احتمالا ثم ذكر كلام الشفاء

غيرهما لكن نقل شيخنا العلامة فى شرح الحصن عن اليافعى مانصه لاينبغى ان تترك الصلاة النفل فى المسجد الحرام بالكلية وان كانت الصلاة فى بيته أفضل لما في المسجد الحرام من الخير والرحمة واجتماع خواص عباد الله من الملائكة والاولياء حول الكعبة وخلف المقام المعظم كذلك لاتترك بالكلية فى مسجده صلى الله عليه وسلم وخصوصا فى الروضة الشريفة وكذا في المسجد الاقصى وخصوصا عند الصخرة المباركة والله اعلم اه وقال ابن حجر علي حديث صلاة في مسجدى هذا خير من الف صلاة الحديث تقدم النقل عن الطحاوى وغيره ان ذلك مختص بالفرائض لقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة ويمكن أن يقال لا مانع من ابقاء الحديث على عمومه فتكون صلاة النفل فى بيته بالمدينة ومكة تضاعف على صلاته فى البيت بغيرهما وكذا في المسجدين وان كانت فى البيوت أفضل مطلقا اه مانقله فى شرح الحصن وفى الرسالة بعد ان ذكر حديث صلاة فى مسجدى الخ وهذا فى الفرائض وأما فى النوافل ففى البيوت أفضل والتنفل بالركوع لاهل مكة أحب الينا من الطواف والطواف للغرباء أحب الينا من الركوع لقلة وجود ذلك لهم

باب
ماجاء فى صوم رسول الله ﷺ

لم يترجم للزكاة لانها لاتجب علي الانبياء عليهم السلام لانهم لايشهدون لهم مع الله ملكا وانما يشهدون مافى أيديهم من ودائع الله ويتصرفون فيه بالنيابة عن الله يبذلونه فى اوان بذله ويمنعونه فى غير محله ولان الزكاة انما هى طهارة لماعسى أن يكون ممن وجبت عليه لقول الله سبحانه خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم السلام مبرؤن من الدنس لوجوب العصمة ولاجل ذلك لم يوجب أبو حنيفة على الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة لانهم غير مكلفين والمخالفة لاتكون الابعد التكليف ولاجل ماذكرنا من انهم لايشهدون مع الله ملكا قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لانورث ماتركنا صدقة واذا كان أهل التوحيد والمعرفة لايشهدون لهم مع الله ملكا فاظنك بالانبياء عليهم السلام مع ان اهل التوحيد انما غرفوا من بحارهم واقتبسوا من أنوارهم * يحكى عن الشافعى واحمد بن حنبل رضى الله عنهما انهما كانا جالسين اذ أقبل شيبان الراعى فقال أحمد بن حنبل للشافعى أريد ان أسأل هذا الرجل المشار اليه فى هذا الزمان فقال له الشافعى لاتفعل فقال لابد من ذلك فقال ياشيبان ماتقول فيمن نسى أربع سجدات من أربع ركعات فقال له ياأحمد هذا قلب غافل عن الله يجب ان يؤدب حتى لايعود الى مثل ذلك فخر أحمد مغشيا عليه ثم أفاق فسأله فقال فما تقول فيمن له أربعون شاة فقال له شيبان أعلى مذهبنا أو على مذهبكم فقال له أوهما مذهبان قال نعم قال اما علي مذهبكم فى الاربعين شاة شاة وأما على مذهبنا فالعبد لايملك مع سيده شيأ أنظر التنوير ولعل شيبان هذا غير شيبان الراعى لان زمانه متأخر عن زمانهما فالله اعلم والصوم

المتقدم والله اعلم (وباصحابك الذين م بع * دك فينا الهداة والاوصياء) والصيام

الاصحاب جمع صاحب كشاهد واشهاد وهو من اجتمع مؤمنا بالنبى صلي الله عليه وسلم ولو طفلا وأعمى ومات مؤمنا والهداة جمع هاد اى الدالون للامة على الله تعالى بما يليق بتوحيده وعلى شرعه الذي شرعه علي لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الحديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم والاوصياء جمع وصى من وصا وأوصاه عهد اليه أى المعهود اليهم بالقيام

بأمر الدين والدعاء اليه والذب عنه فقاموا بذلك أتم قيام كما هو معلوم رضي الله تعالى عنهم ولا عبرة بمن قال أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بخلافة أبي بكر وعلي اذ وقع الاجماع على ان ذلك لم يكن والا لهلكت الامة لو خالفوا نص الوصية لو وقع لكن اشارته صلى الله عليه وسلم في غير حديث دلت على ان الخليفة بعده الذي رضيه الله تعالى ورسوله لخلافة النبوة أبو بكر رضي الله عنه وجعلنا في حماه وسيأتي بعضها في ذكر ابي بكر *(فائدة)* جمهور الامة على ان فضل الصحبة لا يعدله (٨٥) شيء فاصحاب النبي أفضل أمته بعده على الاطلاق وذهب الحافظ ابن عبد البر في جماعة الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو أفضل من بعضهم للخبر الحسن وقيل صحيح مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره وللخبر الحسن أيضا ليدركن المسيح أقواما انهم لمثلكم أو خير وروى أبو داود والترمذي يأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل منهم أو منا قال منكم وانظر المواهب وأجاب الجمهور عن الحديث الاول بان معنى قوله لا يدرى أوله خير الخ في سعة الحال وكثرة الاموال واتساع الارزاق فان الله تعالى فتح عليهم في الاول أقطار الارض وأباحهم أموال الامم ومساكنهم ونساءهم وملكهم رقابهم وكذلك في آخر الامر تتسع البركات وتتضاعف الخيرات كما ورد في الحديث عند نزول عيسى عليه السلام قاله السخاوي في شرح العقيلة لشيخه الشاطبي ونحوه في الجعبري

والصيام بمعنى واحد وهو لغة الامساك والترك فمن أمسك عن شيء ما فهو صائم لغة ومنه اني نذرت للرحمن صوما أي امساكا عن الكلام وشرعا هو الامساك عن المفطرات وحكمة مشروعيته مخالفة النفس والهوى كما قال تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اي الشهوات والمعاصي والخير كله في مخالفة النفس قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فليس الصوم مطلوبا لذاته وانما هو وسيلة الى ترك المعاصي والشهوات لانه يضعف النفس ويذلها فيستعان به عليها ولهذا ورد في الحديث من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه اي لفوات ثمرة الصوم ومن حكمة مشروعية تصفية مرآة العقل والاتصاف بصفات الملائكة والتنبيه على مواساة الجائع ويكفي في شرف الصيام اضافته له تعالى في خبر مسلم كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا أجزي به وفي خبر البخاري والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من اجلي الصيام لي وانا أجزي به وقد اختلف العلماء في سبب اضافته اليه تعالى مع ان كل عمل خالص من الرياء فهو له تعالى فقيل لانه لم يعبد به غيره تعالى اذ لم يثبت ان أحدا من الكفار عظم معبوده بالصوم وقد عظموه بصورة الصلاة والسجود والصدقة وقيل لانه عمل باطن لا يدخله الرياء الا بالاخبار عن فعله بخلاف بقية الاعمال فان الرياء يدخلها بمجرد فعلها وقيل لانه لا حظ للنفس فيه وقيل لما كان الاستغناء عن الطعام من صفاته تعالى فكانه تقرب الى الله تعالى بما يشبه صفة من صفاته وان كان تعالى لا شبيه له في صفاته وقيل لانه تعالى المنفرد بعلم مقدار ثوابه وغيره من الحسنات قد أطلع على قدر أجره كما قال الحسنة بعشر أمثالها والصوم موكول الى سعة جوده كما قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ولذا قال وأنا أجزي به وتولي الكريم للجزاء يستدعي سعة العطاء وقيل لانه كالايمان لا يؤخذ في التباعات بخلاف غيره من الاعمال الصالحات وهذا القول نقله ابو الحسن في كفاية الطالب عن سفيان بن عيينة واقتصر عليه والمقصود من الترجمة صوم التطوع وأما صوم الفرض فانما ذكرته بعا والله اعلم (حدثنا قتيبة بن سعيد نا حماد بن زيد عن ايوب بن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة عن صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يصوم) أي أحيانا صياما متتابعا (حتى نقول) اي في انفسنا أو القول بمعنى الظن وفي بعض النسخ تقول بالتاء المثناة فوق أي حتى تقول أيها السامع لو ابصرته ويجوز بياء الغائب اي يقول القائل (قد صام) اي داوم على الصيام (ويفطر) اي احيانا افطارا متواليا (حتى نقول قد افطر) اي داوم على الفطر ورواية مسلم حتى نقول قد صام قد صام ويفطر حتى نقول قد افطر قد افطر ورواية البخاري عن ابن عباس يصوم حتى يقول القائل والله لا يفطر ويفطر حتى يقول القائل والله لا يصوم قال في الاكمال قيل والمعنى انه كان لا يخصص اياما بعينها بالصوم اه ويفهم من روايتين عند مسلم انه صلى

(أحسنوا بعدك الخلافة في الدين وكل لما تولى ازاء)

أي أجادوا في تولي الامر وأتقنوا ولم يسيئوا بعدك قال في القاموس والخالف الذي يقعد بعدك قال الله تعالى مع الخالفين والخليفي بكسر الخاء واللام المشددة الخلافة

قال والخليفة السلطان الاعظم انتهى فجاهدوا الكفار وفتحوا الامصار وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة حتى ظهر دين الله واتضح اتضاح نار ليلا علي علم رضي الله تعالى عنهم وكان الامر كذلك في حياة ابي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم ايام الحسن رضي الله تعالى عنهم وكل منهم لما تولى بعده صلى الله عليه وسلم من الامرازاء بكسر الهمزة قيم سائس احسن قيام واتم سياسة

(اغنياء نزاهة فقراء * علماء ائمة امراء) اغنياء خبر مبتدا محذوف جمع غني اي بالله تعالى مع شرف نفوسهم سواء منهم

ذو المال وغيره وفي الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض أي المال وانما الغنى غنى النفس وقال الشاعر

ان الغنى بالنفس ياهذه * ليس الغنى بالمال والدرهم ونزاهة على حذف مضاف أي ذوو نزاهة قال في القاموس التنزه التباعد والاسم النزهة قال ونزه ككرم وضرب نزاهة ونزاهية والرجل تباعد عن كل مكروه فهو نزيه انتهى أي اعفاء كما قال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا وفقراء جمع فقير وليس المراد به الفقر الحسي بل المعنوي فالمكثرون منهم كابن عوف وابن عفان رضي الله تعالى عنهما انما كانت في أيديهم كالخزان لمال الله تعالى يضعونه في مواضعه ومستحقه وبين الاغنياء والفقراء التضاد وكذا بين الرخص والغلاء الآتي وعلماء جمع عالم وأئمة جمع امام أي عارفون مقتدى بهم لانهم الذين ورثوا العلم عنه صلى الله عليه وسلم وشاهدوا هديه واستعملوه بعده قال في المنح وهذا بالنسبة لاكثرهم والا فقد جاء ان الحسن البصري كان يفتي الصحابة رضي الله تعالى عنهم في زمنه وفي الحديث المتفق عليه في حجة الوداع رب مبلغ أوعى من سامع وأمراء جمع أمير أي ملوك علي من بعدهم ممن لم تحصل له صحبة أو المراد من ولي منهم في زمنه صلي الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين بعده

(زهدوا في الدنيا فما عرف الميـ
ـل اليها منهم ولا الرغباء)

أي لم يرغبوا في الدنيا وهي بضم الدال وتكسر فعلى من الدنو أي القرب لسبقها الآخرة وقيل لدنوها من الزوال وهي ما بين السماء والارض وفي القاموس الدنيا نقيض الآخرة وقد تنون جمع دنا يعني اذا نكرت واستشكل ابن مالك استعمالها منكرة كما في الحديث وأجاب بانها انخلعت عنها الوصفية واجريت مجرى مالم يكن وصفا قط كرجمى والمراد تركوا حطام الدنيا وتوابعه من الفخر والخيلاء والجاه قال في المنح ثم الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الزهد فيها والمعارف وهو أخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه على قسمين فاكثرهم ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من أوقاته شيأ الا وهو مشغول بشيء من ذلك وكثير منهم حصلوها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى

الله عليه وسلم كان يصوم من كل شهر وان صوم النفل غير مختص بوقت بل السنة كلها وقت له خلافا لقول ابن حجر ان ذلك يفهم من رواية المصنف ونص مسلم عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهرا معلوما سوى رمضان فقالت والله ان صام شهرا معلوما سوي رمضان حتى مضى لوجهه ولا أفطره حتى يصيب منه وفيه أيضا عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهرا كله قالت ما علمته صام شهرا كله الا رمضان ولا أفطره كله حتى يصوم منه حتى مضى لسبيله صلي الله عليه وسلم (قالت وما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا) فيه تنبيه على أن تتابع صومه كان دون الشهر لا في شعبان ولا في غيره (منذ قدم المدينة) قيل انما قيدت بهذا لانها لم تعلم حالته صلى الله عليه وسلم في الصوم قبل الهجرة وانما علمت بما كان بعدها وهو ظاهر ولا يلزم من معرفتها بكثير من أحواله بمكة بالسؤال عنها معرفتها بجميعها خلافا لابن حجر وقيل قيدت به لان الاحكام انما كثرت وتتابعت من حين قدومه المدينة مع ان رمضان لم يفرض الا بالمدينة في السنة الثالثة من الهجرة وبهذا قرره ابن حجر وتبعه في جمع الوسائل وقال الطيبي انما قيدت بذلك لاستثناء رمضان لا لافادة انه بمكة يستكمل شهرا أو شهور الانه بمكة لم يحفظ عنه سرد صوم لا في شعبان ولا في غيره (الا رمضان) في صحيح مسلم من حديث حكيم بن أفلح عن عائشة لا نعلم نبي الله صلي الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة ولا صلى ليلة الى الصبح ولا صام شهرا كاملا غير رمضان وفيه جواز استعمال رمضان غير مضاف الى شهر وهو الصحيح ومذهب البخاري والمحققين لخبر اذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وثالثها يجوز بقرينة كصمنا رمضان ويكره بدونها كجاء رمضان لما قيل انه اسم من أسماء الله والمذهبان فاسدان قال النووي ولا يصح أن يكون من اسمائه تعالى فقد صنف جماعة لا يحصون في اسمائه تعالى فلم يثبتوه وما روى فيه من حديث ضعيف اه وهو مشتق من الرمض وهو شدة الحر أو من رمض الذنوب أي حرقها ولا يدفع هذا ان التسمية كانت قبل الشرع لان الصوم من الشرع القديم كما يفهم من قوله تعالى كما كتب علي الذين من قبلكم لعلكم تتقون خلافا لابن حجر وعلي انه من أسماء الله تعالى فهو غير مشتق أو يرجع الى معنى الغافر أي يمحو الذنوب ويمحقها * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا اسمعيل بن جعفر عن حميد عن أنس بن مالك انه سئل عن صوم النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان يصوم من الشهر حتى نرى) أي نظن أو يرى بالياء مبنيا للمفعول أي يظن (ان لا يريد أن يفطر منه) أي من الشهر شيأ كما دل عليه ما بعده (ويفطر) أي من الشهر (حتى نرى ان لا يريد أن يصوم منه شيأ) من الصيام أو من الايام (وكنت) بالخطاب (لا تشاء أن تراه من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما) المراد ان كل جزء من أجزاء الليل قام فيه صلى الله عليه وسلم باعتبار أيام متعددة وان كان غالب قيامه آخره كما تقدم فكان تارة يقوم أول الليل وتارة يقوم وسطه وتارة

يضعونها حيث أمر الله تعالى ويمنعونها حيث منع وهذا لاينافي زهدهم لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لما ذكر وقوله فما عرف الميل أي العدول والانحراف اليها منهم ولا الرغباء أي الارادة والحرص على تحصيلها وفي القاموس رغب فيه كسمع رغبا ويضم ورغبة اراده وعنه لم يرده واليه رغبا محركة ورغبى ويضم ورغباء كصحراء ابتهل أو هو الضراعة والمسألة وذكر الرغباء بعد الميل ايضاح وفيه من البديع ذكر النظير والتذييل ولاينافي هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح ودعاؤه لاناس من أصحابه كابن عوف وأنس والمقداد فكثرت أموالهم جدا لان المال له جهتان جهة خير يصرفه في الطاعات والاعانة على قيام أمور الديانات وبالنظر اليها يثنى عليه وجهة شر يصرفه في ضد ذلك وبالنظر اليها يذم ويقبح راجع ماتقدم في شرح قوله مستقل دنياك ففيه كفاية

(ارخصوا في الوغى نفوس ملوك حاربوها أسلابها اغلاء)

الوغى الحرب والملوك جمع ملك أي صيروها رخيصة بعد أن كانت غالية بان قتلوهم وكانوا تمنعوا في وسط جيوشهم وقصدوا اليهم حتى وصلوا اليهم فكيف بغيرهم وحاربوها أي قاتلوها بجد وصدق نية لنصر دين الله تعالى واسلابها جمع سلب بفتح اللام وهو مايسلب من ثياب القتيل وفرسه وسلاحه وغير ذلك مما يكون معه واغلاء بكسر الهمزة مصدر أغلى الشيء اذا صيره غاليا أي ذات غلاء فكيف بالنفوس وفي القاموس غلا غلاء فهو غال وغلى ضد رخص وأغلاه الله تعالى وقول ابن حجر الاغلاء بالكسر اسم مصدر لغلا السعر بمعنى اسم الفاعل لايصح

وتارة يقوم آخره وكذا الصوم فلم يكن يتعبد بوقت صلاته وقيامه * قال العسقلاني وليس المراد انه كان يستوعب الليل قائما أو نائما ثم اعلم ان ظاهر التركيب مشكل لان المعنى على الاثبات لا على النفي اذ المراد ان شئت أن تراه مصليا رأيته كذلك وان شئت أن تراه نائما رأيته كذلك والجواب أن هذا التركيب نظير حديث ما أيس الشيطان من بني آدم الا أتاهم من قبل النساء وقد قرره الرضي وغيره على أن مابعد الا حال مقدرة والاستثناء مفرغ وتقدير الكلام ما أيس الشيطان من بني آدم في حال من الاحوال الا حال كونه آتيا أي ناويا اتيانهم من قبل النساء وعلى قياسه يقال في هذا التركيب والتقدير وكنت لا تشاء في حال من أحوالك أن تراه مصليا من الليل الا في حال كونك رائيا له مصليا أي متمكنا من رؤيته كذلك بهذا قرره شيخنا المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري رفع الله سبحانه قدره وأما ماذكره ابن حجر وغيره في اعرابه فلم يظهر لي معناه وعلى ان معنى الحديث ماتقدم فيستفاد منه كما قال ابن حجر انه ما كان يعين بعض الليل للنوم وبعضه للصلاة كاصحاب الاوراد الباقين مع عادتهم التي ألفتها نفوسهم فلم يشق لها مشقة عليها لانه صلى الله عليه وسلم يحكم على العادة ولا تحكم عليه بخلاف غيره فان الغالب عليه ان اعتاد شيأ غلب عليه وحكم عليه اه بمعناه لكن يعارضه قول عائشة كان يقوم اذا سمع الصارخ الا ان يقال كل من عائشة وأنس أخبر بما علم ويفهم مما تقدم من انه كان يقوم بعض الليل وينام بعضه ان هذه الطريقة هي أعدل الطرق وأفضلها في العبادة وهي مجانبة الاسراف والتقصير والافراط والتفريط وقد تقدم انه لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان بعض أصحابه حلف ليصلين الليل أبدا وبعضهم حلف ليصومن الدهر وبعضهم حلف ليعتزلن النساء فلا يتزوج أبدا قال والله اني لاخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وسيأتي في حديث المرأة التي كانت لا تنام الليل قوله عليه السلام عليكم من الاعمال ماتطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وسيأتي ان شاء الله وجه ذلك وزاد أنس في الجواب حكم الصلاة في الليل تنبيها للسائل على انها ان لم تكن أحق بالسؤال عنها من الصوم كانت مثله واستيفاء للاحوال * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود نا شعبة عن أبي بشر) اسمه جعفر بن أبي وحشي واسمه اياس (قال سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول مايريد أن يفطر ويفطر حتى نقول مايريد أن يصوم وماصام شهرا كاملا منذ قدم المدينة الا رمضان) نحوه في مسلم الا انه قال شهرا متتابعا وفيه أيضا من طريق عثمان بن حكيم قال سألت سعيد بن جبير عن صيام رجب ونحن يومئذ في رجب فقال سمعت ابن عباس يقول ماصام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا منذ قدم المدينة الا رمضان قال الابي قال النووي الظاهر من استدلال سعيد انه يعني انه لانهي فيه ولا ندب لعينه بل هو كغيره من الشهور وفي أبي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الى صوم الاشهر الحرم

(كلهم في أحكامه ذو اجتهاد * وصواب وكلهم أكفاء) الاحكام جمع حكم وهو لغة القضاء وشرعا خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف بالاقتضاء أو التخيير وحكم الحاكم يظهر ذلك ويطلق أيضا عند الاصوليين على النسب التامة المثبتة تارة والمنفية أخرى كما في قولهم الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهو المراد هنا وذو اجتهاد أي صاحب بذل وسع في تحصيل الحكم لتوفر شروط الاجتهاد فيه ولذلك لم يعرف عن أحد منهم انه قلد غيره في مسئلة من المسائل وكان الناس يستفتون من رآه منهم فيفتيهم باجتهاده ولا يعترض

أحد منهم على أحد الان كان هناك نص صريح وخولف فيذكر له فمنهم من يرجع اليه ومنهم من يؤوله ويعارضه بمثله وفى هذا رد على من اعتقد أن فيهم ذا هوى أو نفس أو حظ أو بغض حاشاهم من ذلك بل لم يحترم الله تعالى لصحبة نبيه الاوهم على أكمل الاوصاف وأجلها وقوله وصواب أى وذو صواب وهو ضد الخطأ قال ابن حجر وهذا انما يأتي على القول بان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى تابع لظن المجتهد وهو ضعيف والاصح ان المصيب واحد وهو الذى وافق ما عند الله وله أجران وللمخطئ واحد كما فى الحديث ولو قال وثواب لكان أولى وعليه فعلى كرم الله وجهه هو المصيب فيما وقع بينه وبين معاوية رضى الله تعالى عنهما ومعاوية مخطئ فى خروجه عليه وله أجر واحد ولعلى المصيب أجران وفى حديث للمصيب عشرة أجور والا كفاء جمع كفء اى مكافؤن فى أصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام لالحظ ولاهوى وانما يتفاوتون فى الزيادة فى ذلك وحينئذ فلا ينافى ذلك قول ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ابو بكر أعلمنا ولاسؤال عمر لعلى رضى الله تعالى عنهم فيجيبه فيقول لاقدس الله تعالي أمة لست فيها يا أبا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس علي أكابر مشيخة المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم لانه كان يجد عنده من العلم ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بقوله اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ماليس عندهم ولاسؤال معاوية لعلى بالارسال اليه فى المشكلات فيجيبه رضى الله تعالى عنهما ولقد قال له أحد بنيه لم تجيب عدوك فقال أما يكفينا انه احتاج الينا وسألنا والجمهور علي ان أفضل الناس بعد الانبياء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم باقى العشرة ثم اهل بدر اهل بيعة ثم الرضوان وقيل اهل احد (رضي الله عنهم ورضوا عنه* فاني يحطوا اليهم خطاء) لامفعول اى رضى الله عزوجل عنهم بتفويض الامور اليه والقيام بدينه ورضوا عنه اى بثوابه وفى المنح رضا الله تعالى عن العبد تأمينه من سخطه واحلاله دار كرامته ورضا العبد عنه ان لايختلج فى سره ادني حزازة من وقوع قضاء من أقضية الله بل يجد لذلك فى قلبه برد اليقين وثلج الصدر وشهود المصلحة العظمى وزيادة الطمأنينة قال تعالي والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين

ورجب أحدها اه وروى أبو داود وغيره عن عروة انه قال لعبد الله بن عمر هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم فى رجب قال نعم ويشرفه قالها ثلاثا وروي عن أبي قلابة ان فى الجنة قصرا لصوام رجب وهو من كبار التابعين لايقوله الا عن بلاغ كما قاله البيهقى قال ابن حجر وأما ما ذكره ابن ماجه عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام رجب فالصحيح وقفه على ابن عباس اه قال فى جمع الوسائل هذا محل بحث لان الموقوف اذا جاء بطريق آخر مرفوعا فالمحققون يرجحون الرفع مع ان مثل هذا الموقوف فى حكم المرفوع فيحتاج الى ترجيح بتصحيح أحدهما أو الى نسخ أحدهما ان عرف تاريخهما اه فانظره بعد هذا المحل فى حديث كان يصوم شعبان الاقليلا الخ * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن ابى سلمة) اى ابن عبد الرحمن بن عوف احد العشرة (عن أم سلمة قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهرين متتابعين الا شعبان ورمضان) هذا يدل علي انه صلى الله عليه وسلم صام شعبان كله وهو معارض لما سبق من أنه صلى الله عليه وسلم ماصام شهرا كاملا الا رمضان فقيل ان أم سلمة اطلعت علي مالم يطلع عليه ابن عباس وعائشة واستبعد وقيل ان مراد أم سلمة بصوم شعبان صوم جله وغالبه لاصوم كله فلم تعتبر افطار القليل منه فحكمت بالتتابع وقيل مراد عائشة وابن عباس من قولهما ماصام شهرا ماصامه علي الدوام بل تارة يصوم جله وتارة كله قال ابن حجر ولايصح الجمع بأنه كان قبل قدومه المدينة قد يستكمل صوم شعبان أخذا من قول عائشة فيما مر منذ قدم المدينة لان صوم رمضان انما فرض فى المدينة فى شعبان فى السنة الثانية من الهجرة وفى مكة لم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم سرد صوم لا فى شعبان ولا فى غيره فالتقييد بالمدينة فى كلام عائشة لاستثناء رمضان لالافادة انه بمكة كان يستكمل شهرا أو شهورا بالصوم اه قال فى جمع الوسائل هذا مدفوع انه يحتمل كلامها انها رأته يصوم شعبان متتابعا بمكة أو بلغها عن غيرها ومن حفظ حجة علي من لم يحفظ فلا منع من الجمع بهذا (قال ابو عيسى) اى المصنف (هذا) اى هذا الاسناد المذكور (اسناد صحيح) اى علي شرط الشيخين كما ذكره ابن حجر (وهكذا قال) أى روى ابن ابى الجعد (عن ابي سلمة عن أم سلمة وروى هذا الحديث غير واحد عن أبي سلمة عن عائشة عن النبي صلي الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون ابو سلمة بن عبد الرحمن قد روى هذا الحديث عن عائشة وأم سلمة) زاد في بعض النسخ (جميعا) اى معا (عن النبي صلى الله عليه وسلم) قال ابن حجر يتعين هذا الاحتمال لتصح هذان الروايتان وتسلما من الاضطراب قال أبا سلمة بن عبد الرحمن كان يروى عن كل من عائشة وأم سلمة رضى عنهما * قال المصنف (حدثنا هناد نا عبدة عن محمد بن عمرو نا أبو سلمة عن عائشة قالت لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم) جملة يصوم حال من مفعول لم أر ان كانت الرؤية بصرية ومفعول ثان ان كانت علمية (في شهر) اي من الاشهر (أكثر من صيامه) صفة لمفعول مطلق محذوف اى صياما تطوعيا أكثر الخ

اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه الآية وقوله فأبى يخطو أى كيف يصل اليهم خطاء بالمد لغة قليلة فى الخطا بالقصر وهو عند الصواب وقد مر انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا أخطأ له اجر وان الله تعالى اختارهم على غيرهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وفى الحديث ان الله تعالى اختارنى واختار لى اصحابا فجعل لى منهم وزراء وانصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله تعالى منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا اى فرضا ولا نفلا وفى رواية فمن حفظنى فيهم حفظه الله (٨٩) تعالى فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله تعالى منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وفى حديث اذا اراد الله تعالى برجل من أمتى خيرا ألقى حب أصحابى فى قلبه وفى حديث أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهديتم وفى حديث الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى ابغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله تعالى يوشك ان ياخذه وفى حديث لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده عزوجل لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وفى حديث من لم يحفظنى فى أصحابى لم يرد على الحوض وهم يرنى

لا مفعول ثان لقوله لم أر خلافا لابن حجر (فى شعبان) متعلق بصيامه وظاهر هذا الحديث وما كان فى معناه ان صوم شعبان أفضل من رجب وغيره من الاشهر الحرم وفى مسلم عن أبى هريرة مرفوعا أفضل الصيام بعد رمضان صوم شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل فقال النووى يحتمل انه لم يعلم فضل صوم المحرم الا فى آخر حياته قبل التمكن من صومه أو لعله كان يحصل له عذر من سفر أو مرض يمنعه من اكثار الصوم فيه اه واستبعد كل من الوجهين ثم قيل انما كثر صيامه فى شعبان لما رواه الطبرانى عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من كل شهر فربما أخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان وقيل تعظيما لرمضان فيكون بمنزلة تقديم الرواتب على المكتوبات لحديث سئل صلى الله عليه وسلم أى الصوم افضل بعد رمضان قال شعبان لتعظيم رمضان لكنه حديث غريب عند المصنف قال وفيه صدقة وهو عندهم ليس بالقوى وقيل للتمرن على صوم رمضان وقيل لحديث انه شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فاحب ان يرفع عملى وأنا صائم وقيل لحديث ان هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت من يقبض فاحب ان لا ينسخ اسمى الا وانا صائم قال فى جمع الوسائل بعد ذكر هذه الاقوال ولعل هذا هو الحكمة فى وجه اختصاص شعبان به عليه السلام حيث قال رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى على ما رواه الديلمى وغيره عن انس اه وذكر ابن حجر فى تأليفه الذى سماه تبيين العجب بما ورد فى فضل رجب ان هذا من الاحاديث الباطلة وقد اختصر هذا التأليف الحطاب فى شرحه للمختصر فانظره (كان يصوم شعبان الا قليلا بل كان يصومه كله) فيه ايضا معارضة لما سبق عنها وعن ابن عباس انه ما صام شهرا كاملا غير رمضان فاما ان يقال كما قال ابن عبد البر وابن المنير ان قولها الثانى متاخر عن قولها الاول فاخبرت عن اول امره بانه كان يصوم أكثر شعبان وأخبرت ثانيا عن آخر أمره انه كان يصومه كله واما ان يقال كما قال ابن المنير ان الكلام محمول على المبالغة فلا تكون كل للاحاطة والشمول كما فى قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا كلها وقد نقل المصنف عن ابن المبارك انه يجوز فى كلام العرب ان يعبر بصوم الشهر كله عن صوم معظمه قال كانه جمع بين الحديثين بذلك وتكون حكمة الاضراب كما قال ابن حجر ان قولها الا قليلا ربما يتوهم منه ان ذلك القليل يصدق بماله وقع كثلث الشهر فبينت بكله انه لم يكن يفطر الا ما لا وقع له بحيث يظن انه صامه كله واما ان يقال المراد بكله انه كان يصوم من اوله تارة ومن آخره أخرى ومن اثنائه طورا فلا يخلى شيأ منه من الصيام ولا يخص بعضه بصيام دون بعض واما ان يقال فى الكلام قلب والتقدير كان يصومه كله بل كان يصومه الا قليلا ويؤيده ما فى مسلم عن أبى سلمة عن عائشة كان يصوم شعبان كله كان يصوم شعبان الا قليلا قال النووى الثانى مفسر للاول اى فيكون المراد بالكل الاكثر وهو مجاز قليل الاستعمال ولذا استبعده الطيبى قائلا ان الكل تأكيد لارادة الشمول ودفع التجوز فتفسيره بالبعض منافله قال فيحمل على انه كان يصومه

(جاء قوم من بعد قوم بحق
وعلى المنهج الحنيفى جاؤا)

أى جاء قوم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم بعد قوم منهم فى طبقات والسابقون السابقون أولئك المقربون لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الآية او المعنى لم يزالوا فى ازدياد وهو من علامات النبوة كما وقع فى قضية هرقل وقوله وعلى المنهج الحنيفى أى الطريق الواضح المنسوب الى الحنيفة وهو الذى لا انحراف فيه ولا اعوجاج اى جاؤا كلهم على ذلك وان تفاضلوا كما سبق

(ما لموسى ولا لعيسى حواريون * فى فضلهم ولا نقباء) الحواريون جمع حوارى وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على أصحاب عيسى لانهم كانوا يحورون الثياب أى يقصرونها وفى القاموس الحوارى الناصر او ناصر الانبياء والقصار والحميم وضمير فضلهم يرجع للصحابة يعنى بشهادة قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وحديث خير الناس وفى لفظ خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم

ثم الذين يلونهم وحديث المناجاة ان موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام رأى لهذه الامة فى اللوح أوصافا باهرة فقال يارب اجعلنى منهم والنقباء جمع نقيب وهو عريف القوم وضمينهم وتقب عليهم نقابة بالكسر فعل ذلك أى ماموسى نقباء ولا لعيسى حواريون فى فضلهم ففيه لف ونشر معكوس اذالحواريون لعيسى والنقباء لموسى عليهما السلام كما تقدم والمراد هم أفضل ممن لم يكن نبيامنهم (تتمة) قال الغزالى فى الاحياء (٩٠) اعتقاداهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه ورسوله عليهم وماجرى بين معاوية وعلي كان مبنيا على الاجتهاد لامنازعة من معاوية فى الامامة اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى الى اضطراب امر الامامة فى بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية ان تأخير امرهم مع عظيم جنايتهم يوجب الاغراء بالائمة وتعرض الدماء للسفك وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة علي رضى الله عنه ذو تحصيل اصلا اه وقد حكى غير واحد اتفاق أهل الحق ان عليا اجتهد وأصاب فله أجران وان معاوية اجتهد وأخطأ فله اجر واحد فان قلت ثبت فى الحديث الذى رواه جماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال تقتل عمارا الفئة الباغية وقد قتل بصفين مع علي والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة فكيف صح قوله يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار قلت اجيب عن ذلك بانهم كانوا ظانين انهم يدعون الى الجنة وهم مجتهدون لالوم عليهم فى اتباع ظنونهم فالمراد بالدعاء الى الجنة الدعاء الى سببها وهو طاعة الامام فلذلك كان عمار يدعوهم الى طاعة علي وهو الامام الواجب الطاعة اذذاك وهم كانوا يدعون الي خلاف ذلك لانهم ظهر لهم ان الامام الواجب الا الطاعة هو معاوية الحاصل ان كلا كان يدعو الى الحق بحسب ماأداه اليه اجتهاده لكن الحديث أخبر بان الذى صادف صوب الصواب علي ومن معه (ابى بكر الذى صح للنا * س به فى حياتك الاقتداء) هو بدل من باصحابك بدل خاص من عام اراد ان يقسم بالعشرة تفصيلا بعدان اقسم بالصحابة اجمالا وهو رضى الله تعالى عنه اسمه عبد الله بن عثمان ولقبه عتيق وهو افضل رجل

كله فى وقت ويصوم بعضه فى وقت آخر لئلا يتوهم انه واجب كرمضان قال ولو عطف بالواو لم يحمل الاعلى هذا الثاني * قال المصنف (حدثنا القاسم بن دينار الكوفى نا عبيد الله بن موسي وطلق بن غنام عن شيبان عن عاصم عن زر) بكسر الزاي وتشديد الراء (ابن حبيش عن عبدالله) أى ابن مسعود على ماهو مصرح به فى المشكاة مع أنه المراد عند الاطلاق فى اصطلاح المحدثين وغالب الفقهاء المعتبرين (قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام) هكذا أيضا رواه أصحاب السنن وصححه ابن خزيمة وغرة الشهر قال ابن حجر هى أوله فيكون المعنى انه كان يصوم من اول كل شهر ثلاثة أيام ويعارضه مايأتي عن عائشة قالت كان لايبالى من أيه صام وكذا قولها كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس وكذا مارواه أبو داود والنسائى والامام أحمد فى مسنده كما فى الجامع الصغير من حديث حفصة كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر اول اثنين من الشهر والخميس والاثنين من الجمعة الاخرى وأجاب البيهقي بان كل من رآه فعل نوعا ذكره وعائشة رأت جميع ذلك فاطلقت انه لم يكن يبالى من أى أيام الشهر صام اه قلت وهذا الجواب لايأتي فى المعارضة بين حديثها المتقدمين قال فى جمع الوسائل وقد يقال المراد بغرة كل شهر ظهوره وطلوعه فلادلالة فيه علي كون صيامه فى أوله ويؤيده مافى القاموس ان الغرة من الهلال طلعته اه ويأتى لابن حجر جواب آخر فى حديث يزيد الرشك ويأتى جواب آخر للعسقلانى فى حديث كان عمله ديمة قلت ويحتمل ان يكون المراد بغرة الشهر ايام البيض اى ايام الليالى البيض لانها تبيض بطلوع القمر فيها من أول الليل الى آخره وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر وتبقى علي هذا الاحتمال المعارضة المذكورة ويجاب عنها بما تقدم وبما ياتي عن ابن حجر وعن العسقلاني ويؤيد هذا الاحتمال قول النبي صلى الله عليه وسلم للاعرابي ان كنت صائما فصم الغر اى البيض وقد روى النسائي عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم لايفطر ايام البيض فى حضر ولا سفر وروى أحمد عن حفصة أربع لم يكن صلى الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشوراء والعشر وايام البيض من كل شهر وركعتى الفجر وكان المراد بالعشر عشر ذى الحجة وانما كره مالك صيام أيام البيض لسرعة اخذ الناس بمذهبه فيظن الجاهل وجوبها قال ابن رشد وروى عنه أيضا انه كان يصومها وانه كتب الى الرشيد يحضه على صومها اه وفى البخارى من حديث عبدالله بن عمرو بن العاصى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له صم من الشهر ثلاثة أيام فان الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر وفى مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كل شهر ورمضان الى رمضان فهذا صيام الدهر كله وروى الامام أحمد وابن حبان فى صحيحه والبزار ورجاله رجال الصحيح مرفوعا صوم شهر الصبر يعنى رمضان وثلاثة من كل شهر يذهبن وحر الصدر اى حقده وغشه ووساوسه قلت لو لم يكن فى صوم ثلاثة ايام من كل شهر مع رمضان

طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين كما في الحديث بلفظ ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من ابي بكر وصحة الاقتداء به حصلت من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله الاشعري والمراد بالاقتداء في الصلاة بامره صلى الله عليه وسلم وهي أعظم أركان الدين فيجب الاقتداء به في غيرها وأحاديث الامر له أن يصلي بالناس معلومة صحيحة وفي حديث انه عليه الصلاة والسلام أمر م بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أخرج رأسه الشريفة مغضبا لا لا يأبى الله تعالى والمسلمون الا أبا بكر ثلاثا وصح انه كشف سجف حجرته يوم الاثنين الذي مات فيه وأبو بكر يؤم بهم في صلاة الصبح فتبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم فأشار اليهم بيده ان أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر وتوفي ضحى قال العلماء في هذا أوضح دليل على انه أفضل الصحابة مطلقا وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالامامة ومن ثم اجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله تعالى اى اعلمهم بالقرآن صريح في انه أعلمهم بالقرآن مطلقا وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على انه أحق بالخلافة منهم علي رضى الله تعالى عنه قال هذا أمره النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي بالناس واني لشاهد وما أنا بغائب وما بي مرض فرضينا لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم وما أحسن قول من قال صلى بالناس ثمانية ايام والوحي ينزل فسكت الله تعالى وسكت رسوله صلى الله عليه وسلم وسكت المسلمون رضى الله تعالى عنهم واخرج مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة في مرض

الاهذه النعيمة العظيمة وهي شفاء القلوب من هذه العيوب لكان ذلك كافيا للمؤمن وسيأتي حديث عائشة انها سئلت أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر قالت نعم قلت من أيه كان يصوم قالت كان لا يبالي من أيه صام وفي رواية مسلم لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم قال في الاكمال اختلفت الاحاديث في تعيين الثلاثة ففي هذا انه كان لا يعين وفي حديث جرير انها الايام البيض وبه أخذ جماعة منهم عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبو ذر وفي حديث رفعه ابن عمر انها أول اثنين في الشهر وخميسان بعده واستحب النخعي آخر الشهر واستحب الحسن أوله واستحبت عائشة السبت والاحد والاثنين ثم الثلاثاء والاربعاء والخميس من الشهر الذي يليه وأم سلمة أول خميس ثم الاثنين بعده ثم الاثنين وقيل اول يوم من الشهر والعاشر والعشرون وقيل انه صوم مالك وقال ابن شعبان اول يوم والحادي عشر والحادي والعشرون اه وما اختاره ابن شعبان هو الذي قال بعضهم انه صوم مالك والمعروف من قول مالك كراهة تعيين أيام للنفل أو يجعل لنفسه شهرا أو يوما يلتزم صومه وفي النوادر عنه كراهة تعمد صيام أيام البيض وقال ما كان ببلدنا وقد تقدم ذلك (وقلما كان يفطر) يحتمل ان تكون ما كافة لقل عن طلب الفاعل ويحتمل أن تكون مصدرية فيكون فاعل قل المصدر المنسبك أي قل كونه مفطرا (يوم الجمعة) في هذا دليل لمالك وأبي حنيفة ان صوم الجمعة وحده حسن ففي الموطأ لم أسمع أحدا من اهل العلم والفقه ممن يقتدى به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه وأراه كان يتحراه اه ويعارضه حديث البخاري عن ابي هريرة رفعه لا يصومن أحدكم يوم الجمعة الا يوما قبله أو بعده وفي الجامع الصغير لا تصوموا يوم الجمعة مفردا رواه الامام احمد في مسنده والنسائي والحاكم عن جنادة الازدي وفيه أيضا لا تصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم أو بعده يوم رواه الامام احمد في مسنده عن ابي هريرة والحاصل ان صريح الاحاديث النهي عنه قيل تحريما وقيل تنزيها وباحاديث النهي أخذ جمهور الشافعية قال في جمع الوسائل وتأويل الحديث عندهم انه كان يصومه منضما الى ماقبله أو الى مابعده اه او يقال انه لم يكن يقصده بالصيام علي التعيين وانما كان يصومه مصادفة له في الايام التي كان يصومها فكان يقع في أيام صيامه من غير قصد ولا تعيين وأما قول ابن حجر ان صومه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وحده لبيان الجواز اه ففيه انه كان يكفي لبيان الجواز صومه في بعض الاوقات وهو خلاف قوله وقلما كان يفطر قال في جمع الوسائل وكان مالكا رحمه الله تعالى اطلع علي تاريخ دل علي نسخ النهي اولما تعارض حديث الفعل والنهي وتساقطا بقي اصل الصوم على استحسانه اه اولم يصح حديث النهي عمل بخلاف حديث الفعل وهذا هو الظاهر من كلام الموطأ كما تقدم واما قول ابن حجر لم يبلغ مالكا النهي عن صوم يوم الجمعة فبعيد جدا عدم بلوغ أحاديث النهي مالكا ومن قال بقوله وقد اختلف في علة النهي فقيل لانه يوم دعاء وعبادة وذكر فيكون الفطر اعون له علي هذه الوظائف وادائها بنشاط كالحاج بعرفة يوم عرفة فان السنة له الفطر فيه ويرد عليه انه لو كان كذلك لما زالت الكراهة بصوم يوم قبله أو بعده وقيل علة النهي انه يوم عيد والعيد لا يصام ويؤيده ما رواه الحاكم عن ابي هريرة مرفوعا يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صومكم الا ان تصوموا قبله او بعده ويرد عليه ما ورد على ماقبله واجاب ابن الجوزي وغيره بان

موته ادعى لي أبابكر وأحاك حتى اكتب كتابا فاني أخاف ان يتمنى متمن أو يقول قائل أنا أولى ويأبى الله تعالى والمؤمنون الا أبابكر وفي رواية اكتب لابي بكر كتابا لايختلف عليه ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنون في أبي بكر وصح ان قوما سألوا انسانا ان يسال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من يدفعون زكاتهم بعده فسأله فقال الي أبي بكر وأخرج الشيخان ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها ان ترجع اليه فقالت أرأيت ان جئت ولم أجدك فكانها تعني الموت فقال ان لم تجديني فأتي أبا بكر وأخرجا من عدة طرق انه صلى الله عليه وسلم رأى انه على بئر فنزع منها ماشاء الله تعالى ثم أخذها أبو بكر فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين ثم أخذها عمر من يد أبي بكر فاستحالت في يده غربا الحديث أي دلوا كبيرا

(والمهدي يوم السقيفة لما أرجف الناس انه الدأداء)

المهدى بفتح الهاء وتشديد الدال من الهدى الذى هو البيان أى المبين الحق للناس فى امر الخلافة او من هدأ بالهمزة اذا سكن اى المسكن لاختلاف الناس فى أمر الخلافة ولكنه خففه باسقاط همزته ضرورة ويعنى بالسقيفة سقيفة بنى ساعدة حين اجتمع فيها الانصار الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه عليهم وقوله لما أرجف الناس أى اضطربوا اضطرابا شديدا يعنى الصحابة فى أمر الخلافة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وضمير انه عائد على امر الخلافة والدأداء الظلام الذى لاضوء له ولا مخرج منه قال فى القاموس الدأداء آخر الشهر أو ليلة خمس وست وسبع وعشرين او ثمان وتسع وعشرين او ثلاث ليال من آخر الشهر الجمع الدآدئ وليلة دأداو دأداة ويمدان شديدة الظلمة روى ان الانصار رضى الله تعالى عنهم

(الجرشى)

شبهه بالعيد لايستلزم استواءه معه من كل جهة فمن صام معه غيره خفت عنه صورة التحريم بالصوم وقيل سبب النهى خشية ان يفرض عليهم كما خشي ذلك فى التراويح وأورد عليه ماتقدم وقيل سبب النهى خوف المبالغة فى تعظيمه بحيث يفتتن به كما افتتن اليهود بالسبت قال النووى وهذا منتقض بصلاة الجمعة وغيرها مما هو مشهور من وظائف اليوم وأجيب بان عموم الصوم الشامل للرجال والنساء وسكان البادية والقرى والامصار من العبيد والاحرار ليس كالصلاة المختصة بشروط فى وجوبها وصحة أدائها مع انها قائمة مقام صلاة الظهر المؤداة فى سائر الايام أنظر جمع الوسائل *قال المصنف (حدثنا أبو مصعب المدنى) وفى نسخة المدينى (عن مالك بن أنس عن أبي النضر عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم) أى نفلا (أى فى شهر أكثر من صيامه فى شعبان) كان المناسب ذكر هذا الحديث قبل حديث ابن مسعود وقد تقدم ما للعلماء من الاقوال فى وجه اكثاره صلى الله عليه وسلم من الصوم فى شعبان *قال المصنف (حدثنا محمود) أى ابن غيلان كما فى نسخة (نا أبو داود نا شعبة عن يزيد الرشك) بكسر الراء (قال سمعت معاذة قالت لعائشة أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر قالت نعم قلت من أيه كان يصوم قالت كان لايبالى من أيه صام (فى رواية مسلم لم يكن يبالى من أى أيام الشهر صام وقد تقدم فى حديث ابن مسعود عن الاكمال ماوقع من الاختلاف فى تعيين هذه الثلاثة المستحبة فى كل شهر فانظره هنالك مستوفى (قال أبو عيسى) أى المصنف (يزيد الرشك هو يزيد) بن أبي يزيد (الضبعى) بضم المعجمة وفتح الموحدة بعدها مهملة أبو الازهر (البصرى وهو ثقة) عابد (وروى عنه شعبة) أى مع جلالته (وعبد الوارث بن سعيد وحماد بن زيد واسمعيل بن ابراهيم وغير واحد من الائمة) أى أئمة الحديث ونقادهم وحذاقهم قال ابن حجر وقد روى عنه الستة فى صحاحهم (وهو يزيد القاسم ويقال القسام والرشك بلغة) أهل (البصرة) هو (القسام) فلقب به لانه كان ماهرا فى قسمة الاراضى بين الشركاء وكان يباشرها من جهة السلطنة قال الزمخشرى كان الحسن اذا سئل عن حساب فريضة قال علينا ببيان السهام وعلي يزيد الرشك ببيان الحساب وكان يزيد أحسب أهل زمانه وما مر عليه المصنف من أنه لقب بذلك لهذا هو أحد قولين وقيل الرشك اللحية الكثيفة لقب به لكثافة لحيته قال ابن الجوزى وغيره دخل عقرب لحيته فاقام بها ثلاثة أيام وهو لايشعر لكبر لحيته فان قيل من أين يعرف انها اقامت بلحيته ثلاثة أيام فالجواب انه يحتمل ان يكون دخل مكانا كثير العقارب ثم رآها بعد الخروج منه بثلاثة أيام ويحتمل ان احدا رآها حين دخلت ولم يخبره الا بعد ثلاثة أيام ليعلم هل يحس بها أم لا وقد أشار ابن حجر الى ان غرض المصنف بذكر ترجمة يزيد الرد على من زعم انه لين الحديث وانه انما ذكر هذا هنا دون باب الضحى لان ماروواه هنا يعارضه مافى الباب من انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم الغرة والاثنين والخميس ونحو ذلك مما فيه انه عين بعض الايام لصومه فربما طعن طاعن بهذا فى يزيد فرده بثوثيقه مع الاشارة الى انه لامعارضة ووجهه ان معنى كونه لايبالى بذلك انه كان فى كثير من أوقاته يترك تلك الايام المذكورة ويصوم غيرها بقية الشهر فلم يكن يلتزم اياما بعينها لاينفك عنها نظير مامر قريبا فى ساعة الليل بالنسبة لمنامه وقيامه اهـ قال المصنف (حدثنا أبو حفص عمر بن علي نا عبد الله بن داود عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان) بفتح فسكون (عن ربيعة

تخلفوا في سقيفة بني ساعدة وقالوا للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير وتخلف سعد والزبير ومن معهما في بيت فاطمة ثم أتى أبو بكر وعمر ومن معهما الانصار فهدأهم الله للاجتماع على أبي بكر ثم المهاجرون أجمعون (٩٣) وأصل الحديث في الصحيح وغيره وروى أن

الجرشي) بضم الجيم وفتح الراء فشين معجمة موضع باليمن (عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس) كذا هي الرواية كما عند النسائي وتصحف الصوم باليوم علي ابن حجر قال المناوي وتحراه أي تعمده أو طلب ما هو أحرى بالاستعمال فالمعنى علي الاول يتعمد صومهما فيصبر علي الصوم منتظرا لهما وعلي الثاني يجتهد في ايقاع الصوم فيهما كما في الخبر الآتي ولانه سبحانه يغفر فيهما لكل مسلم الا المتهاجرين أي المتقاطعين رواه أحمد ولما في مسلم انه سئل عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه أنزل علي القرآن * قال المصنف (حدثنا محمد ابن يحيي نا أبو عاصم عن محمد بن رفاعة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تعرض الأعمال) أي على الله تعالى كما في جامع المصنف أو على رب العالمين كما في رواية النسائي (يوم الاثنين والخميس فاحب أن يعرض عملي) أي فيهما (وأنا صائم) جملة حالية من فاعل أحب قال الحليمي ملائكة الاعمال يتناوبون فيقيم فريق منهم من الاثنين الي الخميس فيعرجون وفريق من الخميس الى الاثنين فيعرجون وكلما عرج فريق قرأ ما كتب في موقعه من السموات فيكون ذلك عرضا في الصورة يحسبه الله تعالى عبادة للملائكة فاما هو في نفسه جل جلاله ففي عن عرضهم ونسخهم وهو أعلم باكتساب عباده منهم اه قال تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وكذا تعرض الاعمال أيضا ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وهذا العرض كله اجمالي الا أن الاول باعتبار الاسبوع والثاني والثالث باعتبار العام وأما عرضها تفصيلا فيرفع الملائكة بها بالليل مرة وبالنهار أخرى كما يدل عليه حديث نزول ملائكة الليل والنهار وفائدة تكرار العرض اظهار شرف العالمين بين الملا الأعلي * قلت استحضار هذا المعنى عند العمل يعين على الاخلاص في الأعمال ومراعاة أحوال النفس والتنبيه لدسائسها وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا ابو احمد ومعاوية بن هشام قالا نا سفيان عن منصور عن خيثمة) بفتح خاء معجمة وثاء مثلثة بينهما تحتية ابن عبد الرحمن الجعفي الكوفي ورث مائتي الف فانفقها على العلماء (عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس) بين بهذا أن سائر أيام الاسبوع محل للصوم قال ابن حجر ولم يوالها من أسبوع واحد لئلا يشق على امته التأسي به في ذلك ولا ذكر للجمعة في هذا الحديث وقد تقدم في حديث ابن مسعود انه قلما كان يفطر يوم الجمعة ولا ينافي ما هنا خبر احمد وجماعة لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فان لم يجد احدكم الا عود شجرة فليمضغه لان محل النهي ان أفرد بالصوم وقد نص القلشاني على كراهة صوم يوم السبت عند المالكية ولعل مستندهم في النهي هو هذا الحديث لكن تقدم في باب الشعران النهي عن صوم يوم السبت صرح أبو داود بانه منسوخ فراجعه عند الكلام على فرق الشعر وسمي يوم السبت بذلك لأن السبت القطع وذلك اليوم انقطع الخلق لأن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والارض في ستة أيام اولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة وقول اليهود لعنهم الله ان الله استراح فيه تولي الله سبحانه وتعالى رده عليهم بقوله وما مسنا من لغوب ومن ثم اجمعوا على انه لا أبلد من اليهود وكذا من تبعهم من المجسمة وسمي الاحد بذلك اول الاسبوع على خلاف في ذلك وتسمية الباقي الى الجمعة ظاهر وسمي يوم الجمعة بذلك لانه تم فيه خلق العالم فاجتمعت

عمر احتج علي الانصار بامامة أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقالوا نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر فرجعوا عما كانوا فيه رضى الله تعالى عنهم أجمعين ولما بايعوه صعد المنبر غدا فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله تعالى وأثنى على أبي بكر ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعة العامة فخطب أبو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فاعينوني وان أسأت فقوموني أطيعوني ما أطعت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم فبايعه فلم يرعليا فدعى له فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه واستدل كل واحد منهما علي أحقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديم النبي صلى الله عليه وسلم اياه للامامة وحكى ابن مسعود وغيره أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعوا علي خلافة أبي بكر لم يتخلف عنها أحد منهم ثم تبعهم من بعدهم من أهل السنة والجماعة الى الآن ثم هلم

(أنقذ الدين بعد ما كان للدين على كل كربة اشفاء)

أنقذ بالذال المعجمة اى خلص والدين هو الشرع الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ويقال هو وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات من يد التلاشي واشرافه على الزوال وقوله بعد ما هي مصدرية اى بعد الحصول للدين على كل كربة اى هم ياخذ النفس اشفاء اى اشراف وقرب يخشى منه ان

لايجتمع له شمل ابدا والمجروران متعلقان باشفاء وفيه وضع الظاهر موضع المضمر ويصح ان تكون كان ناقصة وللدين خبرها قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه لولا أبو بكر ما عبد الله تعالى بعد محمد أبدا يعني انه ثبت الناس يوم موته اذ طاشت أحلام الصحابة

أجزاؤه في الوجود ثم هذه الاسماء أعلام بالغلبة فتلزمها اللام وقد يجرد الاثنين من اللام دون اخواته * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق الهمداني نا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان عاشوراء) هو عاشر المحرم وشذ من قال تاسعه (يوم تصومه قريش في الجاهلية) اما تلقيا من أهل الكتاب أو باجتهاد وسئل عن ذلك عكرمة فقال أذنبت قريش ذنبا في الجاهلية فعظم في صدورهم فقيل لهم صوموا عاشوراء تكفر عنكم ذلك وقال القرطبي لعل قريشا كانوا يستندون في صومه الى شرع من مضى كابراهيم ونوح فقد ورد في الاخبار انه اليوم الذي استقرت فيه السفينة على الجودي فصامه نوح شكرا ولهذا كانوا يعظمونه أيضا بكسوة الكعبة (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه) يحتمل ان يكون موافقة لقريش كما في الحج (فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه) كذا في حديث عائشة وقد أخرج الشيخان من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا هذا يوم أنجى الله فيه موسى وأغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه وجمع بعضهم بين الحديثين بانه يحتمل أن يكون صامه بمكة على مقتضى الحديث ثم ترك صيامه حتى علم ما عند اليهود من فضل صيامه واستشكل رجوعه اليهم في ذلك بان خبر اليهود غير مقبول وأجيب باحتمال ان يكون أوحى اليه بصدقهم أو لتواتر الخبر بذلك أو أخبر به من اسلم منهم أو باجتهاد منه انظر النووي وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون صيامه صلى الله عليه وسلم استئلافا لليهود كما استألفهم باستقبال قبلتهم وبالسدل وغير ذلك وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فانه كان يصومه قبل ذلك كما هو مصرح به في حديث عائشة وغاية ما في القصة انه لم يحصل له بقول اليهود تجديد حكم وانما هو صفة حال وجواب سؤال فلا منافاة بينه وبين حديث عائشة وقوله في هذا الحديث فصامه ليس ابتداء لصومه (فلما افترض رمضان كان رمضان هو الفريضة وترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه) قال في الاكمال قيل كان صيام عاشوراء في صدر الاسلام قبل فرض رمضان واجبا ثم نسخ على ظاهر هذا الحديث وقيل كان سنة مرغبا فيه ثم خفف فصار مخيرا فيه وقال بعض السلف ان فرضه لم يزل باقيا لم ينسخ وانقرض القائلون بهذا وحصل الاجماع اليوم على خلافه وكره ابن عمر قصد صيامه بالتعيين لحديث جاء في ذلك اه والقول بانه كان قبل فرض رمضان واجبا هو قول الحنفية ورجحه العسقلاني بثبوت الامر بصومه ثم تأكيد الامر بذلك بزيادة النداء العام ثم بزيادة أمر من أكل بالامساك ثم بزيادة امر الامهات ان لا يرضعن فيه الاطفال وبقول عائشة وابن عباس لما فرض رمضان ترك عاشوراء مع العلم بانه ما ترك استحبابه بل هو باق قال واما القول بان المنسوخ تأكد ندبه والباقي مطلق ندبه فضعيف بل تأكده باق لا سيما مع الاهتمام به حيث قال لئن عشت لاصومن التاسع والعاشر ولترغيبه في صومه وانه يكفر السنة الآتية فاي تأكيد أبلغ من هذا اه والقول بأنه لم يكن فرضا هو قول الشافعية وهو الذي ارتضاه ابن حجر وتعقب كلام العسقلاني بان قوله في الحديث هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه صريح في نفي الوجوب قال وزيادة تلك التأكيدات كلها لا تنافي عدم الوجوب لان المؤكد له مراتب ونحن لا نقول زال تأكيده بالكلية بل الذي نقول ان تأكده باق لكنه دون ذلك التأكيد لانه لما شرع صومه

بموته صلى الله عليه وسلم فمنهم من خبل ومنهم من خرس ومنهم من لم تقله رجلاه من الارض ولم يكن فيهم يومئذ أثبت منه ومن العباس رضي الله عنهم وخطب خطبته المشهورة فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله تعالى فان الله تعالى حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية وبصرهم واختلفوا في محل دفنه فروى الحديث ان كل نبي يدفن في المحل الذي توفي فيه فرجعوا اليه واختلفوا في ارثه فروى الحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة فرجعوا اليه وقد قال صلى الله عليه وسلم في حقه ما فضلكم ابو بكر بكثرة صلاة ولا صيام وانما فضلكم بشيء وقر في صدره وعنه صلى الله عليه وسلم من أراد ان ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى أبي بكر الصديق يعني لما حصل له من كشف الغطاء والمعاينة بلا كيف بحيث لا يكون للغير الا بالموت والفناء عن البشرية والشواغل الصادة عن اللقاء والمعاينة وقالت عائشة رضي الله عنها لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بابي مالو نزل على الجبال الراسيات لهاضها وقال ابو رجاء العطاردي دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول انا فداؤك والله لولا أنت لهلكنا فقلت من المقبل والمقبل قالوا عمر يقبل رأس ابي بكر من اجل قتال اهل الردة

كان

(انفق المال في رضاك ولا من * ن واعطى جما ولا اكداء) اي انفق جميع ماله في رضاك يا رسول الله كما جاء في القرآن

العظيم قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى الآية قال ابن الجوزى اجمعوا انها نزلت فى أبي بكر ففيه التصريح بانفاقه لماله وبانه الاتقى وهو الاكرم بدليل ان أكرمكم عند الله أتقاكم والافضل هو الاكرم كما فى حديث ما نحب النبيين والمرسلين أجمعين ولا صاحب يس أي المذكور فى سورة يس أي حبيب النجار رضى الله تعالى عنه افضل من أبي بكر وصح حديث انه ليس أحد من الناس أمن على بنفسه وماله من أبى بكر ولو كنت متخذا خليلا من غير ربى لاتخذت أبا بكر ولكن خلة الاسلام أفضل سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد الا خوخة أبي بكر أى لانه سيصير خليفة يحتاج الى ملازمة المسجد وأخرج الترمذى حديث ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر والطبراني ما أحد عندى أعظم يدا من أبى بكر واسانى بنفسه وماله وأنكحنى ابنته والترمذى رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الاسلام ما نفعنى مال أبى بكر وفى حديث والله ما منكم رجل الا على باب بيته ظلمة الا أبا بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وأمسكتم الاموال وجادلى بماله وواسانى واتبعنى وأخرج أحمد وآخرون عن جماعة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم انه صلى الله عليه وسلم قال ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبي بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالى الا لك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية عن ابن المسيب مرسلا كان صلى الله عليه وسلم يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى فى مال نفسه وأخرج ابن عساكر انه اسلم وله اربعون ألف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوى وابن عساكر انه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل

كان منفردا لا يشاركه غيره فكان تأكده أعظم من مشروعيته مع وجود غيره فاندفع بذلك جميع ما احتج به وظهر ما قاله الاصحاب اه قلت وهذا الكلام كما ترى لا يقاوم كلام العسقلاني فانظر ذلك وعلى كل حال فمعنى قوله فمن شاء الخ انه لا حرج فى تركه لا أن صومه جائز جوازا مستوى الطرفين لان صومه مندوب قطعا قال النووى حاصل مجموع الاحاديث ان الجاهلية من قريش وغيرهم واليهود كانوا يصومونه ثم جاء الاسلام بصيامه متأكدا ثم خفف من ذلك التأكيد اه وقال ابن حجر حاصل ما ورد فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه بمكة ولا يأمر به ثم لما قدم المدينة صامه وأمر به ثم لما فرض رمضان تركه وقال انه من أيام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه ثم عزم آخر عمره ان يضم اليه التاسع (تنبيه) يستفاد من هذا الحديث ان وقت الامر بصيامه هو أول قدومه المدينة وقدومه لها كان فى ربيع الاول فيكون الامر به أول السنة الثانية وفى شعبانها فرض رمضان فلم يقع الامر بصومه الا سنة واحدة ثم فوض صومه الى رأى المتطوع قاله ابن حجر وغيره * (فائدة) * قال ابن حجر وردان من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه السنة كلها وله طرق قال البيهقى أسانيدها كلها ضعيفة ولكن اذا انضم بعضها الى بعض أفاد قوة وصحح بعضها الحافظ ابن ناصر وأقره الزين العراقى قال وهو حسن عند ابن حبان وله طريق أخرى على شرط مسلم وهى أصح طرقه وقول ابن الجوزى انه موضوع ليس فى محله اه زاد فى جمع الوسائل على ان العمل بالضعيف فى الفضائل جائز اجماعا وأما ما وراء الصوم من الامور العشرة المشهورة فموضوع فقد قال بعض أئمة الحديث ان الاكتحال فيه بدعة ابتدعها قتلة الحسين رضى الله عنه لكن فى الجامع الصغير للحافظ السيوطى من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا رواه البيهقى بسند ضعيف عن ابن عباس اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة قال سألت عائشة أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص) رواية البخارى هل كان يختص (من الايام شيأ) أى يعمل نافلة كصلاة أو صوم (قالت كان عمله ديمة) كذا هى الرواية عند المصنف قال ابن حجر عدلت عن الجواب بنعم أولا المطابق لما قالته لانه أبلغ لتضمنه جواب السؤال المذكور وجواب سؤال آخر مقدر لانها أفادت انه كان يخص بعض الايام بشىء كالاثنين والخميس بالصوم وهو جواب السؤال الاول ثم يداوم عليه وهو جواب عن السؤال الثانى المرتب على الاول وتقديره اذا كان يخص بعضها بشىء هل كان يداوم عليه اه وعلى هذا فتقدير الكلام قالت نعم وكان عمله ديمة قلت هذا التقدير بعيد وغير مفيد اذ ليس فيه تعيين الايام التى كان يخصها بالعمل والمقصود من العلم العمل وغاية ما يفيده ان الايام متفاضلة فيما بينها وهذا القدر لا يتأتى معه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى تخصيص الايام المفاضلة بالعمل والله أعلم لا سيما ورواية البخاري قالت لا كان عمله ديمة فان هذا الجواب يقتضى انه لم يكن يخص من الايام شيأ وهو مشكل مع ما تقدم من انه كان يتحرى صوم يوم الاثنين والخميس ولذلك قال العسقلانى ما حاصله لعل السؤال وقع عن الايام الثلاثة التى كان يصومها من كل شهر فلا يرد صيام الاثنين والخميس والايام البيض ويوم عرفة وغرة كل شهر وغير ذلك مما ورد الحض على صومه فكأن السائل لما سمع انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر وانه رغب فى صوم أيام البيض سأل عائشة هل كان يخصها بالبيض فقالت لا كان عمله ديمة يعنى لو جعلها

فقال يا محمد مالي أرى أبابكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال يا جبريل أنفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله تعالى يقرأ عليه السلام ويقول لك قل له أراض أنت عني في (٩٦) فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر لا أسخط علي ربي أنا عن ربي راض ثلاثا وفي

رواية ان جبريل هبط متخللا بطنفسة وأخبر ان الله تعالى أمر ملائكته عليهم السلام ان يتخللوها كابي بكر وصح عن عمر رضي الله تعالى عنه أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر مع اني ماسبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك قلت مثله فأتى ابو بكر بكل ماعنده فقال يا أبابكر ما أبقيت لاهلك فقال أبقيت لهم الله تعالى ورسوله صلي الله عليه وسلم فقلت لا أسبقه لشيء أبدا ووردانه صلى الله عليه وسلم اشترى حائط بني النجار لمسجد بعشرة دنانير ووزنها من مال أبي بكر قوله ولا من أي منه عليك فيما أنفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلي غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر النعمة علي جهة الافتخار على الممنون عليه أو ذكرها لمن لا يجب اطلاعه عليها وهو حرام قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واعطى جمالا كثيرا في وجوه الخير العامة واشترى جماعة اسلموا فكان اهل مكة يعذبونهم واعتقهم لله تعالى منهم بلال ولا اكداء اي ولم يقطع اعطاءه بل استمر عليه الى وفاته وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر وثلاثة ايام وفتح في هذه المدة اليسيرة اليمامة وأطراف العراق وبعض مدن الشام ولما مرض ترك التداوي تسليما لامر الله تعالى فقيل له الا ندعو لك الطبيب ينظر اليك قال نظر الي قيل وما قال لك قال قال لي اني فعال لما اريد يقال ان سبب موته كمدا حزن مكتوم اصابه من اجل رسول الله صلي الله عليه وسلم ما زال يذيب جسمه وتوفي رضي الله تعالى

البيض لتعينت وداوم عليها لانه كان يحب أن يكون عمله دائما فيكون في ذلك نوع تضييق لكن أراد التوسعة بعدم تعيينها فكان لا يبالي من أي الشهر صامها كما ثبت في حديث مسلم عن عائشة أيضا كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وما يبالي من أي الشهر صام اه وقد تقدم نحوه في حديث يزيد الرشك فعلى ماذكره العسقلاني فالسؤال عن شيء خاص وهو الايام الثلاثة المرغب في صومها هل هي معينة في الشهر أم لا فوقع الجواب بانه كان يحب الدوام علي العمل وامته لا تطيق مع عدم التعيين فكيف مع التعيين فلو عين تلك الايام وداوم لكان في ذلك نوع تضييق وهو انما يحب التوسعة على أمته قال ابن حجر وأصل ديمة دومة قلبت واوه ياء لكسر ماقبلها وهو في الاصل المطر الدائم مع سكون بحيث لا يكون فيه رعد ولا برق فشبهت عمله صلى الله عليه وسلم به في دوامه مع اقتصاده ومجانبته للغلو وجعلت على صيغة النوع من الدوام لافادة انه كان له نوع دوام مخصوص (وأيكم) معشر الامة الشامل للصحابة والتابعين وغيرهم وانما لم تجعل الخطاب لخصوص الصحابة كما في ابن حجر لان السائل انما كان من التابعين (يطيق ما) أي العمل الذي (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق) أي يطيقه بحذف عائد الموصول وقد تقدم في قول علي رضي الله عنه انكم لا تطيقون ذلك ان ذلك باعتبار الكيفية والاتقان وما يصحب ذلك من الخضوع والخشوع والحضور والاخلاص أو باعتبار الدوام والمواظبة وهذا الثاني هو المناسب لقول عائشة كان عمله ديمة وترتيب هذا الكلام على ماقبله على تقرير ابن حجر جلي ظاهر وتقدم وجه ترتبه على تقرير العسقلاني ويعارض ماهنا ماتقدم ان عائشة سئلت عن صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان يصوم حتى نقول قد صام ويفطر حتى نقول قد أفطر قال في جمع الوسائل ويمكن الجمع بان قولها كان عمله ديمة منزل على التوظيف ولا يبعد أن يقال المراد بالدوام الغالب لا التمام أو كان يداوم اذا لم يخف المشقة على الامة بالمتابعة أو عند عدم خشية الوجوب أو اذا لم يمنع مانع أو لم يحدث أمرا أفضل مما كان يداوم عليه اه قلت قد عد في المختصر اثبات العمل من خصائصه صلى الله عليه وسلم وفسره شراحه بان لا يقطعه حتى يعد تاركه بالمرة وليس المراد ان المداومة عليه أبدا الحديث كان يصوم حتى الخ * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق نا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي امرأة) زاد عبد الرزاق في روايته حسنة الهيئة وفي رواية البخاري انها من بني أسد وفي رواية مسلم انها الحولاء بالمهملة والمد بنت تويت بمثناتين مصغرا ابن حبيب بفتح المهملة ابن أسد بن عبد العزى من رهط خديجة أم المؤمنين (فقال من هذه فقلت فلانة لا تنام الليل) ظاهره انها مدحتها في وجهها وفي مسند الحسن مايدل على انها قالت ذلك بعد ما خرجت المرأة فتحمل رواية الكتاب عليه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم) أي الزموا وعبر بضمير المذكر مع ان الخطاب لمؤنث اشارة لتعميم الحكم بتغليب الذكور على الاناث (من الاعمال) أي النوافل (ما تطيقون) أي العمل الذي تطيقون المداومة عليه من غير ملل وفي نسخة بما تطيقونه والامر بالاقتصار على مايطاق من العبادة يستلزم النهي عن تكلف مالا يطاق ووجه ذلك ان الاقتصاد والترفق وترك التشديد والتعمق يؤمن معه من الكسل المؤدي الى قطع العمل أو الاتيان به مع كراهية وثقل وفي الحديث ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فالمشدد على خطر اذ

عنه وسنه كسن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأبي حفص الذي أظهر الله * ه به الدين فارعوى الرهباء) هو معطوف الى أبي بكر وهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل الفاروق الذي أظهر الله تعالى به الدين بعد ان كان المسلمون يستخفون

لا يأمن من الملل الموجب لعدم اقبال الله عز وجل كما أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله (فوالله) هو حلف من غير استحلاف لمجرد التأكيد (لا يمل الله) في نسخة فان الله لا يمل (حتى تملوا) بفتح الميم وتشديد اللام وفي رواية لا يسأم حتى تسأموا والمعنى واحد أي لا يعاملكم معاملة الملول فينقص من ثوابكم حتى تملوا من العمل ولا يبقى لكم نشاط فتأتوا به على ثقل وكسل وأما ان عملتم على نشاط وكمال توجه واقبال فانه لا ينقص شيأ من ثواب أعمالكم ففيه تحذير وتنفير من الملل في العمل ويحتمل أن يكون المعنى فان الله لا يقطع الثواب حتى تتركوا العمل أي اذا أردتم كثرة الثواب فداوموا على العمل بأن لا تتكلفوا فوق الطاقة لان الثواب لا ينقطع مادام العمل فان الله لا يقطع الثواب حتى تقطعوا العمل وقيل ان قوله فوالله الخ احتراس عما يتوهم الجاهل من ان ذلك يعظم على الله تعالى وسواء كان العمل صلاة أو صوما أو غيرهما قال العسقلاني سبب وروده وان كان خاصا بالصلاة ولكن عموم اللفظ هو المعتبر اه وقد جاء في بعض طرق الحديث بلفظ أكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل أخرجه الطبري في تفسير سورة المزمل وفي بعض طرقه ما يدل على ان ذلك مدرج من قول بعض رواة الحديث والله أعلم وأما قول من قال ان المعنى لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من سؤاله وترهدوا في الرغبة اليه فهو تخصيص من غير مخصص لان لفظ الاعمال في الحديث يشمل الدعاء وغيره كما تقدم في كلام العسقلاني والملل فتور يلحق النفس من كثرة مزاولة الشيء فيوجب الكسل في الفعل والاعياء والنفرة عنه وهو بهذا المعنى في حقه تعالى محال وانما أتى به في جانبه تعالى للمشاكلة اللفظية نظير قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو لما كان الملل سببا في قطع الثواب سمي السبب باسم سببه ولما فهم بعضهم أن المراد بالملل في الحديث حقيقته قال ان حتى بمعنى حين أي لا يمل الله حين تملوا الا ان الملل عليه محال وقال آخر ان حتى بمعنى الواو أي لا يمل الله وتملون ونقل ذلك الابي وسلمه وذلك كله بعيد أو لا يصح اذ لا وجه لترتبه على ما قبله (وكان أحب) اسم كان أو خبرها (ذلك) أي العمل (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يدوم عليه صاحبه) أي مداومة عرفية لان المداومة الحقيقية الشاملة لجميع الازمنة غير ممكنة وقد ذم الله تعالى من فرط في عبادة اعتادها بقوله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها قيل وبهذا الخبر ينكر أهل التصوف ترك الاوراد والنوافل كما ينكر ترك الفرائض قال في جمع الوسائل وفيه بحث وفي هذا الحديث النهي عن احياء الليل كله وقد أخذ بكراهة ذلك جماعة من العلماء وفيه كما قال ابن حجر وغيره دلالة على الاقتصاد في العمل وكمال شفقته ورأفته عليه السلام بامته لانه أرشدهم الى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة مع انبساط النفس وانشراح الصدر الذي هو غاية الكمال في العبادة ومن ثم قال لمعاذ لما طول في صلاته بالناس افتان أنت وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص ان لنفسك عليك حقا فاعط لكل ذي حق حقه وتقدم انه كان يمزح ويتمثل بالشعر ويسمعه وقال اني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وتقدم في باب السمر انه كان يتحدث بملح الاخبار وطرف الحكايات تسلية للنفوس وجلاء للقلب وسياتي في حديث زيد ابن ثابت كنا اذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا واذا ذكرنا الآخرة ذكرها بصلاتهم واسلامهم أخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه بعد ان أسلم قال يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاخفاء فخرجنا في صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى والى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسماني النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق وفرق الله تعالى بي بين الحق والباطل وفي رواية انه لما أظهر اسلامه ما زالوا يضربونه ويضربهم حتى أعز الله تعالى الاسلام وصح انه لما أسلم نزل جبريل فقال يا محمد قد استبشر أهل السموات باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا ونزل يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وان ابن مسعود قال ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وقال أيضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى أسلم فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وان حذيفة قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وقوله فارعوى الرقباء أي انزجر الاعداء من الكفار ونزعوا عن جهلهم وما كانوا عليه من الفساد وايذاء النبي والمؤمنين كرها والرقباء جمع رقيب

(والذي تقرب الاباعد في الله * ه اليه وتبعد القرباء)

والذي نعت بالواو أو خبر مبتدا محذوف أي وهو الذي تقرب الاباعد جمع ابعد بمعنى بعيد عنه في النسب في الله أي في رضا الله تعالى عليه وتبعد القرباء جمع قريب في النسب في الله اليه وفي البيت العكس

نحو لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن والاكتفاء وهو حذف شيء دل عليه ماقبله كما قررناه ورد العجز على الصدر والارصاد وهو أن يتقدم على الروى مايشعر به نحو وما ظلمناهم الآية وكان رضى الله تعالى عنه أصلب الناس فى دين الله تعالى

لايحابي قريبا ولا صديقا ولا يعرف الا امتثال أمر الله تعالى طاعة الله تعالى مقربة منه ومعصيته مبعدة منه وسواء فى ذلك عنده الاقارب والاجانب

(عمر بن الخطاب من قوله الفصل ومن حكمه السوى السواء)

عمر بدل من أبي حفص أو خبر مبتدا محذوف ومن موصولة والفصل الحق والسوى المستوى الذى لااعوجاج فيه والسواء العدل تأكيد وفى صحيح البخارى قال صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يتكلمون من غير ان يكونوا أنبياء فان يكن من أمتى منهم أحد فعمر وروى البيهقى عن ابن عمر قال وجه عمر جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية وجهزه الى بلاد فارس فاشتد على عسكره الحال وكاد المسلمون ينهزمون فصعد عمر المنبر وجعل ينادى بأعلى صوته ياسارية الجبل ثلاثا وأسمع الله عز وجل سارية وجيوشه أجمعين صوته وقالوا هذا صوت أمير المؤمنين فاسندوا ظهورهم الى الجبل فهزم الله العدو وفتح على المسلمين

(فرمنه الشيطان اذا كان فارو قا فللنار من سناء انبراء)

فر هرب والشيطان ابليس أو الجنس اذا كان فاروقا أى مفرقا بغير الحق والباطل فللنار التى هي أصل الشيطان من سناء بالقصر أى صوته الذى فرق به بين الحق والباطل انبراء أى انمحاء ولا عجب ان النار فيه تنطفئ بالنور فقد جاء ان النار يوم القيامة تقول للمؤمن على الصراط جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى وفى الصحيح ايه يا ابن الخطاب

معناه وورد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة خوف السآمة علينا وراجع ماتقدم فى آخر باب صفة كلامه فى الشعر ولهذا لما صحب الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال لتاجر اترك تجارتك ولالذى صنعة اترك صنعتك بل أقرهم على أسبابهم وأمرهم بتقوى الله فيها قال الامام المواق فى سنن المهتدين وبالجملة فقد قالوا عامل البر وطالب العلم كلاهما لابد أن يجمم نفسه أنظر بقية كلامه * قال المصنف (حدثنا أبو هشام محمد بن يزيد الرفاعى) بكسر الراء (نا ابن فضيل) بالتصغير منكرا وفى نسخة الفضيل معرفا (عن الاعمش عن أبى صالح قال سألت عائشة وأم سلمة) وفى نسخة سئلت عائشة وأم سلمة بالبناء للمفعول (أى العمل كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى هل الكثير المنقطع أو القليل الدائم (قالتا ماديم عليه وان قل) أى لان بدوام القليل تدوم الطاعة والاقبال على الله عز وجل فالقليل مع الدوام كثير فهو خير من الكثير المنقطع * قال المصنف (حدثنا محمد بن اسمعيل) أى البخارى (نا عبد الله بن صالح حدثنى معاوية ابن صالح عن عمرو بن قيس انه سمع عاصم بن حميد) بالتصغير (قال سمعت عوف بن مالك يقول كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ) فيه ان الاستياك سابق على الوضوء وقيل يستاك عند إرادة المضمضة (ثم قام يصلى فقمت معه) فيه التنفل جماعة (فبدأ فاستفتح البقرة) أى بعد الفاتحة (فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل) أى الرحمة (ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ) فيه الدعاء أثناء القراءة فى النافلة وكرهه المالكية فى الفريضة لعدم ثبوته فيها والله أعلم وعلى قياس مافى الحديث يندب كما فى ابن حجر اذا مر بآية تنزيه نحو فسبح باسم ربك العظيم سبح وبنحو أليس الله باحكم الحاكمين أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين وبنحو واسئلوا الله من فضله قال اللهم انى أسألك من فضلك (ثم ركع) عطف على استفتح (فمكث) بفتح الكاف وضمها وأكثر القراء على الضم فى قوله تعالى فمكث غير بعيد (راكعا بقدر قيامه) لقراءة البقرة (ويقول فى ركوعه سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة) تقدم الكلام على الثلاثة فى باب العبادة فى حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما (ثم سجد بقدر ركوعه ويقول فى سجوده سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم) بعد القيام للركعة الثانية (قرأ آل عمران ثم) قرأ فى الثالثة (سورة) ثم قرأ فى الرابعة (سورة) ففيه حذف حرف العطف ويحتمل أن المراد انه قرأ فى الثانية بثلاث سور والاحتمال الاول أولى بالسياق وعليه اقتصر ابن حجر وقد تقدم اضطراب رواية حديث حذيفة (يفعل مثل ذلك) أى من السواك والتعوذ والركوع والسجود فى كل ركعة بقدر قيامها وقد فهم من مجموع أحاديث الصلاة ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت مختلفة باختلاف الازمنة والاحوال فتارة يؤثر التخفيف وأخرى التطويل وأخرى الاقتصاد بحسب اقتضاء المقام مع مافيه من بيان جواز كل وجه ثم اعلم ان الواقع فى بعض النسخ ذكر حديث المرأة وما بعده أثر حديث حذيفة المتقدم فى باب العبادة وهو الاشبه بالصواب ولعل تأخيره الى هذا الباب وقع من بعض النساخ والكتاب وعلى ماهو الصواب فالمناسبة ظاهرة وكذا على مافى بعض النسخ المقروءة على المصنف من اسقاط لفظ باب الضحى وباب صلاة التطوع وباب الصوم فلا اشكال وأما على اثبات هذه الابواب فانما أخر حديث المرأة والذى يليه الى باب الصوم لان كثيرا من الناس يداومون على الصوم أكثر من غيره فذكر ذلك فيه زجوا لهم عن موجب الملل

والذى نفسى بيده عزوجل مالقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وورد ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وورد ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال عمر الا أنزل القرآن على نحو ما قال ووردانى لانظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر ووردأتانى جبريل فقال اقرأ عمر السلام وقل له ان رضاه حكم وغضبه عز وورد الحق بعدى مع عمر حيث كان ووردعمر معى وأنا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وصح حديث ماطلعت شمس على خير من عمر وروى أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال له يا أخى أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم ثم شربت لبناحتى انظر الى الرى يجرى فى اظفارى فناولته عمر قالوا فما أولته يارسول الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص يجره قالوا فما أولته يارسول الله قال الدين وصح انه من الملهمين الذين ينطق الحق على ألسنتهم كما تقدم وكانت مدة خلافته رضى الله تعالى عنه عشرة أعوام وستة أشهر وخمس ليال وسنه كسن ابى بكر طعنه أبو لؤلؤة العلج واسمه فيروز غلام المغيرة بن شعبة وكان مجوسيا وقيل نصرانيا ولما طعنه وهو فى صلاة الصبح قال الحمد لله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدعى الاسلام وذلك يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الاحد هلال المحرم

(وابن عفان ذى الايادى التى طال الى المصطفى بها الاسداء)

ابن عفان بالكسر عطف على أبى بكر أى وأقسم عليك بابى بكر وعمر وعثمان بن عفان ذى الايادى جمع يد بمعنى النعمة أى صاحب النعم التى طال أى امتد الى المصطفى أى المختار على الخلق بها متعلق بما بعده الاسداء أى الاعطاء (حفر البئر جهز الجيش أهدى الهدى لما ان صده الاعداء) أى حفر بئر رومة وكانت ليهودى

فيه وفى غيره على كل حال وختم بعد ذلك بحديث عوف لانه لما بين ان أفضل الاعمال مايطاق بين أن ارتكابه المشقة نادر الا يفوت الفضيلة والله أعلم انظر ابن حجر

باب
ماجاء فى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى فى صفة قراءة الخ كما فى بعض النسخ وفى بعضها باب صفة قراءة الخ أى من ترتيل ومد ووقف واسرار واعلان وترجيع وغير ذلك وتلاوة القرآن من أعظم العبادات وأفضل القربات ففى صحيح مسلم من حديث أبى امامة رضى الله عنه صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه وفى جامع الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها وفى البخارى ومسلم عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران والماهر الحاذق الكامل لحفظ الذى لا يتوقف ولا تشق عليه التلاوة لجودة حفظه والسفرة جمع سافر ككاتب وكتبة الملائكة ومعنى كونه معهم ان يكون رفيقا لهم فى منازلهم فى الآخرة لا تصافه بصفتهم فى حمله كتاب الله عز وجل ومعنى يتتعتع يتردد فيه لقلة حفظه والاجران احدهما فى قراءة حروفه والآخر فى تعبه ومشقته وليس المعنى انه أكثر أجرا من الماهر بل الماهر أكثر لانه مع السفرة عليهم السلام وله أجور كثيرة وكيف يلتحق من لم يعتن بكتاب الله عز وجل بمن اعتنى به حتى مهر فيه انظر الابى وفى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اجتمع قوم يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده زاد ابن حبيب وأظلتهم الملائكة باجنحتها واستغفروا لهم وفى جامع الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من شغله القرآن عن ذكرى وعن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وقال الشيخ زروق فى شرح الوغليسية روى ان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه قال رأيت رب العزة فى المنام فقلت ما أقرب ما يتقرب به المتقربون اليك قال كلامى قلت يارب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم اه بمعناه ونقل المواق فى سنن المهتدين عن شيخ الشيوخ ابن لب قال خطر لى خاطر خير والعاصى قد يخطر له خاطر خير فأردت ان أجعل على نفسى وظيفة من ذكر أو تلاوة وترددت فى أى ذلك أفضل فأنشدت فى النوم

اذا الاحباب فاتهم التلاقى * فما صلة بافضل من كتابى

فلما استيقظت علمت ان قراءة القرآن أفضل (حدثنا قتيبة بن سعيد نا الليث عن ابن أبى مليكة عن يعلى بن مملك) بفتح الميم الاولى وسكون الثانية وفتح اللام بعدها كاف (انه سأل أم سلمة عن قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ماذا هى فاذا للمفاجأة وأفادبها انها أجابت بذلك على الفور وان ذلك يدل على ضبطها وقوة استحضارها لصفة قراءته صلى الله عليه وسلم (هى) أى أم سلمة (تنعت) أى تصف (قراءة مفسرة) أى مبينة مشروحة واضحة مفصولة الحروف من الفسر وهو البيان ومنه التفسير (حرفا حرفا) قال الجزرى أى كلمة كلمة اه وهو بدل من قوله مفسرة ثم نعتها لذلك اما بالقول بان تقول كانت قراءته كيت وكيت واما بالفعل كان تقرأ

كقراءته قاله الطيبي والثاني هو ظاهر السياق فتكون أظهرت كيفية ماسمعت بالفعل الذى هو أقوى من القول مع انه بعيد الرواية والدراية * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا وهب ابن جرير بن حازم نا أبي عن قتادة قال قلت لانس بن مالك كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال مدا) يحتمل ان يكون مفعولا مطلقا أي يمد قراءته مدا أي يمدما يقتضى المد ويحتمل ان يكون على حذف مضاف أي ذات مد ففى رواية البخاري فقال كان يمد مدا وفى رواية له أيضا فقال كان مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم وهذه الرواية تبين ان المراد انه كان يأتى بالمد الاصلى الذى يكون فى حروف العلة لذاتها وهو المد الطبيعى قال الجزرى فى التصحيح وليس المراد المبالغة في المد لغير موجب وكان بعض شيوخنا يقول المراد مد الزمان يعنى انه يجود ويرتل ويشدد ويمكن ويتم الحركات فيكون قد مد الزمان انتهى وفيما ذكره المصنف من حديث أم سلمة وأنس دليل على ان الترتيل أفضل من الهذ وهو المشهور ومذهب الجمهور لان الترتيل هو صفة قراءته صلى الله عليه وسلم في الصلاة وغيرها وقد قال تعالى ورتل القرآن ترتيلا وروي ان النبي صلي الله عليه وسلم قام ليلة كاملة بآية واحدة يرتلها ويرددها الى الصباح وهي قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون وأيضا الترتيل أقرب الى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال وقد سئلت عائشة رضى الله عنها برجل يقرأ القرآن هذا فقالت ماقرأ هذا ولا سكت وأيضا بالترتيل يمكن التدبر والحضور الذى هو المقصود الاعظم من التلاوة لانه غذاء الارواح وحياة النفوس وقد كان صلى الله عليه وسلم في قيامه يكسو من كل آية يقرؤها حال يناسب معنى تلك الآية وقد قال علي رضى الله عنه لاخير في عبادة لافقه فيها ولا فى قراءة لاتدبر فيها وقد قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن وقال ليدبروا آياته ومن ثم قال فى الرسالة والتفهم مع قلة القراءة أفضل فقال ابن ناجى فى شرحها أفتى بعض من لقيناه من القرويين غير مامرة بان من يقرأ القرآن بلا فهم لاثواب له البتة زاعما ان ابن عبد البر نص على ذلك فقال هو كمثل الحمار يحمل أسفارا وكنت لا ارتضى منه هذه الفتوى ومحمل ماذكر عن ابن عبد البر انما هو الاشارة الى ان المبالغة في فهم القرآن أحسن اه وقال الحطاب في حاشيتها قال فى درس تأخير العشاء من سماع ابن القاسم من كتاب الجامع وسئل مالك عن الهذ فى قراءة القرآن فقال من الناس من اذا هذ كان أخف عليه واذا رتل اخطأ ومن الناس من لايحسن يهذ والناس فى ذلك علي حالهم فيما يخف عليهم قال ابن رشد هذا بين من لم يقدر على الهذ رتل ومن لم يقدر علي الترتيل هذ وأما من كان يقدر على الوجهين جميعا فالترتيل له أفضل لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اه وقيل الهذ أفضل لكثرة القراءة فيه * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا يحيى بن سعيد الاموى عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته) من التقطيع وهو جعل الشيء قطعة قطعة قال ابن حجر بان يقف علي فواصل الآى كما بينت ذلك بقولها (يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف) أي مع أن فيه قطع الصفة عن الموصوف (ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف) أي وهكذا فى سائر الآيات ومن ثم قال البيهقى والحليمى وغيرهما يسن الوقف على رؤس الآى وان تعلقت بما بعدها للاتباع اه وقال فى جمع الوسائل اجمع القراء على ان الوقف على الفواصل وقف حسن وان تعلقت بما بعدها وانما الخلاف فى ان الافضل هو الوصل أو

وقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء يستعذب غيرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من حفر بئر رومة أو اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم وحفرها فهى موجودة الى الآن فتوابها مستمر الى قيام الساعة وتعبير الناظم بحفر تبع فيه بعض الرواة ولم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعضهم وانما المعروف انه اشتراها اذ لامانع من انه اشتراها وزاد فى تعميقها لتكثير مائها ويعنى بالجيش جيش العسرة وهو من جيش غزوة تبوك أى اعظام جهازهم وهو مايحتاجون اليه أخرج الترمذى انه صلى الله عليه وسلم حث على جيش العسرة فقال عثمان علي يارسول الله مائتا بعير باحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض صلى الله عليه وسلم فقال عثمان يارسول الله على ثلثمائة بعير باحلاسها وأقتابها فى سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ماعلى عثمان مافعل بعد هذه وفى رواية حمل عثمان جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وصح انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره وجعل يقلبها بيده المباركة ويقول ماضر عثمان مافعل بعد اليوم وفى رواية انه بعث بعشرة آلاف دينار فصبت بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك ياعثمان ماأسررت وما أعلنت وماهو كائن الى يوم القيامة مايبالى عثمان ماعمل بعدها وصح انه لما حوصر أشرف عليهم فقال أنشدكم بالله تعالى ولا أنشد الا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فصدقوه بما قال وعن أبي هريرة اشترى عثمان الجنة من النبي مرتين حيث حفر بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة وصح انه استشهد أقواما من الصحابة على ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال من يشترى هذا المربد ويزيده فى مسجدنا وله الجنة وأجره فى الدنيا ما بقى درجات له فاشتريته بعشرين ألفا وزدته فى المسجد فنهدوا له وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم زوج ابنتيه سيدتنا رقية ثم سيدتنا أم كلثوم ولما ماتت قال له لو كان عندي ثالثة لزدتكها وبذلك سمي ذا النورين ولا يعلم رجل أرخي ستر اعلي بنتى نبي سواه رضى الله تعالى عنه وقيل سمى ذا النورين لانه اذا دخل الجنة برقت له برقتين وقيل انه كان يختم القرآن فى الوتر فالقرآن نور وقيام الليل نور قال عبد الله بن عمرو فيه نزل قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية ولما ختم القرآن فى ركعة قوله أهدى الهدى أى أرسله الى مكة عام الحديبية سنة ست حين توجه النبي يريد العمرة لما أن صده الأعداء أي منعه كفار قريش من دخول مكة وكأن وجه تخصيصه بذلك ان هديه وصل الى مكة بخلاف غيره لعزة قومه دون غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين نحروا هديهم بالحديبية وانه وقت نحر النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة اذ أرسله النبي الى قريش ولما رجع منها وجد المسلمين قد نحروا لما يئسوا من ارسال هديهم الى مكة فبعث هو هديه اليها والله تعالى أعلم بمراده وفى أهدى الهدى كالسوى والسواء ويبعد والاباعد ويقرب والقرباء وأدب والادباء جناس الاشتقاق أو شبهه

(وابي ان يطوف بالبيت اذلم يدن منه الى النبي فناء) لجزته عنها ببيعة رضوا ن يدمن نبيه بيضاء)

أى امتنع أن يطوف بالبيت لما أرسله النبي ان يبلغ كتاب الصلح الذى عقده مع سهيل بن عمرو العامرى وامسك سهيلا عنده فقال له أهله ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فابي اذلم يدن منه أي البيت الى النبي فناء بالكسر هو ما امتد من جوانبه واحتبسه أهله فرحابه وبلغ النبي صلى الله

الوقف فالجمهور على الاول وغيرهم على الثاني وعليه جري صاحب القاموس حيث قال صح انه صلى الله عليه وسلم وقف على رأس الآية وان كان متعلقا بما بعده وقول بعض القراء الوقف على موضع يتبين به فهم الكلام أولى غفلة عن السنة فان هذا انما هو فيما لا يعلم فيه وقفه صلى الله عليه وسلم والافالفضل والكمال متابعته فى كل حال اه بمعناه وهذا الحديث مما يؤيد مذهب مالك ان البسملة ليست آية من الفاتحة خلافا لابن حجر ولا يقدح في هذا الحديث بان فى سنده انقطاعا لان الليث بن سعد رواه عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك كما قال المصنف فى جامعه لقول العسقلانى عن ابن أبي مليكة انه قال أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الاربعة فيحتمل انه سمع الحديث بهذا اللفظ من أم سلمة وسمع الحديث باللفظ المتقدم من يعلى بن مملك عنها انظر جمع الوسائل (وكان يقرأ ملك يوم الدين) أي بحذف الالف وهى قراءة الجمهور وقرئ مالك بالالف قال ابن حجر وبهذا الحديث والذى قبله علم ان قراءته صلى الله عليه وسلم كانت ترتيلا لا هذا بل مفسرة الحروف مستوفاة ما تستحقه من مد وغيره لانه كان يقطعها آية آية * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا الليث عن معاوية بن صالح عن عبد الله بن أبي قيس قال سألت عائشة عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم أكان يسر بالقراءة) أى يخفيها والباء زائدة لان أسر يتعدى بنفسه أو بمعنى فى والتقدير أكان يسر صوته فى وقت القراءة أو على تضمين يسر معنى يخافت (أم يجهر قالت كل ذلك) بالرفع والنصب حسن لو وردت به الرواية (قد كان يفعل قد كان ربما أسر وربما جهر) أى فيجوز كل من الامرين على حد سواء وظاهره فى ليل أو نهار لكن أورده المصنف فى جامعه فى أبواب صلاة الليل فى باب القراءة بالليل بهذا الاسناد بعينه بلفظ سألت عائشة كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل وقد نص المالكية على ان المستحب فى نوافل الليل الاجهار لانه يعين على الحضور وينبه الغافل ويوقظ النائم ولا يكره فيها الاسرار والمستحب في نوافل النهار الاسرار وفى كراهة الجهر نهارا قولان (فقلت الحمد لله الذى جعل فى الامر سعة) أى اتساعا فلم يضيق بتعيين أحد الامرين وقد قيل في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ان المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات تارة والجهر اخرى وقيل المعنى سبيلا بين الجهر والمخافتة فان الاقتصاد مطلوب وفى جميع الامور محبوب وروى أن أبا بكر رضى الله عنه كان يخفت ويقول اسمع من أناجى وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا وكيع نا مسعر عن أبي العلاء العبدي) بفتح العين وسكون الموحدة وفى نسخة الغنوى بفتح الغين المعجمة والنون وكسر الواو (عن يحيى بن جعدة عن أم هانئ) أخت علي بن أبي طالب رضى الله عنه (قالت كنت أسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل وأنا على عريشى) في رواية النسائى وأنا على عرشى والمراد به السرير الذى تنام عليه ويطلق العرش أيضا على ما يستظل به وعلي ما يهيأ للكرم لترتفع عليه وفى رواية لابن ماجه على ما فى المواهب عنها قالت كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشى وعورضت أحاديث الجهر بالقرآن بحديث المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة وجمع النووى بينهما بأن الاخفاء

عليه وسلم انه قتل فأمر بالبيعة بيعة الرضوان تحت الشجرة فبايعه الصحابة على الموت وعلى ان لا يفروا ولما بايعه الناس وضع يمينه المباركة على شماله الشريفة وقال هذه عن عثمان وفى البخارى فقال صلى الله عليه وسلم باليمنى هذه بيعة عثمان فضرب

بها على يده اليسرى وفى رواية الترمذى أن عثمان فى حاجة الله تعالى وفى حاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم ولما سمع المشركون هذه البيعة العظيمة خافوا وأرسلوا عثمان وجماعة من المسلمين والى بيعة النبى عنه أشار الناظم بقوله فجزته أى أثابته عنها أى عن فعلته وهى ذهابه الى أهل مكة بكتاب الصلح وامتناعه من الطواف قبل أن يطوف النبى صلى الله عليه وسلم وقوله ببيعة رضوان أى فيها يد من نبيه بيضاء أي حسا ومعنى أى غير سوداء وكريمة كرما عاما

(أدب عنده تضاعفت الاء
مال بالترك حبذا الادباء)

اى ابايته من الطواف قبل ان يطوف النبى صلى الله عليه وسلم هو ادب عظيم عنده اى عند ذلك الادب تضاعفت الاعمال أى كثرت لعثمان بالترك اى حبس نفسه عن الطواف قبل النبى فكان الترك اعظم اجرا من الفعل لو وقع لما فى الترك من عظيم الادب حبذا الادباء اى نعم الجنس جنسهم وعثمان من أفضلهم وقد قال العارف بن البناء السرقسطى في المباحث الاصلية والقوم بالآداب حقا سادوا منه استفاد القوم ما استفادوا

أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام والجهر أفضل في غير ذلك لان العمل فيه أكثر ولان فائدته تتعدى الى السامعين ولانه يوقظ قلب القارى ويجمع همه الى الفكر ويصرف سمعه اليه ويطرد النوم ويزيد فى النشاط وقال بعضهم يستحب الجهر ببعض القراءة والاسرار ببعضها لان المسر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يكل فيستريح بالاسرار اه بنقل شيخنا المحقق فى شرح الحصن الحصين * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود نا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وهو يقرأ انا فتحنا لك فتحنا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) الى آخر السورة لما تقتضيه رواية البخارى وهو يقرأ سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع واعلم ان نزول هذه السورة كان قبل يوم الفتح مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من الحديبية وحينئذ فيقال ما معنى هذا الفتح مع انهم صدوا عن البيت فنحروا وحلقوا بالحديبية ودخلهم عند تمام الصلح أمر عظيم حتى كاد بعضهم يهلك فانهم خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم ولا يشكون فى الفتح للرؤيا التى رآها النبى صلى الله عليه وسلم وهى أنه صلى الله عليه وسلم يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين والجواب أنه لما وقع ذلك الصلح أمن بعض الناس بعضا ولقى المشركون المؤمنين وسمعوا منهم واطلعوا على محاسن الاسلام فأسلم منهم عدد كثير بغير قتال حتى انه خرج الى الحديبية بالف وأربعمائة وخرج عام فتح مكة بعد ذلك بعامين في عشرة آلاف ومن ثم والله أعلم قرأ صلى الله عليه وسلم هذه السورة يوم الفتح اظهارا لنجح عاقبة ذلك الصلح حيث ظفر ببلاده وقومه وظهر الدين فى حرم الله وبيته قال فى الكشاف فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الأربعة وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث أنه جهاد للمعدو سببا للغفران والثواب اه قال شيخنا المحقق فى شرح همزيته ظهر لى ان للام للتعليل على خلاف ما فى الكشاف والمعنى جعلنا انعامنا عليك سببا ومقتضيا ومستدعيا لانعامنا عليك اشارة الى مقام المحبوبية الأرفع أي لم نعتبر فى افاضة فضلنا عليك وتوجيه عطائنا اليك عملك وتعبك ونصبك بل جعلنا التفضل سببا للتفضل فانت فى تفضل مستمر متتابع ولذا جىء بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر أي فتحنا لك فتحا غير مقيد بالاعمال ولا منظور فيه الى ما يبقى به على أكابر المقربين مما هو في نفسه كمال وهكذا يفعل مع المحبوبين ويتفضل على المرادين المطلوبين وفى نوادر الاصول قال الله تعالى فى أهل قبضة اليمين أنتم لى عملتم أو لم تعملوا اه وعمله صلى الله عليه وسلم انما كان محض شكر كما تقدم فى قوله أفلا أكون عبدا شكورا انظر تمام كلامه ان شئت فانه حسن جدا وقد تقدم فى حديث أن الله ليرضى عن العبد ان يأكل الأكلة الخ ما يؤخذ منه أن لهذه الامة المشرفة قسطا ونصيبا من هذا المعنى فراجعه وقد تقدم قبيل باب الشعر ان معنى الذنب فى حقه صلى الله عليه وسلم انه لا يزال فى ترق دائم فكلما انتقل من مرتبة الى ما فوقها رأى المقام فى الاولى نقيصة بالنسبة الى ما فوقها وان كان فى نفسه من أكمل الكمال فهو من باب حسنات الابرار سيآت المقربين أو المراد ذنوب أمته ولكن لشدة اهتمامه بها وقوة اعتنائه بشأنها وغاية حرصه على سلامتها

وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حقه وقد استحيا عليه السلام منه لما دخل عليه فجمع ثيابه ونجاتها
الا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة وقد قال أيضا عليه الصلاة والسلام أشد أمتى حياء عثمان بن عفان عثمان احيا أمتى

وأكرمها عثمان حي مستشهد تستحي منه الملائكة ان الملائكة تستحي من عثمان كما تستحي من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم انما نشبه عثمان بابينا ابراهيم عثمان ولي في الدنيا وولي في الآخرة وذكر النبي فتنة يقربها فمر عثمان فقال هذا

ونجاتها عبر بضميره عنها كانها نفسه فهو مجاز مرسل علاقته شدة الارتباط والقرب كما يقال جاء الخليفة والمراد غلامه ولا تقول علي هذا ان العبارة علي حذف مضاف لفوات هذه النكتة البليغة وأما احتمال ان المراد بالمغفرة العصمة ففيه نظر هنا لان العصمة ثابتة قبل الفتح وقبل البعثة فلا معنى لتعليلها به فالوجه ماسبق قاله شيخنا المحقق في شرحه لهمزيته وانظر فيه تفسير بقية الآية (قال) أي معاوية (فقرأ) اي ابن مغفل كما في رواية مسلم (ورجع) في ترجيع ابن مغفل دليل علي ان ترجيعه صلى الله عليه وسلم لم يكن لهز الناقة التي كان راكبا عليها خلافا لابن الاثير اذ لو كان بغير اختياره لم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتأسى به ولم ينسب الترجيع لفعله بقوله فرجع في قراءته كما في مسلم وكما تقدم في رواية البخاري وهذا هو الذي فهمه البخاري ومسلم فترجم كل منهما بيان الترجيع والترجيع هو التمطيط والترديد قال ابن حجر وكأن حكمته ان الترجيع ينشأ غالبا عن اريحية تحدث عند النفس سرورا وانبساطا ولاشك انه صلى الله عليه وسلم قد حصل له من ذلك يوم الفتح حظ وافر فكان سببا لترجيعه ويوافق هذا الحديث حديث زينوا القرآن باصواتكم وحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ووردانه صلى الله عليه وسلم استمع لقراءة أبي موسى الاشعري فلما اخبره بذلك قال لو كنت اعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا اي حسنته بصوتي تحسينا ووردان لكل شيء حلية وحلية القرآن حسن الصوت * وروى ابن أبي شيبة تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه اه وبهذه الاحاديث ونحوها استدل من يقول بجواز قراءة القرآن بالالحان ان لم يخرج عن شرط الاداء المعتبر عند أهل القرآن قال في الاكمال ولا خلاف ان تحسين الصوت بقراءة القرآن مشروع مندوب اليه واختلف في الترجيع والقراءة بالالحان فكرهه مالك وأكثر العلماء لانه خارج عما وضع له القرآن من الخشية والخشوع والتفهم وأجازه بعضهم للاحاديث الواردة في ذلك ولان ذلك لا يزيده الا رقة في النفوس وحسن موقع في القلوب واثارة خشية واليه ذهب ابو حنيفة وجماعة من السلف وقاله الشافعي في التحزين اه وحكى قبل هذا عن الشافعي جواز القراءة بالالحان وهي غير قراءة التحزين الذي حكي عنه هنا قاله الابي وقال ابن العربي من المالكية بجواز القراءة بالالحان بل قال انه سنة قال وقد استحسنه كثير من فقهاء الامصار اه وقال النووي الذي يتحصل من الادلة ان حسن الصوت بالقرآن مطلوب فان لم يكن حسنا فليحسنه ما استطاع كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث وقد اخرج ذلك عنه أبو داود باسناد صحيح ومن جملة تحسينه ان يراعي فيه قوانين النغم فان الصوت الحسن يزداد بذلك حسنا وان خرج عنها أثر ذلك في حسنه وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الاداء المعتبر عند اهل القرآن فان خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الاداء فلعل هذا مستند من كره القراءة بالانغام لان الغالب علي من راعى الانغام ان لا يراعي الاداء فان وجد من يراعيهما معا فلا شك انه ارجح من غيره لانه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من مخالفة الاداء وأما القول بان التمطيط لا يضر مطلقا فهو شذوذ لا يعرج عليه قاله النووي وقال ابن حجر وقد كثر الخلاف في التطريب والتغني بالقرآن والحق أن ما كان طبيعة وسجية كان محمودا وما كان تكلفا او تصنعا مذموما وهو الذي كرهه السلف وعابوه ومن تأمل احوالهم علم انهم

يومئذ علي الهدى وقال له ان الله تعالى مقمصك قميصا اي موليك خلافة فان أرادك المنافقون علي خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني فلذلك قال لهم يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا وأنا صابر عليه وقال لمالكه وهم كثير وأرادوا نصره لما حوصر من أغمد سيفه فهو حر وجاءه زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه فقال له ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا أنصار الله تعالى مرتين فقال لا حاجة لي في ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا وأنا صابر عليه وصح أنه أشرف من كوة فقال لعلي رضي الله تعالى عنه ياأبا الحسن ماهذا الذي ركب متني فقال اصبر ياابا عبد الله فوالله ماغبت عن رسول لله صلى الله عليه وسلم حين كنا علي أحد فتحرك فقال اثبت احد فانه ليس عليك الا نبي او صديق او شهيد وايم الله لتقتلن ولاقتلن معك وليقتلن طلحة والزبير وقال فيه انه يوم يموت تصلي عليه ملائكة السماء وان ذلك له خاصة وروى انه ماتغنى ولاغنى له ولا وضع يمينه علي فرجه منذ بايع بها النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ أسلم الا وأعتق فيها رقبة فجملة ما أعتقه ألفان واربعمائة تقريبا ولا زني ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثني عشر يوما وعظمت الفتوحات في مدته وكان يولي اقاربه ويستعملهم فتكلم بعض الرعية في ذلك وهموا بعزله حتى حاصره اهل البصرة والكوفة ومصر أياما ودخلوا عليه داره وذبحوه والمصحف الكريم بين يديه فوقع الدم علي قوله

تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وكان ذلك يوم الجمعة لثمان خلون من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وقد ناهز الثمانين ودفن بالبقيع وروى ابن عساكر عن عائشة (١٠٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا بقصر من ذهب ودر وياقوت

فقلت لمن هذا فقالوا للخليفة من بعدك المقتول ظلما عثمان بن عفان وقال كيف انت ياعثمان اذا لقيتك يوم القيامة وأوداجك تشخب دما فأقول من فعل بك فتقول بين خاذل وآمر فبينما نحن كذلك اذ ينادى مناد من تحت العرش ان عثمان قد حكم فى أصحابه

(وعلى صنو النبي ومن دي
ـن فؤادى وداده والولاء)

أى وأقسم عليك بعلى صنو النبي أى أخيه لانه آخي بينه وبينه وقال له انت أخى فى الدنيا والآخرة رواه الترمذى وخرج أحمد فى المناقب ان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين الناس وترك عليا حتى بقى آخرهم لايرى له أخا فقال يارسول الله آخيت بين الناس وتركتنى قال ولم ترأنى تركتك انما تركتك لنفسى أنت أخي وأنا أخوك وخرج أيضا عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الجنة مكتوب لااله الاالله محمد رسول الله علي أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا يقول سيدنا علي كرم الله وجهه

محمد النبي اخى وصهرى
وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى
يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكنى وعرسى
منوط لحمها بدمى ولحمى
وسبطا احمد ولداى منها
فايكم له سهم كسهمى
سبقتكم الي الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت اوان حلمى
وصليت الصلاة وكنت فردا * فمن ذا يدعى يوما كيومى تكون

ومن موصولة ودين فؤادى اعتقاد قلبي وداده اى محبته والولاء بفتح الواو أى نصرته ومصادقته ومحبته والولى المحب والصادق

بريئون من التصنع والقراءة بالالحان المخترعة دون التطريب والتحسين الطبيعي وقد ندب اليه صلى الله عليه وسلم بمامر من الاحاديث اه وعلل ابن رشد كراهة القراءة باللحون بانه أمر مبتدع وبانهم يفعلون فيه نحو مايفعلونه فى الغناء وأما الاحاديث المتقدمة فاما ان تؤول بما تقدم عن ابن حجر واما بغير ذلك قال فى التوضيح وأما خبر زينوا القرآن باصواتكم فانه مقلوب وأصله زينوا أصواتكم بالقرآن اه قال ابن حجر ادعاء القلب لادليل عليه اه وأما حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ماأذن الله لنبي الخ فقيل معنى يتغنى بالقرآن يجهر به وقيل معناه يستغنى به عن غيره من الكتب والاحاديث وقيل معناه يستغنى به عن الناس بان لايدنس حلية اكرامه تعالي بالقرآن الذى هو أعظم الكتب المنزله بالطمع فى الخلق والوقوف بابوابهم مع انهم لايملكون لانفسهم فضلا عن غيرهم نفعا ولاضرا وما احسن قول ابن عطاء رضي الله عنه فى الحكم لاترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ماكان هو له واضعا من لايستطيع ان يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره رافعا وقال ايضا فى غير الحكم

الله يعلم انى ذو همة * تأبى الدنايا عفة وتظرفا
لم لاأصون عن الورى ديباجتى * وأريهم عز الملوك واشرفا
أأريهم أني الفقير اليهم * وجميعهم لايستطيع تصرفا
شكوى الضعيف الى ضعيف مثله * عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذى احسانه * عم البرية منة وتلطفا

قال فى الاكمال ورد الطبرى تأويل يتغنى بيستغنى وخطأه لغة ومعنى (قال) أى شعبة (وقال معاوية لولا ان يجتمع الناس علي لاخذت لكم فى ذلك الصوت اوقال اللحن) واحد اللحون بالضم والالحان وهو التطريب والترجيع وتحسين نحو قراءة اوشعر وفى رواية لمسلم لحكيت لكم قراءته وفى رواية اخرى له لاخذت لكم بذلك الذى ذكره ابن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم وفى رواية للبخارى لرجعت لكم كما رجع قال ابن حجر وفيه دليل علي ان ابن مغفل بين له كيفية ذلك الترجيع اه وانظر قول معاوية لولا ان الخ مع ماهو معلوم من ان تعليم العلم ونشره مطلوب لاسيما ان اجتمع الناس لذلك اللهم الا ان كان يخشى بالاجتماع فتنة او معصية كاختلاط رجال بنساء او اخلال بمروءة او نحو ذلك من المفاسد فان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح كما اشار الى ذلك ابن حجر وغيره وفى هذا الحديث جواز القراءة علي الدابة خلافا لمن كرهه من السلف لما يقال انه يثقل علي الدابة اولانه لايتمكن من القراءة على وجهها وفيه ملازمته صلي الله عليه وسلم للعبادة لانه حال ركوبه ومسيره لم يترك التلاوة وفيه ان الجهر قد يكون فى بعض المواطن أفضل من الاسرار وذلك عند التعظيم وايقاظ الغافل ونحو ذلك انظر المناوى * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا نوح بن قيس الحداني) نسبة الى حدان بضم اوله قبيلة من الازد (عن حسام بن مصك) بكسر الميم فصاد مفتوحة (عن قتادة) تقدمت ترجمته فى باب الشعر بفتح الشين والعين وانه تابعي جليل فالحديث مرسل (قال مابعث الله نبيا الاحسن الوجه) ليكون حسن الظاهر دليلا علي حسن الباطن لان الظاهر عنوان الباطن غالبا وقد يتخلف ذلك لكن الغالب معمول به والنادر لاحكم له وقد

والناصر وقال الشارح أي مناصرته والذب عنه والرد على من نازع في خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع عليها وعلى من خرجوا عليه ونازعوه الامر ورموه بما هو بري منه وفي الحديث من كنت مولاه فعلي (١٠٥) مولاه اللهم والمن والاه وعاد من عاداه

تكون صورة الجمال عارضة فتظن أصلية فيقع الغلط قال أبو الفتح البستي رحمه الله

وقد يلبس المرء خز الثياب * ومن دونها حالة مضنية

كمن يكتسي خده حمرة * وعلتها ورم في الريه

وقد تقدم ذلك قبيل الحديث الاول من أحاديث هذا الكتاب) حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم حسن الوجه حسن الصوت) في وصف أم معبد رضي الله عنها أنه كان في صوته صلى الله عليه وسلم صحل وهو بحة مستحسنة وعدم حدة في الصوت وكان صلى الله عليه وسلم جهير الصوت رخيمه أحسن الناس نغمة وكان صوته يبلغ حيث لا يبلغ صوت غيره فعن البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في خدورهن ورواية المصنف في جامعه من حديث أنس وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا (وكان لا يرجع) أي ترجيع الغناء أو في غالب أحواله فلا ينافي مامر في الحديث قبله * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا يحيى بن حسان نا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ربما يسمعه من في الحجرة وهو في البيت) قال القسطلاني المراد بالبيت الدار وبحجرتها المحجر حولها بحجر ويمنع من الدخول فيه والاطلاع عليه اه وأشار برب الى انه كان لا يسمعها من في الحجرة الا اذا اصغى اليها وانصت لكونها من السر أقرب فلم يتجاوز صوته ما وراء الحجرات لتوسطه قاله المناوي

باب
في بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكره بعد القراءة لانها أحد اسبابه كما يأتي في حديث ابن مسعود وقد تضمنت أحاديث الباب ان بكاءه صلى الله عليه وسلم تارة يكون من شدة خوفه صلى الله عليه وسلم وتارة يكون رحمة على ميت وانه في جميع ذلك لم يكن بشهيق ولا رفع صوت وانما كان بمجرد دمع العين كما ان ضحكه انما كان تبسما لا بقهقهة ولا رفع صوت كما تقدم (حدثنا سويد بن نصر نا عبد الله ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن ثابت عن مطرف وهو ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه) عبد الله ابن الشخير وهو صحابي من مسلمة الفتح (قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز) هو صوت القدر (كازيز المرجل) بكسر فسكون ففتح قال ابن حجر القدر من الحجارة والنحاس وقيل كل قدر اه أي غليان كغليان القدر (من البكاء) أي من أجل حبسه حتى يغلي به الجوف ويسمع له صوت وفيه كما قال ابن حجر وغيره دليل على كمال خوفه صلى الله عليه وسلم من ربه جلا وعلا ومعلوم ان العمل والخشية على قدر العلم والمعرفة وهو صلى الله عليه وسلم سيد العارفين بالله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلمكم بالله وأشدكم له خشية وقال والله اني لاخشاكم لله وأتقاكم لله وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة واعلم ان مذهب الاشعري قال الشهاب وهو الحق ان الانبياء لا يخشى أحد عليهم العقاب ولا يجوز تجويزه عليهم لعصمتهم عن المخالفات وخشيتهم وخوفهم من الله تعالى معلوم لا شك فيه وحينئذ فيشكل مجامعة التامين للخوف وجوابه والله أعلم انا نقول حسنات الابرار سيآت المقربين لخوفهم من رؤية غير الاكمل الذي هو كالنقص في حقهم فان رؤيته كافية في الخجل والانقباض وأيضا فليس المراد من خوفهم ان ينزجروا وينكفوا عن

رواه ثلاثون صحابيا وروى ان عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن من بعدي وورد ان الله تعالى أمرني بحب أربعة وأخبرني انه يحبهم منهم علي وورد أنه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وان من سبه فقد سب النبي صلى الله عليه وسلم وانه يقاتل علي القرآن كما قاتل النبي صلى الله عليه وسلم على تنزيله وانه يهلك فيه اثنان محب مفرط ومبغض مبهت وان قاتله لعنه الله تعالى اشقى الآخرين كما ان عاقر الناقة أشقى الاولين لعنهما الله تعالى

(ووزير ابن عمه في المعالي
ومن الاهل تسعد الوزراء)

أي ناصره وحامل أثقاله والمعالي جمع معلاة وهي كسب الشرف ولما خلفه النبي صلى الله عليه وسلم وفي غزوة تبوك علي المدينة قال يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني الا علي وروى الخطيب علي مني بمنزلة رأسي من بدني وروى ابن عدي علي يعسوب المسلمين وروى البزار علي يقضي ديني وروى النسائي والحاكم كل ان نبي أعطي سبعة نجباء وأعطيت أنا أربعة عشر علي والحسن والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر الحديث وروى أحمد أنت أخي وأبو ولدي تقاتل

(١٤-جاسوس-ثاني) على سنتي الحديث قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في علي كرم الله وجهه ثلثمائة آية وقال الامام أحمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي وقال اسمعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالاسانيد

عنه فقد روى الترمذي حديث ما من نبي الا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فاما وزيراي من السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الارض فابو بكر وعمر الا أن يراد بهما وزارة خاصة وهي قوله أنت مني بمنزلة هرون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من هذا التي هي كوزاوة هرون من موسي أخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومن ثم أخذ الشيعة انها تفيد النص على انه الخليفة بعده ويؤيد حمل الوزارة علي الخاصة انه أرسله ان يؤذن علي الناس ببراءة في الموسم مع ان الخليفة علي الحجيج أبو بكر لان العرب لا يقبلون مبلغا عن كبير الا ان كان من قرابته واستخلفه بمكة عند الهجرة حتى أدى ودائعه وقضى دينه وأتاه باهله قوله ومن الاهل تسعد الوزراء تذييل مناسب لما قبله وفيه رد العجز علي الصدر ومن تلك السعادة ما أخرج الترمذي وأحمد من حديث المؤاخاة المتقدم وقال في حديث فيه كلام انا مدينة العلم وعلي بابها وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم أرسله الى اليمن ليقضي بينهم قال لا أدري ما القضاء فضرب صدره بيده الشريفة ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين وقيل لمالك اكثر الصحابة حديثا فقال

المخالفات بل أن يكونوا في مقام العبودية والأدب علي أكمل الحالات لان الركون للامن وعدم الخوف هو عين القصور وسوء الادب وأيضا فلكمال علمهم بالانقلابات واطلاعهم علي ضروب التصرفات يرد عليهم من الخشية ما يرد فان من ورد على ملك وهو آمن منه قاطع بانه لا يصدر منه الا الاحسان والبر لامارات ودلائل قامت عنده علي ذلك اذر آه في حضرته يعزل ويضع ويطرد ويعاقب بانواع العقوبات التي لا تنحصر يدخله من هيبته وخوفه ما يضطرب من أجله به وجوارحه وترتعد فرائصه ويصفر لونه ويصير ذلك في حضرة الملك ضروريا له لا يستطيع دفعه عن نفسه مع استحضاره لأمارات الامن وهذا تقريب ينبئك على ما فوقه والى هذا والله أعلم يشير حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وكذا حديث قول الانبياء نفسي نفسي والله أعلم اه ملخصا من شرح شيخنا المحقق أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكرى كان الله تعالى له لصلاة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله ببركاته ومن ثم قال المحاسبي خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وان كانوا آمنين وفي هذا الحديث أيضا البكاء من خشية الله تعالى وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وفي الحديث حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله حرمت النار على عين غضت عن محارم الله حرمت النار على عين بكت من خشية الله وفيه ان بكاء التخشع لا يضر في الصلاة وفيه مستند لاهل الطريق رضي الله عنهم في وجدهم وتواجدهم قال بعضهم ويحتمل ان يكون ذلك الازيز من ذكر القلب فان القلب الذاكر تسمع له رنة وصوت كهبوب الريح في الاشجار اه وانظره مع قوله في الحديث من البكاء * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو معاوية بن هشام نا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله) أي ابن مسعود رضي الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علي) يحتمل أنه خصه بذلك لانه لم يحضر غيره أو لم يحضر اعلم منه قاله الابي (فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل) قال الابي انظر ما الذي توهم حين قال ذلك فيحتمل أنه فهم انه أراد بقراءته عليه الاتعاظ فقال أتتعظ بقراءتي وعليك أنزل لا انه للتعلم (قال اني أحب أن أسمعه من غيري) اما تشريعا لطريق العرض على الشيخ عكس ما وقع لابي حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقرأ عليك فيكون اشارة الى ان القرآن يؤخذ بعرض الشيخ علي التلميذ وبالعكس اولانه أبلغ في التفهم والتدبر فان المستمع أقوى علي ذلك من القارئ لاشتغاله بالقراءة (فقرأت سورة النساء حتى بلغت وجئنا بك علي هؤلاء شهيدا) أي كيف حال الكفار أو كيف يكونون أو كيف يصنعون اذا جئنا من كل أمة بشهيد وهو نبي تلك الامة وجئنا بك على هؤلاء أي الانبياء وامهم شهيدا وعلى الوجه الثاني فيكون النبي صلى الله عليه وسلم معدلا للانبياء في شهادتهم على أممهم ويحتمل ان المراد بهؤلاء بهذه الامة ويرجح هذا الوجه قوله تعالى لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم اذا كان المراد أمة الدعوة كان في الكلام حذف أي عليهم ولهم (قال) أي ابن مسعود (فرأيت عيني النبي صلى الله عليه وسلم تهملان) بفتح التاء وكسر الميم وضمها أي تسيلان دموعا قال عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم لعظم ما تضمنته الآية وما قبلها من قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وما بعدها من قوله تعالى يومئذ يود الذين كفروا الآية وقال ابن بطال مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشهادة الحال الداعية الى

اني كنت اذا سألته أنبأني واذا سكت ابتدأني (لم يزده كشف الغطاء يقينا * بل هو الشمس ما عليه غطاء) شهادته

أي لو كشف له الغطاء عن المغيبات لم يزده ذلك يقينا لما وهبه الله تعالى من عين اليقين بعد علم اليقين وقد أخبر بذلك عن نفسه فقال

شهادته لامته بالتصديق وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف وهو أمر يحق له طول البكاء وقال العسقلانى الذى يظهر انه بكى رحمة لأمته لانه علم انه لابد أن يشهد عليهم بعملهم وعملهم قد لايكون مستقيما فقد يفضي الي تعذيبهم اه وأما احتمال ان بكاءه للسرور بخطاب الله له بانه شاهد عليهم فلا يقبله الذوق السليم قاله فى جمع الوسائل وفى البخارى انه لما بلغها قال له أمسك وأخذ منه جواز الأمر بقطع القراءة لمصلحة وهى هنا التنبيه على مافي الآية من الوعظ أو الاشارة الى جواز الوقف فى مثل هذا المحل مع ان الكلام غير مستقبل بنفسه وتمامه بالآية التى بعده أو الاشارة الى تعليم جلسائه حسن السمت وعدم خروجهم عن هيئة السكون اذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقبض بسكونه علي جلسائه ولذلك لم يغلب السماع عليهم لما يصل اليهم من بركة تردية برداء الصبر وفى هذا الحديث البكاء عند قراءة القرآن وهو من صفات العارفين وسمات الصالحين وقد مدحهم الله سبحانه وتعالى بذلك فى قوله اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا وفى قوله ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وطريق الوصول الى ذلك أن ينظر الى ما فيه من الاوامر والنواهى والعهود والمواثيق والوعد والوعيد ثم ينظر الى تقصير نفسه فى ذلك كله وعدم قيامه به فيبكى علي نفسه فان لم يجد من نفسه ذلك لقساوة قلبه فليبك علي ترك بكائه * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا جرير عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو) أى ابن العاصى (قال انكسفت الشمس) أى ذهب نور كلها أو بعضها ويقال أيضا كسفت الشمس بفتح الكاف وضمها ويقال انخسفت الشمس وخسفت بفتح الخاء وضمها قال العسقلانى والمشهور فى استعمال الفقهاء ان الكسوف فى الشمس والخسوف فى القمر وذكر الجوهري انه أفصح وقيل يتعين ذلك وقيل يقال في كل منهما وبه جاءت الأحاديث وقال بعضهم الخسوف في ذهاب جميع الضوء والكسوف فى ذهاب بعضه (يوما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) زاد البخارى يوم مات ابراهيم فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم (فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى) صلاتها سنة عند الجميع والجماعة فيها سنة عند الأكثر وذكر الحطاب عن العراقيين انه لا يجمع لها (حتى لم يكد يركع) أى لطول قيامه وقراءته فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ قدر البقرة (ثم ركع فلم يكد يرفع رأسه) لطول ركوعه (ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد) فيه اطالة القيام بعد الرفع من الركوع وقبل السجود وليس فى هذه الرواية الا ركوع واحد (ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد) فيه اطالة الجلوس بين السجدتين وقد نقل الغزالى الاتفاق علي ترك اطالته قال العسقلانى فان أراد الاتفاق المذهبى فلا كلام والا فهو محجوج بهذه الرواية وفى المناوى ماصرح به فى هذا الحديث من تطويل الاعتدال والقعود بين السجدتين أخذ به بعض السلف ومذهب الشافعية انهما لا يطولان وادعى النووى فى شرح مسلم ان رواية تطويلهما شاذة قال الحافظ ابن حجر ولم أقف فى شيء من الطرق علي تطويل الجلوس بين السجدتين الا فى هذا الحديث اه (ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه فجعل ينفخ ويبكى) فيه ان النفخ المصاحب لبكاء التخشع لا يضر فى الصلاة (ويقول رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم) أى بقولك وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم (رب ألم تعدنى أن لا تعذبهم وهم يستغفرون) أى بقولك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (ونحن نستغفرك) لم يقل ونحن معهم أدبا ومن

أنا مدينة العلم وعلى بابها وكان عمر رضي الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن وذكر عند عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت انه أعلم من بقى بالسنة وقال مسروق انتهي علم الصحابة الى عمر وعلي وابن مسعود رضى الله تعالي عن جميعهم ولم يكن أحد من الصحابة رضى الله عنهم يقول سلونى الا على وقال والله تعالى مانزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلي من نزلت ان ربى جل جلاله وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلونى عن كتاب الله تعالى فانه مامن آية الا وقد علمت بليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم جبل وقوله بل للانتقال وضمير هو عائد على على رضى الله تعالى عنه أى هو فى فضله وتقدمه وعلمه الشمس أى مثلها فى الظهور ماعليه غطاء أي ساتر بل هو ظاهر لكل أحد ويحتمل أن يكون الضمير في هو عائدا على المغيب المستور أى هو عنه علي الامر الواضح كالشمس وأخرج أبو يعلى عن عمر رضى الله تعالى عنه قال أعطى على ثلاث خصال لان تكون لى خصلة منها أحب الى من ان أعطي حمر النعم تزويجه ابنته وسكناه المسجد وأعطاؤه الراية يوم خيبر وعن عمر رضى الله تعالى عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول له يدك فى يدى حتى تدخل معى يوم القيامة

حيث أدخل وما أحسن قول حكيم له حين دخل الكوفة والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة ومازينتك ورفعتها ومارفعتك وهى أحوج اليك منك اليها وسمعه بعض أصحابه وقد أرخى الليل ستوره وهو يبكى يقول يا دنيا

غرى غيرى لاحاجة لى فيك الى تعرضت أم الى تشوفت هيهات قد بتتك ثلاثا لارجعة لى فيك فعمرك قصير وخطرك حقير أواه
من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة (١٠٨) الطريق * وكتب على الى سلمان رضى الله تعالى عنهما انما مثل الدنيا كمثل الحية
لين مسها قاتل سمها فأعرض عنها
وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك
منها ودع عنك همومها لما تيقنت
من فراقها وكن أسر ما تكون
فيها احذر ما تكون منها فان
صاحبها كلما اطمأن فيها الى
سرور اشخص منها الى مكروه
اه وكانت مدة خلافته رضى الله
تعالى عنه أربع سنين وتسعة
أشهر وقتل شهيدا بالكوفة
ضربه ابن ملجم الخارجى أشقى
الآخرين كما فى الحديث وكان
ذلك سنة أربعين وهو ابن ثلاث
وستين على الصحيح *(تنبيه)*
قد تقرر واشتهر ان النبى صلى الله
عليه وسلم سأل الله تعالى العافية
وحض الناس على سؤالها وامتثلوا
فسألوها ولاسيما الخلفاء وأجيبوا
وماخيبوا وهذا لايعارض ماثبت
فى الحديث من أن أشد الناس
بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل
وقد علمت أسباب موت أفاضل
الصحابة لان العلماء أجمعوا على
تفسير العافية بأن لايكل الله تعالى
العبد الى نفسه وأن لايخذله
وأن لايحرمه توفيقه وأن
لايهمله وأن يتولاه ويحفظه
ويرعاه فى سائر أحواله والى هذا
يشير سيدنا أبو الحسن الشاذلى
فى قوله ولا نسئلك دفع ماتريد
ولكن نسألك التأييد بروح
من عندك فيما تريد كما أيدت
انبياءك ورسلك وخاصة الصديقين
من خلقك انك على كل شىء قدير
ولذا قال أبو العباس المرسى اذا
سألت الله العافية فاسأله العافية من حيث يعلمها لك عافية فان البلاء الذى تكفر به السيآت وترفع به (فقام)
الدرجات ويكون معه الرضا عن الله وانحياش العبد الى باب مولاه على حد الفاقة والاضطرار كل هذا فى الحقيقة عافية ولهذا قالوا

البين الواضح ان ليس المقصود من هذا الكلام اقامة الحجة بل المقصود به استنزال الفضل
واستمطار الرحمة والاستعطاف واظهار الفقر والحاجة لما عند الله تعالى لان الكسوف ربما
دل على وقوع عذاب قال ابن حجر وانما دعا بعدم التعذيب مع الوعد به الذى لايخلف لان ظاهر
الوعد لايقضى على باطن العلم لجواز أن ذلك الوعد منوط بشرط أو فيد اختل ومن ثم كان
العارف لايزايله الخوف وان أمن اه بمعناه وبهذا أيضا أجيب عن قوله فى صحيح البخارى
ومسلم فقام فزعا يخشى ان تكون الساعة وفيه نظر لان هذا انما هو فى وعد خاص كتبشير
بعض الصحابة بالجنة وأما الوعد العام المأمور باعتقاده يقينا لكافة الخلق فلا يقال فيه لعله
يتوقف على شرط استأثر الله بعلمه لان ذلك يوجب تطرق الشك فى العقائد السمعية كلها كذا
قرره شيخنا المحقق أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى اجزل الله تعالى ثوابه
والصواب فى الجواب عن قوله يخشى ان تكون الساعة أن يقال خشى ان يكون هذا الكسوف
هو مبدأ آيات الساعة الكبرى فقد قال السيوطى ناقلا عن غيره ان أول الآيات الكسوف
أو يكون المعنى كأنه يخشى ان تكون الساعة أى فزع فزع من يخشى ان تكون الساعة وصرح
بعضهم بان الراوى أخطأ لانه من أين له ان يعلم مافى قلبه صلى الله عليه وسلم وقيل انما خشى
ذلك قبل أن يعلم بانها لاتكون حتى تكون عشر آيات كما فى الحديث وردبان الكسوف تأخر
جدا فان جمهور أهل السير أن موت ابراهيم كان فى السنة العاشرة فى ربيع الاول أو رمضان
لافى التاسعة ولا فى زمن الحديبية خلافا لمن زعم ذلك والقول بان موته كان فى ذى الحجة لايصح
لانه صلى الله عليه وسلم كان اذ ذاك فى حجة الوداع وقد شهد موته بالمدينة اتفاقا نعم يصح ذلك
على انه مات سنة تسع كما فى ابن حجر واما خوفه ان ينزل العذاب بأمته مع الوعد بعدمه فى قوله
تعالى وما كان الله ليعذبهم الآية فالقول فيه هنا كما تقدم فى معنى خوف الانبياء عليهم السلام
مع القطع بأمنهم من ان ذلك مقتضى العبودية ومشاهدة سطوة الربوبية ومقتضى كمال العلم
بالانقلابات والاطلاع على ضروب التصرفات فافهم ذلك وتأمله (فلما صلى ركعتين انجلت
الشمس) ليس فى هذه الرواية زيادة قيامين وركوعين فى ركعتى الكسوف قال المناوى وهذا
الحديث صحيح وبه احتج أبو حنيفة على توحيد الركوع فى الركعة وذهب مالك والشافعى الى انه
يصلى كل ركعة بركوعين وذهب أحمد الى انه يصلى كل ركعة بثلاث ركوعات لادلة أخرى رأوا
ترجيحها اه وحمل بعض الشافعية الروايات المتعارضة على تعدد الواقعة وان كلا من هذه
الاوجه جائز وقواه النووى فى شرح مسلم وفيه ان تعدد الكسوف يحتاج الى نقل ثابت
والمنقول أنه صلى الله عليه وسلم لم يصلها بالمدينة الا مرة واحدة واذا اتحدت القصة تعين
الاخذ بالراجح وقد نقل ابن القيم عن الشافعى وأحمد والبخارى انهم كانوا يعدون الزيادة على
الركوعين غلطا من بعض الرواة وفى الاكمال ان رواية ركعتان فى كل ركعة ركوعان وسجودان
هى أصح الروايات ورواتها احفظ واضبط وان غيرها من الروايات معلولة ضعيفة اه وبه
يرد مازعمه بعض الحنفية من أن تأويل ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما أطال الركوع رفع
بعض الصفوف رؤسهم ظنا منهم انه عليه السلام رفع رأسه من الركوع فرفع من خلفهم فلما
رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راكعا ركعوا فركع من خلفهم فمن كان خلفهم ظن أنه صلى
الله عليه وسلم أتى فى كل ركعة باكثر من ركوع واحد فروى على حسب ماعنده من الاشتباه

بلاء يلجئك اليه خير من نعمة تقطعك عنه (وبباقي أصحابك المظهر الستر * تيب فينا تفضيلهم والولاء) أي وأقسم عليك بباقي العشرة من أصحابك المبشرين بالجنة المظهر الترتيب أي المبين الترتيب بينهم من النبي صلى الله عليه وسلم فينا أي لنا وتفضيلهم فاعل المظهر والترتيب مفعوله وعكسه الشارح قال ابن حجر والأول أظهر والولاء الموالاة والنصرة الواجبة علينا لهم بحسب مراتبهم وسئل بعض محققي المتأخرين عن محبة الخلفاء الاربعة هل يجب أن تكون على حسب فضلهم فأجاب ان كانت من حيث الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب ترتيبها لترتيبهم المذكور وان كانت لنحو قرابة أو احسان فلا يجب أن تكون كذلك

(طلحة الخير المرتضيه رفيقا
واحدا يوم فرت الرفقاء)

هو بدل من أصحابك بدل مفصل من مجمل وهو ابن عبد الله التيمي من تيم بن مرة القرشي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الثمانية السابقين الى الاسلام وأحد الستة أصحاب الشورى في أمر الخلافة وأحد الخمسة الذين أسلموا علي يد أبي بكر لكونه السبب في اسلامهم ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عنه وسماه صلى الله عليه وسلم طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود وروى ان رحل النبي صلى الله عليه وسلم سقط في ليلة فقال من يسوى رحلي وهو في الجنة فبادر طلحة فسواه فقال ياطلحة هذا جبريل يقرؤك السلام ويقول لك أنا معك في أهوال يوم القيامة حتى أنجيك منها روي انه باع أرضا له بسبعمائة الف فباتت عنده فلم ينم مخافة من حسابها فأصبح ففرقها وروي انه فرقها في ليلته وجاء رجل له يسأله برحمه فأعطاه ثلثمائة الف وكان مغله بالعراق في كل سنة أربعمائة الف وكان يكفي ضعفاء قومه وقوم ابي بكر بني تيم ويقضي ديونهم

(فقام) أي في محله هذا هو المتبادر واحتمال انه قام على المنبر بعيد اذ لو كان كذلك لنقل (فحمد الله) وصفه بجميل بلفظ الحمد أو غيره فقوله (وأثنى عليه) تفسير لما قبله زاد النسائي من حديث سمرة وشهد انه عبد الله ورسوله (ثم قال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله) أي الدالة على كماله ووحدانيته وكمال قدرته أو على تخويف العباد من بأسه وسطوته قال تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا زاد في رواية الصحيحين وغيرهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته وتقدم ان سبب ذلك ان الناس قالوا كسفت الشمس لموت ابراهيم (فان انكسفا) فيه تغليب القمر في التذكير وتغليب الشمس في الفعل على المذهب الشهير (فافزعوا) أي بادروا وتوجهوا (الى ذكر الله تعالى) في رواية البخاري فاذا رأيتموها فصلوا وادعوا فسميت الصلاة ذكرا لاشتمالها على الذكر ولأن مدارها عليه كما قال تعالى وأقم الصلاة لذكري وفي أمره صلى الله عليه وسلم بالصلاة دون الخطبة دليل على ان الخطبة ليست مشروعة في الكسوف ولو كانت مشروعة فيه لبينها صلى الله عليه وسلم وأيضا فان جماعة من الصحابة كعلي بن أبي طالب والنعمان بن بشير وابن عباس وجابر وأبي هريرة نقلوا صفة صلاة الكسوف ولم يذكر واحد منهم أنه عليه السلام خطب فيها ولا يجوز ان يكون خطب وأغفل هؤلاء كلهم مع نقل كل واحد ما تعلق بتلك الحال وأما تسمية عائشة رضي الله عنها ما وقع خطبة فليس على ظاهره بل هو على طريق التشبيه وفي هذا الحديث ان الصلاة من أعظم ما يستدفع به البلاء وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر سارع الى الصلاة وفيه بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الشفقة على أمته وشدة الخوف من ربه وفي قوله آيتان الخ تنبيه على حدوثهما ونقصهما لطرو التغير عليهما وازالة نورهما الذي به عظما في النفوس حتى ارتقى الحال ببعضهم الى عبادتهما وقال جماعة من اهل الضلال بتأثيرهما في العالم ويرحم الله القائل

لا تركنن الى مقال منجم * وكل الامور الى الاله وسلم
واعلم بانك ان نسبت لكوكب * تدبير حادثة فلست بمسلم

وفي قوله لا ينكسفان لموت أحد الخ رد على من قال خسفت الشمس لموت ابراهيم وعلى من زعم ان أحدهما لا يخسف الا لموت عظيم وفي فزعه صلى الله عليه وسلم وأمره بالصلاة والعتق والصدقة دليل على ان الكسوف ليس أمرا عاديا لا يتقدم ولا يتأخر كما زعم أهل الهيئة اذ لو كان كذلك لم يكن معنى للفزع ولم يكن للامر بذلك فائدة وأيضا فقد صح في الخبر ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله وان الله تعالى اذا تجلى لشيء خشع له وظاهره ان سبب الكسوف خشوعهما له تعالى ولعل السر في ذلك ان النور والاضاءة من عالم الجمال الحسي فاذا تجلت صفة الجلال انطمست الانوار لهيبته ومن ثم قال طاوس لما نظر الى الشمس وهي كاسفة فبكى حتى كاد ان يموت هي أخوف لله منا لكن قال ابن دقيق العيد لا تنافي بين الحديث وبين ما قالوه فان لله أفعالا على حسب العادة وأفعالا خارجة عنها وقدرته حاكمة على كل سبب يقطع ما يشاء من الاسباب والمسببات بعضها عن بعض وحينئذ فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على خرق العادة وانه يفعل ما يشاء اذا وقع أمر غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد وذلك لا يمنع ان ثم أسبابا تجرى عليها العادة الا ان يشاء الله خرقها وحاصله ان ما ذكروه ان كان حقا في نفس الأمر لا ينافي كون ذلك

وبرسل الى عائشة في كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق في يوم بمائة الف ثم لم يجدثو بايذهب فيه الى المسجد يصلي فيه وصح انه صلى الله عليه وسلم أقبل عليه وعلي الزبير وقال ياطلحة ويازبير لكل نبي حواري وأنتما حواريای أی ناصراي وان الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعدا وسعيدا كانوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال وخلفه في الصلاة في الصف الاول وليس أحد من المهاجرين والانصار يقوم مقام واحد منهم غاب أو شهد قوله المرتضيه رفيقا أي مرافقا وواحد من الوحدة كاوفى أكثر النسخ يوم فرت الرفقاء جمع رفيق أي عنك يارسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يوم أحد وفي بعض النسخ أحدا بالنصب علي نزع الخافض مع ضم الهمزة والحاء أي في أحد وفي نسخة أحد بالرفع على أنه فاعل المرتضيه أي الذى ارتضاه أحد رفيقا لك وفيه اسناد مجازى وفي ذكر رفيق والرفقاء جناس الاشتقاق أوشبهه وكذا بين سعد وسعيد والامانة والامناء وأتاه واتاء وتمسك واستمسك وانطوت وانطوى وأغثنا والغوث والغيث الآتيات قال ابن حجر وفي ذكر واحد في أكثر النسخ نظر بل المنقول في السير وغيرها ان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه الناس أربعة عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار رضى الله تعالى عنهم وفي البخاري لم يبق معه الا اثنا عشر رجلا لكن ظاهر كلام بعض أهل السير أن طلحة وقع له بعد ذلك انفراد معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت بعده الناس فانه قال وكان لطلحة اليد البيضاء يوم أحد وقى النبي صلى الله عليه وسلم لما ضرب بالسيف فشج وجهه يري

تحويفا لعباد الله أنظر ابن حجر وجمع الوسائل * (تنبيه) * روى ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف الشمس والقمر ركعتين مثل صلاتكم وأخرجه الدارقطني أيضا وبه يرد قول من قال انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يصلي في كسوف القمر وتأويله صلى بامر باطل اذ لا دليل عليه وليس في قوله مثل صلاتكم دليل علي اتحاد القيام في ركعتي كسوف الشمس خلافا لابن حجر لاحتمال ان معنى مثل صلاتكم كسوف الشمس في تعدد القيام في كل ركعة ومثل صلاتكم خسوف القمر من عدم التعدد والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو أحمد نا سفيان عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنة له) زاد النسائي في روايته صغيرة (تقضى) أي تموت قال الازهري مرجع القضاء الى انقطاع الشيء وتمامه (فاحتضنها) أي جعلها في حضنه بالكسر أي جنبه وهو ما دون الابط الى الكشح والصدر والعضدان وما بينهما قاله في القاموس وبه سميت الحاضنة وهي التي تربي الطفل لان المربي والكافل يضم الطفل الى حضنه (فوضعها) أي بعد ساعة (بين يديه فماتت وهي بين يديه) فيه اشكال لانه ان كان المراد ابنة له حقيقة كما هو ظاهر اللفظ كان مخالفا لما أطبق عليه أرباب السير والحديث والتواريخ من ان بناته صلى الله عليه وسلم كلهن متن في حال الكبر وان كان المراد ابنة احدى بناته وتكون اضافتها اليها مجازية فلم ينقل ان ابنة لاحدى بناته ماتت في حال الصغر الا ما رواه أحمد أتى النبي صلى الله عليه وسلم بامامة بنت زينب وهي في النزع فدمعت عيناه ويعارضه ان أهل العلم بالاخبار اتفقوا علي ان امامة عاشت بعد النبي حتى تزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة وقتل عنها وحملوا رواية أحمد علي انها أشرفت علي الموت ولم تمت فاما ان يقال وقع وهم في هذا الحديث اما في قوله تقضى وفي قوله فماتت وهي بين يديه واما في قوله ابنة والصواب ابنه ويكون المراد أحد بنيه القاسم أو عبد الله أو ابراهيم ويحتمل ان المراد ابن بعض بناته اما حسين بن فاطمة أو عبد الله بن رقية بن عثمان أنظر المناوى (وصاحت) وفي بعض النسخ فصاحت (أم أيمن) وهي حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم ومولاته ورثها من أبيه وأعتقها حين تزوج خديجة وزوجها لزيد مولاه فولدت له أسامة وتوفيت بعد عمر بعشرين يوما وقد شهدت أحدا وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى وشاهدت خيبر وهاجرت الهجرتين الي أرض الحبشة والي المدينة جميعا وكان صلى الله عليه وسلم يقول أم أيمن أمي وكان يبر بها مبرة الام ويكثر زيارتها وكان عندها كالولد ولذلك كانت ترفع صوتها عليه وكانها صاحت صياحا ممتنعا لما يصحبه من الجزع والهلع ولذلك أنكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم (فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم أتبكين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم) لم يقل عندي لانه أبلغ في الزجر (فقالت) ظنا منها ان البكاء جائز مطلقا (ألست أراك تبكي قال انى لست أبكي) أي بكاء جزع وعدم صبر (انما هي) أي البكاء بمعنى الدمعة أو قطرات الدمع (رحمة) أي أثر الرحمة التي جعلها الله في قلوب عباده فالبكاء الجائز هو الذى كبكائه صلى الله عليه وسلم وهي رحمة تنزل بالقلب فتدمع لها العين من غير جزع ولا هلع ولا صياح ولا دعاء بويل أو ثبور وقد وردان العين تدمع والقلب يخشع ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا علي فراقك يا ابراهيم لمحزونون (ان المؤمن) أي الكامل ملتبس (بكل خير علي كل حال) أي لانه يشهد المحنة عين المنة فيحمده عليها كما قال (ان نفسه تنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى) لانه يدفشلت واستمرت شلاء وكان الصديق رضى الله تعالى عنه اذا حدث عن يوم أحد بكى وقال ذلك كله لطلحة وقال له النبي صلى الله

عليه وسلم ايضا ذلك اليوم أوجب طلحة أي وجبت له الجنة وقالت عائشة قال أبو بكر كنت أول من جاء يوم أحد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي عبيدة عليكما بصاحبكما يريد طلحة وقد نزف فاصلحنا من شأن (١١١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة فاذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة وقد انقطعت أصبعه فاصلحنا من شأنه وما انصرف صلى الله عليه وسلم عن أحد حتى قال لحسان قل في طلحة فقال

وطلحة يوم الشعب واسي محمدا
على ساعة ضاقت عليه وشقت
وكان أمام الناس الا محمدا
أقام رحى الاسلام حتى استقلت

فأشار بالبيت الاول الى انه لما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه جعل طلحة يحتمله ويرجع القهقرى وكلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده الى الشعب كما في حديث عائشة وأشار بالبيت الثاني الى ما في حديث أنس كان طلحة يوم احد بين يديه صلى الله عليه وسلم يجوب عنه يحفظه (١) والاشاجع أصول الاصابع المتصلة بالاعصاب الخارجة من طرف ظاهر الكف ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فاخذ على بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة حتى استوى قائما وكان عليه صلى الله عليه وسلم درعان فذهب لينهض على صخرة فلم يستطع فبرك طلحة تحته وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى استوى على الصخرة واليه أشار بقوله أقام رحى الاسلام ومدحه أبو بكر بقوله

حمى نبي الهدى والخيل تتبعه
حتى اذا التقوا حامى على الدين
صبرا على الطعن اذ ولت جماعتهم * والناس ما بين مهزوم ومفتون
يا طلحة بن عبيد الله قد وجبت * لك الجنان وكم زوجت من عين

يري الموت رحمة له وكرامة وخيرا له من الحياة أي واذا كان كذلك فكيف يكون منه جزع أو المراد كما قال ابن مخلص ان المؤمن لاجل ما أعطاه الله من الايمان في نعمة ما فوقها نعمة فمن عرف قيمته تسلى به عن كل مصيبة تصيبه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه ولا تجعل مصيبتي في ديني فهذا من صلى الله عليه وسلم تغبط بالايمان واشباع واقناع للقلوب به اه بالمعنى ولاشك ان فضل الايمان كثير جلس النبي صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وقال قد علمت ان حرمتك عند الله عظيمة وحرمة المؤمن اعظم عند الله منك وقال عليه الصلاة والسلام قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا وكفى المؤمنين شرفا قوله عز وجل يحبهم ويحبونه قال الامام أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه نعمة الاسلام هي الاولى والأحرى بان لاتفتر ليلك ونهارك عن شكرها والحمد عليها فان كنت عاجزا عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك لو خلقت من أول الدنيا وأخذت في شكر نعمة الاسلام من أول الوقت الى الابد لما كنت تقوم بذلك ولما قضيت بعض الحق مما هنالك واعلم ان الموضع لايحتمل ذكر ما يبلغه علمي من قدر هذه النعمة ولو أمليت فيها الف ورقة لكان مبلغ علمي فوق ذلك مع اعترافي بان ما أعلمه في جنب ما لا أعلمه كنفثة في بحار الدنيا باسرها أما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقال للقوم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وقال صلى الله عليه وسلم وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على نعمة الاسلام انك لتحمد الله على نعمة عظيمة وقيل ما من كلمة أحب الى الله تعالى ولا أبلغ عنده في الشكر من أن تقول الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا للاسلام اه قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون) بالظاء المعجمة أي بين عينيه كما في بعض الروايات (وهو ميت) هو قرشي أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر الهجرتين وشهد بدرا وكان حرم الخمر في الجاهلية وقال لا أشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدني مني ويحملني على أن أنكح كريمتي وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة ودفن بالبقيع وهو أول من دفن به وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع حجرا عند رأس قبره وقال أعلم به قبر أخي وأدفن عنده من مات من أهلي وكان يزور قبره ولما مات ابنه ابراهيم قال ادفنه عند سلفنا عثمان بن مظعون وكان عابدا مجتهدا من فضلاء الصحابة وقد كان هو وعلي بن أبي طالب وأبو ذر هموا أن يختصوا ويتبتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ونزلت فيهم يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا أي تتجاوزوا أمر الله تعالى ان الله لا يحب المعتدين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ولما مر بجنازته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب رحمة الله عليك أبا السائب فقد خرجت ولم تلبس منها بشيء (وهو يبكي) أخرج ابن سعد في الطبقات عن سفيان الثوري عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عثمان ابن مظعون وهو ميت قالت فرأيت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسيل على خد عثمان وروى انه لما مات عثمان وبكى النساء جعل عمر يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر ثم قال اياكن ونعيق الشيطان وما كان من العين فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان (أو قال) شك من أحد الرواة (عيناه تهراقان) بضم التاء وفتح الهاء

(١) قوله والاشاجع أصول الخ يتقدم لها ذكر في كلامه اه

يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة الجنة أى لنفسه ومدحه عمر بقوله
حمى نبي الهدى بالسيف منصلتا * لما تولى جميع الناس وانكشفوا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت كافى

ابن عساكر وفى الحديث لقد رأيتنى يوم أحد وما فى الارض قربى مخلوق غير جبريل عن يمينى وطلحة عن يسارى وهذا صريح فى قول الناظم واحدا ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فقيل يارسول الله من هؤلاء فقال هذا منهم وأشار الى طلحة وصح أيضا طلحة والزبير جارا ى فى الجنة وكان رجل يقع فيهما بحضرة سعد بن أبي وقاص فنهاه فيأبى فصلي ثم دعا عليه ان كان مبطلا أن يريه الله تعالى فيه آية ويجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هائج يشق الناس فأخذه وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله قال سعيد بن المسيب أنا رأيت الناس يتبعون سعدا يقولون هنيأ لك أبا اسحق أجيبت دعوتك قتل يوم الجمل بعدان تأخر ووقف فى بعض الصفوف فجاء سهم في ركبتيه ودفن بالبصرة رضى الله تعالى عنه وذلك سنة ست وثلاثين عن أربع وستين سنة

(وحواريك الزبير أبى القر
م الذى أنجبت به أسماء)

أى وأقسم عليك بناصرك الزبير ابن العوام القرشى الاسدى ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية رضى الله تعالى عنها أحد العشرة المبشرين بالجنة والستة أصحاب الشورى والثمانية السابقين الى الاسلام والشجعان المشهورين لا يلحق هو وعلى وحمزة فى الشجاعة والفروسية ولذلك لما كان يوم بدر وزوج بعمامة صفراء نزلت الملائكة بعمائم صفر وهو أول من سل سيفا في سبيل الله لانه سمع أخذ محمد فخرج يشق الناس بسيفه فلقيه

وسكونها وفى نسخة بحذف الالف أى تصبان دموعهما الاول من هراق يهريق والشئ مهراق بالتحريك والهاء بدل من همزة اراق أو من اهراق يهريق اهراقة فهو مهريق ومهراق فيجمع بين البدل والمبدل والثاني من أهرق الماء يهرقه اهراقا وتقبيله صلى الله عليه وسلم له رحمة له ومحبة فيه وحسن عهد مع أصحابه وليستجلب له بذلك رحمة ربه فان من أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبه عظم ثوابه عند ربه وفيه جواز تقبيل الميت الصالح وقد قبل أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ميت كما يأتي ان شاء الله * قال المصنف (حدثنا اسحق ابن منصور نا أبو عامر نا فليح وهو ابن سليمان عن هلال بن على عن أنس بن مالك قال شهدنا ابنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) هي أم كلثوم زوجة عثمان بن عفان كما رواه الواقدى عن فليح بن سليمان بهذا الاسناد وكذا أخرجه ابن سعد فى الطبقات فى ترجمة أم كلثوم ووهم من قال انها رقية لانها ماتت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر ولم يشهدها (ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر) أى على طرفه فلا دليل فيه على جواز الجلوس على القبر خلافا لبعض الشراح (فرأيت عينيه تدمعان فقال أفيكم رجل لم يقارف الليلة) أصل المقارفة الدنو واللصوق ومعنى لم يقارف الليلة لم يرتكب ذنبا أو لم يجامع أهله فقد زاد ابن المبارك عن فليح أراه يعنى الذنب ذكره البخارى تعليقا ووصله الاسماعيلي وفى رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بلفظ لا يدخل القبر أحد قارف أهله البارحة فتنحى عثمان أخرجه البخاري فى التاريخ الاوسط والحاكم فى المستدرك لكن يبعد الوجه الاول قوله (قال أبو طلحة انا) فقد قال ابن حزم معاذ الله ان يتبجح أبو طلحة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لم يذنب تلك الليلة اه فالوجه الثانى هو الاصح وعليه فالحكمة فى ذلك ماروى ان عثمان رضى الله عنه باشر تلك الليلة أمة له فلم يعجب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لاشتغاله بها عن زوجته المحتضرة فأراد ان لا ينزل قبرها معاتبة له قال ابن حجر وهو ظاهر ان صح ذلك والا فالحكمة انه لم يرد ان يكون النازل قريب العهد بمخالطة النساء لتكون نفسه مطمئنة ساكنة كالناسية للشهوة وحكى عن الطحاوى انه قال لم يقارف تصحيف والصواب لم يقاول أى لم ينازع غيره فى الكلام لانهم كانوا يكرهون الكلام بعد العشاء (قال انزل فنزل فى قبرها) كذا رواه البخاري أيضا قال ابن حجر وفى رواية ان الذى نزل فى قبرها علي والفضل واسامة فان صحت فلا مانع من نزول الاربعة وفيه جواز نزول الرجل الصالح قبر المرأة باذن وليها وأبو طلحة هو زيد بن سهل الانصارى الخزرجى النجارى عقبي بدرى نقيبا غلبت عليه كنيته صحابى مشهور وهو أحد الرماة والابطال المذكورين شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يوم أحد يتطاول بصدره بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم النبل ويقول صدرى دون صدرك يارسول الله ووجهى لوجهك الوقاء وقال فى حقه لصوت أبي طلحة فى الجيش خير من مائة رجل وقتل يوم حنين عشرين رجلا وأخذ سلبهم وروى الترمذى والبخارى عنه كنت ممن يغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفى مرارا وهو الذى حفر قبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين عن أنس لما نزل قول الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون تصدق أبو طلحة بحائط له يقال له بيرحاء فقال له صلى الله عليه وسلم بخ بخ مال رابح أو رابح قال بعض العلماء أى رابح صاحبه وليس فى الصحب أحد يقال له أبو طلحة سواه وهو عم أنس

وزوج أمه أم سليم رضى الله عنهم وعن أنس انه قال سرد أبو طلحة الصوم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة وانه ركب البحر فمات رضي الله عنه ورحمه ودفن فى جزيرة انظر الابى *(تنبيه)* ورد عن عائشة رضى الله عنها ما بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميت قط وانما غاية حزنه أنه يمسك لحيته قال ابن حجر مرادها ما بكى على ميت أسفا عليه بل رحمة له كما مر فى لست أبكى انما هى رحمة وانظر فى ابن حجر عدد بناته وبنيه صلى الله عليه وسلم وقصة تزوج على بفاطمة رضى الله عنها ومن أعقب من بنانه صلى الله عليه وسلم ومن لم يعقب منهن

باب
فى فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم

كأن المصنف والله أعلم ختم أبواب العبادة بباب بيان خشونة فراشه صلى الله عليه وسلم ولم يقدمه فى أبواب اللباس ليقتدى به صلى الله عليه وسلم في ذلك من له رغبة فى عبادة الله تعالى فان وطأة الفراش تستدعى كثرة النوم الذى هو تضييع العمر فى مالا طائل تحته والفراش بكسر الفاء ما يفرش فهو بمعنى مفعول كاللباس ويجمع على فرش (حدثنا على بن حجر نا على بن مسهر) بضم الميم وكسرها (عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة) ورواه أيضا عنها الشيخان (قالت انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه) احترازا من فراش الجلوس أو قيدت بذلك للاشعار بأنه لها ومرادها فراشه الذى كان فى بيتها بدليل ما بعده (من أدم) بفتحتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ أو الاحمر أو مطلق الجلد على ما فى القاموس وفى بعض النسخ أدما بالنصب وفى بعضها بالرفع وهو مشكل قال فى جمع الوسائل ويمكن أن يكون اسم كان ضمير الشأن وجملة فراشه أدم خبرها (حشوه) أى الفراش أي محشوه (ليف) أى ليف النخل لانه الكثير المعروف عندهم وهو الذى يخرج فى أصول سعف النخل لاول خروجها تحشى به الوسائد والفرش ويفتل منه الحبال والجملة حال من فراش وأما قول ابن حجر ان ضمير حشوه للادم باعتبار لفظه وان كان معناه جمعا والجملة صفة لادم فانما يصح لو كان الادم اسم جمع وحيث كان جمعا فلا مطابقة بين الضمير ومرجعه لا لفظا ولا معنى قاله فى جمع الوسائل وفى هذا الحديث اتخاذ الفرش المحشوة للنوم عليها واستعمال الادم وهى الجلود وفيه ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم من الزهد فى الدنيا والبعد عن شهواتها والرضا بما قل منها وهل الاولى أن يكون لكل واحد من الزوجين فراش وهو الذى ذكره فى الاكمال قائلا لانه أصلح للجسم وأقل لاستدعاء الموافقة وتحريك الشهوة أو الافضل اجتماعهما فى فراش واحد وهو الذى ذكره النووى قائلا لانه الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل مع ملازمته قيام الليل فاذا أراد القيام لوظيفته قام وتركها لاسيما ان علم من حال المرأة الحرص على المباشرة فيجمع بين وظيفته وقضاء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف ونقل الحطاب عن البرزلى ان الزوج لا يجب عليه المبيت مع الزوجة فى فراش واحد غير انه يندب اليه لما يدخل عليها من المسرة الا أن يكون لقصد عدم الوطء لما يدخل عليه من الضرر فى جسمه أو تكون هي مائلة الى الكبر فمبيته معها مما يحل بدنه اه وأما حديث مسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فراش للرجل وفراش لامرأته وفراش للضيف والرابع للشيطان فالاحتجاج به على التعدد ضعيف لان تعداد الفراش فى هذا الحديث انما هو لانه قد يحتاج كل منهما الى فراش عند المرض ونحوه اه

فما مثله فيهم ولا كان قبله * وليس يكون الدهر مادام يذبل ثناؤك خير من فعال معاشر * وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل
*(تنبيه)*كان السيد الزبير من أكثر الصحابة (١١٤) مالا وذكر البخاري في باب بركة الغازي انه لم يترك دينارا ولا درهما

ومعنى كون الرابع للشيطان ان مازاد على الحاجة انما هو للمباهاة فهو من المكروه المذموم وكل مذموم مضاف للشيطان ويحتمل انه على ظاهره وان ما اتخذ لغير حاجة يكون للشيطان عليه مبيت ومقيل قاله في الاكمال * قال المصنف (حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى البصري نا عبد الله بن ميمون نا جعفر) أي الصادق (بن محمد عن ابيه) محمد الباقر وقد تقدمت ترجمتهما في باب التختم (قال سئلت عائشة) في سند هذا الحديث انقطاع لان الامام محمدا الباقر لم يلق عائشة ولا حفصة وانظر جمع الوسائل (ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك قالت من أدم) وفي نسخة أدم بالرفع (حشوه ليف وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك) قال في جمع الوسائل لعل وجه التخصيص ان بيت عائشة كان أعز البيوت عنده صلى الله عليه وسلم ثم بعدها حفصة لمكان أبويهما مع قطع النظر عن بقية كمالاتهما (قالت مسحا) أي كان مسحا وهو بكسر فسكون مهملة قال ابن حجر هو ثوب خشن من صوف اه وقال صاحب المحكم المسح كساء من شعر يلبسها الزهاد والرهبان (تثنيه) من باب ضرب من الثنى يقال ثناه عطفه ورد بعضه على بعض (ثنيتين) بكسر أوله أي طاقتين والتاء للوحدة لا للتأنيث ويؤيده نسخة ثنتين فيكون صفة لمفعول مطلق محذوف والله أعلم (فينام عليه فلما كان ذات ليلة) بالرفع ان جعلت كان تامة وبالنصب على انها ناقصة واسمها ضمير الوقت وهي مقحمة على الاحتمالين (قلت) أي في نفسي أو لبعض خدمي (لو ثنيته أربع ثنيات) وفي رواية بأربع ثنيات أي ثنيا ملابسا لاربع ثنيات (كان أوطأ له) أي أليق من وطؤ يوطؤ اذا لان من باب حسن يحسن (فثنيناه بأربع ثنيات فلما أصبح قال ما فرشتموني) أتى بصيغة المذكر للتعظيم أو لتغليب بعض الخدم ولعله لما أنكر نعومته ولينه ظن انه غير فراشه المعهود أو نزله منزلة غيره (الليلة) أي البارحة (قالت قلنا هو فراشك الا أنا ثنيناه أربع ثنيات قلنا هو أوطأ لك قال ردوه لحاله الاول) أي من الثنيتين (فانه منعتني وطأته) بفتح فسكون فهمز أي لينه قاله في جمع الوسائل (صلاتي الليلة) أي التهجد قال المناوي يحتمل انه انما فعل ذلك ليقتدي به العابدون اذ غلبة النوم وفلتاته انما هي بسبب نوم القلب وهو صلى الله عليه وسلم لا ينام قلبه اه وتأمله وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم قد يسلك به مسالك الضعفاء تشريعا ليعلم من يقع له مثل ذلك كيف يفعل ويفهم من أحاديث الباب ان النوم على الفراش لا ينافي الزهد سواء كان من أدم أو غيره كان محشوا أو غير محشو نعم الاولى لمن غلب عليه الكسل ومالت نفسه الى الدعة والترفه ان لا يبالغ في حشو الفراش ولينه لانه سبب ظاهر في كثرة النوم والغفلة والتشاغل عن العبادة والطاعة على ان نومه صلى الله عليه وسلم على الفراش قد يكون مراعاة لحق الزوجة ودفعا للحرج عن الامة والا كان يختار النوم على الثرى زهدا في الدنيا وتواضعا للمولى وتذكر المقام البلى وقد أخرج البخاري عن عمر رضي الله عنه انه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئ على وسادة من أدم حشوها ليف ثم رفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر غير أهبة أي جلود ثلاثة فقلت ادع الله فليوسع على أمتك فان فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله وكان متكئا فقال أوفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر لي وأخرج الامام أحمد

الارضين منها الغابة واحد عشر دارا بالمدينة ودارين بالبصرة ودارا بالكوفة ودارا بمصر وترك عليه ديونا من أجل أن الرجل كان يأتيه بالمال يستودعه اياه فيقول الزبير لا ولكنه سلف فاني أخشى عليه الضيعة فاجتمع في الدين الذي عليه ألفا ألف ومائتا ألف أي المعدود الدرهم الشرعي فهو مائتا قنطار وعشرون قنطارا بالحساب العرفي ثم قال البخاري فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير اقسم بيننا ميراثنا قال والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه قال فجعل كل سنة ينادي بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم قال وكان للزبير أربع نسوة ورفع الثلث فاصاب كل امرأة ألف ألف ومائتي ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف اه بلفظ البخاري لكن قوله فاصاب كل امرأة الخ يقتضي أن الثمن كان أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف أي أربعمائة قنطار يضرب في ثمانية يخرج الثلثان ثمانية وثلاثون ألف ألف وأربعمائة ألف أي ثمان وثلاثون مائة قنطار وأربعون قنطارا والثلث تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف أي تسع عشرة مائة قنطار وعشرون قنطارا فجملة المقسوم بين أهل الوصية والميراث سبعة وخمسون ألف ألف وستمائة ألف أي سبع وخمسون مائة قنطار وستون قنطارا وأبو يضاف له الدين وهو مائتا قنطار وعشرون قنطارا فجميع ما خلفه السيد الزبير على هذا تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف

وأن هذا من قول البخارى لجميع ماله الخ فهو يخالف قوله فأصاب كل امرأة الخ وأجيب عنه بأجوبة أحسنها ان قوله لجميع ماله الخ هو بحساب ماقوم به السيد عبد الله الارضين والدور بقرب وفاة والده ثم بعد مضي الاربعة الاعوام المذكورة

وأبو داود من حديث ابن مسعود اضطجع النبى صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر فى جنبه فقيل له نأتيك بشىء يقيك منه فقال مالى وللدنيا انما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وأخرج أبو الشيخ بلفظ فقلنا يارسول الله ألا نأذن لنا فنبسط تحتك ألين منه فقال مالى وللدنيا انما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار فى يوم صائف فقال تحت شجرة ثم راح وتركها وفى شرح السنة عن أنس قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يركب الحمار العرى ويجيب دعوة المملوك وينام على الارض ويجلس ويأكل على الارض وقد تقدم فى باب العيش وجه ايثاره صلى الله عليه وسلم هذه الحالة على غيرها فراجعه

باب
ماجاء فى تواضع رسول الله ﷺ

كانه لما بين اجتهاده صلى الله عليه وسلم فى عبادة الله تعالى وهو غاية تواضعه لربه تعالى أراد ان يبين هنا تواضعه صلى الله عليه وسلم مع عباد الله تعالى والتواضع لغة التذلل والخضوع وعرفا خروج الانسان عن مقتضى جاهه وتنزله عن مرتبة أمثاله وعدم نظره الى حقوق مرتبته وعند المحققين ان لا يرى العبد لنفسه قدرا ولا قيمة ولا مزية ويرى الحالة التى هو فيها أعظم من ان يستحقها قال أبو يزيد رضى الله عنه مادام العبد يظن ان فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقالا ولا حالا وقال فى الحكم ليس المتواضع الذى اذا تواضع رأى انه فوق ماصنع ولكن المتواضع الذى اذا تواضع رأى انه دون ماصنع ثم التواضع تارة يكون لرؤية العبد نقص نفسه وتارة يكون عن شهود عظمة ربه وهذا هو التواضع الحقيقى الذى لا يمكن ارتفاعه قال فى الحكم التواضع الحقيقى هو ماكان ناشئا عن شهود عظمته وتجلى صفته لا يخرجك عن الوصف الا شهود الوصف وذلك لان شهود عظمته تعالى هو الذى يخمد النفس ويذيبها ويبطل انانيتها وبه تنقلع شجرة الرياسة والكبر من القلب فان من شاهد عظيما من الخلق ذاهيئة ومرتبة لم يمكنه الا الخضوع فكيف بمن تتجلى له عظمة الله تعالى فاذا تجلى الله لشىء الا خضع له فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ولذلك قال ذو النون المصرى رضى الله عنه من أراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله سبحانه فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن أشرف التواضع أن لا ينظر الى نفسه دون الله اه وقال فى عوارف المعارف واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق بمحو آثارها وسكون وهجها ونسيان حقها والذهول عن النظر الى قدرها ولما كان له صلى الله عليه وسلم الحظ الاوفر من تجلى نور الشهود كان اعظم الخلق تواضعا وقد رفع الله ذكره اه وأعلى على كل قدر قدره ولم يخلق جاها أعظم من جاهه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يزده الشرف الا تواضعا وخفض جناح وطرح نفس

لا يعرف الكبر ولا الترفعا * الا خضوع النفس والتواضعا

وبالجملة فالتواضع والادب والوقوف عند الحد هو ملاك كل خير وسبب كل علو وشرف من تواضع لله رفعه الله كما فى الحديث وحسبك شاهدا على ذلك ان الله تعالى لما خيره صلى الله عليه

انما الاصل المذكور بارتفاع الاسواق ونحوه وبالغلة فزاد على ماقوم به أولا تسعة آلاف ألف وستمائة ألف أى تسعمائة قنطار وستون قنطارا فوقع القسم على ما آل اليه حال العقار وألغى التقويم الاول من الاعتبار والله أعلم وقوله أبى القرم بفتح القاف أى السيد الكريم عبد الله بن الزبير الذى أنجبت به أى ولدته نجيبا وأتت به فى غاية النجابة أى الذكاء والفضل وفى القاموس النجيب الكريم الحسيب وقد نجب ككرم نجابة ورجل منجب وامرأة منجبة ومنجاب ولد النجباء وأسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم ولدته بعد عشرين شهرا من الهجرة بالمدينة وكان أول مولود بعد الهجرة واشتد به فرح المهاجرين لان اليهود توعدوهم انهم عملوا لهم ما أبطل نسلهم فلا يولد لهم ولما احتجم النبى صلى الله عليه وسلم أعطاه دمه وقال له غيبه فى موضع لا يراك فيه أحد فلما رجع قال ما فعلت بالدم قال شربته قال اذا لا تلج النار بطنك ويل لك من الناس وويل للناس منك قتل عند الكعبة محصورا فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين حاصره الحجاج حتى قتله وكان الزبير صواما يواصل الخمسة عشر يوما أطلس العبادلة لا لحية له وهو أحد العبادلة الاربعة المتقاربين سنا وعلما وذكاء وفهما والثلاثة عبد الله بن عباس

وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاصي وليس منهم عبد الله بن مسعود لانه أكبر منهم سنا وليس فى طبقتهم

(والصفيين توام الفضل سعد * وسعيد ان عدت الاصفياء) الصفيين تثنية صفى وهو الحبيب المصافى أى وأقسم عليك بالصفيين

اي الحبيبين المصافين توأمى الفضل من أتأمت المرأة ولدت اثنين في بطن سعد وسعيد قال ابن حجر أى ان الفضل أنتجهما لكثرة ماقام بهما منه ولو قال توأما الفضل لكان أوضح ومعناه حينئذ انهما لما اشتركا فى الفضائل الجليلة صارا كانهما مولودان في حمل واحد انتهى والظاهر ان مراد الناظم ان الفضل نفسه توأم سعد وسعيد كان كل واحد منهما ولد مع الفضل فى بطن واحد أما سعد فهو أبو اسحق سعد ابن أبى وقاص مالك القرشى الزهرى وهو أحد الثمانية السابقين الى الاسلام بل ورد عنه انه كان ثلث الاسلام واحد العشرة المشهود لهم بالجنة والستة اصحاب الشورى واحد الشجعان المشهورين وأول من رمي بسهم في سبيل الله تعالى وكان يقال له فارس الاسلام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم أحد ألف سهم ولاه عمر العراق فكان الامير فى فتح مدائن كسرى وغيره ومن كراماته انه قطع البحر بجيوشه على ظهور الخيل لم يبلغ الماء الى حزمها والناس فى غاية الطمأنينة كانهم سائرون فى البر وكان الذى يساير سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنهما ولاه عثمان أيضا رضى الله تعالى عنه ولاية جليلة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يناوله النبل ويقول ارم فداك أبى وأمى وأقبل والنبى جالس مع أصحابه فقال له هذا سعد خالى فليرني أمرؤ خاله وقال اجلس ياخالى فان الخال والد ودعا له فقال اللهم سدد رميته واجب دعوته وفى رواية اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك وقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهو مريض بمكة فى حجة الوداع لعل الله تعالى يرفعك حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون واعتزل الفتن بعد عثمان فلم يحضر فى شيء من تلك الحروب الله توفى بالعقيق على عشرة أميال من المدينة وحمل اليها وصلى عليه مروان وهو والى المدينة وصلت عليه أمهات المؤمنين فى حجرهن

وسلم بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا اختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد أعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع (حدثنا أحمد بن منيع وسعد بن عبد الرحمن المخزومي وغير واحد قالوا نا سفيان ابن عيينة عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى رواية البخارى عن ابن عباس انه سمع عمر يقول على المنبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لاتطرونى) من الاطراء بالمد وهو كما فى القاموس حسن الثناء (كما أطرت النصارى ابن مريم) أى اطراء مثل اطرائهم عيسى ابن مريم أى حيث بالغوا فى مدحه بالكذب حتى ادعوا أنه الاله وابن الاله وعميت بصائرهم عن دلائل الحدوث وشواهده قال الله تعالى بيانا لفضيحتهم وغاية جهلهم ماالمسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون فالمنهى عنه هو الاطراء المخصوص قال ابن الجوزى ولا يلزم من النهى عن الشيء وقوعه لانا لا نعلم احدا ادعى فى نبينا ما ادعته النصارى في عيسى وانما سبب النهى فيما يظهر ماوقع فى حديث معاذ بن جبل لما استأذنه فى السجود له علي قصد التعظيم وارادة التكريم فامتنع ونهاه وقال ابن حجر كاد بعض أن يدعى نحو ذلك فى نبينا حين قال له ألا نسجد لك فقال لو كنت آمرا أحدا ان يسجد لبشر لامرت المرأة ان تسجد لزوجها فنهاه عما عساه يجر الى عبادته والمعنى لاتتجاوز الحد فى مدحى بغير الواقع فيجركم ذلك الى الكفر كما جر النصارى اليه لما تعدوا عن الحد فى مدح عيسي عليه السلام بغير الواقع واتخذوه لما لما حرفوا قوله تعالى فى الانجيل عيسى نبي وأنا ولدته فجعلوا الاول بتقديم الباء الموحدة وخففوا اللام في الثانى فلعنة الله عليهم اه ثم استأنف فقال (انما أنا عبد) وفي نسخة عبد الله وفى رواية البخارى عبده وفى الكلام حذف أى انما أنا عبد ورسول بدليل قوله (فقولوا عبد الله ورسوله) فيه ايماء الى قوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى واردف النهى بهذا القول اشارة الى أنه ليس له صفة غير العبودية والرسالة اى فلا تقولوا فى حق شيأ ينافى هاتين الصفتين ولا تعتقدوا فى ثنائي غيرهما مما يستحيل وصف البشر به فالقصر اضافى كآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل اذ له صلى الله عليه وسلم خصوصيات ومزايا لا يشاركه غيره فيها وانما اقتصر صلى الله عليه وسلم علي صفتى العبودية والرسالة المشتركتين بينه وبين غيره من الرسل ولم يذكر شيأ من خصوصياته تواضعا منه صلي الله عليه وسلم ومن ثم قال البوصيرى رحمه الله تعالى بعد ذكر بعض خصوصياته صلى الله عليه وسلم

دع ماادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ماشئت من شرف * وانسب الى قدره ماشئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

ثم لا يلزم من كونه عبد الله ورسوله مساواة غيره له صلى الله عليه وسلم في العبودية لله تعالى التى هى شهود الربوبية وعدم الغفلة عنها لانه صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق فى هذا الوصف الذى هو عين الكمال الانسانى ولاجله كان الايجاد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولذلك كان صلى الله عليه وسلم أكمل الكمل علي الاطلاق وعبوديته أكمل كل كمال ولذلك أثنى الله عليه باسم العبد فى اشرف مقاماته فقال سبحان الذى اسرى بعبده فانه لما رفعه

ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين سنة وكان أوصى ان يكفن في جبة صوف لقي المشركين فيها يوم بدر قال انما كنت أخبؤها لذلك وهو آخر المهاجرين موتا وفي مسلم ان آية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي نزلت في ستة منهم سعد

الله تعالي حتى وصل الى محل من القرب سبق به الاولين والآخرين وأقيم مقاما غبطه به الانبياء والمرسلين أثنى الله عليه في أدبه وكمال عبوديته الذي لا يكيف ولا يدرك ولا يعلمه الا الذي خصه سبحانه فقال ما زاغ البصر وما طغى وألزمه اسم العبودية ولو كان له اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالات العلية وقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب فذكره بالعبودية في مقام انزال الكتاب والتحدي بان يأتوا بمثله وقال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه فذكره في مقام الدعوة اليه وأضافه في ذلك كله الى اسم ذاته فلذلك كان أحب الاسماء اليه صلي الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا سويد بن عبد العزيز عن حميد عن أنس بن مالك ان امرأة) أي من الانصار كما في البخاري وفي رواية ومعها صبي لها وفي مسلم كان في عقلها شيء قال العسقلاني ولم أقف علي اسم المرأة اه وقول بعض حواشي الشفاء ان اسمها أم زفر ماشطة خديجة يرده ان أم زفر ليست من الانصار وروايات البخاري صريحة في انها انصارية بل في بعض رواياته انه قال والذي نفسي بيده انكم لاحب الناس الى مرتين أو ثلاث مرات (جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له ان لي اليك حاجة) كانها تريد اخفاؤها عن غيره (فقال اجلسي في أي طريق المدينة شئت اجلس اليك) أي معك زاد مسلم فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها قال العسقلاني نقلا عن المهلب لم يرد أنس انه خلا بها بحيث غاب عن أبصار الناس ممن كان معه وانما خلا بها بحيث لا يسمع شكواها من حضر معها وروى البخاري ان كانت الامة لتأخذ بيده صلى الله عليه وسلم فتنطلق به في حاجتها وعنده أيضا ان كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يدها حتى تذهب به حيث شاءت وفي هذا كله أنواع من المبالغة في التواضع لذكر المرأة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الاماء أي أمة كانت وبقوله حيث شاءت أي من الامكنة وفي التعبير بالاخذ باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة لساعدها علي ذلك وفي صبره علي المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين واجابته من سأله حاجة وبروزه للناس وقربه منهم ليصل ذوو الحقوق الى حقوقهم ويسترشد الناس باقواله وافعاله وأحكامه وفي ذلك كله تنبيه منه لحكام أمته ونحوهم على ان يتأسوا به في ذلك * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا علي بن مسهر عن مسلم الاعور عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض) أي كيفما كان ولو وضيعا أو عبدا وفي البخاري انه عاد غلاما يهوديا كان يخدمه وعرض عليه الاسلام فاسلم قال في جمع الوسائل تبعا لابن حجر وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأله عن حاله ويقول كيف تجدك أو كيف أصبحت أو كيف أمسيت أو كيف هو ويقول لا بأس عليك طهور ان شاء الله أو كفارة وطهور وقد يضع يده على المكان الذي يألم ثم يقول بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك الله يشفيك اه وفي البخاري عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى مريضا أو اتي به قال أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وفي الترمذي من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده أسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك سبعا فان الله تعالى يشفيه قال حسن صحيح وفي

وابن مسعود انتهى وأما سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي أحد العشرة المبشرين بالجنة شهد المشاهد كلها الا بدرا ولكنه ضرب له النبي باجر من شهدها وأسهم له وأخرج الشيخان ان امرأة ادعت عليه عند مروان انه أخذ لها قطعة من أرض فقال ما كنت لافعل بعد اذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شبرا من ارض ظلما طوقه من سبع أرضين فقال مروان لا أسألك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها فذهب بصرها فبينما هي تمشي في أرضها وقعت في حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت أصابتني دعوة سعيد وفي رواية انه كان جارها بالعقيق وانه اعطاها الذي ادعته ودعا عليها توفي سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالبقيع

(وابن عوف من هونت نفسه الذ ... يا ببذل يمده اثراء)

أي واقسم عليك بعبد الرحمن بن عوف بن الحرث القرشي الزهري أحد الثمانية السابقين الى الاسلام والعشرة المشهود لهم بالجنة والخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي يوم أحد وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل الي بني كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها بين كتفيه وقال ان فتح الله تعالى عليك فتزوج ابنة ملكهم أو شريفهم ففتح عليه وتزوج ابنة شريفهم الاصبغ فولدت له أبا سلمة وصلى النبي معه الركعة الاخيرة من صلاة الصبح ولما اتم النبي ما فاته خلفه قال ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته ولم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف أحد

البخاري عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا وفى طريق أخرى عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى الرقية تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيما باذن ربنا والصحيح ان هذا ليس بخاص بتراب المدينة ولا بالريق النبوى انظر التوضيح على البخارى قال العسقلاني وجملة آداب العيادة عشرة ومنها مالا يختص بالعيادة ان لا يقابل الباب عند الاستئذان وان يدق الباب برفق وان لا يبهم نفسه كأن يقول انا وان لا يخص وقتا يكون غير لائق بالعيادة كوقت شرب المريض الدواء وان يخفف الجلوس وان يغض البصر وان يقلل السؤال وان يظهر الرقة وان يخلص الدعاء وان يوسع للمريض في الاجل وان يشير عليه بالصبر لما فيه من جزيل الاجر ويحذره من الجزع لما فيه من الوزر اه وقد نظم الشيخ ابن غازى رحمه الله بعضها فى ثلاثة أبيات من عروض المجتث تقريبا للحفظ فقال

اذا لقيت عليلا * فاقعد لديه قليلا
ولا تطول عليه * وقل مقالا جليلا
وقم بفضلك عنه * تكن حكيما نبيلا

والصحيح ان المريض يعاد ولو كان مرضه برمد أو ضرس أو دمل وأما خبر ثلاثة ليس لهم عيادة الرمد والدمل والضرس فصحيح البيهقى أنه موقوف على يحيى بن كثير والصحيح أيضا ان لا فرق بين طول المرض وقصره خلافا لما فى الاحياء وأما خبر ابن ماجه كان صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضا الا بعد ثلاث فهو ضعيف بل قال أبو حاتم انه باطل انظر ابن حجر وقد جاء فى فضل العيادة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا غدوة صلى عليه سبعون الف ملك حتى يمسى ومن عاده عشية صلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح ومنها ما فى مسلم والموطا من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع قيل وما خرفة الجنة قال جناها * (تنبيه) * مما ورد فى زيارة المتحابين ما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا زار أخا له فى قرية أخرى قال فارصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخا لى فى هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير أني أحببته في الله عز وجل قال فانى رسول الله اليك بان الله قد أحبك كما أحببته فيه (ويشهد الجنائز) أى الصلاة عليها ودفنها قال فى جمع الوسائل وكان اذا شيع جنازة علا كربه وأقل الكلام وأكثر حديث نفسه رواه الحاكم فى الكنى عن عمران بن حصين اه ولتشييع الجنائز آداب تطلب فى كتب الفقه وفيه ان المخالطة أفضل من العزلة لان الخلطة هى حال الكمل وهذا انما هو لمن قدر على التحفظ من الشر وأسبابه وأما ان ضعف حال الانسان عن المحافظة فتكون العزلة فى حقه فى بعض الاحيان أفضل انظر ابن حجر (ويركب الحمار) أى مع قدرته على ما فوقه من المراكب وربما أردف عليه ذكر فى مختصر السيرة للمحب الطبرى أنه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قباء ومعه أبو هريرة فقال أحملك فقال ما شئت يا رسول الله فقال اركب فوثب ليركب فلم يقدر فاستمسك به صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب وقال له مثل ذلك ففعل فوقعا جميعا ثم ركب وقال له مثل ذلك فقال والذى بعثك بالحق ما ريتك ثالثا قال المناوى وقد تأسى به صلى الله عليه وسلم فى ذلك أكابر السلف أخرج ابن عساكر ان سالم بن عبد الله بن عمر كان له حمار هرم

لأم سلمة خفت ان يهلكنى كثرة مالى فقالت يا بنى انفق قال الزهري تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف دينار ثم أربعون ألف دينار ثم بمثلها ثم بخمسمائة فرس ثم بخمسمائة راحلة وفى رواية ألف وخمسمائة راحلة وأوصي لامهات المؤمنين بحديقة فبيعت بأربعمائة ألف وأوصى بخمسين الف دينار فى سبيل الله ولكل واحد ممن بقى من أهل بدر بأربعمائة دينار وكانوا مائة من جملتهم عثمان فأخذ ما نابه وهو أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنهم وبالف فرس فى سبيل الله تعالى وكان أهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام بسبعمائة راحلة فسمعت عائشة أصواتها فروت حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فأتاها فحدثته فقال أشهدك انها باحمالها واقتابها واحلاسها فى سبيل الله عز وجل وباع أرضا من عثمان باربعين الف دينار فقسمها فى أقاربه بنى زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل الجنة الا زحفا فأقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك فقال ما الذى أقرضه فقال تتبرأ من كل مالك فهم بذلك فأتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه

وليس أيمن يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة انه صلى الله عليه وسلم قال فنهاه

له كفاك الله تعالى أمر دنياك وأما الآخرة فأنا لها ضامن وسببه ان الحسنين اشتد بكاؤهما من الجوع فقال من يصلنا بشيء فأتاه

بصحة فيها حاسر ورغيفان بينهما هالة وقد يجاب عن المعارضة بان الاحاديث التي فيها انه يدخل الجنة حبوا السخت ومحيت بكثرة صدقته وانفاقه في سبيل الله حسبما يدل عليه حديث اتيان جبريل المتقدم ولما امتثل ما أمر به وظهر ذلك من فعله ضمن له النبي صلى الله عليه وسلم أمر آخرته توفي سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان عن خمس وسبعين سنة وصلى عليه علي والزبير لانه كان هجر عثمان لما أمر أقاربه فقال الناس لابن عوف هذا فعلك فدخل عليه ولامه وقال له انما وليتك لتسير بسيرة الشيخين فقال كان عمر يقطع أقاربه في الله تعالى وانا أصلهم في الله تعالى فنذر أن لا يكلمه أبدا وقوله من هونت من موصولة نعت أي الذي هونت نفسه الدنيا أهانتها ولم تحتفل بها وأرخصت أموالها النفيسة فانفقتها في سبيل الله ببذل أي اعطاء كثير مستدام طلبا لرضا الله تعالى في مواضعه ومن يستحقه يمده أي يبسطه ويزيده اثراء أي كثرة مال أكثر من التجارة وكان محفوظا فيها بحيث لو امسك التراب صار ذهبا وترك منه ما جاء ربع ثمنه ثمانين ألف دينار قال ابن حجر عند قوله أغنياء نزاهة الخ وهذا لا ينافي أنه كان ينفقه في سبيل الله اذ ليس المطلوب الانفاق دفعة بل هو على حسب الاحتياج وتخلفه عن الفقراء في دخول الجنة اما لكونه يقف يشفع أو يسأل سؤال تكريم عما أنعم به عليه أو جبرا لخاطر الفقراء بذلك اه

(والمكنى أبا عبيدة اذ يعزى اليه الامانة الامناء)

فنهاه بنوه عن ركوبه فأبى فجدعوا أذنه فأبى أن يدعه وركبه فجدعوا الاخرى فركبه فقطعوا ذنبه فصار يركبه مجدوع الاثنين مقطوع الذنب (ويجيب دعوة العبد) أي لضيافة أو حاجة قرب محلها أو بعد وقد تقدم في باب صفة الادم عن أنس أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه له فراجعه هنالك وسياتي أيضا آخر هذا الباب (وكان يوم بني قريظة) هم جماعة من يهود المدينة غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم رجوعه من الخندق فلما اشتد عليهم البلاء نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء وقسمة الاموال فقتلوا هم ستمائة أو سبعمائة رجل وقسمت أموالهم ونساؤهم وابناؤهم (على حمار مخطوم) اي ذي خطام بالكسر وهو الزمام (بحبل من ليف عليه) أي الحمار (اكاف) بكسر الهمزة هو بمنزلة السرج للفرس والرحل للبعير (من ليف) وفي نسخة اكاف ليف بالاضافة أي مع ان الله تعالى مكنه من عدوه في ذلك اليوم ونصره عليهم حتى ظفر بهم وباموالهم وفي النسائي لا يانف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي له الحاجة قال العراقي

يمشي مع المسكين والارملة * في حاجة من غير ما انفة
يردف خلفه على الحمار * على اكاف غير ذي استنكار
يمشي بلا نعل ولا خف الى * عيادة المريض حوله الملا

*قال المصنف (حدثنا واصل بن عبد الاعلى الكوفي نا محمد بن فضيل عن الاعمش عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة) بكسر الهمزة هي كل دهن يؤتدم به او يختص بدهن الشحم والآلية أو هي الدسم الجامد (السنخة) بفتح السين وكسر النون ثم خاء معجمة أي المتغيرة الريح من طول المكث قال المناوي وعلم صلى الله عليه وسلم اما باخبار الداعي أو للعلم بفقره أو مشاهدة غالب مأكوله ونحو ذلك من القرائن الحالية وفيه حل أكل المتن من اللحم وغيره حيث لا ضرر فيه (فيجيب) تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وجبرا لقلب الفقراء وتعظيما لجميع نعم الله تعالى وقد تقدم قول هند يعظم النعمة وان دقت لا يذم منها شيأ (ولقد كانت له درع) أي من حديد كما في البخاري وهي مؤنثة قال في القاموس وقد تذكر وعليه يخرج ما في بعض النسخ كان له درع بدون تاء التأنيث وأما درع المرأة فهو مذكر لا غير لانه بمعنى القميص (عند يهودي) هو أبو الشحم من الاوس واسمه كنيته أي كانت مرهونة عنده في ثلاثين صاعا من شعير على ما رواه البخاري وأحمد وابن ماجه والطبراني وغيرهم وفي عشرين صاعا من طعام أخذه لاهله على ما رواه المصنف في الجامع والنسائي في سننه وجمع بينهما بانه أخذ أولا عشرين ثم عشرة ثم رهنه اياها على الجميع قال ابن حجر على ان رواية الثلاثين اصح وأشهر فكانت اولى بالاعتبار اه وفي حديث عائشة عن البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي الى أجل وروى ابن حبان عنها ان الاجل سنة ووقع لابن حنان عن أنس ان قيمة الطعام كانت دينارا (فما وجد ما يفكها حتى مات صلى الله عليه وسلم) في شرائه صلى الله عليه وسلم ورهنه من يهودي لانه يقبض الرهن ويتقاضى الثمن دون مسلم لانه لا يفعل شيأ من ذلك دليل على كمال شرف نفسه وعلو همته ومزيد حشمته وبراءته من الطمع وشفقته على أصحابه بعدم التضييق عليهم لما علم من ان الانسان اذا شرفت نفسه كتم ما يعرض له من الضيق حتى عن أهله وولده وانبسط لهم كانبساطه حال اليسار ولو علم الصحابة

هو بفتح النون اسم مفعول من الكنية أي وأقسم عليك بالمكنى

أبا عبيدة وهو عامر بن الجراح القرشي الفهري أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد خمسة الذين أسلموا في يوم واحد على يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحرث وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد واحد الرجلين اللذين عينهما الصديق

يوم السقيفة للخلافة والثاني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا في وجنتي النبي صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت ثناياه لانه تحامل عليهما خوفا

من ايلامه صلى الله عليه وسلم فكان من أحسن الناس هتما والهتم بالمثناة الفوقية انقاء مقدم الاسنان ولاه أبو بكر على الشام ثم أمر خالدا عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولى عمر أعاده لكن أمره ان يستشير خالدا وهو أول من سمي أمير الامراء بالشام وروى انه أمره النبي صلى الله عليه وسلم على سرية فيها أبو بكر وعمر وتعرض له أبوه يوم بدر فأعرض عنه فلازمه فلما أكثر عليه قتله فأنزل الله تعالى فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم الآية ولما قال له الصديق يوم السقيفة مديدك لابايعك قال له ما كنت لاتأمر على رجل قدمه النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بناحتى قبض وقال عمر لئن ادركني أجلي وهو موجود استخلفته لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل أمة أمينا وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال أين أخي أبو عبيدة فقالوا الساعة يأتيك فأتاه على ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه رضي الله تعالى عنهما وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وقوسه وترسه ورحله فبكى عمر وقال أصحابه تمنوا فقال رجل أتمنى ملء هذه الدار ذهبا أنفقه في سبيل الله وقال آخر جوهرا أنفقه في سبيل الله تعالى فقال عمر وأنا أتمنى لو ان هذه الدار مملوأة رجالا مثل أبي عبيدة وله فتوحات وحروب مع المشركين وعن الحسن مرسلا ما من أحد من أصحابي الا لوشئت لاخذت عليه في بعض خلقه غير أبي عبيدة توفي سنة ثمان عشرة يقضي

بحاجته الى ألوف من الاراذل حملوها اليه وأقسموا عليه في قبولها ورأوا المنة عليهم في قبول ذلك كيف وقد أمر يوما بالصدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بنصف ماله وحث علي تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان ألف بعير الى غير ذلك وعلى هذا فذكر هذه الجملة لاتمام الحديث كما قال العصام وتبعه المناوي لالبيان التواضع وقال في جمع الوسائل تبعا لابن حجر ان عدم مبالاته صلى الله عليه وسلم بان منصبه الشريف يأبى أن يسأل مثل يهودي في ذلك يدل على غاية تواضعه وعدم نظره لحقوق مرتبته ورفعة شأنه وفيه معاملة الكفار مع خبث مكاسبهم وفساد معاملاتهم فيما بينهم وبيع السلاح ورهنه واجارته من الكافر اذا لم يكن حربيا والشراء لاجل وجواز الرهن في الحضر وفيه اتخاذ الدروع والعدد للاعداء والتحصن منهم وان ذلك غير قادح في التوكل لان الله تعالى يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من التقلل من الدنيا والاكتساب وفي ذلك تسلية لفقراء أمته واعلام بحقارة الدنيا عند الله تعالى حيث أعرض عن جبال الذهب ان تسير معه واختار حالته التي عاش عليها صلى الله عليه وسلم ففي الحديث الصحيح ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت والى هذا يشير البوصيري رحمه الله بقوله

وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فأراها أيما شمم

وفي قوله ما وجد ما يفكها حتى مات دليل على انه صلى الله عليه وسلم استمر على الحالة التي كان عليها قبل الفتوحات من الاعراض عن الدنيا والاقتصار منها على ما لابد منه فاستوى عنده فقدها ووجودها بل كان لا يزيده فقدها الا زهدا واعراضا قال البوصيري رحمه الله

وأكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لا تعدو على العصم

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وفي ذلك فضيلة لآله ولازواجه حيث صبروا على ضيق العيش وقنعوا باليسير وقد تقدم في باب ما جاء في صفة خبزه صلى الله عليه وسلم الكلام على ادخاره صلى الله عليه وسلم قوت سنة لعياله وتقدم في باب العيش في الحديث الثالث منه وفي أول حديث أبي الهيثم وفي آخر حديث من الباب المذكور وجه اختياره حالته التي عاش عليها صلى الله عليه وسلم فراجعه هنالك * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود الجفري) بفتح المهملة والفاء نسبة الى موضع بالكوفة (عن سفيان عن الربيع بن صبيح عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم) راكبا (على رحل) هو للجمل كالسرج للفرس (رث) أي خلق بال (وعليه) أي الرجل (قطيفة) أي كساء له خمل (لا تساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة) بان يكون لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته لا ليراه الناس أو يسمعوه فيكرمونه باحسانه أو مدح أو يعظم جاهه في قلوبهم والدعاء بهذا من عظيم تواضعه صلى الله عليه وسلم وعده نفسه كواحد من الناس اذ لا تتطرق السمعة للمعصومين وأيضا لا تتطرق الا لمن حج على المراكب النفيسة والملابس الفاخرة وفيه اظهار للعبودية وافتقار لكرم الربوبية وفيه تشريع وتعليم للامة وفيه تنبيه على ان المطلوب من العبد ان يتهم نفسه في عباداته وان كان ظاهر حاله

شهيدا بالطاعون فى طاعون عمواس بقرية بين الرملة وبيت المقدس أول ماوقع بهائم انتشر بالشام قوله اذيعزى بفتح الياء مضارع عزي يعزى ويعزو أى ينسب اليه الامانة ضد الخيانه الامناء جمع أمين وهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة وفى لفظ وأمينا أيتها الامة أبو عبيدة وقال لأهل نجران لما طلبوا منه أن لا يبعث معهم الا أمينا فقال لأبعثن معكم أمينا حق أمين فبعث أبا عبيدة ولا يلزم من هذا تفضيله على الخلفاء لان المزية لاتقتضى التفضيل اذ الفضل بوجود التفضيل لا بوجود الفضيلة لان المفضول وان وجدت فيه مزايا لم تكن فى الفاضل ففى الفاضل خلف منها وزيادة أعظم

يقضي بكمالها وأيضا فى ذلك اشارة الى طلب الاجتهاد فى تصحيح القصد فى عبادة الحج لكثرة مايعرض فيها من الرياء والسمعة والمباهاة والمفاخرة ثم اسناد هذا الحديث ضعيف لاجل الربيع بن صبيح فانه ضعيف ويزيد بن أبان فانه متروك منكر الحديث انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن ناعفان ناحماد بن سلمة عن حميد عن أنس قال لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا معلوم من حال الصحابة رضى الله عنهم ومن ثم اختاروه على أنفسهم ومجروا فى رضاه أوطانهم وأحبابهم وقاتلوا معه آباءهم وأبناءهم حتى قتل أبو عبيدة أباه وتعرض أبو بكر لقتل ولده عبدالله يوم بدر وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير وقتل عمر خاله العاص بن هشام وقال عمر أنت أحب الى من كل شيء الا نفسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم حتى من نفسك فسكت ساعة ثم قال حتى من نفسى فقال الآن ياعمر وسئل على بن أبى طالب رضى الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما وفى الشفاء والمواهب ان امرأة من الانصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعنى صغيرة وقضايا الصحابة رضى الله عنهم فى محبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه كثيرة ومن ثم كانوا لايتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا أمرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له (قال) اى انس (وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك) لكمال تواضعه وحسن معاشرته لهم فآثروا ارادته على ارادتهم وتعليل كراهيته صلى الله عليه وسلم لقيامهم له بما ذكر هو مقتضى صنيع المصنف حيث ذكر هذا الحديث فى باب التواضع وعليه فلا يكون فيه دليل على منع القيام لكن من جعل هذا الحديث من شواهد منع القيام كحديث لاتقوموا كما يقوم الاعاجم بعضهم لبعض لا يسلم توجيه الكراهية بذلك قال فى المدخل فان قيل قد يكون نهيه عن القيام تواضعا فالجواب ان ذلك انما يكون فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولو كان كذلك لكان فيه أمر بترك ما أمر الله به من جميع أنواع التوقير له وهذا باب ضيق نعوذ بالله من الغلط اه وقد نقل فى المدخل جميع ما استدل به الامام النووى القائل بالجواز من الاحاديث وقضايا الائمة واجاب عنه ونقل التفصيل الذى ذكره ابن رشد فى البيان وارتضاه وخص ابن رشد القيام للرجل على اربعة اوجه وجه يكون فيه محظوراً لايحل وهو ان يقوم اكبارا وتعظيما واجلالا لمن يحب ان يقام اليه تكبرا وتجبرا على القائمين اليه ووجه يكون فيه مكروها وهو ان يقوم اكبارا وتعظيما واجلالا لمن لايحب ان يقام اليه ولا يتكبر على القائمين اليه فهذا يكره للتشبه بفعل الجبابرة ومايخشى ان يدخله من تغييره نفس المقوم اليه ووجه يكون فيه جائزا وهو ان يقوم تحفة واكبارا لمن لا يريد ذلك ولا يشبه حاله حال الجبابرة ويؤمن ان تتغير نفس المقوم اليه لذلك وهذه صفة معدومة الا فيمن كان بالنبوة معصوما لانه اذا تغيرت نفس عمر بالدابة التى ركب عليها فمن سواه بذلك احرى ووجه يكون فيه حسنا وهو ان يقوم الى القادم عليه من سفر فرحا

(وبعميك نيرى فلك المجـ
ـدوكل أتاه منك اتاء)

أي أخوى أبيك لابيه وهما حمزة والعباس ابنا عبدالمطلب رضى الله تعالى عنهما وكل منهما اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بنحو سنتين نيرى تثنية نير وهو الكوكب المضيء والمراد هنا الشمس والقمر والفلك هو مايسير فيه الكوكب وفى القاموس الفلك محركة مدار النجوم الجمع أفلاك والمجد الكرم والحسب شبههما بالشمس والقمر استعارة بالكناية واثبت لهما ماهو من لوازمهما وهى الاضاءة تخييلا وذكر المجد تجريد لانه يلائم المشبه وشبه المجد بالكوكب الدرى استعارة مكنية وخيل له بذكر الفلك الذي هو محل سيره ورشح بذكر النيرين وقوله وكل أتاه أى كل منهما جاءه وحصل له منك اتاء بكسر الهمزة أى نماء وفضل وقال الشارح هو مايستفاد من النعم والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار الاشجار اما حمزة ويكنى أبا عمارة فكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة اسلم قديما وكان شجاعا لايطاق اسلم قبل عمر بثلاثة ايام وهو اول من عقد له صلى الله عليه وسلم

لواء حين بعثه الى سيف البحر واستشهد باحد نصف شوال سنة ثلاث بعد ان قتل احدا وثلاثين كافرا ولما وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم قتيلا قد مثل به بكى وشهق وقال لن أصاب بمثلك أبدا ما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا ورى ابن شاذان عن ابن مسعود مارأينا النبي صلى الله عليه وسلم باكيا قط أشد من بكائه على حمزة ووضعه في القتلى ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول ياحمزة ياعم رسول الله ياأسد الله تعالى وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم ياحمزة يافاعل الخيرات ياحمزة يا كاشف الكربات ياذابا عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر وليس في هذا نوح ولا تعديد شمائل بل اخبار بفضائله وشمائله وصح حديث أنا سيد الشهداء يوم القيامة وحديث رحمة الله عليك فقد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصحح الحاكم حديث والذي نفسي بيده عز وجل انه لمكتوب عند الله تعالى في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب أسد الله تعالى وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم وحديث ان الملائكة غسلته صححه الحاكم ولما رآه ممثلا به قال عليه الصلاة والسلام لأمثلن بسبعين منهم مكانك فنزل قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به الخ فكف صلى الله عليه وسلم وكفر عن يمينه رواه البزار وأما العباس فيكنى أبا الفضل فكان جليلا جوادا ذا رأي وعقل معظما عند النبي صلى الله عليه وسلم وعند الصحابة رضي الله تعالى عنهم رئيسا في قريش قبل الاسلام واليه كانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وكان مع النبي ليلة العقبة فعقد له البيعة على الانصار وقال لاصحابه يوم بدر من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها وسمعه بالليل ئن من شد الوثاق فلم ينم فقيل له مايسهرك يارسول الله قال أنين العباس فقام رجل فارخى وثاقه ووثاق البقية فقيل أسلم يوم بدر وكان يكتم اسلامه ولقي النبي بالابواء وهو خارج لفتح مكة وبه ختمت

بقدومه يسلم عليه أو القادم عليه المصاب بمصيبة فيعزيه بمصابه وما أشبه ذلك فعلى هذا يتخرج ماورد في هذا الباب من الآثار ولا يتعرض بشيء منها اه ومن القيام المستحب على مافي شراح المختصر القيام لمن نزل به سرور فيهنأ والقيام للعالم وللصهر وللوالدين وقال المواق في سنن المهتدين قال الشيخ محيي الدين النووي ويستحب القيام لمن كان فيه فضيلة من علم أو صلاح أو شرف أو ولاية مصحوبة بصيانة للبر والاكرام اه ثم التفصيل المتقدم انما هو اذا لم يترتب على ترك القيام مقاطعة أو اذاية والا وجب كما في شراح المختصر وقد نص في شرح الجوهرة على جواز هذه الامور العادية التي يفعلها الناس على وجه المكارمة والمداراة مع انها لم ترد في النصوص ولا كانت في زمن السلف لتجدد أسبابها في عصرنا دون عصرهم فتعين فعلها لتجدد أسبابها لا لانها شرع مستأنف قال وذلك كالقيام للداخل من الاعيان واحناء الرأس له ان عظم قدره جدا والمخاطبة بنحو جمال الدين ونور الدين وتسطير اسم الانسان بالمملوك ونحو ذلك والتعبير عن المكتوب اليه بالمجلس العالي والسامي والجناب ونحو ذلك من الاوصاف العرفية والمكاتبات العادية ومن ذلك ترتيب الناس في المجالس وأنواع من المخاطبات للملوك والوزراء وأولي الرفعة من الولاة والعظماء قال ولقد حضرت يوما عند الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى وكان من أعيان العلماء وأولي الجد في الدين والثبات على الكتاب والسنة غير مكترث بالملوك فضلا عن غيرهم لا تأخذه في الله لومة لائم فقدمت اليه فتيا فيها ماتقول أئمة الدين وفقكم الله في القيام الذي أحدثه أهل زماننا مع انه لم يكن في السلف هل يجوز أو لا يجوز ويحرم فكتب رضي الله تعالى عنه في الفتيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا وترك القيام في هذا الوقت يفضي للمقاطعة والمدابرة فلو قيل بوجوبه ما كان بعيدا هذا نص ما كتبه من غير زيادة ولا نقصان فقرأتها بعد كتابتها فوجدتها هكذا وهو معنى قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور اه المراد ونقله المواق في أول سنن المهتدين واعتمده وقال في آخر الكتاب قد تقدم أول الكتاب ان القيام للداخل يجوز لخوف التباغض اه وذكر في المدخل جواب ابن عبد السلام واستشكله بما أجاب عنه شيخنا المحقق في شرحه للنصيحة الكافية قائلا اياك أن تستعمل ما يرتكبه العوام من التساهل اذا فتح لهم باب الاباحة في أمر فيه تفصيل وله شروط ولا تتعد القانون الذي ذكره الائمة وتثبت في مواضع الالتباس اه فانظره وفي جمع الوسائل قال القاضي عياض ليس هذا من القيام المنهي عنه انما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ويمكثون قياما طول جلوسه اه ويقال ان عمر بن عبد العزيز فعل ذلك به أول ماولي حين خرج الى الناس فانكره وقال ان تقوموا نقم وان تقعدوا نقعد وانما يقوم الناس لرب العالمين وفي الحديث من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار

* قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع ناجميع) بالتصغير (ابن عمر) صوابه عمير بالتصغير قاله في جمع الوسائل (ابن عبد الرحمن العجلي) بكسر العين وسكون الجيم (حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة) بدل من أبي هالة (يكنى) ذلك الرجل (أبا عبد الله عن ابن لابي هالة) تقدم الكلام على ماقيل من ان في هذا السند انقطاعا في الباب الاول (عن الحسن بن علي قال سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافا عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اشتهي ان يصف

يصف لى منها شيأ فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فذكر الحديث بطوله) وقد تقدم فى الباب الأول (قال الحسن فكتمتها) أى هذه الحلية أو هذه الرواية (الحسين) أي ابن على رضى الله عنهما (زمانا) يحتمل أن ذلك الكتمان كان اتفاقيا ويحتمل انه كان عن قصد لاختبار اجتهاده وجده فى تحصيل العلم بحلية جده صلى الله عليه وسلم (ثم حدثته فوجدته قد سبقنى اليه) أى الى خاله هند (فسأله عما سألته عنه ووجدته قد سأل أباه) أى علىا رضى الله عنه وفى نسخة أبى (عن مدخله ومخرجه) أى عن أحواله اذا دخل بيته واذا خرج منه (وشكاله) بفتح أوله كما فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة أي طريقه المسلوكة بين أصحابه في مجلسه قال فى القاموس الشاكلة والشكل الناحية والطريقة والمذهب اه وأما تفسير الشكل هنا بالصفة والصورة فلا يصح لانه ليس فى هذا الحديث ذكر صفة صورته صلى الله عليه وسلم مع قوله (فلم يدع منه شيأ) أى فلم يدع علي مما سأله عنه الحسين شيأ وسيأتي فى هذا الحديث فسألته عن مجلسه فقال الخ فدل ذلك علي تفسير الشكل بما تقدم ولكن فى كتاب الشفاء فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع شيأ منه الخ فجمع فى هذه الرواية بين مجلسه وشكله فانظر ما المراد بالشكل على هذه الرواية ويحتمل ان المعنى فلم يدع الحسين من السؤال عن أحواله شيأ الا سأله عنه ومن ذلك ماسيأتى فى باب الخلق من قوله فسألته عن سيرته فى جلسائه الخ (قال الحسين) رواية الحسن عن أخيه الحسين من قبيل رواية الاقران كما هو مقرر فى علم أصول الحديث خلافا لمن قال انه من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر وأيضا فان ما بينهما لم يكمل سنة قاله فى جمع الوسائل (فسألت أبى عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان اذا أوى) أى رجع (الى منزله جزأ دخوله) أى زمان دخوله (ثلاثة أجزاء جزأ لله) أى يستفرغ فيه وسعه لعبادة الله تعالى من طهارة وصلاة وتلاوة وتفكر ونحو ذلك (وجزأ لاهله) أى يباشرهم فيه ويتألفهم ويؤنسهم بالكلام وغيره وينظر فى مصالحهم وما يحتاجون اليه من أمور دينهم ودنياهم وقد تقدم فى باب السمر شواهد حسن معاشرته صلى الله عليه وسلم لاهله (وجزأ لنفسه) يفعل فيه ما يحتاج اليه من أكل ونوم أو غير ذلك والاجزاء الثلاثة كلها في الحقيقة لله تعالى وانما أضاف الثانى للاهل والثالث للنفس باعتبار الصورة الظاهرة ومعلوم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتحركون فى شيء الا لله وبالله لان المباحات تصبغ بالنية فتصير قربات (ثم جزأ جزأ) هو جزؤه صلى الله عليه وسلم وفى بعض النسخ جزأه بالاضافة (بينه وبين الناس) أى كلهم عامهم وخاصهم بدليل قوله بعد فى جزء الامة لكن علي وجه خاص بينه بقوله (فيرد) أى يصرف صلى الله عليه وسلم وفى نسخة فرد بلفظ الماضى (ذلك) أى الجزء الذى بينه وبين الناس (بالخاصة) أى بسببهم (على العامة) متعلق بيرد أى لان العامة كانت لا تصل اليه في منزله في ذلك الوقت ولكنه كان يوصل اليها حظها من ذلك الجزء بالخاصة التى تصل اليه لان الخواص الحاضرين بين يديه يستفيدون منه ثم يبلغون ذلك لسائر الناس فكان صلى الله عليه وسلم يوصل فوائده وعلومه الى العامة بواسطة الخاصة ومن ثم قال (ولا يدخر) بالدال المهملة علي ما فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة أصله يذتخر فقلبت التاء دالا مهملة ثم المعجمة مهملة ثم وقع الادغام وجوز بعضهم العكس أى لا يخفى (عنهم) أى العامة فضلا عن الخاصة أو عن الناس الصادق بالجميع (شيأ) أي من الفوائد والعلوم التى تصلح بهم وتسعها عقولهم والا فقد كانت له علوم لا تسعها عقول العامة فكان يخص بها الخاصة وعلوم لا يبثها لاحد من الناس

المجرة وكان رده النبى بمكة يكاتبه باخبار أهلها وكان المسلمون يتقوون به وكان يجب القدوم علي النبى صلى الله عليه وسلم فكتب له ان بقاءك بمكة خير لك وثبت مع النبى يوم حنين وكان عمر يستسقى به اذا قحط المطر فيقول اللهم انا كنا نستسقى بنبيك فتسقينا وها نحن نستسقى بعم نبيك فاسقنا فيسقون توفى بالمدينة ثانى عشر رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين عن نحو من ثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث العباس منى وأنا منه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا به الاحياء وحديث انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم ان يستعمله علي الصدقة فقال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث من آذى العباس فقد آذانى فانما عم الرجل صنو أبيه وحديث أوصانى الله تعالى بذى القربى وأمرنى ان أبدأ بالعباس ابن عبد المطلب وأخرج الدار قطنى فى الافراد ليكونن فى ولد العباس ملوك يلون أمر أمتى يعز الله تعالى بهم الدين وأخرج ابن عساكر اللهم اغفر له ذنبه وتقبل منه أحسن ما عمل وتجاوز عنه سيئ ما عمل وأصلح له فى ذريته لا تؤذوا العباس فتؤذونى من سب العباس فقد سبنى وأخرج الرافعى الا أبشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء ومنك الهدى فى آخر الزمان به ينشر الله تعالى الهدى وبه يطفئ نيران الضلالة ان الله تعالى فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم وأخرج أبو نعيم فى الحلية

لكونها لاتسعها عقولهم ويدل على ماقلنا من ان العامة كانت لاتصل اليه فى منزله فى ذلك الوقت قوله (وكان من سيرته فى جزء الامة ايثار) أى تقديم (أهل الفضل) أى وهم أهل العلم والدين وسيأتي أفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة (باذنه) متعلق بايثار أى ايثارهم باذنه لهم فى الدخول عليه (وقسمه) عطف على ايثار وضميره للنبي صلى الله عليه وسلم ومفعوله محذوف أى وكان من سيرته في ذلك الجزء أيضا قسمه صلى الله عليه وسلم ماعنده من خير الدنيا والآخرة بين أهل الفضل والناس (على قدر فضلهم فى الدين) قال ابن حجر أى دون احسابهم وأنسابهم أى لان أولئك أكرم وأفضل ان أكرمكم عند الله أتقاكم اه قلت فى البخارى فى باب واتخذ الله ابراهيم خليلا عن أبى هريرة قيل يارسول الله من أكرم الناس قال أتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني خيارهم في الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا فاجابهم صلى الله عليه وسلم أولا بما هو جماع الخير كله من الصفات الكسبية وأجابهم ثانيا بما هو غاية الشرف من الصفات الوهبية وهى كونه نبيا ومن سلالة الانبياء وربما أشعر قوله ابن كذا ابن كذا ان الشرف ثابت لاولاد الانبياء لمجرد نبوتهم وان لم يكونوا أنبياء فيجب لهم من التوقير والاحترام ماينا سب أقدارهم وسيأتى ذلك فى قضية صفية حيث قال لها عليه الصلاة والسلام ألا قلت لهن أبى هرون وعمى موسى قال تعالى قل لاأسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقال جل وعلا انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ومما ينخرط فى هذا السلك أولاد العلماء والصالحين فيجب مراعاة حقوقهم وان لم يتصفوا بصفات آبائهم وقد قال تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم قال المفسرون عن ابن عباس فيكون أولادهم فى درجتهم وان لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الاولاد اليهم وقد قال بعض العلماء اذا كان تعالى أوصي باولاد الصالحين فقال وكان أبوهما صالحا فما ظنك باولاد الاولياء اذا كان ذلك فى أولاد الاولياء فما ظنك باولاد الشهداء اذا كان ذلك في اولاد الشهداء فما ظنك باولاد الصديقين اذا كان ذلك فى أولاد الصديقين فما ظنك باولاد النبيين اذا كان ذلك فى أولاد النبيين فما ظنك باولاد المرسلين اذا كان ذلك فى أولاد المرسلين فما عسى ان تعبر به فى أولاد سيد المرسلين اه وأجابهم ثالثا بما فيه الجمع بين المكتسب وغير المكتسب وهو كون الانسان من أهل الفقه فى دين الله تعالى وممن كان لسلفه شرف بسبب من الاسباب التى كان يحصل بها الشرف فى الجاهلية وقد أشارت اليها خديجة رضى الله عنها فى حديث بدء الوحى لما قال لها صلى الله عليه وسلم لقد خشيت على نفسى فقالت كلا والله لايخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وقد فسر العسقلانى فى باب مناقب الخيار بمن كان متصفا بمحاسن الاخلاق كالكرم والعفة والحلم وغيرها متوقيا لمساويها كالبخل والفجور والظلم وغيرها اه ولايرجع هذا القسم الى القسم الاول لان المعتبر هنا مطلق التقوى لا كاملها لانهم قالوا ليس عن هذا نسألك أولا وثانيا فدل ذلك على ان ليس مرادهم السؤال عن الاكرام الحقيقى بل الاكرام النسبى وهو الذي يظهر للناس ويطلع غالبهم عليه من صلاة وصيام وحج وجهاد ونحوها وأما كالهافان أهله يخفونه خوفا من آفات اظهاره فاذا عرف الاول عظمت حرمته على الثاني ولهذا كانت معاملته صلى الله عليه وسلم للناس على حسب دينهم وتقوام وبقوله فى الحديث خياركم الخ تعلم ان من لم يعتبر النسب أصلا فقد فرط وبقوله

الا أبشرك يا ابا الفضل ان الله تعالى افتتح بي هذا الامر وبذريتك يختم وكون المهدى من ولده يحمل على ان فيه شعبة منه كما صح انه من ولد فاطمة من ذرية الحسن وجاء انه من ذرية الحسين ولاتعارض لان فيه شعبة من ولد الحسين أيضا وأخرج الترمذى وقال حسن غريب اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لاتغادر ذنبا اللهم اخلفه فى ولده وأخرج الخطيب وابن عساكر اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن أحبهم وأخرج ابن عساكر اللهم اغفر للعباس ماأسر وما أعلن وما أبدى وما أخفى وما كان وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيامة وأخرج الخطيب وابن عساكر أنت عمى وصنو أبى وخير من أخلف بعدى من أهلى اذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فمي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدى

(وبأم السبطين زوج علي
وبنيها ومن حوته العباء)

أى أقسم عليك بأم الحسن والحسين وهى فاطمة رضى الله تعالى عنها وعنهما أصغر بناته صلى الله عليه وسلم وعليهن زوج علي كرم الله وجهه زوجها له النبى صلى الله عليه وسلم ثاني سنى الهجرة بوحى من الله تعالى وبنى بها بعد تزوجها بسبعة أشهر ونصف رأس ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا وكان سنها حينئذ خمس عشرة سنة

اذا فقهوا تعلم ان من اعتبر النسب بمجرده فقد أفرط والحق التوسط وهو أن يعتبر اذا كان معه تقوى الله تعالى وتفقهه في دينه والا فلا عبرة به والكلام فيمن كان لسلفه شرف في الجاهلية فقط فلا يحصل لهم الشرف في الاسلام الا بهذا الشرط كما هو صريح الحديث دون أولاد الانبياء والعلماء والصالحين فلا يشترط فيهم ذلك والشرف ثابت لهم في الجملة لان العقوق لا ينفي النسب وان كان بين البار والعاق كما بين السماء والارض حتى قال الشيخ زروق في قواعده المعتبر هو النسب الديني فان انضاف اليه الطيني كان مؤكدا فلا نلحق رتبة صاحبه بحال وقال بعضهم

عليك بتقوى الله في كل حالة * ولا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس * وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

(وقال آخر)

انا وان كرمت أوائلنا * لسنا على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا * تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وتقدم في باب الكلام قول القائل

وما الحسب الموروث لا در دره * بمحتسب الا بآخر مكتسب
اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس للحطب

وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وقد تقدم في آخر باب اللباس ان مذهب أهل السنة ان عصاة أهل البيت في المشيئة وان محل أحاديث التبشير على غلبة الرجاء في حق من علم الله أنه منهم لا الجزم بعدم مؤاخذتهم وتقدم ما قاله أهل العلم في تفسير آية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ثم اعلم ان الشرف بالعلم والتقوى أو بالانتساب للانبياء أولا هل العلم والتقوى أو بالانتساب لمن كان له شرف في الجاهلية مع التفقه في دين الله تعالى لا يختص بالعرب بل الانواع الثلاثة ثابتة لغيرهم من أهل الكتاب وان كانت العرب أشرف لان النبي صلى الله عليه وسلم منهم وهو أفضل الانبياء والمرسلين أعرق في الشرف من العجم وان كان جل الانبياء والمرسلين مع العجم وأفضلية العرب على العجم انما هي في الجملة وظاهر الحال وأما في الحقيقة وباطن الامر وما عند الله تعالى فالافضلية انما هي بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فما يدل للنوع الاول قوله تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب الى قوله وأولئك من الصالحين ومما يدل للثاني قول الصحابي في شأن صفية بنت حيي هي سيدة قومها لا تصلح الا لك وفي رواية مسلم صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقف على قوله لا تصلح الا لك وتعليله بما قبله الدال على ان علو شرفها صيرها بحيث لا تصلح الا له وفي الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم دخل على صفية وهي تبكي فقال لها ما يبكيك فقالت بلغني ان عائشة وحفصة تنالان مني وتقولان نحن خير من صفية نحن بنات عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فقال ألا قلت لهن كيف تكن خيرا مني وأبي هرون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم اه بلفظه وأما الثالث فمعلوم ان الغرائز السارية من الآباء الى الابناء من حلم وكرم وحياء وعفة وغيرها قدر مشترك بين جميع الفرق لا يختص به فريق عن فريق لانه من ما صدقات الفضل والرحمة اللذين لا حجر فيهما قال تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقال يختص برحمته من يشاء وقد نبه صلى الله عليه وسلم على عمومه بقوله كما في الصحيحين تجدون الناس معادن خيارهم الخ فعبر بالناس الشامل للعرب وغيرهم فكل من كان له فقه في دين الله تعالى ولآبائه شرف في الجاهلية كان نسبه معتبرا من أي جنس كان وقد جلب شيخنا العلامة

وخمسة أشهر ونصفا وقيل غير ذلك وسن علي اذ ذاك احدى وعشرين سنة وأشهرا قال ابن عبد البر هي وأم كلثوم أفضل بناته عليه وعليهن الصلاة والسلام وكانت فاطمة أحب أهله اليه وكان يقبلها في فيها ويمصها لسانه الشريف واذا أراد سفرا يكون مؤخرا عهده بها واذا قدم أول ما يدخل عليها وقال انما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها وقال أيضا عليه الصلاة والسلام أحب أهلي الى فاطمة وقال عليه الصلاة والسلام اذا كان يوم القيامة نادي مناد وراء الحجب يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر وقال عليه الصلاة والسلام فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وقال عليه الصلاة والسلام ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة توفيت بعده في رمضان سنة احدى عشرة وبينهما ستة أشهر عن تسع وعشرين سنة أو أقل وقد أسر اليها النبي انها أول أهله لحوقا به فسرت بذلك ودفنها علي ليلا بوصية منها واختلف في محل دفنها والاشهر انها في قبة ولدها الحسن قرب محاربها وكان القطب أبو العباس المرسي يجزم به قيل فلعله كوشف به وروى أحمد في المناقب انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت أنا مقبوضة الآن فلا يغسلني أحد ولا يكفنني فماتت فامتثل علي وصيتها وورد

أيضا انها امرت فاطمة بنت عميس بغسلها وهذا مقدم لان الاصل عدم الخصوصية وقوله وبنيها جمع ابن أى أولادها الحسن والحسين ومحسن وهذا مات صغيرا وام كلثوم وزينب واولادهم الى يوم القيامة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الامنهما من جهة السبطين فقط أما أم كلثوم فتزوجها عمر وولدت له ذكر وأنثى ماتا صغيرين ثم تزجها بعد عمر عون بن جعفر ثم أخوه محمد ابن جعفر ثم أخوه عبد الله ولم تعقب منهم شيأ ثم تزوج عبد الله المذكور اختها زينب فولدت له عدة منهم علي وأم كلثوم وانتشر نسلهما ولهم شرف أعلى من شرف أولاد أبيهم من غيرها وأدون من شرف أولاد الحسنين وللعباسيين شرف بالعراق ومن ثم لقب بالشريف كل عباس ببغداد وكل علوى بمصر قوله ومن حوته العباء اى اشتملت عليه الكساء وهم فاطمة وعلى وابناهما فقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل علي علي وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا منهم فقال انك علي خير وفي رواية الق عليهم كساء ووضع يده المباركة عليهم وقال اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفي الاخري ان الآية نزلت ببيت أم سلمة فارسل صلى الله عليه وسلم اليهم

المحقق أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى أفاض الله علينا من بركاته فى تأليف له فى هذه المسئلة كثيرا من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ونصوص من يقتدى بهم من الائمة وتعرض لبيان أوهام خالجت أفكار قوم خاضوا فى مبادى العلم ولم يتقنوها وظنوا بمجرد ذلك انهم على شيء فجعلوها شبها يتمسك بها فضلوا وأضلوا وتحكموا فى دين الله وبدلوا وغيروا شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفضى بهم الامر الى الازدراء بكثير من الائمة الاعلام وبغض الجم الغفير ممن دخل من غير العرب فى ملة الاسلام فنعوذ بالله من حسد يسد باب الانصاف ويصد عن جميل الاوصاف (فمنهم) أى فبعض أهل الفضل أو الناس (ذو الحاجة) أى الواحدة (ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) والحاجة صادقة بالدنيوية والاخروية (فيتشاغل بهم) أى يجعل نفسه مشغولة بذي الحاجة ومن بعده أو يشتغل بهم ويشتغلون به والاحتمال الاول أظهر لقوله بهم وان كان المتبادر هو الثانى للتفاعل قاله فى جمع الوسائل (ويشغلهم) بضم أوله من الاشغال قال فى القاموس اشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة اه وبفتح الياء والغين من الشغل اى يجعلهم مشغولين (فيما) وفى نسخة بالباء وما موصولة (يصلحهم) وفى نسخة أصلحهم (والامة) بالنصب عطف على الضمير المنصوب فى يصلحهم أى ولايدعهم يشتغلون بمالا يعنيهم (من) تعليلية لا بيانية كما قيل (مسئلتهم) قال ابن حجر أى سؤالهم اياه (عنه) أى عما يصلحهم وفى نسخة عنهم أي عن أحوالهم اه فقرره على انه مضاف للفاعل ويحتمل انه مضاف للمفعول أى سؤاله صلى الله عليه وسلم اياهم عنه ووقع فى كتاب الوفاء لابن الجوزى فيشغلهم فيما أصلحهم من مسئلته عنهم اه وهو أيضا محتمل للوجهين والله أعلم (واخبارهم) مضاف للمفعول وفاعله النبي صلى الله عليه وسلم (بالذى ينبغى لهم) أى من الاحكام اللائقة بهم وباحوالهم وزمانهم ومكانهم والمعارف التى تسعها عقولهم ومن ثم اختلفت وصاياه لاصحابه لاختلاف أحوالهم فقال لبلال انفق ولاتخش من ذى العرش اقلالا وقال لآخر امسك عليك بعض مالك فانك أن تدع ورثتك أغنياء خير لك من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وقال له رجل أوصنى فقال استحى من الله كما تستحي رجلا صالحا من قومك وقال له آخر أوصنى فقال لاتغضب ويحتمل انه مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف أى اخبارهم النبي صلى الله عليه وسلم بالذى ينبغى لهم والحاصل ان المعنى انهم كانوا يسألونه عما يصلح الامة فكان يخبرهم بالذى ينبغى لهم اوالمعنى انه صلى الله عليه وسلم كان يسألهم عن ذلك فكانوا يخبرونه بالذى ينبغى لهم والاحتمال الاول هو المناسب لقوله (ويقول) أى بعد أن يخبرهم بالذي ينبغى لهم (ليبلغ الشاهد) أي الحاضر (منكم) عندى الآن (الغائب) من بقية الامة ويناسب الثانى قوله (وأبلغونى) أي ويقول لهم أيضا أوصلوا الى (حاجة من لايستطيع ابلاغها) أى لعذر كمرض أو بعد أو غيرهما ككون صاحب الحاجة من النساء أو العبيد أو الاماء لا الحاجب اذ لم يكن له حاجب صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى واتخاذ البواب فى بعض الاحيان انما كان لاشتغاله بامرهم ابن حجر وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وشفقته على أمته واعتنائه بامورهم وهدايتهم واصلاحهم ما استطاع ومن ثم حثهم على ابلاغه ذلك بقوله (فانه) أى الشأن (من أبلغ سلطانا) المراد به هنا من كان قادرا على انفاذ مايبلغه بفتح اللام وان لم تكن له سلطنة (حاجة لم يستطع ابلاغها) دينية كانت اودنيوية (ثبت الله قدميه يوم القيامة) أى على الصراط لانه لما استعمل قدميه فيما يحصل به لصاحب الحاجة الأمن وثبات القلب جوزى بثباتهما على الصراط يوم تزول فيه الاقدام جزاء وفاقا وفى البخارى من حديث أبى موسى كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه السائل أو طلبت منه حاجة قال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء ويأتى عن على ويقول اذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه (لايذكر) أى لايحكى (عنده الا ذلك) أى المحتاج اليه دنيا وأخري دون مالاينفع فيهما كالامور المباحة التى لافائدة فيها فانها كانت لاتذكر عنده غالبا لانه وايام فى شغل شاغل عن ذلك قاله ابن حجر فقوله (ولايقبل من) كلام (أحد) شيأ (غيره) كالتأكيد لماقبله (يدخلون) عليه صلى الله عليه وسلم (روادا) جمع رائد وهو فى الاصل من يتقدم القوم لينظر لهم الكلأ ومساقط الغيث والمراد انهم يدخلون محتاجين اليه وطالبين لما عنده من العلوم والآداب والحكم لشدة رغبتهم فى دينهم وغاية حرصهم على مايصلح آخرتهم (ولايفترقون الاعن) بمعنى بعد (ذواق) هو فى الاصل الطعام والمراد به هنا العلم فانه للارواح بمنزلة الطعام للاجساد أى لايقومون من عنده الاوقد استفادوا علما جزيلا وخيرا كثيرا فالتنوين للتعظيم ويلائم تفسيره الذواق هنا بالعلم قوله (ويخرجون) أى من عنده (أدلة) جمع دليل بالدال المهملة أى هداة للناس ولذلك قال (يعنى على الخير) بمعنى انهم يخرجون من عنده بما قد علموه من العلم والحكمة فيدلون عليه الناس وفى هذا تنبيه على خصلة من خصال الصحابة رضي الله عنهم وهي قيامهم بوظيفة تعلم العلم وتعليمه وحسبك ان كل ماتراه من علم نافع وفرض وسنة وفضيلة ونافلة فهم الذين حملوا المؤنة فى حفظه وتبليغه على أتم وجه وأكمله فعلوم جميع العلماء كلها فى ميزان حسناتهم كما ان ماتراه من بلاد الاسلام وقراها وأمصارها شرقا وغربا وجوفا وقبلة انما فتح على أيديهم بقهر سيوفهم وعظيم ايمانهم وبذل أموالهم ومعرفتهم الكاملة التى حصلت لهم من النور المحمدى وكذلك كل ماحصل للمسلمين من محاب الاموال من القناطير المقنطرة انما ذلك بسببهم وعن أيديهم رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم ببركة صحبتهم للنبى صلى الله عليه وسلم وشدة محبتهم له حصلت لهم هذه المزايا العظيمة وظهر الله تعالى على أيديهم فى زمن قليل وعدد يسير ماذكرنا من الفتوحات واظهار الدين وأخماد الكفر وضبط الدين المحمدى واظهار شرائعه وأحكامه فجزاهم الله عن هذه الامة خيرا وقد أشار بعضهم الى هذه الخصال الثلاثة فى قوله

الناس م ثلاثة * فواحد ذو درقه وذو علوم دارس * كتبه وورقه
ومنفق فى واجب * ذهبه وورقه وما سواهم همج * لاودك لامرقه

وقد قال صلى الله عليه وسلم لأن يهدي الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ومن معنى مجالسته صلى الله عليه وسلم سماع حديثه ومجالسته أهل العلم والخير فان العلماء ورثة الانبياء وخلفاء الرسل فلمجالسهم قسط ونصيب من علومهم وأنوارهم فكم من واحد كان فى وادى القطيعة فصار فى حضرة الوصال بسماع آية أو حديث أو حكاية أو شعر حتى قال ابن شافع عليك بحضور مجالس التذكير والوعظ والخير ولو كانت الخمر فى بيتك ولم تقدر على ازالتها ولاتقل ماالفائدة فى حضور مجالس الحكمة ولاأقدر على ترك المعصية بل على الرامى أن يرمى ان لم يأخذ اليوم يأخذ غدا ولعل أن تلبس لباس التقوى وأنت بالمجلس وأقل ماتستفيد معرفتك باساءة نفسك أى ومن عرف نفسه لم يفته خير وقوله يعنى على الخير يرد قول من قال ان أذلة بالذال المعجمة بمعنى متواضعين متعظين أى لان العلم النافع هو الذى يزداد به صاحبه تواضعا واستصغارا لاعتوا واستكبارا وقد روى الديلمى فى مسند الفردوس عن على كرم الله وجهه مرفوعا من ازداد علما ولم يزدد فى الدنيا زهدا لم يزدد من الله الا بعدا لان هذا المعنى وان

وجللهم بكساء ثم قال نحو مامر وفى رواية انهم جاؤا واجتمعوا فنزلت فان صح فهى نزلت مرتين وفى رواية سندها حسن انه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يارب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاستر هم من النار كسترى اياى بملاءتى هذه فامنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا

(فائدة) فى كتاب الاول لابن خالويه ورواه أبو بكر الخوارزمى فى كتاب المناقب عن بلال بن حمامة رضى الله عنه قال طلع علينا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم متبسما ضاحكا ووجهه مشرق كدارة القمر فقام اليه عبد الرحمن بن عوف فقال يارسول الله ماهذا النور قال بشارة أتتنى من ربى فى أخى وابن عمى وابنتى بان الله تعالى زوج عليا من فاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبي فحملت رقاعا يعنى صكاكا بعدد محبى أهل البيت وأنشأ تحتها ملائكة من نور ودفع الى كل ملك صكا فاذا استوت القيامة باهلها نادت الملائكة فى الخلائق فلا يبقى محب لاهل البيت الا دفعت اليه صكا فيه فكاكه من النار فصار أخي وابن عمى وابنتى فكاك رقاب رجال ونساء من أمتى من النار انتهى

(وبازواجك اللواتى تشرفن بان صانهن منك بناء)

الازواج جمع زوج وهى لغة قريش وبها جاء القرآن وزوجة

بالتاء فى لغة أي وأقسم عليك بازواجك اللواتي جمع التى تشرفن اى ترفعن على غيرهن بصون بناء منك اياهن أى دخول بهن أوضد الهدم والصون الحفظ من النار أومن تزوج غيره صلى الله عليه وسلم بهن بعده قال تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يزوجه الا من ستكون معه فى الجنة ومنك حال من بناء وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك الشرف قال فى المنح المكية وينبغي تحريمه على حرمتها على غيره فان قلنا تحرم على غيره وهو الاصح حصل لها الشرف أو تحل لم يحصل لها وهن رضى الله تعالى عنهن احدى عشرة متفق عليهن ست قرشيات وأربع عربيات وواحدة اسرائيلية * أولهن خديجة بنت خويلد القرشية الاسدية من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها يوم تزوجها أربعون سنة وأشهر وله خمس وعشرين سنة عند الاكثر وهى أول من آمن من النساء أومطلقا وهو الصحيح وفى الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجة قد أتتك باناء فيه طعام أو ادام فاذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا سخب فيه ولا نصب وأولاده عليه وعليهم الصلاة

كان صحيحا فى نفسه لكنه لا يناسب قوله يعنى علي الخبير (قال) أى الحسين (فسألته) أى أبى (عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال) أى علي (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن) بضم الزاى وكسرها أى يحفظ (لسانه الا فيما يعنيه) بفتح الياء أي يرى فيه فائدة ومصلحة وقد تقدم قول هند طويل السكت لا يتكلم فى غير حاجة ويأتى عن على أيضا ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه (ويؤلفهم) عطف على يحزن أى يجمعهم عليه بحسن خلقه ومواساته وربما زجرهم صلى الله عليه وسلم ويؤلفهم فيما بينهم ويجعلهم كنفس واحدة بحيث لا يبقى بينهم تباغض قال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال سبحانه واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا (ولا ينفرهم) أى لا يفعل بهم ما يكون سببا لنفرتهم عنه لما عنده من مزيد الصفح والعفو والرفق والرقة والشفقة والحلم والتواضع قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر وقد تقدم قول هند لا تغضبه الدنيا وما كان لها لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وسيأتي عن على قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء وعن أنس لا يكاد يواجه أحدا بشيء يكرهه وعن عائشة لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وعن على ترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته وقد ورد بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا أو المعنى لا يفعل بهم ما يكون سببا فى نفرة بعضهم من بعض لامره لهم بمكارم الاخلاق (ويكرم كريم كل قوم) أي بما يناسبه من التعظيم والتكريم وقد جاء فى حديث كاد أن يكون متواترا اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه قال ابن حجر وهو أفضلهم دينا ونسبا وحسبا (ويوليه عليهم) أى يجعل كريمهم والياعليهم ترغيبا له فى الاسلام ومراعاة للاهلية فى الولايات وترهيبا من ولاية الاسافل وهذا من حسن نظره وعظيم تدبيره فان القوم أطوع لكبيرهم مع ما فيه من الكرم الموجب الرفق بهم وحسن معاملتهم (ويحذر الناس) على رواية فتح الذال وهى رواية الاكثر معناه يحترز من مكرهم ويتحفظ من أذاهم لكمال عقله وحسن تدبيره فلم يكن متغفلا بل آخذا بالحزم وأما قوله (ويحترس منهم) فمعناه أنه يتحفظ من كثرة مخالطتهم المؤدية الى سقوط هيبته وجلالته من قلوبهم ولكن لا يفرط فى ذلك ومن ثم قال (من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه) فالفعلان متغايران والبشر طلاقة الوجه وبشاشة البشرة وعلي رواية تشديد الذال من التحذير فيحتمل أن يكون المعنى يحذر الناس ويخوفهم من عذاب الله ويحثهم على طاعته أو يحذر الناس يخوف بعضهم من بعض ويأمرهم بالحزم (ويتفقد أصحابه) أى يسأل عمن غاب منهم فان كان مريضا عاده وان كان مسافرا دعا له وان كان ميتا استغفر له أخرج الطبرانى وغيره عن سهل بن حنيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم وكان صلى الله عليه وسلم يتفقد أصحابه ويسأل عنهم فمن كان مريضا عاده ومن كان غائبا دعا له ومن مات استرجع فيه وأتبعه بالدعاء ومن كان يتخوف أن يكون وجد فى نفسه شيأ قال لعل فلانا وجد علينا فى شيء أو رأى منا تقصيرا انطلقوا بنا اليه فينطلق حتى يأتيه فى منزله (ويسأله الناس) يحتمل كما قال ابن حجر أن يراد بهم العموم ويحتمل أن يراد بهم الخصوص أي يسأل خواص أصحابه وأفاضلهم (عما فى الناس) أى من المحاسن والمساوى ليعامل كلا بمقتضي حاله وما يليق بأمثاله ومن ثم قال (ويحسن الحسن) الواقع من غيره أى يظهر حسنه بمدحه أو مدح فاعله (ويقوى) أى يؤيده بدليل نقلى أو عقلى وروى

ويصوبه أي يقول فيه هو حسن صوابا ترغيبا فيه (ويقبح القبيح) الواقع من غيره أي يظهر قبحه بذمه أو ذم فاعله وان بلغ من الجاه ما بلغ قاله ابن حجر (ويوهيه) أي يسقطه عن النظر والاعتبار وفي نسخة يوهنه من الوهن بان يقول فيه هو قبيح ساقط تنفيرا عنه وتحذيرا منه قال ابن حجر سؤاله صلى الله عليه وسلم الناس عما في الناس ليس من الغيبة المنهى عنها لما يترتب عليه من المصالح العامة وفيه ارشاد الى الحكام وغيرهم ممن يكثر اتباعه من الفقهاء والصالحين انه ينبغي لهم أن يتعرفوا أحوال الناس ليعاملوا كلا بما يستحقه ولا يغفلون عن ذلك لئلا يترتب عليه ماهو معروف من الضرر العظيم كما هو مشاهد اه وفي تكميل التقييد عن ابن عرفة ما نصه كنت أفهم من بعض من لقيت ممن يقتدى به انه ينبغي لمن هو بحيثية ولاية القضاء أو الشوري فيما يعرض من الولايات الشرعية أن يسمع ما يذكر في بعض ابناء الزمان ممن يعتبر قوله وحده اومع غيره بنية ان يبنى عليه احكام التعديل والتجريح لا بنية التفكه وليس ذلك من سماع الغيبة ومنع ذلك يوجب تعطيل الاحكام اوتولية من لا تصح توليته ولولا هذا ما صح ثبوت تجريح في راو ولا شاهد ولا غيره (معتدل الامر) أي هو معتدل الامر اي الحال والشأن على ما قيل من ان الرواية بالرفع وظاهر السياق انه بالنصب عطفا على خبر كان بحذف حرف العطف اي وكان معتدل الامر وكأن وجه العدول الي الرفع ومخالفة الاسلوب الاشارة الى المغايرة لان كونه معتدل الامر وما بعده أمور لازمة له لا ينفك عنها ابدا بخلاف تلك الاخبار المتعاطفة كونه يخزن لسانه وما عطف عليه فانها تطرأ تارة دون اخرى قاله في جمع الوسائل تبعا لابن حجر وقوله (غير مختلف) اى لا افراط فيه ولا تفريط وهو كالتاكيد لما قبله اذا ما آلهما واحد والمعنى كما قال في جمع الوسائل تبعا لابن حجر ان جميع افعاله واقواله صلى الله عليه وسلم علي غاية من الاعتدال وهي مع ذلك محفوظة عن ان يصدر منه فيها امور متخالفة المحامل متناقضة الاواخر والاوائل فان ذلك انما ينشأ عن خفة العقل وسوء الاخلاق والشمائل وأما من كملت فيه المحاسن فجميع اموره منتظمة واحواله ملتئمة (لا يغفل) عن تذكيرهم وارشادهم ونصحهم وتعليمهم (مخافة ان يغفلوا) عن استفادة على اقواله وكريم احواله (او يميلوا) الى الدعة والرفاهية وفي نسخة لا يفعل بالفاء والعين المهملة مخافة ان يفعلوا و يملوا ولعل المراد انه كان يترك بعض العبادات مخافة ان تكتب عليهم فيملوا فلا يأتون بها علي الوجه المطلوب او يتركوها بالكلية وهذا من عظيم شفقته صلى الله عليه وسلم (لكل حال) من احواله واحوال غيره (عنده عتاد) بفتح العين اي تاهب واستعداد أو شيء حاضر معد لكل ما يحدث من الامور المهمة لما عنده من العلم بمعنى انه لا ينزل به امر الا وجد منه المخرج لما عنده من النور الذى يفرق به بين الحق والباطل ولكل متق حظ من ذلك قال تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا (لا يقصر) من التقصير اولا يقصر من القصور وهو العجز (عن الحق) اي لا يعطى فيه رخصة ولا تهاونا حتى يستوفيه لصاحبه اولا يعجز عنه حتى لا يتوصل اليه صاحبه (ولا يجاوزه) اى لا ياخذ اكثر منه لكمال عدله وامانته صلى الله عليه وسلم وقد كان صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لما عرفوا من امانته وعدله وعن الربيع بن خيثم كان يتحاكم الى النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وعن الحسن ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ احدا بقذف احد ولا يصدق احدا على احد وقال صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل ان لم اعدل (الذين يلونه من الناس) اى يقربون منه

والسلام كلهم منها رضى الله تعالى عنها الا ابراهيم على أبيه وعليه الصلاة والسلام فمن سيدتنا مارية القبطية وتوفيت السيدة خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين عن خمس وستين سنة ودفنت بالحجون وتقدم بعض الكلام عليها * ثم تزوج بعد موتها سودة بنت زمعة العامرية بمكة بعد أن رجعت من الحبشة مع زوجها السكران بن عمرو من بني عامر بن لؤى * ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر التيمي عقد عليها قبل سودة ودخل بها بعدها بعد الهجرة في شوال على رأس ثمانية عشر شهرا وهي بنت تسع سنين لم يتزوج بكرا غيرها وأحبها حبا شديدا ولما فقدها في بعض أسفارهم قال واعروساه أخرجه أحمد وكانت فقيهة حفيظة فصيحة وهي وخديجة أفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم الاصح أن خديجة أفضل لما صح أن عائشة قالت له قد رزقك الله تعالى خيرا منها قال لا والله ما رزقني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس وأعطتني مالها حين منعني الناس ولأنه عليه الصلاة والسلام أقرأ عائشة من من جبريل وخديجة من الله تعالى والاصح أيضا أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة وممن جرى علي ذلك الامام تقي الدين السبكي فقال الذى نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة واختار أيضا أن مريم أفضل من خديجة للاختلاف في نبوتها * ثم حفصة بنت عمر

العدوية سنة ثلاث من الهجرة * ثم أم سلمة هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة المخزومي * ثم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر ابن حرب الاموي ودخل بها سنة سبع * وتزوج زينب بنت جحش من بني اسد بن خذيمة سنة خمس زوجه الله تعالى اياها فدخل عليها بغير عقد وهي اول ازواج النبي صلى الله عليه وسلم موتا بعده صح عن عائشة رضي الله تعالى عنها لم تكن امرأة خيرا منها في الدين ولا أتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأوسع صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتقرب به الى الله تعالى وهو الريع رواه مسلم وتزوج زينب بنت خزيمة من بني هلال بن عامر بن صعصعة وكانت تسمى في الجاهلية أم المساكين لاطعامها ايام سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر * وتزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية سنة سبع وبنى بها بسرف وفيه ماتت وقبرها فيه مشهور رضي الله تعالى عنها * وتزوج جويرية بنت الحرث المصطلقية من بني المصطلق من خزاعة بعد غزوة بني المصطلق وهي بنت عشرين سنة * وتزوج صفية بنت حيي القرظية من نسل هرون بن عمران أخي موسى عليهما السلام بعد خيبر وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن عدا خديجة وزينب أم المساكين وقد نظم الحافظ أبو الحسن المقدسي أسماء من مات عنهن في قوله

في مجلسه (خياركم) وهم أهل التقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم لانهم الذين يؤتمنون ويوثق بهم علما وفهما وتبليغا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم أي في الصلاة أولوا الاحلام والنهى وكذا ينبغي أن تكون مجالس العلماء ثم فسر الخيار بقوله (أفضلهم عنده) صلى الله عليه وسلم (أعمهم نصيحة) للمسلمين أي أكثرهم نصحا أي دلالة على الخير وأعظمهم ارشادا اليه وترغيبا فيه وانما كان أكثرهم نصيحة أفضل من غيره لان النصيحة من ثمرات قوة ايمان الناصح ومثمرة لقوة ايمان المنصوح ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة قال النووي هو كقوله الحج عرفة أي معظمة (وأعظمهم عنده منزلة) أي مرتبة (أحسنهم مواساة) أي اصلا حالا حوال الناس بالمال والنفس (ومؤازرة) أي معاونة في مهمات الامور فان الوزير هو الذي يوازر الامير أي يعينه ويحمل عنه وزره وثقله بمساعدته له فيما يثقل عليه قال ابن حجر وتبعه غيره وانما قسم مدخله دون مخرجه مع انه كذلك قسم لله وهو وقت الصلاة والتعليم وقسم لنفسه وهو ما تدعوه اليه ضرورته وقسم للناس وهو السعي في حوائجهم لانهم يعلمون حاله في خروجه فلم يحتج لتقسيمه أولان أكثر زمن خروجه مصروف للنفع العام بخلاف أكثر زمن دخوله فعلى العكس وبيان الام أتم (قال) أي الحسين (فسألته) أي أبي (عن مجلسه) ذكر أحوال المخرج يدخل فيه ذكر أحوال المجلس فهذا خاص بعد عام كما قال ابن حجر (فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر) أي لامتلاء قلبه بجلال الله وتعظيمه ومحبته فكان يستهتر بذكره وتمجيده وتعظيمه وحسن الثناء عليه وبدلالة الخلق عليه وترغيبهم في طاعته وتعريفهم بقدره فلا حديث له الا عنه ولا تعريج له الا عليه * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وفي ملازمته صلى الله عليه وسلم للذكر قائما وقاعدا اشارة الى مزيته فان روح العبادات والمقصود منها انما هو اجلال الله وتعظيمه والثناء عليه بالدلالات القولية والفعلية وقد قيل في معنى قوله تعالى ولذكر الله أكبر أي أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف منه أومستوحش آنسه قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقيل افضل ما اعطاه الله لعباده في الدنيا الذكر وافضل ما اعطاهم في العقبى النظر اليه فذكر الله في الدنيا كالنظر في الآخرة فالذاكر بلسانه مع حضور قلبه مشاهده له بسره ناظر اليه بفؤاده ماثل بين يديه ببدنه فكأنه في الجنة يرتع ويكفي في مزية الذكر قوله تعالى اذكروني اذكركم حيث لم يجعل جزاء ذكره الا ذكره لمن ذكره وذكر الله للعبد أعظم من الحسنة متضاعفة وهو أحد الاحتمالين في قوله تعالى ولذكر الله أكبر وبالجملة فيكفي العبد شرفا كونه في خدمة سيده وعن ابن عمر كنا نعد للنبي صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم والاحاديث في فضل الذكر كثيرة (واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس) أي لكرم أخلاقه ومزيد تواضعه لم يكن يجلس في صدر المجلس وكان هذا في أول الامر ثم ابتنوا له دكانا بعد ذلك ليسمع البعيد ويعرفه الغريب أو مراده في غير المسجد (ويأمر بذلك) أي بالجلوس عند منتهى المجلس لما في التصدر من الترفع والتكبر المنافي للعبودية وقد روى الطبراني والبيهقي عن شيبة بن عثمان مرفوعا اذا انتهى أحدكم الى المجلس فان وسع له فليجلس والا فلينظر الى أوسع مكان يراه فليجلس فيه (يعطي كل جلسائه بنصيبه) أي نصيبه من البشر والكرامة اللائقين به فالباء زائدة في ثاني مفعول أعطى للتأكيد ويحتمل ان يكون الجار والمجرور صفة لمفعول مقدر اي شيأ بقدر نصيبه (لا يحسب جليسه ان احدا أكرم عليه منه) أي لكمال خلقه وحسن معاشرته وعظيم

بشره وتقريبه يظن كل احد انه اقرب الناس اليه وسيأتي في باب الخلق قول عمرو بن العاصي كان يقبل بوجهه وحديثه علي حتى ظننت انى خير القوم الحديث (من جالسه او فاوضه صابره) اى استمر معه ولا يبادر بالقيام ولا يقطع الكلام ولا يظهر الملل والسآمة (حتى يكون) ذلك المجالس او المفاوض (هو المنصرف عنه) وهذا من عظيم خلقه وكريم تواضعه صلي الله عليه وسلم (ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور) حسن (من القول) هذا من كمال سخائه ومروءته وحيائه روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي أعرض عن السائل منتظرا لما يأتى به الله من الرزق وكره الرد فلما نزل قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا كان يقول يرزقنا الله وإياكم من فضله او يعدهم بعطاء اذا جاءه كما وقع له مع كثيرين ولما استخلف الصديق وجاءه مال قال من كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة فليأتنا فوفاهم وكان صلى الله عليه وسلم ربما يعطي السائل ثم يرغبه فى الاستعفاف والاكتفاء بالله تعالى وفى رفع الهمة عن الخلق ففى البخارى من حديث ابى سعيد الخدرى أن ناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاهم ثم سألوه فاعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال ما يكون عندى من خير فلن ادخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى احد عطاء خيرا وأوسع من الصبر وقال بعضهم فى ذم السؤال

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا وان نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال
فاذا ابتليت بذل وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال

وفى هذا الحديث انه لا بأس بسؤال من كان من الاعيان لاسيما ان كان ذا سلطان قال بعضهم

اسأل الخبير ان سألت كريما * لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزا * وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذل بد * فالق بالذل ان لقيت الكبارا
ليس اجلالك الكبار بذل * انما الذل ان تجلى الصغارا

(قد وسع الناس بسطه) اى انبساطه وبشره وطلاقة وجهه (وخلقه) اى حسن خلقه اى مداراته الظاهرة والباطنة او المعنى عمهم ببسط يد وسماحة نفس شبه طلاقة وجهه وحسن خلقه بسعة مكان رحب ثم اشتق منه وسع فوقعت الاستعارة في المصدر أصلية وفى الفعل تبعية (فصار لهم أبا) أى لشدة شفقته عليهم وحسن تدبيره لهم بل أعظم لان غاية الاب ان يسعى في صلاح الظاهر وهو صلى الله عليه وسلم يسعي فى صلاح الظاهر والباطن ومن ثم اشفق على ذوى الكبائر من امته وأمرهم بالستر فقال ومن ابتلى بشيء من هذه القاذورات فليستتر وأتى برجل تكرر منه شرب الخمر بعد تحريمه فلعنوه فقال لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله وللعلماء رضى الله عنهم حظ ونصيب من الرحمة والشفقة والسعى في اصلاح الظاهر والباطن ومن ثم رجح كثير من العلماء حق المعلم على حق الوالد وقال الشيخ سيدى عبد الوهاب الشعرانى ينبغى لكل مسلم ان يكرم علماء زمانه ويجلهم ويوقرهم ولا يرى لنفسه قدرة على مكافأتهم ولو أعطاهم جميع ما يملك وخدمهم عمره كله وان يخاطبهم بالاطراق وغض البصر كما يخاطب الملوك ومن اخل بواجب حقوق العلماء فقد خان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر وقد مال الى ذلك من كفر من قال هذه عمية العالم بالتصغير اه وقد تقدم شيء

توفى رسول الله عن تسع نسوة اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية
وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة
ثلاث وست ذكرهن مهذب

(فائدة) قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى ما معناه ان الذي يتحصل من كلام أهل العلم فى الحكمة فى استكثاره صلى الله عليه وسلم من النساء عشرة أوجه أحدها ان يكثر من يشاهد احواله الباطنة فينزل عنه ما يرميه به المشركون من كونه ساحرا ثانيها لتتشرف به قبائل العرب والعجم لمصاهرته فيهم ثالثها الزيادة فى تألفهم رابعها الزيادة فى التكليف حيث كلف ان لا يشغله ما حبب اليه منهن عن المبالغة فى التبليغ خامسها ليكثر عشيرته من جهة نسائه فيزداد أعوانه على أعدائه سادسها نقل الاحكام الشرعية التى لا يطلع عليها الرجال لان أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه ان يخفى مثله سابعها الاطلاع علي محاسن أخلاقه الباطنة لتنقل عنه فقد تزوج أم حبيبة وأبوها فى ذلك الوقت يعاديه وتزوج صفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها فلو لم يطلعن من باطنه على انه اكمل الخلق لنفرن منه بل الذي وقع انه كان أحب اليهن من جميع اهلهن ثامنها اظهار المعجزة البالغة فى خرق العادة من كثرة الجماع مع التقلل من المأكول والمشروب وكثرة الصيام والوصال وقد أمر

من هذا فى ترجمة الكتاب (وصاروا عنده فى الحق سواء) فلا يطمع أحد ان يتميز علي أحد لكمال عدله صلى الله عليه وسلم (مجلسه مجلس علم) وفى نسخة حلم لانه كان مشغولا فى مجلسه بتزكية نفوسهم وتكميل قوامم (وحياء) ولذلك كانوا يجلسون معه علي غاية من الادب كانما علي رؤسهم الطير (وصبر) أى منه علي الجفات وسيأتى ويصبر للقريب علي الجفوة فى منطقه ومسئلته وستأتي شواهد ذلك فى باب الخلق (وأمانة) أى منهم على مايقع فيه (لاترفع فيه الاصوات) ادبا ووقارا وهيبة واجلالا وقد عاتب الله قوما فعلوا ذلك بقوله يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية وهذا فى الغالب وربما وقع لحاجة كمجادلة معاند وارهاب عدو وقد أمر العباس يوم حنين ان ينادي باعلى صوته وكان جهورى الصوت (ولاتؤبن) بضم التاء وسكون الهمزة ويجوز ابداله واوا وفتح الموحدة من الابن وهو العيب أو التهمة (فيه) أى مجلسه (الحرم) بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمة وهى مالايحل انتهاكه أى لاتنتهك فيه حرمة أحد بغيبة ونحوها وروى بضمتين فالمراد به النساء اى لايذكرن فيه بسوء لصون مجلسه عن رفث القول وقبيحه يقال أبنت الرجل اذا رميته بخلة سوء ورجل مأبون أى مقذوف بها وفى القاموس ابنه بشيء يابنه ويأبنه اتهمه فهو مأبون بخير اوشر فان أطلقت فقلت مأبون فهو بشر (ولاتنثى) بضم اوله وسكون النون وفتح المثلثة اى لاتشاع ولاتذاع بل تستر ولاتذكر (فلتاته) بفتح الفاء واللام اى زلاته ومعايبه على تقدير وقوعها والمراد كما قال ابن الاعرابى انه لم يكن فى مجلسه فلتات فتنثى فالنفى للفلتات نفسها لالنثوها فقط على حد لايسألون الناس الحافا قال ابن حجر فان قلت وقعت فلتات من اجلاف العرب كقول بعضهم له صلى الله عليه وسلم اعطنى من مال الله الذى آتاك لامن مال ابيك وجدك وقول الانصارى المخاصم للزبير فى السقى فقضى به صلى الله عليه وسلم له ان كان ابن عمتك قلنا مثل هذه من هؤلاء الاجلاف لايسمى فلتة كيف وهى دأبهم وشأنهم وانما يسمى فلتة ماوقع من كامل علي خلاف طبعه وعادته وهذه لم يحفظ وقوع شيء فى مجلسه فان حفظ كان المراد لو وقعت نادرا سترت على صاحبها اه وقد ورد اقيلوا ذوى الهيآت عثراتهم الا الحدود خرجه فى الجامع الصغير عن الامام أحمد فى مسنده والبخارى فى الادب وأبى داود عن عائشة (متعادلين) أى كانوا متعادلين أو حال كون أهل مجلسه متعادلين اي متساوين لايتكبر بعضهم علي بعض بالحسب والنسب والوجاهة الدنيوية بل لايرى أحد منهم لنفسه تميزا على جليسه وان كان اجل منه علما وأقدم منه صحبة كما قال ابن حجر ويرحم الله القائل

فلاتحقرن شخصا من الناس علله * ولى الله العالمين ولاتدرى

فذو القدر عند الله خاف عن الورى * كما أخفيت عن علمهم ليلة القدر

ويكفى فى ذلك للمؤمن قول الله تعالى ولاأقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الآية (يتفاضلون فيه بالتقوى) اى يكون التفاضل بينهم فيه عنده صلى الله عليه وسلم بالتقوى ومايتعلق بها علما وعملا فالاتقى هو الافضل وان كان غيره غنيا او وجيها فكان مجلسه صلى الله عليه وسلم منزها عن تفضيل الاغنياء على الفقراء بل كان تفضيله دائر مع الدين وقوة الايمان ولما نزل قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية جعل يفتش على فقراء اهل الصفة فى أخريات المسجد ويقول معكم امرت ان اقيم وقد تقدم قوله افضل الناس عنده اعمهم نصيحة واحسنهم مواساة ومؤازرة وفى نسخة يتعاطفون بدل يتفاضلون وهو قريب منه فى المعنى وملائم لقوله (متواضعين) اي كانوا متواضعين او حال كونهم

متواضعين

من لايقدر على مؤنة النكاح بالصوم لانه يكسر شهوة الجماع فانخرقت هذه العادة فى حقه صلي الله عليه وسلم تاسعها ان العرب كانت تتمدح بكثرة النكاح لدلالته على كمال الرجولية عاشرها انه عاشرهن بالمعروف والاحسان وقام بحقوقهن وتأديبهن وهدايتهن ولم يشغله شيء مما يتعلق بهن عن عبادة ربه وذلك خلاف المألوف

(الامان الامان ان فؤادى من ذنوب اتيتهن هواء)

الامان الثاني تاكيدا ى من عقاب ماقترفته من الذنوب وقطيعة ماجمعته من العيوب والمعنى اقسم عليك بمن ذكرت من آلك وصحبك ان تعطينى الامان فلا اخاف من العذاب يوم يهلك العصاة بذنوبهم بان توجب لى شفاعتك فضلا منك وقوله ان فؤادى بالفتح تعليل وبالكسر استئناف بياني اى ان فؤادى من الذنوب التى فعلتها هواء فارغ خال خوفا من عقابها وخجلا ودهشا من هيبة من خالفت أمره حتى أتيتها وهو الله تعالى العظيم الرقيب فلا انتفع به فى مهم أمر دينى ودنيوى مما لحقه من الخوف وأقلقه وفى نسخة هباء اى شيء لاينتفع به

(قد تمسكت من ودادك بالحبـ * ـل الذى استمسكت به الشفعاء)

اى توثقت واعتصمت من محبتى لهو كون المحبة تستلزم الاتباع انما هو اغلبى كما يدل عليه حديث يارسول الله المرء يحب القوم ولا

متواضعين (يوقرون الكبير) عمرا أو قدرا (ويرحمون الصغير) كذا روى المصنف في جامعه عن أنس ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا (ويؤثرون) على انفسهم في مجلسه صلى الله عليه وسلم (ذا الحاجة) في تقربه من النبي وتحدثه معه وغير ذلك (ويحفظون الغريب) فيحتمل من الرجال اى يحفظون حقه ويرعون وده واكرامه ويدفعون عنه كربة الغربة ويحتمل الغريب من المسائل اى يعتنون بحفظه وضبطه واتقانه *(تنبيه)* لا يلزم من اتعاظهم في مجلسه صلى الله عليه وسلم وحصول هذه الاحوال السنية لهم والكمالات المرضية والاخلاق الزكية دوام ذلك لهم بحاله بعده مفارقته صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال ابو هريرة رضي الله عنه كما عند احمد وغيره قلنا يارسول الله مالنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من أهل الآخرة فاذا خرجنا من عندك وعافسنا أهلنا وشممنا أولادنا أنكرنا قلوبنا فقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم اذا خرجتم من عندى كنتم على حالكم لزارتكم الملائكة في بيوتكم الحديث وسيأتي نحو هذا عن حنظلة في باب الوفاة عند قول أنس ومانفضنا ايدينا من التراب حتى أنكرنا قلوبنا * قال المصنف (حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع) على وزن سريع (نا بشر بن المفضل نا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اهدى الى كراع) هو مادون الركبة اومادون الكعب (لقبلت) اى تواضعا وتعظيما لنعمة الله لانه كان يعظم النعمة وان قلت وتخلقا باخلاق الله تعالى قال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فمن الخلق الجميل قبول القليل والجزاء بالجزيل ولان الهدية على قدر المهدى لا على قدر المهدى اليه قال في حياة الحيوان في ترجمة الهدهد حكى القزويني ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام اريد ان تكون في ضيافتي قال انا وحدي قال لا انت وعسكرك في جزيرة كذا في يوم كذا فحضر سليمان بجنوده وطار الهدهد فاصطاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال كلوا يابني الله من فاته اللحم فليدرك المرق اه فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا وفي ذلك قيل

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة * اهدت له من جراد كان في فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا ومافيها

(ولو دعيت عليه) اى اليه كما في نسخة (لاجبت) اى الداعى ولم أتكبر على الداعى ولو كان حقيرا ولا على المدعو اليه ولو كان صغيرا لان المقصود بالاجابة جبر قلب الداعى والتودد اليه لا الطعام وبهذا اللفظ رواه احمد وابن حبان عن أنس أيضا كما في الجامع الصغير والذى في شرح السنة عن أنس لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدى الى ذراع لقبلت وكذا رواه البخارى عن ابى هريرة قال العسقلانى زعم بعض الشراح ان المراد بالكراع المكان المعروف بكراع الغميم وهو موضع بين مكة والمدينة وانه اطلق ذلك على سبيل المبالغة في الاجابة ولو بعد المكان لكن الاجابة مع حقارة الشيء اوضح في المراد ولهذا ذهب الجمهور الى ان المراد بالكراع هنا كراع الشاة قال وحديث أنس المذكور في الشمائل يؤيده اه والتأييد ظاهر وان اختلفت الرواية عن أنس لان ضمير اليه اوعليه راجع الى ماذكر من كراع الشاة فيكون نصا في المقصود انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن نا سفيان عن محمد بن المنكدر) تابعي جليل القدر في العلم والعمل مستجاب الدعوة (عن جابر بن عبد الله قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس براكب بغل ولا برذون) اى ولا بالك ولا عندك كعادة

يعمل بعملهم فقال المرء مع من أحب أو ان المستلزم لذلك هو كالهما أو ان ذلك من الناظم من هضم النفس بتقدير مالم يقع واقعا كما هو شأن الخوف المراعى مطلقا أو في بعض الاحوال والحبل السبب الاقوى وهو العهد الوارد عنه صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من أحب وان لم يعمل بعملهم والشفعاء جمع شفيع أى من لهم ان يشفعوا وهم الانبياء والاولياء والعلماء والصالحون فلم تحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك واذا أورثتهم محبتهم لك قبول شفاعتهم أورثتنى وقوع شفاعتك في بجامع أني احبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة في الطريق واعلم ان المتكلمين في المحبة اختلفت عباراتهم فيها وكثرت وليس ذلك اختلافا في حقيقتها اذ هى من المعلومات التي لاتحد كما اطبق عليه المحققون وانما يعرفها من قامت به وجدانا لايمكن التعبير عنه ولذا قيل لاتحد بحد اوضح منها فالحدود لاتزيدها الاخفاء وأصلها الميل القلبي وانما الكلام في اسبابها وموجباتها وعلامتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها وفي الرسالة القشيرية المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر عن محبته للعبد ومحبة العبد له بقوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وفي الحديث لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده وماله

والناس أجمعين وعن عمر رضى الله عنه انه قال يارسول الله أنت أحب الى من كل شيء الا نفسى التى بين جنبى فقال صلى الله عليه وسلم لايؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من نفسه فقال عمر والذى أنزل عليك الكتاب لأنت أحب الى من نفسى التى بين جنبى فقال صلى الله عليه وسلم الان ياعمر تم ايمانك استثنى عمر أولا نفسه لأن حب الانسان لنفسه طبيعى ولغيره اختيارى بواسطة الاسباب وهذا هو المراد من عمر فأجاب أولا بالطبع ثم تأمل فعرف بالدليل انه صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه نظرا لكونه الذى أنقذه من هلاك الدنيا والآخرة فأجاب بما اقتضاه الاختبار وليست المحبة هى التعظيم اذ قد يعظم المرء من لايحب وتعظيم النبى صلى الله عليه وسلم واجب كوجوب محبته قال الله تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال القرطبى وكل من آمن به ايمانا صحيحا لايخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة لكنهم يتفاوتون تفاوتا ظاهرا وكثير من العامة يؤثر رؤيته على أهله وماله وولده وكذا زيارته بل زيارة آثاره لما وقر فى قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالى الغفلات والشهوات عليهم

(وأبى الله ان يمسى السو
ء بحال ولى اليك التجاء)

الملوك والمراد انه جاء يعوده ماشيا تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وأمتها النفسه فى طاعة الله تعالى ففى البخارى بهذا الاسناد مرضت مرضا فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى وأبو بكر وهما ماشيان فوجدانى أغمى على فتوضأ النبى صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه على قال فأفقت الحديث فقوله بغل ولا برذون أى ولا غيرهما خلافا لمن أخذ بمفهومه والبرذون هو الفرس الاعجمى وهو أصبر من العربى والعربى أسرع منه وسمى بذلك لثقله وأصل البرذنة بالذال المعجمة الثقل * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا أبو نعيم نا يحيى بن أبى الهيثم العطار قال سمعت يوسف بن عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام لاغير كما نص عليه الأئمة وفى شرح الشفاء للتلمسانى عن بعضهم انه يجوز فيه التشديد وعبد الله بن سلام هذا صحابى جليل اسرائيلى مدنى من علمائهم وأهل الشرف منهم شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة ففى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحى يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام أسلم هو وجميع أهله بنفس دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة وقضية اسلامه ومناقبه مذكورة فى الصحيحين وغيرهما (قال) يوسف (سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوسف وأقعدنى فى حجره) فى المغرب هو بفتح الحاء وكسرها الحضن وهو مادون الابط الى الكشح وفى ابن حجر ان الحجر بالكسر مابين يديك من بدنك وبالفتح فرج الرجل والمرأة وفى النهاية الحجر بالفتح المنع من التصرف واليتيمة فى حجره ولها يجوز أن يكون من حجر الثوب وهو طرفه المقدم لان الانسان يربى ولده فى حجره والحجر بالفتح والكسر الثوب اه (ومسح على رأسى) زاد فى رواية الطبرانى ودعا لى بالبركة فهو من صغار الصحابة وقد تقدمت روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر باب الادام قال الواقدى كنيته أبو يعقوب قال ابن حجر وفى الحديث انه يندب لمن يقتدى ويتبرك به تسمية ولد أصحابه وتحسين الاسم وان أسماء الانبياء من الاسماء الحسنة ووضعه فى الحجر ومسح رأسه وفى ذلك كمال خلقه صلى الله عليه وسلم وعظيم رحمته وتواضعه وملاطفته * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا أبو داود نا الربيع هو ابن صبيح نا يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم حج على رحل رث وقطيفة كنا نرى ثمنها أربعة دراهم) تقدم الجزم بانها لاتساوى أربعة دراهم والقضية متحدة لانه لم يحج الا مرة واحدة فاثبات المساواة على التنزل والمسامحة ونفيها على المضايقة والمماكثة (فلما استوت راحلته) قال التورپشتى أى رفعته مستويا على ظهرها وقال الطيبى أى استوت راحلته ملتبسة به فقوله به حال والراحلة من الابل البعير القوى على الاسفار والاحمال الذكر والانثى فيه سواء (قال لبيك) أى اقامة على اجابتك بعد اقامة (بحجة لاسمعة فيها ولا رياء) بل خالصة لوجه الله تعالى فى الرواية المتقدمة انه دعا بذلك فقال اللهم اجعله حجا لارياء فيه ولاسمعة وتقدم ان ذلك من باب التواضع واظهار الفاقة والفقر بين يدى الله تعالى وللتشريع والتعليم وكذا قوله صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى عن أبى موسى اللهم اغفر لى خطاياى وعمدى وجهلى وهزلى وكل ذلك عندى * قال المصنف (حدثنا اسحق ابن منصور نا عبد الرزاق نا معمر عن ثابت البنانى وعاصم الاحول عن أنس بن مالك ان رجلا خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرب له ثريدا عليه دباء قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ الدباء وكان يحب الدباء قال ثابت فسمعت أنسا يقول فما صنع لى طعام أقدر على ان يصنع لى فيه دباء الاصنع) تقدم أثناء أحاديث باب الادام مايتعلق بمعنى هذا

الحديث وان لم يكن بلفظه وذكره المصنف هنا لان فيه دلالة على مزيد تواضعه صلى الله عليه وسلم *قال المصنف (حدثنا محمد بن اسمعيل) أى البخارى (نا عبد الله بن صالح نى معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت قيل لعائشة ماذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل فى بيته قالت كان بشرا من البشر) أى فيعمل فى بيته مايعمله عامة البشر تواضعا وارشادا للتواضع ولا يترفع عن الافعال العادية تكبرا كعادة الملوك ومن ثم قالت (يفلى ثوبه) أى يلتقط القمل منه وان كان محفوظا من اذايته له صلى الله عليه وسلم كما انه محفوظ من توليده من ذاته الشريفة لطهارته وطهارة سائر فضلاته صلى الله عليه وسلم (ويحلب شاته) بضم اللام ويجوز كسرها (ويخدم) بضم الدال وتكسر (نفسه) من عطف العام على الخاص وذلك كصب الماء فى الوضوء والغسل على الاعضاء وجاء فى رواية عنها أيضا كان يخيط ثوبه ويخصف نعله وفى رواية أحمد ويرقع دلوه وفى البخارى عن الاسود قال سألت عائشة ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصنع فى أهله قالت كان فى مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة قام الى الصلاة ففى ذلك انه ينبغى للرجل ان يكون فى بيته متواضعا فلا يتربب على أهله ويكون عندهم كالامير عليهم وفى مختصر السيرة للمحب الطبري انه صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فأمر أصحابه باصلاح شاة فقال رجل على ذبحها وقال آخر على سلخها وقال آخر على طبخها فقال صلى الله عليه وسلم على جمع الحطب فقالوا يارسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفونى ولكن اكره ان أتميز عليكم وان الله يكره من عبده ان يراه متميزا عن اصحابه وروى ابن عساكر هذه القصة وروى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم كان فى الطواف فانقطع شسع نعله فقال بعض أصحابه ناولنى أصلحه فقال هذه أثرة ولا أحب الاثرة وفى الشفاء انه صلى الله عليه وسلم قدم وفد النجاشى فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكافئين وأنا أحب ان أكرمهم اه ثم من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم وان كان بشرا من الابشار لكنه كالياقوت بين الاحجار وقد أبان هذ المعنى وكشف عنه غطاؤه من قال فى صفته صلى الله عليه وسلم هو بشر ليس كالابشار كما ان الياقوت حجر ليس كالاحجار وأشار الى ذلك بعضهم بقوله

محمد بشر لا كالبشر * بل هو كالياقوت بين الحجر

يشير الى انه صلى الله عليه وسلم كان بشرى الظاهر ملكوتي الباطن فمعاني الانبياء وأخلاقهم وصفات بواطنهم من عصمة وعلوم ومعارف وشهود وغير ذلك كمعاني الملائكة بل اكمل على ماهو الصحيح من انهم أفضل من الملائكة على جميعهم الصلاة والسلام وقد قالوا انه صلى الله عليه وسلم كان لا يأتى شيأ من أحوال البشرية الا تأنيسا لامته وتشريعا لها لانه محتاج الى شيء من ذلك وقد لوح لهذا المعنى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله والله يارسول الله ما اكلت ولا شربت ولا نكحت الا لنا والحاصل انه صلى الله عليه وسلم داخل فى جنس البشر وخارج عنه باعتبارين مختلفين داخل باعتبار ذاته الكريمة وصفاته الظاهرة وخارج باعتبار باطنه المقدس ومعانيه العلية ويرحم الله البوصيرى حيث قال

فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

باب

ماجاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخلق بالضم وبضمتين السجية والطبيعة فهو عبارة عن أوصاف الصورة الباطنة والسجايا النفسية التى طبع الانسان عليها كما ان الخلق بالفتح عبارة عن اوصاف الصورة الظاهرة وكل

اى امتنع الله الكريم أي لم يرد ان يمسنى بفتح ياء المتكلم وهو مفعول مقدم والنون نون الوقاية والسوء بالضم فاعل يمس وهو العذاب وبحال اى فى حال من الاحوال كما عود خلقه بمنه وكرمه انه لايخيب من استجار بنبيه من عذابه فيجيره أو توسل به فى نيل ثوابه فيعطيه وقد قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضي وقد قيل ألم يرضك الرحمن في سورة الضحى وحاشاك ان ترضى وفينا معذب وفي التفسير اذا ألا أرضى وواحد من أمتى فى النار وسيقول له فى ذلك الجمع الاكبر على رؤس الاشهاد وهو ساجد يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع قوله ولى اليك التجاء أي لواذ وتعلق بحبل محبتك وخدمة جنابك قال فى القاموس لجأ اليه كمنع وفرح لاذ كالتجاء وأمره الى الله أسنده وفلانا عظمه أى وأنت لايخيب من تعلق بك ولا يرجع محروما من التجأ اليك وتعزز بك قال فى البردة

ان لم يكن في معادى آخذا بيدى فضلا والا فقل يازلة القدم
حاشاه ان يحرم الراجى مكارمه أو يرجع الجار منه غير محترم

(قد رجوناك للامور التى أبـ ـردها في فؤادنا رمضاء)

أى أملك معشر محبتك وخدامك للامور التى أبردها أى أيسرها وافعل من البرودة ضد الحرارة في فؤادنا أى قلوبنا وأفراد الفؤاد

من أوصاف الظاهر وأوصاف الباطن يكون حسنا ويكون قبيحا والمراد من الترجمة بيان ماجاء من الاخبار فى أوصافه الباطنة صلى الله عليه وسلم وهى كثيرة منها التواضع وقد تقدمت ترجمته ومنها الحياء وستأتى ترجمته ومنها حسن المعاشرة والصفح والعفو والاحتمال والسخاء وهى المذكورة فى هذه الترجمة ومنها الصبر والشكر والعدل والزهد والشجاعة والصمت والوقار والتؤدة والمحبة والامانة والعبادة والخوف والشفقة وغير ذلك وقد سبق الكلام عليها فى مواضع متفرقة وبالجملة فكما حاز ظاهره صلى الله عليه وسلم الجمال كله علي أتم ماينبغى وأكمل مايكون فقد حاز باطنه صلى الله عليه وسلم الكمال كله علي أتم ماينبغى وأكمل مايكون فهو أجمل من كل جميل وأكمل من كل كامل وقد تقدم ان المحاسن الظاهرة أعلام علي الاخلاق الباطنة ولاجل ذلك لما اختص صلى الله عليه وسلم من جمال الصورة الظاهرة بما لم يشاركه فيه مخلوق كان ذلك آية باهرة وحجة ظاهرة علي اتصاف نفسه من الاخلاق الحميدة بما لم يشاركه فيه مخلوق

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

واعلم ان أصول هذه الاخلاق العظيمة جبلية جبل عليها صلى الله عليه وسلم في أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهى وخصوصية ربانية وهكذا سائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما قال فى الشفاء واما كمالها وتمامها فهو مكتسب من القرآن فهى جبلية مكتسبة من القرآن باعتبارين فقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن تعنى التأدب بآدابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لاوامره وزواجره كقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقوله واصبر وما صبرك الا بالله وقوله واصبر علي ما أصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم وقوله ادفع بالتى هى أحسن الآية وقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقوله اجتنبوا كثيرا من الظن الآية وغير ذلك من التأديبات التى لاتنحصر * قال العارف السهروردى وفى قول عائشة رضى الله عنه كان خلقه القرآن رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الآلهية أن تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن هذا بان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال لوفور عقلها وكمال أدبها اه وقد تقرر عند العارفين ان أسماءه تعالى كلها صالحة للتخلق الا اسم الجلالة فانه للتعلق لا للتخلق قال في جمع الوسائل وفيه ايماء الى أن أوصاف خلقه العظيم لاتتناهى كما ان معانى القرآن كذلك وهذا غاية فى الاتساع ونهاية فى الابتداع ومن ثم وسعت أخلاقه أخلاق أفراد أصناف بنى آدم بل أنواع أجناس مخلوقات العالم ولذا أرسله الله الى العرب والعجم والانس والجن وسائر الامم بل والي الملائكة والنباتات والجمادات كما بينته فى شرح الصلوات علي ما يدل عليه قوله في صحيح مسلم بعثت الي الخلق كافة اه أى لجعله الله تعالى القدوة العظمى لجميع الخلق فى كل علم وحكم وحكمة وخلق حسن وكل كمال علي الاطلاق * قال الشيخ أبو الحسن الحراني رضى الله عنه لما كان عرفان قلبه عليه الصلاة والسلام لربه عز وجل كما قال عليه الصلاة والسلام ربي عرفت كل شيء كانت أخلاقه أعظم خلق فلذلك بعثه الله الى الناس كلهم فكل من كان الله ربه فمحمد صلى الله عليه وسلم رسوله وكما ان الربوبية تعم

لضرورة الوزن وكان حقه أن يقول فى أفئدتنا وقوله رمضاء تتقد من خوف المؤاخذة بما قدمنا واصل الرمضاء الرمل الحار من الشمس وفى القاموس الرمض محركة شدة وقع الشمس على الرمل وغيره رمض يومنا كفرح اشتد حره وقدمه احترقت من الرمضاء للارض الشديدة الحرارة وفى كلامه مجاز وحقيقته رجوناك للامور التى أسهلها الذى من شأنه أن يبرد القلب من جهته أوقد فيه نار ارمضاء فما بالك باصعبها والكل أنت الرجاء فى الشفاعة فيه

(وأتينا اليك أنضاء فقر
حملتنا الى الغنى انضاء)

أى جئناك وتوجهنا بقلوبنا مستجيرين بك من كل مكروه وراجين بك كل محبوب وانضاء فقر جمع نضو بكسر النون وهو المهزول من الابل وغيرها والفقر قلة المال والمراد هنا مهازيل من قلة العمل الصالح والتقوى حتى ضعفنا عن حمل ذنوبنا والغنى بالقصر ضد الفقر أى حملتنا الى الغنى ركائب مهازيل بطول السير وشدة الاسراع الى حضرتك العلية التى ينال فيها الغنى الاكبر الدنيوي والأخروى

(وانطوت فى الصدور حاجات نفس
مالها عن ندى يديك انطواء)

أى استترت فى القلوب حاجات نفس جمع حاجة أى أوطار نفس مأمول تحصيلها في حضرتك المكرمة منها طلب الامداد من

جميع العالمين فالخلق المحمدى يشمل جميع العالمين اه ومن هذا يستفاد عجز جميع الخلق عن شرح خلقه صلى الله عليه وسلم ويتضح معنى قوله لا يعرف فى حقيقة غير ربي قال الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصرى فى شعب الايمان من ذا الذى يصف خلقه من المخلوقين وقد أثنى عليه رب العالمين فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فلا أعظم مما عظم الله عز وجل (حدثنا قتيبة بن سعيدنا جعفر بن سليمان الضبعى عن ثابت عن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين) كذا فى أكثر الروايات وفي رواية مسلم تسع سنين وكأنه ألغى الكسر لان خدمة انس له كانت فى اثناء السنة الاولى (فما قال لى أف) اسم فعل للتضجر والتأوه وأصل الاف وسخ الظفر والاذن ويقال لكل ما يتضجر ويستثقل أف له ويستوى فيه الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى فلا تقل لهما أف وذكر القاضى وغيره فيها عشر لغات فتح الفاء وضمها وكسرها بلا تنوين وبالتنوين فهذه ست وبضم الهمزة واسكان الفاء وبكسر الهمزة وفتح الفاء وأفى وأفه بضم همزتهما وذكر الكرمانى فيها تسعا وثلاثين لغة وزاد ابن عطية واحدة فاكملها أربعين (قط) قال ابن حجر بضم الطاء المشددة مع فتح أوله وضمه وبفتح فسكون أو كسر مع التشديد وعدمه وهى لتوكيد نفى الماضى اه (وما قال لى لشىء صنعته لم صنعته ولا لشىء تركته لم تركته) قال المناوى زاد فى رواية ولكن يقول قدر الله وما شاء فعل وما قدر الله كان ولو قضى لكان وماذاك الا لكمال معرفته بأنه لا فاعل ولا معطى ولا مانع الا الله وان الخلق آلات ووسايط فلا معنى للغضب عليهم حينئذ وقال بعضهم سبب ذلك انه كان يشهد تصريف محبوبه فيه وتصريف المحبوب فى المحب لا يعلل بل يسلم اذ كل ما يفعله المحبوب محبوب اه فعدم مؤاخذته صلى الله عليه وسلم لانس فى هذه المدة المديدة من كمال خلقه وتفويض امره وملاحظة تقديره به لا من كمال أدب أنس رضي الله عنه كما قيل لان المقام يقتضى مدحه عليه السلام لا مدح أنس نفسه بهذا الكلام وقد أورد ابن الجوزى فى كتاب الوفاء عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما سبنى سبة قط ولا ضربنى ضربة قط ولا عبس في وجهى ولا أمرنى بأمر قط فتوانيت فعاتبنى عليه فان عاتبنى أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شيء كان اه فهذا صريح فى انه كان يقع منه ما يعاتب عليه ولكن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يؤاخذه فى ذلك وهذا كله بالنسبة لما يتعلق بآداب خدمته عليه السلام وحقوق ملازمته لا فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية من حقوق الله تعالى أو حقوق عباده فانه انما كان يجرى فيها على الصواب اذ لا يسعه صلى الله عليه وسلم السكوت عليها لانها من قبيل الامر بالمعروف وفى ذلك فضيلة تامة لانس حيث لم ينتهك من محارم الله شيأ ولم يرتكب فى تلك السنين فى خدمته ما يوجب المؤاخذة شرعا وذلك كله ببركة خدمة النبى صلى الله عليه وسلم وصحبته فان من تحقق بحاله لم يخل حاضروه منها والمرء على دين خليله فالمصحوب اذا كانت له بركة وجرى على السداد والتوفيق يكون من صحبه كذلك ببركته فالصاحب بالنسبة للمصحوب كالفتيلة اذا قربت من السراج اشتعلت منه بالمجاورة * قال شيخ شيوخنا سيدي عبد القادر الفاسى رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته ومن هذا الحديث أخذ الصوفية التربية بالهمة لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يؤدب أنسا بمجرد الهمة قال وهذا هو الذي بقى اليوم وأما التربية بالاصطلاح فنقل الشيخ زروق رضي الله تعالى عنه انها انقرضت منذ أعصار ولم يبق الا الافادة بالهمة والحال قال فى الاصابة جاءت به أمه أم سليم حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين وقالت له يا رسول الله

فضلك والتوسل والتشفع بك الى الله تعالى لانه لا وسيلة أقرب اليه منك وأعظمها طلب رضاه ثم رضاك وقوله مالها عن ندى يديك أى ليس لها عن كرم يديك الكريمتين اخفاء واستغناء اذ لا تقضى الا على يديك ولا يمن بها غيرك بعد الله تعالى

(فأغثنا يا من هو الغوث والغيـ ـث اذا الجهد الوري اللاواء)

اى اسعفنا بمرادنا منك يا من هو الغوث أى المغيث للمكروبين المنقذ لهم من الشدائد والغيث أى المطر للقاحطين المزيل لجوعهم اذا ضيق على الخلق الجدب حتى أشرفوا على الهلاك وفى القاموس جهد دابته بلغ جهدها كاجهدها واللاواء الشدة

(والجواد الذى به تفرج الغمـ ـمة عنا وتكشف الحوباء)

الجواد بفتح الجيم السخى الذى لا أكرم منه الذى به تكشف الكربة عنا والحوباء بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة بينهما واو أى الاثم وعقابه وفى القاموس الحوباء النفس والحوبة الهم والحاجة وفى نسخة تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء والغمة والغماء والكربة بمعنى

(يا رحيما بالمؤمنين اذا ما ذهلت عن أبنائها الرحماء)

يا حرف ندا استعطاف واستغاثة ورحيما فعيلا من الرحمة وهى رقة القلب وغايتها التفضل والانعام أو ارادتهما والمؤمنون جمع مؤمن وهو المصدق بوجود الله تعالى ووحدانيته وكماله وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم وماجاء به قال تعالى في حقه بالمؤمنين رؤف رحيم وقال وكان بالمؤمنين رحيما واستحضر حديث أبي هريرة لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد ان اختبئ دعوتي شفاعتي لامتي في الآخرة وفي رواية أنس فجعلت دعوتي شفاعة لامتي وراجع حديث الشفاعة الطويل في البخاري وغيره وفي المنح المكية والايمان التصديق الاجمالي في الاجمالي والتفصيلي في التفصيلي بجميع ماعلم من دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عندنا اذ لانكفر منكر غير الضروري وهو مايستوي في معرفته الخاص والعام أو بالاجماع وان لم يكن ضروريا لكن انكار المجمع عليه غير الضروري كفر عند غيرنا أي الشافعية وجماعة منا ولايكفي التصديق وحده بل لابد من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا في النار كما نقله النووي عن أهل السنة لكن أشار الغزالي الى مااختاره جمع محققون انه من اهل الجنة وترك التلفظ معصية فقط لان قلبه مملوء بالتصديق فكيف يخلد والكلام فيمن يمتنع منه جحودا وانكارا والا لكان كافرا اجماعا وأشار في المراصد الى تفصيل المسئلة فقال

وان يكن ذا النطق منه ما اتفق
فان يكن عجزا يكن كمن نطق
وان يكن ذلك عن اباء
فحكمه الكفر بلا امتراء

هذا ابني غلام كيس يخدمك فقبله وكناه اباحمزة ومازحه فقال له ياذا الاذنين وخرج معه الى بدر وشهد بدارا ولم يعد من البدريين لانه لم يكن في سن من يقاتل وفي البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طلحة التمس غلاما من غلمانكم يخدمني حتى أخرج الى خيبر فخرج أبو طلحة مردفني وأنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول صلى الله عليه وسلم اذا نزل وفي الصحيحين عن أنس قال قالت أمي يارسول الله خادمك ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته الحديث فلم يمت حتى رأى من ولده وولد ولده نحو المائة والعشرين وحج ومعه نحو السبعين وكان له بستان بالبصرة يطعم في السنة مرتين وتشم من رياحينه روائح المسك وكانت عنده شعرات من شعرات النبي صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة قال لثابت البناني ضمها تحت لساني فوضعها ودفن وهي تحت لسانه وعن أبي هريرة قال مارأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم يعني أنسا وتوفي في قصره بالطف علي فرسخين من البصرة سنة احدي وتسعين أو ثلاث وتسعين عن مائة سنة الا سنة أو عن مائة وسبع سنين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة الا أبا الطفيل وهو أحد المكثرين من الرواية وجملة ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف حديث ومائتا حديث وستة وثلاثون حديثا في الصحيحين منها ثلثمائة وثمانية عشر وهو عن أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد النجاري يكنى أباحمزة كما تقدم وفي الصحابة رجل آخر يسمي أنس بن مالك ويكنى أباأمية القشيري وقيل الكعبي وكعب أخو قشير (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا) الاشهر انه بضم الخاء واللام وعليه فهذا تعميم بعد تخصيص لئلا يتوهم ان هذا شأنه مع أنس فقط ويحتمل كما قال الكرماني أنه يفتح الخاء وعلى كل حال فلا حاجة الى ادعاء زيادة من لانك اذا قلت زيد من أفضل علماء البلد لم ينف ذلك كونه أفضلهم اذ الافضل المتعدد بعضه أفضل من بعض كما قاله ابن حجر وزيادة من في الايجاب لايقول بها الجمهور اه وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال قلت يارسول الله وماحسن الخلق قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك (ولا مسست) هذا انتقال من صفات الخلق بالضم الى صفات الخلق بالفتح (خزا) هو المركب من حرير وغيره وأظهر الاقوال فيه عندنا انه مكروه لتعارض الادلة فيه وعند الشافعية مباح ان لم يزد الحرير وزنا وعند الحنفية ان كان السدى حريرا واللحمة غيره فهو مباح وعكسه حرام الا في الحرب (قط) كذا في بعض النسخ وفي بعضها بعد قوله (ولا حريرا) أي خالصا (ولا شيأ تعميم بعد تخصيص (كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت بكسر الميم وفتحها مسكا قط ولا عطرا) هو مطلق الطيب فهو تعميم بعد تخصيص (كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم) سبق الكلام علي هذا في صدر ترجمة التعطر * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد وأحمد بن عبدة هو الضبي والمعنى واحد قالا نا حماد بن زيد عن سلم) بفتح فسكون (العلوي) بفتح أوله (عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي عن حاله (انه كان عنده) عليه السلام (رجل به أثر صفرة) أي من طيب او زعفران (قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكاد يواجه) أي لايقرب من ان يقابل (أحدا بشيء أي مما ليس بمحرم (يكرهه فلما قام ذلك الرجل قال للقوم لو) تمنية أو شرطية وجوابها محذوف أي لو (قلتم له يدع هذه الصفرة) لكان ذلك حسنا قال عياض اختلف في المغير بالزعفران فاجازه مالك لحديث ابن عمر رأيتك تصنع أربعا ثم قال رأيتك تصبغ بالصفرة وجمهة من نهى حديث نهى أن يتزعفر الرجل وهو

عندنا محمول على أن يغير بدنه بزعفران لما فيه من التشبه بالنسوان اه قلت اذا كان هذا الاثر في الثوب كان القول بالجواز مشكلا لانه خلاف ما في هذا الحديث وان كان في البدن كان تأخير الامر بتركه لمفارقة المجلس مشكلا لأنه يجب على القادر المبادرة الى النهي عن المنكر وقد ثبت في مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها وفي رواية قلت أغسلهما قال بل أحرقهما فبادر صلى الله عليه وسلم بالنهي ولعل الامر بالاحراق محمول على التغليظ كما قال عياض وقدم أثناء باب اللباس ما في لبس الاحمر من الخلاف بين العلماء وان مالكا قال لا أعلمه حراما وغيره أحب الى منه اللهم الا أن يقال المراد بالجواز عند القائل انه مقابل المنع فلا ينافي ذلك أنه مكروه وحينئذ فلا يشكل تأخير الامر بتركه لمفارقة المجلس بل يكون التأخير اشارة الى أن النهي للكراهة أو خلاف الاولى كما أشار اليه ابن حجر * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبي اسحق عن أبي عبد الله الجدلي) بفتح الجيم والدال نسبة الى قبيلة جديلة (عن عائشة أنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا) أي ذا فحش في أقواله ولا في أفعاله وهو ما يخرج عن مقداره حتى يستقبح ويستهجن شرعا أو طبعا واستعماله في القول أكثر منه في الفعل والصفة ومنه السب واللعن (ولا متفحشا) أي ولا متخلقا بالفحش فنفت عنه الغريزي منه والمكتسب (ولا صخابا) الصخب بالصاد المهملة الصياح ويقال بالسين والأول أشهر والمراد بالمبالغة هنا أصل الفعل على حد ما قيل في آية ومار بك بظلام للعبيد بقرينة أن المقام للمدح ولا يكفي نفي المبالغة فيه فقط (في الاسواق) ليس بقيد بل المعنى انه لا يصخب في الأسواق التي هي محل الخصومات فيكون عدم صخبه في غير الاسواق من باب أحرى أي لانه ليس ممن ينافس في الدنيا وجمعها حتى يخاصم عليها ويرفع صوته لاجلها وقد تقدم قول هند لا تغضبه الدنيا وما كان لها وهذا لا ينافي جهره بالقراءة حال الصلاة ولا مبالغته في رفع الصوت حال الخطبة خلافا لما في جمع الوسائل حيث جعل قوله في الاسواق احترازا عن رفع صوته بالقراءة والخطبة (ولا يجزي) بفتح الياء من الجزء أي لا يكافئ ولا يجازي (بالسيئة السيئة) الباء للبدل واطلاق السيئة على الثانية للمشاكلة (ولكن يعفو) بباطنه (ويصفح) يعرض بظاهره امتثالا للامر بذلك في غير ما آية وقد تقدمت أول الباب وانما احتاجت الى هذا الاستدراك دفعا لما يتوهم انه ترك الجزاء عجزا أو مع بقاء الغضب وحسبك عفوه وصفحه عن أعدائه الذين حاربوه وبالغوا في ايذائه حتى شجوا وجنته وكسروا رباعيته فقال له أصحابه لو دعوت عليهم فقال اني لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي أو اهد قومي فانهم لا يعلمون وما من حليم قط الا وقد عرف له زلة وهفوة تخدش في كمال حلمه الا المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيده شدة الايذاء له والجهل عليه الا عفوا وصفحا وروى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن رجل من أحبار اليهود الذين أسلموا يقال له زيد بن سعنة بالنون على قول الاكثر وقيل بالتحتانية انه قال لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف له لان أخالطه فاعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا الى أجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين أو ثلاثة أتيته فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت له الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر أي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر قربه

وان يكن لغفلة فكالابا

وذا الذي حكى عياض مذهبا وقيل كالنطق وللجمهور

نسب والشيخ أبي منصور والاعمال عندنا كأكثر المحدثين من الايمان أي من كماله فالميت مؤمنا فاسقا تحت المشيئة قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (تنبيه) اعلم أن رحيما صيغة مبالغة قيل لأنه أبلغ من رحمن وأنه يستعمل في الله تعالى وفي غيره لكن في استعمال صيغة المبالغة في صفة الله تعالى اشكال ومن ثم قال بعضهم صفة الله تعالى التي على سبيل المبالغة كلها مجاز لاستحالة حقيقة المبالغة فيها لانها تثبت للشيء أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية في الكمال وأيضا فانما تكون في صفات تقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن ذلك التقي السبكي وغيره فاستشكل والله على كل شيء قدير لاستلزامه الزيادة على قادر وهو محال وأجيب عن الأول بان صيغة المبالغة اما بحسب زيادة الفعل أو تعدد المفعولات وهذا لا يوجب زيادة للفعل لأن الفعل الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل صفاته تعالى فلا اشكال ولذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرر حكمه بالنسبة الى الشرائع وفي الكشاف المبالغة في التواب أي ونحوه كوهاب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو في قبول التوبة حتى نزل صاحبها منزلة

من لم يذنب قط لسعة كرمه وأجيب عن الثانى بان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التى دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا لوصف قلت محصل مافي ابن حجر حاصل الاشكالين أن صفات الله تعالى التى على صيغة المبالغة كلها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لأن المبالغة ان تثبت للشيء أكثر مما له وانما يكون ذلك فيما يقبل الزيادة والنقص وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك فما آل الاشكالين الى شيء واحد وهو كما قاله بعض المحققين غلط نشأ من اشتباه المبالغة عند أهل البيان وهى أن تثبت للشيء الخ بالمبالغة النحوية وهى الاتيان بصيغة من صيغ المبالغة للدلالة على الكثرة ثم قال ابن حجر واعلم أن نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفى أصل الفعل ويشكل عليه وما ربك بظلام للعبيد وما كان ربك نسيا وأجيب عن الاول بان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جيء به فى مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب وبانه نفى الظلم الكثير لينتفى القليل ضرورة وبانه بمعنى ذى ظلم وبانه بمعنى فاعل فلا كثرة وبان أقل القليل لو وقع منه تعالى كان كثيراً وبانه أراد ليس بظلام تأكيداً للنفى فعبر عن ذلك بليس بظلام وبانه ورد رداً على من قال ظلام فلا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها في صفاته تعالى سواء فى الاثبات فجرى النفى على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما

لضربت بسيفي رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر أن تأمرنى بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضى اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعا مكان ماروعته فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد خبرتهما أشهدك أنى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا قال فى الاصابة ثم شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشاهده واستشهد بتبوك مقبلا غير مدبر وروى أبو داود أن اعرابيا جذبه بردائه حتى أثر فى رقبته الشريفة لخشونته وهو يقول احملنى على بعيرى هذين أى حملهما لى طعاما فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال أبيك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله ثلاث مرات لا أحملك حتى تقيدنى من جذبتك فقال لا والله لا أقيدكها ثم دعا رجلا فقال له احمل له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الآخر شعيرا وروى البخارى انه لما جبذه تلك الجبذة الشديدة التفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء ولله در القائل

عاشر الناس باخلاق الرضا * تملك الاحرار من غير ثمن
لا تقل فى الحلم ذل فلقد * ساد أهل الحلم فى كل زمن
ان للصبر عليه مسلكا * ليس يرقى فيه الا من ومن

* قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق الهمدانى نا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيأ قط الا ان يجاهد فى سبيل الله) أى فيضرب ان احتاج الى ذلك وقد وقع ذلك منه فى الجهاد حتى قتل أبى بن خلف بيده فى أحد ولم يقتل بيده أحدا غيره قيل وأشق الناس من قتل نبيا أو قتله نبي وفيه فضل الجهاد وان الاولى للامام التنزه عن اقامة الحدود والتعازير بنفسه بل يقيم لها من يستوفيها وعليه عمل الخلفاء (ولا ضرب خادما ولا امرأة) تخصيص بعد تعميم ونكتته المبالغة فى نفى الضرب لكثرة وقوع ضربهما للابتلاء بمخالطتهما ومخالفتهما غالبا ان لم يكن دائما وفيه وجواز ضرب النساء والخدم للتأديب اذ لو لم يكن مباحا لما مدح بالتنزه عنه لكن التنزه عنه حيث ما أمكن أفضل لاسيما لاهل المروأة والكمال بخلاف الولد فالاولى تأديبه والفرق ان ضربه لمصلحة تعود عليه بخلاف ضربهما فانه لحظ النفس غالبا وأبلغ مما هنا اخبار أنس بأنه لم يعاتبه قط * قال المصنف (حدثنا أحمد بن عبدة الضبى نا فضيل بن عياض) من أشياخ الشافعي مناقبه شهيرة (عن منصور عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت مارأيت) أي علمت فانه أبلغ من أبصرت (رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا) اي منتقما (من مظلمة) المعتمد انها بكسر اللام اسم لما تطلبه من الظالم وبفتحها مصدر ظلمه يظلمه وقيل هى بالوجهين مصدر فالضمير المنصوب فى قوله (ظلمها) على الأول مفعول به وعلى الثانى مفعول مطلق كما فى ابن حجر (قط) أى فى وقت من الاوقات الماضية لان ايذاءه صلى الله عليه وسلم بأمر دنيوى أو جسمى وان كان اثما عظيما كايذاء لبيد بن الاعصم الذى سحره واليهودية التى سمته والاعرابى الذى جذبه بردائه حتى أثر حاشية الرداء فى رقبته وغير ذلك لكنه حق آدمى فيسقط بعفوه بخلاف ما يرجع لتعظيمه بان يكون القصد اذايته من حيث وصفه بالنبوة فانه لا يتركه لأنه حق الله تعالى ولذا ليس للقاضى أن يعفو عن أدب من تعرض لمنصبه باذاية بخلاف من تعرض لذاته فما يرجع لتعظيمه صلى الله عليه وسلم هو من محارم الله تعالى المندرجة تحت قولها (مالم ينتهك) اى يتناول (من محارم الله شيء) جمع محرم أى مما حرمه الله على عباده ومن ذلك حق المخلوق اذا لم يعف فمحرم مصدر ميمى بمعنى المفعول

(فاذا انتهك من محارم الله تعالى شيء كان من أشدهم) لاينافى كونه أشدهم كما سبق نظيره (فى ذلك غضبا) حتى ينتقم ممن ارتكب ذلك ومن ذلك قوله لما شجه الكفار اللهم اهد قومى وقوله حين شغلوه عن الصلاة ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا فتحمل الشجة الحاصلة فى وجه جسده الشريف وما تحمل الشجة الحاصلة فى وجه دينه المنيف قال ابن حجر فان قيل ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم كفر وهو حق الله تعالى فكيف يسقط بعفوه أجيب بان الايذاء مطلقا ليس بكفر لان ايذاءه قد يصدر من مسلم جاف وهذا نوع عذر فلم يكفره وأما تجاوزه عن المنافقين فلئلا ينفر الناس عنه وقد قيل له الا تقتلهم فقال لا يتحدث الناس أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه وأما المعاهد فصلحة تألفه اقتضت عدم مؤاخذته بجريرته وأما الحربى فهو غير ملتزم للاحكام اه وأما عفوه صلى الله عليه وسلم عن قائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وان كان فيها غضاضة على الدين فقد يكون عفوه عنه كما فى الابى لانه لم يقصد الطعن عليه بالميل عن الحق بل اعتقد أنه من مصالح الدنيا التى يصح منه فيها الصواب وضده أو لانه كان استئلافا لمثله فى الاسلام كما استألفهم بماله ومال الله تعالى رغبة فى اسلامهم أو لانه تثبيت لقومه اه قال ابن حجر وفيه الحث على العفو والحلم واحتمال الاذى والانتصار لدين الله تعالى وانه يسن لكل ذى ولاية التخلق بهذا الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله تعالى * قال عياض فيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الصبر والحلم وما كان عليه من القيام بالحق والصلابة فى الدين وهذا هو الخلق الحسن المحمود لانه لو ترك القيام فى حق الله تعالى وفى حق غيره كان ذلك مهانة وضعفا ولو انتقم لنفسه لم يكن ثم صبر وكان هذا الخلق بطشا فانتفى عنه الطرفان المذمومان وبقى الوسط وخير الامور أوسطها (وما خير بين أمرين) أى فيما يرجع اليه أو يرجع الى غيره (الا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما) رواية البخارى ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه * قال عياض ان كان التخيير من الله تعالى فالاستثناء منقطع لان الله تعالى لا يخير فى اثم وكذلك من الامة وان كان من المنافقين فالاستثناء على وجهه اه قلت ويحتمل أن يكون ما لم يكن اثما ما لم يفض الى النقص والقصور لا حقيقة الذنب للعصمة وذلك كالتخيير بين فتح كنوز الارض عليه والكفاف فاختار الكفاف وان كانت السعة أسهل خوف الاشتغال عن كمال التفرغ للعبادة قال ابن حجر التخيير اما أن يخيره الله تعالى فيما فيه عقوبتان فيختار الاخف أو فى قتال الكفار وأخذ الجزية فيختار أخذها أو فى حق امته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فيختار الاقتصاد واما بان يخيره المنافقون أو الكفار قال فى جمع الوسائل بقى تخيير آخر من الله فى حق امته بين وجوب الشيء وندبه أو حرمته واباحته وتخيير من المسلمين له فى أمرين فيختار الايسر على نفسه أو عليهم اه قلت بقى تخيير من الله له بين الانتقام والعفو ومنه قول الملك ان شئت أن أطبق عليهم الاخشبين قال ابن عبد البر وفيه انه ينبغى ترك ما عسر من امور الدنيا والآخرة وترك الالحاح فى الامر اذا لم يضطر اليه والميل الى اليسر أبدا وفى معناه الامر برخص الله تعالى ورسوله ورخص العلماء ما لم يكن ذلك القول خطابينا ولم يتتبع ذلك بحيث تنحل ربقة التكليف من عنقه اه * قال المصنف (حدثنا ابن أبي عمر نا سفيان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عائشة قالت استأذن رجل) هو كما قال النووى وغيره عيينة بن حصن الفزارى وكان يقال له الاحمق المطاع وفى رواية انه مخرمة قال ابن حجر ولا يبعد انهما قضيتان (على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بئس ابن العشيرة) أى القبيلة (أو أخو القبيلة) فى رواية للبخارى بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة من غير شك وانما قال

للعبيد من ولاة الجور وهذه كلها تصح جوابا عن الثانية وزيد عاشر وهو مناسبة رؤس الآى اه انظر الاتقان للسيوطى وقوله اذا ماذهلت هى ظرف لرحيما وما زائدة وذهلت غفلت والابناء جمع ابن والرحماء جمع رحيم كالامهات وذلك يوم القيامة قال تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها الآية وتقييد رحمته بذلك الوقت ليس لانتفائها فى غيره بل لشدة اعتنائه بامته اذ يقول أكابر الرسل نفسي نفسي ويقول هو يارب أمتى أمتى صلى الله عليه وسلم وظهورها فى ذلك اليوم أظهر ويظهر الله تعالى له فيه من التعظيم والسودد والتقدم على جميع الانبياء والتخصيص بالشفاعة العظمى ما يغبطه به الاولون والآخرون ويعلم كل مخلوق أنه لا أقرب الى الله تعالى منه ولا أعز وفى رحيما والرحماء رد العجز على الصدر وبين الدمام والدماء وصاعدات وصعداء واقتفاوا قتفاء ووعرة وعراء ويتقى والاتقياء ودرعا وذرعاء والعرج والعرجاء وحب والحباء جناس الاشتقاق أو شبهه

(ياشفيعا فى المذنبين اذا أشفق من خوف ذنبه البرآء)

شفيعا من الشفاعة وهى السعى فى اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه واذا ظرف لشفيعا وأشفق دهش من عقاب عصيانه البرآء جمع برىء أى من الكبائر لان خوفه من الصغائر يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب

فيه ولايخلو منها الا المعصومون والمحفوظون والخوف يعم حتى من لم يكن له ذنب كيف والانبياء شعارهم ذلك ليوم اللهم سلم سلم

(جد لعاص وماسواى هو العاصي ولكن تنكيرى استحياء)

أى جد لمذنب تارك للطاعة ويعنى نفسه ولم يقل لى لما يأتي ولم يعين مايجود به عليه قصد العموم المسؤل بان يتكرم عليه فى ذلك اليوم بايصاله بشفاعته له الى كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب وقوله وماسواى أى وليس العاصى غيرى ماالعاصي الا أنا ولكن تنكيرى نفسى فى قوله لعاصى ولم أعرفها بقولى أنا أو فلان استحياء أى حشمة منك بمخالفة أمرك وارتكاب مانهيت عنه وحمل استحياء على التنكير مبالغة كرجل عدل فان قلت هذا عين ومصدر وكلام الناظم فيه مصدران قلت المراد التشبيه من حيث ان الخبر فى كل منهما يحتاج لتأويل لان الحمل شرطه المساواة وهى غير موجودة هنا لتباين مدلولهما واعلم ان الذى عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر على ماذكره صاحب المفتاح ويشهد له الاستعمال نحو ان الله هو الرزاق أى لا رازق سواه وكلام الكشاف يميل الى ان تعريف الخبر يكون لقصر المسند بحسب المقام وكلام الناظم بحسب مفهومه يحتملهما أى انا هو العاصى وما العاصى الا أنا وأشير بتنكير عاص الى ارادة التحقير وانحطاط

صلى الله عليه وسلم فيه هذا القول تعريفا بحاله لمن هو جاهل بها ولينزل منزلته لانه عليه السلام فى مقام التعليم فهو تحذير من مخالطته وافشاء السر اليه لانه كان متزلزل الايمان مظهر النفاق وقد ظهر مصداق ذلك فانه كما فى فتح البارى ارتد فى مدة أبى بكر وحارب ثم رجع الى الاسلام وحضر بعض الفتوح فى عصر عمر رضى الله عنه ولما جىء به الى أبى بكر أسيرا كان الصبيان يقولون فى أزقة المدينة هذا هو الذى خرج من الدين فيقول عمكم لم يدخل حتى خرج فكان ذلك القول من المصطفى صلى الله عليه وسلم علما من أعلام نبوته ومعجزة له لاخباره بغيب وقع واذا كان كذلك فايراد أن هذا من الغيبة مدفوع اذ غيبة الفاسق المعلن فضلا عن الكافر ليس بأمر ممنوع (ثم أذن له) أى فى الدخول (فألان له القول) أى بعد دخوله وفى رواية البخارى تطلق فى وجهه وانبسط اليه (فلما خرج قلت يارسول الله قلت ماقلت) أى فى عينة (ثم ألنت له القول) أي عند معاينته (فقال ياعائشة ان شر الناس) وفى نسخة ان من شر الناس (من تركه الناس أو ودعه الناس) شك من سفيان (اتقاء فحشه) فى رواية للبخارى متى عهدتنى فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره فبين صلى الله عليه وسلم انه انما ألان له القول تأليفا له واتقاء لفحشه لانه كان رئيس قومه فلو لم يكن له القول لافسد حال عشيرته وزين لهم العصيان وحثهم على عدم الايمان وقد كان المصطفى يتألفهم ببذل الاموال العظيمة فضلا عن طلاقة الوجه كل ذلك شفقة على الخلق وتكثير اللامة كيف لا وهو نبى الرحمة وأيضا فانه لم يمدحه بالقول وانما تلطف له فلا منافاة كما قال القرطبى ففيه تعليم للاخيار كيف يتخلصون من شر الاشرار وان مداراة من يتقى شره من أخلاق المؤمنين ولله در القائل

مادمت حيا فدار الناس كلهم * فانما أنت فى دار المداراة

والقائل ودارهم مادمت فى دارهم * وأرضهم مادمت فى أرضهم

ووجد بخط القلشانى شارح الرسالة

خبرت الرجال ومازجتهم * فكل يميل الى شهوته

فلله در فتى عاقل * يدير الامور على فطنته

يجازى الصديق باحسانه * ويبقى العدو الى مدته

ويلبس للدهر أثوابه * ويرقص للقرد فى دولته

والمداراة هى الرفق بالناس فى مخالطتهم وسوقهم الى الحق بلطف فهى بذل شىء من الدنيا لاجل التوصل الى حق بخلاف المداهنة فانها معاشرة الفاسق مع اظهار الرضا بما هو عليه فهى بذل الدين لصلاح الدنيا * (تنبيه) * ماتقدم فى تفسير هذا الحديث هو الاقرب قال المناوى ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم علل بقوله ان من شر الناس الخ مداراته لعموم الناس هذا وغيره وانه ليس فحاشا بل شأنه اكرام الناس واحسان العشرة وتحمل الاذاية لما يترتب على ذلك من جموع الفوائد وعموم العوائد اه أى فيكون المعنى انما ألنت له القول لاني لو قلت له فى حضوره ماقلت له فى غيبته لتركنى اتقاء فحشى فأكون من شر الناس وهذا الاحتمال جعله فى جمع الوسائل خطأ فانظره مع ان فى رواية البخارى المتقدمة متى عهدتنى فحاشا * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا) أى لا يأتى بصريح الرد فلا ينافى قول على رضي الله عنه فيما سبق من سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول أى كأن يدعو له أو يعده فكان صلى الله عليه وسلم ان وجد جاد والا وعد ولا يخلف الميعاد وانما

صرح صلى الله عليه وسلم للاشعريين بالرد تأديبا لهم على تعنتهم بسؤالهم ماليس عنده مع تحققهم ذلك ومن ثم حلف فقال والله لا أحملكم حسما لطمعهم فى تكليفه نحو استدانة مع عدم الاضطرار لذلك انظر العسقلانى واعلم ان قضاياه صلى الله عليه وسلم فى الكرم والسخاء كثيرة يأتي فى الباب بعضها وقد أعطى صفوان بن أمية غنما ملأت واديا بين جبلين فقال أري محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر وردعلى هوازن سبايا هم وكانت ستة آلاف قومت بخمسمائة ألف ألف وأعطى العباس من الذهب مالا يطيق حمله وحملت اليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها قال ابن المبارك صدرت عنه صلى الله عليه وسلم نفائس فى السخاء لم يسمع بمثلها المشهور بالكرم قط وذلك لان مصدر كرمه عن الوثوق بالله والغنى بملكه والانفاق علي الكون لوقته من خزائنه تعالى التى لا تنفد لها ومن كان هكذا فلا نهاية لجوده وقال بعض المحققين لم يكمل وصف الايثار الا فى سيد الاكوان فان كل واحد فى القيامة يقول نفسى وهو يقول أمتى أمتى فكرمه صلى الله عليه وسلم خارق للعادة فى الدنيا والآخرة وحسبك من جاد على الكون كله بالسعادة الابدية وبذل المجهود فى تحصيل النعيم المقيم وهداية سائر الخلق من انس وجان وصديق وعدو وقريب وبعيد بالمال والعلوم والاحوال والاخلاق والمقامات وبنفسه حتى قال تعالى لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ويرحم الله القائل

يا أجود الاجواد يامن له * بين النبيين المقام الاغر
الجود بيت أنت مالكه * مفتاحه فى الكف منك استقر
مجد بما أرجوه يا بغيتى * فان كل الجود منك ظهر

ويأتى فى قول ابن عباس كان أجود الناس شيء من هذا * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن زياد بن أبى زياد عن محمد بن كعب القرظى) نسبة الى قريظة مصغرا قبيلة معروفة من يهود المدينة (عن عمرو بن العاصى) الجمهور علي كتابته بالياء وحذفها لغة كما قرئ به فى السبع فى الكبير المتعال قاله ابن حجر قال فى جمع الوسائل وهو مبنى على ان العاصي اسم فاعل من المعتل اللام وليس كذلك بل هو من الاجوف علي ما حققه صاحب القاموس حيث قال والاعياص من قريش أولاد امية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على اشر) بالالف لغة قليلة والاكثر بدونها (القوم يتألفه بذلك) أى بما ذكر من الاقبال والحديث ليزداد رغبة فى الاسلام وفيه اشارة الي ان المؤمن الضعيف أحوج الى الارشاد والهداية من غيره فالشفقة عليه أكثر ولهذا يكون توجه المشايخ الى المريد المبتدئ أكثر من توجههم الى المنتهي ومن هذا القبيل قوله صلي الله عليه وسلم انى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية ان يكبه الله فى النار وقوله اني اعطى قوما أخاف ظلعهم وجزعهم وأكل قوما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب الظلع الميل والانحراف (فكان يقبل بوجهه وحديثه علي) لانه كان حديث عهد بالاسلام ومن رؤساء قومه أسلم هو وخالد بن الوليد قرب الفتح (حتى ظننت أني خير القوم) مقتضى تفريعه علي ماقبله ان يقال حتى ظننت انى شر القوم قال ابن حجر ويجاب بأنه رضى الله عنه حكى أولا شيمته صلى الله عليه وسلم باعتبار مافى باطن الامر كما عرفها فى ثاني حال وقال حتى ظننت أنى خير القوم باعتبار ماظنه لجهله بها أولا فالتفريع بالاعتبار الاول والظن بالاعتبار الثاني (فقلت يارسول الله أنا خير أو ابو بكر فقال

شانه الى حد لا يمكن أن يعرف نحو من أى شيء خلقه أى من شيء حقير مهين بينه بقوله من نطفة خلقه انظر بن حجر فقد أطال ثم ختم بذكر قاعدة يهم نفعها وهى التى نظمها السيوطى فى قوله

ثم من القواعد المشتهره
اذا أتت نكرة مكرره
تغايرا وان يعرف ثانى
توافقا كذا المعرفان
شاهده الذى روينا مسندا
لن يغلب اليسرين عسر ابدا
ونقض السبكى ذا بامثله
وقال ذى قاعدة مستشكله

(وتداركه بالعناية مادا
م له بالذمام منك ذماء)

أي تلافه بالاهتمام منك بحاله بان تمده بسوابغ كرمك وتفرغ عليه سجال حلمك حتى تحسن حالته فيما بقى من عمره ويسامح ويرضي عنه فى آخرته ما استمر له بالذمام بالذال المعجمة اى بحقك وحرمتك وهو متعلق بذماء بعده قال في القاموس الذمام الحق والحرمة والذمة بالكسر العهد والكفالة ومنك متعلق بالعناية وذماء بفتح الذال المعجمة اى تعلق وأصله بقية الروح في المذبوح وتعلقه بك لا ينقطع ومن تعلق بكريم اجاره وأنت سيد الكرماء وقال ابن حجر بالذمام قسم يتعلق بتداركه أى تداركه بحق حرمتك التى أنعم الله بها عليك مادام منك ذماء

(أخرته الاعمال والمال عما
قدم الصالحون والاغنياء)

أى أخرته الاعمال السيئة التى ارتكبها والمال الذى امسكه ولم

بنفقة في حقه وفي وجوه الخير هذا ان كان مجموعا من حله والا فالامر أعظم والصالحون جمع صالح وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد فيشمل الملائكة ولذا قال صلى الله عليه وسلم اذا قال المصلي في تشهده السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصابت كل عبد لله تعالى صالح في السماء والارض وبين أخرته وقدمت التطابق كالحسنات والسيآت والملح والفرات والاستقامة والاعوجاج والنوم واليقظة ووراء وأمام والصيف والشتاء والحر والبرد ويومي وليلتي والرجاء والخوف والاقوياء والضعفاء الآتيات والاغنياء جمع غني وهم ذوو الاموال ويعني من الاعمال الصالحات والانفاق في وجوه الخيرات وهذا لف ونشر مرتب فالاول للاعمال والثاني للمال وروى الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفداه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه

(كل يوم ذنوبه صاعدات وعليها انفاسه صعداء)

يعني وكل ليلة ذنوبه اى معاصيه مرتفعات مع ملائكة الليل والنهار الذين يرفعون أعمال العباد الى الله تعالى وهو أعلم بما كان قوله وعليها أى من أجلها

أبو بكر فقلت يارسول الله أناخير أو عمر فقال عمر فقلت يارسول الله أنا خير أو عثمان فقال عثمان فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقني) بتخفيف الدال أى اخبرني بالصدق وهو جواب لما على القول بجواز اقتران جوابها بالفاء وعلى مقابله فالجواب محذوف أى ندمت وفي بعض النسخ صدقني بدون فاء فيتعين ان يكون جوابا خلافا لقول ابن حجر ان الجملة حينئذ حالية بتقدير قد وأما نسخة فصدقني بتشديد الدال فلا يظهر لها معنى صحيح خلافا لابن حجر لانه صلى الله عليه وسلم لم يصدقه في ظنه بل كذبه وخطأه وأما قوله (فلوددت) اي تمنيت وأحببت فهو عطف على الجواب المذكور أو المقدر (أني لم أكن سألته) اى حياء لما ظهر من خطا ظنه او من الشر الموجب لكثرة اقباله والحامل لعمر وعلى ذلك بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من عظيم التألف لتقتدى به أمته في ذلك وارشاد للسائل الى انه لا ينبغي ان يسال عن شيء الا بعد تحقق أمره والا بان خطؤه وظهرت فضيحته وكان عمرو بن العاصي من فرسان قريش وابطالهم في الجاهلية مذكور بذلك فيهم وكان حسن الشعر ومن شعره يخاطب عمارة بن الوليد بن المغيرة عند النجاشي

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضي وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وهو أحد الدهاة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا استضعف رجلا في عقله يقول أشهد ان خالقك وخالق عمرو واحد يريد خالق الاضداد ولما قدم هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة المدينة مسلمين ودخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر اليهم وقال قد رمتكم مكة بافلاذ كبدها وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمان وعمل لعمر وعثمان وهو الذي فتح مصر في زمان عمر فقاتل المقاتلة وسبى الذرية وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أسلم الناس وآمن عمرو بن العاصي وقال اللهم صل على عمرو بن العاصي فانه يحب الله ورسوله وقال يقدم عليكم الليلة رجل حكيم مهاجر فقدم عمرو بن العاصي رواه ابن عساكر * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا جميع بن عمير بن عبد الرحمن العجلي قال نى رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي قال الحسين بن علي سألت أبي عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في جلسائه) أى في حق مجالسه من أصحابه (فقال) أي علي (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر) بالكسر طلاقة الوجه وبشاشته وفي قوله كان دائم البشر اشعار بان حسن خلقه كان عاما ولم يكن خاصا بجلسائه وتقدم في باب الضحك انه لا منافاة بين قوله هنا دائم البشر وقول هند متواصل الاحزان فانظره هنالك (سهل الخلق) اما ضد صعوبته بمعنى ان خلقه الحسن ينقاد له في كل شيء اراده وأما ضد خشونته بمعنى انه لا يصدر عن خلقه ما يكون سببا لاذى بغير حق (لين الجانب) اى سريع العطف جميل الصفح او هو قليل الخلاف أو هو كناية عن السكون والوقار والخضوع والخشوع (ليس بفظ) أي سيء الخلق (ولا غليظ) أي جافي الطبع قاسي القلب قال العسقلاني هذا موافق لقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا ينافيه قوله تعالى واغلظ عليهم لان النفي بالنسبة الى المؤمنين والامر بالنسبة الى الكفار والمنافقين كما هو مصرح به في الآية أو النفي محمول على طبعه والامر محمول على المعالجة قال في جمع الوسائل قلت وفيه نكتة لطيفة وهي ان صفة الجمال من الرحمة واللين كانت غالبة عليه حتى احتاج لمعالجة الامر (ولا صخاب ولا فحاش) سبق الكلام على الصخب والفحش وان المراد نفي أصل الفعل (ولا عياب) أي لا يعيب

شيأ فالمراد أيضا نفي أصل الفعل وفي الصحيحين ماعاب طعاما قط ان اشتهى أكل والا ترك وتقدم وجه ذلك في حديث هند لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ومن العلوم ان هذا في المباح وأما الحرام فكان يعيبه ويذمه وأخذ العلماء من هذا ان من آداب الطعام ان لا يعاب قال النووي كالخل حامض قليل الملح غير ناضج ومن التمثيل بهذا يعلم ان لا فرق بين عيبه من جهة الخلقة ومن جهة الصنعة وللفرق وجه وهو كسر قلب الصانع اللهم الا ان قصد تأديبه بذلك فلا بأس وعليه يحمل قول بعضهم انما يكره ذمه من جهة الخلقة لا من جهة الصنعة لان صنعة الله لا تعاب وصنعة الآدميين تعاب قاله ابن حجر ونقله في جمع الوسائل وسلمه (ولا مداح) وفي نسخة ولا مزاح قال ابن حجر والمراد نفي المبالغة في هذين لانفي أصلهما لوقوعه صلى الله عليه وسلم احيانا وفي نسخة ولا مشاح بضم الميم وتشديد الحاء المهملة والظاهر انه من المشاحة أي ليس بمجادل ولا مناقش ومنه قولهم لا مشاحة في الاصطلاح وجعله ابن حجر من الشح (يتغافل عما لا يشتهي) أي يظهر الغفلة والاعراض عما لا يستحسنه من القول والفعل (ولا يؤيس منه) بضم ياء وسكون همز فياء مكسورة أي لا يجعل غيره آيسا مما لا يشتهي وفي نسخة يؤيس بضم ياء فسكون واو فهمزة مكسورة أي لا يجعل غيره يائسا مما لا يشتهي فالاول من الاياس والثاني من اليأس والمعنى واحد ويحتمل ان يكون ضمير منه راجعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا يجعل راجيه آيسا من بره وخيره وكرمه (ولا يجيبه) من الاجابة أي ولا يجيبه اليه لانه المشرع الاعظم فلا يفعل الا ما يقتدى به فيه بل يسكت عنه عفوا وكرما وفي نسخة ولا يخيب فيه بالتشديد من التخييب أي لا يجعله محروما بالكلية أو بالتخفيف من الخيبة بمعنى الحرمان والظاهر انه سهو لان الخيبة مصدر اللازم ولا يظهر معناه في هذا المقام (قد ترك نفسه) أي منعها (من ثلاث المراء) أي الجدال مطلقا فان العموم أبلغ في المدح لحديث من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في رياض الجنة خلافا لمن قصره على المراء بغير حق * وأما قوله تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن فالضمير المنصوب للكفار أي جادل معانديهم بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر وقيل بين المراء والجدال فرق قال بعض شراح الرسالة الجدال هو دفع الحق بالباطل والمراء هو قصد الظهور في المناظرة بحق كان او بباطل اه وعن الشافعي رضي الله عنه ما جادلت أحدا وقصدت الحمه وانما اذا كره لاظهار الحق من حيث هو حق وقال أيضا ما ناظرت أحدا الا أريد أن يظهر الحق من عنده اه وفي نسخة الرياء بدل المراء (والاكبار) بالباء الموحدة أي استعظام نفسه في جلوسه ومشيه ومعاشرته مع الناس من أكبره اذا استعظمه ومنه قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وفي بعض النسخ والاكثار بالمثلثة أي من الكلام أو من الدنيا زيادة على ما يحتاجه (وما لا يعنيه) اي ما لا يهمه في دينه او دنياه وفي الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه أي ما لا تدعو الضرورة والحاجة اليه وهو الفضول ويعم الاقوال والافعال والعوارض القلبية قاله الشيخ زروق (وترك الناس) أي ذكرهم (من ثلاث) أولها قوله (كان لا يذم أحدا ولا يعيبه) يحتمل ان يفرق بينهما بان الذم انما يكون بالامور الاختيارية بخلاف العيب فانه قد يكون بالامور الخلقية كالطول والقصر والسواد وامثال ذلك أو بأن الاول يكون في المواجهة والثاني في الغيبة وما احتمال انهما بمعنى فبعيد لان الافادة خير من الاعادة ثانيها قوله (ولا يطلب عورته) أي لا يتجسس عن أموره الباطنة التي يخفيها ولا يعارضه يسأل الناس عما في الناس لان ذلك في الامور الظاهرة التي تناط بها الاحكام الشرعية والمصالح البشرية قاله المناوي

انفاسه جمع نفس بفتح الفاء صعداء بضم الصاد وفتح العين المهملتين أي متواترة ممتدة من خوف عقاب تلك الذنوب وفي القاموس الصعداء كالبرحاء تنفس طويل

(ألف البطنة المبطئة السير بدار بها البطان بطاء)

أي ولع بالبطنة وهي بكسر الباء قال الجوهري أي ملء بطنه من الطعام والشراب وفي القاموس البطنة بالكسر البطر والاشر والمراد بالسير المعنوي والقلبي لانها تؤخر الجوارح عن الاعمال الصالحات ولا تسرع بها الى الطاعات التي يكون بها التقرب الى الله تعالى لان البطن اذا امتلات كسلت الاعضاء وأفسدت العقل فالبطنة مذهبة للفطنة وقوله بدار هي الدنيا وبها أي فيها البطان جمع بطين ككريم وهو الذي همته في بطنه والعظيم البطن وبطاء جمع بطيء أي غير سريع فهم متأخرون عن السابقين متخلفون عن السابقين لان من كثر أكله عظم لحمه وثقل جسمه وتكاثر نومه فعاقه ذلك عن الاجتهاد واستفراغ الوسع في الاعمال الصالحات التي هي سبب هداية السبيل وتنزيه النفس عن كل وصف دني وخلق رذيل ولو لم يكن من شؤم البطنة الا ما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء من انها تفسد العقل باذهاب فطنته والبدن باذهاب نشاطه وقوته وبين بطان وبطاء جناس لاحق

(فبكى ذنبه بقسوة قلب
نهت الدمع فالبكاء مكاء)

اى بكى ذنبه مع يبس قلب وفى القاموس قسا قلبه قسوا وقسوة وقساء صلب وغلظ ونهت الدمع اى تلك القسوة عن ان يبرز منه شيء مما شأنه أن ينشأ عنه فلذا انقلب البكاء وهو الماء الجاري منها من حزن أو سرور فيحصل بسببه للقلب من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق مايجرى الدموع ويهيج الرجوع لكن تلك القسوة نهت الدموع عن أن يبرز منه شيء فالبكاء اذا الذى هو الصوت مع الدمع مكاء بالتخفيف أى كالمكاء وهو الصفير بجامع أن كلا صوت جرى علي اللسان ولم يتأثر به القلب فبكاؤه اذا صورى لاحقيقى وبين البكاء ومكاء الجناس المضارع

(وغدا يعتب القضاء ولا عذ
ر لعاص فيما يسوق القضاء)

أى صار ذلك العاصى بعد ماوقع منه من المعاصى والبكاء الذى لانفع معه لقسوة قلبه يعتب القضاء أي يجد علي القدر السابق وفى القاموس العتب الموجدة والملامة كالعتاب والمعتبة ولا عذر لعاص يحتج به حتى يسقط ائمه وتندفع مؤاخذته فيما يسوق القضاء اى يأتي اليه ويقع منه بسببه وكل واقع انما هو بقضاء الله تعالى وقدره وكل ما قدره تعالى فلا بد من وقوعه واعلم ان الله اجرى عادته الالهية على اسباب ومسببات تناط بتلك الاسباب

وغيره وقال فى جمع الوسائل المعنى لايظهر مايريد الشخص ستره ويخفيه الناس عن الغير ثالثها قوله (ولا يتكلم الافيما جاثوا به) قال فى جمع الوسائل القصد بهذه الثلاث رعاية أحوالهم كما ان القصد بالثلاث الأول مراعاة حاله والافقد يندرج بعضها فى بعض (واذا تكلم أطرق جلساؤه) أى خفضوا أبصارهم وسكتوا وسكنوا لما ألبسه الله سبحانه من العز والمهابة والعظمة التى ليست من تلقاء نفسه ولا صنع له فيها أو لكمال ميلهم لاستماع كلامه وارتياح أرواحهم لحديثه وقد فسر فى الصحاح الاطراق بالوجهين الا أنه صدر بالوجه الثانى وهو أنسب فى هذا المقام والله أعلم (كأنما على رؤسهم الطير) مبالغة فى وصفهم بالسكوت والسكون لان الطير لايقع الا على ساكت ساكن قال الجوهرى أصله ان الغراب اذا وقع على رأس البعير ليلتقط منه القراد لم يحرك البعير رأسه لئلا ينفر عنه الغراب لما يجد فيه من الراحة اه فشبه حال جلسائه عليه السلام بحال ذلك البعير لكمال ميلهم وتلذذهم باستماع كلامه وقال بعضهم أصل ذلك أن سليمان عليه السلام كان اذا أمر الطير ان يظلل علي أصحابه غضوا أبصارهم ولم يتكلموا حتى يسألهم مهابة منه فان أدب الظاهر عنوان الباطن فقيل للقوم اذا سكنوا مهابة كأنما على رؤسهم الطير (فاذا سكت تكلموا) ولا يتكلمون فى أثناء حديثه كما هو مقتضى الادب وكذلك لا يتكلمون أثناء حديث غيره كما أشار اليه بقوله (لا يتنازعون عنده الحديث وفسره بقوله (من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ) فيه ما كانوا عليه من عظيم أدبهم فى حضرته وخضوعهم بين يديه واجلالهم له وهيبته عندهم وتوقيرهم له لشهودهم علي شأنه وكمال مرتبته وتخلقهم باخلاقه صلى الله عليه وسلم واعلم انه يطلب من الادب عند سماع حديثه صلى الله عليه وسلم مايطلب من الادب معه فى حياته لان حرمته ميتا كحرمته حيا ورفع الصوت على حديثه كرفعه عليه وقد ورد عن السلف فى هذا المعنى شيء كثير قال مطرف كان اذا أتي الناس مالك رضى الله عنه خرجت اليهم الجارية فتقول يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس علي تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن أبى أويس فقيل لمالك فى ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا أحدث به الا على طهارة متمكنا اه (حديثهم عنده حديث أولهم) أى كحديث أولهم فى الاصغاء اليه وعدم الملل منه اذ العادة جارية بالملل اذا كثر المقال أو حديث اسبقهم فى الكلام او حديث افضلهم اذ كان لا يتقدم غالبا بالكلام بين يديه الا اكابر اصحابه وفى نسخة حديث اوليتهم اى جاهليتهم ليتذكروا بذلك نعمة الله عليهم (يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه) تأنيسا لهم وجبرا لقلوبهم ورفقا بهم اذ لولا تنزله صلى الله عليه وسلم معهم لم يقدروا على التلقى منه لما كساه الله تعالى من الجلالة والمهابة وقد سبق ذلك فى قوله من رآه بديهة هابه (ويصبر للغريب علي الجفوة) اى الغلظة وسوء الادب (فى منطقه ومسئلته) لعلمه صلى الله عليه وسلم بان مايصدر من الغريب لا يكون من أجل الاستخفاف بجانبه صلى الله عليه وسلم بل من جفاء الطبع (حتى ان نخففه من الثقيلة (كان اصحابهم ليستجلبونهم) ذكروا فيه احتمالات منها ان المراد جذبهم عن مجلسه ومنعهم من الجفاء وترك الادب ومنها وهو اظهر ان المراد مجيئهم بالغرباء الى مجلسه ليستفيدوا من اسئلتهم ومبالغتهم فى السؤال مالا يقدرون عليه بانفسهم مهابة له (ويقول)

صلى الله عليه وسلم (اذا رأيتم طالب حاجة) أودنيوية أودينية (يطلبها فارفدوه) أي أعينوه بالعطاء والصلة والشفاعة ونحو ذلك مما يوصله الى حاجته (ولا يقبل الثناء) أى المدح (الا من مكافئ) فيه اوجه منها ان المراد المكافاة فى الدين بان يكون المادح مسلما ظاهرا وباطنا لا كالمنافق ومنها ان المراد بالمكافئ المقتصد فى ثنائه اي المقارب فى مدحه بان لا يتجاوز به عن حد مثله وان لا يقصر به عما رفعه الله اليه من علو مقامه يقال هو كفؤه اى مثله فالمراد مكافأة الواقع ومطابقته ومنها ان المراد انه اذا انعم علي احد نعمة فكافأه واثنى عليه قبل ثناءه واذا ابتدأه بالثناء لم يقبل فالمكافئ حينئذ بمعنى المجازى قال ابن حجر وغاط قائله بان احدا لا ينفك عن نعمته صلى الله عليه وسلم فالثناء عليه فرض عين اه قال فى جمع الوسائل ولا يخفى ان الكلام انما هو فى النعمة الصورية لا فى النعمة المعنوية اه وكأن المراد النعمة الدنيوية لا الدينية فانها عامة لا ينفك عنها احد كما قال والله اعلم (ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز) بالجيم والزاى اي يتعدى الحق وفى نسخة حتى يجور بالراء من الجور (فيقطعه) بالرفع (بنهي) له عن ذلك الحديث (اوقيام) أى عن المجلس ففى هذا بيان حسن خلقه صلى الله عليه وسلم ورفقه ولطفه وحلمه وصبره وشفقته ورأفته ورحمته * قال المصنف رضى الله تعالى عنه ونفعنا به (حدثنا عبد الله بن عمران ابو القاسم القرشى المكى نا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) اى ابن مسعود (عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس) سبق فى حديث جابر ان وجه ذلك ان مصدر كرمه عن الوثوق بالله والانفاق من خزائنه التى لا تنفد لها وقال ابن حجر سبب ذلك ان نفسه اشرف النفوس ومزاجه اعدل الامزجة ومن هو كذلك يكون فعله احسن الافعال وخلقه احسن الاخلاق ومن هو كذلك يكون اجود الناس ولان جوده لم يقصر علي نوع بل كان يجمع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله فى اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل اثقالهم وكان جوده كله لله وفي ابتغاء مرضاته وكان يؤثر علي نفسه وأولاده فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك ويعيش فى نفسه عيش الفقراء فيمر عليه الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نارا وربما ربط الحجر علي بطنه من الجوع وقد اتاه سبي فشكت اليه فاطمة رضي الله عنها ما تلقاه من الخدمة وطلبت منه خادما يكفيها ذلك فامرها ان تستعين بالتسبيح والتحميد والتكبير وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وقد كسته امرأة بردة فلبسها محتاجا اليها فسأله بعض اصحابه فاعطاه اياها رواه البخارى اه وقد تقدم شيء من آثار سخائه صلى الله عليه وسلم فقوله (بالخير) شامل لجميع انواع الجود كما تقدم وفيه اشارة الى انه كان يتكرم بافضل ما يكون عنده لا بادناه لاقباله علي مولاه واعراضه عما سواه واستغنائه عن الفانيات بالباقيات الصالحات ولان الانفاق عبادة مالية فكما يقدم الام فى الاعمال البدنية يقدمه في العبادات المالية (وكان اجود) بالرفع فى أكثر الروايات على حد اخطب ما يكون الامير قائما (ما يكون فى شهر رمضان حتى ينسلخ) بمعنى انه كان دائم الجود وكان جوده فى رمضان يتضاعف على جوده فى غيره اى فينبغى للمؤمن ان يقتدى به صلى الله عليه وسلم فى ذلك فيكون له فى هذا الشهر المبارك نصيب من كل نوع من انواع الخير والصدقة والتلاوة والذكر وقيام الليل وقضاء الحوائج يتعرض بذلك لنفحات الرحمة الالهية ان لله تعالى فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها وذلك لانه موسم الخيرات ولان الله يتفضل علي عباده فى ذلك الشهر ما لا يتفضل عليهم فى غيره من الاوقات وكان صلى الله عليه وسلم

وينسب وقوعها اليها نظر اللصورة الوجودية وان كان الكل فى الحقيقة انما هو بقضائه وقدره فلا بد من رعاية المقامين هذا هو المذهب العدل السوى والطريق الواضح الجلى انظر ابن حجر ثم قال فان قلت قوله ولا عذر لعاص فيما يسوق القضاء ينافيه احتجاج آدم فى قصته مع موسى عليهما الصلاة والسلام لما قال له موسى أنت آدم الذى أخرجتنا من الجنة بخطيئتك أي بالنسبة لمقامك والا فهى ليست بخطيئة حقيقة لانه نسى كما فى الآية فقال له آدم أتلومنى على أمر قدره الله تعالى على قبل أن يخلقنى قال النبي صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى اى غلبه في الحجة قلت لا ينافيه لان الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع فى الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه وقبل أن يستوفى منه ما وجب به فيمنع بذلك مؤاخذته به لم يجز أيضا وان كان لا يمنع ذلك بل ليمنع تعييره به ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسي عليه وعليهما الصلاة والسلام وقول عمر رضي الله تعالى عنه لما ذهب الي الشام وأخبر فى الطريق انه وقع به الطاعون وأراد الرجوع فقال له أبو عبيدة رضى الله تعالي عنه أفرارا من قدر الله تعالى فقال نعم نفر من قدر الله تعالى الى قدر الله جل وعلا اشارة الى ان كل

متخلقا باخلاق ربه وكانت ارادته تابعة لارادة ربه ولما ذكره بقوله (فيأتيه جبريل) فان الفاء للتعليل أي سبب تضاعف جوده في رمضان علي سائر الازمان اتيان جبريل له كل ليلة من رمضان كما في الصحيحين ففي كتاب الصيام من صحيح البخاري وكان اجود مايكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فاذا لقيه الخ وفي فضائل القرآن منه كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود مايكون في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فاذا لقيه جبريل الخ قال العسقلاني في هذه الرواية بيان سبب الاجودية وهي أبين من رواية حين يلقاه اه قال ابن حجر وانما كان اتيانه سببا لذلك لانه رسول ربه اليه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر ولانه أمين حضرته المتولي لقسمة مواهبه وعطيته ولانه بعرض القرآن يتجدد تخلقه باخلاق الرحمن (فيعرض عليه القرآن) المتبادر ان ضمير يعرض لجبريل وضمير عليه للرسول ويؤيده ماعند الاسماعيلي من طريق اسرائيل عن أبي حصين كان جبريل يعرض علي النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في كل رمضان ويحتمل العكس وهو المصرح به في روايتي البخاري المتقدمتين ولما ترجم بباب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ممم ذكر حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن علي جبريل قال العسقلاني كأن البخاري أشار بالترجمة الى رواية الاسماعيلي وفيه اشارة الى ان كلا منهما كان يعرض علي الآخر ويؤيده ماوقع عند البخاري أيضا بلفظ فيدارسه القرآن وفيه حديث فاطمة قالت اسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل كان يعارضني بالقرآن اذ المدارسة والمعارضة مفاعلة من الجانبين فأفاد أن كلا منهما تارة يقرأ ويسمع الآخر وتارة العكس ثم المراد عرض ما كان نزل من القرآن لا القرآن كله لانه لم يكن كاملا في رمضان وانما كمل بعد ذلك والانفاق علي أن قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم انما نزل بعرفة يوم عرفة وهل المراد انه كان يعرض عليه صلى الله عليه وسلم كل ليلة جزأ من القرآن وانه كان يقسمه علي عدد ليالي رمضان او المراد انه كان يقرأ كل ليلة جميع ما نزل منه لكنه كان يقرؤه في ليلة بحرف وفي أخرى بحرف آخر يحتمل وقد اختلف في المعرضة الاخيرة هل كانت بجميع الاحرف المأذون في قراءتها او بحرف واحد منها وعلى الثاني هل هو الحرف الذي جمع عليه عثمان الناس او غيره انظر جمع الوسائل وفائدة هذه المدارسة مع ان الله تعالي يقول ان علينا جمعه وقرآنه ما كان يتجدد له عليه السلام بذلك العرض من البركات والخيرات والامدادات الالهية والنفحات الربانية ولهذا قال (فاذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) أي بالمطر شبه نشر جوده الخير في العباد بنشر الريح القطر في البلاد وشتان مابين الاثرين فاحدهما يحيي القلب بعد موته والآخر يحيي الارض بعد موتها قاله الكرماني وأيضا فريح المطر وان كانت تعم وتصيب كل ماتمر عليه كما أن جوده صلى الله عليه وسلم لا يختص به أحد عن احد لكنها تهب وتسكن وجود النبي دائم مستمر ولهذا كان أجود بالخير من الريح المرسلة ويحتمل ان يكون المراد بالمرسلة المطلقة بمعنى أنه في الاسراع بالجود اسرع منها وفي الكلام ترق لانه فضل أولا جوده على جود جميع أفراد الانسان وثانيا جوده في رمضان علي جوده في سائر الازمان وثالثا عند لقاء جبريل ومعارضة القرآن فانه حينئذ كان أجود من كل مايتصور في الاذهان وماذلك الا لاتيان أفضل ملائكة الرحمن الي افضل الخلق بافضل كلام من أفضل متكلم في أفضل زمان وفيه ان صحبة

الصالحين

مافعل واقع بقضاء الله تعالى مع ان الشرع نهى عن القدوم عليه لانه سبب للهلاك كسائر الاسباب العادية فنهى عنه خشية مصادفته فيفتن وأما اذا لم يدخل وسلم فهو بمنزلة التداوي وحكمة امتناع الفرار لمن كان هنالك مصلحة الرضا وقد قال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة انظر المنح (فائدة) قال الامام الغزالي فان قيل مافائدة الدعاء مع ان القضاء لا يرد فاعلم ان من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كان الترس سبب لرد السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض (٣) فكما ان الترس سبب لرد السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء وليس من شأن الاعتراف بالقضاء ان لا يحمل السلاح وقد قال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم فقدر الله تعالى الامر وقدر سببه وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير أحرص علي ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان

(أوثقته من الذنوب ديون شددت في اقتضائها الغرماء)

٣ قوله فكما الخ تأمل هذه العبارة

الصالحين مؤثرة فى دين الرجل وعلمه وسبب فى عمارة قلبه قال يحيى بن معاذ ولى الله ريحان فى الارض فاذا شمه المريدون وصلت رائحته الى قلوبهم فتشتاق بهم الى ربهم ولهذا حض العلماء على صحبة مشايخ الطريق رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم حتى قال ابو على الثقفى رضى الله عنه لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ أو امام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب اعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات اه وقد قالوا من احسن علاج النفس صحبة مجتهد فى العبادة قال بعضهم كنت اذا اعترتنى فترة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده وقد كان امامنا مالك رضى الله عنه يأتى محمد بن المنكدر وكان احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخى ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما وكان الامام الشافعى يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب قال فى الاحياء الا ان هذا قد تعذر فينبغى أن يرجع الى سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقى ثوابهم ونعيمهم * قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا عباس بن محمد الدورى نا عبد الله بن يزيد المقرى نا ليث بن سعد نى ابو عثمان الوليد بن أبى الوليد عن سليمان بن خارجة عن خارجة بن زيد بن ثابت قال دخل نفر) يقع على الثلاثة الى العشرة لا واحد له من لفظه على ما فى الصحاح (على زيد بن ثابت فقالوا له حدثنا أحاديث رسول الله) فى نسخة عن رسول الله (صلى الله وسلم عليه قال ماذا أحدثكم) أى أى شىء احدثكم وكانهم طلبوا منه أحاديث شمائله صلى الله عليه وسلم المتعلقة بأحواله وأفعاله وأقواله فلذلك أعظم التحديث بها وافادهم بهذا التعجب ردما وقع فى خلدهم من طلب الاحاطة بشمائله فان شمائله لا يحاط بها كمية ولا كيفية فان المعانى كلها دون مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل علو فى حقه تقصير فاذا لا يقوم أحد بحق مدحه صلى الله عليه وسلم كيف وقد أفصحت آيات الكتاب العزيز فى تعظيمه بما يبهر العقول وصرحت من رفيع صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول ولهذا قال ابن الخطيب

يا مصطفى من قبل نشأة آدم * والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما * أثنى على أخلاقك الخلاق

وقد رؤى ابن الفارض فى النوم فقيل له لم لم تمدح النبى صلى الله عليه وسلم أى بالتصريح والا فنظمه فى الحقيقة انما فى الحضرة الالهية اوفيه صلى الله عليه وسلم فقال

أرى كل مدح فى النبى مقصرا * وان بالغ المثنى عليه وأكثرا
اذا الله أثنى بالذى هو أهله * عليه فما مقدار ما يمدح الورى

ولما استشعر أكابر الشعراء كأبى تمام والبحترى وابن الرومى عجزهم عن الوفاء بحق مدحه صلى الله عليه وسلم لم يتعاطوه ورأوا ان ذلك من أصعب ما يحاولونه ويرحم الله القائل

تجاوز قدر المدح حتى كأنه * باحسن ما يثنى عليه يعاب

(وقال ابن جزى)

أروم امتداح المصطفى فيصدنى * قصورى عن ادراك تلك المواهب
ومن لى بحصر البحر والبحر زاخر * ومن لى باحصاء الحصا والكواكب
ورب سكوت كان فيه بلاغة * ورب كلام فيه عتب لعاتب

ولما لم أبو نواس عفا الله عنه فى تركه مدح مولانا على الرضا ابن مولانا موسى الكاظم ابن مولانا جعفر الصادق ابن مولانا محمد الباقر ابن مولانا على زين العابدين ابن مولانا الحسين

اى حبسته فى وثائقها ديون جمع دين فاعل أوثقته ومن الذنوب حال منها مقدمة عليها أى ديون تراكمت عليه ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه فى حقوق الله وحقوق عباده وفى القاموس الوثاق ويكسر ما يشد به واوثقه فيه شدة يعنى منعته عن الخلاص من تباعاتها وقد شددت فى اقتضائها أى طلبها منه الغرماء جمع غريم وهو طالب الحق والحقوق فى الآخرة مبنية على المضايقة لا سيما حقوق الآدميين الان يعنى والله تعالى

(ماله حيلة سوى حيلة المو
ثق اما توسل أو دعاء

أى ماله قدرة على الخلاص من تلك الديون وفى القاموس الحيلة والاحتيال والتحيل الحذف وجودة النظر والقدرة على التصرف والموثق المشدود بالوثاق الذى لا يقدر على هروب ولا تخلص وحيلة من هو كذلك محصورة فى شيئين اما توسل أى الى الله تعالى فى خلاصه بما سبق له من عمل صالح أو شفاعة شافع أو دعاء أو رغبة الى الله تعالى فى ارضاء غريمه عنه واسبال ذيل عفوه وحلمه ورضاه عنه وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن الحسن قال قال رسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لانا أكرم وأعظم عفوا من ان أستر على عبدى فى الدنيا ثم أفضحه بعد ان سترته ولا ازل اغفر لعبدى ما استغفرنى قال رسول الله صلى

ابن سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم قال

قيل لي أنت أحسن الناس طرا * في فنون من المديح النزيه
لك من جيد القريض مديح * يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلى ماتركت مدح ابن موسى * والخصال التي تجمعن فيه
قلت لاأستطيع مدح امام * كان جبريل خادما لابيه

وقد تقدم في أول الباب شيء من هذا المعنى ولما بين لهم العجز عن الاحاطة بما طلبوا وكان من القواعد المقررة أن مالا يدرك كله لا يترك كله أرادان يفيدهم ببعض البعض من كمال خلقه صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته وغاية تلطفه فقال مشيرا الى غاية ضبطه ونهاية حفظه واتقانه لما يرويه (كنت جاره) أي فلي خبرة به أتم من غيري (فكان اذا نزل عليه الوحي بعث الي فكتبت له) أي فلي مزيد مخالطة به صلى الله عليه وسلم ومعرفة باحواله ولي عنده حظوة حيث جعلني أمينا ممن يحفظ أمور الدين ويضبطها وممن يصلح لحمل الشريعة وتبليغها وفي البخاري ان أبا بكر رضي الله عنه قال لزيد انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه وفي البخاري أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتابة اليهود ليقرأها عليه اذا كتبوا اليه فتعلمها في خمسة عشر يوما وروى في أحاديث كثيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه أفرضكم زيد وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الكتب التي يرسلها للملوك وغيرهم وكان يكتب لابي بكر وعمر وعثمان وكان عمر يستحلفه اذا حج قال ابن حجر وهو أحد الاربعة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الثلاثة الذين جمعوا المصحف في خلافة أبي بكر بامره كعمر لهم بذلك وهذا هو الجمع الاول والجمع الثاني كان في زمن عثمان وهو الذي استقر عليه الامر اه وهو أحد علماء الصحابة ومفتيهم وقد كانوا ستة عمر وعلي وأبي وابن مسعود وأبو موسى وزيد ولما مات قال أبو هريرة رضي الله عنه اليوم مات حبر هذه الامة وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا ورثاه حسان بقوله

فمن للقوافي بعد حسان وابنه * ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

وقد عد اليعمري من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم نحو الاربعين منهم الخلفاء الاربعة (فكنا اذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا واذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا) بمعنى انه صلى الله عليه وسلم مع كمال شرفه وعلو درجته ورفعة منصبه وتمامة قدره كان على غاية التواضع وحسن خلقه مع أصحابه كي لا يدهشوا ويتكلمون في مجلسه بما يشاؤن وكان من شدة تلطفه باصحابه وحسن عشرته معهم يتكلم في سائر ما يتكلمون فيه ولا يأنف من الكلام في الدنيا والطعام ونحو ذلك من الامور العادية وحكمة ذلك ان يزيد اقبالهم عليه واستفادتهم منه ولولا ذلك لما قدر أحد منهم ان يقعد معه ولان يسمع كلامه لما رزقه الله تعالى من الجلالة والمهابة والعظمة في القلوب * قال في القوت لابي طالب المكي رضي الله عنه قد أعطى صلى الله عليه وسلم اضعاف عقول الخليقة وحلومهم ووسع قلبه لهم وشرح صدره للصبر عليهم فكان مع الاعرابي كانه اعرابي ومع الصبي بمعناه ومع المرأة بنحوها يقاربهم في علومهم ويخاطبهم بمعقولهم ويظهر منه مثل وجدهم ليعطيهم نصيبهم من الانس به ولئلا تعظم هيبته في صدورهم فينقطعون عن السؤال له والانس به حكمة منه لا يفطنون لها ورحمة منه قد جبل عليها انظر تمام كلامه ثم أظهر الاهتمام بهذا الذي حدثهم به من شمائله صلى الله عليه وسلم ليحفظوه ويعرفوا قدره فقال

الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني لاستحي من عبدي يرفع يديه الي ثم اردهما قالت الملائكة الهنا ليس لذلك باهل قال الله تعالى لكني أهل التقوى والمغفرة

(راجيا ان تعود أعماله السوء بغفران الله وهي هباء)

راجيا حال من عاص أي مؤملا ان تصير أعماله السوء بفتح السين أي السيئة بغفران الله تعالى أي بعفوه وفي القاموس وغفر الله تعالى له ذنبه يغفره غفرا وغفرة حسنة بالكسر ومغفرة وغفورا وغفرانا بضمهما وغفيرا وغفيرة غطى عليه وعفى عنه وهي أي تلك الاعمال في جنب الغفران هباء أي كالغبار الذاهب المتفرق في الهواء كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخلت من الكوى لا يؤاخذ بها فلا تبقى تلك المغفرة عليه وصمة ذنب ولا تذر له قسوة قلب

(أو ترمي سيآته حسنات فيقال استحالت الصهباء)

أو بمعنى الواو أي وراجيا ان تصير سيآته حسنات أي بدلت بها فيدخل في سلك الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات ويقال اذا بدلت سيآته حسنات استحالت الصهباء أي انقلبت الخمر النجسة الحرام خلا طاهرا حلالا وفي هذا استعارة مصرحة اذ شبه السيآت بالخمر والحسنات بالخل واثبات الاستحالة تخييل وأخرج البخاري عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

(بكل هذا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣)* قال ابن حجر ولا ينافي هذا ما تقدم من أحواله في مجلسه لان ذكر الدنيا والطعام قد يقترن به فوائد علمية أو أدبية وبتقدير خلوه عنها ففيه بيان جواز تحدث الكبير مع أصحابه في المباحات وبيان مثل هذا واجب عليه صلى الله عليه وسلم اه وراجع ما تقدم عن مالك وغيره في آخر باب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعر* قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد) أي لنفسه لما كان عليه من غاية الكرم والايثار ولكمال ثقته بالله تعالى وتوكله عليه وقد يدخر لعياله قوت سنتهم ففي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يدخر لاهله قوت سنتهم ولكن تعرض عليه حوائج المحتاجين فيؤثرهم عليهم وعلى نفسه فلم يكن ادخاره لخشية العدم بل لاجل الكرم قال في المطامح وفي الصحيح انه كان يدخر لنسائه في كل عام مائة وسق من تمر وعشرين وسقا من شعير لكل واحدة منهن فلا يقوم ذلك بهن ولا يكفيهن ويبقين الشهر والشهرين لا يوقدن في بيوتهن نارا مع كثرة هذا العدد ولو قصر عليهن لكنه لم يكن حظهن من ذلك الاحظ الوارد عليهن من الفقراء وذوي الحاجات اه وقد تقدم شيء من هذا أول باب صفة حبزه صلى الله عليه وسلم* قال المصنف (حدثنا هرون بن موسى ابن أبي علقمة المدني نا أبي عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا جاء الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه) أي شيأ من الدنيا (فقال النبي صلي الله عليه وسلم ما عندي شيء ولكن ابتع علي) أي اشتر شيأ بثمن في الذمة يكون علي اداؤه وفي نسخة اتبع علي بتقديم التاء المثناة على الباء الموحدة أي احل علي (فاذا جاءني شيء قضيته فقال عمر) فيه التفات والقياس فقلت (يارسول الله قد أعطيته) أي قبل هذا (فما كلفك الله مالا تقدر عليه) أي من أمره بالشراء ووعده بالقضاء (فكره النبي صلى الله عليه وسلم قول عمر) لانه مخالف لمقتضى كمال الكرم والجود (فقال رجل من الانصار) قيل هو بلال رضي الله عنه وعليه فقوله من الانصار يعني النصرة العامة (يارسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا) أي شيأ من الفقر والاحتياج أي لا تخش ان يضيع مثلك من هو مدبر الامر من السماء الى الارض بالطول والعرض أي دم على ما أنت عليه من عدم خشية ذلك اذ هو صلى الله عليه وسلم لا يخشى من الفقر ولا يخاف عليه من ذلك (فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه بقول الانصاري ثم قال بهذا أمرت) أي لا بما قاله عمر كما أفاده تقديم الظرف المفيد للقصر أي قصر القلب رد الاعتقاد عمر رضي الله عنه* قال المصنف (حدثنا علي بن حجر نا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت أتيت النبي صلي الله عليه وسلم بقناع من رطب واجر زغب فاعطاني ملء كفه حليا أو ذهبا) الشك من الراوي وقد تقدم هذا الحديث في باب الفاكهة وأعاده هنا لما فيه من المناسبة لكمال خلقه صلى الله عليه وسلم الذي منه الكرم والسخاء* قال المصنف (حدثنا علي بن خشرم وغير واحد قالوا نا عيسي بن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويثيب عليها) أي يجازي قال في النهاية الاثابة هي المجازاة في الخير بأكثر منه اه قال العسقلاني رواية وكيع وصلها ابن أبي شيبة عنه بلفظ ويثيب ما هو خير منها اه فهذا من عظيم خلقه أيضا صلي الله عليه وسلم قال ابن حجر فيسن التأسي به صلى الله عليه وسلم في ذلك

(٣) قوله بكل هذا هكذا في نسختين بايدينا بالباء والذي في حاشية العلامة البيجوري على الشمائل فكل بالفاء وقال الرواية برفع كل وان كان الاولى من حيث العربية النصب فانظره اه مصحح

وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت كذا يوم كذا وكذا وكذا وهو مقر لا ينكر مشفق من كبائرها فيقال أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لي ذنوبا ما أراها ههنا قال أبو ذر فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه

(كل أمر تعني به تقلب الاعـ
ـيان فيه وتعجب البصراء)

قوله تعني أي تهتم وتعتني به يا حبيب الله والاعيان جمع عين أي الجسم أي تصير الاعيان وتتحول من صفة الى أخرى كما روي انه أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لعكاشة رضي الله عنه عرجونا فانقلب في يده سيفا صارما يقاتل به وتعجب أي تتعجب البصراء جمع بصير بما تشاهد من خرق العادة على يديك الذي لم يؤلف أنظر الشفاء والمواهب

(رب عين تفلت في مائها الملـ
ـح فاضحى وهو الفرات الرواء)

قال الجوهري رب هنا للتكثير وعين أي ماء وتفلت بفتح الفاء أي بصقت في مائها الملح الذي لا يشرب فاضحى أي صار وهو الفرات أي العذب جدا الصادق الحلاوة أو كالنهر المسمى بالفرات الذي هو أحد الانهار النازلة من الجنة كما صح به الحديث والرواء بفتح الراء أي الكثير المروي قال في القاموس وماء روى وروي ورواء كغني

والي وسماء كثير مروقال والرواء كسماء بئر زمزم وككساء جبل يشد به المتاع علي البعير وجعل الشارح اجملة من قوله وهو الفرات الرواء خبر أضحى وهو جار في ذلك على مذهب الاخفش وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة الحالية لكن الجمهور أنكروا ذلك وتأولوا الجملة على الحال والفعل على التمام * ثم قال ابن حجر (تنبيه) لم أر لخصوص التفل في ماء ملح فانقلب عذبا أصلا فضلا عن كثرته التي قال الشارح ويحتمل ان الناظم أخذ ذلك مما رواه أبو نعيم والقاضي في الشفاء انه صلى الله عليه وسلم بصق في بئر في دار أنس رضي الله تعالى عنه فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها وفي حديث سنده حسن انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة شرفها الله تعالى وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فدل على ان ماء الآبار هنالك كانت فيه ملوحة ولما بصق في بئر أنس صار أعذب مياهها فزالت عنه الملوحة ويؤيده مارواه البغوي ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء وذكر الشريشي في شرح المقامات انه صلى الله عليه وسلم تفل في بئر أريس فعاد ماؤها عذبا بعد ان كان أجاجا وقال الحافظ السيوطي في الخصائص وريقه صلى الله عليه وسلم يعذب الماء الملح وفي الشفاء انه مر على ماء فسأل عنه فقيل اسمه يبسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب أي بمجرد قوله فما بالك

لكن محل ندب القبول حيث لاشبهة قوية فيها وندب الاثابة حيث لم يظن المهدى اليه ان المهدى انما أهدى له حياء لا في مقابلة شيء أما اذا ظن ان الباعث على الاهداء هو الحياء قال الغزالي كمن يقدم عن سفر ويفرق هداياه خوفا من العار فلا يجوز القبول اجماعا لانه لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس ولانه مكره في الباطل فهو كالمكره في الظاهر وأما اذا ظن ان الباعث عليه انما هو الاثابة فلا يجوز له القبول الا ان أثابه بقدر ما في ظنه مما تدل عليه قرائن أحواله وانما أطلت في ذلك لان أكثر الناس يستهزؤن فيه فيقبلون الهدية من غير بحث عن شيء مما ذكرته اه قال في جمع الوسائل البحث لا يجب فانك اذا فتشت عن ضيافات العامة وهداياهم وعطاياهم رأيتها كلها ملطخة بالرياء والسمعة أو ناشئة عن الحياء نعم اذا ظهر ان سبب الاهداء ليس الا الحياء فله ان يرد وله ان يقبل ولكن يثيب بحيث يظن ان خاطره يطيب لانه وان أعطى مكرها في الباطن فانه يصير راضيا فينقلب الحرام حلالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم وهذه تجارة عن تراض في آخر الامر ولهذا عد علماؤنا الهبة بشرط الاثابة ببيع بابل ولو كان عطاؤه حياء ولم يحصل له جزاء ثم طاب خاطره فالظاهر انه لا يؤاخذ به لانه في المعنى براءة واحلال له ثم الظاهر ان الاثابة بقدر الهبة واجبة وأما الزيادة فلا فمحل الاجماع علي عدم جواز القبول اذا لم يجازه مطلقا اه *(تنبيه)* قال الآجري سألت أبا داود عن هذا الحديث فقال تفرد بوصله عيسى بن يونس وهو عند الناس مرسل انظر جمع الوسائل

باب
ما جاء في حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحياء هنا بالمد واما بالقصر فهو المطر وهو في اللغة تغير وانكسار يعتري الانسان من ترك أو فعل ما يعاب عليه وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويحض علي ارتكاب الحسن ومجانبة التقصير في الحق وهو من جملة الخلق الحسن فافرده بالترجمة للتنبيه على عظم شأنه لان به ملاك الامر كله في حسن معاملة الحق ومعاشرة الخلق ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الحياء كله خير وهو أقسام منها حياء الكرم كاستحيائه صلى الله عليه وسلم ممن طول القيام في وليمة زينب حتى نزل ولا مستأنسين لحديث الآية وحياء المحب من محبوبه حتى اذا خطر بقلبه هاج الحياء منه فيخجل من غير ان يدري ماسببه وحياء العبودية ان يشهد تقصيره فيها فيزداد خوفه وخجله وحياء المرء من نفسه بان تشرف همته فيستحي من رضاء نفسه بالنقص فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى كان له نفسين تستحي احداهما من الاخرى وهذا أكمل أنواع الحياء اذ المستحي من نفسه أجدر بالاستحياء من غيره انظر ابن حجر والمناوي ولا شك ان من رأى المنة وأيقن بالتقصير حقيق أن تصدر منه الحالة التي هي ثمرتها وهي الحياء من الله حق الحياء * وقد دل الحسن البصري علي رجل لم ير قط جالس الناس فقال له يا عبد الله ما يمنعك من مجالسة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال فما يمنعك ان تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال أمر شغلني عن الحسن وعن الناس فقال له الحسن وما ذلك الشغل يرحمك الله فقال اني أصبح وأمسي بين ذنب ونعمة فرأيت أن أشغل نفسي بالاستغفار لذنبي وبالشكر علي نعم ربي فقال له الحسن يا عبد الله أنت أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه اه (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود نا شعبة عن قتادة قال سمعت عبد الله بن أبي عتبة يحدث عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من

العذراء) هي البكر التي لم تنزع عذرتها سميت بذلك لبقاء عذرتها وهي جلدة البكارة أو لضيقها من قولهم تعذر الامر اذا ضاق (في خدرها) بكسر المعجمة وسكون المهملة وهو ستر يجعل للبكر اذا ترعرعت في جانب البيت لتنفرد به حتى عن النساء ولا شك أن العذراء التي تتربى فيه أشد حياء من التي تخالط غيرها أو تكون داخلة خارجة وقال ابن حجر تبعا لغيره انما قيد بقوله في خدرها لانه يدركها في الخلوة من الحياء لكونها مظنة أن تساوم وأن يطمع فيها ما لا يدركها في الجلوة وبحضرة الناس فعلم أن المراد الحالة التي تعتريها عند دخول أحد عليها فيه لا التي تكون حالة انفرادها أو اجتماعها بمثلها فيه اه وفيه انه لو كان هذا هو المراد لقيل أشد حياء من العذراء عند الدخول عليها في خدرها قاله في جمع الوسائل (وكان اذا كره شيء عرفناه في وجهه) أي لان وجهه كالشمس والقمر فاذا كره شيء لم يصرح بكراهيته لشدة حيائه ولكن يظهر في وجهه أثر كراهيته له كالغيم على النيرين كان المخدرة يعرف أثر رضاها وكراهتها في وجهها ولا تحتاج الى التكلم بذلك بحضرة الناس وفيه أن الحياء من الاوصاف المحمودة المطلوبة وفي الحديث الصحيح الحياء شعبة من الايمان وفيه الحياء لا يأتي الا بخير وفيه الحياء خير كله قال المناوي واستشكل بان الحياء قد يفرط بصاحبه حتى يمنعه من القيام بحقوق الله تعالى ومعلوم أن هذا لا خير فيه وأجاب ابن الصلاح بان هذا ليس بحياء حقيقة وانما هو خور ومهانة اه والخور أن يستحي من كل شيء وهو مذموم لانه يؤدي الى ترك الواجب وعدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمنع من كثير من الخير كما قال صلى الله عليه وسلم نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين وهذا الحديث يقتضي أن ذلك حياء حقيقة ولذلك اختار الابي أن يجاب بانه عام مخصوص ان جعلت الاداة في الحياء للعموم وان لم تجعل فالحديث قضية مهملة وهي في قوة الجزئية ولا تناقض بين كجزئيتين فالمعنى بعض الحياء لا يأتي الا بخير وبعض الحياء لا خير فيه وبهذا تعلم أن حياءه صلى الله عليه وسلم انما كان قد لا يؤدي الى تضييع حق شرعي ولذلك كان يقيم الحدود على من وجبت عليه وقال للذي أقر بالزنا أنكتها لا تكني أي صرح بالنيك ولا تكني به ٣ رواه البزار عن أنس * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا وكيع نا سفيان عن منصور عن موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمي) نسبة الى خطم قبيلة من العرب (عن مولى لعائشة قال قالت عائشة ما نظرت الى فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أو) شك من الراوي (قالت ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا من كمال حيائه صلى الله عليه وسلم اذ لم يفعل ما يقتضي نظرها لفرجه بل فعل ما يقتضي منعها من رؤيته وهو عظيم حيائه اذ لا تستجرئ المرأة على رؤية عورة زوجها الا من اشتهاره في ذلك على أن في رواية ما رأت منه ولا رأى مني وروى أبو صالح عن ابن عباس قال قالت عائشة ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من نسائه الا مقنعا يرخي الثوب على رأسه وما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رأى مني أورده ابن الجوزي في كتاب الوفاء نقلا عن الخطيب وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن أحد ما يكره لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وعن عمرو بن العاصي أنه كان من حيائه ان لا يثبت بصره في وجه أحد وانه كان يكنى عما اضطره الكلام

(٣) قوله لا تكني هكذا باصلين بايدينا والمحفوظ في الحديث لا يكنى أي النبي صلى الله عليه وسلم اي صرح بالنيك ولم يكن به

لو بصق به وأتى عليه الصلاة والسلام بدلو من ماء زمزم فمج فيه أطيب من ريح المسك وفي المواهب وأتي بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صب في البئر وقال فح في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك رواه أحمد وابن ماجه قلت ويحتمل كلام الناظم وجها آخر وهو أن يكون شبه الشخص الذي كان علي شفا جرف بعين ماء ملح أجاج بجامع النفور منه وعدم الانتفاع به استعارة تصريحية مرشحة بذكر الماء وشبه انقاذ النبي صلى الله عليه وسلم بدعائه وهدايته وصرف عنان العناية اليه بمزج الماء الملح بما يصيره عذبا بجامع الاصلاح والانتفاع ولاخفاء أن رب حينئذ تتعين للتكثير وافراد هذا الكثير لاحد لها ولا حصر

(آه مما جنيت ان كان يغني
ألف من عظيم ذنب وهاء)

آه كلمة توجع وفي القاموس كلمة تقال عند الشكاية أو التوجع ومما جنيت أي جررت اليه من الذنوب العظام ان كان يغني أي يفيد ويجدي شيأ الف من عظيم ذنب من اضافة الصفة الى الموصوف وهاء أي مسماها وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة وفي الحديث الندم توبة أي معظم أركانها كالحج عرفات فالشرط في كلامه ليس علي بابه بل هو بمعنى اذ كما قيل به في قوله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين ويحتمل بقاؤه على معناه لان كلمة آه وان كانت تفيد التوبة لكن قبولها

ظنى أو أشار بذلك الى هضم نفسه وان توبته بمجرد لسانه فلا تنفعه بدليل البيت بعده

(ارتجى توبة نصوحا وفى القلب نفاق وفى اللسان رياء)

أى آمل بحسن ظنى بربى وهو موصل للخير مطلوب من العبد شرعا ففى الحديث القدسى انا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى الا خيرا وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى والتوبة الرجوع وفى الشرع الندم على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض آخر كاطلاع الناس عليه وصرف ماله فيه فلا يعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابسة فعلها من حيث الندم عليها لا لغرض آخر أيضا والعزم على ان لا يعود اليها ما عاش كذلك لا لنحو قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصي بترك ادائه فورا أو بأداء ما عصي باخذه ظلما الى مالكه أو وكيله أو وارثه هذا ان قدر والاعزم عزما جازما انه متى قدر على الخروج منه خرج منه بلا تأخير وهى واجبة من كل ذنب ولو صغيرا وتصح من ذنب دون ذنب ومن الذنب وان تكررت منه والنصوح بفتح النون هى التى لا يعود من حصلت منه الى الذنب أبدا لوقوعها خالصة من كل شائبة من شوائب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض آخر ولو كان أخرويا كالتوبة لدخول الجنة ولكن لا يؤثر ذلك فى صحتها

اليه مما يكره وقد تقدم فى حديث هند قوله خافض الطرف نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبدر من لقى بالسلام وقوله (قط) الظاهر انه متعلق بكلتا الروايتين فلا شك فى لفظة قط

باب
ما جاء فى جماعة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال المناوى وجه مناسبة هذا الباب للشمائل ان من أجلها التوكل وقضيته ان يكل حفظ بدنه اليه سبحانه ولا يتداوى بحجم ولا بغيره فأزال ذلك ببيان ان تدبير البدن مشروع غير مناف للتوكل لانه اسناد الامر اليه تعالى واعتقاد استغنائه فى التأثير عن السبب نعم تركه توكلا فضيلة ولا ينافيه فعل المصطفى وهو سيد المتوكلين لانه انما فعله للتشريع كما تقرر اه قلت استفيد من هذا الكلام فائدتان * احداهما ان التداوى غير مناف للتوكل وهو كذلك وقد تقدم فى باب صفة الورع انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل قال العسقلاني مال الطبرى قيل لا يستحق اسم التوكل الا من لم يخالط قلبه خوف شىء البتة حتى السبع الضارى ومن لا يسعى فى طلب الرزق ولا فى مداواة ألم والحق أن من وثق بالله وأيقن ان قضاءه عليه ماض لم يقدح فى توكله تعاطيه الاسباب اتباعا لسنته صلى الله عليه وسلم فقد ظاهر بين درعين ولبس المغفر واقعد الرماة على فم الشعب وخندق على المدينة وأذن فى الهجرة وهاجر وقال اعقلها وتوكل الى غير ذلك فأشار الى أن الاحتراز لا يدفع التوكل والله أعلم اه وأما حديث من استرقى واكتوى برئ من التوكل فقد تقدم تأويله قرب باب صفة الوضوء عند الطعام * الفائدة الثانية ان ترك التداوى فضيلة وان النبى عليه الصلاة والسلام انما تداوى تشريعا ورفقا بالامة وتنزلا لدرجة الضعفاء لانه فى محل الاقتداء وأهل الاقتداء انما يسيرون بسير الضعفاء وعلى هذا فيكون وجه ذكر هذا الباب فى شمائله صلى الله عليه وسلم بيان أن الحجامة ليست من باب التوغل فى الاسباب القادحة فى التوكل وعلى تسليم ان ترك التداوى فضيلة فانما ذلك فى حق غير النبى صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام انما تداوى تسهيلا على الامة وتنزيلا لدرجة الضعفاء لانه كان رفيقا رحيما بأمته وتذكر هنا قول عمر رضى الله عنه والله ما أكلت ولا شربت ولا نكحت الا لنا يدلك على انه صلى الله عليه وسلم انما تعاطى الاسباب لاجل أمته وهذا أحد القولين والقول الآخر ان التداوى بالاسترقاء وغيره أفضل من الترك ولذلك ورد الامر به وقد ترجم البخارى بعد ذكره أبوابا فى الرقية باب من لم يرق وأورد حديث السبعين ألفا وفيهم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون قال العسقلانى تمسك بهذا الحديث من كره الرقى والكى وزعم انهما قادحان فى التوكل وأجيب باجوبة أحدها انه محمول على من جانب اعتقاد الطبائعيين أو الرقى التى لا تحل مما هو من كلام الجاهلية أو الذى لا يعقل معناه بخلاف الرقى بالذكر ونحوه وتعقبه عياض وغيره بان الحديث دل على مزية هؤلاء على غيرهم والذى يعتقد تأثير الادوية بطبعها أو يستعمل رقى الجاهلية ليس مسلما وثانيها ان المراد من يجتنب ذلك فى الصحة خشية وقوع الداء وأما من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء فلا وهو معترض بما ثبت من الاستعاذة قبل وقوع الداء وثالثها أن المراد ان هؤلاء ممن غفل عن أحوال الدنيا ومافيها من الاسباب المعدة لدفع العوارض فهم لا يعرفون الاكتواء ولا الاسترقاء وليس لهم ملجأ لما يعتريهم الا الدعاء والاعتصام بالله والرضا بقضائه فهم غافلون عن طب الاطباء ورقى الرقاة ورابعها ان المراد بترك

الرقى والكى الاعتماد على الله فى دفع الداء والرضا بقدره لا القدح فى جواز ذلك لثبوته فى الاحاديث الصحيحة وعن السلف الصالح لكن مقام الرضا والتسليم أعلى من تعاطى الاسباب ولا يرد على هذا وقوع ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم فعلا وأمرا لانه كان فى أعلى مقامات العرفان ودرجات التوكل وكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز ومع ذلك فلا ينقص ذلك من توكله لكماله فلا يؤثر فيه تعاطى الاسباب شيأ بخلاف غيره اه وهذا الجواب الاخير هو الذى أشار له المناوى بما تقدم والله أعلم ثم نقل العسقلانى كلام الطبرى المتقدم الدال على ان تعاطى الاسباب لا يكون قادحا فى التوكل مطلقا بل فى حق من يكون مستندا اليها فتأمل ذلك فقوله لا يرقون ولا يكتوون أى لا يعتمدون على ذلك وهذا هو الظاهر فليس التداوى مرجوحا وقد ذكر فى الاحياء ان تعطيل الاسباب التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قادح فى التوكل وان ترك من ترك التداوى من السلف ليس لان الترك أفضل بل لانه علم اقتراب أجله بمكاشفة او برؤيا صادقة او لانه رأى علة مزمنة او لانه اعتقد عدم نفع الادوية لعدم تجربته ذلك وغلبة الظن بنفعها انما هو بالتجربة ولذلك كان الاطباء اقوى الناس ظنا بنفعها اولينال اجر المرض وقد جاء فى ثوابه كثير او لانه خاف آفة الصحة وذكر لكل واحد من هذه التأويلات مناسبات من الحكايات وقد قال فى الاحياء ايضاً بعد ان قسم العلوم المحمودة وذكر ان علم الطب والحساب من فروض الكفاية مانصه لا تعجب من كون هذين من فروض الكفاية فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفاية حتى الحجامة لو خلا البلد من حجام لسارع الهلاك اليهم وخرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وارشد الى استعماله وأعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله اه واعلم ان أهل الرضا رضى الله عنهم تارة يعطيهم الحق من المعرفة والتعظيم مايغيبون به عن البلوى ولا يحسون بها وتارة يعطيهم مع الاحساس بها من السرور بموافقة ارادة مولاهم مايتلاشى الالم فى جنبه فيكون الجسم متوجعا فى قبضة المصائب أسيرا والقلب عند الله فرحا بحلول البلاء مسرورا فهم فى نعيم معجل لزوال الضيق والحرج من قلوبهم بمشاهدة الافعال من محبوبهم فهؤلاء الصنف قلوبهم عند الله لا عندهم ولو كانت قلوبهم عندهم ماحملوا البلوى ولا قطعوا الشكوى ولا وجدوا لذة ارادة المولى أوحى الله تعالى الى ايوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام اني مبتليك فقال يارب اين يكون قلبى قال عندى قال يارب صب على البلاء صبا فلما بلغ البلاء منتهاه أوحى الله اليه اني معافيك فقال يارب اين يكون قلبى قال عندك قال مسنى الضر وأنت ارحم الراحمين ولله در القائل

الوصل ان سكن الجحيم تحولت * نار الجحيم على العبيد نعيما
والهجر ان سكن الجنان تحولت * دار النعيم على العبيد جحيما

ومما ينسب لابى بكر الصديق رضى الله عنه لما كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار فى طريق هجرته

لو ضمنى بيت نمل والحبيب معى * لكان ذلك لى ظل وبستان
وأطيب الارض ما للقلب فيه هوى * سم الخياط مع الاحباب ميدان

وقال الكسائى للمبرد يا أبا العباس شبر أرض يسع متحابين والفلاة كلها لا تسع متباغضين وأنشد

رحب الفلاة مع الاعداء ضيقة * سم الخياط مع الاحباب ميدان

(حدثنا على بن حجر نا اسمعيل بن جعفر عن حميد قال سئل أنس بن مالك عن كسب الحجام فقال أنس احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم حجمه ابوطيبة) اسمه نافع على الصحيح فقد روى

بل فى كلها لانها مشوبة بغرض نفسى بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة وأخرج مسلم عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قوله وفى القلب نفاق أى من حيث العمل باعتبار انه قد يظهر خلاف مايبطن اى يفعل خلاف مايقول لا من حيث الاعتقاد لانه انما يصدر ممن آمن بلسانه فقط وفى اللسان رياء أى نظر للخلق باعتبار ان مايصدر منه قد يكون فيه شوب نظرا الى طلب رفق أو ثناء من مخلوق وذلك لا يوجب ترك التوبة والاستغفار رجاء القبول ولذا قالت رابعة استغفارنا يحتاج الى استغفار

(ومتى يستقيم قلبى وللجسم اعوجاج من كبرتي وانحناء)

متى استفهام تعجب ويستقيم أى يعتدل حتى لا يميل عن الله تعالى الى غيره من أهل أومال اوجاه اوغير ذلك والكبرة بفتح الكاف اى كبر سنى من كبر بالكسر اى أسن وانحناء أى لقامتى وهو من عطف المرادف أو الاخص على الاعم لان الاعوجاج يعم الاعضاء

كلها والاخناء يختص بالقامة وهو تقوس الظهر وذلك وقت غلظ القلب وعدم قبوله للخروج عما ألفه من اللهو والغفلة فتبعد استقامته بخلاف أيام الشباب فان العود رطب يؤثر فيه أدني وعظ ويزجره أقل زاجر وربما كان الاعوجاج الخارجي عنوان القلب والدين شباب كما قيل لان الكبر تضعف معه الاعمال وتثقل الحركات

(كنت في نومة الشباب فاستيقظت الا ولمتى شمطاء)

نومة الشباب غفلته والشباب مدار المعاصي والهفوات أي فما انتبهت من ذلك واستحكمت من نفسي حتى تأخرت توبتي وبعدت استقامة قلبي وصرت كالنائم المستغرق الذي لا يفيق الا بمحرك قوي فما استيقظت من تلك النومة الا وشعر رأسي مختلط السواد بالبياض وفي القاموس اللمة بالكسر الشعر المجاوز شحمة الاذن أي ماتنبهت حتى أدركني الشيب والمرتكب للمعاصي الى ان أدركه الشمط يعسر عليه الرجوع والتوبة فوراً لان قلبه قسا وصلب فلا يتقوم اعوجاجه الا بعد اليأس ويؤيد ذلك الحديث ان قيل لك ان جبلا تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق يروى ان رجلا نظر الى مرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك سيدي

احمد وابن السكن والطبراني من طريق محيصة بن مسعود انه كان له غلام حجام يقال له نافع ابو طيبة فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن خراجه الحديث وحكى ابن عبد البر في اسم أبي طيبة انه دينار ووهموه في ذلك لان دينارا الحجام تابعي روى عن ابي طيبة انظر العسقلاني وقال العسكري الصحيح انه لا يعرف اسمه وذكر ابن الحداد في رجال الموطا انه عاش مائة وثلاثا وأربعين سنة وذكر الكرماني والنووي انه عبد لبني بياضة وهو وهم بل هو لبني حارثة مولاه محيصة بن مسعود الانصاري كما تقدم والذي كان مولى لبني بياضة آخر يقال له ابو هند (فأمر له بصاعين من طعام) في رواية البخاري وأعطاه صاعين من طعام وفي رواية من طريق شعبة عن حميد بلفظ أمر له بصاع او صاعين او مدأو مدين قال العسقلاني الشك من شعبة ومن طريق مالك عن حميد بلفظ فامر له بصاع من تمر من غير شك وفيها تعيين الطعام والصاع مكيال يسع أربعة امداد بمده صلى الله عليه وسلم قال الداودي معياره الذي لا يختلف أربع حفنات بكف الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما اذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي صلى الله عليه وسلم قال صاحب القاموس وجربت ذلك فوجدته صحيحا (وكلم أهله) أي مواليه كما في البخاري (فوضعوا عنه) وفي رواية للبخاري وأمر اهله ان يخففوا (من خراجه) هو ما يوظف على المملوك كل يوم وسيأتي في رواية المصنف ان مقداره كان ثلاثة آصع (وقال ان أفضل ماتداويتم به الحجامة او ان من امثل دوائكم الحجامة) في العبارة الاولى مبالغة ليست في الثانية والشك من الراوي قال القسطلاني واظنه اسمعيل بن جعفر فان البخاري أخرجه من طريق عبد الله بن المبارك عن حميد عن أنس بلفظ ان امثل ماتداويتم به الحجامة واخرجه النسائي من طريق زياد بن سعد عن حميد عن أنس بن مالك بلفظ خير ماتداويتم به الحجامة ومن طريق معتمر عن حميد بلفظ أفضل من غير شك ثم اعلم ان الاصل في الاحكام الشرعية العموم حتى يدل دليل على الخصوص وفي الاحكام العلاجية الخصوص حتى يدل دليل على العموم فالخطاب هنا للشاب من أهل الحرمين كل دموي بقطر حار كالحجاز لان دماءهم رقيقة وتميل الى ظاهر الابدان لجذب الحرارة الخارجة لها الى سطح البدن للمناسبة التي بين مزاجها ومزاج الهواء المحيط بالبدن فتمس الحاجة الى الحجامة لانها تجتذب الدم من ظاهر البدن فحسب ولا تمس الحاجة الى الفصد لانه يجتذب الدم من أعماق العروق وبواطن الاعضاء وانما تمس الحاجة اليه في البلاد الباردة لان الحرارة تميل فيها من ظاهر البدن الى باطنه هربا من ضدها الذي هو برودة الهواء ولهذا لم يخاطبهم صلى الله عليه وسلم بالفصد مع انه ركن عظيم في حفظ الصحة أيضا ويفهم مما ذكرنا ان الخطاب لغير الشيوخ لقلة الحرارة في أبدانهم وكان ابن عوف يقول اذا بلغ الرجل أربعين لا يحتجم أي لانه في انتقاص من عمره فحجامته وهن علي وهن الا أن يتبيغ به الدم حتى يكون ضرر الترك أشد من ضرر الاخراج قال ابن حجر وفيه جواز كسب الحجام وتناوله للحر والعبد والحجامة نفسها والتكسب بها وانها من أفضل الادوية وجواز التداوي بل استحبابه بالحجامة وجواز أخذ الاجرة على المعالجة بالطب واعطائها ومخارجة الرقيق بان يقول سيده أعطني من كسبك كذا ولك الباقي فيقول رضيت والشفاعة الى صاحب حق من دين أو غيره بالتخفيف منه اه وذهب أحمد الى الفرق بين الحر والعبد فكره للحر الاحتراف بها وحرم عليه الانفاق على نفسه منها وجوز له الانفاق على الرقيق والدواب وأباح للعبد مطلقا وحجته حديث محيصة انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجامة فنهاه فذكر له الحاجة فقال له اعلفه نواضحك أخرجه

مالك وأحمد وأصحاب السنن ورجاله ثقات والجمهور القائلون بالجواز مطلقا حملوا حديث النهى على التنزيه لما في الحجامة من مباشرة النجاسة ويطرد ذلك فى كل مايشبهها ففيه الحث على معالى الامور والتنزه عن دنيء الاكتساب ومن العلماء من ادعى النسخ وانه كان حراما ثم أبيح وجنح الى ذلك الطحاوى انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا عمرو بن على نا أبو داود نا ورقاء بن عمر عن عبد الاعلى عن أبى جميلة عن على ان النبى صلى الله عليه وسلم احتجم وأمر بي ان أعطى الحجام أجره) هـذا أصرح فى اباحة أخذ الاجرة من حديث أنس المتقدم قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق الهمداني نا عبدة عن سفيان الثورى عن جابر عن الشعبى عن ابن عباس قال) فى نسخة أظنه قال (ان النبى صلى الله عليه وسلم احتجم فى الاخدعين) هما عرقان فى جانبى العنق (وبين الكتفين) هو الكاهل الآتى فى الرواية بعد وقد روى ابن ماجه عن على كرم الله وجهه قال نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بحجامة الاخدعين والكاهل قال الاطباء الحجامة على الاخدعين تنفع من أمراض الرأس والوجه والاذنين والعينين والاسنان والانف وعلى الكاهل تنفع من وجع المنكب والحلق وروى أبو داود انه صلى الله عليه وسلم لما أكل من الشاة التى سمتها اليهودية بخيبر احتجم على كاهله لينجذب السم الذى حصل فى البدن وقصد القلب الذى هو مركز الحياة الى ضد الجهة التى مال السم اليها بامتصاص الحاجم له واخراجه من البدن باسهل طريق يمكن فى ذلك الوقت لكن لم تخرج المادة كلها به لما أراده الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بالشهادتين التى ودها صلى الله عليه وسلم (وأعطى الحجام أجره ولو كان حراما لم يعطه) كذا فى الصحيحين أيضا * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق نا عبدة عن ابن أبي ليلى عن نافع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا حجاما) هو أبو طيبة (فحجمه وسأله كم خراجك فقال ثلاثة آصع) صح فى رواية أن خراجه صاعان وجمع بانه صاعان وشيء فمن قال صاعان ألغى الكسر ومن قال ثلاثة جبر انظر ابن حجر والعسقلاني (فوضع عنه صاعا وأعطاه أجره) * قال المصنف (حدثنا عبد القدوس بن محمد العطار البصرى نا عمرو بن عاصم نا همام وجرير بن حازم قالا نا قتادة عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين والكاهل وكان يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين) أى فى هذه الايام من الشهر أخرج أبو داود من حديث أبى هريرة مرفوعا من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كان شفاء من كل داء سببه غلبة الدم قال الاطباء وانما اختيرت هذه الاوقات لهيجان الدم فى الربع الثالث من الشهر لان الدم فى أوله وآخره يسكن وفى وسطه وبعده يكون فى نهاية التزايد والقوة وقد ورد النهى عنها يوم الاربعاء والجمعة والسبت واختلفت الرواية فى يوم الثلاثاء كما فى ابن حجر ففى حديث احتجموا يوم الاثنين والثلاثاء فانه اليوم الذى عافى الله فيه أيوب من البلاء وفي حديث ان يوم الثلاثاء يوم الدم وفيه ساعة لا يرقأ فيها الدم وجمع شيخنا المحقق سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى كان الله تعالى له بان الاول محمول على ما اذا وافق سابع عشر الشهر والثاني محمول على غير ذلك قال ويؤيد هذا التخصيص ما أخرجه ابن سعد والبيهقى من حديث معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجامة يوم الثلاثاء لسبعة عشر مضت من الشهر دواء لداء السنة ثم نقل عن ابن رسلان والعلقمى والطيبى ما يوافق ذلك فانظره قال الشيخ زروق رحمه الله وتتقى الايام التى يذكر فيها شيء الا لقوة ايمان أو خوف ضلال جاهل كما فعل مالك ويحكى ان بعض العلماء احتجم يوم الاربعاء فأصابه مرض فرأى النبى صلى الله

تقبلنى فسمع صوتا يقول أحببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فاهملناك فان رجعت الينا قبلناك

(وتماديت اقتفى أثر القوم فطالت مسافة واقتفاء)

أى أخذت من تمادى على شيء اذا استمر عليه وأثر بفتح الهمزة والمثلثة أى أتتبع بقية سيرة السلف الصالح وفى القاموس الأثر محركة بقية الشيء والجمع آثار وأثور وطالت مسافة أى بعد عن اللحاق بهم قال فى القاموس والمساف والمسافة والسيف بالكسر البعد لان الدليل اذا كان فى فلاة شم ترابها ليعلم أعلي قصد هو أم لا فكثر الاستعمال حتى سموا البعد مسافة انتهى وهى فى عرف الناس القطعة من الارض محدودة وغير محدودة قوله واقتفاء أى وطال اتباعى لاثرهم لطول ما بينى وبينهم من ذلك ففازوا هم بالوصول لمرادهم واتصلوا بمحبوبهم وبقيت أنا فى مهامه الحسرة ومفاوز الندامة

(فوراء السائرين وهو امامي سبل وعرة وأرض عراء)

أصل وراء المد وقصره ضرورة والسائرين جمع سائر أى صرت خلفهم ووقع عند ابن حجر فوراء السارين بمد وراء والسارين جمع سار وهو المماشي ليلا من أسرى وهو سير الليل قال وعدل اليه عن ورائهم الذى هو القياس ليفيد انهم أحيوا ليلهم بالعبادة وامتازوا فيه بلذيذ المناجاة قوله

عليه وسلم فى منامه فشكاليه مابه فقال أماسمعت من احتجم يوم السبت أومن احتجم يوم الاربعاء فأصابه مرض لايلومن الانفسه قال نعم لكنه لم يصح قال أمايكفيك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغزالى فينبغى ان يعمل بمثل هذا ولاينظر فى الصحة الافى باب الاحكام ونحوها اه قال ابن حجر وأفضل الايام لها يوم الاثنين اذا وافق يوم السابع عشر أوالتاسع عشر أو الحادى والعشرين اه وأفضل أوقاتها فى النهار كما قال ابن سينا الساعة الثانية أو الثالثة وان لاتقع عقب استفراغ من حمام أوجماع أوغيرهما ولاعقب شبع ولاجوع قال ابن القيم ومحل اختيار الاوقات المذكورة مااذا أريد بها حفظ الصحة ودوام السلامة فان كانت لمداواة مرض وجب استعمالها وقت الحاجة * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور ناعبد الرازق عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم بملل) بفتح الميم واللام الاولى موضع بين مكة والمدينة على سبعة عشر ميلا من المدينة على ماذكره صاحب النهاية (على ظهر القدم) فيه حل الحجامة للمحرم فى موضع لايحتاج فيه الى حلق الشعر ومذهب مالك كراهته الا لضرورة وفى حديث البخارى عن ابن عباس وابن بحينة ان النبى صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم فى وسط رأسه بماء يقال له لحى جمل وظاهره التعارض فى مكان الاحتجام وفى محله أيضا من البدن ويمكن الجمع بالحمل على التعدد وجزم بعضهم بان الحجامة التى وقعت فى وسط الرأس كانت فى حجة الوادع ويمكن ان تكون التى فى ظهر القدم وقعت فيها أيضا ويمكن أن تكون فى آخر عمره والله أعلم انظر جمع الوسائل والحجامة على ظهر القدم تنفع من قروح الفخذين والساقين وانقطاع الطمث والحكة العارضة فى الانثيين قال ابن حجر وفى خبر ضعيف جدا الحجامة فى الرأس تنفع من سبع الجنون والجذام والبرص والنعاس والصداع ووجع الرأس والعينين وروى فى الحجامة فى المحل الذى اذا استلقى الانسان أصابته الارض من رأسه انه صلى الله عليه وسلم قال انها شفاء من اثنين وسبعين داء وفى رواية لابى نعيم الاصبهانى مرفوعة انها فيها شفاء من خمسة أدواء وذكر منها الجذام وقال ابن شيبان الحجامة فيها تورث النسيان حقا ونقله حديثا ولفظه مؤخر الدماغ موضع الحفظ وتضعفه الحجامة قال غيره ان ثبت هذا الحديث فهى انما تضعفه اذا كانت لغير ضرورة اما لها لغلبة الدم فانها نافعة طبا وشرعا فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه احتجم فى عدة أماكن من قفاه وغيره بحسب مادعت ضرورته اليه اه وروى أبو داود انه صلى الله عليه وسلم احتجم فى وركه من وثي كان به فتحصل مما تقدم انه صلى الله عليه وسلم احتجم فى الاخدعين والكاهل وعلى ظهر القدم وفى رأسه وفى وركه

باب
ماجاء فى أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

انما ذكرها والله أعلم فى كتاب الشمائل لدلالتها على ماله صلى الله عليه وسلم من المزايا والفضائل كما سيتبين ذلك ان شاء الله عند الكلام عليها والمراد بها الفاظ تطلق عليه صلى الله عليه وسلم الا ان منها ماهو علم وماهو صفة (حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى وغير واحد قالوا ناسفيان عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى أسماء) أى كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى واقتصر فى الحديث على خمسة منها اما لكونها أشهر من غيرها أولكونها المذكورة فى الكتب الماضية أولغير ذلك فلامفهوم للعدد فى رواية البخارى لى خمسة أسماء بدليل ان المصنف ذكر تسعة أسماء وبدليل رواية لى فى القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمزمل والمدثر وعبد الله ورواية أبى نعيم فى الدلائل من

عدة

وهو أمامى أى ذلك الوراء امامي فهو جملة معترضة بين المبتدا وهو سبل والخبر وهو فور السائرين للتصريح بما علم من قوله اقتفى الخ انه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه وبينهم موانع أيضا وهي سبل جمع سبيل أى طرق وعرة أى صعبة يشق سلوكها لان أولئك القوم كلفوا نفوسهم من الاعمال والتخلق بمكارم الاخلاق ماأوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قام به أولئك وأرض عراء بفتح العين المهملة أى فضاء واسعة

(حمد المدلجون غب سرام
وكفى من تخلف الابطاء)

يعنى السائرين الذين سار واليلهم وغب سرام أى عاقبته اى حمدوا عاقبة ذلك من الفوز برضا الله تعالى وقربه والاطلاع على معرفة حقيقته والتمتع بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى والمراد هنا بالحمد الرضا لان الحمد بمعنى الثناء الحسن لايتعلق الا بالفعل الاختياري وكفى من تخلف عنهم الابطاء أى التأخر المفوت لادراك منازلهم

(رحلة لم يزل يفندني الصيـ
ـف اذا مانويتها والشتاء)

يعنى تماديه فى اقتفاء أثر القوم لعله يلحق بهم هى رحلة لم يزل يفندنى اى يكذبنى الصيف اذا مانويتها أى قصدتها وعزمت عليها والشتاء يفندنى كذلك والصيف

عدة طرق عن أبي موسى وغيره سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء منها ما حفظنا ومنها مالم نحفظ وأنهاها بعض الى أربعمائة وقد نقل أبو بكر بن العربي في كتاب الاحوذي في شرح جامع الترمذي عن بعضهم ان لله تعالى ألف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم وأكثرها من قبيل الصفات وصفاته صلى الله عليه وسلم كثيرة وكل وصف يجوز ان يشتق له منه اسم (نا محمد) هو علم منقول من اسم مفعول الفعل المضعف ومعناه من كثرت محامده فيحمد حمدا بعد حمد وهو أبلغ من محمود لانه من الثلاثي سمي بذلك ليطابق اسمه صفته لان ذاته محمودة على ألسنة العوالم من كل الوجوه حقيقة وأوصافا وخلقا وخلقا وأعمالا وأحوالا وعلوما وأحكاما محمود في الارض وفي السماء وفي الدنيا والآخرة في الدنيا بما نفع به من العلم والحكمة وفي الآخرة بالشفاعة (وأنا أحمد) قال السهيلي وتبعه صاحب الشفاء وغيره معناه أحمد الحامدين لربه لانه على ما ثبت في الصحيح يفتح عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ويخص بالمقام المحمود اه فهو أكثر الناس حمدا وما حمد حامد الا بواسطته صلى الله عليه وسلم اذ هو نبي الجميع فهو الحامد لله تعالى على الاطلاق وبالتحقيق فهو أفعل بمعنى الفاعل كما علم فاسمه محمد يفيد المبالغة في المحمودية واسمه احمد يفيد المبالغة في الحامدية واما احتمال انه بمعنى مفعول كاشهر أي أحد المحمودين ففيه تكرار لانه حينئذ بمعنى محمد قال في جمع الوسائل ولعله قدم محمد في الحديث لكونه أشهر من أحمد بل ورد عند أبي نعيم أنه سمي بهذا الاسم قبل ان يخلق الخلق بالف عام وعن كعب ان اسم محمد مكتوب على ساق العرش وفي السموات السبع وفي قصور الجنة وغرفها وعلى نحور الحور وعلى ورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى واطراف الحجب وبين أعين الملائكة اه وبالجملة فلهذين الاسمين الكريمين مزية على سائر أسمائه صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر فينبغي تحري التسمية بهما في خبر أبي نعيم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاعذبت أحدا تسمى باسمك في النار ووردا في آليت على نفسي لا يدخل النار من اسمه محمد ولا أحمد وروى الديلمي عن علي ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرة أو مرتين (وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) قال ابن حجر أي من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب وغيرها مما روى له صلى الله عليه وسلم ووعد أنه يبلغه ملك أمته أو المراد أن يمحوه بمعنى يدحضه ويظهر عليه بالحجة والغلبة قال تعالى ليظهره على الدين كله أي فيكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة أو أنه يمحو سيآت من اتبعه أي آمن به فيمحو عنه ذنب كفره وسائر ما عمله فيه قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يهدم ما قبله وخص صلى الله عليه وسلم بهذا لانه لم يمح الكفر باحد مثل ما محي به صلى الله عليه وسلم اذ بعث وقد عم الكفر الارض وأكثرهم لا يعرفون ربا ولا معادا بل منهم من يعبد الحجر أو الكوكب أو النار فمحي ذلك صلى الله عليه وسلم فظهر دينه على كل دين وبلغ مبلغ الجديدين وسار مسير القمرين اه قلت انظر قوله في الوجه الاول وغيرها مما زوى له ووعد انه يبلغه ملك أمته مع سكنى الكفار في غير الحجاز مما بلغه ملك هذه الامة فلو اقتصر على أرض الحجاز لكان صوابا والله أعلم قال في جمع الوسائل أو المراد انه يمحو به الكفر لكن بالتدريج الى ان يضمحل في زمان عيسى بن مريم لانه يرفع الجزية ولا يقبل الا الاسلام وفيه نظر لان كفر يأجوج ومأجوج موجود حينئذ ويجاب بانه وجد في الجملة وأما عدم الاستمرار فامر آخر بل فيه ايماء الى أنه لما وصل الى الكمال يعقبه الزوال ولذا لا تقوم الساعة وفي الارض من يقول الله والله أعلم اه قلت قوله وجد

والشتاء زمنان معروفان يعني اذا جاء الشتاء نوى الى الصيف لأن الشتاء تكثر فيه الامطار ويشتد فيه البرد فيعسر السير واذا جاء الصيف قال أصبر الى الشتاء لان الصيف يشتد فيه الحر وتسترخي فيه الاعضاء ويقوى فيه العطش والشتاء تتيسر فيه الاعمال أكثر ولذا جاء في الحديث الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفي سنده مقال وورد مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة أما ليله فطويل للقائم وأما نهاره فقصير للصائم وورد لم ينزل عذاب قط من السماء على قوم الا عند انسلاخ الشتاء

(يتقي حر وجهي الحر والبر
د وقد عز من لظى الاتقاء)

أي يحذر حر وجهي بضم الحاء أي ما ظهر منه الحر بفتح الحاء والبرد حالتان معروفتان أي حر الصيف وبرد الشتاء فيجد في الدنيا كنا يحفظه منهما وهما من أسباب تأخره حتى فنده زمانهما وقد عز أي امتنع من لظى أي جهنم الاتقاء أي ما يصون الوجه منها في الآخرة لان من عمل أعمالها وعاقبه الله تعالى بها لا يمكنه التحفظ منها قال تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقال يوم تقلب وجوههم في النار

(ضقت ذرعا مما جنيت فيومي
قطرير وليلتي درعاء)

ذرعا بفتح الذال المعجمة أي ضاق ذرعي أي طوقي عن عمل ما الحقني

من الهم ولم يتسع له بسبب عصياني وتأخري فهو تمييز محول عن الفاعل وفي القاموس وضاق بالامر ذرعه وذراعه وضاق به ذرعا ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا وما موصولة أو مصدرية جنيت أي اكتسبت من الاثم وقطرير شديد ودرعاء بفتح الدال المهملة مظلمة كناية عن شدة مايلقى فيهما وفي القاموس وليلة درعاء يطلع فجرها عند الصبح وليال درع بالضم وكصرد للثلاث تلى البيض لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها

(وتذكرت رحمة الله فالبشر لوجهي أني انتحى تلقاء)

أي تذكرت سعة رحمة الله تعالى التي دال عليها قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وانها سبقت غضبه كما في الحديث الصحيح ان الله تعالى كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي أي ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب والعندية عندية الشرف والمكانة نخف على بذكرها ما أجد فالبشر لوجهي أي الفرح والسرور والطلاقة بسبب ذلك أني انتحى أي حيث توجه تلقاء بكسر المثناة الفوقية أي مقابل خبر للبشر ولوجهي متعلق به قال ابن حجر وهذا أولى من جعل الشارح له خبرا وتلقاء خبرا أيضا وفي القاموس لقيه كرضيه لقاء ولقاءة ولقاية ولقيا ولقيانا ولقيانة بكسرهن ولقيانا ولقيا ولقية ولقى بضمهن ولقاءة مفتوحة

في الجملة الخ يقتضي ان الكفر ينقطع من الارض في ذلك الوقت حتى من يأجوج ومأجوج ثم بعد ذلك يوجد ويعم الارض ويدل لذلك ما ورد في مسلم من انهم اذا خرجوا من كل حدب ينسلون يحصرون عيسى وأصحابه فيرغب نبي الله وأصحابه الي الله تعالى فيرسل عليهم لغف بفتح النون والغين المعجمة وهو الدود الذي يكون في أنوف الابل والغنم فيصيحون فرسى كموت نفس واحدة الحديث وفرسى كقتلي وزنا ومعنى (وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي) بتخفيف الياء على الافراد وتشديدها على التثنية اى بعد بعثتي او على أثري لانه أول من تنشق عنه الارض (وأنا العاقب) أي الذي جاء عقب الانبياء ولذلك فسره بقوله (والعاقب الذي ليس بعده نبي) قال العسقلاني ظاهره انه مدرج لكنه وقع في رواية سفيان بن عيينة عند المصنف في الجامع بلفظ الذي ليس بعدي نبي * قال المصنف (حدثنا محمد بن طريف الكوفي نا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي وائل عن حذيفة قال لقيت النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طريق المدينة) وفي بعض النسخ طرق جمع طريق (فقال أنا محمد وأنا أحمد وانا نبي الرحمة) اى الذي جاء بها لأن الله تعالى رحم به الخلق ولكثرة الرحمة وتضاعفها بسببه صلى الله عليه وسلم قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أي من المؤمنين والكافرين لان ما بعث به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم ولأمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ولانه صلى الله عليه وسلم أمر بالرحمة وحض عليها فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء الى غير ذلك فكانت الرحمة في هذه الأمة أكثر من غيرها من الأمم وبالجملة فقد ظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم من الرحمة ما لم يظهر على يد غيره (وأنا نبي التوبة) أي الذي جاء بها وحض عليها فظهرت على يديه أكثر مما ظهرت على يد غيره صلى الله عليه وسلم ويكفي هذا القدر في الاختصاص وأما قول من قال ان المعنى انه الذي جاء بالتوبة على هذا الوجه المقرر في محله بخلاف توبة الامم السالفة فانما كانت بقتل أنفسهم كما قال تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ففيه نظر لان الله تعالى شدد على قوم موسى حين عبدوا العجل فجعل من شرائط توبتهم قتل أنفسهم وهذا لا يدل على تخصيص التوبة على هذا الوجه المقرر عندنا بهذه الامة فانه مخالف لاقوال جميع الائمة وقضية الرجل الذي قتل مائة وتوبته معروفة مشهورة في الروايات الصحيحة وكذا توبة آدم وغيره انظر جمع الوسائل (وأنا المقفى) روى بصيغة اسم الفاعل أي التابع لغيره من الانبياء فكان آخرهم وقافية كل شيء آخره وقد تقدم أنه العاقب أو التابع آثار من سبقه من الانبياء كالتوحيد ومكارم الاخلاق كما قال تعالى فبهداهم اقتده وروى بصيغة اسم المفعول أي المقفى به فحذف حرف الصلة تخفيفا أي أنا الذي قفي بي على آثار الانبياء أي أرسلت الى الناس من بعدهم وختمت بي الرسالة وقد تقدم في الباب الاول في قول علي وهو خاتم النبيين ان في كونه خاتم النبيين مزايا كثيرة له ولامته صلى الله عليه وسلم وقد ورد ان أول ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شيء وهذا يدل على انه أصل الموجودات كلها وورد كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد أي ولا روح ولا جسد هكذا فسره المحققون وفي رواية كنت نبيا وآدم بين الماء والطين أي ولا ماء ولا طين وهذا ونحوه يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان سابقا من حيث الحقيقة على جميع الانبياء متأخرا من حيث الصورة وقد ورد ان آدم عليه السلام يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى فيقول يا ولدي ذاتي ووالد معناي وفي ذلك يقول ابن الفارض على لسانه صلى الله عليه وسلم

وانى وان كنت ابن آدم صورة * فلي فيه معنى شاهد بابوتي

وقد قرر غير واحد من السادة الذين تلقتهم الامة بالقبول ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الداعي بالاصالة وجميع الانبياء والرسل يدعون الخلق الى الحق عن تبعيته صلى الله عليه وسلم وانهم كانوا خلفاءه ونوابه في الدعوة وقد اشار الى ذلك القطب الشهير مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين في قوله اللهم صل على من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فاعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ولا شيء الا وهو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط (وأنا الحاشر ونبي الملاحم) جمع ملحمة من التلاحم وهو الاجتماع بعد الفرقة أو من الالتحام والاشتباك لانه بعث بالسيف قال الخطابي فان قيل كيف الجمع بين كونه نبي الرحمة ونبي الملاحم لاسيما مع قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ومع قوله صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة فالجواب ان بعثه صلى الله عليه وسلم بالسيف والحرب من وجوه الرحمة لان الله تعالى أيد رسله عليهم السلام بالمعجزات وجرت عادته تعالى في الامم السابقة انهم اذا كذبوا عوجلوا بالعذاب المستأصل اثر التكذيب واستؤني بهذه الامة ولم يعاجلوا بالعذاب المستأصل وأمر بجهادهم ليرتدعوا عن الكفر ولم يجاحوا بالسيف لان للسيف بقية وليس للعذاب المستأصل بقية ومن وجوه الرحمة ما صح انه صلى الله عليه وسلم جاءه ملك الجبال فقال ان شئت أطبقت عليهم الاخشبين فقال أرجو ان يخرج الله من أصلابهم من يوحده ولا يشرك به شيأ ومن وجوه الرحمة أيضا ان الله تعالى وضع عن أمته الاصر والاغلال التي كانت على الامم قبلها كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام ورحمتي وسعت كل شيء الآية * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا النضر بن شميل نا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه بمعناه هكذا) أي كما تقدم في حديث أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه (تتميم) لم يلم المصنف بشيء من كناه صلى الله عليه وسلم ومن كناه أبو ابراهيم وأبو الطاهر وأبو الطيب وابو الارامل وأبو المؤمنين وأشهر كناه أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

باب
ماجاء في عيش رسول الله ﷺ

تقدمت هذه الترجمة بعد باب اللباس وتقدم ان المقصود منها بيان خلقه صلى الله عليه وسلم في عيشه وانه كان يقتصر من ذلك على ما تدعو اليه ضرورة الحياة ويتخلى عن وجوه الترفعات زهدا في الدنيا ونعيمها وجريا على ما تقتضيه حالة العبودية واظهارا لحقارة الدنيا عند الله تعالى وليتأسى به الضعفاء لانه مقام التشريع والاقتداء فيزهدون في الدنيا لانها عدوة الدين ويقتدون به في تركها اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل القوي بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه بانه لو أخذها لاخذها أولاده اذا رأوها فهلكوا وتقدم انه انما كرر هذه الترجمة اهتماما بها لشدة الحاجة اليها فان غالب الناس يضيع عمره فيما يملأ بطنه من شهوات الدنيا ومستلذاتها أو لغير ذلك مما الله يعلمه (حدثنا قتيبة نا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين) ابن سيرين هذا تابعي جليل أدرك ثلاثين صحابيا مشهورا امام في علم التعبير وغيره أخرج حديثه الائمة الستة وهو مولى أنس كاتبه على عشرين ألفا فاداها وعتق وكان له أولاد ستة كلهم نجباء محدثون (قال كنا عند أبي هريرة رضي الله عنه وعليه ثوبان ممشقان) أي مصبوغان بالمشق بكسر فسكون وهو الطين الاحمر وقيل المغرة قاله ابن حجر وغيره (من كتان) بيان للثوبين (فتمخط في أحدهما) أي استنثر وطهر أنفه (فقال) أي أبو هريرة

رآه كتلقاه والتقاه والاسم التلقاء بالكسر ولا نظير له غير التبيان

(فالح الرجاء والخوف بالقلب وللخوف والرجا احفاء)

ألح أقام ولم يبرح. الرجاء ضد اليأس والخوف ضد الامن أي الفزع فهما فيه على حد سواء كما هو المطلوب من الانسان مادام صحيحا ولا يغلب الرجاء لئلا يغلب عليه داء الامن من المكر ولا الخوف لئلا يغلب عليه داء اليأس فان أحس مخايل الموت فليغلب الرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى أي يظن انه يغفر له ويرحمه قوله وللخوف والرجا قصره ضرورة احفاء اي الحاح على القلب اذا حلا فيه قال في القاموس احفى السؤال ردده وزيدا ألح عليه وبرح عليه في الالحاح انتهى والحاحهما على القلب في طلب مقتضاهما يؤدي الى منازعتهما اذ مقتضى الخوف انزعاج النفس وقلق شديد لما تتوقعه من المكروه أمامها ومن لازم ذلك الكف عن كل محرم ومشبه ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار سعة الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها بمحض كرمه (تنبيه) استفيد من كلام الناظم كغيره انه لابد من الجمع بين الخوف والرجاء في حق كل مؤمن كيفما كان وعلى أي حالة كان وقد وعد تعالى وأوعد وبذلك جاءت انبياؤه ورسله عليهم الصلاة والسلام واطردت سنته في خلقه قال تعالى

مايقال لك الاماقد قيل للرسل من قبلك الآية وقال نبئ عبادى الآية وقال وان ربك لذو مغفرة للناس الآية والاعمال وان كانت علامات بشهادة اعملوا فكل ميسر لما خلق الله الخ لكن العلامة قد تتخلف بدليل قوله فى صدر الحديث ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لايبقى بينها وبينه الاشبر أو ذراع فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وان العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لايبقى بينه وبينها الاشبر أوذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة قالوا يارسول الله اذن نتكل على كتابنا وندع العمل قال اعملوا وكل ميسر لما خلق له الحديث متفق على صحته والقسم الثاني هو الغالب لقوله غلبت رحمتى غضبى ثم من الناس من غلب عليه النظر الى الاعمال فتختلف عليه الاحوال تارة يغلب خوفه على رجائه وتارة بالعكس ومنهم من غلب عليه النظر الى الفضل والعدل فاستوى خوفه ورجاؤه لان اتصافه تعالى بصفات الجلال ليس باولى من اتصافه بصفات الجمال وبالعكس ومن هنا قيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وان المؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه وروي أن عليا رضي الله عنه قال لبعض ولده يابنى خف الله خوفا تري أنك لو أتيته بحسنات أهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله عزوجل رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الارض غفرها لك وقال عمر رضى الله عنه لو نادى

(بخ بخ) فى النهاية هى كلمة تقال عند الفرح والرضا بالشىء وتكرر للمبالغة وهى مبنية على السكون فان وصلت خفضت ونونت ورب ماشددت قال عياض وروى بالرفع واذا كررت فاختيار تحريك الاول واسكان الثانى ومن كسره ونونه فقد شبهه بالاصوات كصه ومه (يتمخط أبو هريرة فى الكتان لقد) أى والله لقد (رأيتنى) أى علمتنى (وانى لأخر فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجرة عائشة) اشارة الى موضع الاحباب والاصحاب أى كان يقعله فى موضع لايخفى فيه حاله على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (مغشيا على فيجىء الجائى فيضع رجله على عنقى يري ان بي جنونا) وكان من عادتهم ان يفعلوا ذلك بالمجنون حتى يفيق (وما بى جنون وماهو) أى ذلك الذى بى (الا الجوع) أى غشيه كان أبو هريرة من أهل الصفة وكانوا أضياف الاسلام لايأوون على أهل ولامال ولاعلى أحد اذا أتت النبى صلى الله عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيأ واذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها واشركهم فيها كما فى البخاري وكان النبى صلى الله عليه وسلم فى غاية الاهتمام بهم فلو كان عنده شىء ما حصل هذا لابي هريرة مع انه كان عريفهم اذا احتاج اليهم النبى صلى الله عليه وسلم دعاهم له وكانت يده مع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور معه حيثما دار وكان من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشافعى أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى عصره وقد كان ابن عمر يترحم عليه فى جنازته ويقول كان يحفظ على المسلمين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحضر مالا يحضر سائر المهاجرين والانصار لاشتغال المهاجرين بالتجارة والانصار بحوائطهم وقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم أبو هريرة وعاء العلم وقال للنبى صلى الله عليه وسلم انى قد سمعت منك حديثا كثيرا وانى أخشى أن أنسى قال ابسط رداءك قال فبسطته فغرف فيه بيده ثم قال ضمه فضممته فما نسيت شيأ بعد وفى البخارى أنه قال ما من أصحاب النبى أحد أكثر حديثا عنه منى الا ما كان من عبد الله بن عمر فانه كان يكتب ولا أكتب قال فى الاستيعاب قال البخارى روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ما بين صحابى وتابعى وممن روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن واثلة وحفظ من الحديث ما لم يحفظ غيره من الصحابة وذلك خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعين وسبعون حديثا فى الصحيحين منها ستمائة وتسعة أحاديث وفى صحيح البخارى عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فاما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع منى هذا البلعوم استعمله عمر على البحرين ثم عزله ثم أراده على العمل فابى عليه ولم يزل يسكن المدينة وبها كانت وفاته سنة ثمان وخمسين أو تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم لكل أمة حليم وحليم هذه الامة أبو هريرة ودعا النبى صلى الله عليه وسلم لامه بالاسلام فاسلمت ثم دعاله ولامه فقال اللهم حبب عبدك هذا وأمه الي عبادك المؤمنين وحبب اليهما المؤمنين قال أبو هريرة فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يرانى الا أحبنى وكان من علماء الصحابة وفضلائها ماشرا للعلم شديد التواضع والعبادة عارفا بنعم الله تعالى شاكرا لها مجتهدا فى العبادة كان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل ثلاثا يصلى هذا ثم يوقظ هذا وكان يقول نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجير السفرة بنت غزوان بطعام بطنى فكنت أخدم اذا نزلوا واحدا واذا ركبوا فزوجنيها الله فالحمد لله الذي جعل الدين قواما وقد اختلفوا فى اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا بلغ الى نمانية عشر قولا وأشبه مافيها أن يقال كان له فى الجاهلية اسمان عبد شمس وعبد عمرو وفى الاسلام عبد الله وعبد الرحمن بن صخر وقد اشتهر بكنيته حتى كانه ليس له اسم غيرها ويكنى بابي هريرة لانه وجد هرة صغيرة فحملها فى كمه فكنى بها وقيل ان

الذى كناه بذلك النبى صلى الله عليه وسلم حين رآه يحملها * قال المصنف (حدثنا قتيبه بن سعيد نا أبو الاحوص عن سماك بن حرب قال سمعت النعمان بن بشير يقول ألستم فى طعام وشراب ماشئتم لقد رأيت نبيكم صلي الله عليه وسلم ومايجد من الدقل مايملأ بطنه (سبق الكلام على هذا الحديث فى باب العيش المتقدم وفى باب صفة الادام * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق نا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ان كنا آل محمد نمكث شهرا مانستوقد بنار ان هو الا الماء والتمر) سبق الكلام أيضا علي هذا فى باب العيش المتقدم * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا جعفر بن سليمان الضبعى عن مالك بن دينار) هو تابعى مشهور من علماء البصرة فالحديث مرسل بل معضل لانه رواه عن الحسن البصرى وهو تابعى أيضا كما أخرجه أبو موسى المدينى وأصحاب الغريب (قال ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز قط ولا لحم الا علي ضفف) هل المراد انه ماشبع من أحدهما كما أفهمه توسط فط بينهما أو منهما معا الماورد عن أنس كما تقدم فى باب العيش انه لم يجتمع عنده غذاء ولا عشاء من خبز ولحم تردد قاله المناوى وابن حجر (قال مالك) أى ابن دينار (سألت رجلا من أهل البادية ما الضفف فقال ان يتناول مع الناس) هذا أحد معانيه كما سبق فى باب العيش المتقدم قال ابن حجر والاستثناء منقطع ووجهه ان أكله مع الناس يستلزم عدم الشبع لما علم من ايثاره صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله تعالى عنهم وجميل أحواله معهم وحمله بعضهم علي الاتصال فقال لم يشبع الا فى الضيافات والولائم اه قال المناوى هذه هفوة اذ لو قيل فى حق الواحد منا انه لا يشبع الا عند الناس لم يرتضه فما بالك بذلك الجناب الاعظم فالاولى أن يقال ما كان يشبع من ذلك الا اذا نزل به الضيوف فيتكلف لهم حينئذ تحصيل ماليس عنده ويؤانسهم بمؤاكلتهم فيشبع لضرورة الايناس والمجابرة اه قلت لعل مراد البعض انه صلى الله عليه وسلم اذا أكل فى ضيافة أو وليمة كان يجبر قلب رب الطعام بان يتناول منه أكثر مما يتناول من طعامه فى بيته فكان يشبع من طعام غيره رغبة فى ادخال السرور عليه وهذا وجه حسن لا بأس به وقد تقدم ان معنى الشبع فى حقه صلى الله عليه وسلم كما قال الاثير انما هو مايحمل جسمه ويحفظ حياته وصحته لا الامتلاء من الطعام والشبع المتعارف وفى الاكل على كثرة الايدى فوائد منها ان الانسان يأكل بالسنة لانه يأكل كثيرا اذا كان مع غيره ومنها كونه يؤثر غيره ببعض مايشتهيه من الطعام فيحصل له بذلك ادخال السرور علي أخيه المسلم ومنها التماس البركة من الحاضرين معه لما ورد من أكل مع مغفور له غفر له * (تنبيه) * يوجد فى بعض النسخ قبل قوله حدثنا قتيبة الخ حدثنا عبد الله بن أبي زياد نا سيار نا سهل بن اسلم عن زيد ثم قال نا قتيبة الخ والذى فى الباب المتقدم بعد قوله ثنا سهل بن أسلم عن يزيد بن أبي أنيس عن طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر الحديث فلعل ذكر هذا السند فى حديث ماشبع الخ سهو من الناسخ والله تعالى أعلم

باب
ماجاء فى سن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى مقدار عمره وسميت الجارحة سنا لانه يستدل بها علي مدة العمر قال فى المصباح والسن اذا عنيت بها العمر مؤنثة لانها بمعنى المدة (حدثنا أحمد بن منيع نا روح بن عبادة نا زكريا ابن اسحق نا عمرو بن دينار عن ابن عباس قال مكث) بضم الكاف وفتحها أى لبث (النبى صلى الله عليه وسلم بمكة) أى بعد البعثة (ثلاث عشرة) أى سنة (يوحى اليه) أى باعتبار

مناد كلكم فى الجنة الا واحدا لخفت أن أكون ذلك الواحد ولو نادى مناد كلكم فى النار الا واحدا لرجوت أن أكون ذلك الواحد

(صاح لا تأس ان ضعفت عن الطاعات واستأثرت بها الاقوياء ان لله رحمة وأحق الناس منه بالرحمة الضعفاء)

صاح أصله ياصاحبى وفيه نوع تجريد اذ الاصل يانفسي لا تأس من رحمة الله ان ضعفت عن الطاعات لضعف همتك وغلبة بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك عن أهوال القيامة واستأثرت أى انفردت واختصت بها الاقوياء بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى تدربت عليها فصارت عندها من ألذ مألوفاتها وأعظم مشتهياتها وقوله ان لله رحمة هذا كالتعليل للنهى السابق وتنكير رحمة للتعظيم أى لله رحمة عظيمة ادخرها لبعض عباده تعم القوى والضعيف والوضيع والشريف والضعفاء أحق الناس بتلك الرحمة والمراد بهم الذين لا يعولون على أعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لابد منه واخلاصهم لله تعالى فى عبادتهم فهم أقوى نية فى العبادة وأبعد عن الرياء فربما حصلت لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الاقوياء وفى الحديث القدسى أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى أى لان مطلوبهم رضائى ومعتقدهم أن لا عمل لهم وفى الحديث ان الله لا ينظر الى الصور

وانما ينظر الى الاعمال والقلوب أى لا الى الاعمال وحدها بل لما يصحبها مما فى القلوب من اخلاص وافتقار أوضدهما

(فابق فى العرج عند منقلب الذو دفى العود تسبق العرجاء)

هذا كالاستدلال على ان الضعيف قد يحصل له مالا يحصل للقوى بمثال ظاهر في الوجود والعرج جمع أعرج والمنقلب الرجوع والذود الجماعة من الابل أى فبسبب الاحقية المذكورة للضعفاء ابق فى الضعفاء المشبهين بالعرج عند منقلب الذود ففى العود تسبق العرجاء الى ربها فتفوز منه بمأمولها فتأخرها أوجب لها السبق فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات ربما اوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يصحبك من الذل والافتقار والاخلاص مايخلف تأخرك بخلاف المكثر فقد يصحبه من العجب والافتخار مايوجب تأخره ولذا قال تاج العارفين ابن عطاء الله رحمه الله رب معصية أورثتك ذلا وانكسارا خير من طاعة اورثتك عزا واستكبارا انظر شروحه

(لاتقل حاسدا لغيرك هذا أثمرت نخله ونخلى عفاء)

اى واذا تأخرت عن الطاعة لضعفك عنها فلازم الذلة والانكسار ولا تقل حالة كونك حاسدا لغيرك الذى اكثر منها اى متمنيا زوال التوفيق عنه هذا القوى بسبب قوته أثمرت نخله أى كثرت أعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة

مجموعها لان مدة فترة الوحى وهى سنتان ونصف من جملتها (وتوفى وهو ابن ثلاثة وستين) فى رواية لمسلم عن ابن عباس أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وبالمدينة عشرا ومات وهو ابن ثلاث وستين وفى البخاري عن عائشة وابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرا وفي مسلم أيضا عن ابن عباس أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيأ وثمان سنين يوحي اليه وأقام بالمدينة عشرا القرطبي يسمع أصوات الملائكة عليهم السلام والجمادات تسلم عليه تسلم عليه بالرسالة ويحتمل الضوء أنه نور الملائكة عليهم السلام ويحتمل انها أنوار تضيء بين يديه أوقات الظلمة يحجب عنها غيره اه وهذه هى الروايات المروية عن ابن عباس فى قدر اقامته بمكة بعد البعثة ولا خلاف أنه أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وبمكة قبل النبوة أربعين سنة وانما الخلاف فى قدر اقامته بمكة بعد النبوة فاما رواية المصنف ومثلها رواية مسلم الاولى فهي أصح الروايات وهى الموافقة لما رواه أكثر الرواة وأما الروايتان الاخيرتان عن ابن عباس فبينهما مخالفة من وجهين أحدهما فى مدة الاقامة بمكة عشرة أوخمس عشرة وثانيهما فى زمن الوحى عليه عشر سنين أو ثمان سنين كما ان بينهما وبين الرواية الاولى مخالفة في الامر أيضا وقد تقدم فى حديث أنس أول الكتاب التوفيق بين رواية أقام بمكة عشر سنين ورواية اقام بها ثلاث عشرة سنة وقد اختلفت الروايات أيضا في قدر عمره صلى الله عليه وسلم ففى هذه الرواية ثلاث وستون وهى اصحها وأشهرها وفى رواية ستون وفى رواية خمس وستون وقد سبق فى حديث أنس أول الكتاب التوفيق بينهما ولماذكر الابى هذه الروايات الثلاث قال قلت قال ابن العربى ليس هذا باختلاف فانه لم يختلف انه أقام أربعين سنة لا يوحى اليه ثم أقام خمسة أعوام ما بين رؤيا وفترة ثم حمى الوحى وتتابع عشرين سنة فمن عد مدة تتابع الوحي قال ستين ومن عدا الجملة قال خمسا وستين ومن أسقط عامى الفترة قال ثلاثا وستين اه بلفظه قلت تنزيل هذا الجمع على اختلاف الروايات فى قدر عمره صلى الله عليه وسلم لا يصح كما هو ظاهر بأدنى تأمل نعم يصح ان يجمع بذلك بين الروايات المختلفة فى قدر اقامته بمكة فمن قال ثمانية اعوام أسقط الخمسة أعوام التى بين الرؤيا والفترة وأسقط سنتى ابتداء الرؤيا وتمامها ومن قال خمسة عشر أضاف هذه السبعة للثمانية ومن قال عشرة أسقط الخمسة التى بين الرؤيا والفترة ومن قال ثلاثة عشر أضاف لها مدة الفترة فقط على انها أكثر من عامين وهذا الجمع يقتضى ان مدة عمره صلى الله عليه وسلم خمس وستون سنة والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا محمد بن جعفر عن شعبة عن أبى اسحق عن عامر بن سعد عن جرير عن معاوية انه سمعه يخطب قال مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين) تقدم ان هذه الرواية هى أصح الروايات وأشهرها وان غيرها محمول عليها (وأبو بكر وعمر) أى كذلك أو معطوف على رسول وقيل ان أبا بكر توفى وهو ابن تسع او ثمان أوست أواحدي وخمسين ولم يذكر عثمان رضى الله عنه وقد قيل انه قتل وهو ابن اثنين وثمانين وقيل ابن ثمان وثمانين سنة ولم يذكر عليا رضى الله عنه والاصح انه قتل وهو ابن ثلاث وستين وقيل ابن خمس وستين وقيل ابن سبعين وقيل ابن ثمان وخمسين على ماذكره صاحب المشكاة في أسماء الرجال (وأنا ابن ثلاث وستين) أى فانا متوقع ان أموت فى هذا السن موافقة لهم لكنه مات وهو ابن ثمان وسبعين سنة أو ابن ستة وثمانين وفيه ايماء الى أن هذا أحسن مدة العمر لما علم من ان الله تعالى لا يختار لنبيه الا ماهو الافضل * قال المصنف (حدثنا حسين بن مهدى البصرى نا عبد

الرزاق عن ابن جريج عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو ابن ثلاث وستين) فقد اتفقت رواية ابن عباس المتقدمة مع رواية معاوية وعائشة رضي الله عنهم على ان مقدار عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع ويعقوب بن ابراهيم الدورقي نا اسمعيل بن علية) هي أمه واسم أبيه ابراهيم وكان يكره هذه النسبة لكنه اشتهر بها (عن خالد الحذاء ني عمار مولى بني هاشم) كذا في بعض النسخ وكذا هو في جامع المصنف وهو الصواب وفي بعض النسخ عمارة مولى بني هاشم وهو سهو لانه لم يوجد في الرواة عن ابن عباس عمارة مولى بن هاشم ولا فيمن روى عنه خالد الحذاء عمارة مولى بني هاشم (قال سمعت ابن عباس يقول توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين) قال المناوي نسبت هذه الرواية للغلط وبفرض صحتها سبق تأويلها بأنه حسب سنتي المولد والوفاة قال العصام وانما يصح لو لم يفصل ابن عباس باربعين قبل الوحي وخمسة عشر بمكة وعشرة بالمدينة على ماذكره مسلم بن منهال اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن ابان) بالصرف وبدونه (قالا نا معاذ بن هشام نى أبي عن قتادة عن الحسن عن دغفل بن حنظلة أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين قال أبو عيسى) أي الترمذي (ودغفل لا نعرف له سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم وكان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا) أي لا صبيا فقط وفي هذا ميل الى القول بانه مخضرم وقيل ان له صحبة وانه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصاري نا معن نا مالك بن أنس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس بن مالك انه) أي ربيعة بن أبي عبد الرحمن (سمعه) أي أنسا (يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالابيض الامهق ولا بالآدم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) هذا هو الخبر السابق أول الكتاب بعينه الا ان الاسناد مختلف وتقدم الجمع بين الروايات المختلفة في مدة اقامته بمكة وفي مدة عمره صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا قتيبة) أي ابن سعيد (عن مالك بن أنس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس بن مالك نحوه) أي نحو الحديث قبله الا انه بالاسناد السابق أول الكتاب

باب
ماجاء في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر في هذه الترجمة بعض ماورد في مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته وأحواله عند لقاء الموت وسكراته وفي ذكر المؤمن لمصيبة الاولين والآخرين بوفاة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين مايهون عليه الموت ويحببه لديه ويزهده في الدنيا ومتعلقاتها وينغص لذاتها عليه فانه صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لامته حيا وميتا فان المؤمن اذا علم أن المولى سبحانه وتعالى اختار لاحب الخلق اليه الدار الآخرة فانه لامحالة يحب لنفسه ماأحبه الله لنبيه وقد ورد تحفة المؤمن الموت وورد الموت ريحانة المؤمن وورد الموت غنيمة المؤمن وورد الموت كفارة لكل مسلم حديث حسن صحيح كما في سراج المريدين وانظر بشرى الكئيب وأيضا فاذا توفي هو فلا مطمع لاحد في البقاء قال تعالى أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة واليناترجعون

وذكر الاثمار ترشيح وآثر التشبيه بالنخل لفضلها وخلقها من فضل طينة آدم ولذا قال صلى الله عليه وسلم أكرموا عماتكم النخل وللآدمي بها شبه حسي ومعنوي وقوله ونخلي عفاء بالفتح أي اعمالي كالتراب لاثمرة لها ولا اعتداد بها بسبب ضعفي لانك حينئذ تعترض على الحكيم في فعله ولذا كان الحسد حراما ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واحترز بقوله حاسدا مما اذا قال ذلك غبطة وهي أن تتمنى مثل ماللغير مع بقائه له وهو محمود كما تقدم

(وأت بالمستطاع من عمل البر رفقد يسقط الثمار الاتاء)

هذا كالتحذير من ان تتكل علي رجائك فقط من غير عمل بل لابد من العمل مع الرجاء امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ماستطعتم وهي مبينة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقيل ناسخة لها وقد فسرها صلى الله عليه وسلم بان يعبد فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر فقالوا أينا يطيق ذلك فنزلت الآية الاولى مبينة أو ناسخة مخففة قال معروف الكرخي رضي الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقوله فقد يسقط الثمار الاتاء أي قد ينتج القليل مالا ينتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص وانكسار كما انه يسقط الثمار الكثيرة النفيسة الاتاء أي النخل الصغار

اذا خلصت أرضه وزادريه وخصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك أنت قد تفوز بسبب ضعفك بالمعنى السابق مالم يفز به القوى الناظر الى قوته ونفسه ولا يخفى مافى كلامه من التخييل والتذييل وتفسير الاناء بالنخيل الصغار وقع في كلام الشارح والذى فى القاموس الاناء بالفوقية ككتاب مايخرج من الشجر والثمار والاناء كاناء بالمثلثة الحجارة وعلى هذا يمكن تنزيل كلام الناظم أى ان النخلة اذا طالت وصعب عليك رقيها قد يمكنك ان تسقط بعض ثمرها بضربة حجر

(ويحب النبي فابغ رضا الله
ففى حبه الرضا والحباء)

اعلم ان أفضل الاعمال وأسرعها انتاجا وأعظمها وسيلة هو مزيد محبة نبينا مولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فانها سبب لكل خير دنيوى وأخروى وحينئذ فعليك ان تكون ممن امتلأ قلبه بحب هذا النبي الكريم امتثالا لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وأهله وولده والناس أجمعين وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم نرى مؤمنا يخشع ومؤمنا لا يخشع فقال بم توجد أو بم تنال وتكتسب قال بصدق الحب فى الله قيل وبم يوجد حب الله أو يكتسب فقال بحب رسوله فالتمسوا رضا الله ورضا رسوله فى حبهما وفى صحيح

قال الحسن لو لا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت وانه مع ذلك لوثاب وأيضا فمن قويت محبته للنبي صلى الله عليه وسلم لا يصبر عنه ويتشوق الى الموت فى كل نفس طمعا فى الاجتماع به صلى الله عليه وسلم وذلك من أقوى الادلة على الصدق فى المحبة وقد قال سيدنا بلال رضي الله عنه عند موته واطرأباه غدا ألقى الاحبه محمدا وحزبه وفى الحديث الموت تحفة لكل مسلم وقال الربيع بن خيثم ما غائب ينتظره المؤمن خير من الموت ويرحم الله شيخنا المحدث الصوفى سيدى عبد السلام بن حمدون جسوس حيث يقول فى هذا المعنى

أيا أمة المختار ياخير أمة * تجافوا عن الدنيا وحنوا الى القرب
ألستم بدار لا ترون حبيبكم * وكيف يطيب العيش دون لقا الحب

ولغيره

يري الموت قوم فناء لهم * وفيه الحياة التى لا تغيب
فلا تكرهوا موتكم انه * فراق العدو ولقيا الحبيب

فهو باعتبار خروج المؤمن من سجن الدنيا تحفة وكرامة واعلم أن النبي صلي الله عليه وسلم لما حج وخطب باقتراب أجله وقال للناس خذوا عنى مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد هذا وجعل يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع ولما رجع الى المدينة جمع الناس فى الطريق وخطبهم وقال أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتينى رسول ربي فأجيبه ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته ولما وصل الي المدينة مكث قليلا ثم مرض بصداع وحمى فخرج وهو معصوب الرأس فصعد المنبر ثم قال كما رواه الشيخان ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ماشاء وبين ماعنده فاختار ماعنده فبكى أبو بكر رضى الله عنه وعرف أن نفسه يريد فقال نفديك بأنفسنا وأبنائنا فقال على رسلك يا أبا بكر ثم قال انظروا هذه الابواب اللاحقة بالمسجد فسدوها الا باب أبي بكر فانى لا أعلم أحدا كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه وأراد عمر فتح كوة لينظر الى النبي صلى الله عليه وسلم منها فمنعه من ذلك وقال عليه السلام للعباس ما فتحت عن أمرى ولا سددت عن أمرى وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوي الله وأوصي بكم الله انى لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا علي الله فى عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكاس الاوفي فاقرؤا على أنفسكم وعلي من دخل فى دينى بعدى منى السلام وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتى بعدي فأوحى الله جبريل أن بشر حبيبى أني لا أخذله فى أمته وبشره انه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا اجتمعوا وأن الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها أمته فقال الآن طابت نفسى وقرت عينى (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث وقتيبة بن سعيد وغير واحد قالوا نا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن أنس بن مالك قال آخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كشف الستارة) أى الحجاب (يوم الاثنين) ان كان يوم الاثنين بالرفع كما قيل كان خبرا عن قوله آخر باعتبار مضاف مقدر وقوله كشف الستارة حال بتقدير قد أو بدونها على ما جوزه بعضهم أى زمان آخر نظرة نظرتها اليه صلى الله عليه وسلم والحالة انه كشف الستارة أى رفعها يوم الاثنين وان كان منصوبا على الظرفية خبر المبتدا مستفاد من قوله كشف الستارة فانه سادمسد الخبر فكأنه قال آخر نظرة نظرتها اليه حين

كشف الستار يوم الاثنين (فنظرت الى وجهه كأنه ورقة مصحف) بتثليث الميم قال ابن حجر والاشهر الضم والتشبيه فى حسن البشرة وضياء الوجه وبياضه واستنارته (والناس خلف أبى بكر) فاراد الناس الخروج عن الاقتداء بأبى بكر رجاء أن يتم الصلاة بهم النبى صلى الله عليه وسلم أو أرادوا أن يعطوه الطريق ليصل اليهم (فاشار الى الناس أن اثبتوا) أى كونوا على ما أنتم عليه من الصلاة مع أبى بكر أو القيام في الصف وزاد قوله (وأبو بكر يؤمهم) اشارة الى أنه كان فى أثناء الصلاة (وألقى السجف) بفتح السين وكسرها كما فى القاموس زاد فى النهاية وقيل اذا كان مشقوق الوسط (وتوفى من آخر ذلك اليوم) رواية البخارى عن الزهرى قال أخبرني أنس أن أبا بكر كان يصلي لهم فى وجع النبى صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلاة فكشف النبى صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر الينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبى صلى الله عليه وسلم فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن النبى صلى الله عليه وسلم خارج الى الصلاة فأشار الينا النبى صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفى من يومه اه وليس في هذه الرواية ما ينافى ما جزم به أهل السيرة من أنه عليه السلام توفى حين اشتد الضحى بخلاف رواية المصنف لكن قال العسقلانى يجمع بينهما بأن اطلاق الآخر بمعنى ابتداء الدخول فى النصف الثاني من النهار وذلك عند الزوال واشتداد الضحى يقع قبل الزوال ويستمر حتى يتحقق زوال الشمس وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بانه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا ابى الاسود عن عروة فهذا يؤيد الجمع الذى أشرت اليه اه قال بعضهم ويمكن أن يجمع بينهما بان يحمل قوله وتوفى من آخر ذلك اليوم على تحقق وفاته عند الناس اه قال ابن سيد الناس فى عيون الاثر اختلف أهل العلم فى اليوم الذى توفي فيه بعد اتفاقهم على انه يوم الاثنين فى شهر ربيع الاول فذكر الواقدى وجمهور الناس انه الثانى عشر قال أبو الربيع بن سالم وهذا لا يصح وقد جرى فيه على العلماء من الغلط ما علينا بيانه وقد تقدمه السهيلى الى بيانه بأن حجة الوداع كانت وقفتها يوم الجمعة فلا يستقيم أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول سواء تمت الاشهر كلها أو نقصت كلها أو أتم بعضها ونقص بعضها وقال الطبرى يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول وقال أبو بكر الخوارزمي أول يوم منه وكلاهما تمكن اه وأجيب عن اشكال قول الجمهور بانه يحتمل اختلاف أهل مكة والمدينة فى رؤية هلال ذى الحجة بواسطة مانع من السحاب أو غيره أو بسبب اختلاف المطالع فتكون غرة ذى الحجة عند أهل مكة يوم الخميس وعند أهل المدينة يوم الجمعة وكان عرفة واقعا برؤية اهل مكة ولما رجع الى المدينة اعتبروا التاريخ برؤية أهل المدينة وكانت الشهور الثلاثة كوامل فيكون اول ربيع الاول يوم الخميس ويوم الاثنين الثاني عشر منه وقد صحح النووى اعتبار اختلاف المطالع عند الشافعية خلافا للعصام فى قوله انهم لا يعتبرونه انظر المناوي * قال المصنف (حدثنا حميد بن مسعدة البصرى نا سليم بن أخضر عن ابن عون عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت مسندة النبى صلى الله عليه وسلم الى صدرى أو قالت الى حجرى) بفتح الحاء ويكسر وهو ما دون الابط الى الكشح (فدعا بطست) التاء فيه بدل من السين ولهذا يجمع على طساس وطسوس ويصغر على طسيس اعتبارا باصله (ليبول فيه ثم مال) قال شارح في نسخة مال أى بالميم قال فى جمع الوسائل والظاهر انه تصحيف اه قلت فى البخارى ذكر عند عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصي الى على فقالت من قاله لقد رأيت البخارى عن أبى سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة ياأهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يارب أى شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا وهو قوله تعالى ورضوان من الله أكبر اه والحباء بكسر الحاء العطاء ولله در القائل ألا يا محب الخ(١)

(يانبى الهدى اغاثة ملهو
ف أضرت بحاله الحوباء)

هذا رجوع منه الى الضراعة واظهار ما به من التحسر والتحزن والاستغاثة لمن لا يخيب المستغيثين به والهدى يطلق على الدلالة على الله وهو عام ومنه وانك لتهدى الى صراط مستقيم ويطلق على الايصال اليه وهو خاص بالمؤمنين ولذا قال له انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وقوله اغاثة اما بالرفع خبر مبتدا محذوف أى مسئولى الاغاثة بان يخلص من شدة أو يخففها واما بالنصب مفعول مطلق أى أستغيث بك استغاثة ملهوف مضطرب متحسر محتاج الي من ينقذه من الهلاك من صفته انه أضرت بحاله الحوباء أى مسكنة ذنوبه

(يدعى الحب وهو يأمر بالسو
ء ومن لى أن تصدق الرغباء)

(١) قوله الا يا محب الخ لفظ البيت ألا يا محب المصطفى زد صبابة * وضمخ لسان الذكر أبا بطيبه اه من هامش الاصل

النبي صلى الله عليه وسلم وانى لمسندته الى صدرى فدعا بالطست فانخنث فمات فماشعرت فكيف أوصى الى علي اه ومعنى انخنث استرخت اعضاؤه (فمات) ظاهره انه مات فى حجرها ويوافقه رواية البخارى عنها توفى فى بيتى فى يومى وبين سحرى ونحرى وفى رواية بين حاقنتى وذاقنتى والسحر الرئة والنحر موضع القلادة من الصدر والحاقنة محل الحفرة التى في أسفل العنق والذاقنة الذقن * قال ابن حجر ولا يعارضه ماللحاكم وابن سعد من طرق ان رأسه المكرم كان فى حجر على رضى الله عنه لان كل طريق منها لا يخلو عن شيء قاله العسقلاني وبتقدير صحتها المراد انه كان فى حجره قبيل الوفاة اه وفيه حل الاستناد للزوجة والبول فى الطست ولو بحضرة الزوجة وفيه مزية عائشة رضى الله عنها على غيرها من أزواجه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا الليث عن ابن الهاد) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد (عن موسى بن سرجس عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالموت) أى مشغول وملتبس به (وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل) أى يغمس (يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء) لانه كان يغمى عليه من شدة الوجع ثم يفيق وفي البخارى الحمى من فيح جهنم فاطفؤها بالماء والخطاب لاهل الحجاز لان غالب حمياتهم حرارة عارضة بسبب حرارة القطر وليس كل حمي تعالج بالماء وفيه عن ابن مسعود قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت يارسول الله انك توعك وعكا شديدا قال أجل انى أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك بأن لك أجرين قال أجل ذلك كذلك مامن مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها الا كفر الله به سيآته كما تحط الشجرة ورقها والوعك الحمى أولمها أو ترعيدها للمريض وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت مارأيت أحدا الوجع عليه أشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر وفيه انه يسن فعل ذلك لمن حضره الموت فان لم يفعل فعل به مالم تظهر كراهيته لذلك لان فيه نوع تخفيف من كرب الحرارة كالتجريع بل يجب التجريع ان ظهرت حاجته له (ثم يقول اللهم أعنى على منكرات الموت) اى شدائده وغمراته التى تغطى العقل وفى تلك الشدائد زيادة رفع درجات للاصفياء وكفارة لسيآت أهل الابتلاء (أو قال على سكرات الموت) مايحصل للعقل من التغطية المشابهة للسكر فآل المنكرات والسكرات واحد واو للشك والشك انما هو في اللفظ وفي رواية احمد سكرات الموت من غير شك وفى رواية وجعل يقول لااله الا الله ان للموت سكرات والاعانة على ذلك بالصبر والتثبت وعدم الجزع والفزع لشدتها وفي البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم رفع يده أو اصبعه ثم قال فى الرفيق الاعلى ثلاثا ثم قضى وفى رواية انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر لي وارحمنى وألحقنى بالرفيق الاعلى وفى رواية عنها قالت كنت أسمع انه لا يموت نبى حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه وأخذته بحة يقول مع الذين أنعم الله عليهم الآية فظننت انه خير فاختار لقاء الله تعالى والمقصود من هذا التخيير اظهار مزيتهم والا فلا يختارون على لقاء الله شيأ وفى رواية عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح انه لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير فلما نزل به ورأسه على فخذى غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا وعرفت انه الحديث الذى كان يحدثنا وهو صحيح قالت فكانت آخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى اى أسألك الرفيق وهم المذكورون فى قوله تعالى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الآية وقيل ان المراد بالرفيق الله تعالى من الرفق بمعنى اللطف لا بمعنى المرافقة بمعنى

الصحبة

أى يزعم انه يحب الله ورسوله والحالة انه يصدر منه مايكذب دعواه لانه يأمر نفسه أو غيره بالسوء أى الاثم فعلا وتركا والمخالفة تفصح عن عدم المحبة وتفضح مدعيها قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ولذا قيل

تعصى الاله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن يحب مطيع

ولهذا أشار الى تمنيه ان يصدق فى دعواه المحبة فقال ومن لى ان تصدق الرغباء فمن استفهامية اى من الذى يتكفل لى وفيه التفات والرغباء العزيمة المصممة فى الرجوع الى الله تعالى بالتوبة والعمل الصالح وادعاء الحب مع ظهور مايكذبه نقص من كماله فلا ينافى أصله

(اى حب يصح منى وطرفى
واصل للكرى وطيفك راء)

يعنى انه لاجل ماصحبه من الغفلة عن محبوبه فاى حب يصح والحال ان طرفه واصل للكرى اى النوم فى سائر أوقاته المعتادة له وليس هذا من شأن المحب وطيفك أى خيالك أيها المحبوب راء اي محتجب عنى كما احتجبت الراء عن واصل ابن عطاء كان يجتنب الراء في كلامه لمكان لثغة لسانه يحكى انه أتى بباكور في طيفور من صفر وسئل ماهذا فقال التى فى آنية الصين وورى به الشعراء فى أشعارهم فمن ذلك قوله

ولما رأيت الشيب راء بعارضى
تيقنت ان الوصل لى منك واصل

الصحبة والمخالطة كما فى الوجه الاول وقد تقدم انه قال وهو على المنبر ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ماشاء وبين ماعنده فاختار ماعنده فبكى أبو بكر قلت طلب سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم لمغفرة الله ورحمته والالحاق بأهل طاعته فى آخر يوم من أيام الدنيا يدل على ان المؤمن وان بلغ مابلغ فى معرفة الله تعالى والجد والاجتهاد فى عباداته لايسعه الرضا عن نفسه ولايرى أن لها فضلا على غيره وان اللائق بحاله دوام الانكسار وملازمة الاستغفار وطلب رحمة الرحيم الغفار وماقدروا الله حق قدره ولذلك يقولون الاستغفار دأب العارفين وسنة خير الخلق من الانبياء والمرسلين وتقدم انه كان يعده عليه الصلاة والسلام فى المجلس الواحد أكثر من مائة مرة رب اغفرلى وتب علي ولما نزلت سورة النصر بعد أن نصر الله دينه ودخل الناس فيه أفواجا ثبت فى الصحيحين انه عليه السلام ماصلى بعد ذلك صلاة الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى * قال المصنف (حدثنا الحسين ابن الصباح البزار نا مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء عن أبيه عن ابن عمر عن عائشة رضى الله عنها قالت لاأغبط أحدا) من الغبطة وهى اشتهاء أن يكون لك مثل من غبطته (بهون موت) من اضافة الصفة للموصوف أى بموت هون سهل ليس فيه شدة فى الصحاح الهون مصدر هان عليه الشيء أى خف وهونه الله عليه سهله وخففه (بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم) وجه ذلك ان شدة موته عليه السلام مما يدل على ان شدة الموت ليست من علامات السوء وان سهولتها ليست من الكرامات والا لكان النبى صلى الله عليه وسلم أولى الناس بهذه الكرامة فاذا لاتكره شدتها ولاتغبط سهولتها وأما العكس فما لايتوهم ولهذا لم تقل أغبط كل من يموت بشدة فان الشدة لاتدل علي خير وبالعكس والرفق لايدل علي سوء وبالعكس قال فى جمع الوسائل والتحقيق أن الشدة انما كانت فى مقدمات موته لافى نفس سكراته كما يتوهم فمراد عائشة أنى لاأتمنى الموت من غير سبق مرض شديد كما يقع لبعض الناس ويحسبه العوام ان الله هون عليه اكراما له فتأمل فانه موضع زلل اه وقد تقدم قول عائشة رضى الله عنها فانخنث فمات فما شعرت وهو يؤيد ماقاله فى جمع الوسائل وقد سبق قوله انى أوعك كما يوعك الرجلان منكم وقول عائشة رضى الله عنها مارأيت أحدا الوجع عليه أشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها انه لما اشتد وجعه قال اهريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد الى الناس فأجلسناه فى مخضب لحفصة ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده أن قد فعلتن الحديث وكان للسبع خاصية فى كسر سورة السم الذى كان به مرضه صلى الله عليه وسلم ففى البخاري عن عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه ياعائشة ماأزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع ابهرى من ذلك السم وفى الحديث أشد كم بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وقد قال العلماء رضي الله عنهم ان ابتلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام مشتمل علي حكم منها علم كثير من الاحكام الشرعية كصلاة الخوف واتخاذ الحراس عند الخوف من العدو وكالتداوى عند المريض وان ذلك لاينافى التوكل وكاستعمال الصبر والرضا والاستسلام والتفويض عند نزول المكاره والدعاء على المتمردين ووجوب الهجرة بشروطه الى غير ذلك من أحكام الظاهر والباطن ومنها تكثير الاجر واعظام الثواب ومضاعفة العطاء ومنها رفعة المنزلة وعلو الدرجة وذلك ان رضا الله عن العبد ثمرة رضا العبد ورضاه تعالى عن عبده أعلى الدرجات قال تعالى

فصار هجر الشيء المستمر تمثيلا عندهم بهجر واصل للراء ففى بيت الناظم التورية لان واصلا بالنظر للمكرى اسم فاعل وللراء اسم علم وتلميح بالقصة المشار اليها والاستفهام انكارى أي كيف تصدق محبتى وأنا مواصل للكسل والنوم ومن هو بهذه الحالة فان محبوبه يعامله بالهجر وعدم المواصلة

(ليت شعرى أذاك من عظم ذنب
أم حظوظ المتيمين حظاء)

أى ليتنى علمت أذاك أى عدم حضور خيال محبوبي بقلبي هو من أجل ذنب عظيم وقع منى ومن أعظم آفات الذنب الحجب عن الحب أم حظوظ جمع حظ أى انصباء المتيمين أي المحبين حظاء جمع حظوة بالكسر والضم أى الرفعة والمكانة أي انصباؤهم من المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كثير عمل وبعضهم بالعكس وبين حظوظ وحظاء الجناس المطلق والاحتمال الاول أظهر فلذا رجع اليه فقال

(ان يكن عظم زلتى حجب رؤيا
ك فقد عز داء قلبى الدواء)

يعنى انه ان كان الذى أوجب حجب رؤياك أيها المحبوب هو عظيم ذنبى فقد عدم الدواء الذى يكون لمرض قلبى فلا يوجد له شفاء أصلا اذ لاطريق اليه الا من جنابه صلى الله عليه وسلم فان فرض انه آخذ انسانا بعظيم ذنبه لم يمكن أحدا غيره ان ينقذه منه وأنت باب الله أى أمرئ
أتاه من غيرك لايدخل

(كيف يصدا بالذنب قلب محب
وله ذكرك اجميل جلاء)

لما ذكر احتمال ان يكون عظم ذنبه أوجب سوء حجبه لمزيد الخوف والمؤاخذة التى لادواء لدائها أخبر انه مع ذلك مقيم علي المحبة فى الجناب الاتم وكيف يصدأ أى يسود بسبب ذلك الذنب الذى ارتكبه قلب محبك وقوله وله ذكرك الخ له يتعلق بجلاء وضميره عائد علي قلب محب وذكرك مبتدأ اضافة المصدر للمفعول أى ذكره لك والجميل نعته وجلاء خبر أى صقل لذلك الصدا والمراد بالذكر الصلاة والتسليم وسؤال الوسيلة ويحتمل أن يكون من اضافة المصدر للفاعل أي ذكرك له حيث أحبك وذكرك وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمر ضرورى عند كل مؤمن ومن أراد تفاصيل بعض مجملها فعليه بمطالعة الكتب المدونة فيها وللناظم فى داليته

وتزود التقوى فان لم تستطع
فمن الصلاة علي النبي محمد
صلى عليه الله ان صلاة من
صلى عليه ذخيرة لم تنفد

(هذه علتى وأنت طبيبى
ليس يخفى عليك فى القلب داء)

أي هذه الاوصاف المذكورة التى صيرت صورة محبوبى عنى محجوبة علتى التى أنحلت جسمى وأدهشت قلبى ولبى لاغيرها والحال انك أنت طبيبى العالم بها الماهر فى ازالتها فانه ليس يخفى

ورضوان من الله أكبر أى من النعيم الذى يكون فيه أهل الجنة وظهور أثر الرضا فيما يخالف هوي النفس أزيد وأكثر ومنها الاقتداء بهم أى التخلق باخلاقهم عند نزول البلايا وهذا غير علم الاحكام اذ لا يلزم من العلم العمل وذلك كالصبر الجميل والرحمة والعفو عند تكذيب الخلق لهم وتسلطهم عليهم وكرؤية الفعل من الله دونهم والاعراض عنهم والتعلق بالله والاكتفاء به وقد أشار شيخنا العلامة المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن زكرى كان الله تعالى له بمنه فى قصيدته الهمزية الى هذه الحكم الاربعة بقوله

حكمة فى امتحانهم علم أحكا * م وأجر ورفعة وائتساء

ومنها أن لا يفتتن الناس بهم ويعبدوهم لما ظهر علي أيديهم من خوارق المعجزات وواضح البينات قاله ابن حجر (قال أبو عيسى سألت أبا زرعة) هو من أكابر مشايخ الترمذى وهو العمدة في معرفة الرجال عند المحدثين (فقلت له من عبد الرحمن بن العلاء هذا) المذكور فى السند أي لان عبد الرحمن بن العلاء متعدد فى الرواة (فقال هو عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج) بجيمين * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا أبو معاوية عن عبد الرحمن ابن أبي بكر هو المليكى) بالتصغير (عن ابن أبى مليكة) بالتصغير (عن عائشة قالت لما قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم اختلفوا فى دفنه) أى فى أصل دفنه وسيأتى أيدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في مكان دفنه فقيل بمسجده وقيل بالبقيع وقيل عند جده ابراهيم عليه السلام وقيل بمكة (فقال أبو بكر) جوابا عن كل من السؤالين فلا معنى لقول شارح لا في أصل الدفن قاله فى جمع الوسائل وقد رواه مالك فى الموطأ وابن ماجه أيضا عنه (سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ ما نسيته) فيه ايماء الى كمال استحضاره وحفظه (قال ما قبض الله نبيا الا فى الموضع الذى يحب) أى الله أو النبي وحب النبي تابع لحب الله (ان يدفن فيه) قال ابن حجر لا يشكل هذا بنقل موسى ليوسف صلى الله عليه وسلم من مصر الى آبائه بفلسطين لان يوسف أقبر فى المحل الذي قبض فيه وأما نقله منه بعد ذلك فهذا الحديث لا يدل علي امتناعه لاسيما وموسى انما فعله بوحى كما هو الظاهر أو ان محبة يوسف لدفنه بمصر كانت مغياة بفقد من ينقله الى آبائه * وجاء ان عيسى عليه الصلاة والسلام يدفن بجنب نبينا صلى الله عليه وسلم وانه ترك له موضع ثم ويؤخذ منه بفرض صحته ان عيسى عليه السلام يقبض فى الحجرة فى المحل المحاذى لدفنه انظر تمامه (ادفنوه فى موضع فراشه) أى في المحل الذى تحت فراشه الذى مات وهو عليه وقد ورد مثل هذا عن علي ولفظه انه ليس فى الارض بقعة أكرم علي الله من بقعة قبض فيها نفس نبيه قال ابن بطال وقد جاء فى الحديث ان المؤمن يقبر فى التربة التى خلق منها فتكون تربة المدينة أفضل الترب كما أنه صلى الله عليه وسلم أفضل البشر قال فى المواهب أجمعوا علي أن الموضع الذى ضم أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة كما قاله ابن عساكر والباجى والقاضى عياض بل قد نقل التاج السبكى كما ذكره السيد السمهودى فى فضائل المدينة عن ابن عقيل الحنبلى انها أفضل من العرش وصرح الفاكهى بتفضيلها على السموات اه وفى ذلك يقول بعض المشارقة رحمه الله تعالى

وبقعته التى ضمت عظاما * رياض من جنان تستطيل
وأفضل من سموات وأرض * وأفلاك بأملاك تجول
ومن عرش ومن جنات عدن * وفردوس بها خير جزيل

* قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا محمد بن بشار وعباس العنبرى وسوار) بواو مشددة

(ابن عبدالله وغير واحد قالوا نا يحيى بن سعيد عن سفيان الثوري عن موسى بن ابي عائشة عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس وعائشة ان أبابكر قبل النبي صلى الله عليه وسلم) أى بين عينيه كما سيأتي أو قبل جبهته كما رواه أحمد (بعد مامات) وكذا رواه البخارى وغيره أيضا وفعل ذلك تيمنا وتبركا واتباعا له صلى الله عليه وسلم فى تقبيله عثمان بن مظعون بعد موته وهو يبكى حتى سالت دموعه على وجه عثمان * قال المصنف (حدثنا نصر بن على الجهضمى نا مرحوم ابن عبدالعزيز العطار عن أبي عمران الجونى) نسبة الى بطن من الازد (عن يزيد بن بابنوس) بموحدتين بينهما ألف ثم نون مضمومة وواو ساكنة ومهملة بصرى مقبول من الثالثة (عن عائشة ان أبابكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه ووضع يديه على ساعديه وقال وانبياه واصفياه واخليلاه) وفى رواية ابن أبى شيبة فوضع فاه على جبينه فجعل يقبله ويبكى ويقول بابي أنت وأمى طبت حيا وميتا قال فى جمع الوسائل وفى ذلك دليل على جواز عد أوصاف الميت بصيغة المندوب لكن بلا نوح بل ينبغى ان يكون مندوبا لانه من سنة الخلفاء الراشدين اه وفى البخارى عن أنس لما ثقل نبي الله صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه فقالت فاطمة واكرب أباه فقال لها ليس على أبيك كرب بعد اليوم فلما مات قالت يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه فلما دفن قالت فاطمة يا أنس أطابت أنفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ثم لا ينافى هذا ما يأتى من ثباته لانه محمول على أنه قال ذلك من غير انزعاج وقلق وجزع وفزع على ماذكره الطبرى * قال المصنف (حدثنا بشر بن هلال الصواف البصرى نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شىء فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء) من بيانية قدمت هى ومجرورها العائد على المدينة على المبين وهو كل شىء قال فى جمع الوسائل والاظهر ان كلا من الاضاءة والاظلام معنويان خلافا لابن حجر حيث قال الظاهر انهما محسوسان لما فيه من المعجزة اه اذ لا يخفى ان المعجزة لا تثبت بمثل هذا ولم ير و احد من الصحابة ما يدل على انهما محسوسان لا سيما وفى ألسنة الفصحاء عند الهناء أضاء العالم وعند موت العظماء أظلمت الدنيا اه قلت الامر محتمل وربما يرشح ما قاله فى جمع الوسائل قوله (وما نفضنا أيدينا من التراب) أي تراب القبر (وانا) بالكسر أى والحال انا (لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا) أى لم تبق قلوبنا على ما كانت عليه من الصفاء والرقة بل تغير حالها لفقدها ما كان يحصل لها بمعاينته صلى الله عليه وسلم من الانوار والبركات فبنفس موته صلى الله عليه وسلم ظهر النقص فى الخير وفى حديث مسلم عن حنظلة الاسدى وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقينى أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة كأنا نرى رأى عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت انا وأبو بكر فدخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرار وقد تقدم فى باب التواضع عند قوله ويحفظون الغريب نحو هذا

عليك فى القلب داء وأنت لا أحد
من الخلق أكرم منك ولا أحلم
فعجل لى بدواء ذلك المحصل للشفاء
من وصمة جميع ما هنالك فان
شفاعتك لا ترد والمتوسل بك
لا يخيب فالخير كله بيديك وأنت
أكرم الكرماء
يا أجود الاجواد يا من له
بين النبيين المقام الاغر
الجود بيت أنت مالكه
مفتاحه فى الكف منك استقر
نجد بما نرجوه يا بغيتى
فان كل الخير منك ظهر
(غيره)
اليك رسول الله أشكو نوائبا
من الدهر لا يقوى لها متحمل
وانى لارجو أنها بك تنجلى
لانك لى جاه وحصن ومعقل
(غيره)
ما للنوازل والخطوب تنهوا
الا الشفيع ومن يقول أنالها
ألق العنان ببابه مستشفعا
وأت البيوت أخى من أبوابها
(غيره)
يا أكرم الخلق على ربه
يا خير من فيهم به يسئل
قد مسنى الكرب وكم مرة
فرجت كربا بعضه يذهل
ولن ترى أعجز منى فما
لشدة أقوى ولا أحمل
فبالذى خصك بين الورى
برتبة عنها العلا تنزل
عجل باذهاب الذى اشتكى
وان توقفت فمن أسئل

(ومن الفوز أن أبثك شكوى
هى شكوى اليك وهى اقتضاء)

اى وانما رفعت اليك قصتى وشكوت اليك قوة حالتى مما جنيت علي نفسى لان من الفوز أى الظفر والنجاة لمثلى بجميع المطلوب الذي لافوز أعظم منه ان أبثك من بث وأبث أى نشر وأظهر وهو بعد سبكه مبتدأ ومن الفوز خبر مقدم والشكوى الاخبار بما يضرك وهى هنا شكوى اليك لاالى غيرك وهى اقتضاء أى طلب من كرمك الواسع وفيضك الهامع ان أتخلص من تلك الفرطات وأنجو من بوائق سائر الورطات وان يحصل لى الشفاء من جميع الادواء فان جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤل ومرغوب لاسيما لمن صرف عنان العناية لمدحك فجدير أن يفوز بربحك أأذكر حاجتى أم قد كفانى

حياؤك ان شيمتك الحياء
اذا أثنى عليك المرء يوما
كفاك من تعرضة الثناء (٢)

(ضمنتها مدائح مستطاب فيك منها المديح والاصغاء)

ضمنتها بالبناء للمفعول ومدائح نائب الفاعل وضمير الشكوى مفعول ضمنت وأصله ضمنت المدائح الشكوى أى جعلت المدائح متضمنة ومشتملة على شكواى والمدائح جمع مدحة أى الكلام المتضمن للثناء الجميل ومستطاب بالرفع صفة مدائح وضمير منها يعود علي الشكوى والمجرور أن

(٢) قوله كفاك فى نسخة كفاه بالهاء وكل صحيح

عن أبي هريرة ومعنى عافسنا حاولنا ومارسنا مانحتاج من أمور الازواج والاولاد والضيعات وهى مايكون منه معاش الرجل من مال أو حرفة * قال المصنف (حدثنا محمد بن حاتم نا عامر ابن صالح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين) سبق أن هذا متفق عليه بين أرباب السير وانما وقع الخلاف فى محل اليوم الذى توفى فيه من الشهر هل هو اليوم الاول أو الثاني أو الثاني عشر من ربيع الاول وفيه الاشكال المتقدم كما وقع الخلاف أيضا فى أى وقت مات من النهار * قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر نا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه) محمد الباقر وهو من التابعين فالحديث مرسل (قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فمكث ذلك اليوم وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء ودفن من الليل) أى ليلة الاربعاء وهذا قول الاكثر وقيل ليلة الثلاثاء وقيل يوم الثلاثاء (قال سفيان وقال غيره) أى غير محمد الباقر (سمع صوت المساحى من آخر الليل) فيه بيان لاجمال رواية الباقر وانما أخروا دفنه صلى الله عليه وسلم مع أن المطلوب الاسراع بالتجهيز لقوله صلى الله عليه وسلم لاهل بيت أخروا دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه لانهم كانوا أميين لم يجربوا موت نبى كما يأتي فلما نزلت بهم هذه المصيبة وقع لهم اضطراب وتحيروا وصاروا كاجساد بلاروح وأجسام بلاعقول وطاشت عقولهم ودهشوا وتوقعوا هجوم الكفار فلم يتفق لهم الاسراع بالتجهيز أولاشتغالهم بامر الخلافة ليكون لهم امام يرجعون اليه عند التنازع فى شىء من أحواله ولو تركوا البيعة لربما وقع اختلاف وفتن عظيمة فلما بايعوا أبابكر وكشف به الكربة من أهل الردة رجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجهزوه أو لعدم اتفاقهم علي موته أو على محل دفنه أو للامن من تغيره أو ليبلغ خبر موته النواحى القريبة فيحضروا جنازته اغتناما للثواب * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا عبد العزيز بن محمد عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء قال أبو عيسى هذا حديث غريب) أى والمشهور منه الا آخر ليلة الاربعاء وقيل ان هذا سهو من شريك ابن عبد الله * قال المصنف (حدثنا ماتقدم أنه دفن ليلة الاربعاء وجمع بينهما بانهم شرعوا فى تجهيزه آخر يوم الثلاثاء فلم يفرغوا نصر بن على الجهضمى نا عبد الله بن داود قال نا سلمة) وفى نسخة قال سلمة (بن نبيط) بالتصغير (أخبرنا) بصيغة المعلوم وفى نسخة بصيغة المجهول (عن نعيم) وفى نسخة أخبرنا نعيم وهو مما يؤيد النسخة الاولى (بن أبى هند عن نبيط بن شريط) بفتح المعجمة (عن سالم بن عبيد) بالتصغير (وكانت له صحبة) قال العسقلاني سالم بن عبيد الاشجعى صحابي من أهل الصفة (قال أغمي علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه) فيه جواز الاغماء علي الانبياء وانه من جملة المرض الجائز فى حقهم لكن قيده الشيخ أبو حامد من الشافعية بغير الطويل وجزم به البلقينى قال السبكى وليس اغماؤهم كاغماء غيرهم لانه انما يستر حواسهم الظاهرة دون قلوبهم وقوتهم الباطنة لانها اذا عصمت من النوم الاخف فالاغماء أولى أما الجنون فيمتنع عليهم قليله وكثيره لانه نقص وألحق به السبكى العمى قال ولم يعم نبى قط وأما ماذكر عن شعيب أنه كان ضريرا فلم يثبت وأما يعقوب فحصلت له غشاوة وزالت وحكى الرازى عن جمع مايوافقه اه من ابن حجر وعليه فقوله تعالى وابيضت عيناه وارتد بصيرا مؤول (فافاق فقال حضرت الصلاة) بتقدير الاستفهام وفي البخارى أنها صلاة العشاء والمعنى أحضر وقتها (فقالوا نعم فقال مروا بلالا) تقدمت ترجمته اثناء باب صفة الاذان (فليؤذن) يحتمل الاذان أو الاقامة والثاني أقرب

وأنسب بقوله (ومروا أبابكر فليصل للناس أوقال بالناس) أى اماما بهم (ثم أغمى عليه فافاق فقال مروا بلالا فليؤذن ومروا أبابكر فليصل بالناس) فيه الاهتمام بالصلاة وبالاجتماع لها وفى تكرار الامر بامامة أبى بكر اشارة الى أن أولى الناس بالخلافة بعده صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضى الله عنه وأنه لا يتولى الخطط الشرعية الا من يستحقها ويكون أحق بها من غيره وفى عيون الاثر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه ذلك لعبد الله بن زمعة بن الاسود مر الناس فليصلوا فقدم عمر لغيبة أبى بكر فلما سمع صلى الله عليه وسلم صوته أخرج رأسه حتى أطلعه الناس من حجرته ثم قال لا لا ليصل لهم ابن أبي قحافة وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى هذا الخبر قال فانتقضت الصفوف وانصرف عمر فما برحنا حتى طلع ابن أبى قحافة وكان بالسخ وتقدم فصلى بالناس اه (فقالت عائشة ان أبى رجل أسيف) اى سريع الحزن رقيق القلب (اذا قام ذلك المقام بكى) أى لفقد خليله صلى الله عليه وسلم وأما قول ابن حجر لتدبره القرآن فبعيد من قوله اذا قام ذلك المقام (فلا يستطيع) أى الامامة والقراءة (فلو أمرت غيره) أى لكان حسنا فجواب لو محذوف ويحتمل ان لا تكون شرطية بل للتمنى فلا تحتاج الى جواب (قال) أى سالم (ثم أغمى عليه فافاق فقال مروا بلالا فليؤذن ومروا أبابكر فليصل بالناس فانكن صواحب) جمع صاحبة (أوصواحبات يوسف) جمع صواحب فهو جمع الجمع خلافا لابن حجر والمراد انكن مثل صواحب يوسف والتشبيه فى اظهار خلاف ما فى الباطن والخطاب وان كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهى عائشة فقط كما ان المراد بصواحب يوسف زليخا فقط ووجه الشبه بينهما انها استدعت النسوة وأظهرت لهن الاكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهو ان ينظرن الى حسن يوسف عليه السلام ويعذرنها فى محبتها له كما ان عائشة أظهرت ان سبب ارادتها صرف الامامة عن أبيها كونه لا يسمع الناس لبكائه ومرادها زيادة على ذلك وهو ان لا يتشاءم الناس به لقيامه مقام النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه أوفهمت منه التنبيه على الخلافة فظنت انه لا يستطيع القيام بأمر الناس كما ورد عنها ويحتمل ان الجمع فى الموضعين على ظاهره وان المراد بالخطاب عائشة وحفصة وجمع تعظيما لهما أو تغليبا لمن معهما او بناء على ان أقل الجمع اثنان أو اشارة الى ان هذا شأن النساء ففى البخارى ان عائشة طلبت من حفصة ان تقول للنبى صلى الله عليه وسلم مثل ما قالت له عائشة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم مه انكن لانتن صواحب يوسف فقالت لها حفصة ما كنت لاصيب منك خيرا وان المراد بصواحب يوسف نساء المدينة فقد قال بعض المفسرين فى قوله تعالى فلما سمعت بمكرهن انما سماه مكرا لانهن قلن ذلك وأظهرن معاتبتها توصلا الى اراءتها يوسف لهن وكان يوصف حسنه وجماله عندهن وقيل التشبيه فى التظاهر على ما يردن وكثرة الحاحهن على ما يملن اليه كتظاهر امرأة العزيز ونسائها على يوسف ليصرفنه عن رأيه فى الاستعصام وفى هذا الحديث جواز مراجعة الامام فى الامر يأمر به لكن على غير وجه المناقضة بل باللطف وحسن القول واظهار الحجة لخلافه كما فعلته عائشة وحفصة وفيه ان التوبيخ من الامام أو العقوبة انما تكون لمن رأى خلاف رأيه اذا كرر عليه لا من أول مرة اذ لا معنى للكلام بعد التكرار نعم اذا كان غلطا أو خطأ لزم التكرار حتى يتبين كما فى حديث ذى اليدين انظر ابن مخلص (قال فأمر بلال فأذن وأمر ابو بكر فصلى بالناس) قال فى عيون الاثر صلى بهم أبو بكر سبع عشرة صلاة وصلى النبى صلى الله عليه وسلم مؤتما به ركعة ثانية من صلاة الصبح ثم قضى الركعة الثانية وقال لم يقبض نبى حتى يؤمه رجل من قومه (ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

متعلقان بما قبلهما أو بعدهما ومن تبعيضية والمديح نائب فاعل مستطاب والاصغاء الميل الى سماع تلك المدائح وكيف لا وأوصافك الكريمة زينتها فصارت بها في غاية الكمال الذى يشنف الاسماع ويملأ عبيره ارجاء القلوب والبقاع

(قلما حاولت مديحك الا
ساعدتها ميم ودال وحاء)

قل فعل ماض وما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر وهو الفاعل وعبر بالقلة عن العدم أى قلت محاولة شكواى أو قريحتى مديحك فى حال من الاحوال الا في حال ساعدتها ميم الخ أى لم تتوجه الا وتهيأت لها الاسباب فشرط كون التفريغ بعد النفى موجود خلافا لابن حجر لما صرح به النحاة من أنه لا فرق فى النفى بين أن يكون فى اللفظ أو فى المعنى وقالوا فى قوله تعالى ويأبى الله الا أن يتم نوره معناه لا يريد لانهما بمعنى على ان ابن الحاجب لا يسلم الاشتراط المذكور كما هو مقرر فى محله ولما خفى هذا على ابن حجر عين أن تكون ما نافية وفاعل قل محذوف والتقدير قل أن يستصعب على ما أردته من مدحك لاني ما حاولته فى حال من الاحوال الا ساعدتنى الحروف المذكورة أى مسماها أى ما توقف على معنى أو نوع من المعانى الرائقة والانواع الفائقة اللائقة الا وجدت الالفاظ الدالة على مدحك تبادرنى الى تأديته بغاية اللطف وتساعدني عليه

بنهاية الاسعاف فتأتي قريحتي منه بما هو أبلغ وأبدع وما ذلك الا لانها علمت جناب من يمدح فتنافست في أن تستعمل هنالك

(حق لي فيك أن أساجل قوما سلمت منهم لدلوى الدلاء)

أي ثبت واستقر لي في مدحك ان أساجل أي أفاخر قوما مم الشعراء العارفون بانواع المديح وحيث اطلعوا علي مالدى أنصفوا فسلمت الدلاء جمع دلو في حال كونها منهم والسجل الدلو العظيمة المملوأة ومنه قولهم الحرب بينهم سجال أي سجل منها علي هؤلاء مرة وأخرى علي هؤلاء والمساجلة التنازع على البئر بالدلاء المختلفة شبه بهم المادحين في تنازعهم فيما يبرزونه وادعاء كل أن ما أبرزه خير مما أبرزه غيره استعارة بالكناية واثبات المساجلة استعارة تخييلية وذكر الدلو ترشيح

(ان لي غيرة وقد زاحمتني في معاني مديحك الشعراء)
(ولقلبي فيك الغلو وأني للساني في مدحك الغلواء)

الغيرة بالفتح الحمية توجب لي أن لا أحب غيري يسبقني الى مدحك والحال أنه قد زاحمتني في معاني ألفاظ مديحك الشعراء وأرادوا أن يسبقوني فيه والحال أنه استحكم لقلبي في محبتك الغلواء أي الافراط ومجاوزة الحد وأني يكون للساني في مدحك الغلواء أي الاسراع والتقدم عليهم لولا امدادك ونظرك الي بما يميزني عليهم فاني استفهامية بمعنى كيف نحو أنى يحيي هذه الله بعد موتها

وجد خفة فقال انظروا الى من اتكئ عليه) أي لاخرج للصلاة (فجاءت بريرة) هي مولاة لعائشة بنت أبي بكر وكانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها ثم باعوها من عائشة وجاء الحديث في شأنها بان الولاء لمن أعتق وفي الاستيعاب عن عبد الملك بن مروان أنه قال كنت أجالس بريرة بالمدينة قبل ان ألي هذا الامر فكانت تقول لي يا عبد الملك اني أرى فيك خصالا وانك لخليق أن تلي هذا الامر فان وليته فاحذر الدماء فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر اليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق (ورجل آخر) في رواية ابن حبان بريرة ونوبة بضم النون وموحدة عبد أسود قال ابن حجر في رواية الشيخين في سياق آخر رجلين عباس وعلي وفي رواية مسلم العباس وولده الفضل وفي أخرى العباس وأسامة وعند الدارقطني اسامة والفضل وعند ابن سعد الفضل وثوبان وجمعوا بين هذه الروايات علي تقدير ثبوتها بان خروجه تعدد بتعدد من اتكأ عليه انظر تمامه (فلما رآه أبو بكر ذهب لينكص) بكسر الكاف كما في القرآن على أعقابكم تنكصون قال الزجاج ويجوز ضم الكاف والنكوص الرجوع قهقرى وفي نسخة لينقض (فأومأ) النبي صلى الله عليه وسلم (اليه أن يثبت مكانه) الضمائر الثلاثة لابي بكر رضي الله عنه (حتى قضى) المعطوف عليه محذوف أي فثبت أبو بكر حتى قضي أي أتم (أبو بكر) أظهر في مقام الاضمار لئلا يتوهم أن الضمير للنبي صلي الله عليه وسلم واشارة الى أن أبا بكر هو الامام (صلاته) وهل رجع النبي صلى الله عليه وسلم أو صلى مع أبي بكر وعليه فهل اماما فكان الناس يقتدون بابي بكر وأبو بكر بالنبي أو ماموما يحتمل (ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض) وأبو بكر بالعالية عند زوجته بنت خارجة وكان عليه السلام أذن له في الذهاب اليها لحكمة الهية (فقال عمر) وقد سل سيفه (والله لا أسمع أحد يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض الا ضربته بسيفي هذا) وقال عمر أيضا انما أرسل اليه صلى الله عليه وسلم كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله اني لارجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم لكن ذكر بعضهم أنه رجع عن هذه المقالة وان ذلك كان لعظيم ما نزل به أو خشي الفتنة وظهور المنافقين أو ظن أن ما عرض له صلى الله عليه وسلم انما هو الغشي أو ذهل عن حسه فاحال الموت عليه صلى الله عليه وسلم قال في عيون الاثر لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجته الملائكة دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم في ذلك فأما عمر رضي الله عنه فكان ممن خبل فجعل يقول انه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسي بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع اليهم وأما عثمان فاخرس حتى جعل يذهب به ويجاء وهو لا يتكلم وأقعد علي وأضنى عبد الله بن أنيس من الضنى وهو المرض (قال) أي سالم (وكان الناس) أي العرب (أميين) جمع أمي وهو من لا يحسن الكتابة والقراءة منسوب الى الام فكانه شبه بالطفل الذي خرج من بطن أمه لم يعلم شيأ وقيل منسوب الى أم القرى وهي مكة فانهم سكانها مشهورون بانهم ليسوا أهل كتابة والكتابة فيهم قليلة نادرة فاذا لم يتعلموا الكتب ولم يقرؤها حتى يعرفوا حقائق الامور ولا يذهلهم عظائم المحن عند وقوع الفتن فلا جرم تحير وافي أمر موته صلى الله عليه وسلم اذ سبب العلم بجواز موت الانبياء وكيفية انتقالهم الى دار الجزاء انما هو الممارسة أو المشاهدة ولذا قال (لم يكن فيهم نبي قبله) أي لم يحر بوا موت نبي قط (فامسك الناس) أي عن القول بانه صلى الله عليه وسلم مات (وقالوا يا سالم انطلق الى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) عدلوا عن اسمه

الى وصفه لشهرته دون غيره بهذا الوصف لان الله تعالى وصفه به فى قوله اذ يقول لصاحبه (فادعه فأتيت أبا بكر وهو فى المسجد) أي مسجد محلته التى كان فيها وهو بالعوالى والظاهر انه وقت الظهر لما سبق انه صلى الله عليه وسلم مات ضحى (فأتيته أبكى دهشا فلما رآنى قال لى أقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفى بعض النسخ فلما رآنى وقال لى الخ بالواو قبل قال وعليه فيكون جواب لما قوله (قلت ان عمر يقول لا أسمع أحدا يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض الا ضربته بسيفى هذا فقال لى انطلق فانطلقت معه) وفى رواية ان أبا بكر كان أرسل غلامه ليأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الغلام فقال سمعت أنهم يقولون مات محمد فركب أبو بكر على الفور فقال وا محمداه وبكى فى الطريق حتى أتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (فجاء هو والناس قد دخلوا) وفى نسخة حفوا بفتح الحاء المهملة وتشديد الفاء المضمومة أى أحدقوا وفى نسخة فجاء والناس قد دخلوا (على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس) وفى نسخة يا أيها الناس (أفرجوا لى) أى اجعلوا لى فرجة (فأفرجوا له فجاء حتى أكب عليه ومسه) أى قبله كما سبق (فقال) أى قرأ أبو بكر قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) أى انك يا محمد ستموت وان أعداءك سيموتون وانكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون أى وقوله حق ووعده صدق وفى رواية ان أبا بكر جاء وعيناه تهملان وزفراته تتصاعد فكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو ان موتك كان اختيار الجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك (ثم قالوا يا صاحب رسول الله أقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فعلموا ان) مخففة من الثقيلة وفى نسخة ان الله (قد صدق) أى لم يبق لهم شك فى موته صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بذلك أبو بكر لانه لم يقع له من الدهش والتحير عند نزول هذه المصيبة ما وقع لغيره من أكابر الصحابة ووجد عنده من العلم والقوة والثبات ونور اليقين المانع من استيلاء المحن والنوائب على قلبه ما لم يوجد عند غيره ومن ثم تلا الآية المتقدمة وغيرها كما يأتى وقال رد على عمر فى مقالته السابقة بأبى أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها قال ابن حجر اذ يلزم من قول عمر أنه اذا جاء يموت وهو أكرم على الله من ان يجمعهما عليه كما جمعهما على الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وعلى الذى مر على قرية وهذا أوضح وأسلم من حمله على انه لا يموت موتة أخرى فى القبر كغيره أو لا يجمع الله عليه بين موت نفسه وموت شريعته أو الموتة الثانية الكرب أى يلقى بعد كرب الموت كربا آخر اه وروي ابن أبى شيبة عن ابن عمر أن عمر انما قال ما مر فى المنافقين لانهم أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم وفى رواية الوائلى عن أنس ان عمر قال كنت أرجو أن يعيش حتى يكون آخرنا موتا وفى البخاري عن ابن عباس ان أبا بكر وعمر بن الخطاب يكلم الناس قال اجلس يا عمر فأبي أن يجلس فأقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال أبو بكر أما بعد من كان منكم يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فان الله حى لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله الشاكرين وقال والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرا من الناس الا يتلوها اه وفى ابن أبي شيبة ان أبا بكر ضم الى تلك الآيات قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وأشار أبو بكر رضى الله عنه بما تقدم الى ان عمدة المؤمن وتعلقه انما يكون حقيقة بالله تعالى وان الرسل عليهم السلام انما بعثوا ليعرفوا

أو بمعنى من أين نحو أني لك هذا ويجوز كسر الهمزة والياء اسمها ويرحم الله الامام سبط ابن الفارض اذ يقول

ولما تجلت للقلوب تزاحمت
على حسنها للعاشقين مطامع

واعلم ان كل ما يجبه الانسان فانه يحد الاستبداد به ويحب ان لا يزاحم فيه ومن هنا كان من طبع المحب الغيرة على المحبوب فان قلت كيف تستقيم الغيرة من المحب لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ومحبة الاستبداد وارادة الانفراد قلت المحب فى وقت تعطشه وشدة اشتياقه وتلهفه يلزمه عدم القناعة من المحبوب فتغتفر فى حقه ارادة الاستبداد ويعذر فى قصد الاستقلال ولا ينظر الى لازم ذلك لغيبته عنه فى محبوبه فاذا نبه عنه من غيبته وقيل له أتريد ان يظهر فضل محبوبك وكرمه على الناس ويشتهر قدره وعزه فيما بينهم قال نعم وقد يغار المحب على المحبوب من نفسه لشدة نفاسته وعظمة عزته وتمام جماله وجلاله فيريد أن يصان حتى عنه * وعن الشبلى المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك وقد أكثر امام العاشقين سيدى عمر بن الفارض فى شعره من هذا المعنى فمن ذلك قوله

بعضي يغار عليك من بعضى ويحـ
ـسد باطنى اذ أنت فيه ظاهرى

(فأثب خاطرا يلذ له مد
حك علما بانه اللألاء)

أي فبسبب صدق محبتي وشدة غيرتي ومزاحمتي أقراني مع ارادتهم التقدم علي أثب خاطرا أي قريحة لي علي هذا المدح البديع بأن تمدها بما تفوق به جميع مزاحميها ومسابقيها فانك أكرم من جازى محبيه وأجود من جاد علي مادحيه وأنا من أصدقهم محبة وأبلغهم مدحة كيف وقلبي يلذله مدحك لذة تحمله علي ان يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك وبك في اختراع مالم يسبق اليه ولا حام أحد قبله عليه لاجل علمه بان مديحك اللألاء أي الفرح التام أو من قولهم تلألأ البرق اذا لمع أي علما بان مدحك يضيء قلوب المادحين ولاسيما من أتي في ذلك بالمعاني البديعة والاساليب العجيبة الرفيعة

(حاك من صنعة القريض برودا
لك لم يحك وشيها صنعاء)

حاك أي نسج ذلك الخاطر في نظم مديحك والقريض الشعر والبرود جمع برد وهو نوع من أنواع الثياب اليمانية يتزين به والوشي النقش بالالوان المختلفة وصنعاء مدينة باليمن مشهورة بجودة الوشي والنسج شبه مااشتمل عليه نظمه من المعاني البديعة في ادهاشها للقلوب عند سماعها بالبرود الموشاة المدهشة للابصار عند رؤيتها بجامع الادهاش لكن المعاني تدهش البصائر والافكار والبرود تدهش الابصار والانظار ثم أطلق اسم المشبه به علي المشبه استعارة تصريحية وأثبت لها

الناس بربهم ويبلغوهم أوامره ونواهيه فاذا ذهبوا لم يذهب الدين بذهابهم لان المقصود انما هو الله وحده وهو حي لا يموت والرسل عليهم السلام انما هم وسايط قال القشيري في تفسيره والسلمي في حقائقه سقمت البصائر عند وفاة النبي صلي الله عليه وسلم الا رجل وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه فان الله تعالى أيده بقوة السكينة فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت فصار الكل مقهورا تحت سلطان مقالته لما بسط الله تعالى عليه من نور جلالته فالشمس بطلوعها يندرج في شعاعها أنوار الكواكب اه نقله ابن نبهان الصفوري في باب وفاته صلى الله عليه وسلم (قالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيصلى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي كما يصلى على غيره من الاموات لان الاصل عدم الخصوصية أو لا يصلى عليه كالشهداء الذين أغنتهم فضيلتهم عن الصلاة عليهم وهو صلى الله عليه وسلم أفضل من كل شهيد (قال نعم) لان الاصل مشاركته لامته في الاحكام (قالوا وكيف) يصلى عليه هل بامام أولا (قال يدخل قوم فيكبرون ويصلون) أي علي النبي صلى الله عليه وسلم (ويدعون ثم يخرجون ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون حتى يدخل الناس) أي كلهم فلا تفوت أحدا منهم بركة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قال في جمع الوسائل وقد روى عن علي كرم الله وجهه انه قال لا يؤم أحدكم عليه لانه امامكم حال حياته وحال مماته ولما وصل اليه من صاحب الوحي وورد في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم أوصي بأن يصلى عليه علي الوجه المذكور ولعل وجه ذلك انهم لما أرادوا دفنه في محله ولم يمكن خروجه الى المصلي خوف ان يترتب علي خروجه فتنة ولم تسع الحجرة جميع الناس جملة واحدة أمروا بالصلاة عليه افذاذا أو أما قول ابن حجر لانهم كانوا لم يتفقوا علي خليفة يؤمهم فمناقض لما سبق له ان سبب تأخير دفنه هو انعقاد الامامة مع ان الامامة كانت ثابتة لابي بكر علي طريق النيابة اه بالمعنى وقد وقع خلاف في هذه الصلاة هل كانت صلاة الجنازة حقيقة ويكون سكت عن السلام لوضوح ان كل صلاة لابد لها من احرام وسلام أو لم تكن صلاة حقيقة قال في كفاية الطالب في الموطا وغيره ان النبي صلي الله عليه وسلم صلى عليه الناس افذاذا لا يؤمهم أحد أثر مجمع عليه واختلف في تعليله فقيل هو من باب التعبد الذي يعسر تعقل معناه وقيل ليباشر كل واحد الصلاة عليه منه اليه قال شيخنا الحافظ جلال الدين يعني السيوطي في حاشية الموطا رحمه الله تعالى والمراد بقوله صلى عليه الخ ماذهب اليه جماعة انه صلى الله عليه وسلم لم يصل عليه الصلاة المعتادة وانما كان الناس يأتون فيدعون ويترحمون قال الباجي ووجهه أنه صلى الله عليه وسلم أفضل من كل شهيد والشهيد تغنيه فضيلته عن الصلاة عليه فهو أولى قال وانما فارق الشهيد في الغسل لان الشهيد لو غسل لزال دمه والمطلوب بقاؤه لطيبه لانه عنوان لشهادته في الاخرة وليس علي النبي صلى الله عليه وسلم ما تكره ازالته عنه اه وعلي انها الصلاة المعتادة فلا ضرر في تكرارها لان تكرارها انما كره والله أعلم في حق غيره صلى الله عليه وسلم لان المطلوب اسراع التجهيز خوف التغير والتغير مأمون في حقه صلى الله عليه وسلم (فقالوا يا صاحب رسول الله أيدفن رسول الله صلي الله عليه وسلم) يعني أو يترك علي وجه الارض لانه يؤمن عليه من التغير فليس كغيره (قال نعم) لان الدفن من سنن سائر الانبياء علي نبينا وعليهم الصلاة والسلام (قالوا أين قال في المكان الذي قبض فيه روحه فان الله لم يقبض روحه الا في مكان طيب) تقدم الكلام علي هذا (فعلموا ان قد صدق ثم أمرهم ان يغسله بنو أبيه) أي عصبته لان الحق في الغسل لهم قال

في عيون الاثر فغسله علي والعباس وابناه الفضل وقثم ومولياه أسامة وشقران وحضرهم أوس بن خولى الانصارى اه الاان الذى باشر غسله علي رضى الله عنه لحديث جماعة انه قال اوصانى النبى صلى الله عليه وسلم ان لايغسله أحد غيرى فانه لايرى احد عورتى الاطمست عيناه زاد ابن سعد قال على فكان الفضل وأسامة يناولان الماء من وراء الستر وهما معصوبا العين وفى رواية ان العباس وابنه الفضل كانا يعيناه وقثم واسامة وشقران مولاه عليه السلام يصبون الماء واعينهم معصوبة من وراء الستر وصح عن على غسلته فذهبت انظر مايكون من الميت فلم ار شيأ وكان طيبا حيا وميتا وعنه رضى الله عنه ماتناولت عضوا الا كانما يقلبه معى ثلاثون رجلا حتى فرغت من غسله قال فى عيون الاثر وكانوا قد اختلفوا فى غسله فقالوا والله ماندري أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا او نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم وكلهم مكلم من ناحية البيت لايدرون من هو غسلوا النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه يصبون عليه الماء ويدلكونه والقميص دون ايديهم فأسنده علي الى صدره والعباس والفضل وقثم يقلبونه معه واسامة وشقران يصبان الماء وعلى يغسله بيده وكفن عليه السلام فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة قال البرماوى يحتمل انه ليس موجودا أصلا بل الثلاثة فقط ويحتمل أن تكون الثلاثة الاثواب زائدة على القميص والعمامة فتكون خمسة وعليه حمل مالك ولكل من الاحتمالين مرجح قال النووى الاول هو مافسر به الشافعى وجمهور العلماء وهو الصواب الذى يقتضيه ظاهر الحديث وهذا الحديث يتضمن ان قميصه الذى غسل فيه نزع عند تكفينه النووي وهو الصواب الذي لايتجه غيره اه قال فى عيون الاثر وكان ابو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر اهل مكة وابو طلحة زيد بن سهل يلحد كاهل المدينة فاختلفوا كيف يصنع بالنبى صلى الله عليه وسلم فوجه العباس رجلين أحدهما لابى عبيدة بن الجراح والآخر لابى طلحة وقال اللهم خر لنبيك فحضر ابو طلحة فلحد له اه واصح ماروى فيمن نزل فى القبر انه على والعباس وابناه الفضل وقثم وكان آخر الناس به عهدا قثم وورد انه بنى فى قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها فرشها شقران فى القبر وقال والله لايلبسها أحد بعدك وأخذ منه البغوى انه لابأس بفرشها لكنه شاذ والصواب كراهته واجابوا عن فعل شقران بانه شيء انفرد به ولم يوافقه احد من الصحابة ولا علموا به على ان ابن عبد البر قال انها أخرجت من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع قال رزين ورش قبره بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصا العرصة حمراء وبيضاء قال عياض وكان قبره عليه السلام مسنما كما فى البخاري وكذا قبر أبى بكر وعمر وهو اثبت من رواية تسطيحها لانه زى أهل الكتاب وشعار الرافضة (واجتمع المهاجرون) أى اكثرهم (يتشاورون) أى فى شأن الخلافة وقد اجمع الصحابة على ان نصب الامام من واجبات الاحكام ومن ثم لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر خطيبا فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت ولابد لهذا الامر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا رأيكم فقالوا صدقت واجتمع المهاجرون وكان اجتماعهم لذلك قبل الدفن كما ذكره الطبرى قالوا وفى قوله واجتمع الخ لمطلق الجمع او الجملة حالية (فقالوا انطلقوا بنا علي اخواننا من الانصار ندخلهم) بالجزم على جواب الامر وفى نسخة بالرفع (معنا فى هذا الامر) أي أمر نصب الخلافة قال عمر مخافة ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة لهم معنا أن يحدثوا بعدنا

ماهو من لوازم المشبه به وهو الحوك والوشى ترشيحا واثبت للمشبه ماهو ملائم له وهو القريض تجريدا

(اعجز الدر نظمه فاستوت فيـ ـه اليدان الصناع والخرقاء)

اى فاق نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها الدر النفيس للنظم الذى يدهش بضوئه وصفائه فلذلك استوت فى العجز عنه اليدان اى القريحتان الصناع بفتح الصاد المهملة والنون المخففة والعين المهملة اى الحاذقة الماهرة والخرقاء ضدها او هما بدلان او عطفا بيان من قوله اليدان

(فارضه افصح امرئ نطق الضا دفصارت تغار منها الظاء)

أى اقبل هذا النظم ياأفصح امرئ نطق بالضاد أى ياأفصح العرب وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح من نطق بالضاد الحديث أى لان غير العرب لايحسن اخراجها من مخرجها والعرب أحسنوه وافصحهم علي الاطلاق هو النبى صلى الله عليه وسلم فكانه يقول يا أفصح الفصحاء اقبل ماجئت به وان لم يشم ادنى رائحة من روائح فصاحتك بل ولا وفى بمعشار عشر كمالك فبسبب اختصاص الضاد بتعذر أو تعسر النطق بها علي غير العرب وتعذر نهايته علي غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر الضاد الموصوفة بالقائمة بما ظفرت به

في حال كونها تفار منها أي والضاد لتميزها عليها بتلك المرتبة العالية أرادت الظاء فضلا عن غيرها أن يحصل لها مرتبة تضاهي تلك المرتبة

(أبذكر الآيات أوفيك مدحا
أين مني وأين منها الوفاء)

المراد بالآيات الخصائص والمعجزات المذكورة في هذا النظم الدالة على وصولك لما لم يصل اليه مخلوق والاستفهام للانكار وبذكر يتعلق باوفيك اذ لا يمكن بشرا أن يوفيك حقك في المدح بل ليس ذلك الا لله تعالى فاين مني الوفاء بذلك وأنا من جملة العاجزين المقصرين وأين من تلك الآيات الوفاء بذلك وهي محصورة وكمالاتك غير محصورة فهو صلى الله عليه وسلم لم يحط ولا يحيط بمعرفته مخلوق على الاطلاق ومعرفته على ما هو عليه مما انفرد به الواحد الخلاق

وفي البغداديات

أخلاي من يحصي مديح محمد
وفي مدحه كتب من الله تقرأ
أيمدح من أثنى الاله بنفسه
عليه فكيف المدح من بعد ينشأ

ورؤي ابن الخطيب بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بقولي

يا مصطفى من قبل نشأة ادم
والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعد ما
أثنى على أخلاقك الخلاق

لكن قصد الانحياش الى الجناب الاعظم والركن الاعظم حملهم على بذل مجهودهم وكيف لا وقد

بيعة فاما أن نبايعهم على ما لا نرضى أو نخالفهم فيكون فساد (فقالت الانصار) لما وصل المهاجرون اليهم وتكلموا معهم وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة (منا أمير ومنكم أمير) فاحتج أبو بكر عليهم بحديث الائمة من قريش وفي رواية الخلافة لقريش وهو حديث صحيح ورد من طرق عن نحو أربعين صحابيا قال في جمع الوسائل وهذا الكلام من الانصار انما وقع على قواعد الجاهلية قبل تقرر الاحكام الاسلامية حيث كان لكل قبيلة شيخ يسوسهم وينظر في أمورهم ولهذا كانت الفتنة مستمرة فيما بينهم الى أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم وألف بين قلوبهم وعفا الله عما سلف من ذنوبهم (فقال عمر بن الخطاب من له مثل هذه الثلاث) استفهام انكاري على الانصار وغيرهم ممن يظن من نفسه أنه أولى بالخلافة والمعنى هل رجل ورد في شأنه في نص القرآن مثل هذه الفضائل في قضية واحدة مع قطع النظر عن سائر المحاسن والشمائل قوله تعالى (ثاني اثنين اذ هما في الغار) حال من الضمير في قوله تعالى اذ أخرجه الذين كفروا العائد على النبي صلى الله عليه وسلم أي الا تنصروه فقد نصره الله الخ أي فسينصره من نصره وليس معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد هذا معنى الحال ولم يات بهذه العبارة أو مثلها وعدل الى قوله ثاني اثنين ليفيد الاعتناء بشأن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه وأنه ليس معتبرا في هذا المقام بحسب التبع فقط اذ الاضافة على معنى بعض فأفاد اللفظ أنه بعض اثنين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهما لشدة الاتصال والارتباط والامتزاج والقرب ولتمكن اعادة ضمير واحد عليهما معا في قوله اذ هما في الغار فجمع بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في دلالة لفظ واحد مرتين ثم أفرده بعد ذلك وميزه في ثانيها وهو قوله (اذ يقول لصاحبه) ليسمه بسمته ويثني عليه باشرف أوصافه المقتضى شدة قربه من الحضرة النبوية فان الضمير لا يفيد ذلك وناهيك بشهادته تعالى له بالصحبة لرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قالوا من أنكر صحبة أبي بكر فهو كافر لتكذيبه القرآن وذكر ثبوت الصحبة له بعد قوله اذ هما في الغار اشارة الى موجب ثبوتها له وصدقه فيها فان الصاحب الحق هو الصاحب في وقت الشدة كما قيل

صديق الصدق في الدنيا قليل * فمن لك ان ظفرت بذاك من لك
لحاجته يودك كل شخص * وذاك اذا قضاها منك ملك
صديقك من اذا ما أنت منه * طلبت الروح بالتمليك ملك

(وقال غيره)

صاحبك الصادق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيه شمله ليجمعك

(وقال آخر)

جزى الله الشدائد كل خير * وان كانت تغصصني بريقي
وما مدحي لها شكرا ولكن * عرفت بها عدوي من صديقي

وثالثها قوله (لا تحزن ان الله معنا) فان فيه شهادة من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى بانه رضي الله عنه ثبتت له معية الحق الاخصية الثابتة للانبياء بل لافضل الانبياء قال ابن دهاق المعية على ثلاثة أقسام معية الاحاطة وشمول العلم وهي تشمل المؤمن والكافر قال الله تعالى وهو معكم أين ما كنتم ومعية بمعنى النصر والحفظ قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وهذه تخص المؤمن ومعية الاخذ والاجتباء وهي للخواص

فيصطفيهم

فيصطفيهم الله لمناجاته فهم عنده وان كانوا في الدنيا اه والثابت هنا هو القسم الثاني والثالث وقد ورد انه لما جاء الكفار الى الغار وقفوا بقربه قال أبو بكر يارسول الله لو نظر أحدهم الى قدمه لرآنا فقال اسكت ماظنك باثنين الله ثالثهما فتقدم جمع منهم فنظروا الحمامتين والعنكبوت فقالوا ليس في الغار شيء ان عليه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد ولا يشكل علي ثبوت المعية الاخصية تمكن الاعداء من الاتقاء ووصولهم الى اذايتهم كما قال تعالي وكأين من نبي قتل لان النصر الذى تقتضيه المعية الخاصة هو الطمأنينة والسكينة وقوة اليقين وكون القلب مع الله وفرحابه وراضيا بقدره غير منخذل ولا مضطرب ولا جزع ولا متزلزل لرؤية الفعل منه مع حسن الظن به فتسهل المصيبة حتى لا تضر القلب ولا يتأثر بها الباطن كما قال الامام الشاذلى رضى الله عنه وانصرنا باليقين والتوكل عليك ولا نسألك دفع ماتريد ولكن نسئلك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك ورسلك فقوله ماظنك الخ رد لابى بكر عن طريق الجزع الى قوة اليقين وراسخ السكينة وامداده بذلك فحصلت له الحال وهو معنى فانزل الله سكينته عليه اذ الضمير لابى بكر رضى الله عنه والا فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يزل ذا سكينة ولا ينافيه كون مرجع الضمير فى ايده للنبي صلى الله عليه وسلم لان تفكيك الضمير جائز عند المحققين فى مقام امن اللبس وقيل ان ثانى المزايا الثلاث قوله اذهما فى الغار وثالثها مابعده قال فى جمع الوسائل والاول أظهر وعليه اقتصر ابن حجر وفى هذه الآية أيضا من مزايا أبى بكر رضى الله عنه زيادة علي ماتقدم من الثلاث ونزول السكينة ما أشار اليه سفيان ابن عيينة حيث قال عاتب الله المسلمين جميعا فى نبيه صلى الله عليه وسلم غير أبي بكر وحده فانه أخرجه من المعاتبة ثم قرأ الا تنصروه الآية ومثله للحسن رضى الله عنه وفيها أن نصره تعالى لنبيه عليه السلام متضمن لنصر الصديق أيضا لكونه معه فهو ناصر ومنصور من عند الله تعالى فهو اذا أولى بالخلافة وقوله (من هما) أى من الاثنان المذكوران فى هذه الآية المتضمنة للمزايا المذكورة هل هما الا النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه والاستفهام للتعظيم والتقرير وفى رواية النسائى وأبى يعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود انه لما قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير أتاهم عمر بن الخطاب فقال يامعشر الانصار ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر أبابكر ان يؤم بالناس فايكم تطيب نفسه أن يتقدم على أبى بكر فقالت الانصار نعوذ بالله أن نتقدم علي أبى بكر وفى البخارى من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذى توفي فيه لقد هممت أو أردت ان ارسل الى أبى بكر وابنه وأعهد ان يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويابى المؤمنون (قال) الراوى (ثم بسط) أي ابو بكر (يده فبايعه) أى عمر (وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة) في البخارى فقلت ابسط يدك ياأبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الانصار ووصف البيعة بكونها حسنة جميلة اشارة الى رضا نفوسهم بها وان الله تعالى دفع بها فتنة عظيمة وفيه دليل علي جلالة قدر أبى بكر عند الصحابة ومتانته وقوة قلبه ووفور عمله وقد أخرج موسي بن عقبة فى مغازيه والحاكم وصححه عن عبد الرحمن ابن عوف قال خطبنا أبو بكر فقال والله ما كنت حريصا علي الامانة يوما وليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها سرا ولا علانية ولكن أشفقت الفتنة ومالى في الامارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما مالى به من طاقة ولا يد الا بتقوية الله تعالى فقال علي والزبير ما أغضبنا الا أنا أخرنا عن المشورة وانا لنرى ان أبابكر أحق الناس بها وانه لصاحب الغار وانا لنعرف شرفه

قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مدحنى ولو ببيت واحد كنت شفيعاله يوم القيامة أى لان ذكر المدحة تنبئ عن المحبة والظاهر ان لافرق بين منشئ ومنشد ومدرس

(أم أمارى بهن قوم نبي
ساء ماظنه بى الاغبياء)
(ولك الامة التى غبطتها
بك لما أتيتها الانبياء)

أم متصلة وأمارى أجادل بهن أى بتلك الآيات حيث ذكرتها فى نظمي قوم نبي وهم المادحون لنبينا صلى الله عليه وسلم أى لم أذكر تلك الآيات يقصد أنى أوفى بها حقه صلى الله عليه وسلم ولا بقصدانى أجادل بها أمته ومن ظن بي واحدا منهما فهو عندى لايفهم ولا يعقل شيأ ولذا قال ساء ماظنه بى الاغبياء لانهم لقلة بطشهم يتجاسرون على الناس بمام يرئون منه وكيف يتصور منى ان امارى أمتك ولك الامة ويحتمل الاستئناف أو معطوف على محذوف أى لك الآيات التى لاتحصى ولك الامة وهى الامة الوسطى أى الفضلى لقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى خيارا عدولا لتكونوا شهداء على الناس وقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ثم وصف الامة بقوله التى غبطتها أى تمنت ان يكون الانبياء مثلها بسببك لما أي حين أتيتها أى أرسلت اليها فشرفها بك ومنك وقد روى أبو نعيم ان الله تعالى لما ذكر لموسى صفات هذه الامة قال يارب

اجعلني نبي تلك الامة قال نبيها معها قال فاجعلني من أمة ذلك النبي قال استقبلت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال * ثم اعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام بشاهد قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية قال علي وابن عباس مابعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ العهد في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك علي قومه قال السبكي في الآية انه علي تقدير مجيئه صلى الله عليه وسلم في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الخلق من آدم الى يوم القيامة فالانبياء وأممهم كلهم من أمته يكون قوله بعثت الى الناس كافة عاما لمن تقدم ومن تأخر وبه تفهم قوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد قال وقد جاء ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فالاشارة بالحديث الى روحه الشريفة وحقيقته المنيفة والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعرفها خالقها ومن أيده الله بنور الهي فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم في عالم الارواح وأمدهم وأفادهم ثم دعاهم بعد ذلك في عالم الاشباح وشرائعهم التي كانوا مكلفين بها هي شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى أولئك الامم فقوله تعالى ثم جاءكم

وخيره ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي بالناس وهو حي وفي رواية انه رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا وقد روى ابن اسحق عن الزهري عن أنس انه لما بويع أبو بكر في السقيفة جلس الغد على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين اذهما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه ان شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ولا يدع الجهاد قوم في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط الا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله اه قال المصنف (حدثنا نصر بن علي ناعبد الله بن الزبير شيخ باهلي قديم بصري ناثابت البناني عن أنس ابن مالك قال لما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرب الموت) أي شدته (ما وجد) لانه كان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليحوز تضاعيف الاجور ولغير ذلك من الحكم السابقة (قالت فاطمة واكرباه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا كرب على أبيك بعد اليوم) قال في جمع الوسائل الظاهر ان فاطمة رضي الله عنها لما رأت شدة كربه قالت واكرباه مسندة الى نفسها لما بينهما من المناسبة الظاهرة والملاءمة الباطنة فسلاها صلى الله عليه وسلم بهذا القول وبين لها ان كرب أبيها سريع الزوال منتقل الى حسن الحال فأنت أيضا لا تكربي فان محن الدنيا فانية وان العبرة بالمحن الباقية اه قلت والذي في البخاري ان فاطمة قالت واكرب أباه ويرحم الله القائل

كل أذى واجعله ماشئته * يقطعه الموت فأهون به
فليحذر العبد دوام الاذى * وأصله الغفلة عن ربه

قال المناوي وغيره وليس المراد بالكرب شفقته على أمته لوقوع الفتن والخلاف بعده لانها لا تنقطع بالموت لانه عليه السلام مهتم بهم بعد الموت وأعمالهم تعرض عليه وفي قوله لا كرب على أبيك بعد اليوم تصريح بسلامة عاقبته وذلك أمر مقطوع به لسائر الانبياء وقد سبق أن خوفهم خوف هيبة واجلال والمطلوب من كل مؤمن تغليب الرجاء على الخوف في أيام المرض (انه قد حضر بأبيك ماليس بتارك منه أحدا) هذه تسلية أخرى سلاها أولا بان ذلك الكرب غير مستمر وانما هو منقطع بالقرب وثانيا ان هذا الامر النازل عام لجميع الخلائق والمصيبة اذا عمت هانت واذا خصت هالت فاصبري وسلمي ولا تحزني (لموافاة يوم القيامة) متعلق بتارك أو خبر لمحذوف أي وذلك لاتيان يوم القيامة وفي نسخة الموافاة يوم القيامة فيكون مبتدأ بمعنى الملاقاة ويوم القيامة بالنصب على الظرفية خبر المبتدا وفي بعضها الوفاة يوم القيامة أي الممات الى يوم القيامة فيكون بيانا لما أي وهو الوفاة الخ ويحتمل ان يكون يوم مرفوعا أي الموت يوم القيامة لان من مات قامت قيامته وفي ختم المصنف رحمه الله أحاديث الوفاة بهذا الحديث والذي بعده تعزية للمؤمنين وتسلية لهم وتهوين عليهم وأيضا فان موت العارفين مجرد انتقال من هذه الدار المتدانية المسافات الضيقة الاقطار الموسومة بالفناء ودوام الاكدار الى دار النعيم المقيم كما قال في الحكم انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولانه أجل أقدارهم عن ان يجازيهم في دار لا بقاء لها فليس موتهم كموت غيرهم ولذلك يتمنون الموت وهو أحب اليهم من البقاء قال

تعالى ان زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وقد كتب سيدى رضوان عند وفاته

قرب الرحيل الى الحبيب فمرحبا * أهلا به أهلا وسهلا مرحبا

وجاء رجل الى عبد الله بن منازل فقال رأيت فى المنام انك تموت الى سنة فقال أجلتنا الى أمد بعيد ومما ينسب للامام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه

قل لاخوان رأوني ميتا * فبكونى ورثونى حزنا
اتخالون بأني ميتكم * ليس ذاك الميت والله أنا
الى ان يقول كنت قبل الموت ميتا بينكم * فحييت وخلعت الكفنا
وأنا اليوم أناجى ملا * وأرى الله جهارا علنا
الى أن يقول لاترعكم هجمة الموت فما * هى الانقلة من ههنا
لاتظنوا الموت موتا انه * لحياة هى غايات المنى
فاخلعوا الاجسام عن أنفسكم * تبصروا الحق جهارا علنا

وقد نص المحققون على ان النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء فى قبورهم وقد نقل شيخنا العلامة فى شرح الحصن الحصين قضايا تدل على ذلك منها سماع رد سلامه على من سلم عليه ومنها مديده لسيدى أحمد الرفاعى ليقبلها حين أنشد تجاه الحضرة الشريفة

فى حالة البعد روحى كنت ارسلها * تقبل الارض عنى وهى نائبتى
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

وسيأتى شىء من هذا المعنى فى الباب بعده فى قوله ماتركت بعد نفقة نسائي الخ * قال المصنف (حدثنا ابو الخطاب زياد بن يحيى البصرى ونصر بن على قالا نا عبد ربه بن بارق الحنفى قال سمعت جدى أبا أمي سماك بن الوليد يحدث انه سمع ابن عباس يحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان له فرطان) تثنية فرط بفتح الفاء والراء وهو السابق المهيئ للمنزل والمراد به هنا الولد الذى يموت قبل أحد أبويه فانه يهيئ لهما منزلا ومنزلا فى الجنة كما يتقدم فرط القافلة الى المنازل فيعد لهم مايحتاجون اليه من سقى الماء وضرب الخيمة ونحو ذلك (من أمتى) أى أمة الاجابة (أدخله الله بهما الجنة) ظاهره سواء كان الولد صغيرا اوكبيرا وفى البخارى من حديث أنس مامن الناس مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم وقد اختلف العلماء هل لقوله لم يبلغوا الحنث مفهوم لان الصبى حبه اشد والشفقة عليه أعظم او البالغ يدخل فى ذلك بطريق الفحوى لانه اذا ثبت ذلك فى الطفل الذي هو كل على والديه فكيف لايثبت فى الكبير الذى بلغ معه السعى ولاريب ان التفجع على فقد الكبير أشد والمصيبة به اعظم سيما اذا كان نجيبا يقوم عن ابيه بامور ه ويساعده فى معيشته كما هو مشاهد ثم دخول الجنة لايستلزم عدم نفوذ الوعيد لكن المراد هنا دخول الجنة من غير نفوذ وعيد وأما دخولها بعد نفوذه فيكون بالايمان ولايتوقف على عمل آخر ويدل له مافى البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم وعظ النساء فقال أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كن حجابا من النار قالت امرأة واثنان قال واثنان وفى مسلم عن ابى حسان قال قلت لابي هريرة انه قدمات لى ابنان فهل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ تطيب به أنفسنا عن موتانا قال نعم صغارهم دعاميص الجنة يتلقى احدهم اباه أو قال ابويه فيأخذ بثوبه او قال بيده كما آخذ انا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى أو قال رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به معناه والله أعلم لتظهرن الايمان به ولتجددنه فى عالم الاجساد والاشباح والا فقد تقدم منهم الايمان به فى عالم الارواح والكلام على الآية المذكورة طويل أفرد بالتصنيف

(لم نخف بعدك الضلال وفينا
وارثو نور هديك العلماء)

الضلال الزيغ والانحراف عن الشريعة الواضحة البيضاء التى لايزيغ عنها الاهالك والهدى ماكان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمراد بالعلماء أهل السنة والجماعة الذين أخبر عنهم صلى الله عليه وسلم بقوله كما فى الاحاديث الصحيحة لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك وصح أيضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال العلماء ورثة الانبياء لان الانبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر زاد فى رواية تحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان فى البحر وفى أخرى انما العالم من عمل بعلمه وذكر المفسرون فى قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ان الدرجات امافى الجنة واما فى الدنيا بالرتبة والشرف وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان اذا قرأها قال يأيها الناس افهموا هذه الآية لترغبكم فى العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر

ينتهى حتى يدخله الله وأبويه الجنة ودعاميص الجنة قال فى القاموس أى سياحون فى الجنة لا يمنعون من بيت وصنفة الثوب حاشيته والشىء يذكر بالشىء مات لمطرف بن الشخير ابن فخرج قد رجل جمته ولبس حلته فقيل له أترضى بهذا وقد مات ابنك فقال أتأمرونى أن استكين للمصيبة فوالله لو أن الدنيا ومافيها لى وأخذها الله منى ووعدني عليها شربة ماء يوم القيامة ما رأيتها لتلك الشربة اهلا فكيف بالصلوات والهدى والرحمة يشير لقوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (فقالت عائشة ومن كان له فرط من أمتك قال ومن كان له فرط يا موفقة) اى لاستكشاف المسائل العلمية والمسائل الدينية وهذا تحريض لها على السؤال فمن ثم كررته (فقالت فمن لم يكن له فرط من أمتك قال فانا فرط لامتى) فندخلهم الجنة من باب أولى (قال المصنف هذا حديث غريب) قال فى جمع الوسائل لكن روى مسلم ان الله اذا أراد رحمة امة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حى فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره اه وفيه ان نفعه لامته لا ينقطع بموته عليه الصلاة والسلام وقد ورد مايدل على دعائه لامته واستغفاره لهم بعد موته صلى الله عليه وسلم (لن يصابوا بمثلى) جملة استئنافية كالتعليل لقوله فانا فرط لامتى اى فمصيبتهم بوفاتى اشد عليهم من سائر مصائبهم قال فى جمع الوسائل وهذا شامل لمن أدرك زمانه ولمن لم يدركه كما يدل عليه تعبيره بأمتى بل المصيبة بالنسبة الى من لم يره اعظم من وجه اه ولاشك ان المصيبة به صلى الله عليه وسلم لا تماثلها مصيبة وأنشد حسان ابن ثابت

كنت السواد لناظرى * فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر

(وقال ايضا)

وهل عدلت يوما رزية هالك * رزية يوم مات فيه محمد
ومافقد الماضون مثل محمد * ولا مثله حتى القيامة يفقد

وانما كانت المصيبة به صلى الله عليه وسلم اعظم المصائب لانقطاع الوحى وظهور الشر بارتداد العرب وتحرف المنافقين وبنفس موته ظهر النقص فى الناس كما قال انس مانفضنا ايدينا من التراب وانا لفى دفنه حتى انكرنا قلوبنا وكتب بعضهم لاخيه يعزيه فى ابنه ويسليه

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم بان المرء غير مخلد
واذا ذكرت محمدا ومصابه * فاذكر مصابك بالنبى محمد

ويقال ان عائشة رضى الله عنها لما وقفت على القبر الشريف أنشدت

قل للمغيب تحت أطباق الثرى * هل انت تسمع ضرعتى وندائيا
ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها * صبت على الايام عدن لياليا

ثم قالت للقبر ثانية وتمثلت بقول صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد كان بعدك أنباء وهينمة * لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها * واختل قومك فافقدم فقد نكبوا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا * ففاب عنا فكل الخير محتجب
وكنت نورا وبدرا يستضاء به * عليك تنزل من ذى العزة الكتب
فقد رزئنا بما لم يرزأ به أحد * من البرية لا عجم ولا عرب

الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة وعنه عليه الصلاة والسلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان صلوات الله عليه بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه وقال عليه الصلاة والسلام اوحى الله تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى اى شىء ادرك من فاته العلم واي شىء فات من ادرك العلم وقد قال الامام ابو حنيفة والشافعى وغيرهما ان لم يكن العلماء أولياء لله فليس لله من ولى وصرح ابو اسحق الشاطبى بافضلية درجة العلم على درجة الولاية وهى مأخوذة من أحاديث كثيرة والله اعلم وفى كلام الناظم اشارة الى الخصوصيات والمزايا التى انفردت بها هذه الامة عن سائر الامم ببركة الانتساب الى ذلك الجناب الاخم منها ماتقدم ومنها ان من هم منا بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة بل تكتب له حسنة ان تركها امتثالا وان عملها كتبت له سيئة واحدة ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف فاكثر ومنها انه رفع عنا المؤاخذة بالخطا والنسيان وما وقع فيه اكراه

ومما ورد في الحض على السؤال قوله صلى الله عليه وسلم هلا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العمى السؤال وقيل لابن عباس بم نلت هذا العلم فقال بلسان سؤول وقلب عقول وقال بشار بن برد

شفاء العمى طول السؤال وانما * دوام العمى طول السكوت على الجهل
فكن سائلا عما عناك فانما * دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

وفي القوت وفي الخبر الذي روينا من طريق أهل البيت العلم خزائن مفتاحه السؤال فاسألوا يرحمكم الله فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال ذو النون المصري في حسن سؤال الصادقين مفاتيح قلوب العارفين

باب
ماجاء في ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم

الميراث مصدر بمعنى الموروث أو بمعنى الارث وعلى كل حال ففي الكلام حذف والتقدير في حكم ميراثه أي متروكه أو ارثه خلافا لابن حجر والحكم انه لا يورث كما يأتي في الاحاديث (حدثنا أحمد بن منيع نا حسين بن محمد نا اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن الحرث أخي جويرية) احدى أمهات المؤمنين (له صحبة قال ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سلاحه) نحو السيف والرمح والدرع والمغفر والحربة (و بغلته) أي البيضاء التي كان يختص بركوبها وهي دلدل (وأرضا) قال الكرماني هي نصف أرض فدك وثلث أرض وادي القرى وسهم من خمس خيبر وحصة من أرض بني النضير ويأتي ان منها حوائط مخيريق التي أوصى بها للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر ولم يضفها اليه كالاولين لاختصاصها به دونها اذ نفعها كان عاما له ولغيره من عياله وفقراء المسلمين اه (جعلها صدقة) اختار الكرماني في شرح البخاري ان الضمير راجع للثلاثة وهو ظاهر ايراد هذا الحديث في هذه الترجمة ويحتمل أن الضمير للارض ومعنى جعلها صدقة بين في حياته انها من الصدقات لانها صارت صدقة بعد مماته ولا يلزم على هذا كون السلاح والبغلة ميراثا لان قوله صلى الله عليه وسلم ماتركنا صدقة صريح في ان ماخلفه يصير صدقة بنفس الموت وان لم يتصدق به ويأتي ان الصدقة مازاد على نفقة عياله ومؤنة عامله عليه السلام وان معنى الصدقة الوقف ولعله سكت عن ثياب بدنه وامتعة بيته لان ذلك معلوم اذ لا يخلو انسان عن شيء من ذلك نعم قال ابن حجر ذكر بعض أهل السير انه صلى الله عليه وسلم خلف ابلا كثيرة وانه كان له عشرون ناقة كانوا يرعونها حول المدينة ويأتون بألبانها اليه كل ليلة وكان له سبع معزيشربون لبنها كل ليلة قال في جمع الوسائل والظاهر ان الابل الكثيرة هي من ابل الصدقة وان الناقة والمعز كانت من المنائح كما جاءت بذلك الروايات الصريحة وسيجيء في رواية عن عائشة عند المصنف انه ماترك دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا فيتعين التأويل الذي ذكرناه والعجب من ابن حجر حيث ذكر ما نقل عن أهل السير وسكت عنه اه قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا أبو الوليد نا حماد بن سلمة عن محمد ابن عمرو عن أبي سلمة وعن أبي هريرة قال جاءت فاطمة الى أبي بكر رضي الله عنهما) حين سمعت عنه انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث (فقالت) مستدلة على الارث بطريق القياس لان الاصل عدم الخصوصية (من يرثك فقال أهلي) أي زوجتي (وولدي) يشمل الذكور والاناث (فقالت مالي لا أرث أبي فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث) من باب الحذف والايصال والاصل لا يورث منا وهذا اذا قلنا انه لا يتعدى الى المفعول بنفسه على ماذهب اليه صاحب القاموس وغيره وأما على ماقاله بعض اللغويين من انه يتعدى اليه

وحديث النفس ومنها أنا أول من تنشق عنهم الارض من الامم ومنها انه يقضي لهم قبل الخلائق ومنها انا ندخل الجنة قبل سائر الامم ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار المؤمنين لهم ومنها أن لهم ماسعوا وما سعى لهم وليس لمن قبلهم الا ماسعى ومنها انهم عجل لهم عذابهم في الدنيا وفي البرزخ ليوافوا يوم القيامة ممحصين ومنها أنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء أي بيض الوجوه والايدي والارجل من نور الوضوء ومنها انهم تغفر لهم الذنوب بالاستغفار والندم لهم توبة ومنها ان أمته لا تهلك بجوع ولا بغرق ولا يعذبون بعذاب عذب به من قبلهم ولا يسلط عليهم عدو غيرهم يستبيح بيضتهم ولا يجتمعون على ضلالة وان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا ومنها ان الطاعون رحمة لهم وكان عذابا لمن قبلهم ومنها ان فيهم أقطابا وأوتادا ونجباء وأبدالا ومنها أنه يوم القيامة يدفع الى كل رجل منهم رجل من المشركين فيقال هذا فداؤك من النار ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان ربي وعدني ان يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بلا حساب فسألته الزيادة فزادني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا

(فانقضت آي الانبياء وآيا
تك في الناس مالمن انقضاء)

أي بسبب ان في الامة وارثي

هذاك المخصوصين بهذه الخصائص التي لم توجد لغيرهم من الامم انقضت أي الانبياء أي معجزاتهم لانتساخ شرائعهم بموتهم وآياتك أي معجزاتك في الناس قبل وجودك ومعه وبعد وفاتك مالهن انقضاء أما الاولان فقد مر منهما جملة منهما في كتب الله المنزلة على الانبياء من ذكره ونعته وماظهر في أيام مولده ومبعثه من الامور العجيبة كقصة الفيل وخمود نار فارس وسقوط شرفات ايوان كسرى وانتكاس الاصنام المعبودة لولادته الى غير ذلك مما وردبه الاخبار الى أن بعثه الله مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته وأعظم من ذلك كله القرآن الذي نزل عليه واستمر في أمته وفي البردة

دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين اذ جاءت ولم تدم

وأما الاخير فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص أمته من خوارق العادات بسببه مايدل على تعظيم قدره مالا يحصى كما قال

(والكرامات منهم معجزات حازها من نوالك الاولياء)

أي الكرامات الواقعة منهم أي من الناس كالمعجزات اذ كل منهما أمر خارق للعادة وانما يفترقان بالتحدي وعدمه لكنها في الحقيقة معجزات لك حازها من نوالك أي عطائك وكرمك الاولياء وكان القياس حازوها لكنه أظهر ليبين ان مراده بالناس العائد عليهم في منهم خواصهم وهم الاولياء جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله

بنفسه كما يتعدي اليه بمن فلا حذف ولا تحويل عن الاسناد للغائب الى التكلم ويوافقه قول فاطمة في هذا الحديث من يرثك مالي لا ارث أبي وكذا قوله تعالى يرثني ويرث من آل يعقوب وورث سليمان داود والجمهور على ان قوله لا نورث غير خاص بنبينا صلى الله عليه وسلم لحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث وعليه فالمراد بالارث في الآيات المتقدمة ارث النبوة والعلم وفي الحديث العلماء ورثة الانبياء والحكمة في انهم لا يورثون انهم لو ورثوا لربما تومم منهم الرغبة في الدنيا وجمعها ورثتهم فيهلك الظان وينفر الناس عنهم أو يقتدون بهم في جمع الدنيا أو خشية ان يتمنى بعض ورثتهم موتهم فيهلك وقال النووي حرم الله ان يورث عنهم شيء من الدنيا ترفيعا لهم وتنزيها عنها اه قلت وقد يكون من الحكمة في ذلك الترغيب في نفقة المال والتزهيد في امساكه للوارث ففي البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا يارسول الله ما منا أحد الا ماله أحب اليه قال فان ماله ماقدم ومال وارثه ما أخر أي واذا كان كذلك فليكن حرصه على مايقدم أكثر من حرصه على مايؤخر وأما حديث لأن تذر ورثتك أغنياء الخ فيحتمل انه عليه السلام منع سعدا من التصرف في أكثر من الثلث لانه كان مريضا أو ان ذلك يختلف باختلاف الورثة فقرا وغنى أو ان سعدا أراد بذلك حرمان الورثة اذ لم يكن له اذ ذاك ابن فلم تخلص نيته في الصدقة وهو بعيد والله أعلم ويأتي مايدل على ان الحكمة في كونهم لا يورثون انهم احياء فلا عدة على أزواجهم وتستمر النفقة عليهن لعدم انتقال أموالهم لغيرهم والله تعالى أعلم (ولكني أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله وأنفق على من كان ينفق عليه) في الصحاح عال الرجل عياله يعولهم قاتهم وانفق عليهم اه فالعطف للتفسير ويمكن ان يفرق بينهما بان يخص قوله أعول بأهل داخل بيته كما يشير اليه لفظ أعول ويخص قوله انفق بغير أهل بيته فلا يتعين ان يكون الجمع بينهما للتأكيد وأشار الصديق رضي الله عنه بهذا الاستدراك الى دفع التوهم الناشيء من النفي المطلق في قوله لا نورث وهو انه لا ينفق عليهم من منافع متروكه صلى الله عليه وسلم وفي البخاري ان فاطمة هجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر انظر تمامه في غزوة خيبر وكانها هجرته لانها رأت ان الحديث خاص بغير العقار أو هو من باب خبر الآحاد بالنسبة اليها وان كان قطعيا بالنسبة الى أبي بكر والظني لا يخصص القطعي وهو آية الميراث على نزاع من الاصوليين في هذا أو فهمت ان متروكه صدقة بمعنى الوقف ورأت ان حق النظر على الوقف يورث دون رقبته كما يأتي ان شاء الله في كلام السيد السمهودي نعم يشكل تماديها على هجرانه مع ان الهجران لا يجوز أكثر من ثلاث لكن قال العسقلاني قال بعض الائمة انما كانت هجرتها انقباضا عن لقائه والاجتماع به وليس ذلك من الهجران المحرم لان شرطه ان يلتقيا فيعرض هذا ويعرض هذا وكان فاطمة رضي الله عنها لما خرجت غضبي من عند أبي بكر تمادت لاشتغالها بحزنها ثم بمرضها على ان البيهقي روى من طريق الشعبي ان أبا بكر عاد فاطمة فقال لها علي هذا أبو بكر يستأذن عليك قالت تحب ان آذن له قال نعم فأذنت له فدخل عليها فرضاها حتى رضيت وهو وان كان مرسلا فاسناده الى الشعبي صحيح وبه يزول الاشكال في جواز تمادي فاطمة رضي الله عنها على هجر أبي بكر اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا يحيى بن كثير العنبري أبو غسان نا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري) قال ابن حجر بالحاء المهملة منسوب الى البحتر وهو حسن المشى اه قال في جمع الوسائل وهو سهو والصواب انه بالباء الموحدة مفتوحة أو مضمومة وبالخاء المعجمة واسمه سعيد بن فيروز أو ابن عمران (ان العباس وعليا جاآ الى

عمر يختصمان يقول كل واحد منهما لصاحبه أنت كذا أنت كذا) قال ابن حجر وتبعه فى جمع الوسائل أى أنت لا تستحق الولاية علي هذه الصدقة أو انا أولى منك بها ونحو ذلك وأخطأ شارح فى حمل كلامهما علي السب والشتم اه وفى رواية فقال العباس ياأمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا الظالم ولم يرد فى طريق انه وقع شيء من علي فى جانب العباس خلاف ظاهر قوله فى رواية فاستبا قاله العسقلاني (فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد نشدتكم بالله) يقال نشدتك الله وبالله أى سألتك وأقسمت عليك (أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل مال نبي صدقة) قال ابن حجر كل هنا انما يفيد العموم فى افراد مال النبي الواحد لا فى افراد الانبياء لكن الرواية الاخرى الصحيحة نحن معاشر الانبياء تبين ان المراد العموم فى المضاف والمضاف اليه (الا ما أطعمه) أى الله كما فى بعض النسخ أو النبي ويبينه ماجاء فى رواية أبى داود بهذا الاسناد بلفظ كل مال نبي صدقة الا ما أطعمه أهله وكسام وفى بعض النسخ بصيغة المضارع من الرباعى أى أنا الكوني المتصرف فى أمور المسلمين وفى بعض النسخ بصيغة المضارع من الثلاثي وعلى هاتين النسختين ففيه التفات من الغيبة الى التكلم (انا لا نورث) استئناف للتعليل (وفى الحديث قصة) فيها اشكالات من قبل فاطمة وعلى والعباس والشيخين صارت من ضلالة المبتدعين وعمايات الناقصين والاعراض عن سماعها والبحث عنها أولى ولقد أحسن المصنف حيث تركها قاله المناوى ويأتى بيان بعضها وقد بسطها مسلم فى أبواب الفيء والبخارى فى باب فرض الخمس وفى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا صفوان بن عيسى عن اسامة بن زيد عن الزهرى عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ماتركنا فهو صدقة) صدقة بالرفع علي انه خبر المبتدا وهو ضمير الرفع والجملة خبر ما الموصولة أى الذى تركناه فهو صدقة وهذه الرواية صريحة فى معنى رواية ماتركنا صدقة فبطل قول الشيعة ان ما نافية وصدقة مفعول تركنا وأيضا لو كانت الرواية والمعنى كما قالوا لكان آخر الكلام مناقضا لصدره وبتقدير صحة الرواية بالنصب فيجب حملها على رواية الرفع والتقدير ماتركنا يكون صدقة قال عياض في الاكمال وقد حرف الامامية هذا الحديث وقالوا انما هو لا يورث بالياء وما مفعوله وصدقة منصوب علي الحال وقالوا ان المعنى ان الذى تركه صدقة لا يورث ويورث غيره وهذا مخالف لما عليه الصحابة وأئمة السنة ولما جاء فى رواية كل مال نبي صدقة انا لا نورث وفى حديث لا يقتسم ورثتى دينارا ولا درهما ماتركنا صدقة وقد اعترض بهذا الهوس أبو عبد الله بن المعلم من أئمة الامامية على القاضى أبى على بن شاذان صاحب القاضى أبى بكر الباقلانى لعلمه بضعفه فى العربية فلم ينقطع ابن شاذان بل قال مامعناه هذا الذى تنبهت له لو كان حقا لتنبه له أبو بكر أو علي أو العباس أو فاطمة وهم من أفصح العرب فاما أن تكون الرواية الرفع فقط فيبطل نصبه حالا أو لا فرق بينهما فيبطل تفريقك فانقطع ابن المعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتسم) قال العسقلانى باسكان الميم علي النهى وبضمها على النفى وهو الاشهر وبه يستقيم المعنى حتى لا يعارض ماثبت انه صلي الله عليه وسلم لم يترك مالا يورث عنه وتوجيه رواية النهى انه لم يقطع بانه لا يخلف شيأ بل كان ذلك محتملا فنهاهم عن قسمة مايخلف ان اتفق اه قلت قوله ماتركت بعد كذا وكذا صدقة يدل على انه ترك شيأ ولكنه نهى عن قسمته فرواية النهى ظاهرة والله أعلم (ورثتى) أى من يصلح لوراثتى لو جازت (دينارا ولا درهما) قيد بهما لان مرجع التركة ورسوله فلم يخرج عن أمرهما ونهيهما الى مايغضبهما أو مفعول لان الله والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد امداده وكرمه وضابط الولى انه المداوم علي فعل الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك فى اللذات كذا قالوه ويتجه أن هذا ضابط للولى الكامل وأن أصل الولاية يحصل لمن وجدت فيه صفة العدالة الباطنة بالشروط المعتبرة ثم المعجزة هى فعل الله تعالى خارق للعادة مقارن لدعوى الرسالة متحدى به والافهى استدراج أو سحر ولذا قال ابن حجر العسقلاني فى الفتح ان الذى استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على ان من وقع له ذلك يكون من أولياء الله غلط فان الخارق قد يظهر علي يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فلابد من النظر الي التمسك بالاوامر الشرعية والنواهي المرعية فهى علامة على الولاية والعكس بالعكس والصحيح ان كل ماجاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولى * (تنبيهات الاول) * قال الحاتمى رضى الله عنه فى الفتوحات ان مستمد جميع الانبياء والمرسلين من روح سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو قطب الاقطاب فهو ممد لجميع الناس أولا وآخرا فهو ممد كل نبي وولى سابق على ظهوره حال كونه فى الغيب وممد أيضا لكل ولى لاحق فيوصله بذلك الى مرتبة كماله فى حال كونه موجودا فى عالم الشهادة وفي حال كونه

منتقلا الى الغيب الذى هو البرزخ والدار الآخرة فان أنوار رسالته صلى الله عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين ثم قال فكل نبي تقدم علي زمان ظهوره فهو نائب عنه فى بعثته بتلك الشريعة اه وقال الشيخ أبو عثمان الفرغاني لم يكن داع حقيقي من الابتداء الى الانتهاء الا هذه الحقيقة الاحمدية التى هى أصل جميع الانبياء وهم كالاجزاء والتفاصيل لحقيقته فكانت دعوتهم من حيث جزئيتهم عن خلافة من كل لبعض أجزائه وكانت دعوته دعوة الكل لجميع أجزائه والاشارة الى ذلك قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس والانبياء والرسل وجميع أممهم وجميع المتقدمين والمتاخرين داخلون فى كافة الناس وكان هو داعيا بالاصالة وجميع الانبياء والرسل يدعون الخلق الى الحق عن تبعيته صلى الله عليه وسلم وكانوا خلفاءه ونوابه فى الدعوة اه ولذا قال الناظم فى البردة

وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم
من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

ويؤخذ من استمداد الانبياء منه صلى الله عليه وسلم استمداد الاولياء منه بطريق الاحروية ولكن الحظوظ مختلفة فحظ النبي زق من عسل وحظ الولى مارشح منه كما قال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه فينبغى لمن زار وليا من أولياء الله أن يستحضر استمداده من

عند القسمة أو المعنى مايساوى قيمة أحدهما وهذا أولى مما قاله ابن حجر من ان التقييد بهما للتنبيه على ان ما فوقهما بذلك أولى فانه يبقى مفهوم مادونهما قاله فى جمع الوسائل وفى الاكمال وهو من التنبيه بالادنى على الاعلى كقوله تعالى ومنهم من ان تأمنه بدينار وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (ماتركت بعد نفقة نسائى) انما وجبت لهن النفقة بعد موته عليه السلام لكونهن محبوسات عن الازواج بسببه لقوله تعالى ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فهن فى حكم من فى العصمة مادمن فى الحياة أو لعظم حقوقهن وكونهن أمهات المؤمنين وليس ذلك لارثهن منه ولذلك اختصصن بمساكنهن ولم يرثها ورثتهن بعدهن وفى ابن حجر قال ابن عيينة هى معنى المعتدات لحرمة النكاح عليهن أبدا لجرت لهن النفقة وقيل لاعدة على أزواجه صلى الله عليه وسلم لانه حى فى قبره وكذا سائر الانبياء عليهم السلام اه وفى قوله هن فى معنى المعتدات شىء لان المعتدة لا نفقة لها فالاولى ان يقال انهن فى معنى من فى العصمة كما تقدم وفى الخطاب عند قول المختصر ومدخولته لغيره قال فى الشامل وأصله فى الجواهر وفى بقاء نكاح من مات عنها قولان وعلى انقطاعه ففى وجوب العدة ونفيها قولان بناء على انها متوفى عنها أو لا نها لا تنتظر الاباحة اه القرطبي الصحيح انه لا عدة على من مات عنهن وبقاء نكاحهن قال ابن العربى وبقائه أقول اه ونقل عند قوله ولا يورث مانصه قال الاقفهسى اختلف هل ماتركه باق على ملكه ينفق على أهله منه كحياته أو سبيله سبيل الصدقات والصواب انه صدقة لقوله صلى الله عليه وسلم ماتركناه صدقة اه وتقدم ان عند قول المصنف ومدخولته لغيره عن المشاور مايخالف ماصوبه فتأمله والله اعلم اه وفى ابن حجر عند قوله لا نورث قيل لبقائه على ملكه وعليه صاحب التلخيص من أئمتنا وقيل لمصيره صدقة اه المراد منه قلت قد بين فى هذا الحديث ان الصدقة ماعدا نفقة أزواجه ومؤنة عامله فلا سبيل الى اطلاق القول بان اجميع ملك او صدقه وقضية بقائه على ملكه وان الانبياء احياء ان حياتهم زائدة على حياة الشهداء وانها قد تعطى بعض أحكام الدنيا قال ابن حجر وقد صح ان الانبياء يحجون ويلبون فاعمالهم ليست تكليفية بل يتلذذون بها ومن ذلك سجوده صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة ولا ينافى ذلك اطلاق الكتاب والسنة والاجماع الموت عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكى لانه أحيي بعده وعليه فانتقال الملك مشروط بموت مستمر وقد ثبت ان اجساد الانبياء لا تبلى وان الروح تعود فى الجسد فى سائر الموتى وانما النظر فى استمرارها فى البدن وفى انه يصير حيا كهو فى الدنيا أو حيا بدون روح وهى حيث شاء الله فان ملازمة الحياة لها أمر عادي فالعقل يجوز خلاف ذلك فان صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى فى قبره فان الصلاة تستدعى جسدا حيا وكذلك صفات الانبياء المذكورة ليلة الاسراء كلها صفات للاجساد ولا امتناع من انها حياة حقيقية وان لم تحتج الى نحو طعام وأما نحو العلم والسماع فثابت لهم بل لسائر الموتى بلا شك اه (ومؤنة عامله) قال ابن حجر هو الخليفة بعده وقيل القائم على هذه الصدقات والناظر فيها وقيل كل عامل للمسلمين اذ هو عامل له صلى الله عليه وسلم وهو نائب عنه فى أمته اه قال المناوى وفيه ان كل قيم بامر من أمور المسلمين ممايعم نفعه سبيله سبيل عامل المصطفى فى انه له المؤنة فى بيت المال والكفاية مادام مشتغلا به كالعلماء والقضاة والامراء وسائر أهل الشغل بمنافع الاسلام اه (فهو صدقة) معنى الصدقة هنا كما فى الاكمال الوقف لمصالح المسلمين وفى مسلم عن عمر قال كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله

مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق على أهله نفقة سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل وفي ابن حجر كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ نفقة أهله من الصفايا التي كانت له من أموال بني النضير وفدك ويصرف الباقي في مصالح المسلمين ثم وليها أبو بكر ثم عمر كذلك فلما صارت الى عثمان استغنى عنها بماله فاقطعها مروان وغيره من أقاربه فلم تزل في أيديهم حتى ردها عمر ابن عبد العزيز اه وفي المناوي قال السيد السمهودي عن الواقدي وغيره كانت تركة النبي صلى الله عليه وسلم التي جعلها صدقة أموالا لمخيريق أوصى له بها وقتل بأحد وهي سبع حوائط الدلال وبومة والاعوان والصافية ومثبت وحسناء ومشربة أم ابراهيم وهذه الحوائط مما طلبته فاطمة وعلي والعباس من أبي بكر وعمر فأبيا واحتجا بالحديث كما تقدم فعلي والعباس وفاطمة فهموا من قوله ماتركناه صدقة الوقف ورأوا ان حق النظر على الوقف يورث دون رقبته فرأى أبو بكر ان الامر في ذلك له وأما عمر فاعطاها لعلي والعباس ليعملا فيها بما عمل المصطفى صلى الله عليه وسلم فكانت هذه الصدقة بيد علي غلب عليها العباس ثم بيد الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين والحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن ثم عبيد الله بن الحسن حتى ولي بنو العباس فقبضوها فكانت بيد كل خليفة يولي عليها ويعزل ويقسم غلتها في أهل الحاجة من أهل المدينة اه ومخيريق هذا محب بلغ به صدق المحبة ان بذل نفسه وماله في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبقيته ولحوقه باخوته سلمان وبلال وهو مخيريق النضري الاسرائيلي من بني النضير ذكر الواقدي انه أسلم واستشهد باحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيريق سابق يهود وسلمان سابق فارس وبلال سابق الحبشة وكان عالما ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد قال لليهود ألا تنصرون محمدا والله لتعلمون ان نصرته حق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال لا سبت وأخذ سيفه ومضى الى النبي صلي الله عليه وسلم فقاتل حتى أثبتته الجراحة فلما حضره الموت قال أموالي الى محمد يضعها حيث شاء * قال المصنف (حدثنا الحسن بن علي الخلال نا بشر بن عمر قال سمعت مالك ابن أنس عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان قال دخلت علي عمر فدخل عليه عبد الرحمن ابن عوف وطلحة وسعد وجاء علي والعباس يختصمان فقال عمر أنشدكم بالذي باذنه) أي ارادته وقدرته (تقوم السماء والارض) أي تثبت ولا تزول ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا (أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ماتركنا صدقة قالوا اللهم نعم) هذا جواب الاستفهام أي نعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال في جمع الوسائل وتصديره باللهم اما لتأكيد الحكم أو للاحتياط والتحرز عن الوقوع في الغلط والكذب علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم ان الميم فيه بدل من حرف النداء وان المقصود من النداء في حقه سبحانه هو التضرع والتذلل لا حقيقة النداء فانه ليس ببعيد حتى ينادى ولا بغائب حضوره يرتجى بل هو أقرب الى العبيد من حبل الوريد اه وفي المرادي علي النظم ان اللهم يستعمل علي ثلاثة انحاء منها ان يذكره المجيب تمكينا للجواب في نفس السامع كان يقول لك القائل أزيد قام فتقول أنت اللهم نعم أو اللهم لا اه وكان الاصل والله أعلم اللهم اشهد ان الجواب كذا (وفي الحديث قصة طويلة) تقدم قول المناوي قد أحسن المصنف حيث تركها ومما تضمنته القصة المذكورة ان عليا والعباس ترافعا الى أبي بكر ثم ترافعا الى عمر مرتين فيشكل ترافعهما الى أبي بكر مع قوله عليه السلام لا نورث وعلمهما الحديث سواء كانا سمعاه من النبي عليه السلام حضرته صلى الله عليه وسلم فيكون بذلك زائرا له صلى الله عليه وسلم

* (التنبيه الثاني) * اعلم ان الاولياء أفاض الله علينا من بركاتهم ورضي عنهم هم قسمان قسم مريد سالك واصل الى ربه المالك وقسم غائب مجذوب في حضرة علام الغيوب فاجأم التجلي الالهي فذهب بعقولهم فعقولهم مخبوءة عند الله تعالى منعمة بشهوده عاكفة في حضرته متنزهة في جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول ولما تكلم أبو زيد بن خلدون في أوائل تاريخه علي السادات الصوفية قال ومن هؤلاء قوم بهاليل معتوهون أشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق مع انهم غير مكلفين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب الى ان قال ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة على شيء من التكاليف واذا صح ذلك فاعلم انه يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة ولك في تمييزهم علامات منها أن هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة مالا يحلون عنها أصلا من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة أصلا ومنها انهم يخلقون على البله من أول نشأتهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت

أو من غيره الا ان يقال حملاه على غير عمومه أو رأوا ان حق النظر على الوقف يورث دون رقبته ثم يشكل ترافعهما الى عمر والجواب لعله ان لا يرى رأى أبي بكر ويشكل عليه ترافعهما اليه ثانيا والجواب انهما ترافعا ثانيا في غير الميراث بل في ولاية تلك الصدقة اذ لو كان في الميراث لاخذ على النصف وعباس الربع ونصفه ولم يكن نزاع فكان تنازعهما اذا اما في الاستبداد بالولاية بان يريد كل منهما ان يستبد بالولاية أو في بعض مصارف هذه الصدقات لكن في رواية مايدل على انهما ترافعا ثانيا في مثل ماترافعا فيه أولا فبقي الاشكال ولم يجب عنه ابن حجر والجواب انهما ترافعا اليه ثانيا لعله ان يكون تغير اجتهاده والله اعلم قال ابن حجر وقد استوفينا الكلام على ماوقع لفاطمة مع أبي بكر ولعلي والعباس مع عمر رضي الله عنهم في كتاب الصواعق المحرقة فاطلبه فانك تنجو به من ضلالات وقع فيها المبتدعة وعمايات خذل بها من أضله الله ووضعه *قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا سفيان عن عاصم بن بهدلة) علي وزن فعللة وعاصم هو الامام المقرئ المشهور الذي راوياه أبو بكر وحفص (عن زر) هو بكسر الزاي وتشديد الراء (ابن حبيش) تصغير حبش (عن عائشة قالت ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا) أي مملوكين (قال) أي زر الراوي عن عائشة كما جزم به ابن حجر أو الراوي الصادق بمن دونه (وأشك في العبد والامة) أي في ان عائشة هل ذكرتهما أم لا وفي رواية البخاري عن جويرية ولا عبدا ولا أمة أي مملوكين والا فقد بقي بعده صلى الله عليه وسلم كثير من مواليه وقد ترجم البخاري باب ماذكر من درع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك به أصحابه وغيرهم بعد وفاته ومراده ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يورث لان هذه الامور بقيت في يد من كانت تحت يده من الاقارب وغيرهم يتبركون بها ولم تبع ويقسم ثمنها وقد ذكر داخل الترجمة مايدل على الكساء والرداء والصحيفة ولم يذكر مايشهد للدرع والعصا والشعر والله أعلم *(تنبيه) *في الحديث العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر ومن ثم قال العلماء أهم الاشياء لاهل البيت طلب العلم وتحصيله بنية صالحة اذ هو الذي ورثه جدهم صلى الله عليه وسلم ولم يورث دينارا ولا درهما فحقهم ان يتنافسوا فيه كل المنافسة ويعتنوا به غاية الاعتناء اذ أولى الناس بالارث الاقارب وقبيح بهم ان يحرموا أنفسهم من ذلك الارث ويزهدوا فيه ويعرضوا عنه مع غاية جلالته ونهاية شرفه واحقيتهم به ولا يمنعهم من ذلك احتياجهم الى التادب مع المعلمين والتواضع لهم والجلوس بين أيديهم لان التواضع خلق شريف به تخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومدحه وأثنى عليه لاسيما مع أهل العلم فان التواضع لهم تواضع في الحقيقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هم خلفاؤه ونوابه وقد تقدمت حكاية أبي معاوية الضرير مع هرون الرشيد وروى أبو نعيم في الحلية ان علي بن الحسين كان يذهب لزيد بن أسلم فيجلس اليه يعني للاخذ عنه فقيل له أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب الى هذا العبد فتجلس اليه قال العلم يتبع حيث كان وممن كان اه وأخرج في الصفوة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه قلت لرجل من الانصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اليوم كثير فقال واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون اليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم قال فتركته وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث فان كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد

نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها كثرة تصرفهم في الناس في الخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم اه (التنبيه الثالث) تقدم الفرق بين المعجزة والكرامة وذكر في لطائف المنن أن الكرامة تارة تظهر للولي في نفسه فيكون المراد منها تعريفه بقدرة الله وانها لا تتوقف على الاسباب وتكون شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى وتارة تظهر في الولي لغيره فتكون معرفة له بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه فينتفع به وهي من آثار محبة الله لعبده ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وليست شرطا في الولي ولا دالة على انه أفضل من غيره ممن لم تظهر على يديه كرامة لان الفضيلة انما هي بقوة اليقين وكمال المعرفة بالله فكل من كان أقوى يقينا وأكمل معرفة كان أفضل ولهذا ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم وفقدها أهل النهايات في نهاياتهم لما هم عليه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين ولهذا لم تكثر الكرامات في الصحابة كثرتها فيمن بعدهم لانهم ببركة مجالستهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم لنزول الوحي تنورت بواطنهم وعاينوا الآخرة وزهدوا في الدنيا وزكت نفوسهم فاستغنوا عن الكرامة الحسية لما أعطوا من العلوم الغيبية والمعارف الاشهادية ولا يحتاج الجبل الى مرساة بنحو هذا أجاب الامام أحمد لما سئل عن هذا وقد قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء

الباب فيخرج فيراني فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجاء بك الا أرسلت الى فآتيك فاقول بل أنت أحق أن آتيك فاسأله عن الحديث فعاش ذلك الرجل الانصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني فيقول هذا الفتى كان أعقل مني والى هذا يشير قول ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقد قام الصحابة رضي الله عنهم بوظيفة تعلم العلم وتعليمه لان العلم هو روح الدين فجميع مايظهر في هذه الامة من العلوم في ميزان حسناتهم وهم وحسناتهم في ميزانه صلى الله عليه وسلم ولا يزال الخير في هذه الامة الى يوم القيامة لحديث لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون ومن ثم قال البوصيري رحمه الله

لم نخف بعدك الضلال وفينا * وارثو نور هديك العلماء
فانقضت آي الانبياء وآيا * تك في الناس ما لهن انقضاء
والكرامات منهم معجزات * حازها من نوالك الاولياء

باب
ما جاء في رؤية النبي ﷺ في المنام

قال ابن القوطية رأيت الشيء رؤية وفي العلم والامور رأيا وفي النوم رؤيا اه ومقتضاه اختصاص المقصور بالحلمية والمؤنث بالتاء بالبصرية قيل وقد يستعمل أحدهما مكان الآخر مجازا وقال ابن هشام لاتختص الرؤيا بمصدر الحلمية بل قد تقع مصدرا للبصرية خلافا للحريري وابن مالك اه وقد استعمل المصنف في هذه الترجمة مصدر البصرية وهو الرؤية بالتاء في الحلمية وكانها عنده لاتختص بالبصرية ولذلك قيدها بقوله في المنام على مافي بعض النسخ وقد اختلف في حقيقة الرؤيا المنامية قال الشيخ زروق في شرح الرسالة الرؤيا مثال يلقيه الله تعالى لعبده في منامه بواسطة ملك أوغيره اه ولهم فيها كلام طويل قد نقل بعضه شيخنا العلامة في شرح الحصن الحصين قلت وذكر المصنف باب الرؤيا اثر باب الميراث وجمع بينهما في نسق واحد لان عدم الارث من خصائصه صلى الله عليه وسلم كما أن رؤياه لاتكون الا صادقة من خصائصه صلى الله عليه وسلم والله أعلم وذكر بعض الشراح أن ايراد باب الرؤية في آخر الكتاب بعد ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية ليسهل تطبيق مايراه في المنام عليها قلت ويحتمل أنه ختم تراجم الكتاب بترجمة الرؤية في المنام دون غيرها من الابواب تفاؤلا بان يكون خاتمة عمل الانسان ظفره برؤيته صلى الله عليه وسلم والاجتماع به واشارة الى أن من ثمرات الاشتغال بمعرفة سيره وشمائله الفوز برؤيته والقرب منه صلى الله عليه وسلم لان الاشتغال بذلك يستدعي كثرة الاستحضار لصورته الكريمة وتعلق القلب برؤية محاسنه الفخيمة وذلك من أقوى أسباب رؤيته صلى الله عليه وسلم وقد نقل في الحلية عن المثنى بن سعيد أنه قال سمعت مالكا يقول مابت ليلة الارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فالاكثار من استحضار صورته الشريفة ومعرفة شمائله المنيفة كالتوطئة والتمهيد لرؤيته في المنام ورؤيته في المنام كالتوطئة والتمهيد لرؤيته في اليقظة وسيأتي الكلام على ذلك واعلم أن العارفين يتصورونه صلى الله عليه وسلم على هيآت عظيمة وحالات كبيرة جسيمة فتارة يستحضرون دخوله للمدينة من هجرته وقد خرجت ذوات الخدور والولائد والصبيان يقلن

طلع البدر علينا * من ثنية الوداع وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ماازددت يقينا وتقدم
(لم يزده كشف الغطاء يقينا
بل هو الشمس ماعليه غطاء)
وقال سيدي ابن عباد الكرامة الكاملة انما هي حصول الاستقامة والوصول الى كمالها ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا ولهذا قال الشيخ أبو العباس المرسي ليس الشأن من تطوى له الارض فاذا هو بمكة انما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وقال أبو الحسن انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل بالاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن أعطيهما ثم يجعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أوذو خطا في العلم والعمل بالصواب وقال أبو يزيد البسطامي لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع في الهواء فلاتقتدوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود وآداب الشريعة اه وقال أبو القاسم الجنيد قد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقينا

(ان من معجزاتك العجز عن وصفك اذ لايحده الاحصاء)
(كيف يستوعب الكلام سجايا * ك وهل تنزح البحار الركاء)

هذا في معنى التوكيد لقوله وآياتك في الناس ماله من انقضاء أي ان من جملة معجزاتك عجز كل الناس عن الاحاطة بكل فرد فرد من أوصافك التي اختصك الله بها لاجل أنه

لايحدولايحصى أوصافك احصاء
محص ولاعداد والعموم مأخوذ
من اضافة المفرد المنكر الى
المعرفة وكيف يمكن ان يستوعب
الكلام الصادر من كل من
مدحك سجاياك أى أخلاقك
الكريمة وفضائلك الفخمية
وأوصافك العظيمة وما هى فى
كثرتها وعدم احصائها وقيام الوجود
المعنوى بها لانه صلى الله عليه وسلم
روح الكون والخليفة الاكبر
عن الله فى امداده الاكالبحر اذبه
أيضا يقوم الوجود الحسى وما
الالفاظ التى يعبر بها عن الاوصاف
المأخوذة من أوصافك الا
كالركاء جمع ركوة فيؤخذبها من
البحر مايراد وهو لاانقضاء له
فقوله وهل تنزح البحار الركاء فيه
تشبيه الاوصاف بالبحار بالجامع
المذكور ثم اطلق اسم المشبه به
على المشبه استعاره تصريحية
وفيه تشبيه الالفاظ بالركاء بجامع
التوصل الى المطلوب وأطلق اسم
المشبه به على المشبه استعاره
تصريحية أيضا ورشحها بذكر النزح

(ليس من غاية لوصفك ابغيه
بها وللقول غاية وانتهاء)

قدعلم ان أوصافه صلى الله عليه
وسلم لوعبر عنها من اول الزمان الى
اخره لاتحدولاتحصي ومما يزيدك
بيانا وايضاحا لذلك ما أخبر به
الناظم عن نفسه وهوانه ليس من
غاية يطلبها لوصفه لعدم الغاية
لها ولقوله هو غاية وانتهاء
فليس للنفى ومن غاية اسمها جر
بمن لافادة الاستغراق والجملة من
قوله ابغيها خبر ولوصفك يتعلق
بما بعده او بما قبله وعطف الانتهاء
على الغاية للتاكيد وما أحسن

ويجعلون أنفسهم كانهم يقولون ذلك ويفرحون وتارة يتصورونه امام المؤمنين ببدروم
يلوذون به فى جهاد أعدائه ويستحضرون ان ملائكة الله تتبعه وتقاتل معه وتارة يستحضرونه
تحت شجرة الرضوان والصحابة يبايعونه على ان يموتوا دونه ويستحضرون قوله تعالى فى ذلك
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يدالله فوق ايديهم وتارة يتصورون دخوله لمكة يوم الفتح
ومعه جنودالله وقد أحدقت به الانصار لايرى منهم الاالحدق من الحديد وهو على ناقته
القصواء وهو بين سيدنا أبي بكر وسيدنا أسيد بن حضير يتحدث معهما وتارة يستحضرونه
ساجدا عند العرش بين يدى الله تعالى وهو يقال له ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وتارة
يستحضرون قرعه لباب الجنة وأمته وجميع الامم تتبعه اليها وهكذا (حدثنا محمد بن
بشار نا عبدالرحمن بن مهدى نا سفيان عن أبى اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله)
أى ابن مسعود كما في بعض النسخ (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رآني فى المنام فقد
رآنى) أى فقد رآني حقا وليست رؤياه بباطلة ولا أضغاث أحلام ولامن تمثيل الشيطان
بل هى من قبل الله تعالى وهذا معنى رواية فكانما رآنى فى اليقظة فقوله (فان الشيطان
لايتمثل بي) كالتتميم للمعنى والتعليل للحكم والتمثل يتعدى بنفسه كما يأتي فى رواية يتمثلنى وبالباء
كما فى هذه الرواية وباللام اى لان الشيطان وان مكنه الله تعالى من التصور فى أى صورة اراد
فانه لم يمكنه من التصور فى صورة النبى صلى الله عليه وسلم فكما حفظ الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم حال الحياة من تمكن الشيطان منه وايصال الوسوسة فكذلك حفظه بعد
خروجه من دار التكليف فلايقدر ان يتمثل بصورته ويتشكل بشكله وهذا معنى رواية
لايتكوننى أى لايتكون كوني أى لايصير كائنا فى مثل صورتي ورواية فان الشيطان لا يتخيل
بى ورويه لايستطيع أن يتشبه بى كما يأتى قال فى سمط الجوهر الفاخر وقد اختلفوا فى رؤياه
صلى الله عليه وسلم هل لاتكون الاعلي صورته المعلومة التى كان عليها فى الدنيا أو يرى
فى صورته المعلومة وغيرها والصحيح التعميم وان رؤياه فى أى حالة كانت هى حق ليست
باطلة ولا اضغاثا الا انه ان رؤى علي صورته المعروفة فى حياته لم تحتج رؤياه الى تعبير وان
رؤى علي غير صورته المعلومة احتاجت الى التعبير والتأويل وهذا والله أعلم بشرط أن يكون
لصورته الحقيقية الاصلية بقاء فيكون مثال ذلك كما اذا كان لك شخص من أقاربك تعرفه
معرفة تامة فغاب عنك مدة مديدة ثم اتصلت به وقد شاب وصار شيخا وكان حين غاب عنك
شابا لم يشب أو غيرته الشمس وسودته وقد ذهب أبيض أو وقع عليه أثر فى وجهه او نقص فى بعض
أعضائه فانك مع ذلك لاتمترى فيه أنه الشخص الذى غاب عنك بخلاف مالو أتاك غيره وادعى
انه هو وهو مخالف له فى صورته الاصلية والمعنى والسر الذى امتازت به صورته عن غيرها
فانك لاتقبل دعواه أصلا ولو احتج علي ذلك بما عسى ان يحتج ولعل بهذا يجمع بين قول من
قال لايرى الاعلي صورته المعروفة وبين من قال يرى فى كل صورة وأما ورأى فى منامه شخصا
مخالفا لصفة النبى صلى الله عليه وسلم من كل وجه فقال له انه النبى صلى الله عليه وسلم أوقيل له
ذلك فيه او توهمه فى نومه فالظاهر ان رؤياه غير صحيحة وتلك الصورة التى رأي غير محفوظة
ولا ممنوعة من الشيطان ان يتصور فيها والشيطان ليس بمحجور عليه أن يتصور فى أى
صورة شاء ويكذب ويدعى ماشاء فيدعى أنه رسول الله أو غير ذلك وانما الممنوع منه صورة
النبى صلى الله عليه وسلم التى هي صورته المعلومة المقدسة الشريفة ان يتكونها الشيطان
ويصير ظاهرا في مثلها وشكلها هذا الذى يقتضيه قوله لايتكوننى ولايتمثل بى ولاينبغى
للشيطان أن يتشبه بي اه ثم اعلم أنهم اختلفوا أيضا فقال بعضهم المرئى فى جميع الاحوال هو

مثال

مثال روحه صلى الله عليه وسلم لا حقيقة شخصه أو روحه لان روحه لا صورة لها ولا لون ولا شكل ورؤيا شخصه باطلة ببديهة العقل لانه قد يراه ألف راء في ليلة واحدة في ألف موضع في صورة مختلفة من الطول والقصر والشباب والشيوخة والصحة والسقم وغير ذلك فكيف يتصور شخص واحد في حالة واحدة في هذه الصور المختلفة كلها وكيف يعتقد انه خرج من قبره مرتحلا الى مواضع كلها في آن واحد فلم يبق الا أن رائيه انما رأى مثال روحه المقدسة وروحه تتشكل بصورة جسده الطاهر واطلاق رؤيته على رؤية مثاله صحيح لا اشكال فيه اه وهذا هو الذى قرر به الغزالى الحديث وهو مرتضى الابي قال فمعنى من رآني فقد رآني من رأى مثالى فقد رأى مثالى وهذا هو التوجيه الحق في أنه يصح أن يراه اثنان في مكانين ووجهه بعض الصوفية بأنه صلى الله عليه وسلم كالشمس هي واحدة وترى في أماكن عدة وهو تنظير لا يصح لانه غير موازن لان الشمس وهي بالافق ترى من مكانين لا في مكانين ورؤية واحدة من مكانين تصح بخلاف رؤية في مكانين وانما الذى يوازن أن يرى زيد جرم الشمس في بيت ويراه عمرو في ذلك الوقت في بيت آخر ولو فرض ذلك كان فرض محال كاستحالة أن يرى ذاته الكريمة اثنان في مكانين اه وقال آخرون بل الحديث محمول على ظاهره والمراد ان من رآه فقد أدركه ولا مانع يمنع من ذلك وأما كونه قد يرى على غير صفته أو يرى في مكانين مختلفين معا فان ذلك غلط في صفته وتخيل لها على غير ما عليه فتكون ذاته مرئية وصفاته متخيلة غير مرئية والادراك لا يشترط فيه تحديد البصر ولا قرب المسافة ولا كون المرئى ظاهرا على وجه الارض أو مدفونا وانما يشترط أن يكون موجودا ولم يقم دليل على فناء جسمه بل جاء في الخبر الصحيح ما يدل على بقائه اه فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل انما هو في بصر الرائى فقد يرى من الصفات ما يخالف صفته صلى الله عليه وسلم وقد يخيل له أنه في مكان كذا وفي بلد كذا دون روضة المدينة المشرفة وقال شيخ الاسلام زكريا تبعا لابن العربي رؤية المصطفى صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك لذاته وبغير صفته ادراك لمثاله فالاولى لا تحتاج الى تعبير والثانية تحتاج اليه ويحمل على هذا قول النووى والصحيح انه يراه حقيقة سواء كان على صفته المعلومة أو غيرها كما ذكره المازري اه فهذه ثلاثة أقوال في المرئى هل هو المثال مطلقا أو الذات الكريمة مطلقا أو التفصيل قال بعضهم وثمرة اختلاف الصفات اختلاف الدلالات فقد قال بعض علماء التعبير ان من رآه شيخا فهو عام سلم ومن رآه شابا فهو عام حرب وقال العارف ابن أبي جمرة من رآه في صورة حسنة فذلك حسن في دين الرائى وان كان في جارحة من جوارحه شين أو نقص فذلك خلل في الرائي من جهة الدين قال وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الاسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائى هل عنده خلل أم لا وقد صرح النووى بأن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام لا يختص بها الصالحون وهو ظاهر قوله في الحديث من رآني فان من من صيغ العموم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتصور أو قال لا يتشبه بي) التصور والتشبه والتمثل متقاربة المعنى والشك في غير الجار * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا خلف بن خليفة عن أبي مالك الاشجعى عن أبيه) طارق بن أشيم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني) سبق ما للعلماء في معناه (قال أبو عيسى) أى المصنف (وأبو مالك) أى المذكور في هذا السند (هو سعد بن طارق بن أشيم وطارق بن أشيم هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد

قول الناظم في البردة

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف
وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم
فبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم
وكل آى أتى الرسل الكرام بها
فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن أنوارها للناس في الظلم
وقول سيدى محمد بن الجيش
آيات خير المرسلين محمد
نور الهدى بهر العقول سناها
من حين مبعثه الوجود لوقتنا
هذا يعددها فما أحصاها
من ذا يروم لمجد أحمد منتهى
وبمجده كل الكمال تناهى
وقد قال سيدنا أويس القرنى رضى الله عنه لاصحاب مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيتم من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ظله قالوا ولا ابن أبي قحافة قال ولا ابن أبي قحافة ولما ذكر هذا الكلام عند العارف الاكبر سيدنا أبي الحسن الشاذلى رضى الله عنه قال صدق أويس القرنى رضي الله عنه والى هذا يشير البغدادى بقوله
صدقت لقد حاز الحبيب مناقبا
تقاصر عن احصائها كل مستقصى
صحابته لم تحص الا خصه به
اله البرايا ليت شعري من يحصي
وهذا هو الذى أفصح عنه القطب الاشهر مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه حيث قال
وله تضاءلت الفهوم فلم يدر كه منا
سابق ولا لاحق

(انما فضلك الزمان وآيا
تك فيما نعده الآناء)

أي انما فضائلك كالزمان في الكثرة والامتداد وعدم حصرها بالاعداد وآياتك أي خصائصك التي هي جزئيات تلك الفضائل كالآناء أي اللحظات والطاعات التي اشتمل عليها الزمان في العجز عن الاحاطة بكل منهما قلت ويحتمل أن يكون المعنى انما (٣) أبدا وتبقى بسببه على ممر الازمنة الى مالا منتهى لآخره لك البأواء أي الفخر وأي فخر فسأل من الله تعالى أن يسلم على نبيه صلى الله عليه وسلم لان سلامنا عليه ليس فيه مكافاة له على احسانه الينا وانعامه علينا ولذا شرع لنا أن نطلب من الله تعالى أن يصلي عليه صلى الله عليه وسلم لاناعاجزون عن مكافأته فانه أحسن الينا احسانا لم يحسن الينا أحد مثله ولا مقاربه ولا نستطيع أن نحسن الى أنفسنا مثله وتامل قوله جل وعلا لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فلما عجزنا عن مكافأته طلبنا من الله أن يكافئه ويجازيه اذ لا يقدر على مكافأته سواه تعالى وأخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس من قال جزى الله عنا سيدنا محمدا ما هو أهله أتعب سبعين كاتبا الف صباح وفي رواية ألفي صباح بالتثنية فيكون أعلم أولا بالالف ثم أعلم بزيادة الف آخر فاعلم به

(وسلام عليك منك فماغيـ
ـرك منه لك السلام كفاء)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث) أي غير هذا الحديث فثبت أن له صحبة ورواية وأن أباه مالك من التابعين * قال المصنف (وسمعت علي بن حجر يقول قال خلف بن خليفة رأيت عمرو ابن حريث صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام صغير) فكل من قتيبة وعلي بن حجر شيخي المصنف من تابعي التابعين والترمذي من تابعي تابعي التابعين فبين المصنف وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة انظر المناوي لكن قول علي بن حجر قال خلف بن خليفة ليس بصريح في اللقي بخلاف قول قتيبة حدثنا خلف بن خليفة فانه صريح في اللقي والله أعلم * قال المصنف (حدثنا قتيبة هو ابن سعيد نا عبد الواحد بن زياد عن عاصم بن كليب قال ني أبي أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثلني قال أبي) أي كليب (فحدثت به) أي بهذا الحديث (ابن عباس وقلت قد رأيته) أي النبي صلى الله عليه وسلم في المنام (فذكرت الحسن بن علي فقلت شبهته به) قد تقدم في حديث علي في الباب الاول ذكر من كان يشبهه صلى الله عليه وسلم في صورة ذاته الكريمة (فقال ابن عباس انه) أي الحسن بن علي (كان يشبهه) أي النبي صلى الله عليه وسلم في رواية الحاكم بسند جيد عن عاصم بن كليب أيضا بلفظ قلت لابن عباس رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال صفه لي فذكرت الحسن بن علي فشبهته به فقال قد رأيته وفي هذا الحديث جواز التحدث برؤية النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وقد ورد في الحديث الرؤيا الحسنة من الله فاذا رأي أحدكم مايحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى مايكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فانها لن تضره اه قال شيخنا العلامة في شرح الحصن الحصين قلت وأعظم المحبوبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فتجري هذا المجرى من عدم الافشاء لكل أحد بل هي بذلك أحري خلاف ماشاع وذاع عند من لم يتأدب بالسنة ولا عرفها بل الغالب عدم صدقه فينوه برؤياه أو يعمل وليمة وربما تعرض بها للمطامع أو الرياسة والظهور وقد يعتمد علي رؤياه حتى فيما يخالف الحق مع كونها على فرض صحتها قد تحتاج الى تعبير اه المراد منه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر قالا نا عوف بن أبي جميلة عن يزيد الفارسي وكان يكتب المصاحف) اشارة الى بركة عمله وأنه من أحل الحلال فلذلك رأى تلك الرؤيا العظيمة (قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام زمن ابن عباس) أي زمن وجوده (فقلت لابن عباس اني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي فمن رآني في المنام فقد رآني هل تستطيع أن تنعت هذا الرجل الذي رأيته في النوم) في النهاية أن النعت ذكر المحاسن والوصف يقال في الحسن والقبح وليس في هذا السؤال مايدل للقول بانه عليه السلام لايرى الا في صورته المعلومة بل فيه مايدل لما تقدم من أن من رأى شخصا مخالفا لصفة النبي صلى الله عليه وسلم من كل وجه فان رؤياه لاتكون حقا (قال نعم أنعت لك رجلا) في نسخة رجل أي هو رجل (بين الرجلين جسمه ولحمه) فاعل الظرف أو مبتدأ مؤخر والظرف خبر مقدم والجملة نعت رجل أي ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير اللحم ولا بقليله (أسمر) بالرفع أو النصب على أنه نعت لرجل (الى البياض) أي مائل اليه فيكون بين البياض والحمرة وقد سبق أن بياضه مشوب بالحمرة (أكحل) بالوجهين أيضا (العينين) أي خلقه (حسن الضحك) أي التبسم (جميل دوائر الوجه) أي أطرافه (قد ملات لحيته مابين هذه الى هذه) الاشارة الى الاذنين (قد ملات نحره) أي عنقه فهي اذا عريضة طويلة (قال عوف) الراوي عن يزيد الراوي (ولا أدري ماكان مع هذا النعت) أي

(٣) قوله انما الخ هذا الكلام غير مرتبط بما بعده ولكن الاصل المطبوع هكذا

من

من النعوت التى ذكرها يزيد لاني نسيتها هذا هو الظاهر المتبادر فى معنى هذا الكلام كما في جمع الوسائل وقال ابن حجر أى لا أعلم الذى وجد من صفاته فى الخارج مع هذا النعت هل هو مطابق له أولا وهذا ظاهر لاغبار عليه اه وتأمله مع قوله (فقال ابن عباس لو رأيته فى اليقظة ما استطعت ان تنعته فوق هذا) قال المناوى كأنه لم يترك شيأ من أوصافه حتى أوجب أن يقول ابن عباس هذا الا انه نسى عوف بعض ماذكره كما قاله اه *(تنبيه)* ظاهر الروايات المتقدمة وغيرها ان رؤياه صلى الله عليه وسلم تصح وان لم يكن الرائى صحابيا ولا ممن تكرر سماعه بصفته صلى الله عليه وسلم وقال القرافى قال العلماء انما تصح رؤيته عليه الصلاة والسلام لاحد رجلين لصحابي رآه فانطبع مثاله فى نفسه فاذا رآه علم انه رأى مثاله المعصوم من الشيطان والثانى رجل تكرر عليه سماع صفته صلى الله عليه وسلم المنقولة فى الكتب حتى انطبع فى نفسه المثال المعصوم فاذا رآه جزم بأنه رأى مثاله المعصوم من الشيطان كما يجزم الصحابى بذلك وأما غيرهذين فلا يجزم انه رأى مثاله بل يجوز أن يكون رأى مثاله ويحتمل أن يكون من تخيل الشيطان ولا يفيده قول المثال أنا رسول الله ولا قول من حضر معه هذا رسول الله لان الشيطان يكذب لنفسه ويكذب لغيره اه قال الابي وهو مشكل وموضع الاشكال قصر الرؤيا على الرجلين وتجويزه في غير الرجلين أن يكون ما رآه من تمثيل الشيطان مع شهادته صلى الله عليه وسلم ان الشيطان لا يتمثل به فان قلت اذا لم تقصر رؤياه على الرجلين فبم يعلم غيرهما انه رأى مثاله قلت يجوز أن يكون باعتقاد خلقه الله تعالى للرائي أن الذى رآه هو مثاله صلى الله عليه وسلم اه قال المصنف (ويزيد الفارسى) أى المذكور فى هذا السند (هو يزيد بن هرمز) بضم الهاء والميم ممنوع من الصرف قال فى جمع الوسائل والصحيح انه غيره فان يزيد بن هرمز مدنى من أوسط التابعين ويزيد الفارسى مقبول من صغار التابعين كما يعلم من التقريب وتهذيب الكمال (وهو) أى ابن هرمز (أقدم من يزيد الرقاشى) بتخفيف القاف ثم معجمة (وروى يزيد الفارسى عن ابن عباس أحاديث) أى عديدة (ويزيد الرقاشى لم يدرك ابن عباس وهو يزيد بن أبان) بالصرف ويجوز منعه (الرقاشى وهو) أى الرقاشى (يروى عن أنس ابن مالك ويزيد الفارسى ويزيد الرقاشى كلاهما من أهل البصرة) أى فمن قال انهما واحد لاتحاد اسمهما وبلدهما فقد وهم (وعوف بن أبي جميلة) أى الراوي عن يزيد الفارسى (هو عوف الاعرابي) *قال المصنف (حدثنا أبو داود سليمان) بدل أو بيان (ابن سلم البلخى نا النضر بن اسميل قال قال عوف الاعرابي أنا أكبر) أى سناً (من قتادة) أى راوى ابن عباس ففى هذا السند رواية تابعى وهو عوف عن تابعى وهو يزيد الفارسى والمقصود من ايراد هذا الاسناد أن عوفا هو الاعرابي بدليل تعبير النضر عنه بعوف الاعرابى وقيل وعليه اقتصر ابن حجر أن المقصود الاستدلال على ماتقدم من أن يزيد أدرك ابن عباس ووجه ذلك انه اذا كان راوى يزيد الذى هو عوف أكبر من راوى ابن عباس لزم أن يزيد أدرك ابن عباس وهو وان لم يستلزم رؤيته لكن يستأنس به لذلك قال في جمع الوسائل وهو غير صحيح لان الترمذى قد جزم بأن يزيد الفارسي روى عن ابن عباس أحاديث فلا يحتاج الى الاستدلال بمثل هذا المقال مع ان كلا من الرؤية والرواية لا يثبت بمجرد الاحتمال لان امكان رؤية يزيد الفارسى ابن عباس لا يستلزم رؤيته بالفعل مع ان المدعى ذلك *قال المصنف (حدثنا عبد الله بن أبى زيادنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد نا ابن أخى ابن شهاب الزهرى) ابن شهاب هو محمد بن مسلم وابن أخيه محمد بن عبد الله بن مسلم (عن عمه) أى الزهرى (قال قال أبو سلمة قال أبو قتادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآنى يعنى فى النوم فقد رأى الحق) يحتمل أن يكون مفعولا مطلقا اى فقد رأى الرؤيا

بعد ان ذكر سلام الله عليه لاشرفيته ثنى بسلامه على نفسه لاقربيته منه فما غيرك من المخلوقين السلام الصادر منه عليك كفاءلك أى مكافئ لحضرتك لما تقدم من تقرير العجز والقصور وكفاء فعال مصدر كافا يكافئ فما نافية وغيرك مبتدأ أول والسلام مبتدأ ثان وكفاء خبر عن الثانى والجملة خبر عن الاول والرابط ضمير منه العائد على غير وهو متعلق بالسلام ولك ان جعلناه متعلقا بالسلام كانت اللام بمعنى على ومعمول كفاء محذوف وان جعلناه متعلقا بكفاء فلا حاجة الى ذلك

(وسلام من كل ما خلق الله * عليه لتحيا بذكرك الاملاء)

هذا كالاستدراك لما قبله لانا وان كنا عاجزين عن السلام المكافئ فلابد من الاتيان بالمستطاع والقصد منه التعرض والمسئلة وطلب المكافأة منكم عليه وان لم نستحقها عليكم لان اليسير عندكم كثير والحقير لديكم خطير وقاصدكم باى وجه لايخيب وفي الحديث قال جبريل لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لايسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا وقد ذكر أهل العلم ان من خواص السلام مفردا التسليم من المشاق ومن المجرب أن من قال كل يوم مائة مرة السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته لايذوق مرارة الموت ورأى بعضهم جابر بن عبد الله فى النوم فحدثه بهذا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولازمه بعضهم فمات وهو ساجد فى صلاة الصبح واعلم أن المحب يسلم على المحبوب فى حالتى غيبته وحضوره أى في حالتى الشهود وعدمه اما

سلامه في الغيبة فتملق وتعلق واجلال واعظام ورجاء لان يكون ذلك ذريعة الى الصفاء ووسيلة الى الوصول وتفاؤلا بالظفر بالاقبال فيأتي بما في طوقه عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيما ليس في طوقه لكن سر الله في صدق الطلب ومن كثر لهجه بالاحباب فلابد أن يذكروه ومن دام تسليمه عليهم فلابد أن يزوروه وأما سلامه في وقت الشهود والحضور فشكر على الانعام وحمد في مقابلة الكلام وزيادة خضوع عند شهود الجلال وتضاعف شغف عند شهود الجمال فعند ذلك يسلم بعوالمه الظاهرة من رأس وعين وجبين ووجه ولسان وشعر وبشر وكل ذرة من ذراته وجوهرة من جواهره وبعوالمه الباطنة من روح وعقل وقلب وحياة وسائر القوى الباطنة

(وصلاة كالمسك تحمل منـ
ـى شمال اليك أو نكباء)

المعهود والشائع هو تقديم الصلاة على السلام اقتداء بالآية الشهيرة والاحاديث الكثيرة لان الصلاة خاصة بالانبياء استقلالا بخلاف السلام والاختصاص يؤذن بالافضلية وبالافضلية يستحق التقديم وأيضا السلام من الله تعالى زيادة تكرمة وانعام على التكرمة والانعام الحاصلين من الصلاة فاستحق السلام التأخير لان الزيادة على الشيء فرع ذلك الشيء والفرع يتبع أصله لكن لما كان المقام مقام ختام وحصل فيه الاشراف على التمام حسن فيه القلب الى تكرير السلام فصار المقام له وذكرت الصلاة أثناء آحاده المكررة تحقيقا لما

الحق وهي التي ليست من الشيطان ولا بأضغاث أحلام فيرجع الى معنى قوله فقد رآني في الروايات المتقدمة ويحتمل أن يكون مفعولا به أي فقد رأى الله سبحانه وتعالى لانه صلى الله عليه وسلم المجلى الاعظم والمرآة الكبري لظهوره تعالى وظهور صفاته اذ أقواله وأفعاله وأحواله كلها دائرة على الدلالة على الله تعالى والتعريف به فمن رآه شهد فيه جلال الله وجماله أما أقواله فظاهر وأما أفعاله فلان ارادته تابعة لارادة الله تعالى بمقتضى الخلاف والتمكين في العوالم فتعرف من مشاهدة أفعاله أفعال الله تعالى وأما أحواله وأخلاقه فلانه متخلق باخلاق الرحمن قال الورتجيبي في قوله تعالى ان الذين يبايعونك الآية جعل نبيه مرآة لظهور ذاته وصفاته وقال في قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله أي ليشاهدوا بأسرارهم الله ويدركوك في محل الجلال والجمال ويعرفوا قدرك في قدري وقدري في قدرك حيث صرت مرآتي أتجلى منك لهم لذلك قال عليه الصلاة والسلام من رآني فقد رأى الحق اه وهذا هو معنى قولهم ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الانسان الكامل وانه مخلوق على صورة الله وعلى صورة الرحمن وقد ورد الخبر بذلك وفي آية ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم تصريح بمقام الخلافة العظمى اشارة الى أن المطلوب التمسك بسنته والتعلق بشريعته وعدم الانحراف عن طريقته وانه باب الله الاعظم وان جميع ما يخرج من الخزائن الالهية دنيا وأخرى انما يخرج على يديه صلى الله عليه وسلم الله المعطي وأنا القاسم *(تنبيه)* في البخاري من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي وفي مسلم من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو فكأنما رآني في اليقظة قال المازري هو شك من الراوي فان كان المسموع الثاني فتأويله ما خوذ مما تقدم وان كان المسموع الاول فيحتمل ان يريد من لم يهاجر من أهل عصره وانه اذا رآه في النوم فسيراه في اليقظة ويكون الله تعالى جعل رؤياه في النوم علما على ذلك وأوحى اليه به عياض وقيل المعنى أنه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وقيل المعنى يراه في الآخرة وان كان سيراه هناك جميع أمته لكن من رآه في المنام يكرم يوم القيامة برؤيته رؤية خاصة زائدة على رؤية من لم يره في المنام من القرب منه أو الشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات وقيل هو بشارة ووعد برؤيته في اليقظة ويقع ذلك ولو مرة واحدة تحقيقا لوعده الشريف الذي لا يخلف قال ابن أبي جمرة وهو عام وليس بخاص بمن فيه الاهلية والاتباع لسنته عليه الصلاة والسلام قال السيوطي وأكثر ما يقع ذلك للعامة قبيل الموت عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده الصادق وأما غيرهم فتحصل لهم الرؤية في طول حياتهم اما كثيرا واما قليلا بحسب اجتهادهم ومحافظتهم على السنة اه قال ابن حجر وقد ذكر ابن أبي جمرة عن جمع انهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم نوما فرأوه بعد ذلك يقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم الى طريق تفريجها فكان الامر كذلك وحكيت رؤيته صلى الله عليه وسلم كذلك عن جماعة من الاماثل كالامام عبد القادر الجيلي كما في عوارف المعارف للسهروردي والامام أبي الحسن الشاذلي كما حكاه التاج ابن عطاء الله وكصاحبه الامام أبي العباس المرسي والامام علي الوفائي والقطب القسطلاني والسيد نور الدين الايجي وجرى على ذلك الغزالي فقال في كتابه المنقذ من الضلال ومع ذلك فأرباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد اه وأنكر ذلك جماعة منهم الامام بدر الدين الاهدل اليمني أحد فقهاء الشافعية في كتاب الرؤيا ومنهم صاحب فتح الباري ومنهم الامام القرطبي وغيرهم وقد نقل ابن حجر كلامهم

وتعقب ماذكروه من الالزامات وبين انه لايلزم شيء منها وكذلك الامام أبو الفضل عبد القادر ابن مغيزل في كتابه الكواكب الزاهرة في اجتماع الاولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة فقد نقل كلام الائمة في ذلك وبسط القول فيه فانظره والظاهر ان رؤياه صلى الله عليه وسلم في اليقظة تجري على مامر في رؤياه نوما ومقتضى كلام الامام حجة الاسلام وغيره من الصوفية ان مايقع من ذلك انما هو أمر روحاني ومشاهدة قلبية ولامدخل لعيني الرأس في شيء من ذلك ومن ظن انه رآه يقظة ببصره فانما رآه ببصيرته ولكن مرق نوره من بصيرته الى بصره فلبس عليه فظن انه رآه ببصره على قياس ماقاله الشيخ أبو محمد عبد القادر نفعنا الله به في مريد ادعى انه رأى الله بعين رأسه بعد ان استخبره وانتهره انظر سمط الجوهر الفاخر *قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا معلى بن راشد نا عبد العزيز المختار نا ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لايتخيل بي) أي فلا تكون رؤياي من أضغاث الاحلام (قال) في جمع الوسائل ضمير قال لانس كما هو الظاهر والا لقال وقال والحديث موقوف لكنه في حكم المرفوع ولا يبعد أن يكون الضمير له صلى الله عليه وسلم استغناء عن التصريح بمقتضي التوضيح اه (ورؤيا المؤمن) أي الكامل لرواية البخاري الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح (جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة) قال الشيخ زروق فلا تكون من النبوة الا ان كانت من الرجل الصالح لانها حينئذ كرامة والكرامة من المعجزة لان مدد هامنها وهي شاهدة بصحتها فهي من تمام برهانها كما قيل خرق العادة كرامة للمتبع واستدراج للمبتدع يفرق بينهما التوفيق في سلوك الطريق اه وقال القرطبي لاتكون من اجزاء النبوة الا اذا وقعت من مسلم صالح صادق لانه الذي يناسب حاله حال النبي والكافر والكاذب والمخلط وان صدقت رؤياهم في بعض الاحيان فانها لاتكون من الوحي ولا من النبوة اذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره نبوة بدليل الكاهن والمنجم فان أحدهم قد يحدث ويصدق ولكن على الندور والقلة وكذا الكافر قد تصدق رؤياه كرؤيا العزيز السبع بقرات ورؤيا لفتيين في السجن ورؤيا عاتكة عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي كافرة لكن ذلك قليل بالنسبة الى مناماتهم المخلطة الفاسدة اه وبين صلى الله عليه وسلم بهذا ان رؤيا غير النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون حقا كما ان رؤياه عليه السلام حق وأن الرؤيا الصادقة من قبيل العلم الوهبي بل من قبيل الوحي قال الابي قال القرطبي هذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم بأنه وحي من الله تعالى ولذلك أجاب مالك رحمه الله من قال له أيعبر الرؤيا كل أحد قال أبالنبوة يلعب وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الحكم من منامات أصحابه كما في رؤيا الاذان ورؤيا ليلة القدر وكل ذلك بناء على انها وحي اه وفي البخاري وغيره متصلا بهذا الحديث وما كان من النبوة لايكذب وفي البخاري وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح يعني في الصدق والظهور فهي من أعظم المزايا وأشرف الخصوصيات وأعظم المرائي وأشرفها وأكملها رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ويكفي في ذلك ماتقدم في رواية من رآني في المنام فقد رأى الحق على أحد الوجهين فيه وهو الاشارة الى أنه المجلى الاعظم فمن ظفر برؤيته صلى الله عليه وسلم فقد حصل على الكنز الاكبر والكبريت الاحمر وفاز بكيمياء السعادة اذا كانت رؤية الواحد من أولياء أمته والاجتماع به تغني فما يقال في رؤية نبي من الانبياء فما يقال في رؤية صفوة الانبياء فان وجهه الاكرم صلى الله عليه وسلم جنة المعارف فيحصل للعارفين بالنظر اليه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد كان الاجلاف من

على غاية الشغف بنيل المرغوب تخيل أنه جاد عليه بعظيم اللقاء فأتى بالسلام الذي هو من شعاره تفاؤلا أن يتم له ماستشعره وفي لفظ السلام اشارة الى أنه ترقى الى مطلوبه لاشتراك السلام مع السلم في المادة فقدمه وصلاة أي عظيمة من الله ومنك لك ومن كل مخلوق كالمسك في الطيب والنفع البليغ تحمل ذلك المسك شمال التي تهب من جهة القطب الى الغرب منى اليك حتى يتعطر الوجود بعبيره وتحيا الارواح بعبيقه ومسيره وفي دلائل الخيرات روي عن بعض الصحابة قال مامن مجلس يصلى فيه على محمد صلى الله عليه وسلم الا قامت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذا مجلس صلى فيه على النبي صلى الله عليه وسلم والنكباء هي الصبا والرياح أربعة باعتبار جهة الكعبة فان هبت من تجاه الكعبة فالصبا وهي حارة يابسة أو من ظهرها فالدبور وهي باردة رطبة أو من يمينها فالجنوب وهي حارة رطبة أو من شمالها فالشمال وهي باردة يابسة وهي ريح أهل الجنة التي تهب عليهم رواه مسلم ولذا قدمها الناظم *(تنبيه)* اعلم انه يتأكد ههنا التنبيه على بعض ماتضمنه قول مولانا جل وعلا ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فانظر كيف أفرد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عن سائر الاعمال بان عملها هو وملائكته أولا ثم أمر عباده بها ولم يشاركها في ذلك فرض ولا نفل فأمرنا أولا

الكبير اذا فعل شيأ بادر كل محب له الى فعله ثم بعد ذلك أمرنا أمرا صريحا ليتحقق التكليف ونقوم بالمأمور به على وجه التعظيم والمحبة من غير مشقة ولا نعمل لان ذلك خدمة لمن أحبه الله وعظمه وعبر بالمضارع اشارة الى استمرار صلاة الله وصلاة الملائكة عليه صلى الله عليه وسلم واقتصر أولا على ذكر الصلاة ولم يقل يصلون ويسلمون لان تسليم الله والملائكة عليه صلى الله عليه وسلم كان معروفا عندهم مشهورا فيما بينهم وقال على النبي دون الرسول لانه فعيل من النبوة وهي رفعة القدر والمنزلة ففيه تعليق الحكم على الوصف المناسب وقد أطالوا في تفسير الصلاة وأقسامها وكل ذلك يرجع الى معنى الوصلة واظهار الشرف فهي لازمة لكل ماذكر في تفسيرها ولذا فسر البيضاوي قوله يصلون يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وسلموا بقوله قولوا السلام عليك وانقادوا لاوامره فلما تأخيا في هذا المعنى وكان هو المراد أكد لفظ التسليم تحصيلا لتمام المقصود بدلالته على الانقياد فهو مؤكد لصلوا بمعناه ولسلموا بلفظه وحذف متعلق السلام لدلالة متعلق الصلاة عليه لانه آكد في هذا المقام لما فيه من المسالمة والاذعان والقبول وبه يحصل نهاية المأمول وليصلح أن يكون عليه أوله بمعنى الاذعان والانقياد هذا وأخرج ابن وداعة من حديث عبد الله بن عمر قال قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من الصلاة علي فانها نور في القبر ونور على الصراط ونور

الاعراب بمجرد مثولهم بين يديه صلى الله عليه وسلم ينطقون بالمعارف والحكم التي لا يهتدى اليها أكابر العلماء وأيضا فانه صلى الله عليه وسلم رأى المولى جل جلاله فمن رآه فقد رأي من رأى وهذه خصوصية عظيمة ومزية فخيمة لم تثبت في الدنيا لاحد ولا تكون لاحد ولهذا اصطفت جنود الله وملائكته ليلة الاسراء علي سدرة المنتهى ينظرون فيما رجع به صلى الله عليه وسلم من أنواع الجلال وضروب الجمال والكمال وكان الامين جبريل يطوف به بين صفوف الملائكة تنويها بقدره وتفخيما لامره فكان رؤساؤهم وعظماؤهم يضعون أجنحتهم في مواطئ قدميه صلى الله عليه وسلم ولهذا كان نبي الله موسى لما لقيه النبي صلى الله عليه وسلم يرده الى الله تعالى ليرى من رأى وقد سأل سبعون ألفا من الملائكة مولانا جل جلاله في النزول الى الارض لينظروا اليه صلى الله عليه وسلم لما يعلمون انه أكرم الخلق علي الله ولانه رأى فيرون من رأي ولانه المجلى الاعظم والمرآة الكبرى ولهذا كان الاكابر من الاولياء يغيبون في مشاهدته صلى الله عليه وسلم وقد قال الشيخ أبو العباس المرسي لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ماعددت نفسي من المسلمين *(فائدة)* ذكر ابن الفاكهاني في كتابه الفجر المنير في الصلاة علي البشير النذير أن من قال سبعين مرة اللهم صل علي روح سيدنا محمد في الارواح اللهم صل علي جسد سيدنا محمد في الاجساد اللهم صل علي قبر سيدنا محمد في القبور رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وقوله من ستة وأربعين هي رواية الاكثر وهي الاصح عند المحدثين وفي رواية الرؤيا الصالحة جزء من سبعين وفي أخرى جزء من أربعين وفي أخرى من خمسين وفي أخرى من ستة وعشرين وفي أخري من أربعة وأربعين وأشار الطبري الى ان اختلاف الروايات في قدر النسبة لاختلاف حال الرائي فرؤيا الصالح جزء من ستة وأربعين ورؤيا الفاسق جزء من سبعين قال ابن العربي وهذا الوجه أحسنها وهو أن نسبة هذه الاجزاء الى النبوة انما هو بحسب اختلاف الرائي فرؤيا الصالح على عدد الذي دونه درجة دون ذلك وقيل اختلاف الروايات يدل علي ان المراد بالاعداد انما هو الكثرة لا التحديد واختلاف هذه الروايات مما يرد ما قيل من ان وجه كونها جزأ من ستة وأربعين ان زمن الوحي ثلاث وعشرون سنة منها ستة أشهر قبلها رؤيا ونسبة ذلك الى سائرها نسبة جزء الى ستة وأربعين جزأ وقد رده أيضا جمع منهم الخطابي بأنه لم يثبت كون زمن الرؤيا ستة أشهر ولم يسمع في ذلك أثر وكأن قائله بناه على الظن والظن لا يغني عن الحق شيأ وقد نقل الابي ما للعلماء في توجيه الحديث وأطال في ذلك فانظره وقال التوربشتي الاولى ان يجتنب القول في تحديد الاجزاء بستة وأربعين جزأ ويتلقى التسليم لكونه من علوم النبوة التي لا تقابل بالاستنباط ولا يتعرض لها بالقياس اه ولا حرج على أحد في الاخذ بظاهره فان جزأ من النبوة لا يكون نبوة كما ان جزأ من الصلاة لا يكون صلاة والذي لم نفهمه انما هو تحديد الاجزاء بالستة والاربعين أو غير ذلك *قال المصنف (حدثنا محمد بن علي قال سمعت ابي يقول قال عبد الله ابن المبارك اذا ابتليت بالقضاء فعليك بالاثر) اى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي اللجا اليه النجاة من المهالك وهذا والله أعلم بالنسبة للمجتهد أما المقلد فحسبه اتباع مقلده ومقلد المتمسك بالسنة متمسك بالسنة قال الامام الحطاب في أول شرحه للمختصر الذي عليه الجمهور انه يجب علي من ليس فيه أهلية الاجتهاد ان يقلد أحد الائمة المجتهدين سواء كان عالما أو ليس بعالم وقيل لا يقلد العالم وان لم يكن مجتهدا لان له صلاحية أخذ الحكم من الدليل اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن علي نا النضر نا ابن عون عن ابن سيرين قال هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) اى واذا كان الحديث دينا فيجب الرجوع له وتحصيله والعمل به

فى الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم من عسرت عليه حاجة فليكثر بالصلاة علي فانها تكشف الهموم والغموم والكروب وتكثر الارزاق وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلي صلاة العصر يوم اجمعة فقال قبل ان يقوم من مجلسه اللهم صل علي محمد النبي الامي وعلي آله وسلم تسليما ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة وصرح أبو طالب المكى فى قوت القلوب والغزالى فى الاحياء بان ذلك لا يتقيد بلفظ صلاة مخصوصة وأخرج الامام أحمد والترمذى وقال حسن صحيح والحاكم وصححه عن كعب بن عجرة قلت يارسول الله اني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتى قال ماشئت قلت الربع قال ماشئت وان زدت فهو خير لك قال النصف قال ماشئت وان زدت فهو خير لك قلت أجعل لك صلاتي كلها قال اذن تكفى همك وتغفر ذنبك وفى رواية اذا يكفيك الله م دنياك وآخرتك قال الحافظ المنذرى معنى قوله كم أجعل لك من صلاتى كم أجعل لك من دعائى صلاة عليك وهو بعيد من قوله اني أكثر الصلاة عليك اه وقال الشيخ أبو المواهب الشاذلى رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله مامعنى قول كعب ابن عجرة فكم أجعل لك من صلاتى قال ان تصلى علي وتهدى ثواب ذلك الى لا الى نفسك اه وغفران الذنوب بها بالنسبة الى الصغائر ظاهر وأما بالنسبة الى الكبائر فلانها تكون سببا لتوبته منها لانها تشرق في القلب نورا يحمل علي اجتناب قبائح الذنوب لانها حاجبة عن المحبوب وأخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا وأخرج النسائى وابن حبان والدارمي وأحمد والحاكم أتانى

ففى كل من هذين الكلامين ترغيب فى التضلع من علم السنة فانه كلام صاحب الانوار المحيطة الذى لا ينطق عن الهوى وهو أحد أصول الشرائع والاحكام التى عرف منها الحلال والحرام وقد قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وقال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وخرج ابن أبى جمرة من حفظ علي أمتى حديثا واحدا يقيم به سنة ويرد به بدعة فله الجنة وخرج أيضا من حفظ علي أمتى حديثا واحدا كان له أجر أحد وسبعين نبيا صديقا وهذا وجه ختم هذا الكتاب بهذين الكلامين فكانه يقول بعد اذ عرفتك ببعض البعض من سيره صلى الله عليه وسلم وشمائله الكريمة وأخلاقه الفخيمة فعليك بالاكثار من حديثه وبذل المجهود فى مزيد تحصيله وعدم القناعة منه بهذا الكتاب فانه نجاة لمن تمسك به وعصمة لمن التجأ اليه وهو الدين الذى تعبدنا به رب العالمين كما قيل

دين النبي محمد آثار * نعم المطية للفتى الاخبار
لا تغفلن عن الحديث وأهله * فالرأى ليل والحديث نهار

ورواية المصنف هذه تقتضى أن هذا الكلام من قول ابن سيرين وهو كذلك فى مسلم أيضا وأورده فى الجامع الصغير من حديث الحاكم عن أنس وعن أبى هريرة بلفظ ان هذا العلم دين فانظروا عمن تاخذون دينكم قال المناوى فى شرحه الكبير له قوله العلم أى الشرعى الصادق بالتفسير والحديث والفقه وأصول الدين وأصول الفقه ويلحق بها آلاتها وأشار بقوله فانظروا عمن تاخذون دينكم الى أن الحديث لكونه دينا يجب اتقانه وعدم التساهل فيه فان التعويل في الدين علي كل أحد تلاعب فنى الانجيل هل يستطيع أعمى ان يقود أعمى أليس يقعان كلاهما فى بئر فلا يؤخذ الا عن العدول الثقات المتقنين والعلماء العاملين ويؤخذ من كلام ابن سيرين فائدتان وكانه يقول هذا الحديث دين فاطلبوه واحضروا مجالسه وتضلعوا به فان كل حديث يشرح طرفا من الدين وهو تقوى الله تعالى وطاعته وانظروا من أهل الحديث والعلم من يليق للاخذ عنه والانتفاع بصحبته وهم أهل الزهد والورع والاتقان والفهم ولا يكفى الزهد والورع عن الاتقان والفهم ولا العكس قال مالك لقد أدركت بهذه البلدة أقواما لو استسقى الناس بهم المطر اسقوا قد سمعوا العلم والحديث كثيرا ما حدثت عن أحد منهم شيأ لانهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد والفتوى محتاج لمن له تقى واتقان وعلم وفهم فيعلم مايخرج من رأسه ومايصل اليه غدا فاما زهد بلا اتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولا هو حجة ولا يؤخذ عنه اه وفى الاحياء أدركنا الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وقال ابن مسعود لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فاذا أخذوه عن شرارهم ضلوا ونقل أبو عمر بسنده أن عطاء الخرسانى كان اذا صلى يتكلم بكلمات فغاب يوما فتكلم رجل من المؤذنين فسمع رجاء بن حيوة صوته فقال من هذا قال أنا قال اسكت فانا نكره ان نسمع الخير الا من أهله ونقل عياض فى مداركه تقديم من أخر الله وتأخير من قدم الله فتنة فى الارض وفساد كبير وفى الحديث من تعلم العلم ليباهى به أو ليرائى به أوقفه الله موقف الذل وجعله عليه حسرة يوم القيامة وقد قال العلماء رضي الله عنهم ان الآفة ليست من قراءة العلم وانما هي خبث الدخيلة كالمنافق يقرأ القرآن قال وهب بن منبه العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشرب به الاشجار فتحوله علي قدر طعومها يزداد المر مرارة والحلو حلاوة نعم قال ابن العربي اذا سمعت حقا فخذه وان كان من لسان مبطل واستن أنت به وان احترف هو فيه فقد أخبر سبحانه ان الحكمة يؤتيها من يشاء ولا يتذكر بها الا من له لب قال المناوى فى شرحه الكبير علي الجامع الصغير فعلى الطالب أن يتحرى الاخذ عمن اشتهرت ديانته وكملت أهليته وتحققت

من أمتك الا سلمت عليه عشرا والمراد تضعيف الحسنة بعشر على قاعدة تضعيف الاعمال الصالحة ولكن أخبر الله تعالى بأن التضعيف هنا ليس بأمثال عمل العبد كما في غير هذا العمل بل بعمل الرب جل وعلا وهذا هو وجه الخصوصية بأن توصل العبد الى صلاة الله عليه كذا اشار اليه القاضى عياض فى الاكمال وتبعه الشيخ السنوسى وغيره انظر شرح الشيخ ابن زكرى لهمزيته

(وسلام على ضريحك تخضل ل به منه تربة وعساء)

الضريح القبر الاكرم الذى ضم الجسد الاعظم

لاطيب يعدل ترباضم أعظمه طوبى لمنتشق منه وملتثم

وتخضل تبتل وزنا ومعنى وضمير به يعود علي السلام وضمير منه يعود علي القبر والتربة الوعساء اللينة ذات الرمل شبه السلام بالماء الكثير الطيب البارد البالغ فى النفع تشبيها مضمرا فى النفس فهو استعارة بالكناية وقوله تخضل تخييل ووجه الشبه بين السلام والماء أن كلا منهما اذا وصل امتزج كل الامتزاج

(وثناء قدمت بين يدي نجح واى اذ لم يكن لدى ثراء)

أى قدمت بين سؤالى منك بلوغ المأمول ثناء عظيم على قدر وسعى وطاقتى لاجل أنه لم يكن عندى ثراء بالمثلثة أى مال أتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة اذ الامر فيها كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو أشفقتم الآية فبقى الندب حتى عند

شفقته وظهرت مروءته وعرفت عفته وكان أحسن تعليما وأجود تفهيما ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص فى ورع أو دين أو عدم خلق حسن وليحذر من التقيد بالمشهورين وترك الاخذ عن الخاملين فقد عدوا مثل ذلك من الكبر وجملوه عين الحمق لان الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ويغتنمها حيث ظفر بها فان كان الخامل مرجو البركة فالنفع به أعم والتحصيل من جهته أتم واذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالبا والفلاح يدرك طالبا الا اذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر وعلى نصحه للطلبة دليل ظاهر قلت فان لم يجد طالب العلم من توفرت فيه هذه الشروط علي التمام والكمال فلينظر من يقارب من توفرت فيه فليأخذ عنه فان مصيبة الجهل لا تعدلها مصيبة وقد نص الفقهاء علي أنه اذا لم توجد شروط الخلافة او شروط القضاء أو شروط الشهادة فانه يقدم لذلك أمثل أهل ذلك الزمان ولا يجوز أن يترك الناس فوضي لئلا تضيع الحقوق وقد أخذ الصوفية من هذا الخبر ان علي المريد امتحان من أراد صحبته لا علي جهة كشف العورات وتتبع السيئات لفقد العصمة بل خلق دون خلق وذنب دون ذنب فالمؤمن رجاع والمنافق مدمن فالعالم يمتحن بالمسائل العلمية والصوفى يمتحن بالخصائل الخلقية حكى القشيرى أن أبا عثمان الحيرى دعاه رجل الى ضيافة فلما وافى باب داره قال ليس لى حاجة بك وندمت فانصرف وعاد اليه فقال احضر الساعة فوصل لباب داره فقال له كذلك وهكذا خمس مرات فقال له يا أستاذ انما اختبرتك واعتذر اليه ومدحه فقال له تمدحنى علي خلق تجد مثله في الكلب فانه اذا دعى حضر واذا زجر انزجر اه وبالجملة فالعلماء العاملون هم أهل الله الدالون عليه والعارفون بجلاله وعظمته وبكيفية التعبد له وهم الذين تكون النظرة فيهم عبادة والادب معهم وخدمتهم عبادة وهم ورثة الانبياء وخلفاء الرسل عليهم الصلاة والسلام فطاعتهم طاعة الله ورسوله وهم عبيد الله حقا وأولياؤه ومحل نظره من خلقه وبهم يرحم الله البلاد والعباد وهم مع الله بقلوبهم وان كانوا مع الناس بابدانهم فيكون للاخذ عنهم قسط ونصيب من وراثته صلى الله عليه وسلم اذ الجميع منسوبون اليه ومستمدون منه صلى الله عليه وسلم فمنهم الاوهو سابح فى نوره وممتد من بحوره على حسب مقامه ويكفى في فضل لقائهم ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم من صافح عالما صادقا فكأنما صافح نبيا مرسلا أماتنا الله تعالى علي محبتهم وحشرنا فى زمرتهم وجعلنا من المتمسكين بطريقهم وسنتهم آمين يارب العالمين *(قال مقيده)* عبد الله تعالى وأفقر عبيده الى رحمته محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أحمد جسوس كان الله تعالى له ولوالديه ولاشياخه ولجميع المسلمين دنيا وأخرى هذا آخر ما تيسر جمعه من الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية ووافق الفراغ من تبييض ذلك خامس الحجة الحرام متم عام تسعة وثلاثين ومائة وألف ونسأل الله تعالى من فضله ان ينفعنا وسائر المسلمين به وان يجعله خالصا لوجهه الكريم والحمد لله وكفى وسلام علي عباده الذين اصطفى وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه

وبعد هذا بخط مؤلفه الحمد لله بلغت مقابلته أول رجب الفرد الحرام من سنة احدى وأربعين ومائة وألف تقبل الله ذلك بمنه ثم بلغت مراجعته مرة ثانية أوائل الشهر قبله من سنة اثنين واربعين جعل الله ذلك من الاعمال المتقبلة بمنه آمين ثم مرة ثالثة ثالث ربيع الثانى من عام اثنين وستين ومائة وألف تقبل الله سبحانه ذلك بجاه هذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم

زيارة قبره الشريف والناظم حيث لم يكن له مال يحصل به هذا المندوب جعل حسن الثناء عوضا والامر بتقديم الصدقة أمام النجوى قيل بقي عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وقال علي رضي الله عنه هذه الآية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشر مسائل فأجابني عنها قلت يارسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما علي (١٩٩) قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أدعو الله تعالى قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل قال العافية قلت وما أصنع لنجاة نفسي قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها

(ما أقام الصلاة من عبد الله
وقامت بربها الاشياء)

ما ظرفية مصدرية والصلاة مفعول مقدم وهي نعم اللغوية والشرعية ومن موصولة فاعل أقام وعبد فعل ماض فاعله ضمير من والله مفعوله والجملة صلة الموصول وأبد بذلك لعدم انقطاعه لان الصلاة لا تزال تقام في الدنيا علي سبيل التكليف وفي الآخرة على سبيل التلذذ والتنعم كما يدل عليه حديث اقرأ وارق واستمرارها في الدنيا معناه الى قرب قيام الساعة للحديث لا تقوم الساعة حتى لا يبقى علي وجه الارض من يقول الله الله وعليه الحديث الآخر لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علي الحق لا يضرهم من خالفهم الى أن تقوم الساعة أي الي ان يقرب وقت قيامها لما ورد ان الله يرسل بقرب قيامها ريحا لينة فلا تمر علي مؤمن ولا مؤمنة الا مات وقوله وقامت بربها الاشياء هو معطوف علي أقام مدخول لما الظرفية المصدرية ومعنى قامت بقيت على أبلغ نظام وأتقن احكام بايجادربها وامداده والمراد بالاشياء الموجودات الدنيوية والاخروية وفيه حسن الختام اذ هو ونظمه من الاشياء التي تقوم بربها والرب المصلح اذ هو في الاصل مصدر بمعنى التربية أي الاصلاح وهي تبليغ الشيء الى كماله شيأ فشيأ ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل ففي الختم به تعرض لنفحاته وروى البغوي عن علي كرم الله وجهه من أحب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لاتباع دينه القويم ووفقنا للصراط السوي والطريق المستقيم والصلاة والسلام علي من تخلق بالفضائل وتحلى بكريم الخصال وجليل الشمائل سيدنا محمد سيد ولد عدنان الموصوف بأجل النعوت في التوراة والقرآن الذي أثنى عليه الاله المتفضل الكريم بقوله وانك لعلى خلق عظيم

(أما بعد) فقد تم طبع الشمائل الترمذية بهذا الشرح الجليل النفيس المسمى بالفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية لامام المحققين وعمدة المدققين وقدوة السالكين سيدي محمد بن قاسم جسوس عليه من الله الرضوان وأسكنه بمنه وكرمه رحيب الجنان فلقد أعمل الفكر وأنعم النظر في تفهم حديث البشير النذير واظهار ما في شمائله المجيدة وخصاله الحميدة من بديع الشيم وجليل الهمم فلله دره من امام ورع وزاهد غير مبتدع

وقد رصعنا الهوامش بشرح همزية قطب العارفين وتاج الواصلين الامام ابي عبد الله محمد البوصيري المسمى بلوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية الامام البوصيري للعالم الكبير والقطب النحرير سيدي محمد بن احمد بنيس فقد أجاد رحمه الله في ذلك الشرح واستحق من كل مسلم الدعاء والمدح وقد أبان بشرحه هذا ما تكنه تلك العصماء الفريدة من بلاغة في التعبير ودقة في النظم والتصوير مع ذكر كل ما يناسب المقام من كلام سيد الانام رحم الله الجميع بفضله وانعامه وأسكننا وايام دار الكرامة

وكان هذا الطبع الزاهر والوضع الباهر بمطبعة حضرة خادم العلم والدين محمد افندي علي صبيح بميدان الازهر الشريف بمصر وذلك في أوائل شهر رمضان المكرم من سنة ١٣٤٦ هجرية ؟

(قال مؤلفه) وكان الفراغ منه بحمد الله وتوفيقه ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلون من ربيع الاول النبوي الانور الافضل من عام مائتين وألف والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما اه من خط من نقل من خط مؤلفه

صحيفة

٢ باب ماجاء فى صفة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
٦ باب ماجاء في تعطر رسول الله صلى الله عليه وسلم
١١ باب كيف كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧ باب ماجاء فى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٣ باب صفة مزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٩ باب صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعر
٣٩ باب ماجاء فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السمر
٤١ حديث أم زرع
٤٨ باب صفة نوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥٣ باب ماجاء فى عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٥ باب صلاة الضحى
٨٢ باب التطوع فى البيت
٨٤ باب ماجاء فى صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
٩٩ باب ماجاء فى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٠٥ باب فى بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
١١٣ باب فى فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
١١٥ باب ماجاء فى تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٣٥ باب ماجاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٥٢ باب ماجاء فى حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٥٤ باب ماجاء فى حجامة رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٥٨ باب ماجاء فى أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦١ باب ماجاء في عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٣ باب ماجاء فى سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٥ باب ماجاء فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨٣ باب ماجاء فى ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨٩ باب ماجاء فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام

تمت

DUE DATE

GLX OCT 0 2 1995

GL/Rec JUL 20 1995

JUN 07 2006

201-6503

Printed in USA

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0043159060

893.792
T51

FEB 9 1961